مجمع البيان
في
تفسير القرآن

تأليف العلامة المحقق وقدوة المفسرين أمين الملة

الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

صححه وعلق عليه السيد هاشم الرسولي المحلاتي

بنفقة

السيد حاج محمد تقي الحجة الشهير بالكاجوري

الناشر

مكتبة العلمية الإسلامية

طهران - سوق الشيرازي

تلفون { بازار ٥٥٩ ٥٦٢
ناصرخسرو ٣٩٤٥٢٩

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
JOHN M.
OLIN
LIBRARY
ITHACA, N.Y.

CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
3 1924 059 368 179

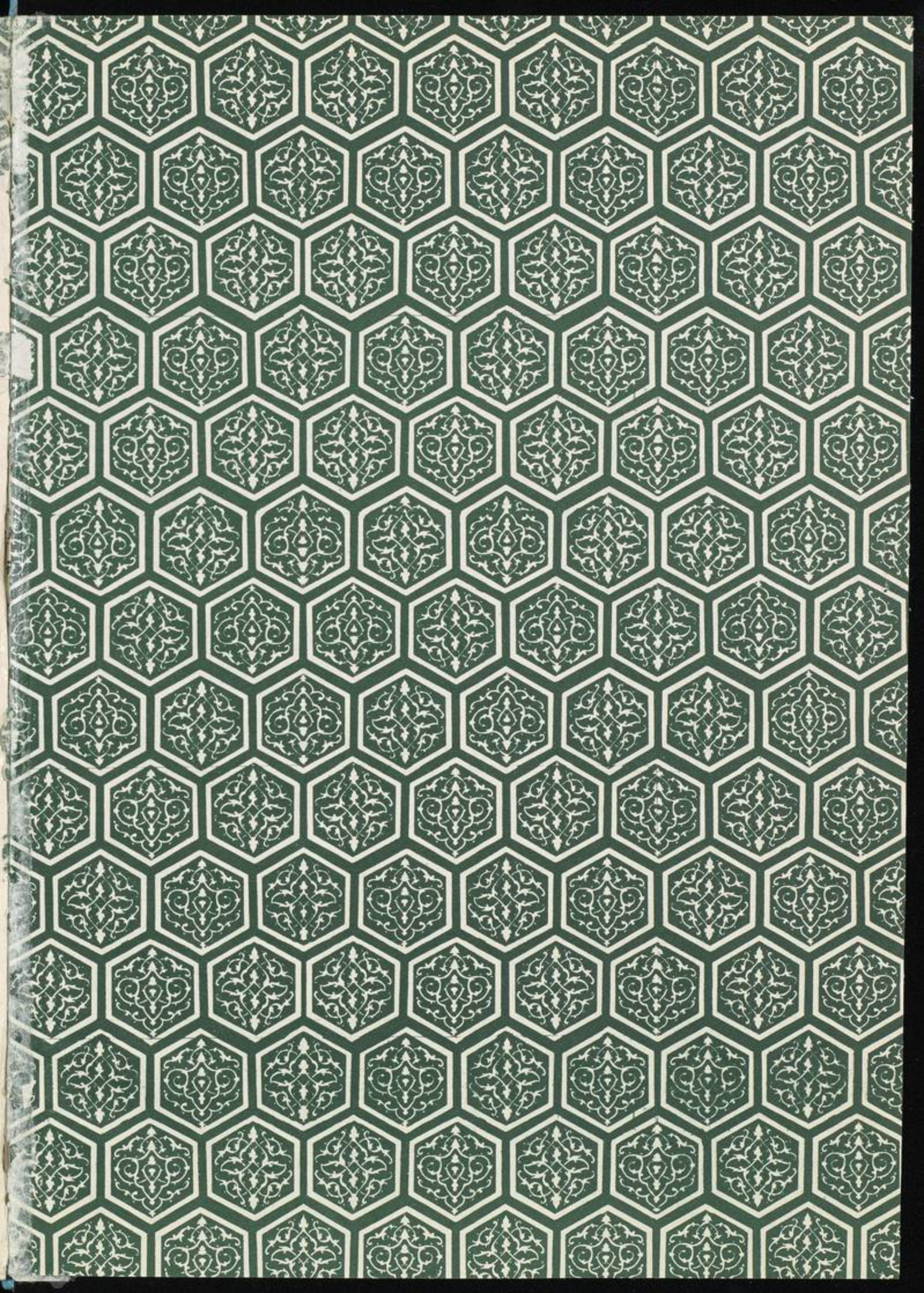

مجمع البيان

في

تفسير القرآن

تأليف العلامة المحقق قدوة المفسرين وأمين الملة والدين

الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

المتوفى سنة ٥٤٨

صححه وعلق عليه السيد هاشم الرسولي المحلاتي

بنفقة

السيد حاج آقا المحترم الحاج السيد محمود الكتابچي وأولاده

الناشر

مكتبة العلمية الإسلامية

طهران - سوق الشيرازي

تلفون { بازار ٥٦٢٥٥٩
ناصرخسرو ٣٩٤٥٢٩ }

IR-AR-85-930750

DLC
+
BP
130
.4
T14
1980
juz'4

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمتنا

V.4,

الاصل في نسختنا هذه هي النسخة المطبوعة بـ «صيدا» الا انها لمّا لم تكن خالية عن الاغلاط حاولنا تصحيحها فراجعنا فيه الى عدة من النسخ

منها : نسخة مخطوطة مصححة عتيقة لخزانة كتب العلامة النسّابة الآية الحجّة السيد شهاب الدين المرعشي النجفي دامت بركاته العالية .

منها : نسخة مخطوطة عتيقة اتحفنا بها العالم الجليل الحاجّ الشيخ حسن المصطفوي دام ظلّه العالي .

منها : النسخة المطبوعة بالطبع الحجري بطهران المعروفة بـ (طبع ملاحسن)

فما كان من تحريف او تصحيف او زيادة اصلحناه في المتن وامّا ما كان من سقط يتعذر فاوردناه بالهامش بين المعقفتين مضافا الى بيان المشكلات ، وحلّ المعضلات

فجائت بحمد الله نسخة صحيحة لم يطبع مثلها ، والكتاب أقوى شاهد و برهان .

CORNELL UNIVERSITY LIBRARIES
ITHACA, N.Y.

حقوق الطبع بهذه الصورة المزدانة

بالتعاليق و المقدمة و سائر الخصوصيات

محفوظة للناشر

(الجزء السابع)

(سورة طه) مكية

﴿ عدد آيها ﴾ مائة واربعون آية شامي وخمس وثلاثون كوفي واربع حجازي وآيتان بصري

﴿ اختلافها ﴾

احدى وعشرون آية طه ما غشيهم رأيتهم ضلوا ثلاثهن كوفي نسبّحك كثيرا ونذكرك كثيرا كلاهما غير البصري محبة مني حجازي شامي فتونا بصري شامي لنفسي كوفي شامي ولا تحزن وأهل مدين ومعنا بني اسرائيل وأوحينا إلى موسى اربعهن شامي غضبان أسفا وآله موسى كلتاهما مكي والمدني الأول وعدا حسنا الا يرجع اليهم قولا كلتاهما المدني الأخير القى السامري غير المدني الأخير فنسي عراقي شامي والأخير صفصفا عراقي شامي مني هدى وزهرة الحياة الدنيا غير الكوفي(١)

﴿ فضلها ﴾

أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار، ابو هريرة عن النبي ﷺ انه قال ان الله تعالى قرأ طه و يس قبل أن يخلق آدم (ع) بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا طوبى لامة تنزل هذا عليها وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسن تتكلم بهذا وعن الحسن قال قال النبي ﷺ لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا يس وطه وروى اسحاق بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال لا تدعوا قراءة طه فإن الله سبحانه يحبها ويحبّ من قرأها وادمن قراءتها واعطاه يوم القيامة كتابه بيمينه ولم يحاسبه بما عمل في الإسلام وأعطي من الأجر حتى يرضى

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه سورة مريم بذكر إنزال القرآن وانه بشارة للمتقين وانذار للكافرين وافتتح هذه السورة بالقرآن وانه أنزله لسعادته لا لشقاوته فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) طه (٢) مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ (٣) إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٤) تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى (٥) ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ (٦) لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ (٧) وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى (٨) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ثماني آيات كوفي

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو طه بفتح الطاء و كسر الهاء كسرا لطيفا من غير افراط وقرأ أهل الكوفة غير عاصم إلا يحيى عن ابي بكر بكسر الطاء والهاء وكذلك عياش عن ابي عمرو والباقون بفتح الطاء والهاء وروي عن ابي جعفر ونافع كهيعص وطه وطس وحم وآلر كله بين الفتح والكسر وهو إلى الفتح اقرب

﴿ الحجة ﴾

قد مرّ القول في الامالة والتفخيم في الحروف فيما تقدم والتفخيم لغة أهل الحجاز ولغة النبي ﷺ

(١) اعلم ان اعداد اهل الكوفة أصح الاعداد لانه مأخوذ عن علي بن أبيطالب عليه السلام ، والمراد بالمدني الاول هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع القاري وشيبة بن نصاح ، وقيل المدني الاول الحسن بن علي بن ابيطالب وعبدالله بن عمر والمدني الثاني والمدني الاخير هو اسمعيل بن جعفر ، وقيل المدني الاخير ابو جعفر وشيبة واسماعيل ، والاول

﴿ اللغة ﴾

الشقاء استمرار ما يشق على النفس ونقيضه السعادة والعلى جمع العليا ومنه الدنيا والدنا والقصوى والقصي والثرى التراب الندي والجهر رفع الصوت يقال جهر يجهر جهرا فهو جاهر والصوت مجهور وضده المهموس

﴿ الاعراب ﴾

روي عن الحسن انه قرأ طه بفتح الطاء وسكون الهاء فإن صح ذلك عنه فأصله طأ فأبدل من الهمزة هاء ومعناه طأ الأرض بقدميك جميعا وقد روي ان النبي ﷺ كان يرفع إحدى رجليه في الصلاة ليزيد تعبه فأنزل الله طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قوضعها وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) قال الزجاج ويجوز أن يكون طه امرا من وَطأ يَطأ على قول من لم يهمز ثم حذفت الألف فصار طَ ثم زيدت الهاء في الوقف ويجوز أن يكون طه جاريا مجرى القسم فيكون ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى جواب القسم وقوله تذكرة مفعول له . لمن يخشى الجار والمجرور في موضع الصفة لتذكرة والأولى أن يكون مصدر فعل محذوف ويكون الاستثناء منقطعا والتقدير لكن تذكرة وكذلك قوله تنزيلا مصدر لفعل محذوف تقديره نزلناه تنزيلا أو نزل تنزيلا ويدل عليه قوله انزلنا

﴿ المعنى ﴾

(طه) قد بيّنا في اول البقرة تفسير حروف المعجم في أوائل السور والاختلاف فيه وقد قيل ان معنى طه يا رجل عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والكلبي غير ان بعضهم يقول هو بلسان الحبشية اوالنبطية وقال الكلبي هي بلغة عك وأنشد لتميم بن نويرة

هَتَفْتُ بِطَهْ فِي الْقِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ ... فَخِفْتُ لَعَمْرِي أَنْ يَكُونَ مُوائِلا (١)

وقال الآخر

إِنَّ السَّفَاهَةَ طَهْ مِنْ خَلَائِقِكُمْ ... لَا بَارَكَ اللهُ فِي الْقَوْمِ الْمُلَاعِينِ

وقال الحسن هو جواب للمشركين حين قالوا انه شقي فقال سبحانه يا رجل (ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) لكن لتستعد به وتنال الكرامة به في الدنيا والآخرة قال قتادة وكان يصلي الليل كله ويطلق صدره بحبل حتى لا يغلبه النوم فأمره الله سبحانه بأن يخفف على نفسه وذكر انه ما أنزل عليه الوحي ليتعب كل هذا التعب (إلا تذكرة لمن يخشى) قال المبرد معناه لكن انزلناه تذكرة اي لتذكرة من يخشى الله والتذكرة مصدر كالتذكير (تنزيلا) اي نزلناه تنزيلا (ممن خلق الأرض) بدأبالأرض ليستقيم رؤوس الآي (والسماوات العلى) اي الرفيعة العالية نبّه بذلك على عظم حال خالقها ثم أكّد ذلك بقوله (الرحمن على العرش استوى) اي هو الرحمن لأنه لما قال ممن خلق بيّنه بعد ذلك فقال هو الرحمن قال احمد بن يحيى الاستواء الاقبال على الشيء فكأنه أقبل على خلق العرش وقصد إلى ذلك وقد سبق القول في معنى الاستواء في سورة البقرة والاعراف (له ما في السماوات وما في الارض) اي له ملك ما في السماوات وما في الارض وتدبيرهما وعلمها يعني أنه مالك كل شيء ومدبّره (وما بينهما) يعني الهواء (وما تحت الثرى) والثرى التراب الندي يعني وما وارى الثرى من كل شيء عن الضحاك وقيل يعني ما في ضمن الأرض من الكنوز والاموات (وإن تجهر بالقول) اي ان ترفع صوتك به (فإنه يعلم السر واخفى) اي فلا تجهد نفسك برفع الصوت فإنك وان لم تجهر علم الله السر واخفى من السر ولم يقل واخفى منه لدلالة الكلام عليه كما يقول القائل فلان كالفيل او اعظم وقيل تقديره وان تجهر بالقول لو لا تجهر فإنه يعلم السر واخفى منه ثم اختلفوا فيما هو اخفى من السر فقيل السر ما حدث به العبد غيره في خفية واخفى منه ما اضمره في نفسه ما لم يحدث به غيره عن ابن عباس وقيل السر ما اضمره العبد في نفسه

← اشهر ، وعدد أهل البصرة منسوب الى عاصم بن أبي الصباح الجحدري وأيوب المتوكل ، وعدد اهل مكة منسوب الى مجاهد بن جبيرة واسماعيل المكي وعدد أهل الشام منسوب الى عبدالله بن عامر . (عن هامش بعض النسخ المصححة)

(١) وثل : التجأ . وفي بعض النسخ «مواليا» مكان« موائلا » .

واخفى منه ما لم يكن ولا اضمره احد عن قتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وقيل السر ما تحدث به نفسك واخفى منه ما تريد أن تحدث به نفسك في ثاني الحال وقيل للعمل الذي تستره عن الناس واخفى منه الوسوسة عن مجاهد وقيل معناه يعلم السر اي يعلم اسرار الخلق واخفى اي سرّ نفسه عن زيد بن اسلم جعله فعلا ماضيا وروي عن السيدين الباقر والصادق (ع) السر ما اخفيته في نفسك واخفى ما خطر ببالك ثم انسيته (الله لا إله إلا هو) لا معبود تحق له العبادة غيره (له الاسماء الحسنى) اي الاسماء الدالة على توحيده وعلى انعامه على العباد وعلى المعاني الحسنة فبأيها دعوت جاز وروي عن النبي ﷺ انه قال ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة قال الزجاج تأويله من وحد الله تعالى وذكر هذه الاسماء الحسنى يريد بها توحيد الله واعظامه دخل الجنة وقد جاء في الحديث من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة فهذا لمن ذكر اسم الله موحدا له به فكيف بمن ذكر اسماءه كلها يريد بها توحيده والثناء عليه وإنما قال الحسنى بلفظ التوحيد ولم يقل الاحاسن لأن الاسماء مؤنثة تقع عليها هذه كما تقع على الجماعة هذه كأنه اسم واحد للجمع قال الاعشى

وَسَوْفَ يُعَقْبُنِيهِ إِنْ ظَفَرْتُ بِهِ ... رَبٌّ كَرِيمٌ وَبِيضٌ ذَاتُ أَطْهَارِ

وفي التنزيل حدائق ذات بهجة وما رب أخرى

قوله تعالى (٩) وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٠) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١١) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١٢) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٣) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٤) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٥) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٦) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (ثماني آيات)

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن كثير وابو عمرو اني انا ربك بفتح الألف والباقون اني بالكسر وقرأ حمزة لأهله امكثوا وفي القصص ايضا بضم الهاء وانا مشدد مفتوح الهمزة اخترناك على الجمع والباقون لأهله بكسر الهاء. وانا اخترتك على التوحيد وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة طوى بالتنوين والباقون بغير تنوين وفي الشواذ قراءة الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير اخفيها بفتح الالف

(الحجة)

قال ابو علي من كسر اني فلأن الكلام حكاية كأنه نودي فقيل يا موسى اني انا ربك ومن فتح فكان المعنى نودي بكذا ونادى قد يوصل بحرف الجر قال

نَادَيْتُ بِاسْمِ رَبِيعَةَ بْنِ مُكَرَّمٍ ... إِنَّ الْمُنَوَّهَ بِاسْمِهِ الْمَوْثُوقُ (١)

ومن الناس من يعمل هذه الاشياء التي هي في المعنى قول كما يعمل القول ولا يضمر القول معها وينبغي ان يكون في نودي ضمير يقوم مقام الفاعل لأنه لا يجوز ان يقوم واحد من قوله يا موسى ولا اني انا ربك مقام الفاعل لأنها جمل والجمل لا تقوم مقام الفاعل فإن جعلت الاسم الذي يقوم مقام الفاعل موسى لأن ذكره قد جرى كان مستقيما وقوله طوى يصرف ولا يصرف فمن صرفه فعلى وجهين احدهما ان يجعله اسم الوادي

(١) نوّه باسمه : دعاه .

فيصرفه لأنه سمي مذكرا بمذكر ﴿ والآخر ﴾ ان يجعله صفة وذلك في قول من قال انه قدس مرتين فيكون طوى كقولك ثنى ويكون صفة كقوله مكاناسوى وقوم عدى وجاء في طوى الضم والكسر كما جاء في مكان سوى الضم والكسر قال الشاعر

أَفِي جَنْبِ بَكْرٍ قَطَّعَتْنِي مَلَامَةً ... لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ مَلَامَتُهَا ثُنَى

اي ليس هذا بأول ملامتها ومن لم يصرف احتمل أمرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون اسما لبقعة اوارض فهو مذكر فيكون بمنزلة امرأة سميتها بحجر ويجوز ان يكون معدولا كعمر ولا يمتنع ان تقدر العدل فيما لم يخرج الى الاستعمال الا ترى ان جمع وكتع معدولتان عما لم يستعملا فكذلك يكون طوى وأما ضم الهاء في قوله لأهله امكثوا فقد مضى القول في مثله وأما قوله وانا اخترتك فالافراد اكثر في القراءة وهو اشبه بما قبله من قوله إني أنا ربك ووجه الجمع ان يكون ذلك قد جاء في نحو قوله تعالى سبحان الذي اسرى ثم قال وآتينا موسى الكتاب ويمكن ان يكون الوجه في قراءة حمزة وانا اخترناك مع انه قرأ إني أنا ربك بالكسر أن يكون التقدير ولأنا اخترناك فاستمع فيكون الجار والمجرور في موضع نصب بقوله فاستمع ولم يذكر الشيخ ابو علي وقوله أخفيها فإنهم قالوا معناه اظهرها قال ابو علي الغرض فيه أزيل عنها خفاءها وهو ما يلف فيه القربة ونحوها من كساء وما يجري مجراه وعليه قول الشاعر

لَقَدْ عَلَّمَ الأَيْقَاظُ أَخْفِيَةَ الكَرَى ... تَزَجُّجُهَا مِنْ حَالِكٍ فَاكْتِحَالُهَا (١)

قال اراد بالايقاظ عيونا فجعل العين كالخفاء للنوم كأنها تستره وهو من الفاظ السلب فأخفيته سلبت عنه خفاءه كما تقول اشكيت الرجل ازلت عنه ما يشكوه وأما اخفيها بفتح الالف فإنه اظهرها قال امرؤ القيس

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا ... خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِنْ سَحَابٍ مُرَكَّبِ (٢)

وقوله

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ (٣) لَا نُخْفِهِ ... وَإِنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لَا نَقْعُدِ

رواية ابي عبيدة بضم النون من نخفه ورواية الفراء بفتح النون

(اللغة)

الايناس وجدان الشيء الذي يؤنس به والقبس الشعلة من النار في طرف عود اوقصبة والخلع نزع الملبوس يقال خلع ثوبه وخلع نعله والواذي سفح الجبل ويقال للمجرى العظيم من مجاري الماء واد واصله عظم الامر ومنها الدية لأنها العطية في الامر العظيم وهو القتل والمقدس المطهر قال امرؤ القيس « كَمَا شَبْرَقَ الوِلْدَانُ ثَوْبَ المُقَدَّسِ » يريد العابد من النصارى كالقسيس ونحوه وسمي الوادي طوى لأنه طوى بالبركة مرتين من الحسن فعلى هذا يكون مصدر قولك طويت طوى قال عدي بن زيد

أَعَاذِلِ إِنَّ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ ... عَلَيَّ طَوَى مِنْ غَيِّكَ المُتَرَدِّدِ

ويقال اخفيت الشيء كتمته واظهرته جميعا وخفيته بلا الف اظهرته لا غير والردى الهلاك وردي يردى ردى إذا هلك وتردى بمعناه

الاعراب

قوله إذ رأى الظرف يتعلق بمحذوف فهو في موضع النصب على الحال من حديث موسى وأكاد اخفيها جملة في موضع رفع بأنها خبر ان فهي خبر بعد خبر واللام في لتجزى يتعلق باتية ويجوز ان يتعلق بقوله وأقم الصلاة فتردى منصوب باضمار ان في جواب النهي

(١) الكرى : النعاس . والحالك : المظلم (٢) اى اخرجهن من حجرتهن كما يخرجها المطر العظيم . و الضمير لليرابيع . يصف فرساً أخرج اليرابيع من حجرتها بعدوه . (٣) وفى اللسان «فان تكتموا السر » . (٤) و قبله «فأدركنه يأخذن بالساق والنسا » وشبرق الثوب : قطعه ومزقه. يقول : أدركت الكلاب الثور الوحشى فأخذن بساقه ←

المعنى

ثم خاطب الله سبحانه نبيّه تسلية له مما ناله من اذى قومه وتثبيتا له بالصبر على امر ربه كما صبر موسى (ع) حتى نال الفوز في الدنيا والآخرة فقال (وهل اتاك حديث موسى) هذا ابتداء اخبار من الله تعالى على وجه التحقيق اذ لم يبلغه حديث موسى فهو كما يخبر الانسان فيه بخبر على وجه التحقيق فيقول هل سمعت بخبر فلان وقيل انه استفهام تقرير بمعنى الخبر اي وقد اتاك حديث موسى (إذ رأى نارا) عن ابن عباس قال وكان موسى رجلا غيورا لايصحب الرفقة لئلا ترى امرأته فلما قضى الاجل وفارق مدين خرج ومعه غنم له وكان اهله على اتان وعلى ظهرها جوالق فيها اثاث البيت فأضلّ الطريق في ليلة مظلمة وتفرقت ماشيته ولم ينقدح زنده وامرأته في الطلق فرأى نارا من بعيد كانت عند الله نورا وعند موسى نارا (فقال) عند ذلك (لأهله) وهي بنت شعيب كان تزوجها بمدين (امكثوا) اي الزموا مكانكم قال مقاتل وكانت ليلة الجمعة في الشتاء والفرق بين المكث والإقامة ان الاقامة تدوم والمكث لا يدوم (إني آنست نارا) اي ابصرت نارا (لعلي آتيكم منها بقبس) اي بشعلة اقتبسها من معظم النار تصطلون بها (او اجد على النار هدى) اي اجد على النار هاديا يدلّني على الطريق وقيل علامة استدل بها على الطريق والهدى ما يهتدى به فهو اسم ومصدر قال السدي لأن النار لا تخلو من اهل لها وناس عندها (فلما اتاها) قال ابن عباس لما توجّه نحو النار فاذا النار في شجرة عناب فوقف متعجبا من حسن ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فسمع النداء من الشجرة وهو قوله (نودي ياموسى اني انا ربك) والنداء الدعاء على طريقة يافلان فمن فتح الألف من انيّ فالمعنى نودي بأني ومن كسر فالمعنى نودي فقيل اني انا ربك الذي خلقك ودبّرك قال وهب نودي من الشجرة فقيل ياموسى فاجاب سريعا ما يدري من دعاه فقال اني اسمع صوتك ولا ارى مكانك فاين انت فقال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لربه عزّ وجل وايقن به وانما علم موسى(ع) ان ذلك النداء من قبل الله تعالى لمعجز اظهره الله سبحانه كما قال في موضع آخر اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك الى آخره وقيل انه لما رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها تتوقد فيها نار بيضاء وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما لم تكن الخضرة تطفئ النار ولا النار تحرق الخضرة تحيّر وعلم انه معجز خارق للعادة وانه لأمر عظيم فألقيت عليه السكينة ثم نودي اني انا ربك وانما كرّر الكناية لتأكيد الدلالة وإزالة الشبهة وتحقيق المعرفة (فاخلع نعليك) اي انزعهما وقيل في السبب الذي امر بخلع النعلين اقوال ◄ احدها ◄ انهما كانتا من جلد حمار ميت عن كعب وعكرمة وروي ذلك عن الصادق (ع) ◄ وثانيها ◄ كانتا من جلد بقرة ذكية ولكنه امر بخلعهما ليباشر بقدميه الارض فتصيبه بركة الواد المقدس عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وابن جريج ◄ وثالثها ◄ ان الحفاء من علامة التواضع ولذلك كانت السلف تطوف بحفاة عن الاصم ◄ ورابعها ◄ ان موسى(ع) انما لبس النعل اتقاء من الانجاس وخوفا من الحشرات فامنه الله مما يخاف واعلمه بطهارة الموضع عن ابي مسلم (انك بالواد المقدس) اي المبارك عن ابن عباس بورك فيه بسعة الرزق والخصب وقيل المطهر (طوى) هو اسم الوادي عن ابن عباس ومجاهد والجبائي وقيل سمي به لأن الوادي قدّس مرتين فكانه طوي بالبركة مرتين عن الحسن (وانا اخترتك) اي اصطفيتك بالرسالة (فاستمع لما يوحى) اليك من كلامي واصغ اليه وتثبت، لما بشره الله سبحانه بالنبوة امره باستماع الوحي ثم ابتدأ بالتوحيد فقال (انني انا الله لا إله إلا انا) اي لا إله يستحق العبادة غيري (فاعبدني) خالصا ولا تشرك في عبادتي احداً، امره سبحانه بان يبلغ ذلك قومه (واقم الصلاة لذكري) اي لان تذكرني فيها بالتسبيح والتعظيم لأن الصلاة لا تكون إلا بذكر الله عن الحسن ومجاهد وقيل معناه لان اذكرك بالمدح والثناء وقيل ان معناه صلّ لي ولا تصل لغيري كما يفعله المشركون عن ابي مسلم وقيل معناه اقم الصلاة

ونساء (وهو عرق من الورك الى الكعب) وشبرقت جلده كما يمزق الصبيان ثوب الراهب حين ينزل من صومعته تبرّكا به

متى ذكرت ان عليك صلاة كنت في وقتها ام لم تكن عن اكثر المفسرين وهو المروى عن ابي جعفر (ع) ويعضده ما رواه انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها غير ذلك وقرأ اقم الصلاة لذكري رواه مسلم في الصحيح ثم اخبره سبحانه بمجيء الساعة فقال (ان الساعة آتية) يعني ان القيامة جائية قائمة لا محالة (اكاد اخفيها) اي اريد ان اخفيها عن عبادي لئلا تأتيهم إلا بغتة قال تغلب هذا اجود الاقوال وهو قول الاخفش وفائدة الاخفاء التهويل والتخويف فان الناس اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وروى ابن عباس اكاد اخفيها من نفسي وهي كذلك في قراءة ابي وروي ذلك عن الصادق (ع) والمعنى اكاد لااظهر عليها احدا وهو قول الحسن وقتادة والمقصود من ذلك تبعيد الوصول الى علمها وتقديره اذا كدت اخفيها من نفسي فكيف اظهرها لك قال المبرد هذا على عادة العرب اذا بالغوا في كتمان الشيء قال كتمته حتى من نفسي اي لم اطلع عليه احدا فبالغ سبحانه في اخفاء الساعة وذكره بابلغ ما تعرفه العرب وقال ابو عبيدة معنى اخفيها اظهرها ودخلت اكاد تأكيدا والمعنى يوشك ان اقيمها (لتجزى كل نفس بما تسعى) اي بما تعمل من خير وشر وليتصف من الظالم للمظلوم (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها) أي لا يصرفنك عن الصلاة من لا يؤمن بالساعة وقيل معناه لا يمنعك عن الايمان بالساعة من لا يؤمن بها وقيل عن العبادة ودعاء الناس اليها وقيل عن هذه الخصال (واتبع هواه) والهوى ميل النفس إلى الشيء ومعناه ومن بنى الامر على هوى النفس دون الحق وذلك ان الدلالة قد قامت على قيام الساعة (فتردى) اي فتهلك كما هلك اي ان صددت عن الساعة بترك التأهب لها هلكت والخطاب وان كان لموسى (ع) فهو في الحقيقة لسائر المكلفين وفي هذه الآيات دلالة على ان الله تعالى كلم موسى وان كلامه محدث لأنه حل الشجرة وهي حروف منظومة

قوله تعالى (١٧) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٨) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٩) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (٢٠) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢١) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢٢) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢٣) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٤) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٥) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٦) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٧) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٨) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٩) وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي (٣٠) هَارُونَ أَخِي (٣١) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣٢) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٣) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً (٣٤) وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً (٣٥) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً (٣٦) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى عشرون آية

القراءة

قرأ ابن عامر اَشُدُدْ بقطع الهمزة وفتحها واُشرِكهُ بضمها والباقون اشدد بهمزة الوصل واشركه بالفتح وفي الشواذ قراءة عكرمة واهس بالسين وقراءة ابي البرهم[1] واهِش بكسر الهاء.

الحجة

الوجه في قراءة ابي عامر انه جعله خبراً وسائر القراء جعلوه دعاء وضم الهمزة في اشركه ضعيف جداً لأنه ليس إلى موسى اشراك هارون في النبوة بل ذلك إلى الله تعالى فالوجه فتح الهمزة على الدعاء ومن قرأ اهش بكسر

(١) ابو البرهم كسفرجل من قرّاء الشام وفي نسختين مخطوطتين «ابراهيم» مكان «ابى البرهم».

الهاء فيمكن ان يكون اراد اهش بضم الهاء اي اكسر الكلاء بها للغم فجاء بها على يفعل وان كان متعديا كما جاء هرّ الشيء يهرّ ويهره اذا كرهه وشدّ الحبل يشُدّه ويشِدّه ونمّ الحديث ينُمّه وينِمّه واما اهس بالسين فمعناه اسوق وكان ينبغي ان يقول اهسّ بها غنمي ولكن لما دخل السوق معنى الانتحاء لها والميل بها عليها استعمل على معها حملا على المعنى

﴿ اللغة ﴾

التوكؤ والاتكاء بمعنى مثل التوقي والاتقاء والهش ضرب ورق الشجر ليتساقط والمآرب الحوائج واحدتها مأربة بضم الراء وفتحها وكسرها عن علي بن عيسى والسيرة والطريقة من النظائر ومعناه مرور الشيء في جهة واصل الجناح من الجنوح وهو الميل لان الطائر يميل به في طيرانه وعضد الانسان جناحه لأن من جهته يميل اليد حيث شاء صاحبها وقيل يريد بالجناح الجنب لان فيه جنوح الاضلاع وقال الراجز «اضمّها للصدر والجناح» قال ابو عبيدة الجناحان الناحيتان والطغيان تجاوز الحد في العصيان وشرح الصدر توسعه ومنه شرح المعنى وهو بسط القول فيه والعقدة جملة مجتمعة يصعب تفكيكها والحل ضد العقد ونظيره الفصل والقطع والوزير حامل الثقل عن الرئيس مشتق من الوزر الذي هو الثقل والازر الظهر يقال ازرني فلان على امري اي كان لي ظهرا ومنه الميزر لانه يشدّ على الظهر والازار لأنه يسبل على الظهر والتأزير التقوية ويمكن ان يكون ازر ووزر مثل ارخ وورخ واكد ووكد قال امرؤ القيس

بِمَحْنِيَةٍ قَدْ آزَرَ الضّالَ نَبْتُها ... مَضَمّ جُيُوشٍ غَانِمِينَ وَخَيَّبِ (١)

﴿ الاعراب ﴾

وما تلك بيمينك قال الزجاج تلك اسم مبهم يجري مجرى التي ويوصل كما توصل التي والمعنى وما التي بيمينك والشاهد القراءة

... مَا لِعُبَّادٍ عَلَيْكِ إِمَارَةٌ ... آمِنْتِ وَهٰذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ (٢)

اي والذي تحملين قال بعض النظارين ان الصحيح الذي لا غبار عليه ان يكون تلك مبتدأ وما خبره قدّم عليه وفيه من معنى الاستفهام وبيمينك الخبر والمجرور في موضع نصب على الحال من معنى الفعل في تلك وهو الاشارة قال وانما قلنا ذلك لان اسماء الاشارة انما تبين بصفاتها كما ان الاسماء الموصولة تبين بصلاتها ولا يجوز وصف المبهم بالجملة لأن الجمل نكرات وقوله فاذا هي حية تسعى اذا هذه ظرف المفاجأة وهي ظرف مكان تقديره فبالحضرة هي حية والعامل في الظرف تسعى وهذا يدل على ان اذا هاهنا غير مضاف الى الجملة لأنه لو كان كذلك لم يعمل فيه ما في الجملة شيء لأن المضاف اليه لا يعمل في المضاف وسيرتها انتصب على تقدير سنعيدها الى سيرتها فحذف الجار من غير سوء في موضع نصب على الحال والتقدير تبيض غير برصاء فيه فيكون حالا عن حال . آية اخرى اسم في موضع الحال ايضا والمعنى تخرج بيضاء مبيّنة قال الزجاج ويجوز ان يكون منصوبة على آتيناك آية اخرى ونؤتيك آية اخرى لأن في قوله تخرج بيضاء دليلا على انه يعطى آية اخرى . لنريك اللام يتعلق بقوله واضمم والمفعول الثاني من نري يجوز ان يكون محذوفا وتقديره لنريك من آياتنا الكبرى آيات ويجوز أن يكون الكبرى صفة محذوف وهو المفعول الثاني والتقدير لنريك الآية الكبرى من آياتنا . هارون بدل من قوله وزيرا ويجوز ان يكون منصوبا باضمار فعل كانه قال اعني هارون اخي او استوزر لي هارون لأن وزيرا يدل عليه واخي صفة لهارون ويجوز ان يكون بدلا منه قال الزجاج يجوز ان يكون هارون مفعولا اول لاجعل ووزيرا مفعولا ثانيا له وعلى هذا فيكون مثل قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن في ان المفعول الثاني من هذا الباب قد تقدم على المفعول الاول ولو قرأ بالرفع هارون لكان خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من هذا الوزير فقيل

(١) المحنية : منعطف الوادي . والضال : شجر السدر . (٢) الشعر في جامع الشواهد وقدم في الكتاب مراراً

هو هارون وكثيرا نعت مصدر محذوف في الموضعين اي تسبيحا كثيرا وذكرا كثيرا ويجوز ان يكون نعتا لظرف محذوف تقديره نسبّحك وقتا كثيرا ونذكرك وقتا كثيرا

المعنى

ثم بيّن سبحانه ما اعطى موسى من المعجزات فقال (وما تلك بيمينك ياموسى) سأله عما في يده من العصا تنبيهاً له عليها ليقع المعجز بها بعد التثبت فيها والتأمل لها (قال) موسى (هي عصاي اتوكؤ عليها) اي اعتمد عليها اذا مشيت والتوكؤ التحامل على العصا في المشي (واهش بها على غنمي) اي واخبط بها ورق الشجر لترعاه غنمي (ولي فيها مآرب اخرى) ولم يقل اخر ليوافق رؤوس الآي اي حاجات اخرى فنصّ على اللازم وكنّى عن العارض قال ابن عباس كان يحمل عليها زاده ويركزها فيخرج منه الماء ويضرب بها الارض فيخرج ما يأكل وكان يطرد بها السباع واذا ظهر عدوّ حاربت واذا اراد الاستقاء من بئر طالت وصارت شعبتاها كالدلو وكان يظهر عليها كالشمعة فتضيء له الليل وكانت تحدثه وتؤنسه واذا طالت شجرة حناها بمحجنها[1] (قال) الله سبحانه (القها ياموسى فالقاها فاذا هي حية تسعى) اي تمشي بسرعة وقيل صارت حية صفراء لها عرف كعرف الفرس وجعلت تتورم حتى صارت ثعبانا وهي اكبر من الحيات عن ابن عباس وقيل انه القاها وحانت منه نظرة فاذا باعظم ثعبان نظر اليه الناظرون ويمرّ بالصخرة مثل الخلفة من الابل فيلقمها وتطعن انيابه في اصل الشجرة العظيمة فتجتثها[2] وعيناه تتوقدان نارا وقد عاد المحجن عنقا فيه شعر مثل النيازك[3] فلما عاين ذلك ولّى مدبرا ولم يعقّب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي ياموسى ارجع الى حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (فقال خذها) بيمينك (ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى) اي سنعيدها الى الحالة الاولى عصاء وعلى موسى يومئذ مدرعة من صوف قد خلّها بخلال فلما امره سبحانه باخذها ادلى طرف المدرعة على يده فقال مالك ياموسى أرأيت لو اذن الله بما تحاذر اكانت المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت وكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا يده في الموضع الذي كان يضعها اذا توكأ عليها بين الشعبتين عن وهب وقيل كانت العصا من آس الجنة اخرجها آدم (ع) وتوارثها الانبياء الى ان بلغ شعيبا فدفعها الى موسى قال وهب كانت من عوسج وكان طولها عشرة اذرع على مقدار قامة موسى (واضمم يدك الى جناحك) معناه واجمع يدك الى ما تحت عضدك عن مجاهد والكلبي وقيل الى جنبك وقيل ادخلها في جيبك وكنّى عن الجنب بالجناح (تخرج بيضاء) اها نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر واشدّ ضوءاً عن ابن عباس (من غير سوء) من غير برص في قول الجميع قالوا وكان موسى ادم اللون ففعل فخرجت يده كما قال الله ثم ردّها فعادت الى لونها الذي كانت عليه (آية اخرى) اي فتزيدك بها آية اخرى أو تخرج مبينة آية اخرى (لنريك من آياتنا) وحججنا (الكبرى) منها ولو قال الكبر على الجمع وصفا لجميع الآيات لكان جائزا وقيل معناه لنريك من دلالاتنا الكبرى سوى هاتين الدلالتين وقيل انها هلاك فرعون وقومه فلما حمله سبحانه الرسالة وأراه المعجزات امره بالتبليغ فقال (اذهب الى فرعون) فادعه الي (انه طغى) اي تجبر وتكبر في كفره (قال) موسى عند ذلك (رب اشرح لي صدري) اي وسّع لي صدري حتى لا اضجر ولا اخاف ولا اغتم (ويسّر لي امري) اي سهّل عليّ اداء ما كلفتني من الرسالة والدخول على الطاغي ودعائه الى الحق (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) اي واطلق عن لساني العقدة التي فيه حتى يفقهوا كلامي وكان في لسان موسى (ع) رُتّة[4] لا يفصح معها بالحروف شبه التمتمة وقيل ان سبب تلك العقدة في لسانه جمرة طرحها في فيه وذلك لما اراد فرعون قتله لأنه اخذ بلحية فرعون ونتفها وهو طفل فقالت آسية بنت مزاحم لا تفعل فإنه صبي لا يعقل وعلامة جهله انه لا يميز بين الدرّة والجمرة فامر فرعون حتى احضر الدرة والجمرة بين يديه فاراد موسى ان يأخذ الدرة فصرف جبرائيل يده الى الجمرة فأخذها ووضعها في فيه فاحترق لسانه عن سعيد بن جبير

(١) المحجن : المنعطف الرأس . (٢) جث الشيء : قلعه من أصله . (٣) جمع النيزك : الرمح القصير . (٤) تمتم في الكلام : عجل فيه ولم يفهمه .

ومجاهد والسدي وقيل انه انحل ما كان بلسانه الا بقية منه بدلالة قوله ولا يكاد يبين عن الجبائي وقيل استجاب الله تعالى دعاءه فاحلّ العقدة عن لسانه عن الحسن وهو الصحيح لقوله سبحانه اوتيت سؤلك يا موسى ومعنى قوله ولا يكاد يبين اي لا يأتي ببيان وحجة وانما قالوا ذلك تمويها ليصرفوا الوجوه عنه (واجعل لي وزيرا) يؤازرني على المضي الى فرعون ويعاضدني عليه وقيل اجعل لي معاونا اتقوّى به وبرأيه ومشاورته وقال (من اهلي) لأنه اذا كان الوزير من اهله كان اولى ببذل النصح له ثم بيّن الوزير وفسّره فقال (هارون اخي) وكان اخاه لأبيه وامه وكان بمصر (اشدد به ازري) اي قوّ به ظهري واعنّي به (واشركه في امري) اي اجمع بيني وبينه في النبوة ليكون احرص على مؤازرتي لم يقتصر على سؤال الوزارة حتى سأل ان يكون شريكه في النبوة ولولا ذلك لجاز ان يستوزره من غير مسألة وانما سمي الوزير وزيرا لأنه يعين الأمير على ما هو بصدده من الامور اخذ من المؤازرة التي هي المعاونة وقيل انما سمي وزيرا لانه يتحمل الثقل عن الأمير من الوزر الذي هو الثقل وقيل لأنه يلتجئ الأمير اليه فيما يعرض له من الأمور من الوزر الذي هو الملجأ قالوا ان هارون كان اكبر من موسى بثلاث سنين واتم طولا وابيض جسما واكثر لحما وافصح لسانا ومات قبل موسى بثلاث سنين (كي نسبحك كثيرا) اي ننزّهك عما لا يليق بك بيّن (ع) انه انما سأل هذه الحاجات ليتوصل بها الى طاعة ربه وعبادته وتأدية رسالته لا للرياسة (ونذكرك كثيرا) اي نحمدك ونثني عليك بما اوليتنا من نعمك ومننت به علينا من تحميل رسالتك (انك كنت بنا بصيرا) اي باحوالنا وامورنا عالما وقيل بصيرا باحتياجنا في النبوة الى هذه الاشياء (قال) الله سبحانه اجابة له (قد أوتيت سؤلك) اي قد اعطيت مناك وطلبتك (يا موسى) فيما سألته والسؤال المنى والمراد فيما يسأله الانسان وقال الصادق حدّثني ابي عن جدّي عن امير المؤمنين (ع) قال كن لما لا ترجو ارجى منك لما ترجو فان موسى بن عمران خرج يقتبس لاهله نارا فكلّمه الله عز وجل فرجع نبيا وخرجت ملكة سبأ كافرة فاسلمت مع سليمان وخرج سحرة فرعون يطلبون العزة لفرعون فرجعوا مؤمنين

قوله تعالى (٣٧) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٨) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٩) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٤٠) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (٤١) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤٢) اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٣) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٤) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى

ثماني آيات بلا خلاف إلا ان في تفصيلها خلافا

القراءة

قرأ ابو جعفر ولتصنع بالجزم والباقون بكسر اللام والنصب وفي الشواذ قراءة ابي نهيك ولِتَصنع بكسر اللام وفتح التاء.

الحجة

قوله ولتصنع بالجزم مثل قولهم ولتعن بحاجتي فالمأمور غائب غير مخاطب لان العاني بالحاجة غير المخاطب وليس ذلك مثل قوله فلتفرحوا فان المأمور هناك مخاطب به ولتصنع على عيني قال احمد بن يحيى معناه لتكون حركتك

وتصرفك على عين مني وقراءة الفراء ولِتُصنعَ على عيني بضم التاء وفتح العين معناه لتربى وتغذى برأى مني

﴿ اللغة ﴾

اصل المنّ القطع ومنه اجر غير ممنون وحبل منين اي منقطع فالمن نعمة تقطع لصاحبها من غيره والمرة الكرة الواحدة من المر والقذف الطرح واليم البحر والاصطناع افتعال من الصنع والصنع اتخاذ الخير لصاحبه ووني في الأمر يني ونيا وونىً اذا اقتر فهو وان ومتوان فيه قال العجاج

فَمَا وَنَى مُحَمَّدٌ مُذْ اَنْ غَفَرَ لَهُ الْاِلٰهُ مَا مَضَى وَمَا غَبَرَ

﴿ الاعراب ﴾

مرة يحتمل ان يكون مصدراً ويحتمل ان يكون ظرفا ويكون التقدير مرة اخرى او وقتا آخر ما يوحى ما مصدرية وتقديره واوحينا الى امك ايحاء وان اقذفيه في موضع نصب بانه مفعول اوحينا ولتصنع اللام يتعلق بالقيت اي لتربى ولتصنع وقوله على قدر في موضع النصب على الحال وتقديره جئت مقدراً ما قدر لك

﴿ المعنى ﴾

لمّا اخبر سبحانه موسى بأنه آتاه طلبته واعطاه سؤله عدّد عقيبه ما تقدّم ذلك من نعمه عليه ومنته لديه فقال (ولقد منا عليك مرة اخرى) اي انعمنا عليك من صغرك الى كبرك جارية نعمتنا عليك متوالية فأجابتنا الآن دعاك تلوها ثم فسّر سبحانه تلك النعمة فقال (إذ اوحينا إلى امك ما يوحى) اي حين اوحينا الى امك اي الهمناها ما يلهم وهو ما كان فيه سبب نجاتك من القتل حتى عنيت بامرك وقيل كانت رأت في المنام عن الجبائي ثم فسّر ذلك الايحاء فقال (ان اقذفيه في التابوت) اي اجعليه فيه بان ترميه فيه (فاقذفيه في اليم) يريد النيل (فليلقه اليم بالساحل) وهو شط البحر لفظه امر فكأنه امر البحر كما امر ام موسى والمراد به الخبر والمعنى حتى يلقيه البحر بالشط (ياخذه عدوٌّ لي وعدوٌّ له) يعني فرعون كان عدواً لله ولأنبيائه وعدواً لموسى خاصة لتصوره ان ملكه ينقرض على يده وكانت هذه المنة من الله سبحانه على موسى ان فرعون كان يقتل غلمان بني اسرائيل ثم خشي ان يفني نسلهم فكان يقتل بعد ذلك في سنة ولا يقتل في سنة فولد موسى في السنة التي كان يقتل الغلمان فيها فنجاه الله تعالى منه (والقيت عليك محبة مني) اي جعلتك بحيث يحبّك من يراك حتى احبّك فرعون فسلمت من شرّه واحبّتك امرأته آسية بنت مزاحم فتبنتك وربتك في حجرها عن عكرمة وقيل معناه حببتك الى عبادي فلا يلقاك احد مؤمن ولا كافر الا احبك عن ابن عباس وهذا كما يقال البسه الله جمالا والقى عليه جمالا وقال قتادة ملاحة كانت في عين موسى فما رآه احد إلا عشقه (ولتصنع على عيني) اي لتربى وتغذى برأى مني اي يجري امرك على ما اريد بك من الرفاهة في غذائك عن قتادة وذلك ان من صنع لانسان شيئا وهو ينظر اليه صنعه كما يجب ولا يتهيأ له خلافه وقيل لتربى ويطلب لك الرضاع على علم مني ومعرفة لتصل الى امك عن الجبائي وقيل لتربى وتغذى بحياطتي وكلاءتي وحفظي كما يقال في الدعاء بالحفظ والحياطة عين الله عليك عن ابي مسلم (اذ تمشي اختك فتقول) الظرف يتعلق بتصنع والمعنى ولتصنع على عيني قدرنا مشي اختك وقولها (هل ادلكم على من يكفله) لأن هذا كان من اسباب تربية موسى على ما اراده الله وهو قوله اذ تمشي اختك يعني حين قالت لها ام موسى قصّيه فاتبعت موسى على اثر الماء وذلك ان ام موسى اتخذت تابوتا وجعلت فيه قطناً ووضعته فيه والقته في النيل و كان يشرع من النيل نهر كبير في باغ فرعون فبينا هو جالس على رأس البركة مع امراته آسية اذ التابوت يجيء على رأس الماء فأمر باخراجه فلما فتحوا رأسه اذا صبي به من احسن الناس وجهاً فاحبّه فرعون بحيث لا يتمالك وجعل موسى يبكي ويطلب اللبن فأمر فرعون حتى اتته النساء اللاتي كنّ حول داره فلم يأخذ موسى من لبن واحدة منهن و كانت اخت موسى واقفة هناك اذ امرتها امها ان تتبع التابوت فقالت اني آتي بامرأة ترضعه وذلك قوله فتقول هل ادلكم على

من يكفله اي ادلكم على امرأة تربيه وترضعه وهي ناصحة له فقالوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها فذلك قوله (فرجعناك الى امك كي تقرّ عينها) برؤيتك وبقائك (ولا تحزن) من خوف قتله او غرقه وذلك انها حملته الى بينها آمنة مطمئنة قد جعل لها فرعون اجرة على الرضاع (وقتلت نفساً) كان قتل قبطياً كافراً عن ابن عباس وروي عن النبي ﷺ انه قال رحم الله اخي موسى قتل رجلا خطأ وكان ابن اثنتي عشرة سنة (فنجيناك من الغم) اي من غم القتل وكربه لأنه خاف ان يقتصوا منه بالقبطي فالمعنى خلّصناك من غم القصاص وآمناك من الخوف (وفتناك فتونا) اي اختبرناك اختباراً ومعناه انا عاملناك معاملة المختبر حتى خلصت للاصطفاء بالرسالة وكان هذا من اكبر نعمه سبحانه عليه وقيل معناه وخلصناك من محنة بعد محنة منها انه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح الاطفال فيها ثم القاؤه في اليم ثم منعه من الرضاع إلا من ثدي امه ثم جرّه لحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الدرة فدرأ ذلك عنه قتل فرعون ثم مجيء رجل من شيعته يسعى ليخبره بما عزموا عليه من قتله عن ابن عباس فعلى هذا يكون المعنى وخلصناك من المحن تخليصا وقيل معناه وشددنا عليك التعمد في امر المعاش حتى رعيت لشعيب عشر سنين ثم بيّن ذلك فقال (فلبثت سنين في اهل مدين) اي لبثت فيهم حين كنت راعيا لشعيب (ثم جئت على قدر يا موسى) اي في الوقت الذي قدر لارسالك نبيا قال الشاعر

نَالَ الخِلافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَراً ... كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ (١)

وقيل معناه جئت على الوقت الذي يوحى فيه الى الانبياء وهو على رأس اربعين سنة وقيل على المقدار الذي قدّره الله لمجيئك وكتبه في اللوح المحفوظ والمعنى جئت في الوقت الذي قدّره الله لكلامك ونبوتك والوحي اليك (واصطنعتك لنفسي) اي لوحيي ورسالتي عن ابن عباس والمعنى اخترتك واتخذتك صنيعتي واخلصتك لتتصرف على ارادتي ومحبتي وانما قال لنفسي لأن المحبة اخصّ شيء بالنفس وتبليغه الرسالة وقيامه بادائها تصرف على ارادة الله ومحبته وقيل معناه اخترتك لاقامة حجتي وجعلتك بيني وبين خلقي حتى صرت في التبليغ عني بالمنزلة التي انا اكون بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم عن الزجاج (اذهب انت واخوك بآياتي) اي بحججي ودلالاتي وقيل بالآيات التسع عن ابن عباس (ولا تنيا في ذكري) اي ولا تضعفا في رسالتي عن ابن عباس وقيل ولا تفترا في امري عن السدي وقيل ولا تقصرا عن محمد بن كعب اي لا يحملنكما خوف فرعون على ان تقصرا في امري (اذهبا الى فرعون) كرّر الامر بالذهاب للتأكيد وقيل ان في الأول خصّ موسى بالأمر وفي الثاني امرهما ليصيرا نبيين وشريكين في الأمر ثم بيّن من يذهبان اليه (انه طغى) اي جاوز الحدّ في الطغيان (فقولا له قولا لينا) اي ارفقا به في الدعاء والقول ولا تغلظا له في ذلك عن ابن عباس وقيل معناه كنياه عن السدي وعكرمة وكنيته ابو الوليد وقيل ابو العباس وقيل ابو مرة وقيل ان القول اللين هو هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى عن مقاتل وقيل هو ان موسى اتاه فقال له تسلم وتؤمن برب العالمين على ان لك شبابك فلا تهرم وتكون ملكا لا ينزع الملك منك حتى تموت ولا تنزع منك لذة الطعام والشراب والجماع حتى تموت فاذا متّ دخلت الجنة فاعجبه ذلك وكان لا يقطع امرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم هامان اخبره بالذي دعاه اليه وانه يريد ان يقبل منه فقال هامان قد كنت ارى ان لك عقلا وان لك رأيا بينا انت ربٌّ وتريد ان تكون مربوباً وبينا انت تعبد وتريدان تعبد فقلّبه عن رأيه وكان يحيى بن معاذ يقول هذا رفقك بمن يدعي الربوبية فكيف رفقك بمن يدعي العبودية (لعله يتذكر او يخشى) اي ادعواه على الرجاء والطمع لا على اليأس من فلاحه فوقع التعبد لهما على هذا الوجه لأنه ابلغ لهما في دعائه الى الحق قال الزجاج والمعنى في هذا عند سيبويه اذهبا على رجائكما وطمعكما والعلم من الله قد اتى من وراء ما يكون وانما يبعث الرسل وهم يرجون ويطمعون ان يقبل منهم والمراد بيان الغرض بالبعثة اي ليتذكر ما اغفل عنه من ربوبية الله تعالى وعبودية نفسه ويخشى العقاب والوعيد في قوله سبحانه فقولا له قولا

(١) هذا البيت من قصيدة رائية لجرير بن عطية يمدح بها عمر بن عبد العزيز بن مروان.

ليناً على دلالة وجواب يرفق في الدعاء الى الله وفي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليكون اسرع الى القبول وابعد من النفور وقيل ان هارون كان بمصر فلما اوحى الله تعالى الى موسى ان يأتي مصر اوحى الى هارون ان يتلقى موسى فتلقاه على مرحلة ثم ائتمرا وذهبا الى فرعون

قوله تعالى (٤٥) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ (٤٦) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٧) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ (٤٨) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٤٩) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٥٠) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥١) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (٥٢) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٣) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٤) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ (٥٥) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٦) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ اثنتا عشرة آية

القراءة

قرأ نصر عن الكسائي خَلَقه بفتح اللام والباقون خَلْقه بسكون اللام وقرأ اهل الكوفة وروح وزيد عن يعقوب مهداً والباقون مهاداً بالألف

الحجة

من قرأ اعطى كل شيء خَلْقه فالمعنى اعطى كل شيء صورته اي خلق كل حيوان على صورة اخرى ثم هداه ومن قرأ خَلَقه بفتح اللام فانه جملة من الفعل والفاعل في موضع جر بأنه صفة شيء والمفعول الثاني لاعطى محذوف فكأنه اعطى كل شيء مخلوق ما اوجبه تدبيره ثم هداه السبيل والمهد مصدر كالفرش والمهاد كالفراش والبساط في قوله جعل لكم الارض فراشا وفي موضع آخر بساطا ويجوز ان يكون المهد استعمل استعمال الاسماء فجمع كما يجمع فعل على فعال والاول ابين

اللغة

الفرط التقدم ومنه الفارط المتقدم الى الماء قال «قَدْ فَرَطَ العجلُ عَلَيْنا وَعَجَل» ومنه الافراط الاسراف لانه تقدم بين يدي الحق والمفرط التقصير لأنه تأخر عما يجب فيه التقدم قال الزجاج القرن اهل كل عصر فيهم نبي او امام او عالم يقتدى به فان لم يكن واحد منهم لم يسم قرنا والنهي جمع نهية وانما قيل لاولي العقول اولو النهى لانهم ينهون الناس عن القبائح وقيل لأنه ينتهى الى آرائهم

الاعراب

اسمع جملة في موضع الرفع بكونها خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون في موضع النصب على الحال. علمها عند ربي في كتاب. علمها مبتدأ وفي كتاب خبره وعند ربي معمول الخبر وتقديره علمها ثابت في كتاب عند ربي ويجوز ان يكون قوله عند ربي صفة لكتاب فلما تقدم انتصب على الحال تقديره في كتاب ثابت عند ربي

ويجوز ان يكون عند ربي الخبر وفي كتاب بدل منه ويجوز ان يكون خبراً بعد خبر وقوله لا يضل ربي تقدير لا يضل ربي عنه فحذف الجار والمجرور كما حذف من قوله واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً اي فيه . الذي جعل لكم الارض . يجوز ان يكون في موضع جر بانه صفة ربي ويجوز ان يكون في موضع رفع بان يكون خبر مبتدأ محذوف . من نبات في موضع نصب صفة لقوله ازواجاً وشتى صفة له ايضاً فهي صفة بعد صفة وتارة منصوبة على المصدر

﴿ المعنى ﴾

لما امر الله سبحانه موسى وهارون ان يمضيا الى فرعون ويدعواه اليه (قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا) اي نخشى ان يتقدم فينا بعذاب ويعجّل علينا (او ان يطغى) اي يجاوز الحدّ في الاساءة بنا وقيل معناه انا نخاف أن يبادر الى قتلنا قبل ان يتأمل حجتنا او ان يزداد كفراً الى كفره يردّنا (قال لا تخافا اني معكما) بالنصرة والحفظ معناه اني ناصركما وحافظكما (اسمع) ما يسأله عنكما فألهمكما جوابه (وارى) ما يقصدكما به فأدفعه عنكما فهو مثل قوله فلا يصلون اليكما ثم فسّر سبحانه ما اجمله فقال (فأتياه) اي فأتيا فرعون (فقولا انا رسولا ربك) اي ارسلنا اليك خالقك بما ندعوا اليه (فارسل معنا بني اسرائيل) اي اطلقهم واعتقهم عن الاستعباد (ولا تعذبهم) بالاستعمال في الأعمال الشاقة (قد جئناك باية من ربك) اي بدلالة واضحة ومعجزة لائحة من ربك تشهد لنا بالنبوة (والسلام على من اتبع الهدى) قال الزجاج لم يرد بالسلام هنا التحية وانما معناه ان من اتبع الهدى سلم من عذاب الله ويدل عليه قوله بعده (انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى) اي انما يعذب الله سبحانه من كذب بما جئنا به واعرض عنه فاما من اتبعه فانه يسلم من العذاب وهاهنا حذف وهو فأتياه فقالا له ما امرهما الله تعالى به ثم (قال) لهما فرعون (فمن ربكما) اي فمن ربك وربه (يا موسى) وانما قال ربكما على تغليب الخطاب وقيل تقديره فمن ربكما يا موسى وهارون فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر اختصارا والضمير رؤوس الآي واراد به فمن اي جنس من الاجناس ربكما حتى افهمه فبيّن موسى انه تعالى ليس له جنس وانما يعرف سبحانه بافعاله (قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه) معناه اعطى كل شيء خلقته اي صورته التي قدّرها له (ثم هدى) اي هداه الى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك من ضروب هدايته عن مجاهد وعطية ومقاتل وقيل معناه اعطى كل شيء مثل خلقه اي زوجه من جنسه ثم هداه لنكاحه عن ابن عباس والسدي وقيل معناه اعطى خلقه كل شيء من النعم في الدنيا مما يأكلون ويشربون وينتفعون به ثم هداهم الى طرق معايشهم والى امور دينهم ليتوصلوا بها الى نعم الآخرة عن الجبائي (قال) فرعون (فما بال القرون الاولى) اي فما حال الامم الماضية فانها لم تقرّ بالله وما تدعو اليه بل عبدت الاوثان وبعني بالقرون الاولى مثل قوم نوح وعاد وثمود (فقال) موسى (علمها عند ربي) اي اعمالهم محفوظة عند الله يجازيهم بها والتقدير علم اعمالهم لما عند ربي (في كتاب) يعني اللوح المحفوظ والمعنى ان اعمالهم مكتوبة مثبتة عليهم وقيل المراد بالكتاب ما يكتبه الملائكة وقيل ايضاً ان فرعون إنما قال فما بال القرون الاولى حين دعاه موسى الى الاقرار بالبعث اي فما بالهم لم يبعثوا (لا يضل ربي) اي لا يذهب عليه شيء وقيل معناه لا يخطئ ربي (ولا ينسى) من النسيان عن ابي مسلم اي لا ينسى ما كان من امرهم بل يجازيهم باعمالهم وقيل معناه لا يغفل ولا يترك شيئاً عن السدي ثم زاد في الاخبار عن الله تعالى فقال (الذي جعل لكم الارض مهداً) اي فرشاً ومهاداً اي فراشا (وسلك لكم فيها سبلا) والسلك ادخال الشيء في الشيء والمعنى ادخل لكم اي لاجلكم في الارض طرقاً تسلكونها وقال ابن عباس سهل لكم فيها طرقا (وانزل من السماء ماء) يعني المطر وتم الاخبار عن موسى ثم اخبر الله سبحانه عن نفسه فقال موصولا بما قبله من الكلام (فأخرجنا به) اي بذلك الماء (ازواجاً) اي اصنافاً (من نبات شتى) اي مختلفة الالوان احمر وابيض واخضر واصفر وكل لون منها زوج وقيل مختلفة الالوان والطعوم والمنافع فمنها ما يصلح لطعام الانسان ومنها ما

يصلح للتفكه ومنها ما يصلح لغير الانسان من اصناف الحيوان (كلوا) اي مما اخرجنا لكم بالمطر من النبات والثمار (وارعوا انعامكم) اي واسيموا مواشيكم فيما انبتناه بالمطر واللفظ للأمر والمراد الاباحة والتذكير بالنعمة (ان في ذلك) اي فيما ذكر (لآيات) اي دلالات (لاولي النهى) اي لذوي العقول الذين ينتهون عما حرّم الله عليهم عن الضحاك وقيل لذوي الورع عن قتادة وقيل لذوي التقي عن ابن عباس (منها خلقناكم) اي من الارض خلقنا اباكم ادم(ع) (وفيها نعيدكم) اي وفي الارض نعيدكم اذا امتناكم (ومنها نخرجكم تارة اخرى) اي دفعة اخري اذا حشرناكم (ولقد اريناه) يعني فرعون (آياتنا كلها) يعني الآيات التسع اي معجزاتنا الدالة على نبوة موسى (فكذّب) بجميع ذلك (وابى) ان يؤمن بـه وقيل معناه فجحد الدليل وابي القبول ولم يرد سبحانه بذلك جميع آياته التي يقدر عليها ولا كل آية خلقها وانما اراد كل الآيات التي اعطاها موسى

النظم

ووجه اتصال قوله فما بال القرون الأولى بمـا قبله من الدعاء الى التوحيد ان فرعون لمـا ظهرت المعجزات ودلائل التوحيد على يدموسي تحيّروخاف الفضيحة فاقبل على نوع آخر من السؤال تلبيساً وكثيراً ما يفعل ذلك اهل البدع عند ظهور الحجة وقيل لمّا دعاه موسي الى الاقرار بالبعث قال فما بال اولئك القرون لم يبعثوا

قوله تعالى (٥٧) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٨) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَاناً سُوًى (٥٩) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٦٠) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (٦١) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (٦٢) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (٦٣) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (٦٤) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفّاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (٦٥) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٦) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى عشر آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر لا نخلفه بالجزم والباقون بالرفع وقرأ اهـل الحجاز وابو عمرو والكسائي سوى بكسر السين والباقون بضمها وقرأ يومَ الزينة بالنصب هبيرة عن حفص وهي قراءة الحسن والاعمش والثقفي والباقون يوم الزينة بالرفع وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر ورويس فيُسحِتكم بضم الياء وكسر الحاء والباقون فيَسْحَتكم بفتح الياء والحاء وقرأ ابو عمرو ان هذين وقرأ ابن كثير وحفص ان هذان خفيف وقرأ الباقون انّ هذان وابن كثير وحده يشدد النون من هذان وقرأ ابو عمرو فاجمعوا بوصل الهمزة وفتح الميم والباقون فاجمعوا بقطع الهمزة وكسر الميم وقرأ ابن عامر وروح وزيد تخيل اليه بالتاء وهو قراءة الحسن والثقفي والباقون يخيل بالياء

الحجة والإعراب

فأما قوله لا نخلفه بالجزم فإنه يكون على جواب الامر والقراءة المشهورة بالرفع على ان يكون لا نخلفه في موضع النصب بكونه صفة لقوله موعدا وهو الظاهر وأما قوله سوى فإنه المكان النصف فيما بين الفريقين قال

موسى بن جابر

وَجَدْنا أَبانًا كانَ حَلَّ بِبَلْدَةٍ ... سِوى بَيْنَ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلانَ وَالْفَزْرِ (١)

قال ابو علي قوله سوى فعل من التسوية فكان المعنى مكانا مستويا مسافته على الفريقين فيكون مسافة كل فريق اليه كمسافة الفريق الآخر وهذا بناء يقل في الصفات ومثله قوم عِدى فاما فُعَل فهو في الصفات اكثر قالوا دليل خُتَع ومال لُبَد ورجل حُطَم (٢) وأما انتصاب قوله مكانا فلا يخلو من أن يكون مفعولا للموعد اما على انه مفعول به أو على انه ظرف له اويكون منتصبا بأنه المفعول الثاني ولا يجوز الأول ولا الثاني لأن الموعد قد وصف بالجملة التي هي لا نخلفه نحن وإذا وصف لم يجز ان يعمل عمل الفعل لاختصاصه بالصفة ولأنه إذا عطف عليه لم يجز أن يتعلق به بعد العطف عليه شيء منه وكذلك إذا اخبر عنه لم يجز أن يقع بعد الخبر عنه شيء يتعلق بالمخبر عنه لم يجز سيبويه هذا ضارب ظريف زيدا ولا هذا ضويرب زيدا إذا حقر اسم الفاعل لأن التحقير في تخصيصه الاسم بمنزلة اجراء الوصف عليه وقد جاء من ذلك شيء في الشعر قال بشر بن ابي حازم

إِذا فاقِدُ خَطْباءَ فَرْخَيْنِ رَجَّعَتْ ... ذَكَرْتُ سُلَيْمى في الْخَلِيطِ الْمُبايِنِ (٣)

ويحتمل ذلك على اضمار فعل آخر كما ذهبوا اليه في نحو قول الشاعر

إِنَّ الْعَرارَةَ وَالنُّبُوحَ لِدارِمٍ ... وَالْمُسْتَخِفَّ اَخُوهُمُ الأَثْقالا (٤)

فإذا لم يجز ذلك كان مفعولا ثانيا لقوله فاجعل فيكون بمنزلة قوله جعلوا القرآن عضين ونحوه وأما يوم الزينة فمن نصبه فعلى الظرف كما تقول قيامك يوم الجمعة فالموعد إذا هنا مصدر والظرف بعده خبر عنه قال ابن جني وهو عندي على حذف المضاف اي ان انجاز موعدنا اياكم في ذلك اليوم الا ترى انه لا يراد انه في ذلك اليوم بعدكم لأن الموعد قد وقع الآن وإنما يتوقع انجازه في ذلك اليوم لكن في قوله وأن يحشر الناس ضحى نظر وظاهر حاله ان يكون مجرور الموضع حتى كأنه قال انتظروا موعدكم يوم الزينة وحشر الناس ضحى اي يوم هذا ولهذا فيكون أن يحشر معطوفا على الزينة وقد يجوز أن يكون مرفوع الموضع عطفا على الموعد فكأنه قال انجاز موعدكم وحشر الناس ضحى في يوم الزينة اي هذان الفعلان في يوم الزينة وأما من رفع يوم الزينة فان الموعد عنده ينبغي أن يكون زمانا فكأنه قال وقت وعدكم يوم الزينة كقولنا مبعث الجيوش شهر كذا اي وقت بعثها حينئذ والعطف عليه بقوله وأن يحشر الناس ضحى يؤكد الرفع لأن أن لا يكون ظرفا بل هو حرف موصول في معنى المصدر وينبغي أن يكون على حذف المضاف أي وقت وعدكم يوم الزينة ووقت حشر الناس ضحى كما أن قولك ورودك مقدم الحاج إنما هو على حذف المضاف أي وقت قدوم الحاج وأما قوله فيسحتكم فإن سحت واسحت بمعنى قال الفرزدق

وَعَضُّ زَمانٍ يا ابْنَ مَرْوانَ لَمْ يَدَعْ ... مِنَ الْمالِ إِلَّا مُسْحَتًا اَوْ مُجَلَّفُ (٥)

وفسر لم يدع على انه بمعنى لم يبق وأما قوله إن هذان لساحران فمن قرأ بتشديد النون من إن والألف من هذان فقد قيل فيه أقوال ✻ احدها ✻ أن إنَّ بمعنى نعم وانشدوا شعرا

بَكَرَ الْعَواذِلُ في الضُّحى ... يَلْحِينَنِي وَأَلُومُهُنَّهْ

وَيَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلا ... كَ وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ إِنَّهْ

فعلى هذا يكون تقديره نعم هذان لساحران وهذا لا يصح لأن إنَّ إذا كانت بمعنى نعم ارتفع ما بعدها بالابتداء والخبر واللام لا يدخل على خبر مبتدأ جاء على اصله وأما ما انشد في ذلك من قوله

خالي لَأَنْتَ وَمَنْ جَرِيرٌ خالُهُ ... يَنَلِ الْعَلاءَ وَيُكْرَمِ الأَخْوالا

(١) ابان : اسم جبل . والفزر : أبو قبيلة من تميم وهو سعد بن زيد . (٢) دليل ختع : ماهر بالدلالة . ومال لبد : كثير لا يخاف فناؤه كأنه التبد بعضه على بعض . ورجل حطم : لا يشبع لانه يحطم كل شيء . (٣) وفي رواية الاشموني « في الخليط المزايل » قوله « فاقد » المراد حمامة فقدت فرخها و « رجعت » اي صوتت وكررت صوتها و « سليمى » اسم امرأة . والمباين بمعنى المفارق وكذا المزائل . والشاهد في اعمال اسم الفاعل وهو فاقد في المفعول به وهو فرخين .

وقوله « أُمُّ الْحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَةٌ تَرْضَى مِنَ اللَّحْمِ بِعَظْمِ الرَّقَبَةِ »(١) فمحمول على الشذوذ والضرورة وأيضاً فإن ابا علي قال ما قيل ان في الآية لا يقتضي أن يكون جوابه نعم لأنك ان جعلته جواباً لقول موسى (ع) ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قالوا نعم هذان ساحران كان محالا وان جعلته على تقدير فتنازعوا امرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا نعم هذان لساحران كان محالا ايضاً ﴿ وثانيها ﴾ ما قاله الزجاج أن تقديره نعم هذان لهما ساحران فاللام دخل على مبتدأ محذوف وهذا ايضا مثل الأول لما قلناه ولأن سيبويه قال نعم عدة وتصديق وأن يصرف إلى الناصبة للاسم اولى وهو قراءة ابي عمرو وعيسى بن عمرو قال ابو علي هذا الذي قاله الزجاج لا يتجه لأمرين ﴿ احدهما ﴾ أن الذي حمله النحويون على الضرورة لا يمتنع أن يستمر هذا التأويل فيه ولم يحمله مع ذلك عليه ﴿ والآخر ﴾ أن التأكيد باللام لا يتعلق به الحذف الا ترى أن الأوجه في الزينة ان يتم الكلام ولا يحذف ثم يؤكد فليس باللائق في التدبير ﴿ وثالثها ﴾ ما قاله المتقدمون من النحويين ان التقدير انه هذان لساحران فحذف ضمير القصة وهذا ايضا فيه نظر من أجل دخول اللام في الخبر ولأن اضمار الهاء بعد إن إنما يأتي في ضرورة الشعر نحو قوله

إِنَّ مَنْ لَامَ فِي بَنِي بِنْتِ حَسَّانٍ ... أَلَمَّعْ وَأَعْصِهِ فِي الْخُطُوبِ

وقوله

إِنَّ مَنْ يَدْخُلِ الْكَنِيسَةَ يَوْماً ... يَلْقَ فِيهَا جَآذِراً وَظِبَاءً (٢)

﴿ ورابعها ﴾ ما قاله علي بن عيسى وهو أن إنّ لما كانت مشبهة بالفعل وليست باصل في العمل الغيت هاهنا كما تلغى إذا خففت وهذا غير مستقيم ايضا لأن الالغاء في إنّ ما رأيناه في غير هذا الموضع وايضا فإنها قد اعملت مخففة في قوله تعالى وإن كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم فكيف يجوز الغاؤها في غير التخفيف وايضا فقد اعمل اسم الفاعل والمصدر لشبههما بالفعل ولا يجوز الغاؤها وايضا فإن اللام يمنع من هذا التأويل لأن انّ إذا الغيت ارتفع ما بعدها بالابتداء واللام لا يدخل على خبر المبتدأ على ما بيّناه ﴿ وخامسها ﴾ ان هذه الالف ليست بألف التثنية وإنما هي الف هذا زيدت عليها النون وهذا قول الفراء وهو غير صحيح فإنه لا يجوز ان يكون تثنية الا ويكون لها علم ولو كان على مازعم لم تنقلب هذه الالف ياء في حال الجر والنصب ويدلّ على ان هذه الالف للتثنية ان الالف التي كانت في الواحد قد حذفت كما حذفت الياء من الذي والتي إذا قلت اللذان واللتان ﴿ وسادسها ﴾ وهو أجود ما قيل فيه ان يكون هذان اسم انّ بلغة كنانة يقولون أتاني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان قال بعض شعرائهم

وَاهاً لِرَيَّا ثُمَّ وَاهاً وَاهاً ... يَا لَيْتَ عَيْنَاهَا لَنَا وَفَاهَا
وَمَوْضِعُ الْخَلْخَالِ مِنْ رِجْلَاهَا ... بِشَمَنٍ نُعْطِي بِهِ أَبَاهَا
إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا ... قَدْ بَلَغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَاهَا (٣)

وقال آخر

تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أُذْنَاهُ طَعْنَةً ... دَعَتْهُ إِلَى هَابِي التُّرَابِ عَقِيمِ

وقال آخر

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى ... مَسَاغاً لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا

ويقولون ضربته بين اذناه ومن يشتري الخفان وقيل انها لغة لبني الحرث بن كعب وهذا القول اختيار

(٤) قائله الاخطل والعرارة : الشدة، والنبوح : العزو الكثرة . يمدح بني دارم بكثرة عددهم وحملهم الامور الثقال التي يعجز غيرهم عن حملها وفي اعراب البيت خلاف ذكره ابن منظور في اللسان في « نبح » فراجع . (٥) المجلف : الذي بقيت منه بقية . يريد الامسحتاً أو هو مجلف .

(١) البيت منسوب الى عنترة بن عروس مولى ثقيف ونسبه بعض الى رؤبة . وشهربة : الكبيرة الطاعنة في السن

ابي الحسن وابي علي الفارسي ومن قرأ ان هذين لساحران فهو صحيح مستقيم وزيف الزجاج هذه القراءة لمخالفتها المصحف وقيل انه احتج في مخالفته المصحف بما روى انه من غلط الكاتب ويروون عن عثمان وعائشة أن في هذا القرآن غلطا تستقيمه العرب بالسنتها وهذا غير صحيح عند أهل النظر فإن ابا عمرو ومن ذهب من القراء مذهبه لا يقرأ إلا بما أخذه من الثقات من السلف ولا يظن به مع علو رتبته ان يتصرف في كتاب الله من قبل نفسه فيغيره ومن قرأ إن هذان بسكون النون من ان والالف فقد قال الزجاج يقوي هذه القراءة قراءة ابي ما هذان إلا ساحران وروي عنه ايضا ان هذان إلا ساحران وهذا يدل على انه جعل اللام بمنزلة الا والعجب انه بصري المذهب والبصريون ينكرون مجيء اللام بمعنى الا قالوا لو كان كذلك لجاز ان تقول جاءني القوم لزيدا بمعنى الا زيدا فالوجه الصحيح فيه انه جعل ان هذه مخففة من الثقيلة واضمر فيها اسمها ورفع ما بعدها على الابتداء والخبر وجعل الجملة خبران وإذا كانت ان مخففة من الثقيلة لزمتها اللام ليكون فرقا بينها وبين ان النافية وأما تشديد النون في قول ابن كثير ففيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون عوضا من الف هذا التي سقطت من أجل حرف التثنية ﴿ والآخر ﴾ ان يكون للفرق بين النون التي تدخل على المبهم والنون التي تدخل على المتمكن وذلك ان هذه انما وجدت مشددة مع المبهم وأما قوله فاجمعوا كيدكم قال ابو الحسن انما يقولون بالقطع إذا قالوا اجمعوا على كذا فاما إذا قالوا أجمعوا أمركم واجمعوا كيدكم فلا يقولون إلا بالوصل قال وبالقطع اكثر القراء قال فأما ان يكون لغة في هذا المعنى لأن باب فعلت وافعلت كثير وان يكون اجمعوا على كذا ثم قال كيدكم على أمر مستأنف قال ابو علي فإن قيل فقد تقدم ذكر قوله فجمع كيده فإذا قيل فأجمعوا كيدكم كان تكريرا قيل لا يكون كذلك لأن ذلك في قصة وهذا في اخرى ذاك اخبار عن فرعون في جمعه كيده وسحره وهذا فيما يتواصى به السحرة في جمع كيدهم ويشبه ان يكون ذلك على لغتين كما ظنه ابو الحسن قال الشاعر

وَأَنْتُمْ مَعْشَرٌ زِيدُوا عَلَى مِائَةٍ ... فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ طُرًّا فَكِيدُونِي

فقوله فأجمعوا امركم بمنزلة فأجمعوا كيدكم لأن كيدهم من أمرهم وأما قوله يخيل اليه فمن قرأ بالياء فإنه فعل فارغ وفاعله قوله انها تسعى ومن قرأ بالتاء فعلى هذا يكون فاعله الضمير المستكن فيه العائد إلى الحبال والعصي وأنها تسعى في محل الرفع لأنه بدل من ذلك الضمير وهو بدل الاشتمال ويجوز ان يكون موضعه على هذه القراءة نصبا ايضا على معنى يخيل اليه كونها ذات سعي

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه عن فرعون انه نسب موسى إلى السحر تلبيسا على قومه بأن قال (اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى) اي من ارض مصر (فلنأتينك بسحر مثله) اي مثل ما أتيت به (فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى) اي اضرب بيننا وبينك موعدا مكانا يعد لحضورنا ذلك المكان لا يقع منا في حضوره خلاف ثم وصف المكان بأنه تستوي مسافته على الفريقين ومكانا بدل عن موعد وقيل مكانا سوى اي عدلا بيننا وبينك عن قتادة وقيل منصفا يكون النصف بيننا وبينك عن مجاهد (قال) موسى (موعدكم يوم الزينة) وكان يوم لهم فسمي يوم الزينة لأن الناس يتزينون فيه ويزينون به الاسواق عن مجاهد وقتادة والسدي (وان يحشر الناس ضحى) يعني ضحى ذلك اليوم ويريد بالناس أهل مصر يقول يحشرون إلى العيد ضحى فينظرون إلى امري وامرك فيكون ذلك ابلغ في الحجة وابعد من الشبهة قال الفراء يقول إذا رأيت الناس يحشرون من كل

← والشاهد في دخول اللام على الخبر في البيتين وهو قوله لانت ـ في البيت الاول ـ ولعجوز ـ في البيت الثاني ـ مع انها مختصة بالمبتداء . (٢) الجآذر جمع الجؤذر : ولد البقرة الوحشية . (٣) نسب جماعة هذه الابيات الى النجم العجلي منهم الشريف المرتضى (دو) في الامالي ونسبها آخرون الى رؤبة وقال بعض انها لبعض أهل اليمن وفي بعض الروايات «لسلمى» مكان «لريا» وفي بعضها «ليلى» وكلها اسماء لنساء .

ناحية ضحى فذلك الموعد قال وجرت عادتهم بحشر الناس في ذلك اليوم (فتولى فرعون) اي انصرف وفارق موسى على هذا الوعد (فجمع كيده) اي حيلته ومكره وذلك جمع السحرة (ثم اتى) اي حضر الموعد (قال لهم موسى) اي قال للسحرة لأنهم احضروا ما عملوا من السحر ليقابلوا بمعجزة موسى فوعظهم فقال (ويلكم) وهي كلمة وعيد وتهديد معناه الزمكم الله الويل والعذاب ويجوز أن يكون على النداء نحو يا ويلنا فيكون الدعاء بالويل عليهم وقيل ان ويلكم كلمتان تقديرهما وي لكم فيكون مبتدأ وخبرا أو يكون ويلكم بمنزلة التعجب لكم (لا تفتروا على الله كذبا) اي لا تشركوا مع الله احداعن ابن عباس وقيل لاتكذبوا على الله بأن تنسبوا معجزاتي الى السحر وسحركم الى انه حق وبأن تنسبوا فرعون الى انه إله معبود (فيسحتكم) اي يستأصلكم (بعذاب) عن قتادة والسدي وقيل يهلككم عن ابن عباس والكلبي ومقاتل والجبائي وأصل السحت استقصاء الحلق يقال سحت شعره إذا استأصله وسحته الله واسحته إذا استأصله وأهلكه (وقد خاب من افترى) اي خسر من كذب على الله ونسب اليه باطلا عن قتادة وقيل انقطع رجاء من كذب على الله عن ثوابه وجنته (فتنازعوا امرهم بينهم) اي تشاور القوم وتفاوضوا في حديث موسى وهارون وفرعون وجعل كل واحد منهم ينازع لكلام صاحبه وقيل تشاورت السحرة فيما هيئوه من الحبال والعصي وفيمن يبتدئ بالالقاء (وأسروا النجوى) يعني ان السحرة اخفوا كلامهم وتناجوا فيما بينهم سراً من فرعون فقالوا إن غلبنا موسى اتبعناه عن الفراء والزجاج وقيل ان موسى لما قال لهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر واسرّ بعضهم إلى بعض يتناجون عن محمد بن اسحاق وقيل أسروا النجوى بأن قالوا إن كان هذا ساحراً فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمره عن قتادة وقيل تناجوا مع فرعون وأسروا عن موسى وهارون قولهم (إن هذان) لساحران عن الجبائي وابي مسلم ان هذان يعني موسى وهارون (لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما) قاله فرعون وجنوده للسحرة ويريدون بالارض أرض مصر (ويذهبا بطريقتكم المثلى) هي تأنيث الامثل وهو الافضل وهو الاشبه بالحق يقال فلان امثل قومه اي اشرفهم وافضلهم والمعنى يريدان ان يصرفا وجوه الناس اليهما عن أمير المؤمنين علي (ع) وقيل ان طريقتهم المثلى بنو اسرائيل كانوا اكثر القوم عددا وأموالا اي يريدان ان يذهبا بهم لانفسهم عن قتادة واكثر المفسرين وقيل يذهبا بطريقتكم التي انتم عليها في السيرة والدين عن الجبائي وابي مسلم وابن زيد (فاجمعوا كيدكم) اي لاتدعوا من كيدكم شيئا إلا جئتم به (ثم ائتوا صفا) اي مصطفين مجتمعين ليكون انظم لامركم وأشد لمهيبتكم عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل ثم ائتوا موضع الجمع ويسمى المصلى الصف عن ابي عبيدة والمعنى ثم ائتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم (وقد افلح اليوم من استعلى) اي وقد سعد اليوم من غلب وعلا عن ابن عباس قال بعضهم ان هذا من قول فرعون للسحرة وقال آخرون بل هو قول بعض السحرة لبعض (قالوا ياموسى اما ان تلقي وأما ان نكون أول من القى) هذا قول السحرة خيروه بين ان يلقوا اولا ما معهم او يلقي موسى عصاه ثم يلقون ما معهم (قال) موسى (بل القوا) انتم ما معكم أمرهم بالالقاء اولا ليكون معجزه اظهر إذا القوا ما معهم ثم يلقي هو عصاه فتبتلع ذلك وها هنا حذف اي فألقوا ما معهم (فإذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) الضمير في اليه راجع إلى موسى وقيل الى فرعون اي يرى الحبال من سحرهم انها تسير وتعدو مثل سير الحيات وإنما قال يخيل اليه لانها لم تكن تسعى حقيقة وإنما تحركت لأنهم جعلوا داخلها الزئبق فلما حميت الشمس طلب الزيبق الصعود فحركت الشمس ذلك فظن انها تسعى

قوله تعالى (٦٧) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٨) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى

(٦٩) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى
(٧٠) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧١) قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ
آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ
خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧٢) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ
عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
(٧٣) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧٤)
إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (٧٥) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ
الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٦) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (عشر آيات)

القراءة

قرأ ابن ذكوان تلقف بالرفع والباقون بالجزم الا ان حفصا يقرؤها خفيفة والآخرون مشددة وابن كثير برواية البزي وابن فليح يشدد التاء ايضا وقرأ كيد سحر بغير الف أهل الكوفة غير عاصم والباقون ساحر بالالف

الحجة

من قرأ تلقف بالرفع فإنه يرتفع لأنه في موضع الحال والحال يجوز ان يكون من الفاعل الملقى من المفعول الملقي فان جعلته من الفاعل جعلته من المتلقف وان كان التلقف في الحقيقة للعصا لأن التلقف كان بالقائه فجاز ان ينسب اليه وإن جعلته من المفعول فإنه أنث على المعنى لأن الذي في يمينه عصا ومثل ذلك في ان يكون مرة للمخاطب ومرة للمؤنث قوله يومئذ تحدث اخبارها فهذا يكون على تحدث انت أيها الإنسان وعلى ان الارض تحدث وأما تلقف بالجزم فعلى ان يكون جوابا كأنه قال ان تلقه تَلْقَفْ او تَلَقَّفْ ومن شدد التاء فإنما اراد تتلقف وهذا يكون على تتلقف أنت أيها المخاطب وعلى تتلقف هي الا انه ادغم التاء الأولى في التاء الثانية والادغام في هذا ينبغي ان لا يكون جائزاً لأن المدغم يسكن وإذا سكن لزم ان يجلب له همزة الوصل كما جلبت في امثلة الماضي نحو ادّارأتم وازّينت واطّيروا وهمزة الوصل لا تدخل على المضارع قال وسألت احمد بن موسى كيف يبتدئ من ادغم فقال كلاما معناه انه يصير بالابتداء الى قول من خفف ويدع الادغام ومن قرأ كيد ساحر فلأن الكيد للساحر في الحقيقة وليس للسحر الا ان يريد كيد ذي سحر فيكون في المعنى مثل كيد ساحر والاختلاف بين القراء في آمنتم والوجه في ذلك ذكرناه في سورة الاعراف(١)

اللغة

يقال لقفت الشيء وتلقفته والتقفته إذا أخذته بسرعة قال الكسائي الصبي في الحجاز إذا جاء من عند معلمه قال جئت من عند كبيري والكبير في اللغة الرئيس ولهذا يقال للمعلم الكبير والأثار الاختيار والتزكي طلب الزكاء والزكاء النماء في الخير ومنه الزكاة لأن المال ينمو بها

(١) راجع ج ٢ صفحة ٣٦٣ .

الاعراب

إنّ مفصول من ما صنعوا لأن ما هاهنا موصولة وصنعوا صلته ويجوز ان يكون الموصول اسما بمعنى الذي ويكون العائد من الصلة الى الموصول محذوفا ويجوز ان يكون حرفا فيكون تقديره ان صنعهم والفرق بين آمنتم به وآمنتم له ان آمنتم به بالباء هو من الإيمان الذي هو ضد الكفر وآمنتم له بمعنى التصديق ومن خلاف يحتمل ان يكون من بمعنى عن اي عن خلاف ويحتمل ان يكون بمعنى على خلاف فيكون الجار والمجرور في موضع نصب على الحال وفي جذوع النخل في بمعنى على وإنما جاز ذلك لأن الجذع قد اشتمل عليهم وقد صاروا فيها قال الشاعر

هُمُ صَلَبُوا العَبْدِي فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ فَلَا عَطَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا(١)

وايّنا اشد عذابا وابقى تعليق ومعنى التعليق ان عملت تعمل في المعنى ولا تعمل في اللفظ والذي فطرنا موضعه جرّ عطف على ما جاءنا فاقض ما انت قاض يجوز ان يكون ما مصدرية في تقدير الظرف اي فاقض القضاء مدة كونك قاضيا ويجوز ان يكون ما مفعوله اي فاقض ما أنت قاضيه فحذف الهاء إنما تقضي هذه الحياة الدنيا حذف المضاف وتقديره إنما تقضي أمور هذه الحياة الدنيا ويجوز ان يكون تقديره إنما تقضي مدة هذه الحياة الدنيا وهذه على القول الأول منصوبة مفعول بها وعلى الثاني منصوبة على الظرف ويجوز ان يكون الواو للقسم جنات عدن يجب ان يكون بدلا من الدرجات ولا يجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف لأن قوله خالدين فيها نصب على الحال من قوله لهم وذو الحال الضمير المجرور باللام فعلى هذا لا يجوز الوقف على الدرجات العلى والدرجات مرتفع بالظرف بلا خلاف بينهم لأن الظرف جرى خبرا على المبتدأ وهو أولئك واعتمد عليه فيرتفع ما بعده

المعنى

(فأوجس في نفسه خيفة موسى) معناه فأحسّ موسى ووجد في نفسه ما يجده الخائف ويقال أوجس القلب فزعا أي اضمر والسبب في ذلك انه خاف ان يلتبس على الناس أمرهم فيتوهموا انهم فعلوا مثل فعله ويظنّوا المساواة فيشكّوا ولا يتّبعونه عن الجبائي وقيل انه خوف الطباع إذا رأى الانسان أمرا فظيعا فإنه يحذره ويخافه في أول وهلة وقيل انه خاف ان يتفرق الناس قبل القائه العصا وقبل ان يعلموا ببطلان السحرة فيبقوا في شبهة وقيل انه خاف لأنه لم يدر ان العصا إذا انقلبت حية هل تظهر المزية لأنه لا يعلم انها تتلقفها فكان ذلك موضع خوف لأنها لو انقلبت حية ولم تتلقف ما يأفكون ربما ادّعوا المساواة لا سيما والاهواء معهم والدولة لهم فلما تلقفت زالت الشبهة وتحقق عند الجميع صحة أمر موسى وبطلان سحره (قلنا لا تخف إنك انت الاعلى) عليهم بالظفر والغلبة (والق ما في يمينك) يعني العصاه (تلقف ما صنعوا) اي تبتلع ما صنعوا فيه من الحبال والعصي لان الحبال والعصي اجسام ليست من صنعهم قالوا ولما القى عصاه صارت حية وطافت حول الصفوف حتى رآها الناس كلهم ثم قصدت الحبال والعصي فابتلعتها كلها على كثرتها ثم أخذها موسى فعادت عصا كما كانت (إنما صنعوا كيد ساحر) اي ان الذي صنعوه او ان صنيعهم كيد ساحر اي مكره وحيلته (ولا يفلح الساحر) اي لا يظفر الساحر ببغيته اذ لا حقيقة للسحر (حيث أتى) اي حيث كان من الارض وقيل لا يفوز الساحر حيث اتى بسحره لأن الحق يبطله (فألقي السحرة سجدا) هاهنا محذوف وهو فالقى عصاه وتلقف ما صنعوا فألقي السحرة سجدا اي سجدوا (قالوا آمنا برب هارون وموسى) اضافوه سبحانه اليهما لدعائهما اليه وكونهما رسولين له (قال) فرعون للسحرة (آمنتم له) اي لموسى والمعنى قد صدقتم له (قبل ان آذن لكم) اي من غير اذني لأنه بلغ من جهله انه لا يعتقد دين إلا بإذنه والفرق بين الاذن والامر انّ في الامر دلالة على إرادة الآمر الفعل المأمور به وليس في الاذن ذلك وقوله فإذا حللتم فاصطادوا اذن وقوله أقيموا الصلاة أمر (إنه لكبيركم الذي علّمكم السحر)

(١) اي صار انفهم أجدع.

معناه انه لاستاذكم وانتم تلامذته وقد يعجز التلميذ عما يفعله الاستاذ وقيل انه لرئيسكم ومتقدمكم وانتم اشياعه واتباعه ماعجزتم عن معارضته ولكنكم تركتم معارضته احتشاماً له واحتراماً وإنما قال ذلك ليوهم العوام ان ماأتوا به إنما هو لتواطؤ من جهتهم ليصرفوا وجوه الناس اليهم (فلأقطعنّ أيديكم وارجلكم من خلاف) اي ايديكم اليمنى وارجلكم اليسرى (ولأصلبنكم في جذوع النخل) اي على جذوع النخل (ولتعلمن) أيها السحرة (أيّنا أشد عذابا) لكم (وابقى) وادوم انا على ايمانكم أم رب موسى على تركم الإيمان به (قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات) اي لن نفضلك ولن نختارك على ما أتانا من الادلة الدالة على صدق موسى وصحة نبوته والمعجزات التي تعجز عنها قوى البشر (والذي فطرنا) اي وعلى الذي فطرنا اي خلقنا وقيل معناه لن نؤثرك والله الذي فطرنا على ما جاءنا من البينات وماظهر لنا من الحق (فاقض ماأنت قاض) اي فاصنع ما أنت صانعه على اتمام واحكام وقيل معناه فاحكم ما أنت حاكم وليس هذا بامر منهم ولكن معناه اي شيء صنعت فإنا لانرجع عن الإيمان (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) اي إنما تصنع بسلطانك او تحكم في هذه الحياة الدنيا دون الآخره فلا سلطان لك فيها ولا حكم وقيل معناه انما تقضي وتذهب هذه الحياة الدنيا دون الحياة الآخرة (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) من الشرك والمعاصي (وما اكرهتنا عليه من السحر) إنما قالوا ذلك لأن الملوك كانوا يجبرونهم على تعليم السحر كيلا يخرج السحر من أيديهم وقيل ان السحرة قالوا لفرعون أرنا موسى إذا نام فأراهم إياه فإذا هو نائم وعصاه تحرسه فقالوا ليس هذا بسحر ان الساحر إذا نام بطل سحره فأبى عليهم الا ان يعملوا فذلك اكراههم عن عبد العزيز بن أبان (والله خير وابقى) اي والله خير لنا منك وثوابه ابقى لنا من ثوابك وقيل معناه والله خير ثوابا للمؤمنين وابقى عقابا للعاصين منك وهذا جواب لقوله ولتعلمنّ أيّنا أشدّ عذابا وابقى وهاهنا انتهى الاخبار عن السحرة ثم قال الله سبحانه (إنه من يأت ربه مجرما) وقيل انه من قول السحرة قال ابن عباس في رواية الضحاك المجرم الكافر وفي رواية عطاء يعني الذي اجرم وفعل مثل ما فعل فرعون (فإن له نار جهنم لا يموت فيها) فيستريح من العذاب (ولا يحيى) حياة فيها راحة بل هو معاقب بأنواع العقاب (ومن يأته مؤمناً) مصدقاً بالله وبأنبيائه (قد عمل الصالحات) اي ادى الفرائض عن ابن عباس (فأولئك لهم الدرجات العلى) يعني درجات الجنة وبعضها اعلى من بعض والعلى جمع العليا وهي تأنيث الاعلى (جنات عدن) اي إقامة (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) معناه ان الثواب الذي تقدّم ذكره جزاء من تطهر بالإيمان والطاعة عن دنس الكفر والمعصية وقيل تزكى طلب الزكاء بارادة الطاعة والعمل بها

قوله تعالى (٧٧) وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (٧٨) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٩) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ (٨٠) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ (٨١) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ (٨٢) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٣) وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٤) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٥) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٦) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ

رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (عشر آيات)

(القراءة)

قرأ حمزة لا تخف جزما والباقون لا تخاف وقرأ أهل الكوفة غير عاصم قدانجيتكم وواعدتكم ورزقتكم وقرأ الباقون قد انجيناكم وواعدناكم ورزقناكم بالنون وقرأ ابو جعفر وابو عمرو ويعقوب وسهل ووعدناكم بغير الالف والباقون بالالف وقرأ الكسائي فيحل بضم الحاء ومن يحلل بضم اللام والباقون بالكسر في الموضعين

الحجة

قال ابو علي من رفع قوله لا تخاف فإنه حال من الفاعل في اضرب اي غير خائف ولا خاش ويجوز ان يقطعه من الاول اي انت لا تخاف ومن قرأ لا تخف جعله جواب الشرط اي ان تضرب لا تخف دركا ممن خلفك ولا تخش غرقا بين يديك فأما من قال لا تخف دركا ثم لا تخشى فيجوز ان يعطيه من الأول اي ان تضرب لا تخف وانت لا تخشى ولا يحمله على قول الشاعر « كَأَنْ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيراً يَمَانِياً »(١) ولا على نحو «إِذَا الْعَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلِّقْ. وَلَا تَرَضَّاهَا وَلَا تَمَلَّقْ» لأن ذلك إنما يجيء في ضرورة الشعر كما ان قوله

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ(٣)

كذلك ولكنك تقدر انك حذفت الالف المنقلبة عن اللام ثم اشبعت الفتحة لأنها في فاصلة فأثبت الألف الناشئة عن اشباع الفتحة ومثل هذا مما ثبت في الفاصلة قوله فأضلونا السبيلا وقد جاء اشباع هذه الفتحة في كلامهم قال

وَأَنْتَ عَنِ الْغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى وَمِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاحِ(٤)

اي بمنتزح وحجة من قرأ وعدناكم ان ذلك يكون من الله سبحانه قال ابو الحسن زعموا ان واعدناكم لغة في وعدناكم فإذا كان كذلك فاللفظ لا يدل على ان الفعل من اثنين فيكون القراءة بوعدأحسن لأن واعد بمعنى وعد ويعلم من وعدأنه فعل واحد لا محالة وليس واعد كذلك فالأخذ بالابين أولى ومن قرأ انجيناكم وواعدناكم فحجته قوله ونزلنا عليكم المن والسلوى وحجة من قرأ يحل بكسر الحاء انه روي في زمزم إنه لشاربٍ حل اي مباح له غير محظور عليه ولا ممنوع عنه فالحل والحلال في المعنى مثل المباح فهو خلاف الحظر والحجر والحرام والحرج فهذه الالفاظ معناها المنع والمباح من قولهم باح بالسر والامر يبوح به إذا لم يجعل دونه حظرا فمعنى يحل عليكم ينزل بكم وينالكم بعد ما كان ذا حظر وحجر ومنع عنكم ووجه قراءة من قرأ يحل عليكم غضبي ان الغضب لما كان تتبعه العقوبة والعذاب جعله بمنزلة العذاب فقال يحل اي ينزل فجعله بمنزلة قولهم حلَّ بالمكان يحلّ وعلى هذا جاء يصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم فكما ان هذا عذاب قد اخبر عنه بأنه يحل كذلك اخبر عن الغضب بمثله وجعله بمنزلته لأنه يتبعه ويتصل به

(اللغة)

اليبس اليابس وجمعه ايباس وجمع اليبس بسكون الباء يبوس قال الكميت « فَمَا زِدْتَهُ إِلَّا يُبُوساً وَمَا أَرَى. لَهُمْ رَحِماً وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تُوصَلُ » قال ابو زيد حلَّ عليه أمر الله يحلّ حلولا وحلَّ الدار يحلّها حلولا وحلَّ العقدة يحلّها حلا وحلَّ له الصوم يحلّ حلّا وأحله الله احلالا وحلّ عليه حقي يحلّ محلا وأحلَّ الرجل من إحرامه احلالا وحلّ يحلّ حلّا والأسف أشد الغضب ويكون ايضا بمعنى الحزن

(١) قائله عبد يغوث بن وقاص وتمامه «وتضحك مني شيخة عبشمية» والشاهد في قوله «لم ترى» حيث اثبت الشاعر الالف مع الجازم . (٢) قائله رؤبة بن العجاج . (٣) قائله قيس بن زهير وكان قد طرد ابلا لطريح بن زياد في قصة مشهورة ولبون هي الابل ذوات اللبن . (٤) قائله ابن هرمة يرثي ابنه . يعني انت ببعد من الدواهي وذم الرجال .

الاعراب

هم أولاء مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون أولاء بدلا من هم ويكون على أثري في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ وعلى الوجه الأول يجوز ان يكون على اثري في موضع نصب على الحال والعامل فيه معنى الإشارة في أولاء ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن حال بني إسرائيل فقال (ولقد أوحينا إلى موسى) بعد ما رأى فرعون من الآيات فلم يؤمن هو ولا قومه (ان اسر بعبادي) اي سر بهم ليلا من أرض مصر (فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا) اي اجعل لهم طريقا في البحر يابسا بضربك العصا ليتفلق البحر فعدّى الضرب الى الطريق لما دخله هذا المعنى فكأنه قد ضرب الطريق كما يضرب الدينار (لا تخاف دركا ولا تخشى) اي لا تخاف ان يدركك فرعون من خلفك ولا تخشى من البحر غرقا ومن قرأ لا تخف بالجزم فمعناه لا تخف ان يدركك فرعون وأنت لا تخشى شيئا من أمر البحر مثل قوله يولّوكم الادبار ثم لا ينصرون ويجوز ان يكون في موضع الجزم على نحو ماذكرناه في الحجة (فأتبعهم فرعون بجنوده) معناه الحق جنوده بهم وبعث بجنوده خلفهم وفي اثرهم وفي الكلام حذف اتبعهم فعلوا ذلك فدخل موسى وقومه البحر ثم اتبعهم فرعون بجنوده (فغشيهم من اليم ما غشيهم) اي جاءهم من البحر ما جاءهم ولحقهم منه ما لحقهم وفيه تعظيم للامر ومعناه غشيهم الذي عرفتموه وسمعتم به ومثله قول ابي النجم « انا ابو النجم وشعري شعري » اي شعري الذي سمعت به وعلمته اي هلك فرعون ونجى موسى هذا كان عاقبة امرهم فليعتبر المعتبرون بهم (وأضل فرعون قومه وما هدى) اي صرفهم عن الهدى والحق وما هداهم إلى الخير والرشد وطريق النجاة وإنما قال وما هدى بعد قوله أضلّ ليتبين انه استمرّ على ذلك وما زال يضلهم ولا يهديهم وحسن حذف المفعول لمكان رأس الآية وإنما قال سبحانه تكذيبا لقول فرعون لقومه وما اهديكم الا سبيل الرشاد ثم خاطب سبحانه بني إسرائيل وعدّد نعمه عليهم فقال (يابني إسرائيل قد انجيناكم من عدوكم) فرعون بمرأى منكم (وواعدناكم جانب الطور الأيمن) وهو ان الله تعالى وعد موسى بعد ان اغرق فرعون ليأتي جانب الطور الايمن فيؤتيه التوراة فيها بيان الشرائع والاحكام وما يحتاجون اليه (ونزلنا عليكم المن والسلوى) يعني في التيه وقد مرّ بيان ذلك في سورة البقرة[1] (كلوا من طيبات ما رزقناكم) صورته صورة الامر والمراد به الاباحة (ولا تطغوا فيه) اي فلا تتعدوا فيه فتأكلوه على الوجه المحرم عليكم وقيل ان المعنى لا تتجاوزوا عن الحلال إلى الحرام وقيل معناه لا تتناولوا من الحلال للاستعانة به على المعصية (فيحل عليكم غضبي) اي فيجب عليكم عقوبتي ومن ضم الحاء فالمعنى فينزل عليكم عقوبتي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) اي هلك لأن من هوى من علو إلى سفل فقد هلك وقيل فقد هوى الى النار قال الزجاج فقد صار إلى الهاوية (وإني لغفار) وهو فعال من المغفرة (لمن تاب) من الشرك (وآمن) بالله ورسوله (وعمل صالحا) اي أدّى الفرائض (ثم اهتدى) اي ثم لزم الإيمان إلى ان يموت واستمر عليه وقيل ثم لم يشكّ في ايمانه عن ابن عباس وقيل ثم أخذ بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يسلك سبيل البدعة عن ابن عباس ايضا والربيع بن انس وقال ابو جعفر الباقر (ع) ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت (ع) فوالله لو انّ رجلا عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ثم مات ولم يجئ بولايتنا لاكبّه الله في النار على وجهه رواه الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده وأورده العياشي في تفسيره من عدة طرق (وما اعجلك عن قومك يا موسى) قال ابن اسحاق كانت المواعدة ان يوافي الميعاد هو وقومه وقيل مع جماعته من وجوه قومه وهو متصل بقوله واعدناكم جانب الطور الأيمن فتعجل موسى من بينهم شوقا إلى ربه وخلفهم ليلحقوا به فقيل له ما اعجلك عن قومك يا موسى اي بأيّ سبب خلفت قومك وسبقتهم وجئت

(١) راجع ج ١ صفحة : ١١٦ .

وحدك (قال) موسى في الجواب (هم اولاء على أثري) اي هؤلاء من ورائي يدركونني عن قريب وقيل معناه هم على ديني ومنهاجي عن الحسن وروى عنه ايضا انه قال هم ينتظرون من بعدي ما الذي آتيهم به وليس يريد انهم يتبعونه (وعجلت اليك رب لترضى) اي سبقتهم اليك حرصا على تعجيل رضاك اي لانظر رضا الى رضاك (قال) الله تعالى (فإنا قد فتنّا قومك) اي امتحناهم وشددنا عليهم التكليف بما حدث فيهم من أمر العجل فألزمناهم عند ذلك النظر ليعلموا انه ليس بإله كما قال سبحانه ألم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (من بعدك) اي من بعد انطلاقك (وأضلّهم السامريّ) اي دعاهم إلى الضلال فقبلوا منه وضلوا عند دعائه فاضاف الضلال إلى السامري والفتنة إلى نفسه ليدلّ سبحانه على ان الفتنة غير الضلال وقيل ان معنى فتنّا قومك عاملناهم معاملة المختبر المبتلي ليظهر لغيرنا المخلص منهم من المنافق فيوالي المخلص ويعادي المنافق (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) اي رجع موسى من الميقات إلى بني إسرائيل شديد الغضب حزينا عن ابن عباس وقيل جزعا عن مجاهد وقيل متحسرا متلهفا على ما فاته لأنه خشي ان لا يمكنه تدارك أمر قومه عن الجبائي (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) اي صدقا لإيتاء الكتاب وهو التوراة لتعلموا ما فيه وتعملوا به فتستحقوا الثواب عن الجبائي وقيل الوعد الحسن هو ما وعدهم به من النجاة من فرعون ومجيئهم إلى جانب الطور ووعده بالمغفرة لمن تاب وقيل هو ما وعدهم به في الآخرة على التمسك بدينه في الدنيا عن الحسن (أفطال عليكم العهد) اي مدة مفارقتي إياكم (أم أردتم أن يحل عليكم) اي يجب عليكم (غضب من ربكم) بعبادتكم العجل والمعنى أم أردتم ان تصنعوا صنعا يكون سببا لغضب ربكم (فاخلفتم موعدي) اي ما وعدتموه لي من حسن الخلافة بعدي ويبيّن ذلك قوله بئسما خلفتموني من بعدي وقيل ان اخلافهم موعده انه أمرهم اللاحق به فتركوا المسير على أثره للميقات وقيل هو انه أمرهم ان يتمسكوا بطريقة هارون وطاعته ويعملوا بامره إلى ان يرجع فخالفوه

قوله تعالى (٨٧) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٨) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٩) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٩٠) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩١) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩٢) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٣) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٤) قَالَ يَابْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٥) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٦) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة والكوفة وعاصم بملكنا بالفتح وقرأ حمزة والكسائي وخلف بملكنا بضم الميم والباقون بملكنا بكسر الميم وقرأ ابن عامر وحفص ورويس حُمِّلنا بالضم والتشديد والباقون حَمَلنا بفتح الحاء والتخفيف وقرأ أهل

الكوفة غير عاصم لم تبصروا بالتاء والباقون بالياء. وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وأبي والحسن وقتادة وابي رجاء ونصر بن عاصم فقبصت قبصة بالصاد وروي عن الحسن ايضا قبضة بضم القاف

= الحجة =

قال ابو علي في قوله بملكنا هذه ثلاث لغات والكسر اكثر والفتح لغة فيه والمعنى ما أخلفنا موعدك بملكنا الصواب ولكن لحظتنا فأضيف المصدر إلى الفاعل وحذف المفعول فأما من ضم الميم فإنه لا يخلو من ان يريد به مصدراً لِمَلَك او يكون لغة في مصدر المالك فإن أريد الأول فالمعنى لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك لملكان ملكنا ويكون على هذا التقدير كقوله لا يسألون الناس الحافا أي ليس منهم مسألة فيكون منهم الحاف فيها ليس انه أثبت ملكا كما لم يثبت في قوله لا يسئلون الناس الحافا مسألة منهم ومثل ذلك قول ابن ابي احمر

لا تُفْزِعُ الأَرْنَبَ أَهْوَالُهَا ... وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرْ

أي ليس بها ارنب فيفزع لهولها ومثله قول ذي الرمة

لَاتَشْتَكِي سَقَطَةً مِنْهَا وَقَدْ رَقَصَتْ ... بِهَا الْمَفَاوِزُ حَتَّى ظَهْرُهَا حَدِبُ

أي ليس منها سقطة فتشتكي وقوله حملنا من حمل الانسان الشيء وحملته إياه فمن قرأ حُمِّلنا فالمعنى جعلونا نحمل أوزار القوم ومن قرأ حَمَلنا أراد انهم فعلوا ذلك ومن قرأ بما لم يبصروا به بالياء فالمعنى بما لم يبصر به بنو اسرائيل ومن قرأ بالتاء صرف الخطاب إلى الجميع والقبض بالضاد باليد كلها وبالصاد باطراف الأصابع والقبضة بالضم القدر المقبوض والقبضة فعلك انت وقد ذكرنا الاختلاف في قوله يا ابن أم والوجه في ذلك في سورة الاعراف[1]

اللغة

الوزر أصله الثقل ومنه الوزر الذنب لأن صاحبه قد حمل به ثقلا والوزر الحمل والأوزار الأحمال والاثقال ومنه الأوزار للسلاح لأنها تثقل على لابسها والخوار الصوت المتردد الشديد التردد كصوت البقر ونحوه والعكوف الاقامة وملازمة الشيء ومنه الاعتكاف في المسجد ورقب يرقب رقبانا ورقبة انتظر والمرقب المكان العالي الذي يقف عليه الرقيب وارقبت فلانا داري واعمرته والاسم الرقبى والعمرى وبصر بالشيء يبصر إذا صار عليما به وأبصر يبصر إذا رأى

الاعراب

فكذلك القى السامري الكاف صفة مصدر محذوف لألقى تقديره القى السامري القاء مثل القائنا جسدا بدل من عجل. أن لا يرجع تقديره أفلا يرون انه لا يرجع ويجوز أن ينصب يرجع بأن فيكون الناصبة للفعل ولا يكون أن المخففة. من ان ضلوا جملة في موضع نصب على الحال وقد مضمرة. ألا تتبعني في موضع جرّ بمن المحذوف او في موضع نصب على الخلاف فيه تقديره ما منعك من اتباعي ولا زائدة كما في قوله ما منعك أن لا تسجد

المعنى

(قالوا) أي قال الذين لم يعبدوا العجل (ما أخلفنا موعدك بملكنا) اي ونحن نملك من أمرنا شيئا والمعنى انا لم نطق ردّ عبدة العجل عن عظيم ما ارتكبوه للرهبة لكثرتهم وقلتنا وجاء في الرواية ان الذين لم يعبدوا العجل كانوا اثني عشر الفا والذين عبدوه كانوا ستمائة الف رجل ومن قرأ بملكنا بضم الميم فمعناه بقدرتنا وسلطاننا أي لم نقدر على ردهم (ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم) معناه ولكنا حملنا اثقالا من حلي آل فرعون وهو ما استعاروه من حليهم حين أرادوا السير وقيل هو ما القاه البحر على الساحل من ذهبهم وفضتهم وحليهم بعد اغراقهم فأخذوه وقيل هو من اثقال الذنوب والآثام أي حملنا آثاما من حلي القوم لأنهم استعاروا حليا من القبط

(١) راجع ج٢ صفحة : ٤٨١ .

ليتزينوا بها في عيد كان لهم ثم لم يردوها عليهم عند الخروج من مصر مخافة أن يعلموا بخروجهم فحملوهم وكان ذلك ذنبا منهم إذ كانوا مستأمنين فيما بينهم وقيل انهم كانوا في حكم الاسراء فيما بينهم فكان يحل لهم أخذ اموالهم فعلى هذا لا يمكن حمله على الاثم (فقذفناها) أى القيناها في النار لتذوب (فكذلك القى السامرى) ايضا ليوهم انه منهم عن الجبائي وقيل معناه فمثل ما القينا نحن من هذا الحلي في النار القى السامري ايضا فاتبعناه وقيل ان هذا كلام مبتدأ من الله حكى عنهم انهم القوا ثم قال وكذلك القى السامري عن ابي مسلم (فأخرج لهم عجلا جسدا) اي اخرج لهم من ذلك عجلا جسيا (له خوار) اي صوت وقد ذكرنا صفة العجل في سورة الاعراف (فقالوا هذا إلهكم و إله موسى) اى قال السامري ومن تبعه من السفلة والعوام هذا العجل معبودكم ومعبود موسى (فنسي) فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ انه من قول السامري ومن تبعه اي نسي موسى انه إله هه وهو قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي والضحاك وقيل معناه فنسي اي ضل وأخطأ الطريق وقيل معناه انه تركه هنا وخرج يطلبه ﴿ والثاني ﴾ انه قول الله تعالى اى فنسي السامرى اي ترك ما كان عليه من الايمان الذى بعث الله به موسى عن ابن عباس ايضا وقيل معناه فنسي السامري الاستدلال على حدوث العجل وأنه لا يجوز ان يكون إلها وقيل فنسي السامري اي نافق وترك الإسلام ثم احتج سبحانه عليهم فقال (أفلا يرون الا يرجع اليهم قولا) اي أفلا يرى بنو إسرائيل ان العجل الذي عبدوه واتخذوه إلها لا يرد عليهم جوابا (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) ومن كان بهذه الصفة فإنه لا يصلح للعبادة قال مقاتل لما مضى من موعد موسى خمسة وثلاثون يوما أمر السامري بني اسرائيل ان يجمعوا ما استعاروه من حلي آل فرعون وصاغه عجلا في السادس والثلاثين والسابع والثامن ودعاهم إلى عبادته في التاسع فأجابوه وعبدوه فلما رجع موسى بعد استكمال الاربعين قال سعيد بن جبير كان السامري من أهل كرمان وكان مطاعا في بني إسرائيل وقيل كان من قرية يعبدون البقر فكان حب ذلك في قلبه وقيل كان من بني إسرائيل فلما جاوز البحر نافق فلما قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة اغتنمها واخرج لهم العجل ودعاهم اليه عن قتادة (ولقد قال لهم هارون من قبل) اي من قبل عود موسى اليهم (يا قوم إنما فتنتم به) يعني أن الله تعالى شدد عليكم التعبد فاعلموا إلهكم واعبدوه ولا تعبدوا العجل موعظة ونصحا ويحتمل ان يكون أراد فتنكم السامري به وأضلكم (وإن ربكم الرحمن فاتبعوني) اي اتبعوني فيما ادعوكم اليه (وأطيعوا أمري) في عبادة الله ولا تتبعوا السامري ولا تطيعوا أمره في عبادة العجل (قالوا لن نبرح عليه عاكفين) معناه لا نزال مقيمين على عبادته (حتى يرجع الينا موسى) فننظر ايعبده كما عبدناه ام لا فاعتزلهم هارون في اثني عشر الفا فلما رجع موسى (ع) وهو غضبان أسفا منهم ومن عبادتهم العجل وسمع الصياح والجلبة إذ كانوا يرقصون حول العجل ويضربون الدفوف والمزامير واستقبله هارون فألقى الالواح وأخذ برأس هارون (قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن) اي هلا تتبعني بمن أقام على إيمانه عن ابن عباس وقيل معناه هلا قاتلتهم إذ علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم وقيل هلا لحقت بي حين رأيتهم ضلوا بعبادة العجل قبل استحكام الأمر والاصل ان لا مزيدة وتقديره ما منعك ان تتبعني (أفعصيت أمري) فيما أمرتك به يريد قوله اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلما أقام معهم ولم يبالغ في منعهم نسبه إلى عصيانه وقيل ان صورته صورة الاستفهام والمراد به التقرير لأن موسى (ع) كان يعلم ان هارون لا يعصيه في أمره ﴿ سؤال ﴾ متى قيل ان الظاهر يقتضي ان موسى كان امره باللحاق به فعصى هارون امره قلنا يجوز ان يكون أمره بذلك بشرط المصلحة ورأى هارون الإقامة أصلح والشاهد يرى ما لا يرى الغائب ويجوز ان يكون لم يأمره بذلك و إنما أمره بمجاهدتهم وزجرهم عن القبيح و إنما عاتبه مع ان اللوم توجه على القوم لأن أمره بمفارقتهم لوم عليهم وقيل ان موقع الذنب ممن عظمت رتبته اعظم فلما كان هارون اجل من خلفه موسى خصه باللائمة وهذا إنما يتجه إذا ثبت لهارون ذنب فأما وهو نقي الجيب من جميع الذنوب بري الساحة من العيوب فالقول الأول هو الوجه (قال) هارون (يابن أم لا تأخذ

بلحيتي ولا برأسي) قد فسرناه في سورة الاعراف وقيل كانت العادة جارية في القبض عليها في ذلك الزمان كما ان العادة في زماننا هذا القبض على اليد والمعانقة وذلك مما تختلف العادة فيه بالازمنة والامكنة وقيل انه اجراه مجرى نفسه إذا غضب في القبض على لحيته لأنه لم يكن يتهم عليه كما لا يتهم على نفسه ثم بيّن (ع) عذره في مقامه معهم فقال (إني خشيت ان تقول فرقت بين بني إسرائيل) يعني اني لو فارقتهم او قاتلتهم لصاروا احزابا وتفرقوا فرقا ففريق يلحقون بك معي وفريق يقيمون مع السامري على عبادة العجل وفريق يتوقفون شاكين في أمره مع اني لم آمن ان تركتهم ان يبصروا بالخلاف الى تسافك الدماء وشدة التصميم والثبات على اتباع السامري فإنهم كانوا يمتنعون بعض الامتناع بمكاني فيهم وكنت اوجه اليهم من الانكار مقدار ما يتحمله الحال وذلك قوله يا قوم إنما فتنتم به فاعتذر بما يقبل مثله لانه وجه واضح من وجوه الرأي وقوله (ولم ترقب قولي) معناه ولم تحفظ وصيتي ولم تعمل به حين قلت اخلفني في قومي واصلح ولما ظهرت براءة ساحة هارون اقبل على السامري (قال) له (فما خطبك يا سامري) اي ما شأنك وما دعاك إلى ما صنعت فكأنه قال ماهذا الخطب والامر العظيم الذي احدثت وما حملك عليه (قال) السامري (بصرت بما لم يبصروا به) اي رأيت مالم يروه وقيل معناه علمت ما لم يعلموا من البصيرة (فقبضت قبضة من أثر الرسول) اي قبضت قبضة تراب من أثر قدم جبرائيل (فنبذتها) في العجل (وكذلك) اي وكما حدثتك يا موسى (سولت لي نفسي) اي زينت لي نفسي من أخذ القبضة والقائها في صورة العجل وقيل معناه حدثتني نفسي فأما حديث العجل وما الذي قبضه السامري وكيفية ذلك واختلافهم فيه فقد سبق ذكره

قوله تعالى (٩٧) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً (٩٨) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً (٩٩) كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً (١٠٠) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً (١٠١) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً (١٠٢) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً (١٠٣) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً (١٠٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً (١٠٥) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً (١٠٦) فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً (١٠٧) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً احدى عشرة آية

القراءة

قرأ ابن كثير وأهل البصرة غير سهل لن تخلفه بكسر اللام وقرأ الضرير لن نخلفه بالنون وكسر اللام وهو قراءة الحسن وقرأ الباقون لن تخلفه بفتح اللام وقرأ ابو جعفر لنحرقنه بفتح النون وسكون الحاء وتخفيف الراء وهو قراءة علي (ع) وابن عباس وقرأ ابو عمرو يوم ننفخ في الصور بالنون والباقون ينفخ بالياء وفتح الفاء وفي الشواذ قراءة ابي حيوة لا مَساسِ وقرأ مجاهد وقتادة وسع كل شيْ علما وقرأ ابن عياض في الصور بفتح الواو

الحجة

قال ابو علي اخلفت يتعدى الى مفعولين لن تخلفه مثل لن تعطاه لما اسندت الفعل الى احد المفعولين فأقمته مقام الفاعل بقي الفعل متعديا الى مفعول واحد وخاطبه الذي يخلف هو الله تعالى او موسى ومعناه سيأتيك به ولن

يتأخر عنك ولن تخلفه اي سيأتيه ولا مذهب لك عنه وقال ابن جني معناه ان تصادفه مخلفا كقول الاعشى

أَثْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَهُ لِيُزَوَّدا فَمَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدا (١)

وهو وعيد والمعنى في قراءة الاولى ابين وأما نخلفه بالنون فالمعنى لن نخلفك إياه اي لن ننقص منه ما عقدناه لك وقوله لنحرقنه من قولهم فلان يحرق على الأرم اي يحك اسنانه بعضها ببعض غيظا عليّ قال زهير

أَبَى الضَّيْمَ وَالنُّعْمَانُ يَحْرِقُ نَابَهُ عَلَيْهِ فَأَفْضَى وَالسُّيُوفُ مَعَاقِلُه (٢)

فكان لنحرقنه على هذا لنبردنه ولنحتنه حتا يقال حرقت الحديد اي بردته فتحات وتساقط وقوله مساس مثل نزال وحذار قال ابن جني ولا يدخل على هذا الضرب من الكلام النافية بالنكرة فلا إذا في قوله لا مساس نفي للفعل كقولك لا امسك ولا أقرب منك فكأنه حكاية قول القائل مساس فكأنه قال لا أقول مساس قال الكميت «لا هَمام لي لا هَمام» (٣) اي لا أقول هَمام ولا بد ان تكون الحكاية مقدرة الا ترى أنه لا يجوز ان تقول لا اضرب فتنفي بلا لفظ الأمر لتنافي اجتماع لفظ الأمر والنهي فالحكاية إذا معتقدة مقدرة وأما قوله وسع كل شيء علما فمعناه على ما قاله ابن جني انه خرق كل مصمت بعلمه لأنه بطن كل مخفي فصار لعلمه فضاء متسعا بعدما كان متلاقيا مجتمعا ومنه قوله تعالى ان السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وهذا في العمل وذاك في العلم والوجه في قوله ننفخ في الصور فنفخنا فيه من روحنا وقوله فيما بعده ونحشر والوجه في الياء قوله يوم ينفخ في الصور ونفخ في الصور وأما قوله في الصُّوَر فإنه جمع صورة وقد يقال فيها صير وأصله صور قال

أَشْبَهْنَ مِنْ بَقَرِ الْخَلْصَاءِ أَعْيُنَهَا فَهُنَّ أَحْسَنُ مِنْ صِيرَانِهَا صِيَرَا (٤)

وصِوَرًا ايضا قال ابو عبيدة الصور جمع صورة ويقال الصور القرن ويقال فيه ثقب بعدد نفوس البشر فإذا نفخ فيه قام الناس من الارماس

﴿ اللغة ﴾

ظلت اصله ظللت وللعرب فيها مذهبان فتح الظاء وكسرها فمن قال ظلت ترك الظاء على حالها ومن قال ظلت بالكسر نقل حركة اللام اليها للاشعار باصلها ومثله مَسْت ومِسْت في مسست وهل احسست في احسست قال الشاعر

خَلَا إِنَّ الْعِتَاقَ مِنَ الْمَطَايَا أَحَسْنَ بِهِ فَهُنَّ إِلَيْهِ شُوسُ (٥)

لننسفنه يقال نسف فلان الطعام بالمنسف إذا ذراه ليطير عنه قشوره والصفصف الموضع المستوي الذي لا نبات به كأنه على صف واحد في استوائه والقاع الارض الملساء وقيل مستنقع الماء وجمعه اقواع وقيعان وقيعة والأمت الاكمة يقال مدَّ حبله حتى ما ترك فيه امتا وملأ سقاءه حتى ما ترك فيه امتا اي انثناء قال الشاعر « ما في انجذاب سيره من امت »

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه عن موسى (ع) (قال) للسامري (فاذهب فإن لك في الحياة ان تقول لا مساس) واختلف في معناه فقيل انه امر الناس بأمر الله ان لا يخالطوه ولا يجالسوه ولا يؤاكلوه تضييقا عليه والمعنى لك ان تقول لا أمس ولا أمس ما دمت حيا قال ابن عباس لك ولولدك والمساس فعال من المماسة ومعنى لا مساس لا يمس بعضنا بعضا فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع لا يمس احدا ولا يمسه احد عاقبه الله تعالى بذلك وكان إذا لقي احدا يقول لا مساس اي لا تقربني ولا تمسني وصار ذلك عقوبة له ولولده حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك وان مس واحد من غيرهم واحدا منهم حم كلاهما في الوقت وقيل ان السامري خاف وهرب فجعل

(١) اثوى بالمكان : أقام . وقتيلة : علم امراة . واخلف موعدا اى صادف منها خلف المواعيد . ويروى «فمضت» كان « فمضى » و معناه فمضت الليلة . (٢) الضيم : الظلم . وأفضى : اى تخلص من الشر . (٣) هذا جزء من بيت له في مدح أهل البيت عليهم السلام وقبل هذا البيت قوله : «ان أمت لا امت ونفسي نفسان ❁ نَ من الشك في عمى أو تعام» ←

يهيم في البرية لا يجد احدا من الناس يمسه حتى صار لبعده عن الناس كالقائل لا مساس عن الجبائي (وان لك موعدا لن تخلفه) اي وعدا لعذابك يعني يوم القيامة لن تخلف ذلك الوعد ولن يتأخر عنك . وقال الزجاج المعنى يكافيك الله على ما فعلت يوم القيامة (وانظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا) معناه وانظر الى معبودك الذي ظلت على عبادته مقيما يعني العجل (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه في اليم نسفا) اي لنذرينه في البحر قال ابن عباس فحرقه ثم ذراه في البحر وهذا يدل على انه كان حيوانا لحما ودما وعلى القراءة الاخرى لنحرقنه اي لنبردنه بالمبرد يدل على انه كان ذهبا وفضة ولم يصر حيوانا ونبّه (ع) بذلك على ان مايمكن سحقه او احراقه لايصلح للعبادة وقال الصادق (ع) ان موسى (ع) همّ بقتل السامري فاوحى الله سبحانه اليه لا تقتله يا موسى فانه سخي ثم اقبل موسى على قومه فقال (انما إلهكم الله الذي لا إله الا هو) اي هو الذي يستحق العبادة (وسع كل شيء علما) اي يعلم كل شيء علما تاما وهي لفظة عجيبة في الفصاحة وفي ذلك دلالة على ان المعدوم يسمى شيئا لكونه معلوما ثم قال الله لنبيه ﷺ (كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق) اي مثل ما قصصنا عليك يا محمد من نبأ موسى وقومه نقص عليك من اخبار ما قد مضى وتقدم من الأمم والامور (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) يعني القرآن لأن فيه ذكر كل ما يحتاج اليه من امور الدين ثم اوعد سبحانه على الاعراض عنه وترك الإيمان به فقال (من اعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا) اي حملا ثقيلا من الاثم يشق عليه حمله لما فيه من العقوبة كما يشق حمل الثقيل (خالدين فيه) اي في عذاب ذلك الوزر وجزائه وهو الخلود في النار (وساء لهم يوم القيامة حملا) تقديره ساء الحمل حملا والحمل بمعنى المحمول اي بئس الوزر هذا الوزر لهم يوم القيامة قال الكلبي بئس ما حملوا على انفسهم من المأثم كفرهم بالقرآن (يوم ينفخ في الصور) هو بدل من يوم القيامة وقد سبق معناه (نحشر المجرمين يومئذ زرقا) قال ابن عباس يريد بالمجرمين الذين اتخذوا مع الله إلها يحشرون زرق العيون سود الوجوه ومعنى الزرقة الخضرة في سواد العيون كعين السنور والمعنى في هذا تشويه الخلق وقيل زرقا عميا ترى زرقا وهي عمي عن القراء وقيل عطاشا في مظهر عيونهم كالزرقة مثل قوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا عن الازهري (يتخافتون بينهم) اي يتسارّون بينهم فيقول المجرمون بعضهم لبعض (ان لبثتم الا عشرا) اي ما لبثتم إلا عشر ليال عن ابن عباس وقتادة يعني من النفخة الاولى الى الثانية وذلك انه يكفّ عنهم العذاب فيما بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما لبثتم في الدنيا يقلون من شدة هول ذلك اليوم مدة لبثهم في الدنيا وقيل في القبر يذهب عنهم طول لبثهم في قبورهم كأنهم كانوا نياما فانتبهوا وقيل انهم يقللون لبثهم في الدنيا طول ما هم لا يشون فيه من النار عن الحسن ثم قال سبحانه (نحن اعلم بما يقولون) اي بما يتسارون بينهم (إذ يقول أمثلهم طريقة) اي اصلحهم طريقة واوفرهم عقلا واصوبهم رايا وقيل اكثرهم سدادا عند نفسه (ان لبثتم إلا يوما) اي ما لبثتم إلا يوما في الدنيا وفي القبور انما قال ذلك لأن اليوم الواحد والعشرة إذا قوبلت بيوم القيامة وما لهم من الايام في النار كان اليوم الواحد اقرب اليه وهو كقوله لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقيل انهم قالوا ذلك بعد انقطاع عذاب القبر عنهم لأن الله يعذّبهم ثم يميتهم عن الجبائي ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (ويسئلونك) اي ويسئلك منكروا البعث عند ذكر القيامة (عن الجبال) ما حالها (فقل) يا محمد (ينسفها ربي نسفا) اي يجعلها ربي بمنزلة الرمل ثم يرسل عليها الرياح فيذريها كتذرية الطعام من القشور والتراب فلا يبقى على وجه الارض منها شيء وقيل يصيرها كالهباء وقيل ان رجلا من ثقيف سأل النبي ﷺ كيف تكون الجبال يوم القيامة مع عظمها فقال ان الله يسوقها بأن يجعلها كالرمال ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها (فيذرها) اي فيدع أماكنها من الارض إذا نسفها (قاعا) اي ارضا ملساء وقيل منكشفة عن الجبائي (صفصفا) اي ارضا مستوية ليس للجبل فيها أثر وقيل القاع والصفصف بمعنى واحد وهو المستوى من الارض الذي لا نبات فيه عن ابن عباس ومجاهد (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا)

و تمام البيت «عادلا غيرهم من الناس طراً ✿ بهم لا همام لي لا همام» ومعناه لا أهم بذلك وهو مبني على الكسر كقطام يقول لا اعدل بهم أحداً . (٤) خلصاء : اسم موضع وصيران جمع صوار : قطيع البقر . (٥) الشعر في جامع الشواهد

اى ليس فيها منخفض ولا مرتفع عن عكرمة عن ابن عباس قال الحسن العوج ما انخفض من الارض والامت ما ارتفع من الروابي وقيل لا ترى فيها واديا ولا رابية عن مجاهد

قوله تعالى (١٠٨) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٩) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١١٠) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١١) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١٢) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٣) وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٤) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٥) وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ثماني آيات

القراءة

قرأ ابن كثير فلا يخف بالجزم والباقون فلا يخاف بالالف وقرأ يعقوب ان نقضي بالنون وحيه بالنصب والباقون يقضي بضم الياء وحيه بالرفع

الحجة

من قرأ فلا يخف فإنه على النهي ومن قرأ فلا يخاف فإنه على الخبر وتقديره فهو لا يخاف وموضع الفاء مع ما بعدها في الموضعين مجزوم ولكونه في موضع جواب الشرط والمبتدأ محذوف ومراد بعد الفاء وهو مؤمن في موضع نصب على الحال والعامل في الحال يعمل وذو الحال الذكر الذي في يعمل العائد الى من ومن قرأ من قبل ان نقضي اليك وحيه فإنه أضاف القضاء الى الله وجعل الوحي مفعوله والمعنى في القراءتين واحد

اللغة

الهمس اخفاء الكلام والصوت الخفي قال الراجز

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيسًا ... إِنْ يَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسًا

يعني صوت اخفاف الإبل في سيرها والعنوة الخضوع والذل والعاني الاسير واخذت الشيء عنوة اي غلبة تذلك المأخوذ منه وقد يكون العنوة عن تسليم وطاعة لأنه على طاعة الذليل للعزيز قال الشاعر

هَلْ أَنْتَ مُطِيعِي أَيُّهَا الْقَلْبُ عَنْوَةً ... وَلَمْ تُلْحَ نَفْسٌ لَمْ تَلُمْ فِي اجْتِنَابِهَا

وقال آخر

فَمَا أَخَذُوهَا عَنْوَةً عَنْ مَوَدَّةٍ ... وَلَٰكِنْ بِضَرْبِ الْمَشْرَفِيِّ اسْتَقَالَهَا

والهضم النقص يقال هضمني حقي ويهضمني اي ينقصني وامرأة هضيم الحشا اي ضامرة الكشحين لنقصانه عن حدّ غيره ومنه هضمت المعدة الطعام اي نقصته مع تغييرها والعزم الإرادة المتقدمة لتوطين النفس على الفعل

الإعراب

يومئذ ظرف يتبعون ولا عوج له جملة في موضع الحال والتقدير يتبعون الداعي غير معوجين عن إجابته لأن

معناه لا عوج لهم عن دعائه اي لا يقدرون على ان لا يتبعوه · قرآنا منصوب على الحال وعربيا صفته وفي الحقيقة الحال قوله عربيا وانما ذكر قرآنا للبيان وكذلك الكاف في محل النصب بأنه صفة لمصدر محذوف

(المعنى)

ثم وصف سبحانه القيامة فقال (يومئذ يتبعون الداعي) اي يوم القيامة يتبعون صوت داعي الله الذي ينفخ في الصور وهو اسرافيل (ع) (لا عوج له) اي لدعاء الداعي ولا يعدل عن احد بل يحشرهم جميعا عن ابي مسلم وقيل معناه لا عوج لهم من دعائه لا يميلون عنه ولا يعدلون عن ندائه اي يتبعونه سراعا ولا يلتفتون يمينا ولا شمالا عن الجبائي (وخشعت الاصوات للرحمن) اي خضعت الاصوات بالسكون لعظمة الرحمن عن ابن عباس (فلا تسمع إلا همسا) وهو صوت الاقدام عن ابن عباس وابن زيد اي لا تسمع من صوت اقدامهم الا صوتا خفيا كما يسمع من وطئ الابل وقيل الهمس اخفاء الكلام عن مجاهد وقيل معناه ان الاصوات العالية بالامر والنهي في الدنيا ينخفض ويذل اصحابها فلا تسمع منهم إلا الهمس (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) اي لا تنفع ذلك اليوم شفاعة احد في غيره إلا شفاعة من اذن الله له في ان يشفع ورضي قوله فيها من الانبياء والاولياء والصالحين والصديقين والشهداء ثم قال سبحانه (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الضمير يرجع الى الذين يتبعون الداعي اي يعلم سبحانه جميع اقوالهم وافعالهم قبل ان خلقهم وبعد ان خلقهم وما كان في حياتهم وبعد مماتهم لا يخفى عليه شيء من امورهم تقدم او تأخر عن ابي مسلم وقيل يعلم ما بين أيديهم من احوال الاخرة وما خلفهم من احوال الدنيا (ولا يحيطون به علما) اى ولا يحيطون هم بالله علما اي بمقدوراته ومعلوماته وقيل بكنه عظمته في ذاته وأفعاله وقيل لا يحيطون علما بما بين ايديهم وما خلفهم الا من اطلعه الله على ذلك عن الجبائي وقيل معناه ولا يدركونه بشيء من الحواس حتى يحيط علمهم به (وعنت الوجوه للحي القيوم) اي خضعت وذلت خضوع الاسير في يد من قهره والمراد خضع ارباب الوجوه واستسلموا الحكم للحي الذى لم يمت ولا يموت وإنما اسند الفعل الى الوجوه لأن اثر الذل يظهر عليها وقيل المراد بالوجوه الرؤساء والقادة والملوك اي يذلون وينسلخون عن ملكهم وعزهم وقد سبق معنى الحي القيوم في مواضع (وقد خاب من حمل ظلما) اي وقد خاب من ثواب الله من حمل شركا إلى يوم القيامة عن ابن عباس وقيل قد خسر الثواب من جاء يوم القيامة كافرا ظالما (ومن يعمل من الصالحات) اي ومن يعمل شيئا من الطاعات (وهو مؤمن) عارف بالله تعالى مصدق بما يجب التصديق به وانما قال ذلك لأنه لا تنفع الطاعة من غير إيمان (فلا يخاف ظلما ولا هضما) اي فهو لا يخاف ان يظلم ويزاد عليه في سيئاته ولا ان يهضم اي ينقص من حسناته عن ابن عباس وقيل لا يخاف ان يؤخذ بذنب لم يعمله ولا ان تبطل حسنة عملها عن الضحاك وقيل لا يخاف ظلما بأن لا يجزى بعمله ولا هضما بالانتقاص من حقه عن ابن زيد ومن قرأ فلا يخف على النهي فمعناه فليأمن ولا يخف الظلم والهضم والنهي عن الخوف أمر بالأمن وفي هذه الآية دلالة على بطلان التحابط (وكذلك) اي وكما اخبرناك باخبار القيامة (أنزلناه) اي انزلنا هذا الكتاب (قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد) اي كررنا فيه من الوعيد وذكرناه على وجوه مختلفة وبيناه بالفاظ متفرقة (لعلهم يتقون) المعاصي وقيل ليتقي العرب من قبل ان ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك (أو يحدث لهم ذكرا) معناه او يجدد القرآن لهم عظة واعتبارا اي يذكروا به عقاب الله للامم فيعتبروا وقيل يحدث لهم شرفا بإيمانهم به وانما اضاف احداث الذكر إلى القرآن لأنه يقع عنده كما قال وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا (فتعالى الله الملك الحق) اى ارتفعت صفاته عن صفات المخلوقين فلا يشبهه احد في صفاته لأنه اقدر من كل قادر واعلم من كل عالم وكل عالم وقادر سواه محتاج اليه وهو غني عنه وكل قادر وعالم قادر على شيء عاجز عن شيء عالم بشيء جاهل بشيء وما هو عالم به يجوز ان ينساه او يسهو عنه فهو معرض الزوال والله سبحانه لم يزل عالما قادرا ولا يزال

كذلك والملك الذى يملك الدنيا والآخرة والحق الذى يحق له الملك وكل ملك سواه يملك بعض الاشياء ويبيد ملكه ويفنى (ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه) فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه لا تعجل بتلاوته قبل ان يفرغ جبرائيل (ع) من ابلاغه فإنه ﷺ كان يقرأ معه ويعجل بتلاوته مخافة نسيانه اى تفهم ما يوحى اليك إلى ان يفرغ الملك من قراءته ولا تقرأ معه ثم اقرأ بعد فراغه منه وهذا كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به عن ابن عباس والحسن والجبائي ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه ولا تقرأه لاصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه عن مجاهد وقتادة وعطية وابي مسلم ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه ولا تسأل انزال القرآن قبل ان يأتيك وحيه لأنه تعالى انما ينزله بحسب المصلحة وقت الحاجة (وقل رب زدني علما) اي استزد من الله سبحانه علما إلى علمك روت عائشة عن النبي ﷺ انه قال إذا أتى عليّ يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى الله فلا بارك الله لي في طلوع شمسه وقيل معناه زدني علما بقصص انبيائك ومنازل اوليائك وقيل زدني قرآنا لأنه كلما ازداد من نزول القرآن عليه ازداد علما عن الكلبي (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما) معناه أمرناه وأوصينا اليه ان لا يقرب الشجرة ولا يأكل منها فترك الامر عن ابن عباس ولم نجد له عقدا ثابتا وقيل معناه فنسى من النسيان الذي هو السهو ولم نجد له عزما على الذنب لأنه اخطأ ولم يتعمد عن ابن زيد وجماعة وقيل ولم نجد له حفظا لما أمر به عن عطية وقيل صبرا عن قتادة وروي عن ابن عباس انه قال انما أخذ الانسان من انه عهد اليه فنسي ومن حمله على النسيان فما الذي نسيه فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ انه نسي الوعيد بالخروج من الجنة بأكل ﴿ والثاني ﴾ انه نسي قول الله سبحانه ان هذا عدو لك ولزوجك ﴿ والثالث ﴾ انه نسي الاستدلال على ان النهي عن الجنس وقد نهى عن الجنس فنسي وظن ان النهى عن العين

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله وكذلك انزلناه قرآنا عربيا بما قبله انه يتصل بقوله كذلك نقص عليك وقيل انه يتصل بما قبله من قصة موسى اي كما انزلنا التوراة على موسى انزلنا عليك القرآن ووجه اتصال قوله ولقد عهدنا إلى آدم الآية بما قبله انه لما ذكر تصريف الآيات والقرآن وانّ بها ينذكر أمره سبحانه بالتذكر وان لا يكون مثل آدم في نسيان العهد وقيل انه اتصل بقوله ولا تعجل بالقرآن اي لا تعجل خوف النسيان للفظه ولكن توكل على الله وسله التوفيق لحفظه فإن أباك آدم نسي ما عهد اليه وقيل انه عطف على قوله وكذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق فقصّ عليه قصة آدم (ع) عن ابي مسلم

قوله تعالى (١١٦) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٧) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٨) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٩) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١٢٠) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (١٢١) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢٢) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٣) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٤) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٥) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (عشر آيات)

القراءة

قرأ نافع وابو بكر وإنك لا تظمؤ بالكسر والباقون انك بالفتح وفي الشواذ قراءة ابان بن تغلب ونحشره بالجزم

الحجة

من قرأ بالفتح فتقديره ان لك أن لا تجوع فيها وان لك انك لاتظمأ ولا يجوز ان تقول ان انك منطلق لكراهة اجتماع حرفين متقاربي المعنى فإذا فصل بينهما جاز ومن كسر فقال فإنك لا تظمأ قطع الكلام الأول واستأنف ومن قرأ نحشره فإنه عطفه على موضع قوله فإن له معيشة ضنكا وموضعه جزم لكونه جواب الشرط

اللغة

ضحى الرجل يضحى ضحي إذا برز للشمس قال عمرو بن ابي ربيعة

رَأَتْ رَجُلاً أَيْمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ ... فَيَضْحَى وَأَيْمَا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصَرُ (١)

يعني اما والضنك الضيق الصعب يقال منزل ضنك وعيش ضنك لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث لأن أصله المصدر قال « وإذا هم نزلوا بضنك فانزل »

المعنى

ثم بيّن سبحانه تفصيل ما اجمله من قصة آدم (ع) فقال (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) قد مرّ تفسيره (أبى) اي امتنع من أن يسجد (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) حواء (فلا يخرجنكما من الجنة) اي لا تطيعاه والمعنى لا يكونن سببا لخروجكما من الجنة بغروره ووساوسه (فتشقى) اي فتقع في تعب العمل و كدّ الاكتساب والنفقة على زوجتك ونفسك ولذلك قال فتشقى ولم يقل فتشقيا وقيل لأن أمرهما في السبب واحد فاستوى حكمها لاستوائهما في السبب والعلة وقيل لتستقيم رؤوس الآي قال سعيد بن جبير أنزل على آدم ثور احمر فكان يحرث عليه ويرشح العرق عن جبينه وذلك هو الشقاوة (ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى) اي في الجنة لسعة طعام الجنة وثيابها (وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) اي لا تعطش ولا يصيبك حرّ الشمس عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة قالوا ليس في الجنة شمس وانما فيها ضياء ونور وظل ممدود ويسأل هاهنا فيقال كيف جمع بين الجوع والعري وبين الظمأ والضحي والجوع من جنس الظمأ والعري من جنس الضحى وأجيب عن ذلك بجوابين ﴿ احدهما ﴾ ان الظمأ اكثر ما يكون من شدة الحر والحر انما يكون من الضحي وهو الانكشاف للشمس فجمع بينهما لاجتماعهما في المعنى و كذلك الجوع والعري متشابهان من حيث ان الجوع عري في الباطن من الغذاء والعري للجسم في الظاهر ﴿ والثاني ﴾ ان العرب تلفّ الكلامين بعضهما ببعض اتكالا على علم المخاطب وانه يرد كل واحد منهما الى ما يليق به كما قال امرؤ القيس

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً لِلَذَّةٍ ... وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خَلْخَالِ

وَلَمْ أَسْبَإِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ ... لِخَيْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ (٢)

و كان حقه ان يقول كما قال عبد يغوث

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً وَلَمْ أَقُلْ ... لِخَيْلِي كُرِّي نَفِّسِي عَنْ رِجَالِيَا

وَلَمْ أَسْبَإِ الزِّقَّ الرَّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ ... لِأَيْسَارِ صِدْقِي أَظْهِرُوا ضَوْءَ نَارِيَا

وقد يؤوّل قول امرء القيس على الجواب الأول (فوسوس اليه الشيطان) قد تقدّم بيانه (قال يا آدم هل

(١) التعصر : البرد . (٢) السبأ : تجارة الخمر .

أدلك على شجرة الخلد) اي على شجرة من أكل منها لم يمت (وملك لا يبلى) جديده ولا يفنى وهذا كقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الآية (فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) هذا مفسر في سورة الاعراف (وعصى آدم ربه فغوى) معناه خالف آدم ما امره ربه به فخاب من ثوابه والمعصية مخالفة الامر سواء كان الامر واجبا او ندبا قال الشاعر « أمرتك أمرا جازما فعصيتني » ولا يمتنع ان يسمى تارك النفل عاصيا كما يسمى بذلك تارك الواجب يقولون فلان أمرته بكذا وكذا من الخير فعصاني وخالفني وان لم يكن ذلك واجبا ولا شبهة ان لفظة غوى يحتمل الخيبة قال الشاعر

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوَ لَا يَعْدِمْ عَلَى الْغَيِّ لَائِمَا (١)

ويجوز ان يكون معناه فخاب مما كان يطمع فيه بأكل الشجرة من الخلود (ثم اجتباه ربه) اي اصطفاه الله تعالى واختاره للرسالة (فتاب عليه وهدى) اي قبل توبته وهداه إلى ذكره وقيل هداه للكلمات التي تلقاها منه (قال اهبطا منها جميعاً) يعني آدم وحواء (بعضكم لبعض عدو فأما يأتينكم مني هدى) قد فسرنا جميعها في سورة البقرة (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) اي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة قال ابن عباس ضمن الله سبحانه لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية (ومن اعرض عن ذكري) اي ومن اعرض عن القرآن وعن الدلائل التي انزلها الله تعالى لعباده وصدف عنها ولم ينظر فيها (فإن له معيشة ضنكا) اي عيشا ضيقا عن مجاهد وقتادة والجبائي وهو ان يقتر الله عليه الرزق عقوبة له على اعراضه فإن وسع عليه فإنه يضيق عليه المعيشة بأن يمسكه ولا ينفقه على نفسه وإن انفقه فان الحرص على الجمع وزيادة الطلب يضيق المعيشة عليه وقيل هو عذاب القبر عن ابن مسعود وابي سعيد الخدري والسدي ورواه ابو هريرة مرفوعاً وقيل هو طعام الضريع والزقوم في جهنم لأنه آله اليها وان كان في سعة من الدنيا عن الحسن وابن زيد وقيل معناه ان يكون عيشه مضنكا بان ينفق انفاق من لا يوقن بالخلف عن ابن عباس وقيل هو الحرام في الدنيا الذي يؤدي الى النار عن عكرمة والضحاك وقيل عيشا ضيقا في الدنيا لقصرها وسائر ما يشوبها ويكدرها وإنما العيش الرغد في الجنة عن ابي مسلم (ونحشره يوم القيامة اعمى) اي اعمى البصر عن ابن عباس وقيل اعمى عن الحجة عن مجاهد يعني انه لا حجة له يهتدي اليها والأول هو الوجه لأنه الظاهر ولا مانع منه ويدل عليه قوله (قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا) قال الفراء يقال انه يخرج من قبره بصيرا فيعمى في حشره وقد روى معاوية بن عمار قال سألت ابا عبد الله (ع) عن رجل لم يحج وله ما ل قال هو ممن قال الله ونحشره يوم القيامة أعمى فقلت سبحان الله اعمى قال اعماه الله عن طريق الحق فهذا يطابق قول من قال ان المعنى في الآية أعمى عن جهات الخير لا يهتدي لشيء منها

قوله تعالى (١٢٦) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٧) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ (١٢٨) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (١٢٩) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى (١٣٠) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (خمس آيات)

(١) قائله قعنب الفرازى ونسبه بعض الى الشرقش يريدان من ظفر بمطلوبه حمده الناس ومن لم يظفر عابوه مع انه لم يكن مقصراً .

القراءة

قرأ الكسائي وابو بكر ترضى بضم التاء والباقون بفتحها

الحجة

حجة من فتح التاء قوله وليوفك يعطيك ربك فترضى وحجة من ضم التاء انه جاء في صفة بعض الانبياء وكان عند ربه مرضيا وكان معنى ترضى لفعلك ما أمرت به من الافعال التي يرضاها الله او ترضى بما تعطاه من الدرجة الرفيعة وترضى بما يعطيكه الله من الدرجة العالية والرتبة المرضية

اللغة

آناء الليل ساعاته واحدها إنى قال السعيدي

حُلْوٌ وَمُرٌّ كَعَطْفِ ٱلْقِدْحِ مِرَّتُهُ ... بِكُلِّ إِنْيٍ قَضَاهُ ٱللَّيْلُ يَنْتَعِلُ(١)

الاعراب

افلم يهد لهم فاعل يهد مضمر يفسّره كم اهلكنا والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا من قبلهم من القرون وموضع كم نصب باهلكنا

المعنى

(قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها) هذا جواب من الله سبحانه لمن يقول لم حشرتني اعمى ومعناه كما حشرناك عمى جاءك محمد ﷺ والقرآن والدلائل فاعرضت عنها وتعرضت لنسيانها فإن النسيان ليس من فعل الإنسان فيتوعد عليه (وكذلك اليوم تنسى) اي تصير بمنزلة من ترك كالمنسي بعذاب لا يفنى وقيل معناه كما حشرتك اعمى لتكون فضيحة كنت اعمى القلب فتركت آياتي ولم تنظر فيها وكما تركت أوامرنا فجعلتها كالشيء المنسي تترك اليوم في العذاب كالشيء المنسي (وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه) اي وكما ذكرنا نجزي من اشرك وجاوز الحدّ في العصيان ولم يؤمن بآيات ربه اي لم يصدّق بحجج ربه وكتبه ورسله (ولعذاب الآخرة أشد) من عذاب الدنيا وعذاب القبر (وابقى) اي ادوم لأنه لا يزول وعذاب الدنيا وعذاب القبر يزول (أفلم يهد لهم كم اهلنا قبلهم من القرون) يعني كفار مكة والمعنى أفلم يبيّن لهم طريق الاعتبار كثرة اهلاكنا القرون قبلهم بتكذيبهم رسلنا فيعتبروا ويؤمنوا وقوله (يمشون في مساكنهم) يريد أهل مكة كانوا يتّجرون الى الشام فيمرّون بمساكن عاد وثمود ويرون علامات الاهلاك وفي هذا تنبيه لهم وتخويف اي افلا يخافون ان يقع بهم مثل ما وقع بأولئك (ان في ذلك) اي في اهلاكنا اياهم (لآيات) اي لعبراً ودلالات (لأولي النهى) اي لذوي العقول الذين يتدبّرون في احوالهم (ولولا كلمة سبقت من ربك) في تأخير العذاب عن هؤلاء الكفار إلى يوم القيامة وهو قوله (لكان لزاماً وأجل مسمى) اي لكان العذاب لزاما لهم واقعا في الحال واللزام مصدر وصف به قال قتادة الاجل المسمى قيام الساعة وقال غيره هو الاجل الذي كتبه الله للانسان انه يبقيه اليه وقيل ان عذاب اللزام كان يوم بدر قتل الله فيه رؤوس الكفار ولولا ما قدر الله تعالى من آجال الباقين ووعدهم من عذاب الآخرة لكان ذلك القتل الذي نالهم يوم بدر لازما لهم ابدا في سائر الازمان ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ بالصبر على اذاهم بأن قال (فاصبر على ما يقولون) من تكذيبك واذاهم إياك (وسبّح بحمد ربك) اي صل لربك بالحمد له والثناء عليه وقيل معناه سبّحه واحمده في هذه الاوقات (قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعني صلاة العصر (ومن آناء الليل) اي ساعاته قال ابن عباس هي صلاة الليل كله وقيل يريد أول الليل المغرب والعشاء الآخرة (فسبّح واطراف النهار) يعني الظهر وسمي وقت صلاة الظهر اطراف النهار لأن وقته

(١) نسبه في اللسان والسيرة الى المتنخل الهذلي . والقدح السهم والمرة : القوة والشدة . وانتعل الرجل : كب صلاب الارض وحرارها وهذا البيت من قصيدة قالها في رثاء ابنه اثيلة .

عند الزوال وهو طرف النصف الاول وطرف النصف الثاني وهذا قول قتادة والجبائي ومن حمل التسبيح على الظاهر قال أراد بذلك المداومة على التسبيح والتحميد في عموم الأوقات (لعلك ترضى) بالشفاعة والدرجة الرفيعة وقيل بجميع ما وعدك الله به من النصر واعزاز الدين في الدنيا والشفاعة والجنة في الآخرة

قوله تعالى (١٣١) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣٢) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٣) وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٣٤) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ (١٣٥) قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ خمس آيات

(القراءة)

قرأ يعقوب وسهل زهرة بفتح الهاء والباقون بسكونها وقرأ أهل المدينة والبصرة وقتيبة وحفص ألم تأتهم بالتاء والباقون بالياء

(اللغة)

زهرة الحياة الدنيا حسنها ويجوز فتح العين فيها والزهرة النور الذي يروق عند الرؤية ومنه يقال لكل شيء مستنير زاهر ومنه الحديث في صفة النبي ﷺ كان ازهر اللون اي نيّر اللون والزهراوان : البقرة وآل عمران ويوم الجمعة يوم ازهر

الاعراب

قال الزجاج زهرة منصوب بمعنى متعنا لأن معناه جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة لنفتنهم فيه اي لنجعل ذلك فتنة لهم ويجوز ان يكون حالا من الهاء في به ويجوز ان يكون حالا من مامتعنا به . ولو انا اهلكناهم تقديره ولو ثبت اهلاكهم لأن لو يقتضي الفعل فيكون انا اهلكناهم في موضع رفع بأنه فاعل الفعل المقدر ومن اصحاب الصراط السوي تعلق بقوله فستعلمون وهو مبتدأ وخبر وكذلك من اهتدى

النزول

قال ابو رافع نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثني الى يهودي فقال قل ان رسول الله يقول بعني كذا وكذا من الدقيق او اسلفني الى هلال رجب فاتيته فقلت له فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال والله لو باعني او اسلفني لقضيته وإني لأمين في السماء وأمين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الآية تسلية له عن الدنيا

المعنى

(ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به ازواجا منهم) وقد فسرناه في سورة الحجر وقال ابي بن كعب في هذه الآية من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا ومن يتبع بصره ما في ايدي الناس يطل حزنه ولا يشفي غيظه ومن لم ير لله عليه نعمة إلا في مطعمه ومشربه نقص علمه ودنا عذابه وروى اصحابنا عن ابي عبد الله (ع) انه قال لما نزلت هذه الآية استوى رسول الله ﷺ جالسا ثم قال هذه الكلمات التي تقدمت (زهرة الحياة

الدنيا) اي بهجتها ونضارتها وما يروق الناظر عند الرؤية وقال ابن عباس وقتادة زينة الحياة الدنيا (لنفتنهم فيه) اي لنعاملهم معاملة المختبر بشدة التعبد في العمل بالحق في هذه الامور واداء الحقوق عنه وقيل لنفتنهم اي لنشدد عليهم التعبد بان نكلفهم متابعتك والطاعة لك مع كثرة اموالهم وقلة مالك وقيل معناه لنعذبهم به لأن الله قد يوسع الرزق على بعض أهل الدنيا تعذيبا له ولذلك قال (ع) لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى منها كافراً شربة ماء (ورزق ربك خير) اي ورزق ربك الذي وعدك به في الآخرة خير مما متعنا به هؤلاء في الدنيا (وابقى) اي ادوم (وامر أهلك بالصلاة) معناه وامر يا محمد اهل بيتك وأهل دينك بالصلاة روى ابو سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الآية كان رسول الله ﷺ يأتي باب فاطمة وعلي تسعة اشهر عند كل صلاة فيقول الصلاة رحمكم الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ورواه ابن عقدة باسناده من طرق كثيرة عن أهل البيت (ع) وعن غيرهم مثل ابي برزة وابي رافع وقال ابو جعفر «ع» أمره الله تعالى ان يخص اهله دون الناس ليعلم الناس أن لأهله عند الله منزلة ليست للناس فأمرهم مع الناس عامة ثم امرهم خاصة (واصطبر عليها) اي واصبر على فعلها وعلى امرهم بها (لا نسئلك رزقا) لخلقنا ولا لنفسك بل كلفناك العبادة وأداء الرسالة وضمنا رزق الجميع (نحن نرزقك) الخطاب للنبي ﷺ والمراد به جميع الخلق اي نرزق جميعهم ولا نسترزقهم وننفعهم ولا ننتفع بهم فيكون ابلغ في الامتنان عليهم (والعاقبة للتقوى) اي العاقبة المحمودة لأهل التقوى قال ابن عباس يريد الذين صدقوك واتبعوك واتقوني وفي الاثر ان عروة الزبير كان إذا رأى ما عند السلطان دخل بيته وقرأ ولا تمدن عينيك الآيات ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله (وقالوا) يعني الكفار (لولا يأتينا) محمد ﷺ (بآية من ربه) اقترحناها عليه كما اتى به الأنبياء نحو الناقة (او لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى) اي أو لم يأتهم في القرآن بيان ما في الكتب الاولى من انباء الامم التي اهلكناهم لما اقترحوا الآيات ثم كفروا بها فماذا يؤمنهم ان يكون حالهم في سؤال الآية كحال اولئك (ولو انا اهلكناهم) يعني كفار قريش (بعذاب من قبله) اي من قبل بعث محمد ﷺ ونزول القرآن (لقالوا) يوم القيامة « ربنا لولا ارسلت الينا » اي هلا ارسلت « رسولا » يدعونا إلى طاعتك ويرشدنا إلى دينك (فنتبع آياتك) اي نعمل بما فيها (من قبل ان نذل) بالعذاب (ونخزى) في جهنم وقيل من قبل ان نذل في الدنيا بالقتل والأسر ونخزى في الآخرة بالعذاب فقطعنا عذرهم بارسال الرسول فلم يبق لهم متعلق ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) يا محمد (كل متربص) اي كل واحد منا ومنكم منتظر فنحن ننتظر وعد الله لنا فيكم وانتم تتربصون بنا الدوائر (فتربصوا) انتم اي انتظروا وهذا على وجه التهديد (فستعلمون) اي فسوف تعلمون فيما بعد (من اصحاب الصراط السوي) اي اهل الدين المستقيم (ومن اهتدى) إلى طريق الحق اي انحن ام انتم وفي قوله سبحانه ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله الآية دلالة على وجوب اللطف لأنه سبحانه بين انه إنما بعث الرسول اليهم لطفا لهم وأنه لو لم يبعثه لكان لهم الحجة عليه فكان في البعثة قطع العذر وإزاحة العلة وبالله التوفيق

(سورة الانبياء)

مكية كلها وهي مائة واثنتا عشرة آية كوفي واحدى عشرة آية في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آية واحدة مالاينفعكم شيئاً ولا يضركم كوفي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الانبياء حاسبه الله حساباً يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن وقال ابو عبد الله «ع» من قرأ سورة الانبياء حُبّاً لها كان ممن رافق النبيين اجمعين في جنات النعيم وكان مهيباً في اعين الناس حياة الدنيا

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه سورة طه بذكر الوعيد وافتتح هذه السورة بذكر القيامة فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (٢) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٣) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٤) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٥) بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ ٱفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي وحفص قال ربي بالالف والباقون قل ربي

﴿ الحجة ﴾

من قرأ قال فإنه على اضافة القول إلى الرسول والخبر عنه ومن قرأ قل فانه على المخاطب

﴿ الاعراب ﴾

من ذكر في موضع رفع ومن مزيدة . من ربهم صفة لذكر فيجوز ان يكون في موضع جر على لفظه ويجوز ان يكون في موضع رفع على محل الجار والمجرور . استمعوه في محل النصب على الحال باضمار قد وتقديره ما يأتيهم ذكر رباني إلا مستمعاً . وهم يلعبون حال من الواو في استمعوه . لاهية قلوبهم حال من الواو في يلعبون وان شئت كان حالا بعد حال وقوله واسروا النجوى الذين ظلموا موضع الذين ظلموا يجوز ان يكون رفعاً على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان يكون على البدل من الواو في اسروا ﴿ والثاني ﴾ ان يكون مرفوعاً على الذم فيكون خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين ظلموا ﴿ والثالث ﴾ ان يكون فاعل اسروا على لغة من يقول أكلوني البراغيث وتكون الواو في اسروا حرفاً لعلامة الجمع كالتاء في قالت ولا يكون اسماً ويجوز ان يكون في موضع نصب على الذم باضمار اعني

﴿ المعنى ﴾

(اقترب للناس حسابهم) اقترب افتعل من القرب والمعنى اقترب للناس وقت حسابهم يعني القيامة كما قال

اقتربت الساعة أي دنا وقت محاسبة الله اياهم ومسألتهم عن نعمه هل قابلوها بالشكر وعن اوامره هل امتثلوها وعن نواهيه هل اجتنبوها وانما وصف ذلك بالقرب لأنه آت وكل ما هو آت قريب ولأن احد اشراط الساعة مبعث رسول الله ﷺ فقد قال بعثت أنا والساعة كهاتين وايضاً فإن الزمان يقرب بكثرة ما مضى وقلة ما بقي فيكون يسيراً بالاضافة إلى ما مضى (وهم في غفلة) من دنوها وكونها (معرضون) عن التفكر فيها والتأهب لها وقيل عن الإيمان بها وتضمنت الآية الحث على الاستعداد ليوم القيامة (ما يأتيهم من ذكر من ربهم) يعني القرآن (محدث) اي محدث التنزيل مبتدأ التلاوة كنزول سورة بعد سورة وآية بعد آية (إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم) أي لم يستمعوه استماع نظر وتدبر وقبول وتفكر وإنما استمعوه استماع لعب واستهزاء وقال ابن عباس معناه يستمعون القرآن مستهزئين غافلة قلوبهم عما يراد بهم (وأسروا النجوى) أي تناجوا فيما بينهم يعني المشركين ثم بيّن من هم فقال (الذين ظلموا) أي اشركوا بالله ثم بيّن سبحانه سرّهم الذي تناجوا به فقال (هل هذا الا بشر مثلكم) اي انه آدمي مثلكم ليس مثل الملائكة (أفتأتون السحر وانتم تبصرون) أي أفتقبلون السحر وانتم تعلمون انه سحر تقروا الناس عنه بشيئين ﴿ أحدهما ﴾ انه بشر ﴿ والآخر ﴾ ان ما أتى به سحر وقيل ان اسروا معناه اظهروا هذا القول لأن هذا اللفظ مشترك بين الاخفاء والاظهار والأول اصح ثم امر سبحانه نبيه فقال (قل) يا محمد (ربي) الذي خلقني واصطفاني (يعلم القول في السماء والأرض) أي يعلم اسرار المتناجين لا يخفى عليه شيء من ذلك (وهو السميع) لأقوالهم (العليم) بأفعالهم وضمائرهم (بل قالوا اضغاث احلام) بل للاضراب عما حكي سبحانه انهم قالوه اولا وللاخبار عما قالوه ثانياً اي قالوا ان القرآن تخاليط احلام رآها في المنام عن قتادة (بل افتراه) أي ثم قالوا لا بل افتراه اي تخرصه وافتعله (بل هو شاعر) أي ثم قالوا بل هو شاعر وهذا قول المتحير الذي بهره ما سمع فمرة يقول سحر ومرة يقول شعر ومرة يقول حلم ولا يجزم على امر واحد وهذه مناقضة ظاهرة (فليأتنا بآية كما ارسل الأولون) معناه فليأتنا بآية ظاهرة يستدركها الخاص والعام كما اتى بها الاولون من الأنبياء قال ابن عباس بآية مثل الناقة والعصا وقال الزجاج اقترحوا بالآيات التي لا يكون معها امهال وفي قوله سبحانه ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث دلالة ظاهرة على ان القرآن محدث لأنه تعالى أراد بالذكر القرآن بدلالة قوله وهذا ذكر مبارك أنزلناه وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقد وصفه بأنه محدث ويوضحه قوله الا استمعوه

قوله تعالى (٦) مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٧) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٨) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٩) ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (١٠) لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ نوحي بالنون حفص عن عاصم والباقون يوحى وقد تقدّم ذكره في سورة يوسف (ع)

﴿ الاعراب ﴾

اهلكناها في موضع الجر لأنه صفة قرية حسدا واحد بمعنى الجمع أي وما جعلناهم اجسادا بمعنى ذوي اجساد ولذلك قال لا يأكلون وتقديره غير آكلين الطعام ومن نشاء في موضع نصب عطفا على هم من قوله فأنجيناهم

﴿ المعنى ﴾

لما تقدّمت الحكاية عن الكفار بأنهم اقترحوا الآيات قال سبحانه مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم من قرية

أهلكناها) أي لم يؤمن قبل هؤلاء الكفار من أهل قرية جاءتهم الآيات التي طلبوها فأهلكناهم مصرين على الكفر (أفهم يؤمنون) عند مجيئها هذا اخبار عن حالهم وان سبيلهم سبيل من تقدّم من الأمم طلبوا الآيات فلم يؤمنوا بها واهلكوا فهؤلاء ايضا لو أتاهم ما اقترحوه لم يؤمنوا ولاستحقوا عذاب الاستئصال وقد حكم سبحانه في هذه الآية ان لا يعذبهم عذاب الاستئصال فلذلك لم يجبهم في ذلك وقيل ما حكم الله سبحانه بهلاك قرية الا وفي المعلوم انهم لا يؤمنون فلذلك لم يأت هؤلاء بالآيات المقترحة (وما أرسلنا قبلك) يا محمد (إلا رجالا) هذا جواب لقولهم وما هذا إلا بشر مثلكم والمعنى لم نرسل قبلك يا محمد إلا رجالا من بني آدم (نوحي اليهم) لا ملائكة لأن الشكل الى الشكل أميل وبه آنس وعنه افهم ومن الالفة منه ابعد (فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) اختلف في المعنى باهل الذكر على اقوال فروى عن علي (ع) انه قال نحن أهل الذكر وروى ذلك عن ابي جعفر (ع) وبعضده أن الله تعالى سمى النبي ﷺ ذكرا رسولا في قوله ذكرا رسولا وقيل أهل الذكر أهل التوراة والإنجيل عن الحسن وقتادة وقيل هم اهل العلم باخبار من مضى من الامم وقيل هم اهل القرآن والذكر هو القرآن وهم العلماء بالقرآن عن ابن زيد (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين) اي باقين لا يموتون هذا ردّ لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ومعناه وما جعلنا الانبياء قبلك اجساداً لا يأكلون الطعام ولا يموتون حتى يكون اكلك الطعام وشربك وموتك علة في ترك الايمان بك فإنا لم نخرجهم عن حدّ البشرية بالوحي قال الكلبي الجسد المجسد الذي فيه الروح ويأكل ويشرب فعلى هذا يكون ما يأكل ويشرب جسما وقال مجاهد الجسد ما لا يأكل ولا يشرب فعلى هذا يكون ما يأكل ويشرب نفساً (ثم صدقناهم الوعد) اي صدقناهم الوعد بأن العاقبة الحميدة تكون لهم ومعناه انجزنا ما وعدناهم به من النصر والنجاة والظهور على الاعداء وما وعدناهم به من الثواب (فأنجيناهم ومن نشاء) اي فأنجيناهم من اعدائهم وانجينا معهم من نشاء من المؤمنين بهم (واهلكنا المسرفين) على انفسهم بتكذيبهم الأنبياء قال قتادة المسرفين هم المشركون وهذا تخويف لكفار مكة ثم ذكر نعمته عليهم بانزال القرآن فقال (لقد انزلنا اليكم) يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) أي فيه شرفكم ان تمسكتم به كقوله وانه لذكر لك ولقومك وقيل هو خطاب للعرب لأنه انزل القرآن بلغتهم وقيل هو خطاب لجميع المؤمنين لأن فيه شرفاً للمؤمنين كلهم وقيل ان معناه فيه ذكر ما تحتاجون اليه من امر دينكم ودنياكم عن الحسن وقيل فيه ذكر مكارم الاخلاق ومحاسن الأفعال لتتمسكوا بها (أفلا تعقلون) ما فضلتم به على غيركم وقيل معناه أفلا تتدبرون فتعلمون ان الأمر على ما قلناه

قوله تعالى (١١) وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١٢) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٣) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ. (١٤) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٥) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٦) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٧) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (١٨) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٩) وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (٢٠) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (عشر آيات)

﴿ اللغة ﴾

القصم الكسر يقال قصمه يقصمه وهو قاصم الجبابرة والانشاء الايجاد ونظيره الاختراع والابداع والركض العدو بشدة الوطئ وركض دابته ضربها برجله حتى تعدو وارتكاض الصبي اضطرابه في الرحم والترفه النعمة والمترفه المتنعم والزاهق من الاضداد يقال للهالك زاهق وللسمين من الدواب زاهق وزهقت نفسه تزهق زهوقاً أي تلفت والدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ يقال دمغه يدمغه إذا أصاب دماغه ومنه في صفة النبي ﷺ للدامغ جيشات الاباطيل والاستحسار الانقطاع من الاعياء يقال بعير حسير أي معي وأصله من قولهم حسر عن ذراعيه فالمعنى انه كشف قوته باعياء وجمل حسري قال علقمة بن عبدة

بِهَا جِيَفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَبِيضٌ وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ

﴿ الإعراب ﴾

كم في موضع نصب بأنه مفعول قصمنا ومن قرية في موضع نصب على التمييز ويجوز ان يكون صفة لكم والتقدير كثيراً من القرى قصمنا. إذا ظرف لمكان العامل فيه يركضون وتلك في موضع رفع اسم زالت ودعواهم في موضع نصب خبر زالت وجائز ان يكون دعواهم اسما وتلك خبراً. ان كنا فاعلين أي ما كنا فاعلين ويجوز ان تكون ان للشرط أي ان كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله اتخذناه من لدنا ومن عنده مبتدأ ولا يستكبرون خبره ويجوز ان يكون ومن عنده معطوفاً على من في السموات فيكون لا يستكبرون في موضع الحال فالمعنى غير مستكبرين وكذا لا يستحسرون ويسبحون ولا يفترون كلها أحوال على هذا

﴿ المعنى ﴾

ثم بيّن سبحانه ما فعله بالمكذبين فقال (وكم قصمنا) أي أهلكنا (من قرية) عن مجاهد والسدي وقيل عذبنا عن الكلبي (كانت ظالمة) أي كافرة يعني أهلها (وأنشأنا) أي اوجدنا (بعدها) أي بعد اهلاك أهلها (قوماً آخرين فلما أحسوا) أي فلما أدركوا بحواسهم (بأسنا) أي عذابنا (إذا هم منها يركضون) معناه إذا هم من القرية أو من العقوبة يهربون سراعاً هرب المنهزم من عدوه (لا تركضوا) أي يقال لهم تقريعاً وتوبيخاً لا تهربوا (وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم) أي وارجعوا إلى ما نعمتم فيه وإلى مساكنكم التي كفرتم وظلمتم فيها وقيل انهم لما أخذتهم السيوف انهزموا مسرعين فقالت لهم الملائكة بحيث سمعوا النداء لا تركضوا وارجعوا إلى ما خولتم ونعمتم فيه وارجعوا إلى مساكنكم وقال ابن قتيبة معناه إلى نعمكم التي اترفتكم ومساكنكم لعلكم تسألون شيئا من دنياكم والمعنى ان الملائكة استهزأت بهم فقالت لهم ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم (لعلكم تسألون) شيئا من دنياكم فإنكم أهل ثروة ونعمة يقولون ذلك استهزاء بهم هذا قول قتادة وقيل لعلكم تسألون أي يسألكم رسولكم أن تؤمنوا كما سئل قبل نزول العذاب بكم وهذا استهزاء بهم ايضا أي لا سبيل إلى هذا فتدبروا الأمر قبل حلوله وقيل لكي تسألوا عن أعمالكم وعن تنعمكم في الدنيا بغير الحق وعما استحققتم به العذاب عن الجبائي وأبي مسلم (قالوا) على سبيل التندم لما رأوا العذاب (ياويلنا إنا كنا ظالمين) لأنفسنا حيث كذبنا رسل ربنا والمعنى انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب والويل الوقوع في الهلكة (فما زالت تلك دعواهم) أي لم يزالوا يقولون ياويلنا وتلك دعواهم (حتى جعلناهم حصيدا) اي محصودا مقطوعا (خامدين) ساكني الحركات ميتين كما تخمد النار إذا انطفأت والمعنى استأصلناهم بالعذاب وأهلكناهم عن الحسن وقيل بالسيف وهو قتل بخت نصر لهم عن مجاهد وقيل نزلت في قرية باليمن قتلوا نبيا لهم يقال لها حنظلة فسلط الله عليهم بخت نصر حتى قتلهم وسباهم ونكأ فيهم حتى خرجوا من ديارهم منهزمين فبعث الله ملائكة حتى ردوهم إلى مساكنهم فقتل صغارهم وكبارهم حتى لم يبق لهم اسم ولا رسم (وما خلقنا السماء

والأرض وما بينهما لاعبين) بل خلقناهما لغرض صحيح وهو أن يكون دلالة ونعمة وتعريضا للثواب (لو اردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا) اللهو المرأة عن الحسن ومجاهد وقيل هو الولد عن ابن عباس وقيل معناه اللهو الذي هو داعي الهوى ونازع الشهوة والمعنى لو اتخذنا نساء او ولدا لاتخذناه من اهل السماء ولم نتخذه من أهل الأرض يريد لو كان ذلك جائزا عليه لم يتخذه بحيث يظهر لهم ويسر ذلك حتى لا يطلعوا عليه وقد احسن ابن قتيبة في شرح اللهو هنا فقال التفسيران في اللهو متقاربان لأن امرأة الرجل لهوه وولده لهوه ولذلك يقال امرأة الرجل وولده ريحانتاه وأصل اللهو الجماع كنى عنه باللهو كما كنى عنه بالسر ثم قيل للمرأة لهو لانها تجامع قال امرؤ القيس

أَلَا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ الْيَوْمَ أَنَّنِي ... كَبِرْتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنُ اللَّهْوَ أَمْثَالِي(١)

وتأويل الآية أن النصارى لما قالت في المسيح وامه ما قالت قال الله عز وجل لو أردنا أن نتخذ صاحبة وولدا كما تقولون لاتخذنا ذلك من عندنا ولم نتخذ من عندكم لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره (إن كنا فاعلين) أي ما كنا فاعلين عن قتادة ومجاهد وابن جريج وقيل معناه إن كنا فاعلين ذلك لاتخذناه من عندنا بحيث لا يصل عمله اليكم عن الجبائي (بل نقذف بالحق على الباطل) معناه بل نورد الأدلة القاهرة على الباطل وقيل نرمي بالحجة على الشبهة وقيل بالإيمان على الكفر (فيدمغه) أي يعلوه ويبطله وقيل يهلكه (فإذا هو زاهق) أي هالك مضمحل عن قتادة وتأويله أن الله سبحانه يظهر الحق بأدلته ويبطل الباطل فكيف يفعل الباطل واللعب (ولكم الويل مما تصفون) أي الهلاك لكم يامعشر الكفار ماتصفون الله تعالى به من اتخاذ الصاحبة والولد (وله من في السماوات والأرض) ملكا وملكا وخلقا وهذا ردٌّ ايضا على من اثبت له الولد والشريك أي وكيف يجوز عليه اتخاذ الشريك والولد (ومن عنده) يعني الملائكة الذين لهم عند الله تعالى المنزلة كما يقال عند الأمير كذا وكذا من الجند وان كانوا متفرقين في الأماكن ولا يراد بذلك قرب المسافة (لا يستكبرون عن عبادته) أي لا يأنفون ولا يترفعون عن عبادته وأراد بذلك نفي النبوة عنهم لأن احدا لا يستعبد ابنه (ولا يستحسرون) أي لا يعيبون عن قتادة والسدي وقيل لا يملون عن ابن زيد وقيل لا ينقطعون مأخوذ من البعير الحسير المنقطع بالاعياء (يسبحون) أي ينزهون الله تعالى عن جميع مالايليق بصفاته على الدوام (الليل والنهار) أي في الليل والنهار (لا يفترون) أي لا يضعفون عنه قال كعب جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس في السهولة

﴿ النظم ﴾

اتصل قوله وله من في السماوات والأرض بما تقدم من ذكر هلاك الكفار فبيّن سبحانه انه لم يهلكهم إلا بالاستحقاق لأنه سبحانه تعالى خلقهم للعبادة فلما كفروا جازاهم بكفرهم ولولا ذلك لكان خلق السماوات والأرض وما بينهما لعبا لأن خلقهما إنما هو لأجل المكلفين وخلق المكلف إنما هو لتعريض الثواب ووجه اتصال قوله من عنده لا يستكبرون عن عبادته بما قبله أن هؤلاء الذين وصفتموهم بأنهم بنات الله هم عبيد الله على اتم وجوه العبودية وذلك يحيل معنى الولادة لأن الولادة لا تكون إلا مع المجانسة

قوله تعالى (٢١) أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (٢٢) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٣) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٤) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ

(١) بسباسة : اسم امرأة .

لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٥) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٦) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٧) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٨) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٩) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٣٠) أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (عشر آيات)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر الا نوحي بالنون والباقون يوحي وقرأ ابن كثير ألم يربغير واو وكذلك هو في مصاحف مكة والباقون أولم يروا بالواو وفي الشواذ قراءة الحسن وابن محيصن الحق بالرفع فهم معرضون وقراءة الحسن أيضا وعيسى الثقفي رتقا بفتح التاء

الحجة

وجه النون انه اشبه بما تقدَّم من قوله وما أرسلنا والياء في المعنى كالنون والوجه في قراءة الحسن الحق بالرفع الاستئناف فإن الوقف في هذه القراءة على قوله لا يعلمون والتقدير هذا الحق او هو الحق فيحذف المبتدأ ويوقف على الحق ثم يستأنف فيقال فهم معرضون لأن أكثرهم لا يعلمون والوجه في قوله رتقا بفتح التاء أنه قد كثر مجيء المصدر على فعل واسم المفعول منه على فعل مفتوح العين وذلك كالنفض والنفض والطرد والطرد فالرتق على هذا يكون الشيء المرتوق كما أن النفض المنفوض والهدم المهدوم فقراءة الجماعة رتقا بسكون التاء كأنه مما وضع من المصادر موضع اسم المفعول كالصيد بمعنى المصيد والخلق بمعنى المخلوق

الإعراب

ام اتخذوا ام هذه هي المنقطعة وليست المعادلة لهمزة الاستفهام في مثل قولك ازيد عندك أم عمرو وقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إلا هذه صفة لآلهة وتقديره غير الله. عما يفعل ما هذه الأجود أن تكون مصدرية ويحتمل أن تكون اسما

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى توبيخ المشركين فقال (أم اتخذوا آلهة من الأرض) هذا استفهام معناه الجحد أي لم يتخذوا آلهة من الأرض (هم ينشرون) أي يحيون الأموات عن مجاهد يقال أنشر الله الموتى فنشروا أي أحياهم فحيوا وهو من النشر بعد الطي لأن المحيا كأنه كان مطويا بالقبض عن الإدراك فانشر بالحياة والمعنى في ذلك أن هؤلاء إذا كانوا لا يقدرون على الأحياء الذي من قدر عليه قدر على أن ينعم بالنعم التي يستحق بها العبادة فكيف يستحقون العبادة قال الزجاج ومن قرأ يَنشرون بفتح الياء فمعناه لا يموتون ابدا ويبقون احياء اي لا يكون ذلك وأقول قد يجوز أن يكون يَنشرون ويُنشرون بمعنى يقال نشر الله الميت بمعنى أنشر ثم ذكر سبحانه الدلالة على توحيده وأنه لا يجوز أن يكون معه إله سواه فقال (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) ومعناه لو كان في السماء والأرض آلهة سوى الله لفسدتا وما استقامتا وفسد من فيهما ولم ينتظم أمرهم وهذا هو دليل التمانع الذي بنى عليه المتكلمون مسألة التوحيد وتقرير ذلك انه لو كان مع الله سبحانه إله آخر لكانا قديمين والقدم من اخص

الصفات فالاشتراك فيه يوجب التماثل فيجب أن يكونا قادرين عالمين حيين ومن حق كل قادرين أن يصح كون احدهما مريدا لضد ما يريده الآخر من اماتة واحياء او تحريك وتسكين او افقار واغناء ونحو ذلك فإذا فرضنا ذلك فلا يخلو إما أن يحصل مرادهما وذلك محال واما أن لا يحصل مرادهما فينتقض كونهما قادرين واما أن يقع مراد احدهما ولا يقع مراد الآخر فينتقض كون من لم يقع مراده من غير وجه منع معقول قادرا فاذا لا يجوز أن يكون الإله إلا واحدا ولو قيل إنهما لا يتمانعان لان مايريده احدهما يكون حكمة فيريده الآخر بعينه والجواب ان كلامنا في صحة التمانع لا في وقوع التمانع وصحة التمانع يكفي في الدلالة لانه يدل على انه لا بدّ من أن يكون احدهما متناهي المقدور فلا يجوز أن يكون إلها ثم نزّه سبحانه نفسه عن أن يكون معه إله فقال (سبحان الله رب العرش عما يصفون) وإنما خصّ العرش لأنه اعظم المخلوقات ومن قدر على اعظم المخلوقات كان قادرا على ما دونه (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) معناه أن جميع افعاله حكمة وصواب ولا يقال للحكيم لم فعلت الصواب وهم يسألون لأنهم يفعلون الحق والباطل وقيل معناه انه لا يسأل عن ادعاء الربوبية وهم مسؤولون إذا ادّعوها ويدل على هذا التأويل النظم والسياق وقيل معناه لا يحاسب على افعاله وهم يحاسبون على افعالهم وقيل معناه انه لا يسأله الملائكة والمسيح عن فعله وهو يسألهم ويجازيهم فلو كانوا آلهة لم يسألوا عن افعالهم (أم اتخذوا من دونه آلهة) وهذا استفهام انكار وتوبيخ ايضا (قل هاتوا برهانكم) اي قل لهم يا محمد هاتوا حجتكم على صحة ما فعلتموه لأنهم لا يقدرون على ذلك ابدا وفي هذا دلالة على فساد التقليد لأنه طالبهم بالحجة على صحة قولهم والبرهان هو الدليل المؤدّي إلى العلم (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) اي وقل لهم يا محمد هذا القرآن ذكر من معي بما يلزمهم من الأحكام وذكر من قبلي من الأمم ممن نجا بالإيمان او هلك بالكفر عن قتادة وقيل هذا ذكر من معي بالحق في اخلاص الآلهية والتوحيد في القرآن وعلى هذا ذكر من قبلي في التوراة والإنجيل عن الجبائي . قال لان القرآن ذكر أتاه الله ومن معه والتوراة والإنجيل ذكر تلك الأمم وقال ابو عبد الله (ع) يعني بذكر من معي من معه وما هو كائن وبذكر من قبلي ما قد كان وقيل ان معناه في القرآن خبر من معي على ديني ممن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وذكر ما أنزل الله من الكتب قبلي فانظروا هل في واحد من الكتب ان الله أمر باتخاذ إله سواه فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود سواه من حيث الأمر به وقال الزجاج قل لهم هاتوا برهانكم بأن رسولا من الرسل أتى أمته بأن لهم إلها غير الله فهل في ذكر من معي وذكر من قبلي إلا توحيد الله ويدل على صحة هذا قوله فيما بعد وما ارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون فلما توجّهت الحجة عليهم ذمّهم سبحانه على جهلهم بمواضع الحق فقال (بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) عن التأمل والتفكر واختصّ الاكثر منهم لأن فيهم من آمن (وما ارسلنا من قبلك) يا محمد (من رسول) اي رسولا ومن مزيدة (إلا نوحي اليه) نحن او يوحى اليه اي يوحي الله اليه (بأنه لا إله) اي لا معبود على الحقيقة (إلا أنا فاعبدون) اي فوجهوا العبادة إليّ دون غيري (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعني من الملائكة (سبحانه) نزّه نفسه عن ذلك لأن اتخاذ الولد لا يخلو أما أن يكون على سبيل التوالد او على سبيل التبني وكلاهما لا يجوز عليه لأن الأول يقتضي ان يكون من قبيل الاجسام والثاني وهو التبني يكون بأن يقيم غير ولده مقام ولده وإذا كان حقيقة الولد مستحيلا منه فالمشبه به كذلك وليس ذلك كالخلة لأنه من الاختصاص وحقيقته جائزة عليه (بل عباد مكرمون) اي ليسوا اولاد الله كما يزعمون بل هم عباد مكرمون اكرمهم الله واصطفاهم (لا يسبقونه بالقول) اي لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم فكل اقوالهم طاعة لربهم وناهيك بذلك جلالة قدرهم (وهم بأمره يعملون) ومن كان بهذه الصفة لا يوصف بأنه ولده (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) اي ما قدموا من اعمالهم وما أخّروا منها يعني ما عملوا وما هم عاملون (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) الله دينه وقال مجاهد إلا لمن رضي الله عنه وقيل انهم أهل شهادة أن لا إله إلا الله عن ابن

عباس وقيل هم المؤمنون المستحقون للثواب وحقيقته انهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله ان يشفع له فيكون في معنى قوله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه (وهم من خشيته) اي من خشيتهم منه فأضيف المصدر إلى المفعول (مشفقون) خائفون وجلون من التقصير في عبادته (ومن يقل منهم إني إله من دونه) اي من يقل من هؤلاء الملائكة اني إله تحق لي العبادة من دون الله (فذلك) اي فذلك القائل (نجزيه جهنم) يعني إن حالهم مثل حال سائر العبيد في استحقاق الوعيد وقيل انه عنى به إبليس لأنه الذي دعا الناس إلى عبادته عن ابن جريج وقتادة وقيل إن هذا لا يصح لأن الله سبحانه علق الوعيد بالشرط ولأن إبليس ليس من الملائكة عند الاكثرين (كذلك نجزي الظالمين) يعني المشركين الذين يصفون الله بما لا يليق به وفي هذه الآية دلالة على ان الملائكة ليسوا مطبوعين على الطاعات على ما قاله بعضهم وانهم مكلفون (أو لم ير الذين كفروا) استفهام يراد به التقريع والمعنى أو لم يعلموا انه سبحانه الذي يفعل هذه الاشياء ولا يقدر عليها غيره فهو الإله المستحق للعبادة دون غيره (أن السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما) تقديره كانتا ذواتي رتق ففتقناهما ذواتي فتق والمعنى كانتا ملتزقتين منسدتين ففصلنا بينهما بالهواء عن ابن عباس والحسن والضحاك وعطا وقتادة وقيل كانت السماوات مرتتقة مطبقة ففتقناها سبع سماوات وكانت الأرض كذلك ففتقناها سبع ارضين عن مجاهد والسدي وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت ففتقنا السماء بالمطر والأرض بالنبات عن عكرمة وعطية وابن زيد وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله «ع» (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي وأحيينا بالماء الذي تنزله من السماء كل شيء حي وقيل وخلقنا من النطفة كل مخلوق حي عن ابي العالية والأول اصح وروى العياشي باسناده عن الحسن بن علوان قال سئل ابو عبد الله «ع» عن طعم الماء فقال له سل تفقها ولا تسأل تعنتا طعم الماء طعم الحياة قال الله سبحانه وجعلنا من الماء كل شيء حي وقيل معناه وجعلنا من الماء حياة كل ذي روح ونماء كل نام فيدخل فيه الحيوان والنبات والاشجار عن ابي مسلم (أفلا يؤمنون) أي أفلا يصدقون بالقرآن وبما يشاهدون من الدليل والبرهان

(النظم)

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انه سبحانه قال فاسألوا أهل الذكر هل أرسلنا قبلك إلا رجالا وهل اتخذوا آلهة من الأرض أي من الحجر والمدر والخشب فإن كله من الأرض عن ابي مسلم وقيل انه يتصل بقوله لو أردنا أن نتخذ لهوا والمعنى انهم اضافوا اليه الولد وأضافوا اليه الشريك ووجه اتصال قوله لا يسأل عما يفعل بما قبله انه لما بين التوحيد عطف عليه بيان العدل وقيل انه يتصل بقوله اقترب للناس حسابهم والحساب هو السؤال عما أنعم الله عليهم به وهل قابلوا نعمه بالشكر أم قابلوها بالكفر عن ابي مسلم ووجه اتصال قوله هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بما قبله أن ما قدمنا ذكره من التوحيد والعدل مذكور في القرآن وفي الكتب السالفة

قوله تعالى (٣١) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣٢) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٣) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٤) وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٥) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (خمس آيات)

اللغة

الرواسي الجبال رَسَت تَرسُو رَسْواً إذا ثبتت بثقلها فهي راسية كما ترسو السفينة إذا وقفت متمكنة في وقوفها والميد الاضطراب بالذهاب في الجهات والفج الطريق الواسع بين الجبلين والفلك اصله كل شيء دائر ومنه فلكة المغزل ويقال فلك ثدي المرأة تفليكاً إذا استدار والسباحة والعوم والسبح والجري بمعنى

الاعراب

أن تميد بكم في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره كراهة أن تميد بكم أو حذار أن تميد ومن قال أن لا هنا مضمرة والتقدير لأن لا تميد فلا وجه لقوله وسبلا بدل من فجاج لأن الفج هو السبيل. كل في فلك يسبحون جملة اسمية في موضع الحال وفي يتعلق بيسبحون أفإن متّ فهم الخالدون شرط وجزاء دخلت الفاء في الشرط وفي الجزاء وقوله فتنة مفعول له والمعنى للفتنة ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال اي نبلوكم فاتنين ويجوز ان يكون منصوباً على المصدر لأن البلاء بمعنى الفتنة

المعنى

ثم بيّن سبحانه كمال قدرته وشمول نعمته بأن قال (وجعلنا في الارض رواسي) اي جبالا ثوابت تمنع الارض من الحركة والاضطراب (ان تميد بهم) اي تتحرك وتميل وتضطرب بهم وقيل لتستقر عن قتادة (وجعلنا فيها) اي في الرواسي (فجاجاً) اي طرقاً واسعة بينها لولا ذلك لما امكن ان يهتدوا إلى مقاصدهم في الاسفار ثم بيّن الفجاج فقال (سبلا لعلهم يهتدون) بها الى طريق بلادهم ومواطنهم وقيل ليهتدوا بالاعتبار بها الى دينهم (وجعلنا السماء سقفاً محفوظا) اي رفعنا السماء فوق الخلق كالسقف محفوظا من الشياطين بالشهب التي ترمي بها كما قال وحفظناها من كل شيطان رجيم عن الجبائي وقيل محفوظا من ان تسقط الى الارض كما قال ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا الآية وقيل محفوظا من ان يطمع احد في أن يتعرض لها بنقض أو أن يلحقها بلى او هدم على طول الدهر عن الحسن (وهم عن آياتها) أي عن الاستدلال بما فيها من دلائل الحدوث والحاجة إلى المحدث (معرضون) أي أعرضوا عن التفكر فيها (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) أي يجرون وقيل يدورون وأراد الشمس والقمر والنجوم لأن قوله الليل يدلّ على النجوم وقال ابن عباس يسبحون بالخير والشر بالشدة والرخاء. وقيل معناه انه سبحانه جعل لكل واحد منها فلكاً يدور فيه بسرعة كالسباحة وانما قال يسبحون لأنه اضاف اليها فعل العقلاء كما قال والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وقال النابغة الجعدي

تَمَزَّزْتُها وَالدِّيكُ يَدْعُو صِبَاحَهُ ... إِذَا مَا بَنُو نَعْشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا (١)

ثم قال سبحانه (وما جعلنا لبشر من قبلك) يا محمد (الخلد) أي دوام البقاء في الدنيا (أفإن مت) انت على ما يتوقعونه وينتظرونه (فهم الخالدون) أي أفهم يخلدون بعدك يعني مشركي مكة حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فقال ان متّ فانهم ايضا يموتون فأيّ فائدة لهم في تمني موتك (كل نفس ذائقة الموت) أي لا بدّ لكل نفس حية بحياة أن يدخل عليها الموت وتخرج عن كونها حية (ونبلوكم بالشر والخير) أي نعاملكم معاملة المختبر بالفقر والغنى وبالضراء والسراء وبالشدة والرخاء عن ابن عباس وقيل بما تكرهون وما تحبّون ليظهر صبركم على ما تكرهون وشكركم فيما تحبّون عن ابن زيد وروي عن ابي عبد الله «ع» أن امير المؤمنين «ع» مرض فعاده أخوانه فقالوا كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال بشرّ قالوا ما هذا كلام مثلك قال إنّ الله تعالى يقول ونبلوكم بالشر والخير فتنة فالخير الصحة والغنى والشر المرض والفقر وقال بعض الزهاد الشر غلبة الهوى على النفس والخير العصمة عن المعاصي (فتنة) أي ابتلاء واختبار أو شدة تعبد (والينا ترجعون) أي الى حكمنا تردّون للجزاء بالأعمال حسنها وسيئها

(١) التمزز : شرب الشراب قليلا قليلا . وتصوب ضد تصعد .

النظم

يتصل قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد بما ذكر سبحانه من خلق الأشياء فإنه بيّن انه لم يخلقها للخلود وإنما خلقها ليتوصل بها إلى نعيم الآخرة فلا بدّ لكل إنسان من الموت والرجوع إلى المجزاء عن القاضي

قوله تعالى (٣٦) وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٨) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٩) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٠) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (خمس آيات)

اللغة

الهزؤ اظهار خلاف الابطان لابهام النقص عن فهم القصد يقال هزأ منه يهزأ هزؤاً فهو هازئ ومثله السخرية ويقول العرب ذكرت فلاناً أي عبته قال عنترة

لَا تَذْكُرِي مُهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ ... فَيَكُونَ جِلْدُكِ مِثْلَ جِلْدِ الْأَجْرَبِ (١)

والعجلة تقديم الشيء قبل وقته وهو مذموم والسرعة تقديم الشيء في أقرب أوقاته وهو محمود والاستعجال طلب الشيء قبل وقته الذي حقه أن يكون فيه دون غيره

الإعراب

وإذا رآك العامل في إذا اتخذوا وهو معنى قوله إن يتخذونك إلا هزواً لأن معناه اتخذوك هزوا وقوله أهذا الذي يذكر آلهتكم تقديره قائلين أهذا الذي يذكر آلهتكم فحذف قائلين وهو في موضع الحال كما حذف ذلك من قوله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم أي قائلين ما نعبدهم والباء في قوله بذكر الرحمن يتعلق بقوله كافرون وقوله حين لا يكفّون يجوز أن يكون مفعولا به ليعلم ويجوز أن يكون ظرفا له فيكون مفعول يعلم محذوفا تقديره لو يعلمون الأمر حين لا يكفون وجواب لو محذوف وتقديره لانتهوا. بغتة نصب على الحال من المفعول تقديره بل تأتيهم مبغوتين مفاجئين ويجوز أن يكون حالا من الفاعل وهو الضمير المستكن في تأتي والتقدير بل تأتيهم باغتة مفاجئة

المعنى

ثم خاطب نبيّه ﷺ وقال (وإذا رآك) أي إذا رآك يا محمد (الذين كفروا) وأنت تعيب آلهتهم وتدعوهم إلى التوحيد (إن يتخذونك) اي ما يتخذونك (إلا هزوا) أي سخرية يقول بعضهم لبعض (أهذا الذي يذكر آلهتكم) أي يعيب آلهتكم وذلك قوله إنها جماد لا ينفع ولا يضرّ (وهم بذكر الرحمن) اي بتوحيده وقيل بكتابه المنزل (هم كافرون) أي جاحدون عجب الله سبحانه نبيّه ﷺ منهم حيث جحدوا الحي المنعم القادر العالم الخالق الرزاق واتخذوا ما لا ينفع ولا يضرّ ثم ان من دعاهم إلى تركها اتخذوه وهم احق بالهزؤ عند من يدبّر حالهم (خلق الإنسان من عجل) قيل فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ ان المعني بالإنسان آدم ثم انه قيل في عجل ثلاث تأويلات منها انه خلق بعد خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة وهو آخر أيام السنة على سرعة معاجلا به غروب الشمس عن مجاهد ومنها ان معناه في سرعة من خلقه لأنه لم يخلقه من

(١) المهر : ولد الفرس .

نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره وإنما انشأه انشاء فكأنه سبحانه نبّه بذلك على الآية العجيبة في خلقه ومنها ان آدم «ع» لما خلق وجعلت الروح في أكثر جسده وثب عجلان مبادرا إلى ثمار الجنة وقيل همّ بالوثوب فهذا معنى قوله من عجل عن ابن عباس والسدي وروي ذلك عن ابي عبد الله «ع» والقول الثاني ان المعني بالإنسان الناس كلهم ثم اختلف في معناه على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه خلق الإنسان عجولا اي خلق على حب العجلة في امره عن قتادة وابي مسلم والجبائي قال يعني انه يستعجل في كل شيء يشتهيه وللعرب عادة في استعمالهم هذا اللفظ عند المبالغة يقولون لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلق إلا من نوم وبكثرة وقوع الشر منه ما خلق إلا من شر ومنه قول الخنساء في وصف البقرة « فإنما هي إقبال وادبار » ﴿ وثانيها ﴾ انه من المقلوب والمعنى خلقت العجلة من الإنسان عن ابي عبيدة وقطرب وهذا ضعيف لأنه مع حمل كلامه تعالى على القلب يحتاج إلى تأويل فلا فائدة في القلب ﴿ وثالثها ﴾ ان العجل هو الطين عن ابي عبيدة وجماعة واستشهدوا بقول الشاعر

وَالنَّبْعُ يَنْبُتُ بَيْنَ الصَّخْرِ ضَاحِيَةً ... وَالنَّخْلُ تَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ

ورواه ثعلب وَالنَّبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ مَنْبِتُهُ فعلى هذا يكون كقوله وبدأ خلق الإنسان من طين ﴿ ورابعها ﴾ ان معناه خلق الإنسان من تعجيل من الأمر لأنه تعالى قال إنما قولنا لشيء إذا اردناه ان نقول له كن فيكون عن ابي الحسن الأخفش (سأريكم آياتي) الدالة على وحدانيتي وعلى صدق محمد ﷺ فيما يوعدكم به من العذاب (فلا تستعجلون) في حلول العذاب بكم فإنه سيدركم عن قريب قال ابن عباس في رواية عطا يريد به النضر بن الحرث وهو الذي قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر الآية ويريد بقوله سأريكم آياتي القتل يوم بدر (ويقولون) يعني ويقول المشركون للمسلمين (متى هذا الوعد) الذي تعدوننا يريدون وعد القيامة (إن كنتم صادقين) اي ويقولون ان كنتم صادقين في هذا الوعد فمتى يكون ذلك ثم قال سبحانه (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفّون عن وجوههم النار) اي لو علموا الوقت الذي لا يدفعون فيه عذاب النار عن وجوههم (ولا عن ظهورهم) يعني ان النار تحيط بهم من جميع جوانبهم (ولا هم ينصرون) وجواب لو محذوف وتقديره لعلموا صدق ما وعدوا به ولما استعجلوا ولا قالوا متى هذا الوعد ثم قال (بل تأتيهم) الساعة (بغتة) أي فجأة (فتبهتهم) اي فتحيّرهم (فلا يستطيعون ردّها) اي فلا يقدرون على دفعها (ولا هم ينظرون) اي لا يؤخرون إلى وقت آخر ولا يمهلون لتوبة او معذرة

قوله تعالى (٤١) وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤٢) قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (٤٣) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (٤٤) بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (٤٥) قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ

(خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر ولا تسمع بضم التاء الصم بالنصب والباقون ولا يسمع بفتح الياء الصم بالرفع

(الحجة)

الوجه في قراءة ابن عامر انه وجّه الخطاب الى النبي ﷺ فكأنه قال ولا تسمع انت يا محمد الصم كما قال وما انت بمسمع من في القبور لأن الله تعالى لما خاطبهم فلم يلتفتوا الى ما دعاهم اليه صاروا بمنزلة الميت الذي لا يسمع ولا يعقل ووجه قراءة الباقين انه جعل الفعل لهم ويقويه قوله إذا ما ينذرون

﴿ اللغة ﴾

الكلاءة الحفظ قال ابن هرمة

إِنَّ سُلَيْمَى وَاللهُ يَكْلَؤُهَا ضَنَّتْ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزَؤُهَا (١)

والفرق بين السخرية والهزء ان في السخرية معنى طلب الذلة لأن التسخير التذليل فأما الهزء فيقتضي طلب صغر القدر بما يظهر في القول

﴿ الإعراب ﴾

أم لهم آلهة أم هذه هي المنقطعة وتقديره بل لهم آلهة ولا يستطيعون جملة مستأنفة لأنها لا تستقيم ان تكون صفة لآلهة ولا حالا منها لأن الله وصفها بقوله تمنعهم من دوننا على زعمهم ولا يستطيعون ضدّ هذه الصفة

﴿ المعنى ﴾

لمّا تقدّم ذكر استهزاء الكفار بالنبي والمؤمنين سلّى الله سبحانه نبيّه ﷺ عند ذلك بقوله (ولقد استهزئ برسل من قبلك) كما استهزأ هؤلاء (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) اي حلّ بهم وبال استهزائهم وسخريتهم وقوله منهم يعني من الرسل (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن) اي يحفظكم من بأس الرحمن وعذابه وقيل من عوارض الآفات وهو استفهام معناه النفي تقديره لا حافظ لكم من الرحمن (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) اي بل هم عن كتاب ربهم معرضون لا يؤمنون به ولا يتفكرون فيه وقيل معناه انهم لا يلتفتون الى شيء من المواعظ والحجج ثم قال على وجه التوبيخ لهم والتقريع (ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا) تقديره ام لهم آلهة من دوننا تمنعهم من عذابنا وعقوباتنا وتمّ الكلام ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال (لا يستطيعون نصر انفسهم) فكيف ينصروهم وقيل معناه ان الكفار لا يستطيعون نصر انفسهم ولا يقدرون على دفع ما ينزل بهم من نفوسهم (ولا هم منا يصحبون) اي ولا الكفار يجارون من عذابنا عن ابن عباس قال ابن قتيبة اي لا يجيرهم منا احد لأن المجير صاحب الجار يقول العرب صحبك الله اي حفظك الله وأجارك وقيل يصحبون اي ينصرون ويحفظون عن مجاهد وقيل لا يصحبون من الله بخير عن قتادة (بل متعنا هؤلاء وآباءهم) في الدنيا بنعمها فلم نعاجلهم بالعقوبة (حتى طال عليهم العمر) اي طالت اعمارهم ففرّهم طول العمر واسباب الدنيا حتى أتوا ما أتوا (أفلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها) اي ألم يرهؤلاء الكفار أن الارض يأتيها أمرنا فننقصها بتخريبها وبموت اهلها وقيل بموت العلماء وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) قال نقصانها ذهاب علمائها وقيل معناه ننقصها من اطرافها بظهور النبي على من قاتله ارضا فأرضا وقوما فقوما فيأخذهم قراهم وارضيهم عن الحسن وقتادة ومعناه انا ننقصها من جانب المشركين ونزيدها في جانب المسلمين (أفهم الغالبون) اي أفهؤلاء الغالبون ام نحن ومعناه ليسوا بغالبين ولكنهم المغلوبون ورسول الله الغالب وقد تقدّم تفسير هذه الآية في سورة الرعد (قل إنما انذركم بالوحي) اي قل يا محمد انما انذركم من عذاب الله واخوّفكم بما اوحى الله إليّ (ولا يسمع الصم الدعاء) شبّههم بالصم الذين لا يسمعون النداء إذا نودوا لأنهم لم ينتفعوا بالسمع والمعنى انهم يستثقلون القرآن وسماعه وذكر الحق فهم في ذلك بمنزلة الاصم الذي لا يسمع (اذا ما ينذرون) اي يخوفون

النظم

إنما اتصل قوله أم لهم آلهة بقوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وتقديره افهم الخالدون أم لهم آلهة تمنع

(١) رزؤه : نقصه .

نفوسهم من الموت ومما ينزل الله بهم عن ابي مسلم وقيل اتصل بقوله من يكلؤكم اي أم لهم آلهة تكلؤهم وتمنعهم ووجه اتصال قوله قل إنما انذركم بالوحي بما قبله انه اتصل بقوله قل من يكلؤكم وتقديره لوتفكروا لعلموا انه لا عاصم من الله وان فيما انذركم به من القرآن اعظم الآيات والحجج وقيل انه اتصل بما تقدم من العظة بحال من مضى من الأمم والمعنى ان ذلك وجميع ما يعظهم به من الوحي

قوله تعالى (٤٦) وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٧) وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (٤٨) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٥٠) وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر ونافع مثقال حبة بالرفع وفي لقمان مثله والباقون بالنصب وقرأ آتينا بها بالمدّ ابن عباس وجعفر ابن محمد ومجاهد وسعيد بن جبير والعلاء بن سيابة والباقون اتينا بالقصر

الحجة

وجه النصب وان كان الظلامة مثقال حبة وهذا أحسن لتقدّم قوله فلا تظلم نفس شيئا فإذا ذكر تظلم فكأنه ذكر الظلامة كقولهم من كذب كان شرا له ووجه الرفع انه اسند الفعل إلى مثقال كما اسند في قوله وان كان ذو عسرة أي ذا عسرة وكذلك قول الشاعر (إذا كان يوم ذو كواكب اشهبا) ومن قرأ آتينا فهو فاعلنا فهو من آتى يؤاتي مواتاة عن ابن جني وروي عن الصادق (ع) انه قال معناه جازينا بها وعلى هذا فيجوز ان يكون من افعلنا ويكون مفعول آتينا محذوفا وتقديره آتيناها بها للجزاء

اللغة

النفحة الوقعة اليسيرة تقع بهم يقال نفح ينفح نفحا ونفح الطيب ينفح فله نفحة طيبة ونفحت الدابة إذا رمت بحافرها فضربت به ونفحه بالسيف إذا تناوله من بعيد واما حديث شريح انه ابطل النفح من نفح الدابة فالمعنى انه كان لا يلزم صاحبها شيئا والقسط العدل وهو مصدر يوصف به والتقدير ونضع الموازين ذوات القسط

الإعراب

شيئا انتصب على انه مفعول ثان لتظلم ويجوز أن يكون منصوبا على المصدراي لا تظلم نفس ظلما ومن رفع مثقال حبة فإنّ كان تكون تامة ومن نصب فإنّ كان ناقصة واسمها الضمير المستكن فيها العائد إلى شيء وكفى بنا حاسبين قال الزجاج انتصب قوله حاسبين على التمييز او على الحال ودخلت الباء في بنا لأنه خبر في معنى الأمر والمعنى اكتفوا بالله حسيبا وقد روي عن ابن عباس انه قرأ ضياء بغير واو ويكون على هذا منصوبا على الحال من الفرقان ويجوز ان يكون مفعولا له وبالواو يكون عطفا على الفرقان وتكون الواو داخلة على ضياء وان كان صفة في المعنى دون اللفظ كما تدخل على الصفة التي هي صفة لفظا قال سيبويه إذا قلت مررت بزيد وصاحبك وزيد هو الصاحب جاز واو قلته بالفاء لم يجز كما جاز بالواو لأن الفاء يقتضي التعقيب وتأخير الاسم من المعطوف عليه بخلاف الواو والذين يخشون في محل جر لأنه صفة للمتقين ويجوز ان يكون في محل نصب او رفع على المدح وبالغيب في محل النصب على الحال

المعنى

لما تقدم الانذار بالعذاب ذكر عقيبه (ولئن مستهم نفحة) اي اصابهم طرف من ابن عباس وقيل قليل عن ابن كيسان وقيل نصيب عن ابن جريج وقيل بعض ما يستحقونه من العقوبة عن ابي مسلم (من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين) اى يدعون بالويل والثبور عند نزوله ثم قال سبحانه (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) اي نضع الموازين ذوات القسط ليوم القيامة وقيل معناه نحضر الموازين التي لا جور فيها بل كلها عدل وقسط لاهل يوم القيامة او في يوم القيامة وقال قتادة معناه نضع العدل في المجازاة بالحق لكل احد على قدر استحقاقه فلا يبخس المثاب بعض ما يستحقه ولا يفعل بالمعاقب فوق ما يستحقه وقد سبق الكلام في الميزان في سورة الاعراف (فلا تظلم نفس شيئا) اي لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد في اساءة مسيء (وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها) اي جئنا بها والمراد احضرناها للمجازاة بها (وكفى بنا حاسبين) اي عالمين حافظين وذلك ان من حسب شيئا علمه وحفظه عن ابن عباس وقيل محصين والحسب العدّ عن السدي (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان) اي اعطيناهما التوراة يفرّق بين الحق والباطل عن مجاهد وقتادة وقيل البرهان الذي فرّق به بين حق موسى وباطل فرعون وقيل هو فلق البحر (وضياء) اي وآتيناهما ضياء وهو من صفة التوراة ايضا مثل قوله فيها هدى ونور والمعنى انهم استضاؤا بها حتى اهتدوا في دينهم (وذكرا للمتقين) يذكرونه ويعملون بما فيه ويتّعظون بمواعظه ثم وصف المتقين فقال (الذين يخشون ربهم بالغيب) اي في حال الخلوة والغيبة عن الناس وقيل في سرائرهم من غير رياء (وهم من الساعة) اي من القيامة واهوالها (مشفقون) اي خائفون (وهذا ذكر مبارك انزلناه) أراد به القرآن انه ذكر ثابت نافع دائم نفعه إلى يوم القيامة وقيل سماه مباركا لوفور فوائده من المواعظ والزواجر والامثال الداعية الى مكارم الاخلاق والافعال لما وصف التوراة اتبعه ذكر القرآن الذي آتاه نبيّنا ﷺ (أفأنتم له منكرون) استفهام على معنى التوبيخ اي فلماذا تنكرونه وتجحدونه مع كونه معجزا

النظم

وجه اتصال قصة موسى وهارون بما قبلها انه لما تقدّم ذكر الوحي بيّن عقيبه ان انزال القرآن على نبيّه ليس ببدع فقد انزل على موسى وهارون التوراة وقيل اتّصل بقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك والمعنى ان هؤلاء كما انهم استهزؤا بك مع انا انزلنا اليك الكتاب فكذلك قد انزلنا على موسى وهارون الكتاب فكذّبوهما واستهزؤا بهما

قوله تعالى (٥١) وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥٢) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٣) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٤) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٥) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٦) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٧) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٨) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٩) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٦٠) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ عشر آيات

القراءة

قرأ الكسائي جذاذا بكسر الجيم والباقون بضمها وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابي السماك بفتح الجيم

الحجة

قال ابو حاتم فيه لغات جُذاذا وجِذاذا وجَذاذا واجودها الضم كالحطام والرفات من جذذت الشيء إذا قطعته قال النابغة

تَجُذُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ ... وَيُوقِدْنَ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الْحُبَاحِبِ (١)

وقال جرير

بَنُوا الْمُهَلَّبِ جَذَّ اللهُ دَابِرَهُمْ ... أَمْسَوْا رِمَاداً فَلَا أَصْلٌ وَلَا طَرَفُ

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدّم من قصة موسى وهارون بقصة ابراهيم (ع) فقال (ولقد آتينا) اي اعطينا (إبراهيم رشده) يعني الحجج التي توصله الى الرشد من معرفة الله وتوحيده وقيل معناه هداه اي هديناه صغيرا عن قتادة ومجاهد وقيل هو النبوة (من قبل) اي من قبل موسى وقيل من قبل محمد ﷺ والقرآن وقيل من قبل بلوغه (وكنا به عالمين) انه اهل لايتاء الرشد وصالح للنبوة (إذ قال لأبيه وقومه) حين رآهم يعبدون الاصنام (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) والعامل في اذ قوله آتينا أي آتينا رشده في ذلك الوقت والتمثال اسم للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله وأصله من مثلت الشيء بالشيء إذا شبهته به واسم ذلك الممثل تمثال وجمعه تماثيل وقيل انهم جعلوها امثلة لعلمائهم الذين انقرضوا وقيل انهم جعلوها امثلة للاجسام العلوية والمعنى ما هذه الصور التي انتم مقيمون على عبادتها وروى العياشي باسناده عن الاصبغ بن نباتة ان عليا (ع) مرّ بقوم يلعبون الشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لقد عصيتم الله ورسوله (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فاقتدينا بهم اعترفوا بالتقليد إذ لم يجدوا حجة لعبادتهم إياها سوى اتباع الآباء (قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) اي في ذهاب عن الحق ظاهر ذمّهم على تقليد الآباء ونسبهم في ذلك إلى الضلال (قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) معناه أجادّ انت فيما تقول محقّ عند نفسك ام لاعب مازح وإنما قالوا ذلك لاستبعادهم انكار عبادة الاصنام عليهم إذ ألفوا ذلك واعتادوه (قال بل ربكم رب السماوات والارض الذي فطرهن) اي بل إلهكم إله السماوات والارض الذي خلقهنّ وابتدأهنّ فدلّ على الله سبحانه بصنعه (وأنا على ذلكم من الشاهدين) ومعنى هذه الشهادة تحقيق الاخبار والشاهد الدال على الشيء عن مشاهدة فابراهيم (ع) شاهد بالحق لأنه دالّ عليه بما يرجع إلى ثقة المشاهدة ثم اقسم إبراهيم (ع) فقال (وتالله لأكيدن أصنامكم) اي لادبرن في بابهم تدبيرا خفيا يسوءكم ذلك وقيل إنما قال ذلك في سرّ من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل منهم فأفشاه عن قتادة ومجاهد (بعد ان تولّوا مدبرين) اي بعد ان تنطلقوا ذاهبين قالوا كان لهم في كل سنة مجمع وعيد إذا رجعوا منه دخلوا على الاصنام وسجدوا لها فقالوا لابراهيم (ع) الا تخرج معنا فخرج فلما كان ببعض الطريق قال اشتكي رجلي وانصرف (فجعلهم جذاذا) اي فجعل اصنامهم قطعا قطعا عن قتادة وقيل حطاما عن ابن عباس (إلا كبيرا لهم) تركه على حاله ويجوز ان يكون كبيرهم في الخلقة ويجوز ان يكون اكبرهم عندهم في التعظيم قالوا جعل يكسرهم بفأس في يده حتى لم يبق إلا الصنم الكبير علّق الفأس في عنقه وخرج (لعلهم اليه يرجعون) اي لعلهم يرجعون إلى ابراهيم فيسألونه عن حال الاصنام لينبّههم على جهلهم وقيل لعلّهم يرجعون الى الكبير فيسألونه وهو لا ينطق فيعلمون جهل من اتخذوه إلها وفي الكلام هاهنا حذف تقديره فلما رجع قومه من عيدهم فوجدوا اصنامهم مكسّرة (قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين) من هذه الموصولة

(١) السلوقي : الدرع المنسوبة الى سلوق ، قرية باليمن . والصفاح : الحجر العريض . ونار الحباحب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة . قاله في وصف السيوف . وفي اللسان «نقد السلوقي» .

تقديره الذي فعل هذا بآلهتنا فإنه ظالم لنفسه لأنه يقتل إذا علم به وقيل انهم قالوا من فعل هذا استفهموا عمن صنع ذلك وانكروا عليه فعله بقولهم انه لمن الظالمين إذ فعل ما لم يكن له ان يفعله (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) اي قال الرجل الذي سمع من إبراهيم قوله لاكيدنّ اصنامكم للقوم ما سمعه منه فقالوا سمعنا فتى يذكرهم بسوء وقيل انهم قالوا سمعنا فتى يعيب آلهتنا ويقول انها لا تضرّ ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع فهو الذي كسرها وعلى القول الأول فإنما قالوا سمعنا فتى وان لم يسمعوه كما يقال سمعت الله يقول او سمعت الرسول يقول إذا بلغك عنه رسالة على لسان ثقة صدوق وقوله يقال له إبراهيم ارتفع ابراهيم على وجهين ﴿ احدهما ﴾ يقال له هو ابراهيم والمعروف به ابراهيم وعلى النداء اي يقال له يا ابراهيم عن الزجاج

قوله تعالى (٦١) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦٢) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٣) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٤) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٥) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٦) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٧٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٨) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٩) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٧٠) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (عشر آيات)

﴿ اللغة ﴾

النكس هو ان يجعل اسفل الشيء اعلاه ومنه النكس في العلة وهو ان يرجع الى أول حاله ومنه النكس وهو السهم فوقه فيجعل اعلاه اسفله ويقال للمائق ايضا نكس تشبيها بذلك

﴿ الإعراب ﴾

على اعين الناس في موضع الحال اي مرئيا مشهودا بل فعله كبيرهم هذا من وقف على فعله ففاعله مضمر وتقديره فعله من فعله وكبيرهم مبتدأ وهذا خبره ومن لم يقف على فعله فكبيرهم فاعله وهذا يكون صفة لكبيرهم او بدلا عنه وجواب الشرط الذي هو قوله ان كانوا ينطقون محذوف يدل عليه قوله بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم على الوجه الثاني ويقتضي ان يكون للشرط جزآن على هذا والجزاء الثاني معطوف على الأول التقدير ان كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا فسألوهم والمعنى إن لم يقدروا على النطق لم يقدروا على الفعل

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه ما جرى بين ابراهيم وقومه في أمر الاصنام بقوله (قالوا) يعني قوم ابراهيم (فأتوا به) اي فجيئوا به (على اعين الناس) اي بحيث يراه الناس ويكون بمشهد منهم (لعلهم يشهدون) عليه بما قاله فيكون ذلك حجة عليه بما فعل عن الحسن وقتادة والسدي قالوا كرهوا ان يأخذوه بغير بيّنة وقيل معناه لعلهم يشهدون عقابه وما يصنع به اي يحضرونه عن ابن اسحاق والضحاك (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم) المعنى فلما جاؤا به قالوا له هذا القول مقررين له على ذلك فأجابهم إبراهيم (ع) بأن (قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم ان كانوا ينطقون) اختلفوا في معناه وتقديره على وجوه ﴿ احدها ﴾ انه مقيّد بقوله ان كانوا ينطقون والتقدير فقد فعله كبيرهم ان نطقوا فسألوهم فقد علّق الكلام بشرط لا يوجد فلا يكون كذبا ويكون كقول القائل

فلان صادق فيما يقول ان لم يكن فوقنا سماء ﴿ وثانيها ﴾ انه خرج مخرج الخبر وليس بخبر انما هو الزام يدلُّ عليه الحال فكأنه قال ما ينكرون ان يكون فعله كبيرهم هذا والالزام يأتي تارة بلفظ السؤال وتارة بلفظ الأمر وتارة بلفظ الخبر وربما يكون احد هذه الامور ابلغ فيه ووجه الالزام ان هذه الاصنام ان كانت آلهة كما تزعمون فإنما فعل ذلك بهم كبيرهم لأن غير الإله لا يقدر ان يكسر الآلهة ﴿ وثالثها ﴾ ان تقديره فعله من فعله على ما تقدَّم ذكره وهو قول الكسائي وأما ما ذكر فيه انه أراد به الخبر عن الكبير وقال انه غضب من ان يعبد معه الصغار فكسرهنَّ وما روي في ذلك من ان ابراهيم (ع) كذب ثلاث كذبات قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله في سارة لما أراد الجبار اخذها وكانت زوجته انها اختي فما لا يعوَّل عليه فقد دلَّت الأدلة العقلية التي لا تحتمل التأويل على ان الانبياء لا يجوز عليهم الكذب وان لم يقصدوا به غرورا ولا ضررا كما لا يجوز عليهم التعمية في الاخبار ولا التقية لأن ذلك يؤدّي الى التشكك في اخبارهم وكلام ابراهيم (ع) يجوز ان يكون من المعاريض فقد ابيح ذلك عند الضرورة وقد صحَّ عن النبي ﷺ انه قال ان الكذب لايصلح في جد ولاهزل وقد قيل في تفسير قوله اني سقيم اي سأسقم لأنه لما نظر الى بعض علم النجوم وقت نوبة حمى كانت تأتيه فقال اني سأسقم وقيل معناه اني سقيم عندكم فيما ادعوكم اليه وسنذكر الكلام فيه في موضعه وأما قوله في سارة انها اختي فإنما أراد في الدين قال سبحانه انما المؤمنون اخوة وقد دلَّ الدليل العقلي على ان الكذب قبيح لكونه كذبا فلا يحسن على وجه من الوجوه (فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون) معناه فرجع بعضهم إلى بعض وقال بعضهم لبعض انتم الظالمون حيث تعبدون ما لا يقدر على الدفع عن نفسه وما نرى الامر إلا كما قال وقيل معناه فرجعوا الى عقولهم وتدبَّروا في ذلك إذ علموا صدق ابراهيم فيما قاله وحاروا عن جوابه فأطلقهم الله بالحق فقالوا انكم انتم الظالمون هذا الرجل في سؤاله وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها (ثم نكسوا على رؤوسهم) اذ تحيَّروا وعلموا انهما لا تنطق ثم اعترفوا بما هو حجة عليهم فقالوا (لقد علمت)يا ابراهيم (ما هؤلاء ينطقون) فكيف نسألهم فأجابهم ابراهيم بعد اعترافهم بالحجة (قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم) اي افتوجِّهون عبادتكم الى الاصنام التي لا تنفعكم شيئا ان عبدتموها ولا تضركم ان تركتموها لانها لو قدرت على نفعكم وضرِّكم لدفعت عن انفسها من دون الله سبحانه الذي يقدر على ضركم ونفعكم على انه ليس كل من قدر على الضر والنفع استحقَّ العبادة وانما يستحقها من قدر على اصول النعم التي هي الحياة والشهوة والقدرة وكمال العقل وقدر على الثواب والعقاب ثم قال ابراهيم (ع) مُهجِّنًا لافعالهم مستقذرا لها (أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله) قال الزجاج معنى اف لكم تبًّا لأعمالكم وافعالكم وقد ذكرنا اختلاف القراء فيه وما قيل في تفسيره في سورة بني اسرائيل (أفلا تعقلون) اي أفلا تتفكرون بعقولكم في ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة (قالوا حرِّقوه) والمعنى فلما سمعوا منه هذا القول قال بعضهم لبعض حرِّقوه بالنار (وانصروا آلهتكم) اي وادفعوا عنها وعظِّموها (ان كنتم فاعلين) اي ان كنتم ناصريها والمعنى فلا تنصرونها إلا بتحريقه بالنار قال ابن عمر ومجاهد ان الذي أشار بتحريق ابراهيم بالنار رجل من اكراد فارس فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال وهب انما قاله نمرود وفي الكلام حذف قال السدي فجمعوا الحطب حتى ان الرجل منهم ليمرض فيوصي بكذا وكذا من ماله فيُشترى به حطب وحتى ان المرأة لتغزل فتشتري به حطبا حتى بلغوا من ذلك ما أرادوا فلما أرادوا ان يلقوا ابراهيم في النار لم يدروا كيف يلقونه فجاء إبليس فدلهم على المنجنيق وهو اول منجنيق صنعت فوضعوه فيها ثم رموه (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) معناه فلما جمعوا الحطب والقوه في النار قلنا للنار ذلك وهذا مثل فإن النار جماد لايصح خطابه والمراد انا جعلنا النار بردا عليه وسلامة لا يصيبه من اذاها شيء كما قال سبحانه وتعالى كونوا قردة خاسئين والمعنى انه صيَّرهم كذلك لا انه خاطبهم وأمرهم بذلك وقيل يجوز ان يتكلم الله سبحانه بذلك

ويكون ذلك صلاحاً للملائكة ولطفاً لهم وذكر في كون النار بردا على ابراهيم وجوه ﴿ احدها ﴾ ان الله سبحانه احدث فيها بردا بدلا من شدة الحرارة التي فيها فلم تؤذه ﴿ وثانيها ﴾ ان الله سبحانه حال بينها وبينه فلم تصل اليه ﴿ وثالثها ﴾ ان الاحراق انما يحصل بالاعتمادات التي في النار صعدا فيجوز ان يذهب سبحانه تلك الاعتمادات وعلى الجملة فقد علمنا ان الله سبحانه منع النار من احراقه وهو اعلم بتفاصيله قال ابو العالية لو لم يقل سبحانه وسلاما لكانت تؤذيه من شدة بردها ولكان بردها أشد عليه من حرها فصارت سلاما عليه ولو لم يقل على ابراهيم لكان بردها باقيا على الابد وقال ابو عبد الله (ع) لما اجلس ابراهيم في المنجنيق وأرادوا ان يرموا به في النار اتاه جبرائيل (ع) فقال السلام عليك يا ابراهيم ورحمة الله وبركاته ألك حاجة فقال أما اليك فلا فلما طرحوه دعا الله فقال يا الله يا واحد يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احدا فحسرت النار عنه وانه لمحتبٍ ومعه جبرائيل (ع) وهما يتحدثان في روضة خضراء. وروى الواحدي بالاسناد مرفوعا الى انس بن مالك عن النبي ﷺ قال ان نمرود الجبار لما القى ابراهيم (ع) في النار نزل اليه جبرائيل (ع) بقميص من الجنة وطنفسة[1] من الجنة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه تمام الخبر وقال كعب ما احرقت النار من ابراهيم (ع) غير وثاقه وقيل ان ابراهيم (ع) القي في النار وهو ابن ست عشرة سنة (وأرادوا به كيدا) معناه ان الكفار أرادوا بابراهيم (ع) كيدا اي شرّاً وتدبيرا في اهلاكه (فجعلناهم الاخسرين) قال ابن عباس هو ان سلّط الله على نمرود وبيطه البعوض حتى اخذت لحومهم وشربت دماءهم ووقعت واحدة في دماغه حتى اهلكته والمعنى انهم كادوه اراد ان يكيدوه بسوء فانقلب عليهم ذلك

قوله تعالى (٧١) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧٢) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٣) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٤) وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (٧٥) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ خمس آيات

اللغة

النافلة العطية الخاصة والنفل النفع الذي يجر الحمد فيما زاد على حد الواجب ومنه النافلة للصلاة وهي الفضل على الفرائض وقيل النافلة الغنيمة قال« لله نافلة الاعز الافضل »[2]

— الاعراب —

نافلة نصب على الحال من يعقوب وقيل انه نصب على المصدر من وهبنا وتقديره وهبنا له هبة ويهدون صفة لائمة ومفعولاه محذوفان تقديره يهدون الناس الطريق وحذف التاء من اقامة لأن الإضافة عوض عنها ولا يجوز ذلك في غير الإضافة لا يقال اقام إقاما كما يقال اقامة ولوطا منصوب بفعل مضمر يفسّره هذا الظاهر تقديره وآتينا لوطا آتيناه الا انه اذا ذكر المحذوف لم يذكر الموجود والنصب في لوطا احسن لتكون الجملة فعلية معطوفة على جملة فعلية وفاسقين يجوز ان يكون منصوبا بكونه صفة لقوم سوء ويجوز ان يكون خبر الكان ويكون خبرا بعد خبر

— المعنى —

ثم بيّن سبحانه تمام نعمته على ابراهيم (ع) فقال (ونجيناه) اي من نمرود وكيده والمعنى ورفعناه (ولوطا)

(١) الطنفسة : البساط . الحصير . (٢) هذا عجز بيت للبيدبن ربيعة .

عن الهلكة وهو ابن اخي ابراهيم فآمن به (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) اختلف فيها فقيل هي ارض الشام اي نجينا من كوثى الى الشام من قتادة قال وانما قال باركنا فيها لأنها بلاد خصب وقيل إلى ارض بيت المقدس لأن بها مقام الانبياء عن الجبائي وقيل نجاهما الى مكة كما قال ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا عن ابن عباس (ووهبنا له اسحاق) اي وهبنا لابراهيم اسحاق حين سأل الولد فقال رب هب لي من الصالحين (ويعقوب نافلة) قال ابن عباس وقتادة نافلة راجع الى يعقوب فإنه زاده من غير دعاء فهو نافلة وقيل انه راجع إلى اسحاق ويعقوب جميعا لأنه اعطاهما اياه من غير جزاء ولا استحقاق عن مجاهد (وكلا جعلنا صالحين) اي وجعلنا ابراهيم واسحاق ويعقوب صالحين للنبوة والرسالة وقيل معناه حكمنا بكونهم صالحين وهو غاية ما يوصف به من الثناء الجميل (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم في افعالهم واقوالهم يهدون الخلق الى طريق الحق والى الدين المستقيم (بأمرنا) فمن اهتدى بهم في اقوالهم وافعالهم فالنعمة لنا عليه (واوحينا اليهم فعل الخيرات) قال ابن عباس شرائع النبوة (وإقام الصلاة) اي إقامة الصلاة (وإيتاء الزكاة) اي اعطاء الزكاة (وكانوا لنا عابدين) اي مخلصين في العبادة (ولوطا آتيناه حكما وعلما) ومعناه واعطينا لوطا حكمة وعلما وقيل الحكم النبوة وقيل هو الفصل بين الخصوم بالحق اي جعلناه حاكما وعلّمناه ما يحتاج الى العلم به (ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) وهي قرية سدوم على ما روي والخبائث التي كانوا يعملونها هي انهم كانوا يأتون الذكران في ادبارهم ويتضارطون في انديتهم وقيل هي ماحكى الله تعالى انكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر وغير ذلك من القبائح وأراد بالقرية اهلها ثم ذمّهم فقال (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) اي خارجين من طاعة الله تعالى « وادخلناه في رحمتنا » اي في نعمتنا ومنتنا « انه من الصالحين » اي بسبب انه من الصالحين الذين اصلحوا افعالهم فعملوا بما هو الحسن منها دون القبيح وقيل أراد بكونه من الصالحين انه من الانبياء

قوله تعالى (٧٦) وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٧) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٨) وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٩) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٨٠) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم وروح وزيد عن يعقوب لتحصنكم بالتاء. وقرأ ابو بكر عن عاصم ورويس عن يعقوب لنحصنكم بالنون والباقون ليحصنكم بالياء.

الحجة

من قرأ بالياء فيجوز أن يكون الفاعل اسم الله لتقدم قوله علمناه ويجوز ان يكون اللباس لأن اللبوس بمعنى اللباس ويجوز ان يكون داود ومن قرأ بالتاء حمله على المعنى لأنه الدرع مؤنث ومن قرأ بالنون فلتقدم قوله علمناه

اللغة

النفش بفتح الفاء وسكونها ان تنتشر الابل والغنم بالليل فترعى بلا راع وابل نفاش واللبوس اسم للسلاح

كله عند العرب درعا او جوشنا او سيفا أو رمحا قال الهذلي يصف رمحا

وَمَعِي لَبُوسٌ لِلْبَئِيسِ كَأَنَّهُ رَوْقٌ بِجَبْهَةِ ذِي نِعَاجٍ مُجْفِلِ(١)

وقيل هو كل ما يلبس من ثياب ودرع وقيل هو الدرع وأصل اللباس من الاختلاط ومنه سميت المرأة لباسا وسمي الليل لباسا لأنه يباشر الناس بظلمته والإحصان الإحراز وأصله من المنع

﴿ الإعراب ﴾

ونوحا معطوف على قوله ولوطا وقوله إذ نفشت ظرف لقوله يحكمان وقوله وكنا لحكمهم شاهدين يجوز أن يكون في موضع الجر بالعطف على يحكمان أي وقت حكمها في الحرث وكوننا شاهدين له ويجوز أن يكون في موضع النصب على الحال وكلا منصوب لأنه مفعول أول لآتينا وحكما مفعول ثان له يسبّحن في موضع نصب على الحال من الجبال والطير عطف على الجبال ويجوز أن يكون مفعولا معه وتقديره يسبحن مع الطير فيكون الواو بمعنى مع

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه قصة نوح وداود على قصة ابراهيم (ع) ولوط فقال (ونوحا إذ نادى) أي دعا ربه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقال اني مغلوب فانتصر وغير ذلك (من قبل) أي من قبل ابراهيم ولوط (فاستجبنا له) أي أجبناه إلى ما التمسه (فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) أي من الغم الذي يصل حرّه إلى القلب وهو ما كان يلقاه من الأذى طول تلك المدة وتحمل الاستخفاف من السقاط من أعظم الكرب (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) أي منعناه منهم بالنصرة حتى لم يصلوا اليه بسوء وقيل معناه نصرناه على القوم ومِنْ بمعنى عَلى عن ابي عبيدة (انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم اجمعين) صغارهم وكبارهم وذكورهم واناثهم (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم) أي وآتينا داود وسليمان حكماً وعلماً إذ يحكمان وقيل تقديره واذكر داود وسليمان حين يحكمان في الحرث في الوقت الذي نفشت فيه غنم القوم أي تفرّقت ليلا (وكنا لحكمهم شاهدين) أي بحكمهم عالمين لم يغب عنا منه شيء وإنما جمع في موضع التثنية لإضافة الحكم إلى الحاكم وإلى المحكوم لهم وقيل لأن الاثنين جمع فهو مثل قوله إن كان له اخوة وهو يريد اخوين واختلف في الحكم الذي حكما به فقيل انه زرع وقعت فيه الغنم ليلا فأكلته عن قتادة وقيل كان كرما وقد بدت عناقيده فحكم داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يا نبي الله قال وما ذاك قال يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ويدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان ثم دفع كل واحد منهما إلى صاحبه ماله عن ابن مسعود وروي ذلك عن أبي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقال الجبائي أوحي الله تعالى إلى سليمان بما نسخ به حكم داود الذي كان يحكم به قبل ولم يكن ذلك عن اجتهاد لأنه لا يجوز للأنبياء أن يحكموا بالاجتهاد وهذا هو الصحيح المعوّل عليه عندنا وقال علي ابن عيسى والبلخي يجوز أن يكون ذلك عن اجتهاد لأن رأي النبي ﷺ أفضل من رأي غيره فإذا جاز التعبد بالتزام حكم غير النبي ﷺ من طريق الاجتهاد فكيف يمنع من حكم النبي ﷺ على هذا الوجه والذي يدلّ على صحة القول الأول ان النبي ﷺ إذا كان يوحى اليه وله طريق إلى العلم بالحكم فلا يجوز أن يحكم بالظن على ان الحكم بالظن والاجتهاد والقياس قد بيّن اصحابنا في كتبهم انه لم يتعبد بها في الشرع إلا في مواضع مخصوصة ورد النص بجواز ذلك فيها نحو قِيَم المتلفات واروش الجنايات وجزاء الصيد والقبلة وما جرى هذا المجرى وايضا فلو جاز للنبي ﷺ أن يجتهد لجاز لغيره أن يخالفه كما يجوز للمجتهدين أن يختلفا ومخالفة الأنبياء تكون كفرا هذا وقد قال الله سبحانه وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فأخبر سبحانه انه إنما ينطق عن جهة الوحي ويقوّي ما ذكرناه قوله تعالى (ففهمناها سليمان) أي علّمناه الحكومة في ذلك وقيل

(١) الروق : القرن من كل ذي قرن . والمجفل : المسرع شبه رمحه بقرن الثور الوحشي .

ان سليمان قضى بذلك وهو ابن إحدى عشرسنة وروي عن النبي ﷺ انه قضى بحفظ المواشي على اربابها ليلا وقضى بحفظ الحرث على ارباب نهاراً (وكلا آتينا حكماً وعلما) أي وكل واحد من داود وسليمان أعطيناه حكمة وقيل معناه النبوة وعلم الدين والشرع (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) قيل معناه سيرنا الجبال مع داود حيث سار فعبر عن ذلك بالتسبيح لما فيه من الآية العظيمة التي تدعو إلى تسبيح الله وتعظيمه وتنزيهه عن كل ما لا يليق به وكذلك تسخير الطير له تسبيح يدل على ان مسخرها قادر لا يجوز عليه مما يجوز على العباد عن الجبائي وعلي بن عيسى وقيل ان الجبال كانت تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير يسبح معه بالغداة والعشي معجزة له عن وهب (وكنا فاعلين) أي قادرين على فعل هذه الأشياء ففعلناها دلالة على نبوته (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أي علمناه كيف يصنع الدرع قال قتادة أول من صنع الدرع داود(ع) وإنما كانت صفائح جعل الله سبحانه الحديد في يده كالعجين فهو أول من سردها وحلقها فجمعت الخفة والتحصين وهو قوله (لتحصنكم من بأسكم) أي ليحرزكم ويمنعكم من وقع السلاح فيكم عن السدي وقيل معناه من حربكم أي في حالة الحرب والقتال فإن البأس في اللغة هو شدة القتال (فهل أنتم شاكرون) لنعم الله تعالى عليكم وعلى انبيائه قبلكم وهذا تقرير للخلق على شكره فإن انعامه على الأنبياء انعام على الخلق وقيل ان سبب إلانة الحديد لداود (ع) انه كان نبياً ملكا وكان يطوف في ولايته متنكرا يتعرف احوال عماله ومتصرفيه فاستقبله جبرئيل ذات يوم على صورة آدمي فسلم عليه فرد عليه السلام وقال ما سيرة داود فقال نعمت السيرة لولا خصلة فيه قال وما هي قال انه يأكل من بيت مال المسلمين فتنكره واثنى عليه وقال لقد اقسم داود انه لا يأكل من بيت مال المسلمين فعلم الله سبحانه صدقه فألان له الحديد كما قال وألنا له الحديد وروي ان لقمان الحكيم حضره فرآه يفعل ذلك فصبر ولم يسأله حتى فرغ من ذلك فقام ولبس وقال نعمت الجنة للحرب فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله

قوله تعالى (٨١) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨٢) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٣) وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٤) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٦) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (ست آيات)

— اللغة —

الريح هو الجو يشتد تارة ويضعف تارة وهي جسم لطيف منفش يمتنع بلطفه من القبض عليه ويظهر للحس بحركته والعصوف شدة حركة الريح عصفت تعصف عصفا وعصوفا إذا اشتدت والعصف التبن لأن الريح تعصفه بتطييرها له

— الإعراب —

ولسليمان اللام يتعلق بسخرنا والتقدير وسخرنا لداود الجبال وسخرنا لسليمان الريح عاصفة نصب على الحال تجري بأمره في موضع الحال ايضا فهو حال بعد حال ويجوز ان يكون حالا عن الحال التي هي عاصفة ومن يغوصون له عطف على الريح ومن الشياطين في موضع نصب على الحال من سخرنا وذو الحال من يغوصون له ويجوز

ان يكون حالا من يغوصون له وذو الحال الواو ومعهم في موضع نصب على انه صفة بعد صفة تقديره واهلا مثلهم كائنين معهم وانتصب رحمة بأنه مفعول له

(المعنى)

ثم عطف سبحانه بقصة سليمان على ما تقدّم فقال (ولسليمان الريح) اي وسخّرنا لسليمان الريح (عاصفة) اي شديدة الهبوب قال ابن عباس إذا أراد ان تعصف الريح عصفت وإذا أراد ان ترخي ارخيت وذلك قوله رخاء حيث اصاب (تجري بأمره) اي بأمر سليمان (الى الارض التي باركنا فيها) وهي ارض الشام لأنها كانت مأواه وقد سبق ذكرها في هذه السورة وقيل كانت الريح تجري في الغداة مسيرة شهر وفي الرواح كذلك وكان يسكن بعلبك ويبني له بيت المقدس ويحتاج الى الخروج اليها وإلى غيرها قال وهب وكان سليمان يخرج إلى مجلسه فتعكف عليه الطير ويقوم له الجن والانس حتى يجلس على سريره ويجتمع معه جنوده ثم تحمله الريح إلى حيث أراد (وكنا بكل شيء عالمين) فإنما أعطيناه ما أعطيناه لما علمناه من المصلحة (ومن الشياطين من يغوصون له) أي وسخّرنا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر فيخرجون له الجواهر واللآلئ والغوص النزول إلى تحت الماء (ويعملون عملاً دون ذلك) أي سوى ذلك من الأبنية كالمحاريب والتماثيل وغيرهما (وكنا لهم حافظين) لئلا يهربوا منه ويمتنعوا عليه وقيل يحفظهم الله من أن يفسدوا ما عملوه عن الفراء والزجاج (وأيوب إذ نادى ربه) أي واذكر يا محمد أيوب حين دعا ربه لما امتدت المحنة به (إني مسني الضر) أي نالني الضرّ وأصابني الجهد (وأنت ارحم الراحمين) أي ولا أحد أرحم منك وهذا تعريض منه بالدعاء لإزالة ما به من البلاء وهو من لطيف الكنايات في طلب الحاجات ومثله قول موسى رب اني لما انزلت إلي من خير فقير (فاستجبنا له) أي أجبنا دعاءه ونداءه (فكشفنا ما به من ضر) أي أزلنا ما به من الأوجاع والامراض وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قال ابن عباس وابن مسعود ردّ الله سبحانه عليه أهله الذين هلكوا باعيانهم واعطاه مثلهم معهم وكذلك ردّ الله عليه أمواله ومواشيه باعيانها وأعطاه مثلها معها وبه قال الحسن وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقيل انه خُيِّر أيوب فاختار احياء أهله في الآخرة ومثلهم في الدنيا فأوتي على ما اختار عن عكرمة ومجاهد قال وهب وكان له سبع بنات وثلاثة بنين وقال ابن يسار سبعة بنين وسبع بنات (رحمة من عندنا) أي نعمة منّا عليه (وذكرى للعابدين) أي موعظة لهم في الصبر والانقطاع إلى الله تعالى والتوكل عليه لأنه لم يكن في عصر أيوب أحد اكرم على الله منه فابتلاه بالمحن العظيمة فأحسن الصبر عليها فينبغي لكل عاقل إذا أصابته محنة أن يصبر عليها ولا يجزع ويعلم ان عاقبة الصبر محمودة (واسماعيل وادريس وذا الكفل) أي واذكر هؤلاء الأنبياء وما انعمت عليهم من فنون النعمة ثم قال (كل من الصابرين) صبروا على بلاء الله والعمل بطاعته فأما اسماعيل فإنه صبر ببلد لا زرع به ولا ضرع وقام ببناء الكعبة وأما ادريس فإنه صبر على الدعاء إلى الله وكان أول من بعث إلى قومه فدعاهم إلى الدين فأبوا فأهلكهم الله تعالى ورفعه إلى السماء السادسة وأما ذو الكفل فاختلف فيه فقيل انه كان رجلا صالحاً ولم يكن نبيا ولكنه تكفل لنبي بصوم النهار وقيام الليل وان لا يغضب ويعمل بالحق ففي بذلك فشكر الله ذلك له عن ابي موسى الأشعري وقتادة ومجاهد وقيل هو نبي اسمه ذو الكفل عن الحسن قال ولم يقص الله خبره مفصلا وقيل هو اليأس عن ابن عباس وقيل كان نبياً وسمي ذا الكفل بمعنى انه ذو الضعف فله ضعف ثواب غيره ممن هو في زمانه لشرف عمله عن الجبائي وقيل هو اليسع بن خطوب الذي كان مع الياس وليس اليسع الذي ذكره الله في القرآن تكفل لملك جبار إن هو تاب دخل الجنة ودفع اليه كتابا بذلك فتاب الملك وكان اسمه كنعان فسمي ذا الكفل والكفل في اللغة هو الخط وفي كتاب النبوة بالاسناد عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال كتبت إلى أبي جعفر (ع) أسأله عن ذي الكفل

وما اسمه وهل كان من المرسلين فكتب (ع) ان الله بعث مائة الف نبي وأربعة وعشرين الف نبي المرسلين منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وإن ذا الكفل منهم وكان بعد سليمان بن داود (ع) وكان يقضي بين الناس كما يقضي داود (ع) ولم يغضب قط إلا لله تعالى وكان اسمه عدويا بن ادارين (وأدخلناهم في رحمتنا) أي وأدخلناهؤلاء الذين ذكرناهم من الأنبياء في نعمتنا وأراد غمرناهم بالرحمة ولو قال رحمناهم لما أفاد ذلك بل أفاد انه فعل بهم الرحمة (انهم من الصالحين) أي انما أدخلناهم في رحمتنا لأنهم كانوا ممن صلحت أعمالهم

قوله تعالى (٨٧) وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٨) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ (٨٩) وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٩٠) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ (أربع آيات)

القراءة

قرأ يعقوب فظن أن لن يُقْدَرَ بضم الياء والباقون بقدر بالنون وكسر الدال وقرأ ابن عامر وابو بكر نجي بنون واحدة وتشديد الجيم والباقون ننجي بالنونين

الحجة

قوله ان لن نقدر عليه أن هذه مخففة من الثقيلة وتقديره ظن انه لن نقدر عليه أي لن نضيق عليه ومن قرأ لن يقدر عليه فهو مثل الأول في المعنى بني الفعل للمفعول به وأقيم الجار والمجرور مقام الفاعل ومن قرأ نجي المؤمنين بنون واحدة قال ابو بكر السراج هو وهم لأن النون لا تدغم في الجيم وإنما خفيت لأنها ساكنة تخرج من الخياشيم فحذفت في الكتابة وهي في اللفظ ثابتة قال ابو علي والقول في ذلك ان عاصما ينبغي أن يكون قرأ بنونين وأخفى الثانية فظن السامع انه مدغم وكذلك غيره

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصة يونس (ع) فقال (وذا النون) أي واذكر ذا النون والنون الحوت وصاحبها يونس ابن متى (إذ ذهب) اي حين ذهب (مغاضبا) لقومه عن ابن عباس والضحاك اي مراغما لهم من حيث انه دعاهم إلى الايمان مدة طويلة فلم يؤمنوا حتى اوعدهم الله بالعذاب فخرج من بينهم مغاضبا لهم قبل أن يؤذن له (فظن أن لن نقدر عليه) أي لن نضيق عليه عن عطا وجماعة من المفسرين وقيل ظن ان لن نقضي عليه ماقضيناه والقدر بمعنى القضاء عن مجاهد وقتادة والكلبي والجبائي قال الجبائي ضيق الله عليه الطريق حتى ألجأه إلى ركوب البحر ثم قذف فيه فابتلعته السمكة ومن قال انه خرج مغاضبا لربه وانه ظن ان لن يقدر الله على اخذه بمعنى انه يعجز عنه فقد أساء الثناء على الأنبياء فإن مغاضبة الله كفر أو كبيرة عظيمة وتجويز العجز على الله سبحانه كذلك فكيف يجوز ذلك على نبي من أنبياء الله تعالى وقال ابن زيد انه استفهام معناه التوبيخ وتقديره فظن ان لن نقدر عليه وانكره علي بن عيسى وقال لا يجوز حذف الاستفهام من غير دليل عليه وقد جاء في كلام العرب حذفه على خلاف ما قاله انشد النحويون قول عمر بن ابي ربيعة

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ بَهْرًا عَدَدَ ٱلْقَطْرِ وَٱلْحَصَىٰ وَٱلتُّرَابِ (١)

اي أتحبها (فنادى في الظلمات) قيل انها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت عن ابن عباس وقتادة

(١) قوله «بهرا» اى بهرنى بهرا بمعنى غلبنى غلبة اى احبها حبا بهرنى بهرا .

وقيل كان حوت في بطن حوت عن سالم بن ابي الجعد (ان لا إله إلا أنت سبحانك) لما اراد السؤال والدعاء قدم ذكر التوحيد والعدل ثم قال (إني كنت من الظالمين) اي من الذين يقع منهم الظلم وإنما قاله على سبيل الخشوع والخضوع لأن جنس البشر لا يمتنع منه وقوع الظلم قال الجبائي لم يكن يونس في بطن الحوت على جهة العقوبة من الله تعالى لأن العقوبة عداوة للمعاقب لكن كان ذلك على وجه التأديب والتأديب يجوز للمكلف وغير المكلف كتأديب الصبي وغيره وبقاؤه في بطن الحوت حياً معجزة له (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) أي من بطن الحوت (وكذلك ننجي المؤمنين) اي ننجيهم إذا دعونا به كما أنجينا ذا النون ثم قال سبحانه (وزكريا) اي واذكر زكريا (إذ نادى ربه) ودعاه يا (رب لا تذرني فردا) بغير وارث ولا ولد يعينني على امر الدين والدنيا في حياتي ويرثني بعد وفاتي (وأنت خير الوارثين) هذا ثناء على الله سبحانه بأنه الباقي بعد فناء خلقه وانه خير من بقي حياً بعد ميت وان الخلق كلهم يموتون ويبقى هو سبحانه (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) روى الحرث ابن المغيرة قال قلت لأبي عبد الله (ع) اني من اهل بيت قد انقرضوا وليس لي ولد فقال ادع وأنت ساجد رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين قال ففعلت فولد لي علي والحسين (وأصلحنا له زوجه) بأن كانت عقيمة فجعلناها ولوداً عن قتادة وقيل كانت هرمة فرددنا عليها شبابها عن ابي مسلم وقيل كانت سيئة الخلق فجعلناها حسنة الخلق (انهم) يعني زكريا ويحيى وقيل معناه ان الأنبياء الذين تقدم ذكرهم (كانوا يسارعون في الخيرات) اي يبادرون إلى الطاعات والعبادات (ويدعوننا رغبا ورهبا) أي للرغبة والرهبة رغبة في الثواب ورهبة من العقاب وقيل راغبين وراهبين عن الضحاك وقيل رغباً يبطون الاكف ورهبا بظهور الاكف (وكانوا لنا خاشعين) اي متواضعين عن ابن عباس وقيل الخشوع المخافة الثابتة في القلب عن الحسن وقيل معناه انهم قالوا حال النعمة اللهم لا تجعلها استدراجاً وحال السيئة اللهم لا تجعلها عقوبة بذنب سلف منا وفي قوله سبحانه يسارعون في الخيرات دلالة على ان المسارعة إلى كل طاعة مرغب فيها وعلى ان الصلاة في أول الوقت أفضل

قوله تعالى (٩١) وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (٩٢) إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٣) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (٩٤) فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (٩٥) وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وابو بكر وحرم بكسر الحاء بغير الف والباقون وحرام وهو قراءة الصادق (ع) وفي الشواذ قراءة الحسن وابن ابي اسحاق امة واحدة بالرفع وقرأ ابن عباس وقتادة وحرم وفي رواية اخرى عن ابن عباس وحرم وهي قراءة عكرمة وابي العالية

الحجة

قال أبو علي حرم وحرام لغتان و كذلك حل وحلال وكل واحد من حرم وحرام لما شئت وضعته بالابتداء لاختصاصه بما جاء بعده من الكلام وخبره محذوف وتقديره وحرام على قرية اهلكناها بأنهم لا يرجعون مقضي او ثابت او محكوم عليه وان شئت جعلته خبر مبتدأ محذوف وجعلت لا زائدة والمعنى حرام على قرية اهلكناها رجوعهم كما قال فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون وان شئت جعلته خبر مبتدأ واضمرت مبتدأ كما ذكرت ويكون المعنى حرام على قرية أهلكناها بالاستئصال رجوعهم لأنهم لا يرجعون وتكون لا غير زائدة

والمعنى حرام عليهم انهم ممنوعون من ذلك وقال الزجاج تقديره وحرام على قرية اهلكناها ان يتقبل منهم عمل لأنهم لا يرجعون اي لا يتوبون ابدا كما قال سبحانه ختم الله على قلوبهم الآية فعلى هذا يكون حرام خبر مبتدأ محذوف وهو قوله ان يتقبل منهم عمل وانهم لا يرجعون في موضع نصب لأنه مفعول له فأما من قرأ حرم على قرية فإنه من حرم فهو حرم اي قمن ماله قال زهير

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ ... يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمُ (١)

وأما حَرَم فمعناه ظاهر ومن قرأ أمة بالرفع جعله بدلاً من أمتكم ويجوز ان يكون خبراً بعد خبر وأمة منصوبة على الحال والعامل فيها معنى الاشارة وذو الحال الامة الاولى وفي الحقيقة الحال الاولى قوله واحدة التي هي صفة الامة كقوله تعالى قرآنا عربيا والتقدير ان هذه امتكم أمة واحدة اي مجتمعة غير متفرقة

(المعنى)

ثم عطف سبحانه على ما تقدّم بقصة عيسى (ع) فقال (والتي احصنت فرجها) يعني مريم ابنة عمران أي واذكر مريم التي حفظت فرجها وحصنته وعفت وامتنعت من الفساد (فنفخنا فيها من روحنا) أي اجرينا فيها روح المسيح كما يجري الهواء بالنفخ فأضاف الروح الى نفسه على وجه الملك تشريفاً له في الاختصاص بالذكر وقيل ان معناه أمرنا جبرائيل فنفخ في جيب درعها فخلقنا المسيح في رحمها (وجعلناها وابنها آية للعالمين) إنما قال آية ولم يقل آيتين لأنه في موضع دلالة فلا يحتاج إلى ان تثنى والآية فيها أنها جاءت به من غير فحل فتكلم في المهد بما يوجب براءة ساحتها من العيب (ان هذه أمتكم أمة واحدة) أي هذا دينكم دين واحد عن ابن عباس ومجاهد والحسن وأصل الامة الجماعة التي على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماعهم بها على مقصد واحد وقيل معناه جماعة واحدة في انها مخلوقة مملوكة لله تعالى اي فلا تكونوا إلا على دين واحد وقيل معناه هؤلاء الذين تقدّم ذكرهم من الانبياء فريقكم الذي يلزمكم الاقتداء بهم في حال اجتماعهم على الحق كما يقال هؤلاء أمتنا اي فريقنا وموافقونا على مذهبنا (وانا ربكم) الذي خلقكم (فاعبدون) ولا تشركوا بي شيئا ثم ذكر اليهود والنصارى بالاختلاف فقال (وتقطّعوا امرهم بينهم) اي فرّقوا دينهم فيما بينهم يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض عن الكلبي وابن زيد والتقطع هذا بمنزلة التقطيع ثم قال مهدداً لهم (كل إلينا راجعون) اي كل ممن اجتمع وافترق راجع إلى حكمنا في الوقت الذي لا يقدر على الحكم سوانا فنجازيهم باعمالهم (فمن يعمل من الصالحات) التقدير فمن يعمل من الصالحات شيئاً مثل صلة الرحم ومعونة الضعيف ونصر المظلوم والتنفيس عن المكروب وغير ذلك من انواع الطاعات (وهو مؤمن) شرط الإيمان لأن هذه الاشياء لو فعلها الكافر لم ينتفع بها عند الله تعالى (فلا كفران لسعيه) اي فلا جحود لإحسانه في عمله بل يشكر ويثاب عليه (وإنا له كاتبون) اي نأمر ملائكتنا ان يكتبوا ذلك ويثبتوه فلا يضيع منه شيء وقيل كاتبون اي ضامنون جزاءه حتى نوفر على عاملها مجموعة ومنه الكتيبة لانه ضم رجال الى رجال (وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون) اختلف في معناه على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان لا مزيدة والمعنى حرام على قرية مهلكة بالعقوبة ان يرجعوا الى دار الدنيا عن الجبائي وقيل ان معناه واجب عليها انها إذا اهلكت لا ترجع الى دنياها عن قتادة وعكرمة والكلبي قال عطا يريد حتم مني والمراد ان الله تعالى كتب على من اهلك ان لا يرجع الى الدنيا قضاه منه حتما وفي ذلك تخويف لكفار مكة بأنهم ان عذّبوا واهلكوا لم يرجعوا الى الدنيا كغيرهم من الامم المهلكة وقد جاء الحرام بمعنى الواجب في شعر الخنساء

وَإِنَّ حَرَامًا لَا أَرَى الدَّهْرَ بَاكِيًا ... عَلَى شَجْوَةٍ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى صَخْرٍ (٢)

﴿ وثانيها ﴾ ان معناه حرام على قرية وجدناها هالكة بالذنوب ان يتقبل منهم عمل لأنهم لا يرجعون

(١) قوله «خليل» يعني به المحتاج الفقير المتمثل الحال . و«مسغبة» بمعنى المجاعة . يصف رجلا بالجود . (٢) الشجوة : الحزن . وفي نسخة مخطوطة وكذا في اللسان «على عمرو» مكان «على صخر» ونسب البيت في اللسان الى عبد الرحمن المحاربي .

الى التوبة ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه حرام ان لا يرجعوا بعد الممات بل يرجعون احياء للمجازاة عن ابي مسلم وروى محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) انه قال كل قرية اهلكها الله بعذاب فإنهم لا يرجعون

قوله تعالى (٩٦) حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٧) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٨) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٩) لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٠) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠١) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠٢) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٣) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ثمان آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد والباقون بالتخفيف وقد ذكرنا اختلافهم في يأجوج ومأجوج في سورة الكهف وفي الشواذ قراءة ابن مسعود من كل جدث وقراءة ابن السميفع حصب جهنم ساكنة الصاد وقراءة ابن عباس حضب بالضاد مفتوحة وقراءة علي (ع) وعائشة وابن الزبير وابي بن كعب وعكرمة حطب بالطاء

﴿ الحجة ﴾

من خفف فتحت فلأن الفعل في الظاهر مسند الى هذين الاسمين واراد فتح سدّ يأجوج ومأجوج ومن شدّد حمله على الكثرة فهو مثل مفتحة لهم الابواب والجدث القبر بلغة الحجاز والجدف بالفاء بلغة تميم وفي الحطب لغات وحطب وحصب بالصاد وخضب بالضاد ولا يقال حصب بالصاد الا إذا القي في التنور او في الموقد وقال احمد بن يحيى اصل الحصب الرمي حطبا كان أو غيره قال الاعشى

فَلَا تَكُ فِي حَرْبِنَا مُحْصِباً ... لِتَجْعَلَ قَوْمَكَ شَتَّى شُعُوباً (١)

فأما الحصب ساكنا بالصاد والضاد فالطرح فهو مصدر وقع موقع اسم المفعول كالخلق والصيد بمعنى المخلوق والمصيد

﴿ اللغة ﴾

الحدب الارتفاع من الارض بين الانخفاض والحدبة خروج الظهر ورجل احدب والنسول الخروج عن الشيء الملابس يقال نسل ينسل وينسل قال امرؤ القيس

فَإِنْ يَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ ... فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِي (٢)

ونسل ريش الطائر إذا سقط وقيل النسول الخروج بإسراع نحو نسلان الذئب قال

نَسَلَانَ الذِّئْبِ أَمْسَى قَارِباً ... بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَلْ

وشخص المسافر شخوصا إذا خرج من منزله وشخص من بلد إلى بلد وشخص بصره إذا نظر اليه كأنه مخرج اليه والحسيس والحس الحركة

﴿ الإعراب ﴾

واقترب الوعد قال الفراء معنى الواو الطرح والمعنى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق قال

(١) الاحصاب : اثارة الحصباء وهو كناية عن اثارة الفتنة . (٢) كان امرؤ القيس مفركا لا تحبه النساء ولا تكاد امرأة تصبر معه ، يخاطب في هذا البيت امرأة ويقول لها ان سألك خلقي فانزعي نفسي من نفسك .

الزجاج الواو لا يجوز ان يطرح عند البصريين وجواب إذا عندهم قوله يا ويلنا وهاهنا قول محذوف اي قالوا يا ويلنا وقوله فإذا هي شاخصة إذا ظرف مكان والعامل فيه شاخصة وهي ضمير القصة في محل رفع بالابتداء وابصار الذين كفروا مبتدأ آخر وشاخصة خبر مقدم والجملة خبر هي وقيل ان تمام الكلام عند قوله هي وتقديره فإذا هي بارزة واقعة يعني انها من قربها كأنها وقعت ثم ابتدأ فقال شاخصة ابصار الذين كفروا على تقديم الخبر على المبتدأ

﴿ المعنى ﴾

لما تقدّم أنهم لا يرجعون الى الدنيا وعدهم بالرجوع الى الآخرة وبيّن علامة ذلك فقال (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) اي فتحت جهنم والمعنى انفرج سدّ يأجوج ومأجوج بسقوط أوهدم أو كسر وذلك من اشراط الساعة (وهم من كل حدب ينسلون) اي وهم يريد يأجوج ومأجوج من كل نشز من الارض يسرعون عن قتادة وابن مسعود والجبائي وابي مسلم يعني انهم يتفرقون في الارض فلا ترى اكمة إلا وقوم منهم يهبطون منها مسرعين وقيل ان قوله هم كناية عن الخلق يخرجون من قبورهم الى الحشر عن مجاهد وكان يقرأ من كل جدث يعني القبر ويدل عليه قوله فإذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون (واقترب الوعد الحق) اي الموعود الصدق ومعناه اقترب قيام الساعة (فإذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا) معناه فإذا القصة ان ابصار الذين كفروا تشخص في ذلك اليوم اي لا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله ينظرون الى تلك الاهوال عن الكلبي (يا ويلنا) اي يقولون يا ويلنا قد كنّا في غفلة من هذا) اشتغلنا بامور الدنيا وغفلنا عن هذا اليوم فلم نتفكر فيه (بل كنا ظالمين) بأن عصينا الله تعالى وعبدنا غيره ثم قال سبحانه (انكم وما تعبدون من دون الله) يعني الاصنام (حصب جهنم) اي وقودها عن ابن عباس وقيل حطبها عن مجاهد وقتادة وعكرمة واصل الحصب الرمي فالمراد انهم يرمون فيها كما يرمى بالحصباء عن الضحاك وابي مسلم ويسأل على هذا فيقال ان عيسى (ع) قد عُبد والملائكة قد عبدوا والجواب انهم لا يدخلون في الآية لأن مالما لا يعقل ولأن الخطاب لأهل مكة وانما كانوا يعبدون الاصنام فإن قيل فأيّ فائدة في ادخال الاصنام النار وقيل يعذب بها المشركون الذين عبدوها فتكون زيادة في حسرتهم وغمّهم ويجوز ان يرمى بها في النار توبيخا للكفار حيث عبدوها وهي جماد لا تضرّ ولا تنفع وقيل ان المراد بقوله وما يعبدون من دون الله الشياطين دعوهم الى عبادة غير الله فأطاعوهم كما قال يا ابت لا تعبد الشيطان (انتم لها واردون) خطاب للكفار اي انتم في جهنم داخلون وقيل ان معنى لها اليها كقوله بأن ربك اوحى لها اي اليها (لو كان هؤلاء) الاصنام والشياطين (آلهة) كما تزعمون (ما وردوها) اي ما دخلوا النار ولامتنعوا منها (وكل) من العابد والمعبود (فيها) اي في النار (خالدون) دائمون (لهم فيها زفير) اي صوت كصوت الحمار وهو شدة تنفسهم في النار عند احراقها لهم (وهم فيها لا يسمعون) اي لا يسمعون ما يسرّهم ولا ما ينتفعون به وإنما يسمعون صوت المعذّبين وصوت الملائكة الذين يعذّبونهم ويسمعون ما يسوءهم عن الجبائي وقيل يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم انّ في النار احدا يعذّب غيره عن عبد الله بن مسعود قالوا ولما نزلت هذه الآية أتى عبد الله بن الزبعرى رسول الله ﷺ فقال يا محمد الست تزعم ان عزيرا رجل صالح وان عيسى (ع) رجل صالح وان مريم امرأة صالحة قال بلى قال فإن هؤلاء يعبدون من دون الله فهم في النار فأنزل الله هذه الآية (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) اي الموعدة بالجنة وقيل الحسنى السعادة عن ابن زيد وكأنه يذهب إلى الكلمة بأنه سيسعد او الى العدة لهم على طاعتهم فأنث الحسنى (أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها) اي يكونون بحيث لا يسمعون صوتها الذي يحس (وهم فيما اشتهت انفسهم) من نعيم الجنة وملاذها (خالدون) اي دائمون والشهوة طلب النفس اللذة يقال اشتهى شهوة

وقيل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى عيسى وعزير ومريم والملائكة الذين عبدوا من دون الله وهم كارهون استثناهم من جملة ما يعبدون من دون الله عن الحسن ومجاهد وقيل إن الآية عامة في كل من سبقت له الموعدة بالسعادة (لا يحزنهم الفزع الأكبر) أي الخوف الأعظم وهو عذاب النار إذا اطبقت على اهلها عن سعيد بن جبير وابن جريج وقيل هو النفخة الأخيرة لقوله ونفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله عن ابن عباس وقيل هو حين يؤمر بالعبد إلى النار عن الحسن وقيل هو حين يذبح الموت على صورة كبش املح وينادى ياأهل الجنة خلود ولا موت وياأهل النار خلود ولا موت فدوى أبوسعيد الخدري عن النبي ﷺ قال ثلاثة على كثبان من مسك لايحزنهم الفزع الأكبر ولا يكترثون للحساب رجل قرأ القرآن محتسبا ثم أم به قوما محتسبا ورجل اذن محتسبا ومملوك ادى حق الله عز وجل وحق مواليه (وتتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة بالتهنئة يقولون لهم (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) في الدنيا فأبشروا بالأمن والفوز

قوله تعالى (١٠٤) يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٥) وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٦) إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٧) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٨) قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٩) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (١١٠) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١١) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (١١٢) قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (تسع آيات)

القراءة

قرأ ابو جعفر تطوى بالتاء والضم السماء بالرفع والباقون نطوي بالنون السماء بالنصب وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر للكتب على الجمع والباقون للكتاب وقرأ حفص قال رب والباقون قل ربي وقرأ ابو جعفر رب احكم بضم الباء وقرأ زيد عن يعقوب ربي احكم وهو قراءة ابن عباس وعكرمة والجحدري وابن محيصن والباقون رب احكم وفي الشواذ قراءة الحسن كطي السجل بسكون الجيم وقراءة ابي زرعة بن عمرو السجل بضم السين والجيم وتشديد اللام وقراءة ابي السماك السجل بفتح السين وسكون الجيم

الحجة

من قرأ يوم تطوى السماء فبنى الفعل للمفعول به ومن قرأ يوم نطوي السماء فالفاعل هو الله سبحانه والمعنى واحد وفي انتصاب يوم وجهان عند ابي علي (احدهما) ان يكون بدلا من الهاء المحذوفة من الصلة الا ترى ان المعنى هذا يومكم الذي توعدونه والآخر ان يكون منتصبا بنعيده والمعنى نعيد الخلق اعادة كابتدائه اي كابتداء الخلق ومثله في المعنى كما بدأكم تعودون وتقديره كما بدأ خلقكم يعود خلقكم فحذف المضاف في الموضعين وأقام المضاف اليه مقامه والمعنى يعود خلقكم عودا كبدئه ومثله في المعنى كما بدأنا اول خلق نعيده ومن افرد الكتاب ولم يجمع فإنه واحد يراد به الكثرة ومن قرأ للكتب فإن المراد به الجمع ومن قرأ قال رب اراد قال الرسول ومن قرأ قل فهو على قل انت يامحمد وقراءة ابي جعفر رب احكم معناه يارب احكم وهي صيغة عند النحويين البصريين وقد جاء مثله في المثل وهو قولهم (اصبح ليل والطارق كرأ وافتد مخنوق) اي

ياليل ويا كروان ويامخنوق وقد جاء في الشعر وهو

عَجِبْتُ لِعَطَّارٍ أَتَانَا يَسُومُنَا ... بِدِسْكِرَةِ المَرَّانِ دُهْنَ البَنَفْسَجِ
فَقُلْتُ لَهُ عَطَّارُ هَلَّا أَتَيْتَنَا ... بِنَوْرِ الخُزَامَى أَوْ بِخَوْصَةِ عَرْفَجِ (١)

أراد ياعطار ومن قرأ رب احكم فالمعنى ظاهر

﴿ الاعراب ﴾

الكاف في قوله كطي السجل في محل النصب لأنه صفة مصدر محذوف تقديره نطوي السماء طياً مثل طي السجل فإن كان السجل اسما للصحيفة فالمصدر الذي هو طي مضاف إلى المفعول في المعنى وإن كان اسم ملك أو كاتب فهو مضاف إلى الفاعل في المعنى فإن كان مفعولا كان اللام بمعنى من اجل وإن كان فاعلا كان اللام للاختصاص. وعدا علينا منصوب على المصدر قال الزجاج لأن قوله نعيده بمعنى قد وعدنا ذلك والأجود أن يقدّر عاملا محذوفا لأن القرّاء يقفون على قوله نعيده قال جامع العلوم الكاف في كما بدأنا من صلة نعيده وإن كان متقدما ومثله كما علّمه الله فليكتب. رحمة للعالمين نصب على الحال او على انه مفعول له وإنما إلهكم إله واحد في محل رفع باسناد يوحى اليه وقيامه مقام الفاعل وعلى سواء في موضع نصب على الحال من الفاعلين والمفعولين والتقدير اذنتكم واستوينا نحن وأنتم فيكون الحال من الفريقين. ما توعدون في موضع رفع بأنه فاعل قريب لأنه اعتمد على همزة الاستفهام فهو كقولهم أقائم أخوك ويجوز أن يكون مبتدأ وقريب خبره وعلى الوجهين فهما مفعولا ادري اي أعلم علقتها همزة الاستفهام والتقدير أقريب ما توعدون أم بعيد فبعيد عطف على قريب والنية فيه التأخير. وان أدري لعله فتنة لكم مفعول ادري محذوف والتقدير ما ادري كيف يكون الحال

﴿ المعنى ﴾

(يوم نطوي السماء) المراد بالطي هنا هو الطي المعروف وأن الله سبحانه يطوي السماء بقدرته وقيل إن طي السماء ذهابها عن الحس (كطي السجل للكتب) والسجل صحيفة فيها الكتب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والكلبي وعلى هذا فمعناه نطويها كما تطوى الصحيفة المجعولة للكتاب ويجوز أن يكون المراد بالكتاب المكتوب وقيل إن السجل ملك يكتب أعمال العباد عن ابي عمرو والسدي وقيل هو ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت اليه عن عطا وقيل هو اسم كاتب كان للنبي ﷺ عن ابن عباس في رواية (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي كما بدأناهم في بطون امهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم روي ذلك مرفوعا وقيل معناه نبعث الخلق كما ابتدأناهم أي قدرتنا على الإعادة كقدرتنا على الابتداء عن الحسن والزجاج وقيل معناه نهلك كل شيء كما كان أول مرة عن ابن عباس (وعدا علينا) أي وعدناكم ذلك وعدا (إنا كنا فاعلين) ما وعدناكم من ذلك (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قيل فيه أقوال ﴿ احدها ﴾ أن الزبور كتب الأنبياء ومعناه كتبنا في الكتب التي أنزلناها على الأنبياء من بعد كتابته في الذكر اي ام الكتاب الذي في السماء وهو اللوح المحفوظ عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد وهو اختيار الزجاج قال لأن الزبور والكتاب بمعنى واحد وزبرت كتبت ﴿ وثانيها ﴾ أن الزبور الكتب المنزلة بعد التوراة والذكر هو التوراة عن ابن عباس والضحاك ﴿ وثالثها ﴾ أن الزبور زبور داود والذكر توراة موسى عن الشعبي وروي عنه ايضا أن الذكر القرآن وبعد بمعنى قبل (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) قيل يعني ارض الجنة يرثها عبادي المطيعون عن ابن عباس وسعيد بن جبير وابن زيد فهو مثل قوله وأورثنا الأرض وقوله الذين يرثون الفردوس وقيل هي الأرض المعروفة يرثها امة محمد ﷺ بالفتوح بعد اجلاء الكفار كما قال ﷺ زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها عن ابن عباس في رواية اخرى وقال ابو جعفر عليه السلام هم اصحاب المهدي (ع) في آخر الزمان ويدل على ذلك

(١) الدسكرة : بناء على هيئة القصر فيه بناء للخدم والحشم . ومران : موضع . وخزامى : نبت طيب الريح و كذا العرفج . (٢) الغرل جمع الاغرل : الاقلف وهو الذى لم يختن .

ما رواه الخاص والعام عن النبي ﷺ انه قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا صالحاً من اهل بيتي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما قد ملئت ظلما وجورا وقد اورد الامام ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي في كتاب البعث والنشور اخبارا كثيرة في هذا المعنى حدثنا بجميعها عنه حافده ابو الحسن عبيد الله بن محمد ابن احمد في شهور سنة ثماني عشرة وخمسمائة ثم قال في آخر الباب فأما الحديث الذي اخبرنا ابو عبد الله الحافظ بالإسناد عن محمد بن خالد الجندي عن ابان بن صالح عن الحسن عن انس بن مالك ان النبي ﷺ قال لا يزداد الامر إلا شدة ولا الناس إلا شحا ولا الدنيا إلا ادبارا ولا تقوم الساعة إلا على اشرار الناس ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم فهذا حديث تفرّد به محمد بن خالد الجندي قال ابو عبد الله الحافظ ومحمد بن خالد رجل مجهول واختلف عليه في اسناده فرواه مرة عن ابان بن صالح عن الحسن عن انس عن النبي ﷺ ومرة عن ابان بن ابي عياش وهو متروك عن الحسن عن النبي ﷺ وهو منقطع والأحاديث في التنصيص على خروج المهدي (ع) أصحّ اسنادا وفيها بيان كونه من عترة النبي ﷺ هذا لفظه ومن جملتها ما حدثنا ابو الحسن حافده عنه قال اخبرنا ابو علي الروذباري قال اخبرنا ابو بكر بن داسة قال حدثنا ابو داود السجستاني في كتاب السنن عن طرق كثيرة ذكرها ثم قال كلهم عن عاصم المقري عن زيد عن عبد الله عن النبي ﷺ قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذاك اليوم حتى يبعث فيه رجلا منّي او من اهل بيتي وفي بعضها يواطئ اسمه اسمي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وبالاسناد قال حدثنا ابو داود قال حدثنا احمد بن ابراهيم قال حدثني عبد الله بن جعفر الرقي قال حدثني ابو المليح الحسن بن عمر عن زياد بن بيان عن علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمة (ع) (إن في هذا) يعني إن في الذي اخبرناكم به مما توعدنا به الكفار من النار والخلود فيها وما وعدنا به المؤمنين من الجنة والكون فيها وقيل معناه إن في هذا القرآن ودلائله (لبلاغا) اي كفاية ووصلة إلى البغية والبلاغ سبب الوصول إلى الحق (لقوم عابدين) لله مخلصين له قال كعب هم امة محمد ﷺ الذين يصلّون الصلوات الخمس ويصومون شهر رمضان سمّاهم عابدين (وما ارسلناك) يا محمد (إلا رحمة للعالمين) اي نعمة عليهم قال ابن عباس رحمة للبرّ والفاجر والمؤمن والكافر فهو رحمة للمؤمن في الدنيا والآخرة ورحمة للكافر بأن عوفي مما اصاب الامم من الخسف والمسخ وروي ان النبي ﷺ قال لجبرائيل لما نزلت هذه الآية هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم إني كنت اخشى عاقبة الامر فآمنت بك لما اثنى الله عليّ بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين وقد قال إنما انا رحمة مهداة وقيل ان الوجه في انه نعمة على الكافر انه عرضه للايمان والثواب الدائم وهداه وان لم يهتد كمن قدم الطعام إلى جائع فلم يأكل فإنه منعم عليه وإن لم يقبل وفي الآية دلالة على بطلان قول اهل الجبر في انه ليس لله على الكافر نعمة لانه سبحانه بيّن انّ في ارسال محمد ﷺ نعمة على العالمين وعلى كل من ارسل اليهم ثم قال له (ع) (قل إنما يوحى إليّ انما إلهكم إله واحد فهل انتم مسلمون) اي مستسلمون منقادون لذلك بأن تتركوا عبادة غير الله وقيل معناه الامر اي اسلموا كقوله فهل انتم منتهون اي انتهوا (فإن تولوا) اي اعرضوا ولم يسلموا (فقل آذنتكم) اي اعلمتكم بالحرب (على سواء) اي ايذانا على سواء اعلاما نستوي نحن وأنتم في علمه لا استيذانا به دونكم لتتأهبوا لما يراد بكم ومثله قوله فانبذ اليهم على سواء وقيل معناه اعلمتكم بما يجب الاعلام به على سواء في الايذان لم ابين الحق لقوم دون قوم ولم اكتمه لقوم دون قوم وفي هذا دلالة على بطلان قول اصحاب الرموز وان للقرآن بواطن خصّ بالعلم بها اقوام (وان ادري) اي وما ادري (اقريب ام بعيد ما توعدون) يعني اجل يوم القيامة فإن الله تعالى هو العالم بذلك وقيل معناه أذنتكم بالحرب ولا ادري متى اوذن فيه (إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) أي إن الله يعلم السر والعلانية (وان ادري) اي وما ادري (لعله) كناية عن

غير مذكور (فتنة لكم) اي لعل ما اذنتكم به اختيار لكم وشدة تكليف ليظهر صنيعكم عن الزجاج وقيل لعل هذه الدنيا فتنة لكم عن الحسن وقيل لعل تأخير العذاب محنة واختبار لكم لترجعوا عما انتم عليه (ومتاع إلى حين) اي تتمتعون به إلى وقت انقضاء آجالكم (قل رب احكم بالحق) اي فوّض امورك يا محمد إلى الله وقل يارب احكم بيني وبين من كذّبني بالحق قال قتادة كان النبي ﷺ إذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق أي افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع وقيل معناه احكم بحكمك الحق وهو اظهار الحق على الباطل (وربنا الرحمن) الذي يرحم عباده (المستعان) الذي يعينهم في امورهم فجمع بين الرحمة والمعونة اللتين تضمنتا اصول النعم (على ما تصفون) من كذبكم وباطلكم في قولكم هل هذا إلا بشر مثلكم وقولكم اتخذ الرحمن ولدا وقيل معناه وربنا الرحمن المستعان على دفع ما تصفون

سورة الحج

مكية عن ابن عباس وعطا الا آيات قال الحسن هي مدنية غير آيات نزلت في السفر وقال بعضهم غير ست آيات وقال بعضهم غير أربع آيات

﴿ عدد آيها ﴾

ثمان وسبعون آية كوفي سبع مكي وست مدني خمس بصري اربع شامي

﴿ اختلافها ﴾

خمس آيات الحميم والجلود كلاهما كوفي وعاد وثمود غير الشامي وقوم لوط حجازي كوفي سواكم المسلمين مكي

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب قال قال النبي ﷺ من قرأ سورة الحج اعطي من الأجر كحجة حجّها وعمرة اعتمرها بعدد من حجّ واعتمر فيما مضى وفيما بقي وقال ابو عبد الله (ع) من قرأها في كل ثلاثة أيام لم يخرج من سنة حتى يخرج إلى بيت الله الحرام وإن مات في سفره دخل الجنة

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سورة الأنبياء بالدعاء إلى التوحيد والإعلام بأن نبيّه رحمة للعالمين افتتح هذه السورة بخطاب المكلفين ليتقوا الشرك ومخالفة الدين فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (٢) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٣) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٤) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٥) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم

مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (خمس آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم سَكرى وما هم بسَكرى والباقون سكارى في الموضعين وفي الشواذ قراءة الأعرج والحسن بخلاف سُكرى بضم السين وقرأ ابو جعفر وربأت بالهمزة هاهنا وفي حم والباقون وربت

الحجة

قالوا رجل سكران وامرأة سكرى والجمع سُكارى وسَكارى بضم السين وفتحها إلا أن القراءة بالضم واما سَكرى في الجمع فهو مثل صرعى وجرحى وذلك لأن السكر كأنه علة لحقت عقولهم كما ان الصرع والجرح علة لحقت اجسامهم وفعلى مختص في الجمع بالمبتلين كالمرضى والسقمى والهلكى وأما سُكرى بالضم فيجوز أن يكون اسما مفردا على فعلى بمعنى الجمع وأما قوله ربت فهو من ربا يربو اذا زاد وأما الهمز فمن ربأت القوم إذا أشرفت عليهم عاليا لتحفظهم وهذا كأنه ذهب إلى علو الأرض لما فيها من افراط الربو فإذا وصف علوها دلّ على أن الزيادة شاعت فيها

اللغة

الزلزلة والزلزال شدة الحركة على الحال الهائلة وقيل إن اصله زل فضوعف للمبالغة واثبته البصريون قالوا إن زل ثلاثي وزلزل رباعي وان اتفق بعض الحروف في الكلمتين لانه لايمتنع مثل هذا ألا ترى انهم يقولون دمث ودمثر وسبط وسبطر وليس احدهما مأخوذا من الآخر وإن كان معناهما واحدا لأن الزاي ليست من حروف الزيادة والزلزال بالفتح الاسم قال الشاعر

يَعْرِفُ الْجَاهِلُ الْمُضَلَّلُ أَنَّ الـ ... ـدَّهْرَ فِيهِ النَّكْرَاءُ وَالزَّلْزَالُ

والذهول الذهاب عن الشيء دهشا وحيرة يقال ذهل عنه يذهل ذهولا وذَهْلا بمعنى والذهل السلو قال «صَحَا قَلْبُهُ يَا عِزَّ أَوْ كَادَ يَذْهَلُ» والحمل بفتح الحاء ما كان في بطن أو على رأس شجرة والحمل بكسر الحاء ما كان على ظهر أو على رأس والمريد المتجرد للفساد وقيل إن اصله الملاسة فكانه متملس من الخير ومنه صخرة مرداء أي ملساء ومنه الأمرد والممرد من البناء المتطاول المتجاوز والمضغة مقدار ما يمضغ من اللحم والهمود الدروس والدثور قال الأعشى

قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًا ... وَأَرَى ثِيَابَكَ بَالِيَاتٍ هُمَّدَا (٢)

والبهيج الحسن الصورة

الإعراب

العامل في يوم ترونها قوله تذهل أي تذهل كل مرضعة في هذا اليوم عما ارضعته ويجوز أن يكون ما مصدرية فيكون التقدير تذهل كل مرضعة في هذا اليوم عن إرضاعها ولدها ومفعول ارضعت محذوف على الوجهين ومرضعة جار على الفعل يقال امرأة مرضع أي ذات ارضاع ارضعت ولدها او ارضعته غيرها ومرضعة ترضع قال امرؤ القيس

وَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ ... فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ (٣)

(١) «عز» مرخم عزة : علم امرأة. (٢) الشاحب : المتغير اللون من هزال او مرض اوسفر . (٣) هذا بيت من معلقته المشهورة . يقول فرب امرأة حبلى وامرأة ذات رضيع اتيتها بلا فشغلتها عن ولدها الذى علقت عليه العود وقد ابى عليه حول كامل فقعدت مثلهما مع اشتغالها بهما بنفسها فكيف تتخلصين عنى ؟

وسكارى نصب على الحال وان جعلت ترى بمعنى الظن فهو المفعول الثاني له كتب عليه انه من تولاه فإنه يضله الهاء في عليه يعود إلى الشيطان والهاء في انه يحتمل وجهين ان يكون ضمير الأمر والشان وأن يكون عائدا إلى الشيطان و إنما فتحت أن في قوله فأنه يضله على احد وجهين أن يكون عطفا على الاولى للتأكيد والمعنى كتب عليه انه من تولاه يضله وتأويله كتب على الشيطان اضلال متوليه وهدايتهم إلى عذاب السعير وهذا قول الزجاج وفيه نظر لأن الأصل في التوكيد أن لا يدخل حرف العطف بين المؤكد والمؤكد فالقول الصحيح فيه أن يكون على معنى فالشأن انه يضله فيكون مبنيا على مبتدأ مضمر ونقر مرفوع بالعطف على خلقناكم اوللاستئناف ويكون خبر مبتدأ محذوف أي ونحن نقر . وما نشاء يجوز أن يكون مفعول نقر ويجوز أن يكون ظرف زمان ويكون مفعول نقر محذوفا وتقديره ونقر في الأرحام الولد مدة مشيئتنا وطفلا منصوب على الحال ثم لتبلغوا اي لأن تبلغوا والجار والمجرور معطوف على محذوف تقديره لتضعوا وتشبوا ثم لتبلغوا اشدكم لكيلا يعلم إذا اجتمع اللام بمعنى كي مع كي فالحكم للام و كي يكون بمعنى أنْ واللام يتعلق بيُرَدّ

﴿ النزول ﴾

قال عمران بن الحصين وأبو سعيد الخدري نزلت الآيتان من أول السورة ليلا في غزاة بني المصطلق وهم حيٌّ من خزاعة والناس يسيرون فنادى رسول الله ﷺ فحثّوا المطي حتى كانوا حول رسول الله ﷺ فقرأها عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام والناس من بين باك اي جالس حزين متفكر فقال رسول الله ﷺ أتدرون أيّ يوم ذاك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذاك يوم يقول الله تعالى لآدم ابعث بعث النار من ولدك فيقول آدم من كم وكم فيقول الله عزوجل من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا فمن ينجو يارسول الله فقال ابشروا فإن معكم خليقتين يأجوج ومأجوج ما كانتا في شيء إلا كثرتاه ما انتم في الناس إلا كشعرة بيضاء في الثور الأسود او كرقم في ذراع البكر اوكشامة في جنب البعير ثم قال اني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبّروا ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبّروا ثم قال إني لأرجو ان تكونوا ثلثي اهل الجنة وان أهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها امتي ثم قال ويدخل من امتي سبعون الفا الجنة بغير حساب وفي بعض الروايات ان عمر بن الخطاب قال يارسول الله سبعون الفا قال نعم ومع كل واحد سبعون الفا فقام عكاشه بن محصن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام رجل من الانصار فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال ﷺ سبقك بها عكاشه قال ابن عباس كان الانصاري منافقا فلذلك لم يدع له

﴿ المعنى ﴾

خاطب الله سبحانه جميع المكلفين فقال (ياايها الناس اتقوا ربكم) معناه يأيها العقلاء المكلفون اتقوا عذاب ربكم واخشوا معصية ربكم كما يقال احذر الاسد والمراد احذر افتراسه لا عينه (إن زلزلة الساعة) اي زلزلة الأرض يوم القيامة عن ابن عباس والحسن والسدي والمعنى انها تقارن قيام الساعة وتكون معها وقيل ان هذه الزلزلة قبل قيام الساعة و إنما اضافها إلى الساعة لأنها من اشراط ظهورها وآيات مجيئها عن علقمة والشعبي (شيء عظيم) أي امر عظيم هائل لا يطاق وقيل معناه ان شدة يوم القيامة امر صعب وفي هذا دلالة على ان المعدوم يسمى شيئا فإن الله سبحانه سماها شيئا وهي معدومة (يوم ترونها) معناه يوم ترون الزلزلة او الساعة (تذهل كل مرضعة عما ارضعت) اي تشغل كل مرضعة عن ولدها وتنساه وقيل تسلو عن ولدها (وتضع كل ذات حمل حملها) اي تضع الحبالى ما في بطونها وفي هذا دلالة على ان الزلزلة تكون في الدنيا فإن الرضاع ووضع الحمل إنما يتصور في الدنيا قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام ومن

قال ان المراد به يوم القيامة قال انه تهويل لأمر القيامة وتعظيم لما يكون فيه من الشدائد اي لو كان ثم مرضعة لذهلت او حامل اوضعت وان لم يكن هناك حامل ولا مرضعة (وترى الناس سكارى) من شدة الخوف والفزع (وما هم بسكارى) من الشراب وقيل معناه كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشدة ما يمرّ بهم لأنهم يضطربون اضطراب السكران ثم علّل سبحانه ذلك فقال (ولكن عذاب الله شديد) فمن شدته يصيبهم مايصيبهم (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) هذا اخبار عن المشركين الذين يخاصمون في توحيد الله سبحانه ونفي الشرك عنه بغير علم منهم بل للجهل المحض وقيل ان المراد به النضر بن الحرث فإنه كان كثير الجدال وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الأولين وينكر البعث (ويتّبع كل شيطان مريد) يغويه عن الهدى ويدعوه إلى الضلال وإن كان المراد بالآية النضر بن الحرث فالمراد بالشيطان المريد شيطان الانس لأنه كان يأخذ من الاعجام واليهود ما يطعن به على المسلمين (كتب عليه انه من تولاه فأنه يضله) معناه انه يتبع كل شيطان كتب الله على ذلك الشيطان في اللوح المحفوظ انه يضل من تولاه فكيف يتبع مثله ويعدل بقوله عمن دعاه إلى الرحمة وقيل معناه كتب على الشيطان انه من تولاه اضلّه الله تعالى وقيل معناه كتب على المجادل بالباطل ان من اتبعه ووالاه يضلّه عن الدين (ويهديه إلى عذاب السعير) ثم ذكر سبحانه الحجة في البعث لأن اكثر الجدال كان فيه فقال (يا أيها الناس إن كنتم في ريب) أي في شك (من البعث) والنشور والريب اقبح الشك (فإنا خلقناكم من تراب) معناه فالدليل على صحته أنا خلقنا اصلكم وهو آدم (ع) من تراب فمن قدر على أن يصير التراب بشرا سويا حيا في الابتداء قدر على أن يحيي العظام ويعيد الأموات (ثم من نطفة) معناه ثم خلقنا أولاده ونسله من نطفة في ارحام الامهات وهي الماء القليل يكون من الذكر والانثى وكل ماء صاف فهو نطفة قلّ أم كثر (ثم من علقة) بأن تصير النطفة علقة وهي القطعة من الدم الجامد (ثم من مضغة) اي شبه قطعة من اللحم ممضوغة فإن معنى المضغة مقدار ما يمضغ من اللحم (مخلّقة وغير مخلقة) أي تامة الخلق وغير تامة عن ابن عباس وقتادة وقيل مصورة وغير مصورة وهي ما كان سقطا لا تخطيط فيه ولا تصوير عن مجاهد (لنبيّن لكم) معناه لندلكم على مقدورنا بتصريفكم في ضروب الخلق أو لنبيّن لكم أن من قدر على الابتداء قدر على الإعادة أو لنبيّن لكم ما يزيل ريبكم فحذف المفعول (ونقرّ في الأرحام ما نشاء إلى اجل مسمى) معناه ونبقي في أرحام الامهات ما نشاء إلى وقت تمامه عن مجاهد وقيل ونقرّ من قدرنا له اجلا مسمى في رحم امه إلى اجله (ثم نخرجكم طفلا) أي نخرجكم من بطون امهاتكم وانتم اطفال والطفل الصغير من الناس وإنما وحّد والمراد به الجمع لأنه بمعنى المصدر كقولهم رجل عدل ورجال عدل وقيل اراد ثم نخرج كل واحد منكم طفلا (ثم لتبلغوا اشدكم) وهو حال اجتماع العقل والقوة وتمام الخلق وقيل هو وقت الاحتلام والبلوغ وقد سبق تفسير الاشد واختلاف العلماء في معناه (ومنكم من يتوفى) أي قبل بلوغ الأشد أي يقبض روحه فيموت في حال صغره أو شبابه (ومنكم من يردّ إلى ارذل العمر) اي اسوأ العمر وأخبثه عند اهله وقيل احقره وأهونه وهي حال الخرف وإنما صار ارذل العمر لأن الإنسان لا يرجو بعده صحة وقوة وإنما يرتقب الموت والفناء بخلاف حال الطفولية والضعف الذي يرجى له الكمال والتمام بعدها (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) اي لكيلا يستفيد علما وينسى ما كان به عالما وقيل معناه لكي يصير إلى حال ينعدم عقله أو يذهب عنه علومه هرما فلا يعلم شيئا مما كان علمه وإذا ذهب اكثر علومه جاز ان يطلق عليه ذهاب الجميع قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة واحتجّ بقوله ثم رددناه اسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي قرأوا القرآن ثم ذكر سبحانه دلالة اخرى على البعث فقال (وترى الأرض هامدة) يعني هالكة عن مجاهد أي يابسة دارسة من اثر النبات (فإذا انزلنا عليها الماء) وهو المطر (اهتزّت) اي تحركت بالنبات والإهتزاز شدة الحركة في الجهات (وربت) اي

زادت اي اضعفت نباتها وقيل انتفخت لظهور نباتها عن الحسن (وأنبتت) يعني الأرض (من كل زوج) أي من كل صنف (بهيج) موثق للعين حسن الصورة واللون

قوله تعالى (٦) ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٨) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٩) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٠) ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (خمس آيات)

الاعراب

ثاني عطفه منصوب على الحال تقديره ثانيا عطفه له في الدنيا خزي . له خزي مبتدأ وخبر وفي يتعلق بما يتعلق به اللام والمبتدأ وخبره في محل الرفع بأنه خبر . من يجادل خبر بعد خبر . ذلك بأن الله هو الحق وذلك بما قدمت يداك يجوز أن يكون ذلك مبتدأ والجار والمجرور في موضع الخبر ويجوز ان يكون التقدير الأمر ذلك فيكون ذلك خبر مبتدأ محذوف

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الأدلة عقبه بما يتصل به فقال (ذلك بأن الله هو الحق) معناه ذلك الذي سبق ذكره من تصريف الخلق على هذه الأحوال واخراج النبات بسبب أن الله هو الحق اي ليعلموا انه الذي يحق له العبادة دون غيره وقيل هو الذي يستحق صفات التعظيم (وانه يحيي الموتى) لأن من قدر على انشاء الخلق فإنه يقدر على اعادته (وانه على كل شيء قدير) اما المعدومات فيقدر على ايجادها واما الموجودات فيقدر على افنائها واعادتها ويقدر على جميع الاجناس ومن كل جنس على ما لا نهاية له (وان الساعة آتية لا ريب فيها) اي وليعلموا ان القيامة آتية لا شك فيها (وان الله يبعث من في القبور) اي يحييهم للجزاء لأن ما ذكرناه يدل على البعث على الوجه الذي بيّناه (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) سبق تفسيره (ولا هدى) اي لا يرجع فيما يقوله إلى علم ولا دلالة (ولا كتاب منير) اي مضيء له نور يؤدي من تمسك به إلى الحق والمعنى انه لا يتبع ادلة العقل ولا ادلة السمع وإنما يتبع الهوى والتقليد وفي هذا دلالة على ان الجدال بالباطل حرام وبغير العلم خطأ لأن الجدال بالعلم يدعو إلى اعتقاد الحق وبغير العلم يدعو إلى اعتقاد الباطل (ثاني عطفه) اي متكبرا في نفسه عن ابن عباس يقول العرب ثنى فلان عطفه إذا تكبر وتجبّر وعطفا الرجل جانباه من عن يمين او شمال وهو الموضع الذي يعطفه الانسان اي يلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء وقيل معناه لاوي عنقه اعراضا وتكبرا عن الله ورسوله عن قتادة ومجاهد (ليضل من سبيل الله) اي ليضلّ الناس عن الدين ومن فتح الياء أراد ليضل هو عن طريق الحق المؤدّي الى توحيد الله (له في الدنيا خزي) اي هوان وذله وفضيحة بما يجري له على السنة المؤمنين من الذم وبالقتل وغير ذلك (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) اي النار التي تحرقهم (ذلك) اي يقال له ذلك العذاب (بما قدمت يداك) اي بما كسبت يداك (وان الله ليس بظلام للعبيد) في تعذيبه لأن الله لا يظلم ولا يعاقب ابتداء ولا يزيد على الجزاء . وفي هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة الذين ينسبون كل ظلم في العالم إلى الله تعالى

قوله تعالى (١١) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ

فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٢) يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٣) يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (١٤) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٥) مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (خمس آيات)

القراءة

قرأ روح وزيد عن يعقوب خاسر الدنيا والآخرة بالجر وهو قراءة مجاهد وحميد بن قيس والباقون خسر بغير ألف والآخرة بالنصب وقرأ اهل البصرة وابن عامر وورش ثم ليقطع بكسر اللام والباقون بسكونها وكذلك ثم ليقضوا وزادابن عامر وليوفوا وليطوفوا بالكسر فيها ايضا وقرأ ابو بكر وليوفوا بتشديد الفاء والأعشى (١) عنه بكسر اللام ايضا والباقون وليوفوا ساكنة الواو خفيفة الفاء

الحجة

من قرأ خسر الدنيا والآخرة فإن هذه الجملة تكون بدلا من قوله انقلب على وجهه فكأنه قال وإن اصابته فتنة خسر الدنيا والآخرة ومثله قول الشاعر

إِنْ يَجْبُنُوا أَوْ يَغْدِرُوا أَوْ يَبْخَلُوا لَا يَحْفِلُوا يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

فقوله يغدوا عليك بدل من لا يحفلوا ومن قرأ خاسر الدنيا والآخرة فإنه منصوب على الحال واما قوله ثم ليقطع فإن اصل هذه اللام الكسر فإذا دخلها الواو والفاء أو ثم فمن اسكنها مع الفاء والواو فإن الفاء والواو يصيران كشيء واحد في نفس الكلمة لأن كل واحد منها لا ينفرد بنفسه فصار بمنزلة كتف وفخذ فأما ثم فهو منفصل عن الكلمة وليست كالواو والفاء فمن اسكن اللام معها شبّه الميم في ثم بالفاء والواو وجعله كقولهم اراك مُنْتَفِخًا كقول العجاج (اَرَاكَ مُنْتَصْبًا وَمَا تَكَرْدَسَا) ومثل ذلك قولهم وَهْيَ فَهْيَ

اللغة

الحرف والطرف والجانب نظائر والاطمئنان التمكن والفتنة هاهنا المحنة والانقلاب الرجوع والعشير الصاحب المعاشر اي المخالط والنصرة المعونة وقيل ان النصرة هاهنا الرزق تقول العرب من ينصرني نصره الله أي من أعطاني أعطاه الله قال الفقعسي (١)

وَإِنَّكَ لَا تُعْطِي امْرَءًا فَوْقَ حَظِّهِ وَلَا تَمْلِكُ الشِّقَ الَّذِي الْغَيْثُ نَاصِرُهُ

أي معطيه وجائده ويقال نصر الله ارض فلان أي جاد عليها بالمطر والسبب كل ما يتوصل به إلى الشيء ومنه قيل للحبل سبب وللطريق سبب وللباب سبب

الاعراب

يدعو لمن ضره أقرب من نفعه قال الزجاج اختلف الناس في تفسير هذه اللام فقال البصريون والكوفيون معنى هذه اللام التأخير والتقدير يدعو من لضره أقرب من نفعه ولم يشرحوه قال وشرحه أن اللام لليمين والتوكيد فحقها ان تكون في أول الكلام فقدمت لتجعل في حقها وإن كان أصلها أن يكون في آخره. كما أن لام ان حقها أن تكون في الابتداء فلما لم يجز ان تلي ان جعلت في الخبر مثل قولك ان زيداً لقائم فهذا قول وقالوا أيضاً

(١) ونسبه الشريف المرتضى في الامالي الى مضرس بن ربعي .

ان يدعو معه هاء مضمرة وان ذلك في موضع رفع ويدعو في موضع الحال المعنى ذلك هو الضلال البعيد يدعوه أي في حال دعائه إياه ويكون لمن ضره أقرب مستأنفاً مرفوعاً بالابتداء وخبره لبئس المولى ولبئس العشير وفيه وجه آخر أغفله الناس وهو أن يكون ذلك في تأويل الذي وهو في موضع نصب لوقوع يدعو عليه ويكون لمن ضره مستأنفاً وهو مثل قوله وما تلك بيمينك يا موسى ومعناه وما التي بيمينك وقال ابو علي ان اللامات التي هي حروف دالة على معان سوى الجارة والتي للأمر على أربعة اضرب ﴿ أحدها ﴾ تدخل على خبر ان إذا خففت أو على غير خبرها ليفصل بين ان النافية والمؤكدة مثل قوله وان كانوا ليقولون وان كاد ليضلنا ﴿ والثاني ﴾ يختص بالدخول على الفعل المضارع والماضي ويكون جوابا للقسم نحو قوله لأملئن جهنم وقول امرء القيس « لَئِنْ نَامُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِ »(١) ﴿ والثالث ﴾ يدخل في الشرط إذا كان جزاؤه معتمداً على قسم نحو قوله ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا ﴿ والرابع ﴾ يختص بالدخول على الأسماء المبتدأة وهي التي تدخل على خبر ان ويدخل على الفعل المضارع إذا كان للحال وكان خبراً لان وهو احد جهتي مضارعة الفعل المضارع للاسم وقد تدخل هذه اللام في ضرورة الشعر على خبر المبتدا في غير ان وذلك كقوله « أُمُّ الْحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ »(٢) وكما حكى أبو الحسن في حكاية نادرة ان زيداً وجهه لحسن فإذا كان هذه اللام حقها ان تدخل على المبتدأ أو على اسم ان أو خبرها من حيث ادخلها على المبتدأ وكان دخولها على خبر المبتدأ ضرورة مع انه المبتدأ في المعنى فدخوله في الموصول والمراد به الصلة ينبغي أن لا يجوز لأن الصلة ليست بالموصول كما ان خبر المبتدأ المبتدأ فمن زعم ان اللام في لمن ضره حكمها أن تكون في المبتدأ الذي في الصلة ثم قدم على الموصول كان مخطئاً وأيضاً فإن اللام إذا كان حكمه انه يكون في الصلة ثم قدم على الموصول فذلك غير سائغ كما ان سائر ما يكون في الصلة لا يتقدم على الموصول قال والوجه في ذلك ان يجعل قوله يدعو تكراراً للفعل الأول على جهة تكثير هذا الفعل الذي هو الدعاء من فاعله ولا تجعلها متعدية إذ قد تعدت مرة ويجوز ان تجعل مع يدعو هاء مضمرة ويكون في موضع نصب على الحال من ذلك فكأنه قال ذلك هو الضلال البعيد مدعواً ويجوز أن تجعل ذلك هو الضلال البعيد مفعول يدعو على ان يكون ذلك في معنى الذي ويكون هو الضلال البعيد صلته كما قال ابو اسحاق أيضاً فتكون اللام في هذه الوجوه داخلة على اسم مبتدأ موصول ولا موضع للجملة التي هي لمن ضره أقرب من نفعه الآية لأنها لا تقع موقع مفرد ويكون اللام في قوله لبئس المولى ولبئس العشير في موضع رفع لوقوعه خبر المبتدأ وتكون هذه اللام لليمين فهذا ما يجب أن تحمل الآية عليه وأقول ان اعرابه على الوجه الأول أن يكون ما لا يضره مفعول بيدعو وما لا ينفعه معطوفاً عليه وذلك مبتدأ وهو الضلال البعيد خبره ويدعو تكراراً للفعل الأول وعلى الوجه الثاني يكون يدعو حالا من معنى الإشارة في ذلك وعلى الوجه الثالث يكون ذلك اسما موصولاً بمعنى الذي والجملة صلته والموصول والصلة في موضع نصب بأنه المفعول ليدعو واللام في لمن ضره لام الابتداء والموصول والصلة في موضع رفع بالابتداء ولبئس المولى جواب القسم والقسم والمقسم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ والعائد إلى المبتدأ هو الضمير المحذوف من الجملة لأن التقدير لبئس المولى هو ولبئس العشير هو قال الزجاج وفيه وجه آخر وهو ان يكون يدعو في معنى يقول ويكون من في موضع رفع وخبره محذوف ويكون المعنى لمن ضره أقرب من نفعه هو مولاي ومثله قول عنترة

يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا ... أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الْأَدْهَمِ(٣)

أي يقولون يا عنتر ويجوز أن يكون يدعو في معنى يسمي كما قال ابن احمر

أَهْوَى لَهَا مِشْقَصاً حَشْراً فَشَبْرَقَهَا ... وَكُنْتُ أَدْعُو قَذَاهَا الْأَثْمِدَ الْفَرِدَا(٤)

وأقول انما قال خبر المبتدأ هنا محذوف لأن من يعبد الصنم لا يقول لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى فلذلك قدر الخبر محذوفاً

(١) وقبله «حلفت لها بالله حلفة فاجر» والشعر بتمامه في جامع الشواهد . (٢) وبعده «ترضى من اللحم بعظم الرقبة» والشعر في جامع الشواهد . (٣) هذا بيت من المعلقة . الشطن : الحبل الذى يستقى به واللبان : الصدر شبه الرماح في طولها بالحبال التى يستقى بها من الابار . يقول يدعونني في حال اصابة رماح الاعداء صدر فرسي . (٤) المشقص سه

النزول

قيل نزلت هذه الآية من الناس من يعبد الله على حرف في جماعة كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة فكان أحدهم إذا صح جسمه ونتجت فرسه وولدت امرأته غلاماً وكثرت ماشيته رضي به واطمأن اليه وإن أصابه وجع في المدينة وولدت امرأته جارية قال ما اصبت في هذا الدين إلا شراً عن ابن عباس

المعنى

لما تقدم ذكر الكفار وما تعاطوه من الجدال ذكر سبحانه بعده حال مقلدة الضلال والدعاة إلى الضلال فقال (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أي على ضعف في العبادة كضعف القائم على حرف أي طرف حبل أو نحوه عن علي بن عيسى قال وذلك من اضطرابه في طريق العلم إذا لم يتمكن من الدلائل المؤدية إلى الحق فينقاد لأدنى شبهة لا يمكنه حلها وقيل على حرف أي على شك عن مجاهد وقيل معناه انه يعبد الله بلسانه دون قلبه عن الحسن قال الدين حرفان أحدهما اللسان والثاني القلب فمن اعترف بلسانه ولم يساعده قلبه فهو على حرف (فإن أصابه خير اطمأن به) أي أصابه رخاء وعافية وخصب وكثرة مال اطمأن على عبادة الله بذلك الخير (وإن أصابته فتنة) أي اختبار بجدب وقلة مال (انقلب على وجهه) أي رجع عن دينه إلى الكفر والمعنى انصرف إلى وجهه الذي توجه منه وهو الكفر (خسر الدنيا والآخرة) أي خسر الدنيا بفراقه وخسر الآخرة بنفاقه (ذلك هو الخسران المبين) أي الضرر الظاهر لفساد عاجله وآجله وقيل خسر في الدنيا العز والغنيمة وفي الآخرة الثواب والجنة (يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه) أي يدعو هذا المريد بعبادته سوى الله ما لا يضره إن لم يعبده وما لا ينفعه إن عبده (ذلك) الذي فعل (هو الضلال البعيد) عن الحق والرشد يدعوه على الوجه الآخر معناه (يدعو) الذي هو الضلال البعيد (لمن ضره أقرب من نفعه) قال السدي يعني الذي ضره في الآخرة بعبادته إياه أقرب من النفع وإن كان لا نفع عنده ولكن العرب تقول لما لا يكون هذا بعيد ونفع الصنم بعيد لأنه لا يكون فلما كان نفعه بعيداً قيل لضره انه أقرب من نفعه على معنى انه كائن (لبئس المولى) اي لبئس الناصر هو (ولبئس العشير) أي الصاحب المعاشر المخالط هو يعني الصنم يخالطه العابد ويصاحبه ولما ذكر الشاك في الدين بالخسران ذكر ثواب المؤمنين على الإيمان فقال (ان الله يدخل الذين آمنوا) بالله وصدقوا رسله (وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ان الله يفعل ما يريد) بأوليائه وأهل طاعته من الكرامة وبأعدائه وأهل معصيته من الإهانة لا يدفعه دافع ولا يمنعه مانع ثم قال (من كان يظن أن لن ينصره الله) الهاء في ينصره عائدة إلى النبي ﷺ عن ابن عباس وقتادة والمعنى من كان يظن أن الله لن ينصر نبيه محمداً ﷺ ولا يعينه على عدوه (في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء) أي فليشدد حبلاً في سقفه (ثم ليقطع) أي ليمدد ذلك الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً والمعنى فليختنق غيظاً حتى يموت فإن الله ناصره ولا ينفعه غيظه وهو قوله (فلينظر هل يذهبن كيده) أي صنعه وحيلته (ما يغيظ) ما بمعنى المصدر أي هل يذهبن كيده غيظه عن قتادة واكثر المفسرين وقيل فليمدد بسبب إلى السماء معناه فليطلب شيئاً يصل به إلى السماء المعروفة ثم ليقطع نصر الله ووحي الله عن محمد ﷺ وليزل بكيده ما يغيظه من نصر الله له ونزول الوحي عليه أي لا يتهيأ له ذلك ولا سبيل له اليه فليتجرع ما يغيظه وإنما قال سبحانه ذلك على وجه التبعيد أي كما لا يتهيأ لهم الوصول إلى السماء كذلك لا يتهيأ لهم ازالة ما يغيظهم من أمر رسول الله ونصره على أعدائه دائماً وإنما ذكر السماء لأن النصر يأتيه من قبل السماء ومن الملائكة عن أبي علي الجبائي وقيل ان الهاء في ينصره عائدة إلى من عن مجاهد والضحاك وابي مسلم واختلف في معناه فقيل من كان يظن من الناس أن الله لا ينصره فليجهد جهده وليصعد السماء ثم ليقطع المسافة فلينظر هل ينفعه كيده في إزالة غيظه لما يدعى اليه من دين الله فإن الذي حكم الله به لا يبطل

- النصل الطويل . وسنان حشر اى دقيق . وشبرقها اى مزقها . والاثمد : حجر يكتحل به . والقذى : مايقع فى العين من تبنة وغيرها .

بكيد الكائد عن ابي مسلم وقيل المراد بالنصر الرزق ويقال أرض منصورة أي ممطورة والمعنى من ظنّ أن الله لا يرزقه في الدنيا والآخرة فليختنق نفسه أي لا يمكنه تكثير رزقه أي كما لا يقدر أن يزيد فيما رزقه الله بهذا النوع من الكيد كذلك لا يقدر عليه بسائر أنواع الكيد وهذا مثل ضربه الله لهذا الجاهل الذي يسخط لما أعطاه الله أي مثله مثل من فعل بنفسه هذا

قوله تعالى (١٦) وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (١٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (ثلاث آيات)

الاعراب

خبر ان الأولى جملة الكلام مع ان الثانية وزعم الفراء ان قولك ان زيداً انه لقائم وروى ان هذه الآية إنما صلحت في الذي قال الزجاج لا فرق بين الذي وغيره في باب ان ان قلت ان زيداً انه قائم كان جيداً قال جرير

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللهَ سَرْبَلَهُ سِرْبَالَ مُلْكٍ بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِيمُ

المعنى

ثم بيّن سبحانه انه نزل الآيات حجة على الخلق فقال (وكذلك) اي ومثل ما تقدّم من آيات القرآن (أنزلناه) يعني القرآن (آيات بينات) أي حججاً واضحات على التوحيد والعدل والشرائع (وان الله يهدي من يريد) أي وأنزلنا اليك أن الله يهدي إلى الدين من يريد وقيل إلى النبوة وقيل إلى الثواب وقيل يهدي من يهتدي بهداه (إن الذين آمنوا) بمحمد ﷺ (والذين هادوا) وهم اليهود (والصابئين والنصاري والمجوس والذين أشركوا) ظاهر المعنى (ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) أي يبيّن المحق من المبطل بما يضطر إلى العلم بصحة الصحيح فيبيض وجه المحقّ ويسودّ وجه المبطل والفصل التمييز بين الحق والباطل (ان الله على كل شيء شهيد) أي عليم مطلّع على ما من شأنه أن يشاهد بعلمه قبل أن يكون لأنه علام الغيوب ثم خاطب النبي ﷺ والمراد به جميع المكلفين فقال (ألم تر) أي ألم تعلم (ان الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض) من العقلاء (والشمس) أي ويسجد الشمس (والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) وصف سبحانه هذه الأشياء بالسجود وهو الخضوع والذلّ والانقياد لخالقها فيما يريد منها (وكثير من الناس) يعني المؤمنين الذين يسجدون لله تعالى وانقطع ذكر الساجدين ثم ابتدأ فقال (وكثير حق عليه العذاب) أي ممن أبى السجود ولا يوحّده سبحانه قال الفراء قوله وكثير حق عليه العذاب يدل على ان المعنى وكثير أبى السجود لأنه لا يحق عليه العذاب إلا بتركه السجود (ومن يهن الله فما له من مكرم) معناه من يهنه الله بأن يشقيه ويدخله جهنم فما له من مكرم بالسعادة أي بادخاله الجنة لأنه لا يملك العقوبة والمثوبة سواه (ان الله يفعل ما يشاء) من الإنعام والانتقام بالفريقين من المؤمنين والكافرين

قوله تعالى (١٩) هٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (٢٠) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢١) وَلَهُمْ

مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢٢) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٣) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٤) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (ست آيات)

القراءة

قرأ أهل المدينة وعاصم ولؤلؤا بالنصب وفي سورة فاطر مثله والباقون بالجر في الموضعين إلا يعقوب فإنه قرأ هاهنا بالنصب وفي فاطر بالجر وترك ابو جعفر وابو بكر وشجاع الهمزة الأولى منه في جميع القرآن وفي الشواذ قراءة ابن عباس يحلون بفتح الياء وتخفيف اللام

الحجة

قال أبو علي وجه الجر في لؤلؤ انهم يحلون فيها من أساور من ذهب ومن لؤلؤ ووجه النصب انه على ويحلون لؤلؤا ويجوز ان يكون عطفا على موضع الجار والمجرور لأن المعنى في يحلون فيها من أساور يحلون أساور وقال ابن جني يحلون من حلي يحلى يقال لم أحل منه بطائل أي لم أظفر ويجوز ان يكون من قولهم امرأة حالية أي ذات حلي

اللغة

الخصم يستوي فيه الواحد والجمع والذكر والأنثى يقال رجل خصم ورجلان خصم ورجال خصم ونساء خصم وقد يجوز في الكلام هذان خصمان اختصموا وهؤلاء خصم اختصموا قال الله تعالى وهل اتيك نبؤ الخصم إذ تسوروا المحراب وهكذا حكم المصادر إذا وصف بها أو اخبر بها نحو عدل ورضى وصوم وفطر وزور وحري وقمن وما أشبه ذلك وإنما قال في الآية خصمان لأنهما جمعان وليسا برجلين ومثله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والحميم الماء المغلي والصهر الإذابة يقال صهرته فانصهر قال

تَرْوِي لَقًى الْقِيَ فِي صَفْصَفٍ تَصْهَرُهُ الشَّمْسُ فَمَا يَنْصَهِرُ (١)

يعني ولدها والمقامع جمع مقمعة وهي مدقة الرأس من قمعه قمعا إذا ردعه والحريق بمعنى المحرق كالأليم والاساور جمع اسوار وفيه ثلاث لغات اسوار بالالف وسوار وسُوار بالكسر والضم والجمع اسورة

النزول

قيل نزلت الآية هذان خصمان اختصموا في ستة نفر من المؤمنين والكفار تبارزوا يوم بدر وهم حمزة بن عبد المطلب قتل عتبة بن ربيعة وعلي بن ابي طالب (ع) قتل الوليد بن عتبة وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب قتل شيبة بن ربيعة عن ابي ذر الغفاري وعطا وكان ابو ذر يقسم بالله تعالى انها نزلت فيهم ورواه البخاري في الصحيح وقيل نزلت في أهل القرآن واهل الكتاب عن ابن عباس وقيل في المؤمنين والكافرين عن الحسن ومجاهد والكلبي وهذا قول ابي ذر إلا ان هؤلاء لم يذكروا يوم بدر

المعنى

لما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين بين سبحانه ما اعده لكل واحد من الفريقين فقال هذان خصمان اي جمعان فالفرق الخمسة الكافرة خصم والمؤمنون خصم وقد ذكروا في قوله إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين الآية (اختصموا في ربهم) أي في دين ربهم فقالت اليهود والنصارى للمسلمين نحن اولى بالله منكم لأن نبينا

(١) قائله ابن احمر يصف فرخ قطاة . قوله «ترووى» اى تسوق اليه الماء اى تصيره له كالراوية . والصفصف : الفلاة . وقوله «تصهره الشمس . . . . » اى تذيبه الشمس فيصبر على ذلك .

قبل نبيكم ودينا قبل دينكم وقال المسلمون بل نحن احق بالله منكم آمنا بكتابنا وكتابكم ونبينا ونبيكم وكفرتم انتم بنبينا حسدا فكان هذا خصومتهم وقيل ان معنى اختصموا اقتتلوا يوم بدر (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) قال ابن عباس حين صاروا إلى جهنم لبسوا مقطعات النيران وهي الثياب القصار وقيل يجعل لهم ثياب نحاس من نار وهي أشد ما تكون حرا عن سعيد بن جبير وقيل أن النار تحيط بهم كإحاطة الثياب التي يلبسونها بهم (يصب من فوق رؤوسهم الحميم) أي الماء المغلي فيذيب في ما بطونهم من الشحوم وتساقط الجلود وفي خبر مرفوع أنه يصب على رؤوسهم الحميم فينفذ إلى أجوافهم فيسلت ما فيها (يصهر به ما في بطونهم والجلود) أي يذاب وينضج بذلك الحميم ما فيها من الأمعاء وتذاب به الجلود (ولهم مقامع من حديد) قال الليث المقمعة شبه الجرز من الحديد يضرب بها الرأس وروى أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ في قوله ولهم مقامع من حديد لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما اقلوه من الأرض وقال الحسن إن النار ترميهم بلهبها حتى إذا كانوا في اعلاها ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفا فإذا انتهوا إلى اسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرون ساعة فذلك قوله (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها) أي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفسهم حين ليس لها مخرج ردوا اليها بالمقامع (وذوقوا عذاب الحريق) اي ويقال لهم ذوقوا والذوق طلب ادراك الطعم والحريق الاسم من الاحتراق قال الزجاج هذا لأحد الخصمين وقال في الخصم الذين هم المؤمنون (إن الله يدخل الذين آمنوا) بالله وأقروا بوحدانيته (وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) أي من تحت ابنيتها واشجارها (يحلون فيها) اي يلبسون الحلي فيها (من اساور) وهي حلي اليد (من ذهب ولؤلؤا) أي ومن لؤلؤ (ولباسهم فيها حرير) أي ديباج حرم الله سبحانه لبس الحرير على الرجال في الدنيا وشوقهم اليه في الآخرة فأخبر أن لباسهم في الجنة حرير (وهدوا إلى الطيب من القول) أي ارشدوا في الجنة إلى التحيات الحسنة يحيي بعضهم بعضا ويحييهم الله وملائكته بها وقيل معناه ارشدوا إلى شهادة أن لا إله إلا الله والحمد لله عن ابن عباس وزاد ابن زيد والله اكبر وقيل ارشدوا إلى القرآن عن السدي وقيل إلى القول الذي يلتذونه ويشتهونه وتطيب به نفوسهم وقيل إلى ذكر الله فهم به يتنعمون (وهدوا إلى صراط الحميد) والحميد هو الله المستحق للحمد المستحمد إلى عباده بنعمه عن الحسن اي الطالب منهم ان يحمدوه وروي عن النبي ﷺ انه قال ما أحد احب اليه الحمد من الله عز ذكره وصراط الحميد هو طريق الإسلام وطريق الجنة

قوله تعالى (٢٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٦) وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٧) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٨) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٩) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٠) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (ست آيات)

القراءة

قرأ حفص عن عاصم وروح وزيد عن يعقوب سواء بالنصب والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابي مجلز ومجاهد وعكرمة والحسن رجالا بالتشديد والضم وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقراءة ابن ابي اسحاق والزهري والحسن بخلاف رجالا بالضم والتخفيف

الحجة

قال أبو علي وجه الرفع في سواء انه خبر مبتدأ مقدم والمعنى العاكف فيه والبادي سواء ليس احدهما بأحق به من صاحبه وهذا يدل على أن أرض الحرم لا تملك ولو ملكت لم يستويا فيها وصار العاكف فيها أولى بها من البادي لحق ملكه ولكن سبيلها سبيل المساجد التي من سبق اليها كان أولى بها ومن نصب سواء اعمل المصدر اعمال اسم الفاعل فرفع العاكف به كما يرفع بمستوى لو قال جعلناه مستويا العاكف فيه والبادي ووجه إعماله أن المصدر قد يقوم مقام اسم الفاعل في الصفة في نحو قولهم رجل عدل فيصير عدل كعادل ويجوز في نصب سواء وجه آخر وهو ان تنصبه على الحال فإذا نصبته عليها وجعلت قوله للناس مستقرا جاز أن يكون حالا يعمل فيها معنى الفعل وذو الحال الذكر الذي في المستقر ويجوز أن يكون حالا من الفعل الذي هو جعلناه فإن جعلتها حالا من الضمير المتصل بالفعل كان الضمير ذا الحال والعامل فيها الفعل وجواز كون للناس مستقرا على أن يكون المعنى انه جعل للناس ونصب لهم منسكا ومتعبدا كما قال إن أول بيت وضع للناس وأما قوله رُجّالا فهو جمع راجل مثل طالب وطلاب وكاتب وكتاب واما رُجالا بتخفيف الجيم فهو غريب في الجمع فهو نحو ظُؤار وعُراق ورُخال في جمع ظئر وعرق ورخل

اللغة

العاكف المقيم الملازم للمكان والبادي اصله من بدا يبدو إذا ظهر والبدو خلاف الحضر سمي بذلك لظهوره والبادية في الآية الطارئ والمكان ما يتمكن عليه الشيء قيل هو اسم لما احاط بالشيء والمكان والموضع والمستقر نظائر والرجال جمع راجل مثل صحاب وقيام في جمع صاحب وقائم والضامر المهزول اضمره السير والعميق البعيد قال الراجز «يقطعن بعد النازح العميق» والبائس الذي به ضرّ الجوع والفقير الذي لا شيء له يقال بؤس فهو بائس اي صار ذا بؤس وهو الشدة قال الأزهري لا يعرف التفث في لغة العرب إلا من قول ابن عباس واهل التفسير وقال النضر بن شميل هو اذهاب الشعث

الإعراب

خبر ان الذين كفروا محذوف يدل عليه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم فالمعنى ان الذين كفروا نذيقهم العذاب الأليم ومن يرد فيه بالحاد الباء فيه زائدة تقديره ومن يرد فيه الحادا والباء في قوله بظلم للتعدية وما جاءت الباء فيه مزيدة قول الشاعر

بِوَادٍ يَمَانٍ يُنْبِتُ الشَّثَّ صَدْرُهُ ... وَأَسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ وَالشَّبْهَانِ (١)

وقول الأعشى

ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا ... مِلْءَ الْمَرَاجِلِ وَالصَّرِيحَ الْأَجْرَدَا (٢)

وقول امرئ القيس

أَلَا هَلْ أَتَاهَا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ ... بِأَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ بْنَ تَمْلِكَ بَيْقَرَا (٣)

(١) الشث : شجر طيب الريح مر الطعم يدبغ به . والمرخ والشبهان : نوعان من الشجر . (٢) المراجل : ضرب من الثياب . والصريح الاجرد أراد به اللبن الخالص الذي لا رغوة فيه . (٣) قال في اللسان : بيقر الرجل : هاجر من ارض الى ارض . خرج الى حيث لا يدرى . نزل الحضر واقام هناك وترك قومه بالبادية وخص بعضهم به العراق . ثم قال

وقال الزجاج والذي يذهب اليه اصحابنا ان الباء ليست بملغاة والمعنى عندهم ومن ارادته فيه بأن يلحد بظلم وهو مثل قوله

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا ... تَمَثَّلَ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

والمعنى اريد وارادتي لهذا على كل ضامر في موضع نصب على الحال اي يأتوك رجالا وركبانا ويأتين في موضع جرّ لأن المعنى فقوله وعلى كل ضامر على ابل ضامرة آتية من كل فج عميق وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قرأ يأتون فعلى هذا يعود الضمير في يأتون الى الناس

=[المعنى]=

ثم بيّن سبحانه حال الكفار فقال (إن الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله) عطف بالمضارع على الماضي لأن المراد بالمضارع ايضا الماضي ويقوّيه قوله الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ويجوز ان يكون المعنى أن الذين كفروا فيما مضى وهم الآن يصدّون الناس عن طاعة الله (والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس) اي مستقراً ومنسكا ومتعبدا وقيل معناه خلقناه للناس كلهم لم يخصّ به بعض دون بعض قال الزجاج جعلناه للناس وقف تام ثم قال (سواء العاكف فيه والباد) أي العاكف المقيم فيه والباد الذي ينتابه[1] من غير اهله مستويان في سكناه والنزول به فليس احدهما احق بالمنزل يكون فيه من الآخر غير انه لا يخرج احد من بيته عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير قالوا ان كراء دور مكة وبيعها حرام والمراد بالمسجد الحرام على هذا الحرم كله كقوله اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وقيل المراد بالمسجد الحرام عين المسجد الذي يصلى فيه عن الحسن ومجاهد والجبائي والظاهر يدل عليه وعلى هذا يكون المعنى في قوله جعلناه للناس اي قبلة لصلاتهم ومنسكا لحجهم فالعاكف والباد سواء في حكم النسك وكان المشركون يمنعون المسلمين عن الصلاة في المسجد الحرام والطواف به ويدّعون انهم اربابه وولاته (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) والالحاد العدول عن القصد واختلف في معناه هاهنا فقيل هو الشرك وعبادة غير الله تعالى عن قتادة فكأنه قال ومن يرد فيه ميلا عن الحق بأن يعبد غير الله ظلما وعدوانا وقيل هو الاستحلال للحرام والركوب للآثام عن ابن عباس والضحاك ومجاهد وابن زيد وقيل هو كل شيء نهي عنه حتى شتم الخادم لأن الذنوب هناك اعظم وقيل هو دخول مكة بغير احرام عن عطا (نذقه من عذاب أليم) اي نعذبه عذاباً وجيعاً وقيل ان الآية نزلت في الذين صدّوا رسول الله ﷺ عن مكة عام الحديبية (وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) معناه واذكر يا محمد إذ وطأنا لابراهيم مكان البيت وعرفناه ذلك بما جعلنا له من العلامة قال السدي ان الله تعالى لما امره ببناء الكعبة لم يدر اين يبني فبعث الله ريحا خجوجاً[2] فكنست له ما حول الكعبة عن الأساس الأول الذي كان البيت عليه قبل ان رفع ايام الطوفان وقال الكلبي بعث الله سبحانه على قدر البيت فيها رأس تتكلم فقامت بحيال الكعبة وقالت يا ابراهيم إبن على قدري وقيل ان المعنى جعلنا البيت مثوبة ومسكنة عن ابن الانباري (ان لا تشرك بي شيئاً) اي واوحينا اليه ان لا تعبد غيري قال المبرد كأنه قال وحّدني في هذا البيت لان معنى لا تشرك بي شيئا وحّدني (وطهر بيتي) من الشرك وعبادة الأوثان عن قتادة (للطائفين والقائمين والركع السجود) مفسر بسورة البقرة والمراد بالقائمين المقيمين بمكة وقيل القائمين في الصلاة عن عطا (واذن في الناس بالحج) اي ناد في الناس واعلمهم بوجوب الحج واختلف في المخاطب به على قولين ✻ احدهما ✻ انه ابراهيم عن علي وابن عباس واختاره ابو مسلم قال ابن عباس قام في المقام فنادى يا ايها الناس ان الله دعاكم الى الحج فأجابوا بلبيك اللهم لبيك ✻ والثاني ✻ ان المخاطب به نبينا محمد عليه افضل الصلوات اي واذن يا محمد في الناس بالحج فأذن صلوات الله عليه في حجة الوداع اي اعلمهم بوجوب الحج عن الحسن والجبائي وجمهور المفسرين على القول الأول وقالوا اسمع الله تعالى صوت ابراهيم كل من سبق علمه بأنه يحج الى يوم القيامة كما اسمع

← وقول امرىء القيس (في هذا البيت) يحتمل جميع ذلك .

(١) اى يقصده ويأتيه . الخجوج من الرياح : الشديدة .

سليمان مع ارتفاع منزلته و كثرة جنوده حوله صوت النملة مع خفضه وسكونه وفي رواية عطا عن ابن عباس قال لما امر الله سبحانه ابراهيم ان ينادي في الناس بالحج صعد ابا قبيس ووضع اصبعيه في اذنيه وقال يا أيها الناس اجيبوا ربكم فأجابوه بالتلبية في اصلاب الرجال وأول من أجابه أهل اليمن (يأتوك رجالا) أي مشاة على ارجلهم (وعلى كل ضامر) اي ركبانا قال ابن عباس يريد الابل ولا يدخل بعير ولا غيره الحرم الا وقد هزل وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال لبنيه يابني حجوا من مكة مشاة حتى ترجعوا اليها مشاة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة وللحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف حسنة (يأتين من كل فج عميق) أي طريق بعيد وروي مرفوعا عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله تعالى يباهي بأهل عرفات الملائكة يقول يا ملائكتي انظروا إلى عبادي شعثا غبرا أقبلوا يضربون إليّ من كل فج عميق فأشهدكم أني قد اجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيأهم لمحسنهم وأعطيت محسنهم جميع ما سألوني غير التبعات التي بينهم فإذا أفاض القوم إلى جَمْع ووقفوا وعادوا في الرغبة والطلب إلى الله يقول يا ملائكتي عبادي وقفوا وعادوا من الرغبة والطلب فاشهدكم أني قد اجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيأهم لمحسنهم وأعطيت محسنهم جميع ما سألني وكفلت عنهم بالتبعات التي بينهم وقوله (ليشهدوا منافع لهم) قيل يعني بالمنافع التجارات عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل التجارة في الدنيا والأجر والثواب في الآخرة عن مجاهد وقيل هي منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة عن سعيد بن المسيب وعطية العوفي وهو المروي عن ابي جعفر الباقر (ع) ويكون المعنى ليحضروا ما ندبهم الله اليه مما فيه النفع لهم في الآخرة (ويذكروا اسم الله في ايام معلومات) اختلف في هذه الأيام وفي الذكر فيها فقيل هي ايام العشر وقيل لها معلومات للحرص على علمها من أجل وقت الحج في آخرها والمعدودات أيام التشريق عن الحسن ومجاهد وقيل هي ايام التشريق يوم النحر وثلاثة بعده والمعدودات أيام العشر عن ابن عباس وهو المروي عن ابي جعفر (ع) واختاره الزجاج قال لأن الذكر هاهنا يدل على التسمية على ما ينحر لقوله (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) أي على ذبح ونحر ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم وهذه الأيام تختص بذلك وقيل إن الذكر فيها كناية عن الذبح لأن صحة الذبح لما كان بالتسمية سمي باسمه توسعا وقيل هو التكبير قال ابو عبد الله التكبير بمنى عقيب خمس عشرة صلاة أولها صلاة الظهر من يوم النحر يقول الله اكبر الله اكبر لا إله إلا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا والله اكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام والبهيمة أصلها من الإبهام وذلك انها لا تفصح كما يفصح الحيوان الناطق والانعام الابل واشتقاقها من النعمة وهي اللين سميت بذلك للين اخفافها وقد يجتمع معها البقر والغنم فيسمى الجميع انعاما اتساعا وان انفردا لم يسميا انعاما (فكلوا منها) أي من بهيمة الأنعام وهذا اباحة وندب وليس بواجب (واطعموا البائس الفقير) فالبائس الذي ظهر عليه اثر البؤس من الجوع والعري وقيل البائس الذي يمد يده بالسؤال ويتكفف للطلب امر سبحانه أن يعطى هؤلاء من الهدي (ثم ليقضوا تفثهم) أي ليزيلوا شعث الإحرام من تقليم ظفر وأخذ شعر وغسل واستعمال طيب عن الحسن وقيل معناه ليقضوا مناسك الحج كلها عن ابن عباس وابن عمر قال الزجاج قضاء التفث كناية عن الخروج من الإحرام إلى الإحلال (وليوفوا نذورهم) أي وليتموا نذورهم بقضائها ولم يقل بنذورهم لأن المراد بالإيفاء الإتمام قال ابن عباس هو نحر ما نذروا من البدن وقيل هو ما نذروا من اعمال البر في ايام الحج وربما نذر الانسان ان يتصدق إن رزقه الله الحج وان كان على الرجل نذور مطلقة فالأفضل أن يفي بها هناك (وليطوفوا بالبيت العتيق) هذا أمر وظاهره يقتضي الوجوب وقيل اراد به طواف الزيارة لأنه من أركان افعال الحج بلا خلاف وقيل انه طواف الصَدَر[1] لأنه سبحانه امر به عقيب

(١) قال الطبرسي: طواف الصدر: طواف الرجوع من منى.

المناسك كلها وروي اصحابنا أن المراد به طواف النساء الذي يستباح به وصل النساء وذلك بعد طواف الزيارة فإنه إذا طاف طواف الزيارة حل له كل شيء إلا النساء فإذا طاف طواف النساء حلت له النساء والبيت العتيق هو الكعبة وإنما سمي عتيقا لأنه اعتق من ان يملكه العبيد عن مجاهد وسفيان بن عيينة وابي مسلم وقيل إنما سمي عتيقا لانه اعتق من أن تصل الجبابرة إلى تخريبه وما قصده جبار قبل نبينا ﷺ إلا اهلكه الله تعالى وإنما لم يهلك الحجاج حين نقضه وبناه ثانيا ببركة نبينا ﷺ فإن الله سبحانه أمن ببركته هذه الامة من عذاب الاستئصال عن مجاهد وقيل سمي به لأنه اعتق من الطوفان فغرقت الارض كلها إلا موضع البيت وقيل سمي به لانه قديم فهو اول بيت وضع للناس بناه آدم (ع) ثم جدده ابراهيم (ع) عن ابن زيد (ذلك) قيل ههنا وقف ومعناه الامر ذلك اي هكذا امر الحج والمناسك (ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) اي فالتعظيم خير له عند ربه اي في الآخرة والحرمة ما لا يحل انتهاكه وقال الزجاج الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وهي في هذه الآية ما نهي عنها ومنع من الوقوع فيها وتعظيمها ترك ملامستها واختار اكثر المفسرين في معنى الحرمات هنا انها المناسك لدلالة ما يتصل بها من الآيات على ذلك وقيل معناها ههنا البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام عن ابن زيد قال ويدل عليه قوله والحرمات قصاص (وأحلت لكم الانعام) اي الإبل والبقر والغنم (إلا ما يتلى عليكم) يعني في سورة المائدة من الميتة والمنخنقة والموقوذة ونحوها (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) من هنا للتبيين والتقدير فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان وروى اصحابنا أن اللعب بالشطرنج والنرد وسائر انواع القمار من ذلك وقيل انهم كانوا يلطخون الأوثان بدماء قرابينهم فسمي ذلك رجسا (واجتنبوا قول الزور) يعني الكذب وقيل هو تلبية المشركين لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك وروى اصحابنا أنه يدخل فيه الغناء وسائر الأقوال الملهية وروى ايمن بن خريم عن رسول الله ﷺ انه قام خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ثم قرأ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور يريد انه قد جمع في النهي بين عبادة الوثن وشهادة الزور

قوله تعالى (٣١) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣٢) ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٣) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٤) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٥) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ أهل المدينة فتخطفه بفتح الخاء مشدداً والباقون فتخطفه بسكون الخاء والتخفيف وقرأ منسكا بالكسر اهل الكوفة غير عاصم والباقون منسكا بالفتح وفي الشواذ قراءة الحسن وابن ابي اسحاق والمقيمي الصلاة بالنصب

الحجة

تخطف تتخطف فحذف تاء التفعل وهما في كلا القراءتين حكاية حال تكون والمعنى في ذلك انه في مقابلة قوله فقد استمسك بالعروة الوثقى لانفصام لها فالمشرك بعكس هذا الوصف فلم يستمسك لكفره بما فيه أمان من الخرور ونجاة من الهوى واختطاف الطير فصار كمن خر من السماء فهوت به الريح فلم يكن له معتصم

والأصل في المنسك الفتح لانه لا يخلو من أن يكون مصدرا او مكانا وكلاهما مفتوح العين من باب يفعل إلا انه قد جاء اسم المكان منه في كلمات على المفعل نحو المطلع والمسجد شاذاً عن القياس ومن قرأ والمقيمي الصلاة فإنه حذف النون تخفيفاً لا لتعاقبها الاضافة وشبّه ذلك بالذين واللذان في قول الشاعر

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ ... هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ (١)

وقول الأخطل

أَبَنِي كُلَيْبٍ إِنَّ عَمَّيَّ اللَّذَا ... قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَّكَا الْأَغْلَالَا

ونحوه بيت الكتاب

وَالْحَافِظُو عَوْرَةَ الْعَشِيرَةِ لَا ... يَأْتِيهِمُ مِنْ وَرَائِهِمْ وَكَفُ (٢)

وقال آخر

قَتَلْنَا نَاجِيًا بِقَتِيلِ عَمْرٍو ... وَخَيْرُ الطَّالِبِي التِّرَةَ الْغَشُومُ (٣)

اللغة

الخطف والاخطاف الاستلاب والسحيق البعيد والسحوق النخلة الطويلة والشعائر علامات مناسك الحج التي تشعر بما جعلت له واشعرت البدن اعلمتها بما يشعر أنها هدي والمنسك موضع العبادة والنسك العبادة يقال نسك ينسك وينسك اي تعبد وقيل هو عبادة الذبح والنسيكة الذبيحة يقال نسكت الشاة ذبحتها والاخبات الخضوع والطمأنينة واصله من الخبت وهو المكان المطمئن وقيل المنخفض

المعنى

قال سبحانه (حنفاء لله) أي مستقيمي الطريقة على امر الله مائلين عن سائر الأديان وهي نصب على الحال (غير مشركين به) أي حجاجاً مخلصين وهم مسلمون موحدون لا يشركون في تلبية الحج به أحداً ثم ضرب سبحانه مثلاً لمن أشرك فقال (ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء) أي سقط من السماء (فتخطفه الطير) أي تأخذه بسرعة قال ابن عباس يريد تخطف لحمه (أو تهوي به الريح) أي تسقطه (في مكان سحيق) أي بعيد مفرط في البعد قال الزجاج اعلم الله سبحانه ان بعد من أشرك به من الحق كبعد من خرّ من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح في مكان بعيد وقال غيره شبّه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في انه لا يملك لنفسه حيلة فهو هالك لا محالة (ذلك) أي الأمر ذلك الذي ذكرنا (ومن يعظم شعائر الله) أي معالم دين الله والاعلام التي نصبها لطاعته ثم اختلف في ذلك فقيل هي مناسك الحج كلها عن ابن زيد وقيل هي البدن وتعظيمها استسمانها واستحسانها عن مجاهد وعن ابن عباس في رواية مقسم والشعائر جمع شعيرة وهي البدن إذا اشعرت أي اعلمت عليها بأن يشق سنامها من الجانب الأيمن ليعلم انها هدي فالذي يهدي مندوب إلى طلب الاسمن والأعظم وقيل شعائر الله دين الله كله وتعظيمها التزامها عن الحسن (فإنها) أي فإن تعظيمها لدلالة تعظم عليه ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه فقال فإنها (من تقوى القلوب) أضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب وقيل أراد صدق النية (لكم فيها) أي في الشعائر (منافع) فمن تأول أن الشعائر الهدي قال ان منافعها ركوب ظهورها وشرب البانها إذا احتيج اليها وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وهو قول عطاء بن ابي رباح ومذهب الشافعي وعلى هذا فقوله إلى أجل مسمى معناه إلى أن ينحر وقيل ان المنافع من رسلها ونسلها وركوب ظهورها وأصوافها وأوبارها (إلى اجل مسمى) أي إلى أن يسمى هديا وبعد ذلك تنقطع المنافع عن مجاهد وقتادة والضحاك والقول الأول أصح لأن قبل ان تسمى هديا لا تسمى شعائر ومن قال ان

(١) حان الرجل : هلك . وفلج : اسم بلد . (٢) الوكف : العيب (٣) الترة : الثأر ورجل غشوم : ظالم

الشعائر مناسك الحج قال المراد بالمنافع التجارة إلى اجل مسمى إلى ان يعود من مكة ومن قال ان الشعائر دين الله قال لكم فيها منافع اي الأجر والثواب والأجل المسمى القيامة (ثم محلها إلى البيت العتيق) ومن قال ان شعائر الله هي البدن قال معناه ان محل الهدي والبدن الكعبة وقيل محله الحرم كله وقال اصحابنا ان كان الهدي للحج فمحله منى وان كان للعمرة المفردة فمحله مكة قبالة الكعبة بالجزورة ومحلها حيث يحل نحرها ومن قال ان الشعائر مناسك الحج قال معناه ثم محل الحج والعمرة والطواف بالبيت العتيق وان منتهاها إلى البيت العتيق لأن التحلل يقع بالطواف والطواف يختص بالبيت ومن قال ان الشعائر هي الدين كله فيحتمل ان يكون معناه ان محل ما اختص منها بالاحرام هو البيت العتيق وذلك الحج والعمرة في القصد له والصلاة في التوجه اليه ويحتمل ان يكون معناه ان اجرها على رب البيت العتيق (ولكل امة جعلنا منسكا) اي لكل جماعة مؤمنة من الذين سلفوا جعلنا عبادة في الذبح عن مجاهد وقيل قربانا احل لهم ذبحه وقيل متعبداً وموضع نسك يقصده الناس وقيل منهاجاً وشريعة عن الحسن (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) اي تعبدناهم بذلك ليذكروا اسم الله على ما رزقناهم من بهيمة الأنعام وبهيمة غير الأنعام لا يحل ذبحها ولا التقرب بها وفي هذا دلالة على ان الذبائح غير مختصة بهذه الأمة وان التسمية على الذبح كانت مشروعة قبلنا (فإلهكم إله واحد) اي معبودكم الذي توجهون اليه العبادة واحد لا شريك له والمعنى فلا تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده (فله اسلموا) اي انقادوا واطيعوا (وبشر المخبتين) اي المتواضعين المطمئنين إلى الله عن مجاهد وقيل الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لا ينتصرون كأنهم اطمأنوا إلى يوم الجزاء ثم وصفهم فقال (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) اي إذا خوفوا بالله خافوا (والصابرين على ما اصابهم) من البلايا والمصائب في طاعة الله (والمقيمي الصلاة) في اوقاتها يؤدونها كما امرهم الله (ومما رزقناهم ينفقون) اي يتصدقون من الواجب وغيره عن ابن عباس

قوله تعالى (٣٦) وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٧) لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٨) إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٩) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٤٠) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ خمس آيات

القراءة

قرأ لن تنال الله ولكن تناله بالتاء يعقوب وقرأ الأول بالتاء ابو جعفر وقرأ الباقون بالياء فيهما وقرأ ابن كثير وأهل البصرة ان الله يدفع بغير الف والباقون يدافع بالألف وقرأ اهل المدينة ويعقوب ولولا دفاع الله بالألف والباقون دفع الله بغير الف وقرأ اهل المدينة وحفص أذن بضم الالف يقاتلون بفتح التاء وقرأ ابو بكر وابو عمرو ويعقوب أذن بضم الالف يقاتلون بكسر التاء وقرأ ابن عامر اذن بفتح الالف يقاتلون بفتح التاء والباقون اذن بفتح الالف يقاتلون بكسر التاء وقرأ اهل الحجاز لهدمت خفيفة الدال والباقون بالتشديد واظهر التاء عاصم ويعقوب

وادغمه الآخرون وقرأ ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وابو جعفر الباقر (ع) وقتادة وعطا والضحاك صوافن بالنون وقرأ الحسن وشقيق وابو موسى الأشعري وسليمان التيمي صوافي وقرأ جعفر بن محمد (ع) وصلوات بضم الصاد واللام وقرأ الجحدري والكلبي وصلوات بضم الصاد وفتح اللام .

— الحجة —

التأنيث في تنال للجماعة واللفظ التقوى والتذكير لمعنى الجمع ولأن التقوى بمعنى الاتقاء والدفع مصدر دفع والدفاع مصدر دافع وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو طارقت النعل وعاقبت اللص واما قوله اذن للذين يقاتلون فالقراآت فيها متقاربة والمأذون لهم في القتال اصحاب رسول الله ﷺ وما ظلموا به ان المشركين أخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة منهم بالحبشة ثم هاجروا إلى المدينة فمن قرأ اذن على بناء الفعل للفاعل فلما تقدم من ذكر الله سبحانه وقوله للذين يقاتلون في موضع نصب ومن قرأ يقاتلون فالمعنى انهم يقاتلون عدوهم الظالمين لهم ومن قرأ أذن على بناء الفعل للمفعول به فالمعنى على ان الله سبحانه اذن لهم في القتال والجار والمجرور في موضع رفع وقوله لهدمت بالتخفيف وانما جاز لأن ذلك قد يكون للقليل والكثير تقول ضربت زيداً ضربة وضربته الف ضربة فاللفظ في القلة والكثرة على حالة واحدة وهدمت بالتشديد يختص بالكثرة قال الشاعر

مَا زِلْتُ أَفْتَحُ أَبْوَاباً وَأُغْلِقُهَا حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا عَمْرِو بْنِ عَمَّارِ

فأما من قال صوافن فمثل الصافنات وهي الجياد من الخيل إلا انه استعمل هنا في الابل والصافن الرافع احدى رجليه معتمداً منها على سنبكها (١) قال عمرو بن كلثوم

تَرَكْنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونَا

والصوافي الخوالص لوجه الله واما صَلَوات وصُلُوات فيمكن ان يكون جمع صلاة وإن كانت غير مستعملة فيكون مثل حجرة وحُجُرات وحَجَرات

* اللغة *

البدن جمع بدنة وهي الابل المبدنة بالسمن قال الزجاج تقول بدنت الابل اي سمنتها وقيل اصل البدن الضخم و كل ضخم بدن وبدن بَدَناً وبُدْناً إذا ضخم وبدن تبديناً إذا اسن وثقل لحمه بالاسترخاء وفي الحديث اني قد بدنت فلاتبادروني بالركوع والسجود وقال (وَكُنْتُ خِلْتُ الشَّيْبَ وَالتَّبْدِينَا) (٢) والوجوب الوقوع يقال وجبت الشمس إذا وقعت في المغيب للغروب ووجب الحائط وقع ووجب القلب اضطرب بأن وقع ما يوجب اضطرابه ووجب الفعل إذا وقع ما يلزم به ووجب البيع إذا وقع وجوباً والصواف المصطفة الازهري عن ابن الاعرابي قال قنعت بما رزقت بالكسر وقنعت إلى فلان خضعت له بالفتح والمقتر والمقتري واحد وروي عن الحسن وابي رجاء وعمرو بن عبيد انهم قرأوا المقتري يقال عراه واعتراه وعرّه واعترّه كله بمعنى أتاه وقصده قال طرفة

فِي جِفَانٍ نَعْتَرِي نَادِيَنَا وَسَدِيفٍ حِينَ هَاجَ الصِّنَّبَرُ (٣)

ويقال قنع الرجل إلى فلان قنوعاً إذا سأل قال الشاخ

لَمَالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي مَفَاقِرَهُ أَعَفُّ مِنَ الْقُنُوعِ

والصومعة أصلها من الانضمام ومنه الأصمع للاصق الاذنين و كل منضم فهو متصمع قال ابو ذؤيب يصف صائداً

فَرَمَى فَأَنْفَذَ مِنْ نُحُوصٍ عَائِطٍ سَهْماً فَخَرَّ وَرِيشُهُ مُتَصَمِّعُ (٤)

والبيع كنائس اليهود

(١) السنبك : طرف الحافر . (٢) قائله حميد الارقط وبعده «والهم مما يذهل القرينا» (٣) النادى : المجلس والسديف : لحم السنام وقيل شحمه . والصنبر : برد الشتاء . (٤) النحوص : الاتان الوحشية . والعائط من النوق : التى لم تحمل اول سنة يطرقها الفحل . والمتصمع من السهام : المنضم الريش من الدم .

﴿ الإعراب ﴾

والبدن منصوب باضمار فعل تقديره وجعلنا البدن جعلناها صواف منصوب على الحال ٠ الذين اخرجوا من ديارهم في محل الجر بأنه بدل من الذين يقاتلون ويجوز ان يكون في موضع الرفع على تقديرهم الذين اخرجوا وفي محل النصب على المدح على تقدير أعني الذين اخرجوا ٠ بغير حق في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف وتقديره اخرجوا اخراجاً بهذه الصفة إلا أن يقولوا ربنا الله ٠ الا هاهنا لنقض النفي وتقديره إلا بأن يقولوا أي بقولهم وبعضهم منصوب على البدل من الناس وهو بدل البعض من الكل والتقدير دفع الله بعض الناس ببعض

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد إلى ذكر الشعائر فقال (والبدن) وهي الابل العظام وقيل الناقة والبقرة مما يجوز في الهدي والاضاحي عن عطا والسدي (جعلناها لكم من شعائر الله) أي من اعلام دينه وقيل من علامات مناسك الحج والمعنى جعلناها لكم فيها عبادة الله من سوقها إلى البيت واشعارها وتقليدها ونحرها والاطعام منها (لكم فيها خير) أي نفع في الدنيا والآخرة وقيل أراد بالخير ثواب الآخرة وهو الوجه لأنه الغرض المطلوب (فاذكروا اسم الله عليها) أي في حال نحرها وعبّر به عن النحر قال ابن عباس هو ان يقول الله اكبر لا إله إلا الله والله اكبر اللهم منك ولك (صواف) أي قياماً مقيدة على سنة محمد ﷺ عن ابن عباس وقيل هو ان تعقل إحدى يديها وتقوم على ثلاثة تنحر كذلك فيسوي بين اوظفتها لئلا يتقدم بعضها على بعض عن مجاهد وقيل هو ان تنحر وهي صافة أي قائمة ربطت يديها ما بين الرسغ والخف إلى الركبة عن ابي عبد الله (ع) هذا في الابل فأما البقر فإنه يشدّ يداها ورجلاها ويطلق ذنبها والغنم يشد ثلاث قوائم منها ويطلق فرد رجل منها (فإذا وجبت جنوبها) أي سقطت إلى الأرض وعبّر بذلك عن تمام خروج الروح منها (فكلوا منها) وهذا اذن وليس بأمر لأن أهل الجاهلية كانوا يحرّمونها على نفوسهم وقبل ان الأكل منها واجب إذا تطوع بها (واطعموا القانع والمعتر) اختلف في معناهما فقيل ان القانع الذي يقنع بما اعطي أو بما عنده ولا يسأل والمعتر الذي يتعرض لك أن تطعمه من اللحم ويسأل عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة وابراهيم وقيل القانع الذي يسأل والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل عن الحسن وسعيد بن جبير وقال ابو جعفر (ع) وابو عبد الله (ع) القانع الذي يقنع بما اعطيته ولا يسخط ولا يكلح ولا يلوي شدقه غضباً والمعتر المادّ يده لتطعمه وفي رواية الحلبي عن ابي عبدالله (ع) قال القانع الذي يسأل فيرضى بما أعطي والمعتر الذي يعتري رحلك ممن لا يسأل وروي عن ابن عباس انه قال في جواب نافع بن الازرق لما سأله عن ذلك القانع الذي يقنع بما اعطي والمعتر الذي يعتري الأبواب أما سمعت قول زهير

عَلَى مُكْثِرِيهِمْ حَقُّ مَنْ يَعْتَرِيهِمُ وَعِنْدَ الْمُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ

وروي عنهم (ع) انه ينبغي أن يطعم ثلثه ويعطي القانع والمعتر ثلثه ويهدي لأصدقائه الثلث الباقي (كذلك) أي مثل ما وصفناه (سخّرناها لكم) أي ذلّلناها لكم حتى لا تمنع عما تريدون منها من النحر والذبح بخلاف السباع الممتنعة ولتنتفعوا بركوبها وحملها ونتاجها نعمة منا عليكم (لعلكم تشكرون) ذلك (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) اي لن تصعد إلى الله لحومها ولا دماؤها وإنما يصعد اليه التقوى عن الحسن وهذا كناية عن القبول وذلك إنما يقبله الإنسان يقال قد ناله ووصل اليه فيخاطب الله سبحانه عباده بما اعتادوه في مخاطباتهم وكانوا في الجاهلية إذا ذبحوا الهدي استقبلوا الكعبة بالدماء فنضحوها حول البيت قربة إلى الله وقيل معناه لن تبلغوا رضا الله بذلك وإنما تبلغونه بالتقوى (كذلك سخّرها لكم) تقدّم تفسيره (لتكبروا الله على ما هداكم) اي على ما بيّن لكم وارشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وقيل هو ان يقول الله اكبر على ما هدانا

(وبشر المحسنين) اي الموحدين عن ابن عباس وقيل الذين يعملون اعمالا حسنة ولا يسيئون الى غيرهم ثم بيّن سبحانه دفعه عن المؤمنين بشارة لهم بالنصر فقال (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) غائلة المشركين بأن يمنعهم منهم وينصرهم عليهم (إن الله لا يحب كل خوان كفور) وهم الذين خانوا الله بأن جعلوا معه شريكا و كفروا نعمه عن ابن عباس وقيل من ذكر اسم غير الله وتقرب إلى الأصنام بذبيحته فهو خوان كفور عن الزجاج ثم بيّن سبحانه اذنه لهم في قتال الكفار بعد تقدم بشارتهم بالنصرة فقال (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) اي بسبب انهم ظلموا وقد سبق معناه في الحجة وكان المشركون يؤذون المسلمين ولا يزال يجيء مشجوج ومضروب إلى رسول الله ﷺ ويشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ فيقول لهم صلوات الله عليه وآله اصبروا فإني لم اومر بالقتال حتى هاجر فأنزل الله عليه هذه الآية بالمدينة وهي اول آية نزلت في القتال وفي الآية محذوف وتقديره اذن للمؤمنين ان يقاتلوا او بالقتال من اجل انهم ظلموا بأن اخرجوا من ديارهم وقصدوا بالايذاء والاهانة (وان الله على نصرهم لقدير) وهذا وعد لهم بالنصر معناه انه سينصرهم ثم بيّن سبحانه حالهم فقال (الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله) يحتمل معناه ان يكون اراد اخرجوا إلى المدينة فتكون الآية مدنية ويحتمل إلى الحبشة فتكون الآية مكية وذلك بأنهم تعرضوا لهم بالأذى حتى اضطروا إلى الخروج وقوله بغير حق معناه من غير ان استحقوا ذلك عن الجبائي اي لم يخرجوا من ديارهم إلا لقولهم ربنا الله وحده وقال ابو جعفر (ع) نزلت في المهاجرين وجرت في آل محمد عليهم السلام الذين اخرجوا من ديارهم واخيفوا (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) قد تقدّم الكلام في هذا (لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد) اي صوامع في ايام شريعة عيسى وبيع في ايام شريعة موسى ومساجد في ايام شريعة محمد ﷺ عن الزجاج والمعنى ولولا ان دفع الله بعض الناس ببعض لهدم في كل شريعة بناء المكان الذي يصلي فيه وقيل البيع للنصارى في القرى والصوامع في الجبال والبراري ويشترك فيها الفرق الثلاث والمساجد للمسلمين والصلوات كنيسة اليهود عن ابي مسلم وقال ابن عباس والضحاك وقتادة الصلوات كنائس اليهود يسمونها صلوثا فعربت وقال الحسن اراد بذلك عين الصلاة وهدم الصلاة بقتل فاعليها ومنعهم من اقامتها وقيل اراد بالصلوات المصليات كما قال لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى واراد المساجد (يذكر فيها اسم الله كثيرا) الهاء تعود الى المساجد وقيل الى جميع المواضع الذي تقدمت لأن الغالب فيها ذكر الله (ولينصرن الله من ينصره) هذا وعد من الله بأنه سينصر من ينصر دينه وشريعته (ان الله لقوي عزيز) اي قادر قاهر

قوله تعالى (٤١) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤٢) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٣) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٤) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ خمس آيات كوفي

— « القراءة » —

قرأ اهل البصرة اهلكتها بالتاء والباقون اهلكناها والمعنى واحد

— « اللغة » —

يقال خوت الدار خواء ممدوداً فهي خاوية وخوى جوف الانسان من الطعام خوى مقصورا فهو خوى والتعطيل ابطال العمل بالشيء ولهذا يقال للدهري معطل لأنه ابطل العمل بالعلم على مقتضى الحكمة والمشيد المرتفع من الأبنية شاد الرجل بناه يشيده وشيده يشيّده قال عدي بن زيد

شَادَهُ مَرْمَراً وَجَلَّلَهُ كِلْساً فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وُكُورُ (١)

وقال امرؤ القيس

وَتَيْماءَ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذْعَ نَخْلَةٍ وَلَا أُطُماً إِلَّا مَشِيداً بِجَنْدَلِ (٢)

وقيل المشيد المجصص والمبني بالشيد والشيد الجص والجلال الجيار الصاروج

المعنى

ثم وصف سبحانه من ذكرهم من المهاجرين فقال (الذين إن مكناهم في الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) والتمكين اعطاء ما يصح معه الفعل فإن كان الفعل لا يصح الا بآلة فالتمكين اعطاء تلك الآلة لمن فيه القدرة وكذلك إن كان لا يصح الفعل إلا بعلم ونصب دلالة واضحة وسلامة ولطف وغير ذلك فالتمكين اعطاء جميع ذلك وإن كان الفعل يكفي في صحة وجوده مجرد القدرة فخلق القدرة التمكين فالمعنى الذين أعطيناهم ما به يصح الفعل منهم وسلطناهم في الأرض أدّوا الصلاة بحقوقها وأعطوا ما افترض الله عليهم من الزكاة (وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وهذا يدلُّ على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمعروف هو الحق لأنه يعرف صحته والمنكر هو الباطل لأنه لا يمكن معرفة صحته قال الزجاج هذه صفة مَنْ في قوله من ينصره وقال الحسن وعكرمة هم هذه الأمة وقال ابو جعفر(ع) نحن هم والله (ولله عاقبة الأمور) هو كقوله وإلى الله ترجع الأمور ومعناه انه يبطل كل ملك سوى ملكه فصير الامور اليه بلا مانع ولا منازع ثم عزّى سبحانه نبيّه ﷺ عن تكذيبهم اياه وخوف مكذّبيه بذكر من كذبوا انبيائهم فأهلكوا فقال (وإن يكذبوك) يا محمد (فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين) كل أمة من هؤلاء الأمم فقد كذبت نبيًّا ثم قال (وكذب موسى) ولم يقل وقوم موسى لأن قومه بنو اسرائيل وكانوا آمنوا به وإنما كذّبه فرعون وقومه (فأمليت للكافرين) أي أخّرت عقوبتهم وامهلتهم يقال أملى الله لفلان في العمر إذا أخّر عنه أجله (ثم أخذتهم) اي بالعذاب (فكيف كان نكير) استفهام معناه التقرير اي فكيف انكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب فأبدلتهم بالنعمة نقمة وبالحياة هلاكا قال الزجاج المعنى ثم اخذتهم فأنكرت ابلغ انكار ثم ذكر سبحانه كيف عذّب المكذبين فقال (فكأين من قرية اهلكناها) اي وكم من قرى اهلكناها واخذناها والاختيار التاء وذلك لقوله فأمليت (وهي ظالمة) اي واهلها ظالمون بالتكذيب والكفر (فهي خاوية على عروشها) اي خالية من اهلها ساقطة على سقوفها (وبئر معطلة) عطف على قوله من قرية اي وكم من بئر بار اهلها وغار ماؤها وتعطلت من دلائها فلا مستقى منها ولا وارد لها (وقصر مشيد) اي وكم من قصر رفيع مجصص تداعى

(١) الكلس : مثل الصاروج يبنى به . والذرى جمع الذروة : أعلى الشيء . والوكور جمع الكثير للوكر عش الطائر وان لم يكن فيه . وهذا البيت من قصيدة لعدي بن زيد قالها في ذم الدنيا ومن هذه القصيدة قوله «اين كسرى كسرى الملوك انوشر ﷺ وان أم اين قبله سابور» . (٢) الاطم الحصن والجندل : الحجارة .

الخراب بهلاك اهله فلم يبق فيه داع ولا مجيب واصحاب الآبار ملوك البدو واصحاب القصور ملوك الحضر وفي تفسير اهل البيت(ع) في قوله وبئر معطلة ان المعنى وكم من عالم لا يرجع اليه ولا ينتفع بعلمه وقال الضحاك هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضور انزل بها اربعة آلاف ممن آمن بصالح ومعهم صالح فلما حضروا مات صالح فسمي المكان حضرموت ثم انهم كثروا فكفروا وعبدوا الأصنام فبعث الله اليهم نبيا يقال له حنظلة فقتلوه في السوق فأهلكهم الله فماتوا عن آخرهم وعطلت بئرهم وخرب قصر ملكهم

قوله تعالى (٤٦) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٧) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٨) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٩) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥١) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ست آيات

القراءة

قرأ ابن كثير واهل الكوفة غير عاصم يعدون بالياء والباقون بالتاء. وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين بالتشديد وفي سبا ايضا في موضعين والباقون معاجزين بالألف في السورتين

الحجة

حجة من قرأ يعدون بالياء ان قبله يستعجلونك وحجة من قرأ بالتاء ان ذلك أعم وقوله معاجزين اي ظانين ومقدرين ان يعجزونا لأنهم ظنوا ان لا بعث ولا نشور فهو كقوله ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ومعجزين ينسبون من تبع النبي ﷺ الى العجز نحو جهلته نسبته الى الجهل وروي عن مجاهد انه فسر معجزين مثبطين اي يثبطون الناس عن النبي ﷺ

المعنى

ثم حثّ سبحانه على الاعتبار بحال من مضى من القرون المكذبة لرسلهم فقال (أفلم يسيروا في الارض) اي أولم يسر قومك يا محمد في ارض اليمن والشام عن ابن عباس (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) اي يعلمون بها ما يرون من العبر والمعنى فيعقلون بقلوبهم ما نزل بمن كذب قبلهم (او آذان يسمعون بها) اخبار الأمم المكذبة (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الهاء في انها ضمير القصة والجملة بعدها تفسيرها قال الزجاج وقوله التي في الصدور من التوكيد الذي يريده العرب في الكلام كقوله عشرة كاملة وقوله يقولون بأفواههم وقوله يطير بجناحيه وقيل انه انما ذكر ذلك لئلا يتوهم إلى غير معنى القلب نحو قلب النخلة فيكون أنفى للبس بتجوز الاشتراك و كذلك قوله يقولون بأفواههم لأن القول قد يكون بغير الفم والمعنى ان الأبصار وإن كانت عمياء فلا تكون في الحقيقة كذلك إذا كان اصحابها

عارفين بالحق و إنما يكون العمى عمى القلب الذي يقع معه الجحود بوحدانية الله (ويستعجلونك) يا محمد (بالعذاب) أن ينزل بهم ويستبطئونه (ولن يخلف الله وعده) أي في انزال العذاب بهم قال ابن عباس يعني يوم بدر (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) اختلف في معناه على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان يوما من أيام الآخرة يكون كألف سنة من أيام الدنيا عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن زيد وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه أراد ان يوما من الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض كألف سنة ويدل عليه ما روي ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام ويكون المعنى على هذا انهم يستعجلون العذاب وان يوما من أيام عذابهم في الآخرة كألف سنة ﴿ وثانيها ﴾ ان المعنى وان يوما عند ربك والف سنة في قدرته واحد فلا فرق بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب وبين تأخره في القدرة إلا أنه سبحانه تفضل بالامهال إذ لا يفوته شيء عن الزجاج وهو معنى قول ابن عباس في رواية عطا ﴿ وثالثها ﴾ ان يوما واحدا كالف سنة في مقدار العذاب لشدته وعظمته كمقدار عذاب الف سنة من أيام الدنيا على الحقيقة وكذلك نعيم الجنة لأنه يكون في مقدار يوم من أيام الجنة من النعيم والسرور مثل ما يكون في الف سنة من أيام الدنيا لو بقي منعم فيها ثم الكافر يستعجل ذلك العذاب لجهله عن الجبائي وهذا كما يقال في المثل « أيام السرور قصار وأيام الهموم طوال » وقال الشاعر

يَطُولُ اليَوْمَ لا أَلْقَاكَ فِيهِ ... وَحَوْلٌ تَلْتَقِي فِيهِ قَصِيرُ

وقال

تَطَاوَلَ أَيَّامٌ مَعَنٍّ بِنَا ... فَيَوْمٌ كَشَهْرَيْنِ إِذْ يَسْتَهِلُّ

وقال جرير « وَيَوْمٌ كَأَبْهَامِ الْحُبَارَى لَهَوْتُهُ » (١) ثم اعلم سبحانه أنه أخذ قوما بعد الاملاء والامهال فقال (وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة) مستحقة لتعجيل العقاب (ثم أخذتها) أي أهلكتها (وإليّ المصير) لكل احد ثم خاطب نبيه ﷺ فقال (قل) لهم (يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين) أي مخوف عن معاصي الله مبين لكم ما يجب عليكم فعله وما يجب عليكم تجنبه (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) من الله لمعاصيهم (ورزق كريم) يعني نعيم الجنة فإنه أكرم نعيم في أكرم دار (والذين سعوا في آياتنا) أي بذلوا الجهد في ابطال آياتنا وبالغوا في ذلك واصل السعي الاسراع في المشي (معاجزين) أي مغالبين عن ابن عباس والمعاجزة محاولة عجز المغالب وقيل مقدرين انهم يسبقوننا والمعاجزة المسابقة وقيل ظانين أن يعجزوا الله أي يفوتوه ولن يعجزوه عن قتادة وهذا مثل ما تقدم ومن قرأ معجزين فمعناه مثبطين لمن أراد اتباع النبي ﷺ عن مجاهد وقيل قاصدين تعجيز رسولنا وقيل ناسبين من تبعه إلى العجز (أولئك أصحاب الجحيم) أي الملازمون للجحيم أي النار

قوله تعالى (٥٢) وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٣) لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٤) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٥) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ أربع آيات

﴿ النزول ﴾

روي عن ابن عباس وغيره ان النبي ﷺ لما تلا سورة والنجم وبلغ إلى قوله أفرأيتم اللات والعزى ومنات

(١) الحبارى : طائر اكبر من الدجاج الاهلى وأطول عنقا منه وهو على شكل الاوزة ، برأسه وبطنه غبرة . وفى المثل : أقصر من ابهام الحبارى .

الثالثة الأخرى القى الشيطان في تلاوته تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترجى فسرّ بذلك المشركون فلما انتهى إلى السجدة سجد المسلمون وسجد ايضا المشركون لما سمعوا من ذكر آلهتهم بما اعجبهم فهذا الخبر ان صحّ محمول على انه كان يتلو القرآن فلما بلغ إلى هذا الموضع وذكر أسماء آلهتهم وقد علموا من عادته ﷺ انه كان يعيبها قال بعض الحاضرين من الكافرين تلك الغرانيق العلى والقى ذلك في تلاوته توهم ان ذلك من القرآن فأضافه الله سبحانه إلى الشيطان لأنه إنما حصل باغوائه ووسوسته وهذا أورده المرتضى قدس الله روحه في كتاب التنزيه وهو قول الناصر للحق من ائمة الزيدية وهو وجه حسن في تأويله

﴿ المعنى ﴾

(وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) من هنا مزيدة والتقدير ما ارسلنا قبلك رسولا ولا نبيا وإنما ذكر اللفظين لاختلاف فائدتهما فالرسول الذي ارسله الله تعالى ولا يحمل عند الاطلاق على غير رسول الله ﷺ والنبي الذي له الرفعة والدرجة العظيمة بالإرسال وقيل ان بينهما فرقا فالرسول الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي والنبي الذي يوحى اليه في منامه فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وقيل بل الرسول هو المبعوث إلى امة والنبي هو الذي لا يبعث إلى امة عن قطرب وقيل ان الرسول هو المبتدئ بوضع الشرائع والأحكام والنبي الذي يحفظ شريعة غيره عن الجاحظ والقول هو الاول لأن الله سبحانه خاطب نبينا ﷺ مرة بالنبي ومرة بالرسول فقال يا ايها الرسول ويا ايها النبي فالرسول والنبي واحد لأن الرسول يعمّ الملائكة والبشر والنبي يختص البشر فجمع بينهما هنا وفي قوله وكان رسولا نبيا (إلا إذا تمنى القى الشيطان في امنيته) قال المرتضى لا يخلو التمني في الاية من ان يكون معناه التلاوة كما قال حسان بن ثابت

تَمَنّى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ ... وَآخِرَهُ لَاقَى حِمَامَ الْمَقَادِرِ

او يكون تمني القلب فإن كان المراد التلاوة فالمعنى ان من ارسل قبلك من الرسل كان إذا تلا ما يؤديه إلى قومه حرّفوا عليه وزادوا فيما يقوله ونقصوا كما فعلت اليهود واضاف ذلك إلى الشيطان لأنه يقع بغروره (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) اي يزيله ويدحضه بظهور حججه وخرج هذا على وجه التسلية للنبي ﷺ لما كذب المشركون عليه واضافوا إلى تلاوته من مدح آلهتهم ما لم يكن فيها وان كان المراد تمني القلب فالوجه ان الرسول متى تمنى بقلبه بعض ما يتمناه من الأمور وسوس اليه الشيطان بالباطل يدعوه اليه وينسخ الله ذلك ويبطله بما يرشده اليه من مخالفة الشيطان وترك اتباع غروره قال واما الأحاديث المروية في هذا الباب فهي مطعونة ومضعفة عند اصحاب الحديث وقد تضمنت ما ينزه الرسل (ع) عنه وكيف يجوز ذلك على النبي ﷺ وقد قال الله سبحانه كذلك لنثبت به فؤادك وقال سنقرؤك فلا تنسى وان حمل ذلك على السهو فالساهي لا يجوز ان يقع منه مثل هذه الألفاظ المطابقة لوزن السورة ونظمها ثم لمعنى ما تقدمها من الكلام لأنا نعلم ضرورة ان الساهي لو انشد قصيدة لم يجز ان يسهو حتى يتفق منه بيت شعر في وزنها وفي معنى البيت الذي تقدمه وعلى الوجه الذي تقتضيه فائدته ويمكن ان يكون الوجه فيه ما ذكرناه في النزول لأن من المعلوم انهم كانوا يلقون عند قراءته طلبا لتخليطه ويمكن ان يكون كان هذا في الصلاة لأنهم كانوا يلقون في قراءته وقيل ايضا انه كان إذا تلا القرآن على قريش توقف في فصول الآيات واتى بكلام على سبيل الحجاج لهم فلما تلا الآيات قال تلك الغرانيق العلى على سبيل الانكار عليهم وعلى ان الامر بخلاف ما قالوه وظنّوه وليس يمتنع ان يكون هذا في الصلاة لان الكلام في الصلاة حينئذ كان مباحا وإنما نسخ من بعد وقيل ان المراد بالغرانيق الملائكة وقد جاء ذلك في بعض الحديث فتوهم المشركون انه يريد آلهتهم وقيل ان ذلك كان قرآنا منزلا في وصف الملائكة فلما ظنّ المشركون ان المراد به آلهتهم نسخت تلاوته وقال البلخي ويجوز ان يكون النبي ﷺ سمع هاتين

الكلمتين من قومه وحفظها فلما قرأ القاها الشيطان في ذكره فكاد ان يجريها على لسانه فعصمه الله ونبّهه ونسخ وسواس الشيطان واحكم آياته بأن قرأها النبي ﷺ محكمة سليمة مما اراد الشيطان ويجوز ان يكون النبي ﷺ لما انتهى إلى ذكر اللات والعزى قال الشيطان هاتين الكلمتين رافعاً بهما صوته فألقاهما في تلاوته في غمار الناس فظنّ الجهال ان ذلك من قول النبي ﷺ فسجدوا عند ذلك والغرانيق جمع غرنوق وهو الحسن الجميل يقال شاب غرنوق وغرانق إذا كان ممتليا ريا (ثم يحكم الله آياته) أي يبقي آياته ودلائله وأوامره محكمة لا سهو فيها ولا غلط (والله عليم) بكل شيء (حكيم) واضع للأشياء مواضعها (لينجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم) أي ليجعل ذلك تشديداً في التعبد وامتحانا عن الجبائي والمعنى انه شدّد المحنة والتكليف على الذين في قلوبهم شك وعلى الذين قست قلوبهم من الكفار فتلزمهم الدلالة على الفرق بين ما يحكمه الله وبين ما يلقيه الشيطان (وان الظالمين لفي شقاق بعيد) أي في معاداة ومخالفة بعيدة عن الحق (وليعلم الذين أوتوا العلم) بالله وبتوحيده وبحكمته (انه الحق من ربك) أي ان القرآن حق لا يجوز عليه التبديل والتغيير (فيؤمنوا به) أي فيثبتوا على إيمانهم وقيل يزدادوا إيمانا إلى إيمانهم (فتخبت له قلوبهم) أي تخشع وتتواضع لقوة إيمانهم (وان الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) اي طريق واضح لا عوج فيه أي يثبتهم على الدين الحق وقيل يهديهم ربهم بإيمانهم إلى طريق الجنة (ولا يزال الذين كفروا في مرية منه) أي في شك من القرآن عن ابن جريج وهذا خاص فيمن علم الله تعالى انهم لا يؤمنون من الكفار (حتى تأتيهم الساعة بغتة) أي فجأة وعلى غفلة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) قيل انه عذاب يوم بدر عن قتادة ومجاهد وسماه عقيما لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه ومثله قول الشاعر

عَقُمَ النِّسَاءُ فَلَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ لَعَقِيمُ

وقيل إنما سمي ذلك اليوم عقيما لأنه لم يكن فيه للكفار خير فهو كالريح العقيم التي لا تأتي بخير عن الضحاك واختاره الزجاج وقيل المراد به يوم القيامة والمعنى حتى تأتيهم علامات الساعة أو عذاب يوم القيامة وسماه عقيما لأنه لا ليلة له عن عكرمة والجبائي

﴿ النظم ﴾

اتصلت الآية الأولى بما تقدم من ذكر الكفار وما متّعوا به من نعيم الدنيا ولما رأى النبي ﷺ مامني به أصحابه من الاقتار تمنى لهم الدنيا فبيّن سبحانه ان ذلك التمني من وساوس الشيطان وان ما اعدّه لهم من نعيم الآخرة خير وقيل اتصل بقوله إنما أنا لكم نذير مبين فبيّن سبحانه أنه بشر وان حاله كحال الرسل قبله

قوله تعالى (٥٦) أَلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥٨) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٩) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٦٠) ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أهل المدينة مدخلا بالفتح والباقون بضم الميم وقد سبق ذكره

المعنى

لما تقدّم ذكر القيامة بيّن صفته فقال (الملك يومئذ لله) لا يملك أحد سواه شيئا بخلاف الدنيا (يحكم بينهم) أي يفصل بين المؤمنين والكافرين ثم بيّن حكمه فقال (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم) ينعمون فيها (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) يهينهم ويذلهم (والذين هاجروا في سبيل الله) أي فارقوا أوطانهم وخرجوا من مكة إلى المدينة (ثم قتلوا) في الجهاد (أو ماتوا) في الغربة (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) وهو رزق الجنة عن الحسن والسدي والرزق الحسن ما إذا رآه لا تمتد عينه إلى غيره وهذا لا يقدر عليه غير الله تعالى ولذلك قال (وان الله لهو خير الرازقين) وقيل بل هو مثل قوله بل أحياء عند ربهم يرزقون (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) لأن لهم فيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين والمدخل يجوز أن يكون بمعنى المكان وبمعنى المصدر (وان الله لعليم) بأحوالهم (حليم) عن معاجلة الكفار بالعقوبة (ذلك) اي الأمر ذلك الذي قصصنا عليك (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) اي من جازى الظالم بمثل ما ظلمه قال الحسن معناه قاتل المشركين كما قاتلوه والأول لم يكن عقوبة ولكن كقولهم الجزاء بالجزاء لازدواج الكلام (ثم بغي عليه) أي ظلم باخراجه من منزله يعني ما فعله المشركون من البغي على المسلمين حتى أخرجوهم إلى مفارقة ديارهم (لينصرنه الله) يعني المظلوم الذي بغي عليه (إن الله لعفو غفور) روي ان الآية نزلت في قوم من مشركي مكة لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا ان أصحاب محمد ﷺ لا يقاتلون في هذا الشهر فحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبوا فأظفر الله المسلمين بهم

قوله تعالى (٦١) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ ٱلْبَاطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ (٦٣) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٤) لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ (٦٥) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل العراق غير ابي بكر ما يدعون هنا وفي لقمان بالياء والباقون بالتاء.

الحجة

من قرأ تدعون بالتاء فعلى الخطاب للمشركين وحجته قوله يا أيها الناس ضرب مثل ومن قرأ بالياء فعلى الحكاية وحجته قوله يكادون يسطون

الإعراب

فتصبح الأرض إنما رفع لأنه لم يجعله جوابا للاستفهام والمراد به الخبر ومثله قول الشاعر

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ الْقَدِيمَ فَيَنْطِقُ ... وَهَلْ يُخْبِرَنْكَ الْيَوْمَ بَيْدَاءُ سَمْلَقُ (١)

المعنى

ثم قال سبحانه (ذلك) أي ذلك النصر (بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) اي يدخل

(١) قائله جميل والسملق : القاع المستوى الاملس والاجرد لا شجر فيه .

ما انتقص من ساعات الليل في النهار وما انتقص من ساعات النهار في الليل (وأن الله سميع) لدعاء المؤمنين (بصير) بهم (ذلك) اي ذلك الذي فعل من نصر المؤمنين (بأن الله هو الحق) أي ذو الحق في قوله وفعله وقيل معناه إنه الواحد في صفات التعظيم التي من اعتقده عليها فهو محق (وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) لأنه ليس عنده نفع ولا ضر (وان الله هو العلي) عن الأشياء (الكبير) الذي كل شيء سواه يصغر مقداره عن معناه (ألم تر أن الله انزل من السماء ماء) أي مطراً (فتصبح الأرض مخضرة) بالنبات (إن الله لطيف) بارزاق عباده من حيث لا يحتسبون (خبير) بما في قلوبهم وقيل اللطيف المحيط بتدبير دقائق الامور الذي لا يتعذر عليه شيء يتعذر على غيره (له ما في السماوات وما في الأرض) اي له التصرف في جميع ذلك (وأن الله لهو الغني الحميد) الغني الحي الذي ليس بمحتاج الحميد المحمود بصفاته وأفعاله (ألم تر ان الله سخر لكم ما في الأرض) من الحيوان والنبات (والفلك تجري في البحر بأمره) اي وسخّر لكم الفلك في حال جريها (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) أي يمنع السماء من وقوعها على الأرض إلا بإرادته والمعنى إلا إذا اذن الله في ذلك بأن يريد ابطالها واعدامها (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) برأفته ورحمته بهم فعل هذا التسخير وامساك السماء من الوقوع

قوله تعالى (٦٦) وَهُوَ ٱلَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَكَفُورٌ (٦٧) لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (٦٨) وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٩) ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٧٠) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ خمس آيات

المعنى

ثم ذكر سبحانه دلالة اخرى على وحدانيته فقال (وهو الذي احياكم) بعد ان كنتم نطفا ميتة (ثم يميتكم) عند انتهاء آجالكم (ثم يحييكم) للبعث والحساب وفيه بيان أن من قدر على ابتداء الاحياء قدر على اعادة الاحياء (إن الإنسان لكفور) أي جحود فإنه مع هذه الأدلة الدالة على الخلق يجحد الخالق (لكل امة) اي لكل قرن مضى (جعلنا منسكا هم ناسكوه) أي شريعة هم عاملون بها عن ابن عباس وقيل مكانا يألفونه وموضعا يعتادونه لعبادة الله ومناسك الحج من هذا لأنها مواضع العبادات فيه فهي متعبدات الحج وقيل موضع قربان اي متعبد في اراقة الدماء منى أو غيره عن مجاهد وقتادة (فلا ينازعنك في الأمر) هذا نهي لهم عن منازعة النبي ﷺ وقيل نهي له لأن المنازعة تكون من اثنين فإذا وجّه النهي إلى من ينازعه فقد وجّه اليه ومنازعتهم قولهم أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة اي فلا يخاصمنك في امر الذبح وقيل معناه ليس لهم ان ينازعوك في شريعتهم وقد نسخت هذه الشريعة الشرائع المتقدمة (وادع إلى ربك) أي لا تلتفت إلى منازعتهم وادع إلى توحيد ربك وإلى دينه (إنك لعلى هدى مستقيم) أي على دين قيم (وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون) أي إن خاصموك في امر الذبيحة فقل الله اعلم بتكذيبكم فهو يجازيكم به وهذا قبل الأمر بالقتال وقيل معناه وان جادلوك على سبيل المراء والتعنت بعد لزوم الحجة فلا تجادلهم على هذا الوجه وادفعهم بهذا القول وقيل معناه وان نازعوك في نسخ الشريعة فحاكمهم إلى الله (الله يحكم بينكم يوم القيامة) اي يفصل بينكم (فيما كنتم فيه تختلفون) اي فيما تذهبون فيه الى خلاف ما يذهب ثم قال لنبيه ﷺ والمراد جميع المكلفين (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض) من قليل وكثير لا يخفى عليه شيء من ذلك

(ان ذلك في كتاب) اي مثبت في الكتاب المحفوظ عن الجبائي (ان ذلك على الله يسير) اي كتبته في اللوح المحفوظ على الله يسير لا يحتاج الى معالجة خطوط وحروف وانما يقول كن فيكون وقيل ان الحكم بينكم يسير على الله

قوله تعالى (٧١) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٧٢) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣) يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٤) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٥) اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ خمس آيات

القراءة

قرأ يعقوب وسهل ان الذين يدعون بالياء والباقون بالتاء

اللغة

السطوة اظهار الحال الهائلة للاخافة يقال سطا عليه يسطو سطوة وسطا به والانسان مسطو به والسطوة والبطشة بمعنى

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن حال الكفار فقال (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا) اي حجة (وما ليس لهم به علم) إنها آلهة وإنما قال ذلك لأن الانسان قد يعلم اشياء من غير حجة ودليل كالضروريات (وما للظالمين من نصير) اي وما للمشركين من مانع من العذاب ثم اخبر سبحانه عن شدة عنادهم فقال (وإذا تتلى عليهم آياتنا) يعني من القرآن وغيره من حجج الله (بينات) أي واضحات لمن تفكر فيها وهي منصوبة على الحال (تعرف) يامحمد (في وجوه الذين كفروا المنكر) اي الانكار وهو مصدر يريد اثر الانكار من الكراهة والعبوس (يكادون يسطون) اي يقعون ويبطشون من شدة الغيظ (بالذين يتلون عليهم آياتنا) والمعنى يكادون يبسطون اليهم ايديهم بالسوء يقال سطا عليه وسطا به إذا تناوله بالبطش (قل) يامحمد لهم (افأنبئكم بشر من ذلكم) واكره اليكم من هذا القرآن الذي تستمعون واشدّ عليكم منه ثم فسّر ذلك فقال (النار) اي هو النار (وعد الله الذين كفروا وبئس المصير) اي المرجع والمأوى ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال (يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) قال الأخفش ان قيل فأين المثل الذي ذكر الله في قوله ضرب مثل قيل ليس هاهنا مثل والمعنى ان الله قال ضرب لي مثل اي شبه في الأوثان ثم قال فاستمعوا لهذا المثل الذي جعلوه مثلي وقال القتيبي هاهنا مثل لأنه ضرب مثل هؤلاء الذين يعبدون الأصنام بمن عبد من لا يخلق ذبابا وقيل معناه اثبت حديثا يتعجب منه فاستمعوا له لتقفوا على جهل الكفار من قولك ضربت خيمة اي نصبتها واثبتها وقيل معناه جعل ذلك كالشيء اللازم الثابت من قولك ضرب السلطان الجزية على اهل الذمة (إن الذين يدعون من دون الله) يعني الأصنام وكان ثلثمائة وستين صنما حول الكعبة (لن يخلقوا ذبابا) في صغره وقلته (ولو اجتمعوا له وان يسلبهم

الذباب شيئاً) مما عليهم قال ابن عباس كانوا يطلون اصنامهم بالزعفران فيجف فيأتي الذباب فيختلسه (لا يستنقذوه منه) اي لا يقدرون على استنقاذه منه (ضعف الطالب والمطلوب) الطالب الذباب والمطلوب الصنم عن ابن عباس وروي عنه على العكس من هذا وهو أن الطالب الصنم والمطلوب الذباب فعلى هذا يكون معناه ضعف السالب والمسلوب وقيل ان معناه راجع إلى العابد والمعبود أي جهل العابد والمعبود وقهر العابد والمعبود عن الضحاك وهو معنى قول السدي الطالب الذي يطلب إلى هذا الصنم بالتقرب اليه والصنم المطلوب اليه (ماقدروا الله حق قدره) أي ما عظموه حق عظمته حيث جعلوا هؤلاء الاصنام شركاء له عن الحسن والفراء وقيل معناه ماعرفوه حق معرفته عن الأخفش وقيل ما وصفوه حق صفته عن قطرب (إن الله لقوي عزيز) اي قادر لا يقدر احد على مغالبته (الله يصطفي من الملائكة رسلا) يعني جبرائيل وميكائيل (ومن الناس) يعني النبيين (إن الله سميع بصير) سميع بأقوالهم بصير بضمائرهم وأفعالهم

النظم

إنما اتصل قوله ويعبدون من دون الله بقوله إنك على صراط مستقيم أي ومن خالفك على الكفر والضلال وإنما اتصل قوله يا أيها الناس ضرب مثل بقوله ويعبدون من دون الله ما لا حجة لهم فيه والمعنى ان من لا يقدر على خلق ذباب مع صغره واذا سلبه الذباب شيئا لا يقدر على استرداده فكيف يستحق ان يعبد ثم قال ما قدروا الله حق قدره اي من اشرك غيره معه في العبادة مع كمال قدرته فما عرفه حق معرفته ثم قال الله يصطفي من الملائكة رسلا ليعلم انه سبحانه إنما اصطفاهم لعبادتهم إياه فمن جعل الملائكة والأنبياء اولادا فإنه لم يعظمه حق عظمته ولم يعرفه حق معرفته إذ جعل من يعبده سبحانه معبودا

قوله تعالى (٧٦) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٨) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ

ثلاث آيات

الاعراب

حق جهاده منصوب على المصدر لانه مضاف إلى المصدر · من حرج من مزيدة اي ما جعل عليكم حرجا · ملة ابيكم منصوبة باضمار فعل تقديره واتبعوا او الزموا ملة ابيكم لأن قبله جاهدوا في الله حق جهاده قال المبرد عليكم ملة ابيكم وقال الزجاج وجائز ان يكون منصوبا على تقدير وافعلوا الخير فعل ابيكم

[المعنى]

لما وصف الله سبحانه نفسه بأنه سميع بصير عقّبه بقوله (يعلم ما بين ايديهم) يعني ما بين ايدي الخلائق من القيامة واحوالها وما يكون في مستقبل احوالهم (وما خلفهم) اي وما يخلفونه من دنياهم وقيل يعلم ما بين ايديهم اي اول اعمالهم وما خلفهم آخر اعمالهم عن الحسن وقيل معناه يعلم ما كان قبل خلق الملائكة والأنبياء وما يكون بعد خلقهم عن علي بن عيسى (و إلى الله ترجع الامور) يوم القيامة فلا يكون لأحد امر ولا نهي

ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) اي صلّوا (واعبدوا ربكم) بفعل ما تعبدكم به من العبادات (وافعلوا الخير) قال ابن عباس يريد صلة الرحم ومكارم الأخلاق ومعناه لا تقتصروا على فعل الصلاة والواجبات من العبادات وافعلوا غيرها من انواع البر من اغاثة الملهوف واعانة الضعيف وبرّ الوالدين وما جانسها (لعلكم تفلحون) اي لكي تفلحوا وتسعدوا (وجاهدوا في الله حق جهاده) اكثر المفسرين حملوا الجهاد هاهنا على جميع أعمال الطاعة وقالوا حق الجهاد ان يكون بنية صادقة خالصة لله تعالى وقال السدي هو ان يطاع فلا يعصى وقال الضحاك معناه جاهدوا بالسيف من كفر بالله وإن كانوا الآباء والابناء وروي عن عبد الله بن المبارك انه قال هو مجاهدة الهوى والنفس (هو اجتباكم) أي اختاركم واصطفاكم لدينه (وما جعل عليكم في الدين من حرج) اي من ضيق لا مخرج منه ولا مخلص من عقابه بل جعل التوبة والكفارات وردّ المظالم مخلصا من الذنوب فليس في دين الإسلام ما لا سبيل إلى الخلاص من العقاب به فلا عذر لأحد في ترك الاستعداد للقيامة وقيل معناه ان الله سبحانه لم يضيّق عليكم امر الدين فلن يكلّفكم ما لا تطيقون بل كلف دون الوسع فلا عذر لكم في تركه وقيل انه يعني الرخص عند الضرورات كالقصر والتيمم واكل الميتة عن الكلبي ومقاتل واختاره الزجاج (ملة ابيكم ابراهيم) اي دينه لأن ملة ابراهيم داخلة في ملة محمد ﷺ وإنما سماه أباً للجميع لأن حرمته على المسلمين كحرمة الوالد على الولد كما قال وازواجه امهاتهم عن الحسن وقيل ان العرب من ولد اسماعيل واكثر العجم من ولد اسحاق وهما ابنا ابراهيم فالغالب عليهم انهم اولاده (هو سماكم المسلمين) اي الله سمّاكم المسلمين عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو كناية عن ابراهيم عن ابن زيد قال ويدل عليه قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك (من قبل) اي من قبل انزال القرآن (وفي هذا) اي وفي هذا القرآن (ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) اي ليكون محمد ﷺ شهيدا عليكم بالطاعة والقبول فإذا شهد لكم به صرتم عدولا تشهدون على الامم الماضية بأن الرسل قد بلّغوهم رسالة ربهم وانهم لم يقبلوا فيوجب لكافرهم النار ولمؤمنهم الجنة بشهادتكم وهذا من اشرف المراتب وهو مثل قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا الآية وقيل معناه ليكون الرسول شهيدا عليكم في ابلاغ رسالة ربه اليكم وتكونوا شهداء على الناس بعده بأن تبلغوا اليهم ما بلغه الرسول اليكم (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) قال قتادة فريضتان واجبتان افترضهما الله عليكم فأدّوهما إلى الله وروى عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال لا تقبل الصلاة إلا بالزكاة (واعتصموا بالله) اي تمسكوا بدين الله عن الحسن وقيل معناه امتنعوا بطاعته عن معصيته وقيل امتنعوا بالله من اعدائكم أي اجعلوه عصمة لكم مما تحذرون وقيل ثقوا بالله وتوكلوا عليه عن مقاتل (هو مولاكم) أي وليكم وناصركم والمتولي لاموركم ومالككم (فنعم المولى) هو لمن تولاه (ونعم النصير) هو لمن استنصره وقيل فنعم المولى إذ لم يمنعكم الرزق حين عصيتموه ونعم النصير إذ أعانكم لما اطعتموه

سورة المؤمنون (مكية)

عدد آيها

مائة وثماني عشرة آية كوفي تسع عشرة في الباقين

اختلافها

آية واحدة وأخاه هارون غير الكوفي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة يوم القيامة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وقال ابو عبد الله «ع» من قرأ سورة المؤمنين ختم الله له بالسعادة إذا كان يدمن قراءتها في كل جمعة وكان منزله في الفردوس الأعلى مع النبيين والمرسلين

تفسيرها

ختم الله سورة الحج بأمر المكلفين في العبادة وأفعال الخير على طريق الاجمال وافتتح هذه السورة بتفصيل تلك الجملة وبيان تلك الأفعال فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (٢) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٥) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٦) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٧) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٩) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١١) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ احدى عشرة آية

القراءة

قرأ ابن كثير لأمانتهم على الواحد هنا وفي المعارج والباقون لأماناتهم على الجمع وقرأ على صلاتهم بالافراد اهل الكوفة غير عاصم والباقون على صلواتهم على الجمع

الحجة

قال ابو علي وجه الافراد في الأمانة انه مصدر واسم جنس فيقع على الكثرة ووجه الجمع قوله إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى اهلها ومما افردت فيه الأمانة والمراد به الكثرة ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من الأمانة أن اوتمنت المرأة على فرجها يريد تفسير قوله ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ووجه الافراد في الصلاة انها مصدر ووجه الجمع انها صارت بمنزلة الاسم لاختلاف انواعها والجمع فيه أقوى لانه صار اسما شرعيا لانضمام ما لم يكن في أصل اللغة اليها

المعنى

(قد افلح المؤمنون) اي فاز بثواب الله الذين صدقوا بالله وبوحدانيته وبرسله وقيل معنى افلح بقي اي قد بقيت اعمالهم الصالحة وقيل معناه قد سعد قال لبيد «ولقد افلح من كان عقل» قال الفراء يجوز أن يكون قدهاهنا

لتأكيد الفلاح للمؤمنين ويجوز أن يكون تقريبا للماضي من الحال الا تراهم يقولون قد قامت الصلاة قبل حال قيامها فيكون المعنى في الآية إن الفلاح قد حصل لهم وانهم عليه في الحال ثم وصف هؤلاء المؤمنين بأوصاف فقال (الذين هم في صلاتهم خاشعون) أي خاضعون متواضعون متذللون لايرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم ولا يلتفتون يمينا ولا شمالا وروي أن النبي ﷺ رأى رجلا يعبث بلحيته في صلاته فقال اما انه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وفي هذا دلالة على أن الخشوع في الصلاة يكون بالقلب وبالجوارح فأما بالقلب فهو أن يفرغ قلبه بجمع الهمة لها والاعراض عماسواها فلا يكون فيه غير العبادة والمعبود وأما بالجوارح فهو غض البصر والاقبال عليها وترك الالتفات والعبث قال ابن عباس خشع فلا يعرف من على يمينه ولا من على يساره وروي ان رسول الله ﷺ كان يرفع بصره إلى السماء في صلاته فلما نزلت الآية طأطأ رأسه ورمى ببصره إلى الأرض (والذين هم عن اللغو معرضون) اللغو في الحقيقة هو كل قول او فعل لا فائدة فيه يعتدّ بها فذلك قبيح محظور يجب الاعراض عنه وقال ابن عباس اللغو الباطل وقال الحسن هو جميع المعاصي وقال السدي هو الكذب وقال مقاتل هو الشتم فإن كفار مكة كانوا يشتمون النبي ﷺ واصحابه فنهوا عن اجابتهم وروي عن ابي عبد الله «ع» انه قال هو أن يتقول الرجل عليك بالباطل أو يأتيك بما ليس فيك فتعرض عنه لله وفي رواية اخرى انه الغناء والملاهي (والذين هم للزكاة فاعلون) أي مؤدون فعبّر عن التأدية بالفعل لأنه فعل قال امية بن ابي الصلت «المطعمون الطعام في السنة الأزمة والفاعلون للزكوات»(١) قال ابن عباس للصدقة الواجبة مؤدّون (والذين هم لفروجهم حافظون) قال الليث الفرج اسم لجميع سوءات الرجال والنساء والمراد بالفروج هاهنا فروج الرجال بدلالة قوله (إلا على ازواجهم أو ما ملكت ايمانهم) قال الزجاج المعنى انهم يلامون في اطلاق ما حظر عليهم وأمروا بحفظه إلا على ازواجهم ودلّ على المحذوف ذكر اللوم في قوله (فإنهم غير ملومين) وملك اليمين في الآية المراد به الإماء لأن الذكور من المماليك لا خلاف في وجوب حفظ الفرج منهم وإنما قيل للجارية ملك يمين ولم يقل في الدار ونحوها ملك يمين لأن ملك الجارية اخص منه إذ يجوز له نقض بنية الدار وليس له نقض بنية الجارية ولا عارية الدار وليس له عارية الجارية للوطء حتى توطأ بالعارية وإنما اطلق سبحانه اباحة وطء الازواج والاماء وإن كانت لهن أحوال يحرم وطؤهن فيها كحال الحيض والعدة للجارية من زوج لها وما اشبه ذلك لأن الغرض بالآية بيان جنس من يحل وطؤها دون الاحوال التي لا يحل فيها الوطء (فمن ابتغى وراء ذلك) اي طلب سوى الازواج والولائد المملوكة (فأولئك هم العادون) اي الظالمون المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) أي حافظون وافون والأمانات ضربان أمانات الله تعالى وأمانات العباد فالأمانات التي بين الله تعالى وبين عباده هي العبادات كالصيام والصلاة والاغتسال وأمانات العباد هي مثل الودائع والعوارى والبياعات والشهادات وغيرها وأما العهد فعلى ثلاثة اضرب أوامر الله تعالى ونذور الإنسان والعقود الجارية بين الناس فيجب على الانسان الوفاء بجميع ضروب الأمانات والعهود والقيام بما يتولاه منها (والذين هم على صلواتهم يحافظون) أي يقيمونها في أوقاتها ولا يضيعونها وإنما اعاد ذكر الصلاة تنبيها على عظم قدرها وعلو رتبتها عنده تعالى (أولئك هم الوارثون) معناه ان من كانوا بهذه الصفات واجتمعت فيهم هذه الخلال هم الوارثون يوم القيامة منازل اهل النار من الجنة فقد روي عن النبي ﷺ انه قال ما منكم من احد إلا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فإن مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله وقيل إن معنى الميراث هنا انهم يصيرون إلى الجنة بعد الأحوال المتقدمة وينتهي امرهم اليها كالميراث الذي يصير الوارث اليه ثم وصف الوارثين فقال (الذين يرثون الفردوس) وهو اسم من اسماء الجنة عن الحسن ولذلك انث فقال (هم فيها خالدون) وقيل هو اسم لرياض الجنة عن مجاهد وأبي علي الجبائي وقيل هو جنة مخصوصة ثم اختلف في اصله

(١) الازمة : الشدة والقحط .

فقيل انه اسم رومي فعرب وقيل هو عربي وزنه فعلول وهو البستان الذي فيه كروم قال جرير «يابعد بيرين من بلب القراديس»(١) وقال الجبائي معنى الوراثة هنا أن الجنة وتعيمها يؤول اليهم من غير اكتساب كما يؤول المال إلى الوارث من غير اكتساب

قوله تعالى (١٢) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٤) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٦) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٧) وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٨) وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٩) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ثماني آيات

القراءة

قرأ ابن عامر وابو بكر عظما فكسونا العظم على الافراد وقرأ زيد عن يعقوب عظماً فكسونا العظام والباقون على الجمع في الموضعين

الحجة

قال ابو علي الجمع أشبه بما جاء في التنزيل «إذا كنا عظاماً ورفاتاً» «إذا كنا عظاماً نخرة من يحيي العظام والافراد لانه اسم جنس فأفرد كما يفرد المصادر وغيرها من الأجناس نحو الدرهم والإنسان وليس ذلك على حد قوله

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا ... فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيصُ(٢)

ولكنه على ما أنشده ابو زيد

لَقَدْ تَعَلَّلْتُ عَلَى أَيَانِقٍ ... صُهْبٍ قَلِيلَاتِ الْقُرَادِ اللَّازِقِ(٣)

فالقراد يراد به الكثرة لا محالة

اللغة

السلالة اسم لما يسل من الشيء كالكساحة اسم لما يكسح وتسمى النطفة سلالة والولد سلالة وسليلة والجمع سلالات وسلائل فالسلالة صفوة الشيء التي يخرج منها كالسلافة قال الشاعر

وَهَلْ كُنْتَ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ ... سَلِيلَةَ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلُ(٤)

والنطفة الماء القليل وقد يقال للماء الكثير ايضاً ومنه قول امير المؤمنين عليه أفضل الصلوات مصارعهم دون النطفة يريد النهر وان يعني الخوارج ومنه الحديث حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جوراً يعني بحر المشرق وبحر المغرب

الاعراب

في قرار في موضع الصفة لنطفة وعلقة حال من النطفة بعد الفراغ من الفعل وكذلك القول في مضغة وعظام

(١) وقبله «فقلت للركب اذجد الرحيل بنا» وبيرين موضع من أصقاع بحرين . (٢) زمن خميص اى شديد . (٣) تعلل بالامر : تشاغل . وايانق جمع اينق وهي جمع الناقة . والاصهب من الابل : الذي يخالط بياضه حمرة . والقراد : دويبة تعض الابل . ومعنى قليلات : ان جلودها ملس لا يثبت عليها قراد الا نق لانها سمان ممتلئة . (٤) المهرة : ولد

ولحماً مفعول ثان لكسونا وخلقاً مصدر أنشأنا من غير لفظه من نخيل واعناب صفة لجنات وكذلك قوله لكم فيها فواكه كثيرة

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه على وجه القسم (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) المراد بالإنسان ولد آدم (ع) وهو اسم الجنس فيقع على الجميع عن ابن عباس ومجاهد وأراد بالسلالة الماء يسل من الظهر سلا من طين أي من طين آدم لأنها تولدت من طين خلق آدم منه قال الكلبي يقول من نطفة سلت تلك النطفة من طين وقيل أراد بالإنسان آدم (ع) لأنه استل من أديم الأرض عن قتادة (ثم جعلناه) يعني ابن آدم الذي هو الإنسان (نطفة في قرار مكين) يعني الرحم مكن فيه الماء بأن هيأ لاستقراره فيه إلى بلوغ أمده الذي جعل له (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة) مفسر في سورة الحج (فخلقنا المضغة عظاماً) أي جعلنا تلك المضغة من اللحم عظاماً (فكسونا العظام لحماً) أي فأنبتنا اللحم على العظام كاللباس . بيّن سبحانه تنقل أحوال الإنسان في الرحم حتى استكمل خلقه لينبّه على بدائع حكمته وعجائب صنعته وكمال نعمته (ثم أنشأناه خلقاً آخر) أي نفخنا فيه الروح عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي والضحاك وقيل هو نبات الشعر والأسنان واعطاء الفهم عن قتادة وقيل يعني ثم أنشأناه ذكراً وأنثى عن الحسن (فتبارك الله أحسن الخالقين) أي تعالى الله ودام خيره وثبت وقيل معناه استحق التعظيم بأنه قديم لم يزل ولا يزال لأنه مأخوذ من البروك الذي هو الثبوت وقال أحسن الخالقين لأنه لا تفاوت في خلقه وأصل الخلق التقدير يقال خلقت الاديم إذا قسته لتقطع منه شيئاً وقال حذيفة في هذه الآية تصنعون وبصنع الله وهو خير الصانعين وفي هذا دليل على ان اسم الخلق قد يطلق على فعل غير الله تعالى إلا أن الحقيقة في الخلق لله سبحانه فقط فإن المراد من الخلق إيجاد الشيء مقدرا تقديراً لا تفاوت فيه وهذا إنما يكون من الله سبحانه وتعالى ودليله قوله ألا له الخلق والأمر وروي ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله ﷺ فلما بلغ إلى قوله خلقاً آخر خطر بباله فتبارك الله أحسن الخالقين فلما أملاها رسول الله كذلك قال عبد الله إن كان محمد نبياً يوحى اليه فأنا نبيٌّ يوحى إليّ فلحق بمكة مرتداً ولو صحّ هذا فإن هذا القدر لا يكون معجزاً ولا يمتنع أن يتفق ذلك من الواحد منا لكن هذا الشقي إنما اشتبه عليه أو شبّه على نفسه لما كان في صدره من الكفر والحسد للنبي ﷺ (ثم انكم بعد ذلك) أي بعد ما ذكرنا من تمام الخلق (لميتون) عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) أي تحشرون إلى الموقف والحساب والجزاء أخبر الله سبحانه ان هذه البنية العجيبة المبنية على أحسن اتقان واحكام تنقض بالموت لغرض صحيح وهو البعث والاعادة وهذا لا يمنع من الاحياء في القبور لأن اثبات البعث في القيامة لا يدل على نفي ما عداه ألا ترى ان الله سبحانه أحيا الذين اخرجوا من ديارهم وهم ألوف واحيا قوم موسى على الجبل بعد ما أماتهم وفي الآية دلالة على فساد قول النظام في ان الإنسان هو الروح وقول معمر ان الانسان شيء لا ينقسم وانه ليس بجسم (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أي سبع سماوات كل سماء طريقة وسميت بذلك لتطارقها وهو ان بعضها فوق بعض وقيل لأنها طرائق الملائكة عن الجبائي وقيل الطرائق الطباق وكل طبقة طريقة عن ابن زيد وقيل ان ما بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام وكذلك ما بين السماء والأرض عن الحسن (وما كنا عن الخلق غافلين) إذ بنينا فوقهم سبع سماوات اطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل معناه ما خلقناهم عبثاً بل خلقناهم عالمين بأعمالهم وأحوالهم عن الجبائي وفي هذا دلالة على انه عالم بجميع المعلومات وفيه زجر عن السيئات وترغيب في الطاعات (وأنزلنا من السماء ماء) أي مطراً وغيثاً (بقدر) اي بقدر الحاجة لا يزيد على ذلك فيفسد ولا ينقص عنه فيهلك بل على ما توجبه المصلحة (فأسكناه في الأرض) أي جعلنا له الأرض مسكناً جمعناه فيه لينتفع به يريد ما يبقى في

الفرس .. وقال بعضهم ان قوله «بغل» تصحيف ، وان صوابه نغل بالنون ، وهو الخسيس من الناس والدواب لان البغل لا نسل .

المستنقعات والدحلان(١) أقرّ الله الماء فيها لينتفع الناس بها في الصيف عند انقطاع المطر وقيل معناه جعلناه عيونا في الأرض وروى مقاتل عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال ان الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم وذلك قوله وأنزلنا من السماء ماء بقدر الآية (وإنا على ذهاب به لقادرون) أي ونحن على اذهابه قادرون ولو فعلناه لهلك جميع الحيوانات نبّه سبحانه بذلك على عظيم نعمته على خلقه بإنزال الماء من السماء (فأنشأنا لكم) أي أحدثنا وخلقنا لنفعكم (به) أي بسبب هذا الماء (جنات من نخيل وأعناب لكم) يا معاشر الخلق (فيها فواكه كثيرة) تتفكهون بها (ومنها تأكلون) وإنما خصّ النخل والأعناب لأنها ثمار الحجاز من المدينة والطائف فذكرهم سبحانه بالنعم التي عرفوها

النظم

وجه اتصال الآيات بما قبلها انه سبحانه لما ذكر نعمته على المؤمنين بما أعدّ لهم في الآخرة ابتدأ بذكر نعمه عليهم في مبتدء خلقه تنبيها لهم على النظر فيها وترغيباً في التمسك بالحسنات المذكورة ولما بيّن أحوال الآخرة بيّن متى يكون البعث ودلّ بذلك على أن من قدر على خلق الإنسان في هذا الترتيب والتركيب العجيب قدر على الإعادة ثم أبان عن قدرته على البعث بقدرته على خلق السماوات ثم بيّن انه لا يغفل عن عباده إذ لا يشغله فعل عن فعل ثم بيّن انه قادر لذاته حيث أنزل من السماء الماء وأسكنه في الأرض بأن فرّقه في البحار والأنهار والعيون ثم بيّن سبحانه انه قادر على اذهابه دلالة على ان هذه النعمة وقعت باختياره ثم ذكر تفصيل النعمة

قوله تعالى (٢٠) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ (٢١) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢٢) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٣) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٤) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٥) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ستّ آيات

القراءة

قرأ أهل الحجاز وابو عمرو طور سيناء بكسر السين والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب عن روح تنبت بالدهن بضم التاء والباقون تنبت بفتح التاء وضم الباء وفي الشواذ قراءة الحسن والزهري والاعرج تنبت بضم التاء وفتح الباء وقد ذكرنا اختلافهم في نسقيكم في سورة النحل

الحجة

قال ابو عمرو من قرأ سيناء بفتح السين لم ينصرف الاسم عنده في معرفة ولا نكرة لأن الهمزة في هذا البناء لا تكون إلا للتأنيث ولا تكون للالحاق لأن فعلال لا يكون إلا في المضاعف فلا يجوز ان يلحق به شيء فهذا إذاً كموضع أو بقعة تسمي بطرفاء أو صحراء ومن قرأ سيناء بالكسر فالهمزة فيها منقلبة عن الياء كعلباء وسيساء(٢) وهي الياء التي اظهرت في نحو دِرْحايَة(٣) وإنما لم ينصرف على هذا القول وإن كان غير مؤنث لأنه جعل اسم بقعة فصار بمنزلة امرأة سميت بجعفر ومن قرأ تُنبِتُ بالدهن احتمل وجهين ﴿ احدهما ﴾ أن يجعل الجار زائداً

(١) الدحلان جمع الدحل : المصنع يجمع الماء . (٢) العلباء : عصبة في صفحة العنق . والسيساء : منتظم فقار الظهر (٣) الدرحاية من الرجال : القصير السمين البطين .

يريد تنبت الدهن كما في قوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقد زيدت هذه الباء مع الفاعل كما زيدت مع المفعول به في نحو قوله

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي ... بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ (١)

وقد زيدت مع هذه الكلمة بعينها في قوله

يَوَادِ يَمَانٍ تَنْبُتُ الشَّثَّ حَوْلَهُ ... وَأَسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ وَالشَّبْهَانِ (٢)

حملوه على ينبت أسفله المرخ ويجوز أن تكون الباء متعلقاً بغير هذا الفعل الظاهر ويقدر مفعولا محذوفاً تقديره تنبت جناها أي ثمرتها وفيها دهن وصبغ كما تقول خرج بثيابه وركب بسلاحه ومن قرأ تَنبت بالدهن جاز أن يكون الجار فيه للتعدي أنبته ونبت به ويجوز أن يكون الباء في موضع حال كما كان في الوجه الأول ولا يكون متعدي ولكن تنبت وفيها دهن وقد قالوا انبت بمعنى نبت فكان الهمزة في انبت مرة للتعدية ومرة لغيرها ويكون من باب أخال واجرب واقطف أي صار ذا خال وجرب (٣) ومن قرأ تُنبَت فهو على معنى تنبت وفيها دهنها وتؤكد ذلك قراءة عبد الله تخرج بالدهن أي تخرج من الأرض ودهنها معها قال ابن جني ذهبوا في بيت زهير حتى إذا أنبت البقل (٤) إلى انه في معنى نبت وقد يجوز أن يكون محذوف المفعول بمعنى حتى إذا انبت البقل ثمره قال ومن ذهب إلى زيادة الباء في قوله تنبت بالدهن فمضعوف المذهب لأنه يزيد حرفاً لا حاجة له إلى اعتقاد زيادته

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وشجرة تخرج من طور سيناء) أي وأنشأنا لكم بذلك المطر شجرة يعني شجرة الزيتون وخصت بالذكر لما فيها من العبرة بأنه لا يتعاهدها إنسان بالسقي وهي تخرج الثمرة التي يكون منها الدهن الذي تعظم به المنفعة وسيناء اسم المكان الذي به هذا الجبل في أصح الأقوال وهي نبطية في قول الضحاك وحبشية في قول عكرمة وهي اسم حجارة بعينها أضيف الجبل اليها عن مجاهد وقيل سيناء البركة كأنه قيل جعل البركة عن ابن عباس وقتادة وقيل طور سيناء الجبل المشجر أي كثير الشجر عن الكلبي وقيل هو الجبل الحسن عن عطاء وهو الجبل الذي نودي منه موسى (ع) وهو ما بين مصر وايلة عن ابن زيد (تنبت بالدهن) أي تنبت ثمرها بالدهن لأنه يعصر من الزيتون الزيت (وصبغ للآكلين) والصبغ ما يصطبغ به من الادم وذلك ان الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه والاصطباغ بالزيت الغمس فيه للائتدام به والمراد بالصبغ الزيت عن ابن عباس فإنه يدهن به ويؤتدم جعل الله في هذه الشجرة ادماً ودهناً فالادم الزيتون والدهن الزيت وقد روي عن النبي ﷺ انه قال الزيت شجرة مباركة فأتدموا به وادهنوا (وان لكم في الأنعام لعبرة) أي دلالة تستدلون بها على قدرة الله تعالى (نسقيكم مما في بطونها) أراد به اللبن ومن قرأ بضم النون أراد إنا جعلنا ما في ضروعها من اللبن سقياً لكم ومن فتح النون جعل ذلك مختصاً بالسقاة وهو مفسر في سورة النحل (ولكم فيها منافع كثيرة) في ظهورها وألبانها وأوبارها واصوافها وأشعارها (ومنها تأكلون) أي من لحومها وأولادها والتكسب بها (وعليها) يعني على الإبل خاصة (وعلى الفلك تحملون) وهذا كقوله وحملناهم في البر والبحر أما في البر فالابل واما في البحر فالسفن ولما قدم سبحانه ذكر الأدلة الدالة على كمال قدرته فأتبعها بذكر شمول نعمته على كافة خليقته عقب ذلك بذكر انعامه عليهم بإرسال الرسل فقال (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) قيل انما سمي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه عن ابن عباس وقيل في سبب نوحه انه كان يدعو على قومه بالهلاك وقيل هو مراجعته ربه في شأن ابنه (فقال يا قوم اعبدوا الله) أي أطيعوه ووحدوه (ما لكم من إله غيره) بدأ بالتوحيد لأنه الأهم (أفلا تتقون) عذاب الله في ترك الإيمان به (فقال الملأ) أي الاشراف (الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) أي يتشرف ويترأس عليكم بأن يصير متبوعاً وأنتم له تبع

(١) مضى البيت في صفحة ٢٢ من هذا الجزء فراجع . (٢) مضى البيت في صفحة ٧٩ من هذا الجزء فراجع .
(٣) [وقطف] . (٤) هذا جزء من بيت تمامه «رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ❁ قطيناً لهم حتى اذا انبت البقل» .

فيكون له الفضل عليكم (ولو شاء الله) ان لا يعبد شيء سواه (لأنزل ملائكة) ولم يرسل بشراً آدمياً (ما سمعنا بهذا) الذي يدعونا اليه نوح من التوحيد (في آبائنا الأولين) أي في الأمم الماضية (إن هو إلا رجل به جنة) أي حالة جنون (فتربصوا به حتى حين) أي انتظروا موته فتستريحوا منه وقيل فانتظروا افاقته من جنونه فيرجع عما هو عليه وقيل معناه احبسوه مدة ليرجع عن قوله

قوله تعالى (٢٦) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٧) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٢٨) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٩) وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٣٠) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ خمس آيات

« القراءة »

قرأ ابو بكر عن عاصم مَنزِلا بفتح الميم و كسر الزاي والباقون مُنزَلا بضم الميم وفتح الزاي

— الحجة —

قال ابو علي من قرأ مُنزَلا بالضم جاز أن يكون مصدرا وان يكون موضعا للانزال فعلى الوجه الأول جاز أن يعدّى الفعل إلى مفعول آخر وعلى الوجه الثاني قد تعدى إلى مفعولين ومن قرأ منزلا امكن أن يكون مصدرا وأن يكون موضع نزول ودل انزلني على نزلت

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه ان نوحاً لما دعا قومه إلى الجنون ولم يقبلوا منه (قال رب انصرني بما كذبون) أي بتكذيبهم اياي والمعنى انصرني باهلاكهم (فأوحينا اليه ان اصنع الفلك بأعيننا) أي بحيث نراها كما يراها الرائي من عبادنا بعينه وقيل معناه بأعين أوليائنا من الملائكة والمؤمنين فإنهم يحرسونك من كل من يمتنع منه (ووحينا) اي بأمرنا واعلامنا اياك كيفية فعلها (فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها) أي فأدخل في السفينة (من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم) مفسر في سورة هود (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) أي لا تكلمني في شأنهم (إنهم مغرقون) أي هالكون (فإذا استويت انت) يانوح (ومن معك على الفلك) اي السفينة (فقل الحمد لله الذي نجانا) اي خلصنا (من القوم الظالمين) لنفوسهم بجحدهم توحيد الله (وقل رب انزلني منزلا مباركا) اي انزالا مباركا أو نزولا مباركا بعد الخروج من السفينة وذلك تمام النجاة عن مجاهد وقيل المنزل المبارك هو السفينة عن الجبائي قيل لأنه سبب النجاة وقيل معناه انزلني مكاناً مباركا بالماء والشجر عن الكلبي وقيل معنى البركة انهم توالدوا و كثروا عن مقاتل (وأنت خير المنزلين) لأنه لا يقدر احد على أن يصون غيره من الآفات إذا انزله منزلا ويكفيه جميع ما يحتاج اليه إلا انت قال الحسن كان في السفينة سبعة انفس من المؤمنين ونوح ثامنهم وقيل ثمانون (إن في ذلك) أي في امر نوح والسفينة وهلاك اعداء الله (لآيات) اي دلالات للعقلاء يستدلون بها على التوحيد (وان كنا لمبتلين) معناه وان كنا مختبرين اياهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره ومتعبدين عبادنا بالاستدلال بتلك الآيات على قدرتنا ومعرفتنا

قوله تعالى (٣١) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٣٢) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ

أَعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٣) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٤) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (٣٥) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٦) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٧) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٨) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٤٠) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ عشر آيات

القراءة

قرأ أبو جعفر هيهاتِ هيهاتِ بالكسر والباقون بالفتح وفي الشواذ قراءة عيسى بن عمر هيهاتٍ هيهاتٍ بالتنوين والكسر وقراءة ابي حَيْوَة هيهاتٌ هيهاتٌ بالرفع والتنوين وقراءة عيسى الهمداني هيهات هيهات مرسلة التاء

الحجة

قال ابن جني اما الفتح وهو قراءة العامة فعلى انه واحد وهو اسم سمي به الفعل في الخبر وهو اسم بعد كما انَّ شتّان اسم افترق وأُفّ اسم اتضجر ومن كسر فقال هيهاتٍ منوّنًا او غير منوّن فهو جمع هيهاة واصلها هيهيات فحذف الألف لأنه في آخر اسم غير متمكن كما حذفت ياء الذي والف ذا في التثنية إذا قلت اللذان وذان ومن نوّن ذهب إلى التنكير اي بعدًا بعدًا ومن لم ينوّن ذهب إلى التعريف اراد البعد البعد ومن فتح وقف بالهاء لأنها كهاء ارطاة ومن كسر كتبها بالتاء لأنها جماعة ومن قال هيهاتٌ بالتنوين والرفع فإنه يكتبها بالهاء ويكون اسما معربا فيه معنى البعد وقوله لما توعدون خبر عنه فكأنه قال البعد لوعدكم واما هيهات ساكنة التاء فينبغي ان تكون جماعة وتكتب بالتاء واجريت في الوقف مجراها في الوصل وتقول العرب هيهات لما تبغي وهيهات منزلك قال جرير

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقَ وَمَنْ بِهِ وَهَيْهَاتَ خِلٌّ بِالْعَقِيقِ نُوَاصِلُهُ (١)

ويروى ايهات واختار الفراء الوقف على هيهات بالتاء لأن قبلها ساكنا فصارت كتأنيث اخت وقال ابو علي إنما كرر هيهات في الآية وفي البيت للتأكيد وأما اللتان في الآية ففي كل واحدة منهما ضمير مرتفع يعود إلى الاخراج إذ لا يجوز خلوه من الفاعل والتقدير هيهات اخراجكم لأن قوله إنكم مخرجون بمعنى الاخراج أي بعد اخراجكم للوعد إذ كان الوعد اخراجكم بعد موتكم استبعد اعداء الله اخراجهم لما كانت العدة به بعد الموت ففاعل هيهات هو الضمير العائد إلى انكم مخرجون الذي هو بمعنى الاخراج واما في البيت ففي هيهات الأول ضمير العقيق وفسّر ذلك ظهوره مع الثاني

الإعراب

اختلفوا في أن الثانية من قوله سبحانه ايعدكم أنكم إذا متّم وكنتم ترابا وعظاما إنكم مخرجون وكذلك قوله ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم وقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم فقال سيبويه إن الثانية في هذه المواضع الثلاث بدل

(١) العقيق : اسم موضع وفي اللسان «نحاوله» بدل «نواصله»

من الاولى وقال ابو عمرو الجرمي وابو العباس المبرد انها مكررة للتأكيد وطول الكلام وقال ابو الحسن إنها مرتفع بالظرف واختاره ابو علي الفارسي وزيف القولين الأولين وأقول ان انَّ الاولى في قوله ايعدكم انكم مع اسمها وخبرها في موضع نصب على انه المفعول الثاني من الوعد ويكون تقديره على مذهب سيبويه ايعدكم انكم مخرجون إذا متم و كنتم ترابا وعظاما اي ايعدكم كونكم مخرجين بعد موتكم و كونكم ترابا وعظاما وأما على مذهب من جعله للتكرير فتقديره ايعدكم انكم بعد موتكم مخرجون وأما على مذهب ابي الحسن وابي علي فتقديره ايعدكم انكم إذا متم اخراجكم واتقوا انكم وقت موتكم أو بعد موتكم اخراجكم فقوله انكم مخرجون في موضع رفع بالظرف الذي هو قوله إذا متم وقوله إذا متم مع ما بعده رفع لكونه جملة واقعة موقع خبر ان الأولى وموضع إذا نصب كما انتصب يوم في قولك يوم الجمعة القتال والعامل في الظرف في الاصل الفعل المحذوف أو معنى الفعل مثل قولك يحدث أو حادث او يكون او كائن ولا يجوز أن يكون العامل فيه الاخراج نفسه إذ لو كان كذلك لكان الكلام غير تام ولا يكون له خبر ثم يحذف هذا المضمر لدلالة الظرف عليه وقيامه مقامه ويصير الذكر الذي كان في المضمر من المحدث عنه في الظرف وذلك الذكر مرتفع بالظرف كما كان يرتفع بالفعل كما في نحو قولك زيد ذهب وزيد ذاهب فلما قام الظرف مقام الفعل متأخرا عن الاسم قام مقامه ايضا مبتدأ فرفع الاسم الظاهر كما رفعه الفعل فكذلك إذا في الآية تقديره في الأصل إذا متم اخراجكم كائن او حادث او يكون أو يحدث ثم اختزل الفعل او معنى الفعل على ما قاله ابو علي فانتصب إذا بذلك كما ينتصب غدا في قولك غدا الرحيل وحذف الخبر كما حذف من غد ثم قام اذا مقام الفعل فرفع قوله انكم مخرجون كما رفع قولك غدا الرحيل وعلى هذا فيجوز أن نقول هنا ان موضع اذا نصب بحادث او يحدث المضمر في قولك اذا متم اخراجكم يحدث او حادث ويجوز ان نقول أن الاسم الذي هو انكم مخرجون واقع موقع جواب شرط اذا ويرفع بفعل مضمر تقديره ايعدكم اذا متم يعاد اخراجكم او يحدث اخراجكم ويكون موضع اذا نصب بذلك الفعل فأما تقدير ارتفاع ان الثانية بالظرف في الآيتين الأخيرتين فقد تقدم بيانه في موضعيهما من هذا الكتاب فلا معنى لإعادته فقد اجاز ابو علي وغيره اضمار الظرف وأعماله كما قالوا في انتصاب مثلهم في بيت الفرزدق

فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللهُ نِعْمَتَهُمْ إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وَإِذْ مَا مِثْلَهُمْ بَشَرُ (١)

انه على ظرف مضمر

المعنى

ثم عطف سبحانه على قصة قوم نوح فقال (ثم انشأنا من بعدهم) اي احدثنا وخلقنا من بعد قوم نوح (قرنا آخرين) اي جماعة آخرين من الناس والقرن اهل العصر على مقارنة بعضهم لبعض قيل يعني عادا قوم هود لانه المبعوث بعد نوح وقيل يعني ثمود لانهم اهلكوا بالصيحة عن الجبائي (فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره افلا تتقون) سبق تفسيره (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) أي بالبعث والجزاء (وأترفناهم في الحياة الدنيا) اي نعمناهم فيها بضروب الملاذ (ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) من الاشربة فليس هو اولى بالرسالة منا (ولئن اطعتم بشرا مثلكم) فيما يدعوكم اليه (انكم اذا لخاسرون) باتباعه (ايعدكم) هذا الرسول (انكم اذا متم و كنتم ترابا وعظاما) وصرتم بعد الموت رميما (انكم مخرجون) من قبوركم احياء (هيهات) فيه ضمير مرتفع عائد الى قوله انكم مخرجون والمعنى هيهات هو اي بُعد اخراجكم جداً حتى امتنع (هيهات لما توعدون) قال ابن عباس بعدا بعدا لما توعدون وقال الكلبي بعيد بعيد ما يعدكم ليوم البعث (إن هي إلا حياتنا الدنيا) اي ليس الحياة إلا الحياة التي نحن فيها القريبة منا (نموت ونحيا) اي يموت قوم منا ويحيا قوم ولا نبعث وقيل يموت الآباء ويحيا الابناء

(١) هذا البيت من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز . وضمائر الجمع مرجعها قريش.

عن الكلبي وقيل يموت قوم ويولد قوم (وما نحن بمبعوثين) بعد ذلك (ان هو إلا رجل افترى على الله كذبا) اي اختلق كذبا (وما نحن له بمؤمنين) اي بمصدقين فيما يقول (قال رب انصرني بما كذبون) تقدم بيانه (قال) اي قال الله سبحانه (عما قليل) اي عن قليل من الزمان والوقت يعني عند الموت او عند نزول العذاب وما ههنا مزيدة (ليصبحن نادمين) هذا وعيد لهم واللام للقسم

قوله تعالى (٤١) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٢) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٣) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٥) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٧) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٨) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (٤٩) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٥٠) وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ عشر آيات

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمرو وابو جعفر تترى بالتنوين والباقون بغير تنوين ومن نون وقف بالالف لا غير ومن لم ينون ومذهبه الامالة وقف بالياء وهي الف ممالة والباقون بالالف وقد ذكرنا اختلافهم في ربوة في سورة البقرة

الحجة

قال ابو علي تترى فعلى من المواترة والمواترة ان يتبع الخبر الخبر والكتاب الكتاب فلا يكون بينها فصل كثير والأقيس أن لا يصرف لأن المصادر قد يلحق أواخرها الف التأنيث كالدعوى والعدوى والذكرى والشورى ولم نعلم شيئا من المصادر لحق آخرها الياء للالحاق فمن قال تترى امكن أن يريد به فعلى من المواترة فيكون الألف بدلا من التنوين وإن كان في الخط بالياء كان للالحاق والالحاق في غير المصادر ليس بالقليل نحو ارطى ومعزى ولزم أن يحمل على فعل دون فعلى ومن قال تترى وأراد به فعلى فحكمه أن يقف بالألف مفخمة ولا يميلها ومن جعل للالحاق او للتأنيث امال الألف إذا وقف عليها

المعنى

لما قال سبحانه إن هؤلاء الكفار يصبحون نادمين على ما فعلوه عقبه بالأخبار عن اهلاكهم فقال (فأخذتهم الصيحة) صاح بهم جبرائيل صيحة واحدة ماتوا عن آخرهم (بالحق) اي باستحقاقهم العقاب بكفرهم (فجعلناهم غثاء) وهو ما جاء به السيل من نبات قد يبس وكل ما يحمله السيل على رأس الماء من قصب وعيدان شجرة فهو غثاء والمعنى فجعلناهم هلكى قد يبسوا كما يبس الغثاء وهمدوا (فبعداً) اي الزم الله بعداً من الرحمة (للقوم الظالمين) المشركين المكذبين (ثم انشأنا من بعدهم) اي من بعد هؤلاء (قرونا آخرين) أي امما وأهل اعصار آخرين (ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون) هذا وعيد للمشركين معناه ما تموت امة قبل اجلها المضروب لها ولا تتأخر عنه وقيل عنى بالعذاب الموعود لهم على التكذيب انه لا يتقدم على الوقت المضروب لهم لذلك ولا يتأخر عنه والأجل هو الوقت المضروب لحدوث امر من الامور والأجل المحتوم لا يتأخر ولا يتقدم والأجل المشروط بحسب الشرط والمراد بالأجل المذكور في الآية الأجل المحتوم (ثم أرسلنا رسلنا تترى) اي متواترة يتبع بعضهم

بعضا عن ابن عباس ومجاهد وقيل متقاربة الاوقات وأصله الاتصال لاتصاله بمكانه من القوس ومنه الوتر وهو الفرد عن الجمع المتصل قال الأصمعي يقال واترت الخبر اتبعت بعضه بعضا وبين الخبرين هنيهة (كلما جاء امة رسولها كذبوه) ولم يقرّوا بنبوته (فأتبعنا بعضهم بعضا) يعني في الإهلاك اي اهلكنا بعضهم في اثر بعض (وجعلناهم احاديث) اي يتحدث بهم على طريق المثل في الشر وهو جمع احدوثة ولا يقال هذا في الخير والمعنى إنا صيّرناهم بحيث لم يبق بين الناس منهم الا حديثهم (فبعداً لقوم لايؤمنون) ظاهر المعنى (ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا) اي بدلائلنا الواضحة (وسلطان مبين) اي وبرهان ظاهر بيّن (إلى فرعون وملئه) خصّ الملأ وهم الاشراف بالذكر لان الآخرين كانوا أتباعا لهم (فاستكبروا) اي تجبّروا وتعظّموا عن قبول الحق (وكانوا قوماً عالين) اي متكبرين قاهرين قهروا أهل أرضهم واتخذوهم خولا (فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا) اي انصدّق لانسانين خلقهم مثل خلقنا ويسمى الانسان بشراً لانكشاف بشرته وهي جلدته الظاهرة حتى احتاج إلى لباس يكنّه وغيره من الحيوان مغطى البشرة بصوف أو ريش او غيره لطفا من الله سبحانه بخلقه إذ لم يكن هناك عقل يدبّر امره مع حاجته إلى ما يكنّه والانسان يهتدي إلى ما يستعين به في هذا الباب (وقومهما لنا عابدون) اي مطيعون طاعة العبد لمولاه قال الحسن كان بنو اسرائيل يعبدون فرعون وفرعون يعبد الأوثان (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) اي فكذّبوا موسى وهارون فكان عاقبة تكذيبهم ان اهلكهم الله وغرقهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) اي التوراة (لعلهم يهتدون) اي لكي يهتدوا إلى طريق الحق والصواب (وجعلنا ابن مريم وامه آية) وهذا مثل قوله وجعلناها وابنها آية للعالمين اي حجة على قدرتنا على الاختراع وآية عيسى انه خلق من غير ذكر وآية مريم انها حملت من غير فحل (وآويناهما إلى ربوة) اي جعلنا مأواهما مكاناً مرتفعا مستويا واسعاً يقال اوى اليه يأوي أويا وأواه غيره يؤويه ايواء اي جعله مأوى له والربوة التي أويا اليها هي الرملة من فلسطين عن ابي هريرة وقيل دمشق عن سعيد بن المسيب وقيل مصر عن ابن زيد وقيل بيت المقدس عن قتادة وكعب قال كعب وهي اقرب الأرض إلى السماء وقيل هي حيرة الكوفة وسوادها والقرار مسجد الكوفة والمعين الفرات عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل (ذات قرار ومعين) معناه اي ذات موضع قرار اي هي أرض مستوية يستقر عليها ساكنوها عن الضحاك وسعيد وقيل ذات ثمار عن قتادة ذهب إلى انه لاجل الثمار يستقرّ فيها ساكنوها ومعين ماء جار ظاهر العيون مفعول من عِنْتُهُ اعينه ويجوز أن يكون فعيلا من معن يمعن معانة والماعون الشيء القليل في قول الزجاج قال الراعي

قَوْمٌ عَلَى الإِسْلامِ لَمَّا يَمْنَعُوا ... مَاعُونَهُمْ وَيُبَدِّلُوا التَّنْزِيلا

قالوا معناه رفدهم وقيل زكاتهم وقال عبيد بن الأبرص

وَاهِيَةً أَوْ مَعِينٌ مُمْعِنٌ ... أَوْ هَضْبَةً دُونَهَا لُهُوبُ (١)

واللهب شق في الجبل يمعن مارّ والمعن الشيء السهل الذي ينقاد ولا يعتاص وامعن بحقه واذعن اي اقرّ قال ابن الاعرابي سالت معانه اي مسائله ومجاريه

قوله تعالى (٥١) يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥٢) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٣) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٤) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ (٥٥) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٦) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (ست آيات)

(١) الوهى : الشق في الشيء والهضبة : الجبل المنبسط.

القراءة

قرأ أهل الكوفة وإنَّ هذه بالكسر وقرأ ابن عامر وأنْ بالفتح والتخفيف والباقون وأنَّ هذه بالفتح

الحجة

قال ابو علي من قرأ وأنَّ هذه بالفتح فالمعنى على قول الخليل وسيبويه انه محمول على الجار والتقدير ولأن هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون أي اتقوني لهذا ومثل ذلك عندهم قوله وانَّ المساجد اي ولأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا و كذلك عندها لايلاف قريش فكأنه قال فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش اي ليقابلوا هذه النعمة بالشكر والعبادة للمنعم بها وعلى هذا التقدير يحمل قراءة ابن عامر ألا ترى ان ان إذا خففت اقتضت ما يتعلق بها اقتضاءها وهي غير مخففة وقال بعض النحويين موضع أن المفتوحة جر عطفا على قوله بما تعملون وامة واحدة نصب على الحال والكوفيون يسمونه قطعا ومن كسر لم يحملها على الفعل كما يحملها من فتح ولكن يجعلها كلاما مستأنفا

المعنى

لما اخبر الله سبحانه عن ايتائه الكتاب للاهتداء ثم عما أولاه من سايغ النعماء خاطب الرسل بعد ذلك فقال (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) قيل هو خطاب للرسل كلهم وامر لهم ان يأكلوا من الحلال عن السدي وروي عن النبي ﷺ انه قال إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وانه أمر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وقيل أراد به محمدا ﷺ وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد مخاطبة الجمع عن الحسن ومجاهد وقتادة والكلبي ويتضمن هذا أن الرسل جميعاً كذا امروا قال الحسن أما والله ما عني به اصفركم ولا احمركم ولا حلوكم ولا حامضكم ولكنه قال انتهوا إلى الحلال منه (واعملوا صالحاً) اي ما امركم الله به وقيل انه خطاب لعيسى (ع) خاصة (إني بما تعملون عليم) هذا بيان السبب الداعي إلى اصلاح العمل فإن العاقل إذا عمل لمن يعلم عمله ويجازيه على حسب ما يعمل من عمله وبقدر استحقاقه اصلح العمل (وإن هذه امتكم امة واحدة) أي دينكم دين واحد عن الحسن وابن جريج وبعضده قوله إنا وجدنا آباءنا على امة اي على دين قال النابغة

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِيَ رِيبَةً وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهُوَ طَائِعُ

وقيل هذه جماعتكم وجماعة من قبلكم واحدة كلكم عباد الله تعالى عن الجبائي (وانا ربكم فاتقون) أي لهذا فاتقوا (فتقطعوا امرهم بينهم) تفسير الآيتين قد تقدم في سورة الانبياء (زبرا) اي كتبا وهو جمع زبور عن الحسن وقتادة ومجاهد والمعنى تفرقوا في دينهم وجعلوه كتبا دانوا بها و كفروا بما سواها كاليهود و كفروا بالانجيل والقرآن والنصارى كفروا بالقرآن وقيل معناه احدثوا كتبا يحتجون بها لمذهبهم عن ابن زيد ومن قرأ زُبَراً وهو ابن عامر فمعناه جماعات مختلفة فهي جمع زبرة اي تفرقوا احزابا وانتصب زُبَراً على الحال من امرهم والعامل فيه تقطع وقال الزجاج معناه جعلوا دينهم كتبا مختلفة على قراءة من قرأ زبرا فعلى هذا يكون زبراً مفعولا ثانيا (كل حزب بما لديهم فرحون) اي كل فريق بما عندهم من الدين راضون يرون انهم على الحق ثم خاطب نبيه ﷺ فقال (فذرهم) يا محمد (في غمرتهم) اي جهلهم وضلالتهم وقيل في حيرتهم وقيل في غفلتهم وهي متقاربة (حتى حين) اي وقت الموت وقيل وقت العذاب ثم قال (ايحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات) معناه ايظن هؤلاء الكفار ان ما نعطيهم ونزيدهم من اموال واولاد انما نعطيهم ثواباً ومجازاة لهم على اعمالهم او لرضانا عنهم ولكرامتهم علينا ليس الأمر كما يظنون بل ذلك املاء لهم واستدراج لهوانهم علينا وللابتلاء في التعذيب لهم ونظيره قوله فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول

ربي اكرمن وروى السكوني عن ابي عبد الله «ع» عن ابيه عن آبائه قال قال رسول الله ﷺ ان الله تعالى يقول يحزن عبدي المؤمن إذا اقترت عليه شيئاً من الدنيا وذلك اقرب له مني ويفرح إذا بسطت له الدنيا وذلك ابعد له مني ثم تلا هذه الآية إلى قوله (بل لا يشعرون) ثم قال إن ذلك فتنة لهم ومعنى نسارع نسرع ونتعجل وتقديره نسارع لهم به في الخيرات فحذف به للعلم بذلك كما حذف الضمير من قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه بدرهم والخيرات المنافع التي يعظم شأنها وتقيضها الشرور وهي المضار التي يشتدّ امرها والشعور العلم الذي يدق معلومه وفهمه على صاحبه كدقة الشعر وقيل هو العلم من جهة المشاعر وهن الحواس ولهذا لا يوصف القديم سبحانه به

قوله تعالى (٥٧) إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٦٠) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦١) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ

خمس آيات

القراءة

في الشواذ قراءة النبي ﷺ وعائشة وابن عباس وقتادة والأعمش يأتون ما اتوا مقصورا

الحجة

معنى قوله يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم يعطون الشيء ويشفقون ان لا يقبل منهم ومعنى يأتون ما آتوا انهم يعملون العمل وهم يخافونه ويخافون لقاء الله

المعنى

ثم بيّن سبحانه حال الأخيار الأبرار بعد بيانه احوال الكفار الفجار فقال (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) اي من خشية عذاب ربهم خائفون فيفعلون ما امرهم به وينتهون عما نهاهم عنه والخشية انزعاج النفس بتوهم المضرة (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أي بآيات الله وحججه من القرآن وغيرها يصدّقون (والذين هم بربهم لا يشركون) أي لا يشركون بعبادة الله تعالى غيره من الاصنام والأوثان لأن خصال الإيمان لا تتم إلا بترك الاشراك (والذين يؤتون ما آتوا) اي يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقة وقيل أعمال البرّ كلها (وقلوبهم وجلة) اي خائفة عن قتادة وقال الحسن المؤمن جمع احسانا وشفقة والمنافق جمع اساءة وأمنا وقال ابو عبد الله ع معناه خائفة أن لا يقبل منهم وفي رواية اخرى يؤتي ما آتى وهو خائف راج وقيل أن في الكلام حذفا واضمارا وتأويله قلوبهم وجلة ان لا يقبل منهم لعلمهم (أنهم إلى ربهم راجعون) اي لأنهم يوقنون بأنهم يرجعون إلى الله تعالى يخافون ان لا يقبل منهم وإنما يخافون ذلك لأنهم لا يأمنون التفريط (أولئك يسارعون في الخيرات) معناه الذين جمعوا هذه الصفات وكملت فيهم هم الذين يبادرون إلى الطاعات ويسابقون اليها رغبة منهم فيها وعلما منهم بما ينالون بها من حسن الجزاء. (وهم لها سابقون) اي وهم لأجل تلك الخيرات سابقون إلى الجنة وقيل معناه وهم اليها سابقون قال الكلبي سبقوا الامم إلى الخيرات قال ابن عباس يسابقون فيها امثالهم من اهل البرّ والتقوى

قوله تعالى (٦٢) وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٣) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٤) حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٥) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ

﴿٦٦﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (٦٧) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٨) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٩) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٧٠) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧١) وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ عشر آيات

القراءة

قرأ نافع تُهجِرون بضم التاء وكسر الجيم والباقون تَهجُرون بفتح التاء وضم الجيم وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وابن عباس وعكرمة سمَراً تهجرون وقراءة ابن محيصن سُمَّراً وقراءة يحيى ولو اتبع بضم الواو

الحجة

قال ابو علي من قال تهجرون فالمعنى انكم كنتم تهجرون آياتي وما يتلى عليكم من كتابي فلا تتقادون له وتكذبون به وتهجرون تأتون بالهجر والهذيان وما لا خير فيه من الكلام وقال ابن جني قوله تهجرون معناه تكثرون من الهجر او هجر النبي ﷺ او كتابه او تكثرون من الاهجار وهو الافحاش في القول لأن فعّل للتكثير والسُمَّر جمع سامر والسامر القوم يسمرون اي يتحدثون ليلا قال ذو الرمة

وَكَمْ عَرَّسَتْ بَعْدَ السُّرَى مِنْ مُعَرَّسٍ ... بِهِ مِنْ عَزِيفِ الْجِنِّ أَصْوَاتُ سَامِرِ (١)

قال قطرب السامر قد يكون واحدا أوجماعة وقيل انه اخذ من السمرة وهي اللون الذي بين السواد والبياض فقيل لحديث الليل السمر لأنهم كانوا يقعدون في ظل القمر يتحدثون وقيل ان السمر ظل القمر

اللغة

الوسع الحال التي يتسع بها السبيل إلى الفعل والوسع دون الطاقة والتكليف تحميل ما فيه المشقة بالأمر والنهي والاعلام مأخوذ من الكلفة في الفعل والله سبحانه يكلف عباده تعريضاً اياهم للنفع الذي لايحسن الابتداء بمثله وهو الثواب وأصل الغمرة الستر والتغطية يقال غمرت الشيء إذا سترته وغمرات الموت شدائده وكل شدة غمرة قال (الغمرات ثم ينجلينا ● ثم يذهبن فلا يجينا) والجؤار الاستغاثة ورفع الصوت بها والنكوص رجوع القهقرى وهو المشي على الأعقاب إلى خلف وهو اقبح مشية مثل بها اقبح حال وهي الإعراض عن الداعي إلى الحق

الاعراب

وسعها مفعول ثان لنكلف «بالحق» ان جعلت الحق مصدرا فالباء مزيدة والتقدير ينطق الحق وان جعلته صفة محذوفا فالتقدير ينطق بالحكم الحق ومفعول ينطق محذوف «هم» لها عاملون جملة في موضع رفع لانها صفة لاعمال مستكبرين منصوب على الحال من قوله تنكصون وذو الحال الواو وتنكصون خبر كان وسامرا اسم الجمع منصوب لأنه حال

المعنى

ثم بيّن سبحانه انه لا يكلف احدا إلا دون الطاقة بعد ان اخبر عن حال الكافرين والمؤمنين فقال (ولا نكلف نفساً) اي لا نكلفها امرا ولا نأمرها (إلا وسعها) اي دون طاقتها (ولدينا كتاب ينطق بالحق) معناه وعند ملائكتنا المقربين كتاب ينطق بالحق اي يشهد لكم وعليكم بالحق كتبته الملائكة بأمرنا

(١) التعريس : نزول القوم في السفر في آخر الليل للاستراحة . والسرى : سير الليل . وعزيف الجن : صو

يريد صحائف الأعمال (وهم لا يظلمون) اي يوفون جزاء اعمالهم فلا ينقص من ثوابهم ولا يزاد في عقابهم ولا يؤاخذون بذنب غيرهم (بل قلوبهم في غمرة من هذا) بل ردّ لما سبق وابتداء الكلام والمعنى ان قلوب الكفار في غفلة شديدة من هذا الكتاب المشتمل على الوعد والوعيد وهو القرآن وقيل في جهل وحيرة عن الحسن والجبائي (ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون) اي ولهم اعمال ردية سوى هذا الجهل يعملون تلك الاعمال فيستحقون بها وبالكفر العقوبة من الله تعالى وقيل ولهم اعمال اي خطايا من دون الحق عن قتادة وابي العالية ومجاهد وقيل ولهم اعمال من دون الأجل الذي اجلت لهم في موتهم لا بدّ ان يعملوها عن الحسن ومجاهد في رواية اخرى وابن زيد وقيل اعمال اصغر من ذلك اي دون الكفر كما يقال هذا دون هذا في القدر هم لها عاملون إلى ان يفني آجالهم فهم مشتغلون بها (حتى إذا اخذنا مترفيهم بالعذاب) اي يكون هذا دأبهم حتى إذا اخذنا متنعميهم ورؤساءهم بعذاب الآخرة ويقال عذاب الدنيا وهو عذاب السيف في يوم بدر عن ابن عباس وقيل هو الجوع حين دعا النبي ﷺ عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضروا جعلها سنين كسني يوسف فابتلاهم الله سبحانه بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب عن الضحاك (اذا هم يجأرون) اي يضجّون لشدة العذاب ويجزعون وقيل يستغيثون عن ابن عباس وقيل يصرخون إلى الله بالتوبة فلا يقبل منهم (لا تجأروا اليوم) اي يقال لهم لا تتضرعوا اليوم (إنكم منا لا تنصرون) هذا ايناس لهم من دفع العذاب عنهم (قد كانت آياتي تتلى عليكم) اي تقرأ (فكنتم) ايها الكافرون المعذّبون (على اعقابكم تنكصون) اي تدبرون وتستأخرون وترجعون القهقرى (مكذبين) (مستكبرين به) اي متكبرين على سائر الناس بالحرم او بالبلد يعني مكة ان لا يظهر عليكم فيه احد عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل مستكبرين بمحمد ﷺ ان تطيعوه وبالقرآن ان تقبلوه فأنها كناية عن غير مذكور في الجميع (سامرا) اي تسمرون بالليل اي تتحدثون في معائب النبي ﷺ (تهجرون) الحق بالاعراض عنه وتهجرون اي تفحشون في المنطق ثم قال سبحانه (أفلم يدبروا القول) أي الم يتدبروا القرآن فيعرفوا ما فيه من العبر والدلالات على صدق نبيّنا ﷺ (ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين) قال ابن عباس يريد أليس قد ارسلنا نوحاً وابراهيم والنبيين إلى قومهم وكذلك ارسلنا محمداً ﷺ (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) قال ابن عباس أليس هو محمداً الذي قد عرفوه صغيرا وكبيرا صادق اللسان امينا وافيا بالعهد وفي هذا توبيخ لهم بالاعراض عنه بعد ما عرفوا صدقه وامانته مع شرف نسبه قبل الدعوة (أم يقولون به جنة) قال ابن عباس يريد وايّ جنون ترون به وفي هذا دلالة على جهلهم حيث أقرّوا له بالعقل والصدق أولا ثم نسبوه إلى الجنون وإنما نسبوه إلى الجنون ليتفروا الناس عنه او لأنه يطمع في إيمانهم فهو يطمع في غير مطمع (بل جاءهم بالحق) المعنى بل جاءهم بالقرآن والدين الحق وليس به جنة (واكثرهم للحق كارهون) لانه لم يوافق مرادهم (ولو اتبع الحق اهواءهم) الحق هو الله تعالى عن ابي صالح وابن جريج والسدي والمعنى ولو جعل الله لنفسه شريكا كما يهوون (لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن) ووجه الفساد ما تقدّم ذكره عند قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل الحق ما يدعو إلى المصالح والمحاسن والأهواء ما تدعو إلى المفاسد والمقابح ولو اتبع الحق داعي الهوى لدعا إلى المقابح ولفسد التدبير في السماوات والأرض لأنها مدبرة بالحق لا بالهوى وقيل معناه لفسدت احوال السماوات والأرض لأنها جارية على الحكمة لا على الهوى ومن فيهن اي ولفسد من فيهن وهو اشارة إلى العقلاء من الملائكة والانس والجن وقال الكلبي وما بينهما من خلق فيكون عاماً ووجه فساد العالم بذلك انه يوجب بطلان الأدلة وامتناع الثقة بالمدلول عليه وان لا يوثق بوعد ولا وعيد ولا يؤمن انقلاب عذل الحكيم (بل آتيناهم بذكرهم) اي بما فيه شرفهم وفخرهم لأن الرسول ﷺ منهم والقرآن نزل بلسانهم (فهم عن ذكرهم) اي شرفهم (معرضون) وبالذل راضون وقيل الذكر

البيان للحق عن ابن عباس

قوله تعالى (٧٢) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٣) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٤) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (٧٥) وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٦) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٧) حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٨) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٧٩) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٨٠) وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ تسع آيات

﴿ اللغة ﴾

أصل الخراج والخرج واحد وهو الغلة التي تخرج على سبيل الوظيفة ومنه خراج الأرض وهما مصدران يجمعان وقد سبق اختلاف القراء فيه في سورة الكهف والاستكانة الخضوع وهو استفعل من الكون والمعنى ما طلبوا الكون على صفة الخضوع قال الازهري أكانه أمّه يكينه أي اخضعه حتى ذل ومات فلان يكينة سوء اي بحال سوء وقيل ان استكان من السكينة والسكون إلا ان الفتحة اشبعت فنشأت منها الف فصار استكانوا الاصل استكنوا على افتعلوا قال عنترة في اشباع الفتحة

يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرَيْ غَضُوبٍ جَسْرَةٍ زَيَّافَةٍ مِثْلِ الْفَنِيقِ الْمُكْدَمِ (١)

يريد ينبع فاشبع الفتحة وقال آخر

وَأَنْتَ مِنَ الْغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَىٰ وَمِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاحِ (٢)

اي بمنتزح يقال استكن واستكان وتمسكن بمعنى

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه (أم تسألهم) يا محمد على ما جئتهم به من القرآن والايمان (خرجا) اي اجرا ومالا يعطونك فيورث ذلك تهمة في حالك او يثقل عليهم قبول قولك لاجله (فخراج ربك خير) اي فرزق ربك في الدنيا خير منه عن الكلبي وقيل فأجر ربك في الآخرة خير منه عن الحسن (وهو خير الرازقين) اي أفضل من اعطى وآجر وفي هذا دلالة على ان في العباد من يرزق غيره باذن الله (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم) من التوحيد واخلاص العبادة والعمل بالشريعة (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) اي لا يصدقون بالنشأة الآخرة (عن الصراط لناكبون) اي عن الدين الحق عادلون مائلون وقيل معناه انهم في الآخرة ناكبون عن طريق الجنة يؤخذ بهم يمنة ويسرة إلى النار عن الجبائي (ولو رحمناهم) في الآخرة (وكشفنا ما بهم من ضر) ورددناهم إلى دار التكليف (لفجوا في طغيانهم يعمهون) مثل قوله ولو ردّوا لعادوا عن الجبائي وابي مسلم وقيل انه في الدنيا اي ولو انا رحمناهم وكشفنا ما بهم من جوع ونحوه لتمادوا في ضلالتهم وغوايتهم يترددون عن ابن جريج (ولقد أخذناهم بالعذاب) معناه انا قد أخذنا هؤلاء الكفار بالجدب وضيق الرزق والقتل بالسيف (فما استكانوا لربهم) اي ماتواضعوا ولا انقادوا (وما يتضرعون) اي وما يرغبون إلى الله في الدعاء. وقال ابو عبد الله (ع) الاستكانة الدعاء والتضرع رفع اليد في الصلاة (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) اي هذا دأبهم حتى إذا فتحنا

(١) هذا بيت من معلقته الشهيرة . و الذفرى : ماخلف الاذن . والجسرة : الناقة الموثقة الخلق . والزيف : التبختر . والفنيق : الفحل من الابل . والمكدم من الفحول : القوى . يقول ينبع هذا العرق من خلف اذن ناقة . . . الخ شبهها بالفحل فى تبخترها ووثاقة خلقها و ضخمها . (٢) مضى البيت فى صفحة ٢٢ من هذا الجزء .

عليهم نوعا آخر من العذاب وذلك حين دعا النبي ﷺ عليهم فقال اللهم سنين كسني يوسف فجاعوا حتى أكلوا العلهز وهو الوبر بالدم عن مجاهد وقيل هو القتل يوم بدر عن ابن عباس وقيل فتحنا عليهم بابا من عذاب جهنم في الآخرة عن الجبائي وقيل ذلك حين فتح مكة وقال ابو جعفر (ع) هو في الرجعة (إذا هم فيه مبلسون) اي آيسون من كل خير متحيّرون ثم بيّن سبحانه انه المنعم على خلقه بانواع النعم فقال (وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة) اي خلق هذه الحواس ابتداء لامن شيء وخصّ هذه الثلاثة لأن الدلائل مبنية عليها ينظر العاقل ويسمع ويتفكر فيعلم (قليلا ما تشكرون) اي يقل شكركم لها وقليلا منصوب على المصدر وتقديره تشكرون قليلا لهذه النعم التي أنعم الله بها عليكم وقيل معناه انكم لا تشكرون رب هذه النعم فتوحّدونه عن مقاتل (وهو الذي ذرأكم) اي خلقكم واوجدكم (في الارض واليه تحشرون) يوم القيامة فيجازيكم على اعمالكم (وهو الذي يحيي ويميت) اي يحييكم في ارحام أمهاتكم ويميتكم عند انقضاء آجالكم (وله اختلاف الليل والنهار) اي وله تدبيرها بالزيادة والنقصان وقيل وله ملك اختلافها وهو ذهاب احدهما ومجيء الآخر (أفلا تعقلون) أي افلا تعلمون بأن تفكروا فتعلموا ان لذلك صانعا قادرا عالما حيا حكيما لا يستحق الإلهية سواه ولا تحسن العبادة إلا له

قوله تعالى (٨١) بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (٨٢) قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٣) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٤) قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٥) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٦) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٧) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٨) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٩) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٩٠) بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ عشر آيات

القراءة

قرأ اهل البصرة سيقولون الله في الآيتين والباقون لله ولم يختلفوا في الاولى

الحجة

أما قراءة اهل البصرة فجواب على ما يوجبه اللفظ ومن قرأ لله فعلى المعنى وذلك انه إذا قيل من مالك هذه الدار فاجيب لزيد فإن الجواب على المعنى دون ما يقتضيه اللفظ فإن الذي يقتضيه اللفظ ان يقال زيد وإنما استقام ذلك لأن معنى من مالك هذه الدار ولمن هذه الدار واحد فلذلك اجيب تارة على اللفظ وتارة على المعنى

[المعنى]

ثم اخبر سبحانه عن الكفار المكذبين بالبعث فقال (بل قالوا مثل ما قال الأولون) المنكرون للبعث بعد الموت ثم حكى مقالتهم فقال (قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) وهذا جهل منهم لأنهم لو تفكروا في ان النشأة الأولى اعظم منه لما استعظموه وقد اقرّوا بأن الله خالقهم (لقد وعدنا نحن وآباؤنا) اي وعد آباؤنا هذا الذي تعدنا من البعث (من قبل) اي من قبل مجيئك فما صدق وعدهم (إن هذا إلا اساطير الأولين) اي ما هذا إلا أكاذيب الأولين قد سطروا ما لا حقيقة له وإنما يجري مجرى حديث السمر الذي يكتب للاطراف به ثم احتج على هؤلاء المنكرين للبعث والنشور فقال (قل) يا محمد لهم (لمن الارض ومن فيها) اي لمن خلق

الارض وملكها ومن فيها من العقلاء (ان كنتم تعلمون سيقولون) في الجواب (لله) وإنما قال ذلك لأنهم كانوا يقرّون بأن الله هو الخالق (قل افلا تذكرون) اي فقل لهم عند ذلك افلا تتفكرون فتعلمون انه تعالى قادر على ذلك ومن قدر عليه قدر على احياء الموتى لأنه ليس ذلك بأعظم منه ثم زاد في الحجة فقال (قل) يامحمد لهم ايضا (من رب السماوات السبع) اي من مالكها والمتصرف فيها (ورب العرش العظيم) اي ومن مالك العرش ومدبّره لأنهم كانوا يقرّون بأن الله خالق السماوات وان الملائكة سكان السماوات والعرش عندهم عبارة عن الملك الا ان يكون اتاهم خلق العرش من قبل النقل ثم اخبرانهم (سيقولون لله) في الجواب عن ذلك اي ان رب السماوات ورب العرش هو الله ومن قرأ لله فالمعنى انها لله (قل افلا تتقون) اي فعند ذلك يلزمهم الحجة فقل لهم افلا تتقون عذابه على جحد توحيده والاشراك في عبادته وفي انكار البعث ثم زاد في الحجة فقال (قل) يامحمد لهم ايضا (من بيده ملكوت كل شيء) والملكوت من صفات المبالغة في الملك كالجبروت والرهبوت وقال مجاهد ملكوت كل شيء خزائن كل شيء (وهو يجير ولا يجار عليه) اي يمنع من السوء من يشاء ولا يمتنع منه من أراده بسوء يقال اجرت فلانا إذا استغاث بك فحميته واجرت عليه إذا حميت عنه ويحتمل أن يكون اراد في الدنيا اي من قصد عبدا من عباده بسوء قدر على منعه ومن أراد الله بسوء لم يقدر على منعه احد ويحتمل ان يكون أراد في الآخرة اي يجير من العذاب ولا يجار عليه منه (إن كنتم تعلمون) اي ان كنتم تعلمون ذلك فاجيبوا (سيقولون) في الجواب (لله قل فأنى تسحرون) اي فكيف يخيل اليكم الحق باطلا والصحيح فاسدا مع وضوح الحق وتميزه من الباطل وقيل معناه فكيف تعمون عن هذا وتصدون عنه من قولهم سحرت اعيننا فلم نبصر وقيل معناه فكيف تخدعون وتغوون عليكم كقول امرئ القيس « وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ »[1] اي ونخدع . (بل آتيناهم بالحق وانهم لكاذبون) معناه إنا جئناهم بالحق وبيّنا لهم الحق الذي فيه بيان كذبهم ولكنهم اصرّوا على باطلهم وكذبهم

﴿ النظم ﴾

وإنما اتصلت الآية الاولى بما قبلها بمعنى انهم لو تفكّروا لعلموا ولكن عوّلوا على التقليد فقالوا مثل ما قال الاولون فعلى هذا تكون متصلة بقوله افلا تعقلون وقيل انه جواب الاستفهام في قوله أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين والآية الاخيرة معطوفة على ما تقدّم من ادلة التوحيد وهي ردّ على المشركين وتكذيب لهم في قولهم ان الاصنام آلهة وان الله سبحانه له ولد وان الملائكة بنات الله

قوله تعالى (٩١) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩٢) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٣) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (٩٤) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٥) وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٦) إِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٧) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٨) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٩) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (١٠٠) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (عشر آيات)

(١) وقبله « اذا نا موضعين لحتم غيب » وقدم بتمامه في صفحة ٤١٩ من ج ٦ .

القراءة

قرأ اهل المدينة واهل الكوفة غير حفص عالم الغيب بالرفع والباقون بالجر إلا ان رويسا إذا وصل جر وإذا ابتدأ رفع

الحجة

وجه الرفع أن يكون خبر مبتدأ محذوف وتقديره هو عالم الغيب ووجه الجر ان يكون صفة الله تعالى ويكون اضافة عالم حقيقية بمعنى اللام ويجوز ان يكون بدلا فتكون الاضافة غير حقيقية والغيب في تقدير النصب والاول يكون بمعنى الماضي والثاني بمعنى الحاضر ولا يكون بمعنى المستقبل

اللغة

الهَمْزَة شدة الدفع ومنه الهمزة للحرف الذي يخرج من اقصى الحلق باعتماد شديد ودفع وهمزة الشيطان دفعه بالاغواء إلى المعاصي وقوس هَمَزى شديدة الدفع للسهم والبرزخ الحاجز بين الشيئين وكل فصل بين شيئين برزخ ومعنى من ورائهم هنا من أمامهم وقدامهم قال الشاعر

أَيَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي ... وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْفَلَاةُ وَرَائِيا

الاعراب

قوله إذا لذهب كل إله بما خلق جواب لو مقدر والتقدير ولو كان معه إله إذا لذهب و إذا هنا حشو بين لو وجوابه فهي لغو غير عامل «اما تريني» ان للشرط ضمت اليها ما مسلطة والمعنى انها سلطت نون التأكيد على دخولها الفعل المضارع ولو لم تكن هي لم يجز ان تريني وجواب الشرط فلا تجعلني · ورَبِّ معترض بين الشرط والجزاء · وبالتي هي أحسن الموصولة والصلة في موضع جر بأنها صفة محذوف مجرور التقدير ادفع بالخصلة التي هي أحسن ورب ارجعون جاء الخطاب على لفظ الجمع لأنه سبحانه يقول إنا نحن نزلنا الذكر وانا نحن نحيي وهذا اللفظ يعرفه العرب للجليل الشأن يخبر به الجماعة فكذلك جاء الخطاب في ارجعون وقال المازني انه جمع الضمير ليدل على التكرار فكأنه قال رب ارجعن ارجعن ارجعن و إلى يوم يبعثون إلى تتعلق بما يتعلق به مِنْ في قوله ومن ورائهم برزخ ويوم مضاف إلى يبعثون لأن اسماء الزمان تضاف إلى الأفعال

المعنى

ثم اكد سبحانه ما قدمه من ادلة التوحيد بقوله (ما اتخذ الله من ولد) أي لم يجعل ولد غيره ولد نفسه لاستحالة ذلك عليه فمن المحال ان يكون له ولد فلا يجوز عليه التشبيه بما هو مستحيل ممتنع إلا على النفي والتبعيد واتخاذ الولد هو ان يجعل الجاعل ولد غيره يقوم مقام ولده لو كان له وكذلك التبني انما هو جعل الجاعل ابن غيره ومن يصح ان يكون ابنا له مقام ابنه ولذلك لا يقال تبنى شاب شيخا ولا تبنى الإنسان بهيمة لما استحال ان يكون ذلك ولدا له (وما كان معه من إله) من هاهنا وفي قوله من ولد مؤكدة فهو آكد من أن يقول ما اتخذ الله ولدا وما كان معه إله نفى عن نفسه الولد والشريك على آكد الوجوه (إذا لذهب كل إله بما خلق) والتقدير إذ لو كان معه إله آخر لذهب كل إله بما خلق أي لميز كل إله خلقه عن خلق غيره ومنعه من الاستيلاء على ما خلقه أو نصب دليلا يميز به بين خلقه وخلق غيره فانه كان لا يرضى ان يضاف خلقه وانعامه إلى غيره (ولعلا بعضهم على بعض) أي ولطلب بعضهم قهر بعض ومغالبته وهذا معنى قول المفسرين ولقاتل بعضهم بعضا كما يفعل الملوك في الدنيا وقيل معناه ولمنع بعضهم بعضا عن مراده وهو مثل قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وفي هذا دلالة عجيبة في التوحيد وهو ان كل واحد من الآلهة من حيث يكون إلها يكون قادرا لذاته فيؤدي إلى ان يكون قادرا على كل ما يقدر عليه غيره من الآلهة فيكون غالبا ومغلوبا من حيث انه قادر لذاته وايضا فان من ضرورة كل قادرين صحة التمانع بينهما فلو صح وجود إلهين صح التمانع بينهما من حيث انهما قادران وامتنع التمانع بينهما من

حيث انهما قادران للذات وهذا محال وفي هذا دلالة على اعجاز القرآن لأنه لا يوجد في كلام العرب كلمة وجيزة تضمنت ما تضمنته هذه فإنها قد تضمنت دليلين باهرين على وحدانية الله وكمال قدرته ثم نزّه نفسه عما وصفوه به فقال (سبحان الله عما يصفون) أي عما يصفه به المشركون من اتخاذه الولد والشريك (عالم الغيب والشهادة) أي يعلم ما غاب وما حضر فلا يخفى عليه شيء (فتعالى الله عما يشركون) والمعنى انه عالم بما كان وبما سيكون وبما لم يكن ان لو كان كيف يكون ومن كان بهذه الصفة لا يكون له شريك لأنه الأعلى من كل شيء في صفته ثم قال لنبيه ﷺ (قل) يا محمد (رب اما تريني ما يوعدون) أي ان اريتني ما يوعدون من العذاب والنقمة يعني القتل يوم بدر (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) أي مع القوم الظالمين والمعنى فأخرجني من بينهم عندما تريد احلال العذاب بهم لئلا يصيبني ما يصيبهم وفي هذا دلالة على جواز ان يدعو الانسان بما يعلم ان الله يفعله لا محالة لأن من المعلوم ان الله تعالى لا يعذب انبياءه مع المعذبين ويكون الفائدة في ذلك إظهار الرغبة إلى الله (وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون) هذا ابتداء كلام من الله تعالى معناه انا لا نعاجلهم بالعقوبة مع قدرتنا على ذلك ولكن ننظرهم ونمهلهم لمصلحة توجب ذلك قال الكلبي هذا امر شهده اصحاب رسول الله ﷺ بعد موته وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده عن ابي صالح عن ابن عباس وجابر بن عبد الله انهما سمعا رسول الله ﷺ يقول في حجة الوداع وهو بمنى لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وايم الله لئن فعلتموها لتعرفني في كتيبة يضاربونكم قال فغمز من خلفه منكبه الأيسر فالتفت فقال أو عليّ فنزل قل رب اما تريني الآيات ثم امره ﷺ بالصبر إلى ان ينقضي الأجل المضروب للعذاب فقال (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) أي ادفع بالإغضاء والصفح اساءة المسيء عن مجاهد والحسن وهذا قبل الأمر بالقتال وقيل معناه ادفع باطلهم ببيان الحجج على الطف الوجوه وأوضحها وأقربها إلى الإجابة والقبول (نحن أعلم بما يصفون) أي بما يكذبون ويقولون من الشرك والمعنى انا نجازيهم بما يستحقونه ثم امره ﷺ فقال (قل) يا محمد (رب اعوذ بك) أي اعتصم بك (من همزات الشياطين) أي من نزعاتهم ووساوسهم عن ابن عباس والحسن والمعنى من دعائهم إلى الباطل والعصيان ومن شرورهم في كل شيء يخاف فيه من ذلك (واعوذ بك رب ان يحضرون) أي يشهدوني ويقاربوني ويصدّوني عن طاعتك وقيل معناه ان يحضروني في الصلاة عند تلاوة القرآن وقيل في الاحوال كلها ثم عاد سبحانه إلى قوله أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما فقال (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون) يعني ان هؤلاء الكفار إذا اشرفوا على الموت سألوا الله تعالى عند ذلك الرجعة إلى دار التكليف فيقول احدهم رب ارجعون على لفظ الجمع وفي معناه قولان ﴿ احدهما ﴾ انهم استغاثوا اولا بالله ثم رجعوا الى مسائلة الملائكة فقالوا لهم ارجعون اي ردّوني الى الدنيا عن ابن جرير ﴿ والآخر ﴾ انه على عادة العرب في تعظيم المخاطب كما قال قرة عين لي ولك لا تقتلاه وروى النضر بن شميل قال سألوا الخليل عن هذا ففكر ثم قال سألتموني عن شيء لا احسنه ولا اعرف معناه فاستحسن الناس منه ذلك (لعلي اعمل صالحا فيما تركت) أي في تركتي والمعنى أؤدي عنها حق الله تعالى وقيل معناه في دنياي فإنه ترك الدنيا وصار الى الآخرة وقيل معناه اعمل صالحا فيما فرطت وضيّعت أي في صلاتي وصيامي وطاعاتي وقال الصادق (ع) انه في مانع الزكاة يسأل الرجعة عند الموت ثم قال سبحانه في الجواب عن سؤالهم (كلا) اي لا يرجع إلى الدنيا (انها) اي مسألة الرجعة (كلمة هو قائلها) اي كلام يقوله ولا فائدة له في ذلك وقيل معناه هي كلمة يقولها بلسانه وليس لها حقيقة مثل قوله ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وروى العياشي باسناده عن الفتح بن يزيد الجرجاني قال قلت لأبي الحسن الرضا (ع) جعلت فداك ايعرف القديم سبحانه الشيء الذي لم يكن ان لو كان كيف كان يكون قال ويحك ان مسألتك لصعبة أما قرأت قوله عز وجل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولعلا بعضهم على بعض لقد عرف الشيء الذي لم يكن ولا يكون ان لو كان

كيف كان يكون وقال ويحكي قول الاشقياء رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها وقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فقد علم الشيء الذي لم يكن لو كان كيف كان يكون وهو السميع البصير الخبير العليم (ومن ورائهم) أي ومن بين أيديهم (برزخ إلى يوم يبعثون) أي حاجز بين الموت والبعث في يوم القيامة من القبور عن ابن زيد وقيل حاجز بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وهم فيه إلى يوم يبعثون عن ابن عباس ومجاهد وقيل البرزخ الامهال إلى يوم القيامة وهو القبر وكل فصل بين شيئين هو برزخ عن علي بن عيسى وفي الآية دلالة على ان احدا لا يموت حتى يعرف منزلته عند الله تعالى اضطرارا وانه من أهل الثواب أو العقاب عن الجبائي

قوله تعالى (١٠١) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠٢) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٣) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٤) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٥) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٦) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٧) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٨) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٩) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٠) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ عشر آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم شقاوتنا بالالف وفتح الشين والباقون شقوتنا بكسر الشين من غير الف وقرأ أهل المدينة وأهل الكوفة غير عاصم سخريا بضم السين والباقون بكسرها وكذلك في سورة ص

الحجة

قال ابو علي الشقوة مصدر كالرقة والفطنة والشقاوة كالسعادة فالقراءة بها جميعا سائغة وقال ابو زيد اتخذت فلانا سُخريا وسِخريا إذا هزئت منه وقد سخرت منه اسخر سِخريا وسَخرا قال ابو عبيدة اتخذتموهم سِخريا تسخرون منهم و سُخريا تُسَخرونهم ويقال ايضا ان من الهزء سُخري وسِخري ومن السخرية مضمومة لا غير وحكي عن الحسن وقتادة ان ما كان من العبودة فهو سخري بالضم وما كان من الهزء فبالكسر قال ابو علي الاكثر في الهزء كسر السين فيما حكوه ويرى انه انما كان اكثر لأن السِخر مصدر سخرت وفعَل وفِعل قد يكونان بمعنى نحو المثل والمثل والشبه والشبه في حرف آخر فكذلك السخر والسخر الا ان المكسورة الزمت ياء النسب دون المفتوحة كما اتفقوا في القسم على الفتح في لعمر الله ولم يعتد بياء النسب كما لم يعتد بها في نحو احمر واحمري ودوار ودواري والوجه في الضم على ما حكي عن يونس ان السخري قد يقال بالضم بمعنى الهزء واتفق القراء على الضم في الزخرف لأنه من السخرة وانقياد بعضهم لبعض في الأمور وذلك لا يكون إلا بالضم

اللغة

اللفح والنفح بمعنى إلا ان اللفح اشد تأثيرا واعظم من النفح وهو ضرب من السموم للوجه والنفح ضرب

الريح الوجه والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان حتى تبدو الاسنان قال الاعشى

وَلَهُ الْمَقْدَمُ لَا مِثْلَ لَهُ ... سَاعَةَ الشِّدْقُ عَنِ النَّابِ كَلِحْ (١)

وخسأت فلانا اخسأه خسأ إذا زجرته ليتباعد ... فخسأ مخاسئ ومعنى اخسأ اي تباعد تباعد سخط

الإعراب

العامل في إذا نفخ وبينهم ويومئذ خبرلا المحذوف تقديره فلا انساب تثبت بينهم تلفح وجوههم النار في موضع النصب على الحال والعامل فيه خالدون

المعنى

ثم بيّن سبحانه حال الفريقين يوم البعث فقال (فإذا نفخ في الصور) قيل ان المراد به نفخة الصعق عن ابن عباس وقيل نفخة البعث عن ابن مسعود والصور جمع صورة اي إذا نفخ فيه الأرواح واعيدت احياء عن الحسن وقيل ان الصور قرن ينفخ فيه اسرافيل (ع) بالصوت العظيم الهائل على ماوصفه الله تعالى علامة لوقت اعادة الخلق عن اكثر المفسرين (فلا انساب بينهم يومئذ) اي لا يتواصلون بالانساب ولا يتعاطفون بها مع معرفة بعضهم بعضا عن الحسن والمعنى انه لا يرحم قريب قريبه لشغله عنه فإن المقصود بالأنساب دفع ضرّ او جرّ نفع فإذا ذهب هذا المقصود فكأن الانساب قد ذهبت ومثله يوم يفرّ المرء من اخيه وامه وأبيه وقيل معناه لا يتفاخرون بالانساب كما كانوا يفعلونه في الدنيا عن ابن عباس والجبائي ولا بدّ من تقدير محذوف في الآية على تأويل فلا انساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها أو يتعاطفون بها والمعنى انه لا يفضل بعضهم بعضا يومئذ بنسب وإنما يتفاضلون بأعمالهم وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي (ولا يتساءلون) اي لا يسأل بعضهم بعضا من حاله وخبره كما كانوا يسألون في الدنيا لشغل كل واحد بنفسه عن الجبائي وقيل لا يسأل بعضهم بعضا أن يحمل عنه ذنبه ولا تنافي بين هذه الآية وبين قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لأن للقيامة احوالا ومواطن فمنها حال يشغلهم عظم الأمر فيها عن المسألة ومنها حال يلتفتون فيها فيتساءلون وهذا معنى قول ابن عباس لما سئل عن الآيتين فقال هذه ثلاث يوم القيامة وقيل إنما يتساءلون عند دخول الجنة وإنما يسأل بعض اهل الجنة بعضا فإنهم لا يفزعون من اهوال القيامة عن السدي (فمن ثقلت موازينه) بالطاعات (فأولئك هم المفلحون) الناجون (ومن خفت موازينه) عن الطاعات (فأولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون) وقد تقدّم تفسير الآيتين واختلاف المفسرين في كيفية الميزان والوزن في سورة الأعراف (تلفح وجوههم النار) اي يصيب وجوههم لفح النار ولهبها (وهم فيها كالحون) اي عابسون عن ابن عباس وقيل هو ان تتقلص شفاههم وتبدو اسنانهم كالرؤوس المشوية عن الحسن (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) اي ويقال لهم ألم يكن القرآن يقرأ عليكم وقيل الم تكن حججي وبيّناتي وأدلّتي تقرأ عليكم في دار الدنيا (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) اي شقاوتنا ومعناهما واحد وهو المضرة اللاحقة في العاقبة والسعادة المنفعة اللاحقة في العاقبة ويقال لمن حصل في الدنيا على مضرة فادحة شقي والمعنى استعلت علينا سيئاتنا التي أوجبت لنا الشقاء (وكنا قوما ضالين) اي ذاهبين عن الحق ولما كانت سيئاتهم التي شقوا بها سبب شقاوتهم سميت شقاوة توسعا ومن اكبر الشقاوة ان تترك عبادة الله تعالى إلى عبادة غيره وتترك الأدلة ويتبع الهوى (ربنا اخرجنا منها) اي من النار (فإن عدنا) لما تكره من الكفر والتكذيب والمعاصي (فإنا ظالمون) لأنفسنا قال الحسن هذا آخر كلام يتكلم به اهل النار ثم بعد ذلك يكون لهم شهيق كشهيق الحمار (قال اخسئوا فيها) أي ابعدوا بعد الكلب في النار وهذه اللفظة زجر للكلاب وإذا قيل ذلك للإنسان يكون للاهانة المستحقة للعقوبة (ولا تكلمون) وهذه مبالغة للاذلال والإهانة واظهار الغضب عليهم لأن من لا يكلم اهانة له فقد بلغ به الغاية في الاذلال وقيل معناه ولا تكلمون في رفع العذاب فإني لا أرفعه

---

(١) الشدق : جانب الفم .

عنكم وهي على صيغة النهي وليست بنهي لأن الأمر والنهي مرتفعان في الآخرة لارتفاع التكليف (انه كان فريق من عبادي) اي طائفة من عبادي وهم الانبياء والمؤمنون (يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين) اي يدعون بهذه الدعوات في الدنيا طلبا لما عندي من الثواب (فاتخذتموهم) انتم يا معشر الكفار (سخريا) أي كنتم تهزؤون وتسخرون منهم وقيل معناه تستعبدونهم وتصرفونهم في اعمالكم وحوائجكم كرها بغير اجر وقيل انهم كانوا إذا آذوا المؤمنين قالوا انظروا إلى هؤلاء رضوا من الدنيا بالعيش الدني طمعا في ثواب الآخرة وليس وراءهم آخرة ولا ثواب فهو مثل قوله و إذا مرّوا بهم يتغامزون (حتى انسوكم ذكري) أي نسيتم ذكري لاشتغالكم بالسخرية منهم فنسب الانساء إلى عبادة المؤمنين وان لم يفعلوه لما كانوا السبب في ذلك (وكنتم منهم تضحكون) ظاهر المعنى

قوله تعالى (١١١) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١٢) قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٣) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِّينَ (١١٤) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٥) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٦) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٧) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٨) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ثماني آيات

القراءة

قرأ حمزة والكسائي إنهم بكسر الألف وقل كم لبثتم وقل ان لبثتم على الأمر وقرأ ابن كثير قل كم لبثتم فقط وقرأ الباقون انهم بفتح الألف وقال في الموضعين وقرأ أهل الكوفة غير عاصم ويعقوب لا ترجعون بفتح التاء والباقون بضم التاء وفتح الجيم

الحجة

قال ابو علي من فتح انّ فالمعنى لأنهم هم الفائزون ويجوز ان يكون انهم في موضع المفعول الثاني لأن جزيت يتعدى إلى مفعولين قال سبحانه وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وتقديره جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز وفاز الرجل إذا نال ما أراد وقالوا فوّز الرجل إذا مات ويشبه ان يكون ذلك على التفاؤل له اي صار إلى ما احب والمفازة المهلكة على وجه التفاؤل ايضا ومن كسر إنّ استأنف فقطعه عما قبله ومثله لبيك ان الحمد والنعمة لك وان الحمد بالكسر والفتح ومن قرأ قل كم لبثتم كان على قل ايها السائل عن لبثهم وقال على الاخبار عنه وزعموا ان في مصاحف اهل الكوفة قل في الموضعين وحجة من قال ترجعون انا اليه راجعون وقد تقدّم ذكر هذا النحو

الإعراب

كم لبثتم كم في محل النصب لأنه ظرف زمان والعامل فيه لبث وعدد منصوب على التمييز والعامل فيه كم ولا يمنع كم من العمل الفصل الكثير لأن كم الخبرية تجرّ المميز فإذا فصل بينها وبين معمولها نصبت كالاستفهامية فلا ن تنصب الاستفهامية مع الفصل اولى وقليلا صفة مصدر محذوف تقديره ان لبثتم إلا قليلا

عبثا ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال وتقديره أفحسبتم انما خلقناكم عابثين ويجوز ان يكون مفعولا له أي للعبث . لا إله إلا هو في موضع النصب على الحال على تقدير فتعالى الله عديم المثل والاولى ان يكون جملة مستأنفة . ورب العرش خبر مبتدأ محذوف فهي جملة اخرى مستأنفة بدلالة حسن الوقف على المواضع الثلاثة على الحق وعلى هو وعلى الكريم . لا برهان له به جملة منصوبة الموضع بأنه صفة لقوله لا إلها فهي صفة بعد صفة

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن المؤمنين الذين سخر الكافرون منهم في دار الدنيا فقال (اني جزيتهم اليوم بما صبروا) أي بصبرهم على أذاكم وسخريتكم واستهزائكم بهم (انهم هم الفائزون) أي الظافرون بما أرادوا الناجون في الآخرة والمراد بقوله اليوم أيام الجزاء لا يوم بعينه (قال) اي قال الله تعالى للكفار يوم البعث وهو سؤال توبيخ وتبكيت لمنكري البعث (كم لبثتم في الأرض) أي في القبور (عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) لأنهم لم يشعروا بطول لبثهم ومكثهم لكونهم أمواتا وقيل انه سؤال لهم عن مدة حياتهم في الدنيا قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقلوا حياتهم في الدنيا لطول لبثهم ومكثهم في النار عن الحسن قال ولم يكن ذلك كذبا منهم لأنهم أخبروا بما عندهم وقيل ان المراد به يوما او بعض يوم من أيام الآخرة قال ابن عباس أنساهم الله قدر لبثهم فيرون انهم لم يلبثوا إلا يوما أو بعض يوم لعظم ما هم بصدده من العذاب (فسئل العادين) يعني الملائكة لأنهم يحصون أعمال العباد عن مجاهد وقيل يعني الحساب لأنهم يعدّون الشهور والسنين عن قتادة (قال) الله تعالى (ان لبثتم) أي ما مكثتم (إلا قليلا) لأن مكثهم في الدنيا أو في القبور وإن طال فإنه متناه قليل بالإضافة إلى طول مكثهم في عذاب جهنم (لو انكم كنتم تعلمون) صحة ما أخبرناكم به وقيل معناه لو كنتم تعلمون قصر أعماركم في الدنيا وطول مكثكم في الآخرة في العذاب لما اشتغلتم بالكفر والمعاصي وآثرتم الفاني على الباقي ثم قال سبحانه لهم (أفحسبتم) معاشر الجاحدين للبعث والنشور الظانين دوام الدنيا (انما خلقناكم عبثا) أي لعبا وباطلا لا لغرض وحكمة ومثله أيحسب الإنسان أن يترك سدى والمعنى افظننتم انا خلقناكم لتفعلوا ما تريدون ثم انكم لا تحشرون ولا تسئلون عما كنتم تعملون هذا عبث فإن من خلق الأشياء لا لينتفع به نفسه أو غيره كان عابثا والله سبحانه غني لا يلحقه منفعة فلا بدّ من أن يكون خلق الخلق لينفعهم ويعرضهم للثواب بأن يتعبدهم وإذا تعبدهم فلابدّ من الفرق بين المطيع والعاصي وذلك انما يكون بعد البعث (وانكم الينا لا ترجعون) أي وحسبتم انكم لا ترجعون الى حكمنا والموضع الذي لا يملك الحكم فيه غيرنا (فتعالى الله الملك الحق) أي تعالى عما يصفه به الجهال من الشريك والولد وقيل معناه تعالى الله من ان يفعل شيئا عبثا والملك الحق الذي يحق له الملك بأنه ملك غير مملوك وكل ملك غيره فملكه مستعار ولأنه يملك جميع الأشياء من جميع الوجوه وكل ملك سواه يملك بعض الأشياء من بعض الوجوه والحق هو الشيء الذي من اعتقد كان على ما اعتقده فالله هو الحق لأن من اعتقد انه (لا إله إلا هو) فقد اعتقد الشيء على ما هو به (رب العرش الكريم) اي خالق السرير الحسن والكريم في صفة الجماد بمعنى الحسن وقيل الكريم الكثير الخير وصف العرش به لكثرة ما فيه من الخير لمن حوله ولاتيان الخير من جهته وخصّ العرش بالذكر مع كونه سبحانه رب كل شيء تشريفا وتعظيما له كقوله

رب هذا البيت (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به) أي لا حجة له فيما يدعيه يعني أن من صفته انه لا حجة له به (فإنما حسابه عند ربه) معناه فانما معرفة مقدار ما يستحقه من الجزاء عند ربه فيجازيه على قدر ما يستحقه وقيل معناه فإنما مكافأته عند الله تعالى والمكافأة والمحاسبة بمعنى (انه لا يفلح الكافرون) اي لا يظفر ولا يسعد الجاحدون لنعم الله والمنكرون لتوحيده والدافعون للبعث والنشور ولما حكى سبحانه أقوال الكفار امر نبيه ﷺ بالتبري منهم والانقطاع اليه سبحانه فقال (وقل) يا محمد (رب اغفر) الذنوب (وارحم) وأنعم على خلقك (وأنت خير الراحمين) أي افضل المنعمين واكثرهم نعمة واوسعهم فضلا

سورة النور

مدنية بلا خلاف

﴿ عدد آيها ﴾

اربع وستون آية عراقي شامي آيان حجازي

﴿ اختلافها ﴾

آيتان بالغدو والآصال ويذهب بالأبصار كلاهما عراقي شامي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة النور اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي وروى الحاكم ابو عبد الله في الصحيح بالاسناد عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور يعني النساء وروى عبد الله بن مسكان عن ابي عبد الله (ع) قال حصنوا أموالكم وفروجكم بتلاوة سورة النور وحصنوا بها نساءكم فإن من أدمن قراءتها في كل ليلة أو في كل يوم لم يزن احد من أهل بيته أبدا حتى يموت فإذا مات شيعه إلى قبره سبعون الف ملك يدعون ويستغفرون الله له حتى يدخل إلى قبره.

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه سورة المؤمنين بأنه لم يخلق الخلق للعبث بل للأمر والنهي وابتدأ هذه السورة بذكر الأمر والنهي وبيان الشرائع فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٣) الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ

مُشْرِكٌ وَحَرَّمَ ذٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ثلاث آيات

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمرو وفرضناها بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ ابن كثير غير ابن فليح رأفة بفتح الهمزة والباقون بسكون الهمزة وفي الشواذ قراءة عيسى الثقفي سورة بالنصب والزانية والزاني بالنصب وروي عن عمر بن عبد العزيز وعيسى الهمداني سورة ايضا بالنصب

الحجة

قال ابو علي التثقيل في فرضناها لكثرة ما فيها من الفرض والتخفيف يصلح للقليل والكثير ومن حجة التخفيف ان الذي فرض عليك القرآن لرادك قال ولعل رأفة التي قرأها ابن كثير لغة واما قراءة سورة بالرفع على انها خبر مبتدأ محذوف اي هذه سورة ولا يجوز ان يكون مبتدأ لأنها نكرة ولا يبتدء بالنكرة حتى توصف وان جعلت انزلناها وفرضناها صفة لها بقي المبتدأ بلا خبر فإن جعلت تقديره يتلى عليكم سورة أنزلناها جاز ومن قرأ سورة بالنصب فعلى اضمار فعل يفسّره أنزلناها والتقدير انزلنا سورة انزلناها الا ان هذا الفعل لا يظهر لأن التفسير يغني عنه ومثله قول الشاعر

أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السِّلَاحَ وَلَا ... أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا
وَالذِّئْبَ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَرْتُ بِهِ ... وَحْدِي وَأَخْشَى الرِّيَاحَ وَالْمَطَرَا(١)

اي واخشى الذئب فلما اضمره فسّره بقوله اخشاه ويجوز ان يكون الفعل الناصب لسورة من غير لفظ الفعل بعدها على معنى التخصيص اي اقرؤوا سورة وتأملوا سورة انزلناها كقوله سبحانه ناقة الله وسقياها اي احفظوا ناقة الله وكذلك قوله الزانية والزاني انتصب بفعل مضمر اي اجلدوا الزانية والزاني فلما اضمر الفعل الناصب فسّره بقوله فاجلدوا كل واحد منهما وجاز دخول الفاء في هذا الوجه لأنه موضع امر ولا يجوز زيداً فضربته لأنه خبر وانما جاز في الامر لمضارعته الشرط الا تراه دالا على الشرط ولذلك انجزم جوابه في قولك زرني اكرمك لأن معناه فإنك ان تزرني اكرمك فلما آل معناه إلى الشرط جاز دخول الفاء في الفعل المفسّر للمضمر وتقول على هذا بزيد فامرر وعلى عمرو فاغضب

اللغة

السورة مأخوذة من سور البناء وهو ارتفاعه وقيل هو ساق من اسواقه فعلى القول الأول يكون تسميتها بذلك لارتفاعها في النفوس وعلى القول الثاني يكون تسميتها بذلك لأنها قطعة من القرآن وقيل ان السورة المنزلة الشريفة والجلالة قال النابغة

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ... تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ
لِأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ ... إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ(٢)

وقيل أصله الهمز وقيل اشتقاقها من اسأرت إذا ابقيت في الإناء بقية ومنه الحديث إذا شربتم فاسأروا إلا أنه اجمع على تخفيفها كما اجمع على تخفيف برية وروية واصلها من برا الله الخلق وروأت في الأمر واصل الفرض من فرض القوس وهو الحز الذي فيه الوتر ثم اتّسع فيه فجعل في موضع الايجاب، وفصّل بين الفرض

(١) الشعران لربيع بن ضبع الفزازى وهو من معمري العرب من ابيات قالها بعد ما بلغ مائتين واربعين سنة كما في امالي الشريف (قده) والخزانة وغيره . (٢) يخاطب النعمان بن المنذر ملك الحيرة . وفي البيت الثاني كلام لطيف ذكره الشريف المرتضى (ره) في الامالي ج١: ٤٨٧ فراجع .

والواجب فإن الفرض واجب بجعل جاعل لأنه فرضه على صاحبه كما انه أوجبه عليه والواجب قد يكون واجبا من غير جعل جاعل كوجوب شكر المنعم فجرى مجرى دلالة الفعل على الفاعل في انه يدل من غير جعل جاعل والزنا هو وطء المرأة في الفرج من غير عقد شرعي ولا شبهة عقد مع العلم بذلك اوغلبة الظن وليس كل وطء حرام زنا لأن الوطء في الحيض والنفاس حرام ولا يكون زنا والجلد ضرب الجلد يقال جلده كما يقال ظهره ورأسه وفأده وهذا قياس والرأفة التحنن والتعطف وفيه ثلاث لغات سكون الهمزة وفتحها ومدها وقال الاخفش الرأفة رحمة في توجع

المعنى

(سورة انزلناها) اي هذه سورة قطعة من القرآن لها أول وآخر انزلها جبرائيل (ع) بأمرنا (وفرضناها) اي وأوجبنا عليكم العمل بها وعلى من بعدكم إلى يوم القيامة وقيل معناه وفرضنا فيها اباحة الحلال وحظر الحرام عن مجاهد وهذا يعود إلى معنى أوجبناها وقيل معناه وقدّرنا فيها الحدود عن عكرمة وهو من قوله فنصف ما فرضتم وفسّر ابو عمرو معنى القراءة بالتشديد بأن قال معناها فصّلناها وبيّناها بفرائض مختلفة (وأنزلنا فيها آيات بينات) اي دلالات واضحات على وحدانيتنا وكمال قدرتنا وقيل أراد بها الحدود والأحكام التي شرع فيها (لعلكم تذكرون) أي لكي تتذكروا فتعلموا بما فيها ثم ذكر سبحانه تلك الآيات وابتدأ بحكم الزنا فقال (الزانية والزاني) معناه التي تزني والذي يزني اي من زنى من النساء ومن زنى من الرجال فيفيد العموم في الجنس (فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة) يعني إذا كانا حرين بالغين بكرين غير محصنين فأما إذا كانا محصنين او كان احدهما محصنا كان عليه الرجم بلا خلاف والإحصان هو أن يكون له فرج يغدو اليه ويروح على وجه الدوام أو يكون حرا فأما العبد فلا يكون محصنا وكذلك الأمة لا تكون محصنة وإنما عليهما نصف الحد خمسون جلدة لقوله سبحانه فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وقيل إنما قدّم ذكر الزانية على الزاني لأن الزنى منهن اشنع واعير وهو لأجل الحبل اضر لأن الشهوة فيهن اكثر وعليهن اغلب وقوله فاجلدوا هذا خطاب للائمة ومن يكون منصوبا للأمر من جهتهم لأنه ليس لأحد أن يقيم الحدود إلا للائمة وولاتهم بلا خلاف (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) معناه إن كنتم تصدّقون بالله وتقرّون بالبعث والنشور فلا تأخذكم بهما رحمة تمنعكم من اقامة الحدود عليهما فتعطّلوا الحدود عن عطا ومجاهد وقيل معناه لا تأخذكم بهما رأفة تمنع من الجلد الشديد بل أوجعوهما ضربا ولا تخففوا كما يخفف في حدّ الشارب عن الحسن وقتادة وسعيد بن المسيب والنخعي والزهري وقوله في دين الله اي في طاعة الله وقيل في حكم الله عن ابن عباس كقوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اي في حكمه (وليشهد عذابهما) أي وليحضر حال اقامة الحد عليهما (طائفة) أي جماعة (من المؤمنين) وهم ثلاثة فصاعدا عن قتادة والزهري وقيل الطائفة رجلان فصاعدا عن عكرمة وقيل اقله رجل واحد عن ابن عباس والحسن ومجاهد وابراهيم وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام ويدل على ذلك قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وهذا الحكم يثبت للواحد كما يثبت للجمع وقيل اقلها اربعة لأن أقل ما يثبت به الزنا شهادة اربعة عن ابن زيد وقيل ليس لهم عدد محصور بل هو موكول إلى راي الإمام والمقصود ان يحضر جماعة يقع بهم اذاعة الحدّ ليحصل الاعتبار وقوله (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة

والزانية لاينكحها إلا زان أو مشرك) اختلف في تفسيره على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان المراد بالنكاح العقد ونزلت الآية على سبب وهو ان رجلا من المسلمين استأذن النبي ﷺ في ان يتزوج ام مهزول وهي امرأة كانت تسافح ولها راية على بابها تعرف بها فنزلت الآية عن عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد وقتادة والزهري والمراد بالآية النهي وان كان ظاهره الخبر ويؤيده ما روي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) أنهما قالا هم رجال ونساء كانوا على عهد رسول الله ﷺ مشهورين بالزنا فنهى الله عن اولئك الرجال والنساء والناس على تلك المنزلة فمن شهر بشيء من ذلك واقيم عليه الحد فلا تزوجوه حتى تعرف توبته ﴿ وثانيها ﴾ ان النكاح هنا الجماع والمعنى انهما اشتركا في الزنا فهي مثله عن الضحاك وابن زيد وسعيد ابن جبير وفي احدى الروايتين عن ابن عباس فيكون نظير قوله الخبيثات للخبيثين في انه خرج مخرج الاغلب الأعم ﴿ وثالثها ﴾ ان هذا الحكم كان في كل زان وزانية ثم نسخ بقوله وانكحوا الأيامى منكم الآية عن سعيد بن المسيب وجماعة ﴿ ورابعها ﴾ أن المراد به العقد وذلك الحكم ثابت فيمن زنا بامرأة فإنه لا يجوز له ان يتزوج بها روي ذلك عن جماعة من الصحابة وإنما قرن الله سبحانه بين الزاني والمشرك تعظيما لأمر الزنا وتفخيما لشأنه ولا يجوز أن تكون هذه الآية خبرا لأنا نجد الزاني يتزوج غير الزانية ولكن المراد هنا الحكم او النهي سواء كان المراد بالنكاح العقد او الوطء وحقيقة النكاح في اللغة الوطء (وحرم ذلك على المؤمنين) اي حرم نكاح الزانيات أو حرم الزنا على المؤمنين فلا يتزوج بهن او لا يطأهن الا زان أو مشرك

قوله تعالى (٤) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آيتان)

« القراءة »

في الشواذ قراءة عبد الله بن مسلم بن يسار وابي زرعة باربعة بالتنوين

— الحجة —

من قرأ بأربعة شهداء بغير تنوين اضاف العدد إلى شهداء وان كان الشهداء من الصفات وساغ ذلك لأنهم استعملوها استعمال الأسماء كقولهم إذا دفن الشهيد صلت عليه الملائكة ونحو ذلك فحسن اضافة اسم العدد اليها كما يضاف إلى الاسم الصريح ومن قرأ بالتنوين جعل شهداء صفة لاربعة في موضع جر ويجوز ان يكون في موضع نصب من جهتين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون على معنى ثم لم يحضروا اربعة شهداء وعلى الحال من النكرة اي لم يأتوا بأربعة في حال الشهادة قاله الزجاج

﴿ الاعراب ﴾

موضع الذين يرمون رفع بالابتداء ومن قرأ الزانية والزاني بالنصب فيكون على ذلك موضع والذين يرمون نصبا على معنى اجلدوا الذين يرمون المحصنات والمحصنات هنا اللاتي احصن فروجهن بالعفة. والذين تابوا في محل النصب على الاستثناء من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا عند من قال ان شهادتهم مقبولة

ويكون قوله وأولئك هم الفاسقون صفة لهم ويجوز ان يكون في موضع جر على البدل من هم في لهم ومن قال ان شهادة القاذف غير مقبولة فعنده يكون في موضع النصب على الاستثناء من قوله واولئك هم الفاسقون

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر حد الزنا عقبه سبحانه بذكر حد القاذف بالزنا فقال سبحانه (والذين يرمون المحصنات) اي يقذفون العفائف من النساء بالفجور والزنا وحذف لدلالة الكلام عليه (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) اي ثم لم يأتوا على صحة ما رموهن به من الزنا بأربعة شهداء عدول يشهدون انهم رأوهن يفعلن ذلك (فاجلدوهم) اي فاجلدوا الذين يرمونهن بالزنا (ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا) نهى سبحانه عن قبول شهادة القاذف على التأبيد وحكم عليهم بالفسق ثم استثنى من ذلك فقال (إلا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا) اعمالهم (فإن الله غفور رحيم) واختلف في هذا الاستثناء إلى ماذا يرجع على قولين ﴿ احدهما ﴾ انه يرجع إلى الفسق خاصة دون قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا فيزول عنه اسم الفسق بالتوبة ولا تقبل شهادته إذا تاب بعد اقامة الحد عليه عن الحسن وقتادة وشريح وابراهيم وهو قول ابي حنيفة واصحابه ﴿ والآخر ﴾ ان الاستثناء يرجع إلى الأمرين فإذا تاب قبلت شهادته حداً ولم يحد عن ابن عباس في رواية الوالبي ومجاهد والزهري ومسروق وعطا وطاوس وسعيد بن جبير والشعبي وهو اختيار الشافعي واصحابه وقول ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) قال الشافعي اخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري قال زعم اهل العراق ان شهادة القاذف لا تجوز فاشهد لاخبرني سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قال لأبي بكرة لما شهد على المغيرة بن شعبة تب تقبل شهادتك او ان تبت تقبل شهادتك فابى أبو بكرة ان يكذب نفسه وقال الزجاج ليس القاذف بأشد جرما من الكافر والكافر إذا اسلم قبلت شهادته فالقاذف ايضا حقه إذا تاب ان تقبل شهادته يعضد هذا القول ان المتكلم بالفاحشة لا ينبغي ان يكون اعظم جرما من مرتكبها ولا خلاف في العاهر انه إذا تاب قبلت شهادته فالقاذف إذا تاب ونزع مع انه ايسر جرما يجب ان تقبل شهادته وقال الحسن يجلد القاذف وعليه ثيابه ويجلد الرجل قائما والمرأة قاعدة وهو المروي عن ابي جعفر (ع) ومن شرط توبة القاذف ان يكذب نفسه فيما قاله فإن لم يفعل ذلك لم يجز قبول شهادته وبه قال الشافعي وقيل انه لا يحتاج إلى ذلك وهو قول مالك والآية وردت في النساء وحكم الرجال حكمهن ذلك في الاجماع وإذا كان القاذف عبدا او امة فالحد اربعون جلدة عند اكثر الفقهاء وروى اصحابنا ان الحد ثمانون في الحر والعبد سواء وظاهر الآية يقتضي ذلك وبه قال عمر بن عبد العزيز والقاسم بن عبد الرحمن

قوله تعالى (٦) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٧) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٩) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر فشهادة احدهم اربع شهادات بالرفع والباقون اربع شهادات بالنصب وقرأ حفص والخامسة الثانية بالنصب والباقون بالرفع وقرأ نافع ان ساكنة النون لعنة الله بالرفع وان غضب الله عليها بكسر الضاد ورفع الله وقرأ يعقوب أن لعنة الله وان غضب الله برفع لعنة وغضب جميعا والباقون ان لعنة الله وان غضب الله بالتشديد والنصب في الموضعين

الحجة

قال ابو علي من نصب اربع شهادات نصبه بالشهادة وينبغي ان يكون قوله شهادة احدهم مبنيا على ما يكون مبتدأ تقديره فالحكم أو فالفرض ان تشهد اربع شهادات او فعليهم أن يشهدوا وان شئت حملته على المعنى لأن المعنى يشهد احدهم وقوله بالله يجوز ان يكون من صلة الشهادة لأنك اوصلتها بالشهادة ومن صلة شهادات إذا نصبت الاربع وقياس من اعمل الثاني ان يكون قوله بالله من صلة شهادات وحذف من الأول لدلالة الثاني عليه كما تقول ضربت وضربني زيد ومن رفع فقال شهادة احدهم اربع شهادات بالله فإن الجار والمجرور من صلة شهادات ولا يجوز أن يكون من صلة شهادة لأنك إن وصلتها بالشهادة فقد فصلت بين الصلة والموصول ألا ترى أن الخبر الذي هو اربع شهادات يفصل قوله انه لمن الصادقين في قول من نصب اربع شهادات يجوز أن يكون من صلة شهادة احدهم فتكون الجملة التي هي انه لمن الصادقين في موضع نصب لأن الشهادة كالعلم فيتعلق بها ان كما يتعلق بالعلم والجملة في موضع نصب بأنه مفعول به واربع شهادات ينتصب انتصاب المصدر ومن رفع اربع شهادات لم يكن له من الصادقين إلا من صلة شهادات دون صلة شهادة لأنك ان جعلته من صلة شهادة فصلت بين الصلة والموصول ومن قرأ ان لعنة الله عليه وان غضب الله عليها فمعناه انه لعنة الله عليه وانه غضب الله عليها خففت الثقيلة المفتوحة على اضمار القصة والحديث ولا تكون في ذلك كالمكسورة لأن الثقيلة المفتوحة موصولة والموصول يتشبث بصلته اكثر من تشبث غير الموصول بما يتصل به وأهل العربية يستقبحون ان تلي الفعل حتى يفصل بينها وبين الفعل بشيء ويقولون استقبحوا ان تحذف ويحذف ما تعمل فيه وان تلي ما لم تكن تليه من الفعل بلا حاجز بينهما فتجتمع هذه الاتساعات فيها فإن فصل بينها وبين الفعل بشيء لم يستقبحوا ذلك كقوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى وقوله أفلا يرون الا يرجع اليهم قولا وعلمت ان قد قام فإن قلت فقد جاء وان ليس للإنسان إلا ما سعى وجاء نودي ان بورك من في النار ومن حولها فالجواب فإن ليس يجري مجرى ما ونحوها مما ليس بفعل وأما قوله نودي ان بورك فإن قوله بورك على معنى الدعاء فلم يجز دخول لا ولا قد ولا السين ولا شيء مما يصح دخوله الكلام فيصح به الفصل ووجه قراءة نافع ان ذلك قد جاء في الدعاء ولفظه لفظ الخبر وقد يجيء في الشعر وان لم يكن شيء يفصل بين ان وبين ما تدخل عليه من الفعل فإن قلت فلم لا تكون ان في قوله ان غضب الله ان الناصبة للفعل وصل بالماضي فيكون كقراءة من قرأ وامرأة مؤمنة أن وهبت نفسها للنبي فإن ذلك لا يسهل الا ترى انها متعلقة بالشهادة والشهادة بمنزلة العلم لا تقع بعدها الناصبة

النزول

الضحاك عن ابن عباس قال لما نزلت الآية والذين يرمون المحصنات قال عاصم بن عدي يا رسول الله

إن رأى رجل منا مع امرأته رجلا فأخبر بما رأى جلد ثمانين وان التمس اربعة شهداء كان الرجل قد قضى حاجته ثم مضى قال كذلك انزلت الآية ياعاصم قال فخرج سامعا مطيعا فلم يصل إلى منزله حتى استقبله هلال بن امية يسترجع فقال ماوراءك قال شر وجدت شريك بن سحما على بطن امرأتي خولة فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره هلال بالذي كان فبعث اليها فقال ما يقول زوجك فقالت يارسول الله إن ابن سحما كان يأتينا فينزل بنا فيتعلم الشيء من القرآن فربما تركه عندي وخرج زوجي فلا ادري ادركته الغبرة ام بخل عليّ بالطعام فأنزل الله آية اللعان والذين يرمون ازواجهم الآيات وعن الحسن قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة يارسول الله ارأيت ان رأى رجل مع امرأته رجلا فقتله تقتلونه وان اخبر بما رأى جلد ثمانين افلا يضربه بالسيف فقال رسول الله ﷺ كفى بالسيف شاه اراد ان يقول شاهدا ثم امسك وقال لولا ان يتابع فيه السكران والغيران وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال سعد بن عبادة لو اتيت لكاع وقد يفخذها رجل لم يكن لي ان اهيجه حتى آتي بأربعة شهداء فوالله ما كنت لآتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب وان قلت ما رأيت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال النبي ﷺ يامعشر الانصار ما تسمعون إلى ما قال سيدكم قالوا لا تلمه فإنه رجل غيور ما تزوج امرأة قط إلا بكرا ولا طلق امرأة له فاجترى رجل منا ان يتزوجها فقال سعد بن عبادة يارسول الله بأبي انت وامي والله اني لأعرف انها من الله وأنها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبرتك فقال فإن الله يأبى الاذاك فقال صدق الله ورسوله فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن امية من حديقة له قد رأى رجلا مع امرأته فلما اصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال اني جئت اهلي عشاء فوجدت معها رجلا رأيته بعيني وسمعته باذني فكره ذلك رسول الله ﷺ حتى رأى الكراهة في وجهه فقال هلال إني لأرى الكراهة في وجهك والله يعلم اني لصادق واني لأرجو ان يجعل الله فرجا فهمّ رسول الله بضربه وقال واجتمعت الانصار وقالوا ابتلينا بما قال سعد أيجلد هلال وتبطل شهادته فنزل الوحي وامسكوا عن الكلام حين عرفوا أن الوحي قد نزل فأنزل الله تعالى والذين يرمون ازواجهم الآيات فقال ﷺ ابشر ياهلال فإن الله تعالى قد جعل فرجا فقال قد كنت ارجو ذاك من الله تعالى فقال ﷺ ارسلوا اليها فجاءت فلاعن بينهما فلما انقضى اللعان فرّق بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله ﷺ ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه

المعنى

لما تقدّم حكم القذف للأجنبيات عقّبه بحكم القذف للزوجات فقال (والذين يرمون ازواجهم) بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) يشهدون لهم على صحة ما قالوا (إلا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات) قال الزجاج معناه فشهادة احدهم التي تدرأ حد القاذف اربع شهادات ومن نصب فمعناه فالذي يدرء عنهم العذاب ان يشهد احدهم اربع شهادات (بالله انه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا (والخامسة) اي والشهادة الخامسة (ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا والمعنى ان الرجل يقول اربع مرات مرة بعد مرة اخرى اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما ذكرت عن هذه المرأة من الفجور فإن هذا حكم خصّ الله به الأزواج في قذف نسائهم فتقوم الشهادات الاربع مقام الشهود الاربعة في دفع حد القذف عنهم

ثم يقول في المرة الخامسة لعنة الله عليّ ان كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا (ويدرء عنها العذاب) ويدفع عن المرأة حد الزنا (ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين) معناه ان تقول المرأة اربع مرات مرة بعد اخرى اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما قذفني به من الزنا (والخامسة ان غضب الله عليها) اي وتقول في الخامسة غضب الله عليّ (إن كان من الصادقين) فيما قذفني به من الزنا ثم يفرّق الحاكم بينهما ولا تحل له ابدا وكان عليها العدة من وقت لعانها (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم) جواب لولا محذوف تقديره ولولا فضل الله عليكم بالنهي عن الزنا والفواحش واقامة الحدود لتهالك الناس ولفسد النسل وانقطع الانساب عن ابي مسلم وقيل معناه لولا افضال الله وانعامه عليكم وان الله عواد على من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم فيما فرضه من الحدود لنال الكاذب منها عذاب عظيم اي ليبيّن الكاذب منهما فيقام عليه الحدّ وقيل لعاجلكم بالعقوبة ولفضحكم بما تركبون من الفاحشة ومثله قوله لو رأيت فلانا وفي يده السيف والمعنى لرأيت شجاعا او لرأيت امرا هائلا وقال جرير

كَفَبَ العَواذِلُ لَوْ رَأَيْنَ مَنَاخَنَا ... بِحَزِيزِ رَامَةَ وَالطَّلِيِّ سَوَامُ (١)

وجاء في المثل لو ذات سوار لطمتني

قوله تعالى (١١) إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٢) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٣) لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٤) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٥) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (خمس آيات)

القراءة

قرأ يعقوب كبره بضم الكاف وهو قراءة ابي رجا وحميد الأعرج وقراءة القراء كِبره بكسر الكاف وفي الشواذ قراءة عائشة وابن عباس وابن يعمر اذ تَلِقُونه (٢) وقراءة ابن السميقع تُلْقُونَه والقراءة المشهورة تَلَقَّونه

الحجة

من ضم كبره أراد عظمه ومن كسر أراد وزره وإثمه قال قيس بن الخطيم

تَنَامُ عَنْ كُبْرِ شَأْنِهَا ... فَإِذَا قَامَتْ رُوَيْدًا تَكَادُ تَنْغَرِفُ (٣)

أي عن معظم شانها واما قوله تلقونه فمعناه تسرعون فيه وتخفون اليه قال الراجز «جَاءَتْ بِهِ عَنْسٌ مِنَ الشَّأْمِ تَلِقْ» أي تخف واصله تَلِقون فيه او اليه فحذف حرف الجر فوصل الفعل الى المفعول وقيل ان الولق الكذب فكان الكاذب يستمر في الكذب ويسرع فيه وجاء في حديث علي (ع) كذبت ووالقت واما تُلْقُونَه فمعناه تلقونه بأفواهكم واما تَلَقَّونه فهو من تلقيت الحديث من فلان أي أخذته منه وتقبلته

(١) الحزيز في اللغة : المكان الغليظ المنقاد . وهو في مواضع كثيرة منها حزيز رامة : وهو اسم موضع قرب البصرة . والسوام : راعيه . وفي رواية الحموي في المعجم «ولقد نظرت فرد نظرتك الهوى ✲ بحزيز رامة . . . .» وعليها فلا شاهد في هذا البيت . (٢) من ولق يلق ولقا في سيره : اسرع . (٣) العزف : التثني والانقصاف اى تتثنى من

النزول

روى الزهري عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وغيرهما عن عائشة انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد سفرا اقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي وذلك بعدما أنزل الحجاب فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى فرغ من غزوه وقفل (١) وروي انها كانت غزوة بني المصطلق من خزاعة قالت ودنونا من المدينة فقمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني اقبلت الى الرحل فلمست صدرتي فإذا عِقد من جزع ظَفار (٢) قد انقطع فرجعت فالتمست عِقدي فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذي كانوا يرحلونني فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت اركب وهم يحسبون اني فيه وكانت النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلهن اللحم (٣) ولم يغشهن اللحم (٤) إنما يأكلن العُلقة من الطعام فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عِقدي وجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فسموت منزلي الذي كنت فيه وظننت ان القوم سيفقدوني فيرجعون إليّ فبينا انا جالسة إذ غلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرّس من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما كلّمني بكلمة حتى أناخ راحلته فركبتها فانطلق يقود الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين (٥) في حرّ الظهيرة فهلك من هلك فيّ وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمتها شهرا والناس يفيضون في قول اهل الإفك ولا اشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي غير اني لا اعرف من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكى إنما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يحزنني ولا اشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المصانع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكُنُف وامرنا أمر العرب الأول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا وانطلقت انا وأم مسطح وأمها بنت صخرة ابن عامر خالة ابي فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت اي بنتاه ألم تسمعي ما قال قلت وماذا قال فأخبرتني بقول اهل الإفك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال كيف تيكم قلت تأذن لي أن آتي ابوي قالت وانا اريد ان أتيقن الخبر من قبله فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجئت ابوي وقلت لأمي يا أمه ماذا يتحدث الناس فقالت أي بنية هوني عليك فوالله لقلّ ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا اكثرن عليها قلت سبحان الله أوقد يحدث الناس بهذا قالت نعم فمكثت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي ودعا رسول الله اسامة بن زيد وعلي بن ابي طالب (ع) حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله فأما اسامة فأشار على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالذي علم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الودّ فقال يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيرا فأما علي بن ابي طالب عليه أفضل الصلوات فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثيرة وان تسأل الجارية تصدّقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بريرة فقال يا بريرة هل رأيت شيئا يريبك من عائشة قالت بريرة والذي بعثك بالحق ان رأيت عليها امرا قط اغمصه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها قالت وأنا والله اعلم اني بريئة وما كنت أظن ان ينزل في شأني وحي يتلى ولكني كنت ارجو ان يرى رسول الله رؤيا يبرئني

دقة خصرها . (٤) وقبله «ان الجليد زلق وملق ✡ كذنب العقرب شوال علق * جاءت به عنس . . .» يهجو به جليدا الكلابي ويريد انه ينزل قبل الجماع . (١) اى رجع . (٢) الجزع الخرز اليماني . وظفار كقطام : قرية من قرى يمن ينسب اليها الجزع الظفاري (٣) اى لم يكثر عليهن اللحم والشحم . والعلقة : القليل من الطعام (٤) الوغر : شدة توقد الم

الله بها فأنزل الله تعالى على نبيه وأخذه ماكان يأخذه من برحاء الوحي حتى انه لينحدر عنه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه فلما سري عن رسول الله ﷺ قال ابشري ياعائشة أما الله فقد برأك فقالت لي امي قومي اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا احمد إلا الله فهو الذي أنزل براءتي فأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك الآيات العشر

المعنى

(ان الذين جاؤا بالافك) اي بالكذب العظيم الذي قلب فيه الامر عن وجهه (عصبة منكم) أيها المسلمون قال ابن عباس وعائشة منهم عبد الله بن ابي سلول وهو الذي تولى كبره ومسطح بن اثاثة وحسان ابن ثابت وحمنة بنت جحش (لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم) هذا خطاب لعائشة وصفوان لأنهما قُصدا بالافك ولمن اغتمَّ بسبب ذلك وخطاب لكل من رمى بسبب عن ابن عباس اي لا تحسبوا غمّ الافك شراً لكم بل هو خير لكم لأن الله تعالى يبرئ عائشة ويأجرها بصبرها واحتسابها ويلزم اصحاب الافك ما استحقوه بالاثم الذي ارتكبوه في أمرها وقال الحسن هذا خطاب للقاذفين من المؤمنين والمعنى لاتحسبوا ايها القذفة هذا التأديب شرا لكم بل هو خير لكم فإنه يدعوكم إلى التوبة ويمنعكم عن المعاودة الى مثله (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) اي لكل امرئ من القذفة جزاء ما اكتسبه من الإثم بقدر ماخاض وافاض فيه وقيل معناه على كل امرئ منهم عقاب ما اكتسب كقوله وان أسأتم فلها اي فعليها (والذي تولى كبره) اي تحمل معظمه (منهم له عذاب عظيم) المراد به عبد الله بن ابي سلول اي فإنه كان رأس اصحاب الافك كان يجتمع الناس عنده ويحدثهم بحديث الافك ويشيع ذلك بين الناس ويقول قال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والله ما نجت منه ولا نجا منها والعذاب العظيم عذاب جهنم في الآخرة وقيل المراد به مسطح بن اثاثة وقيل حسان بن ثابت فإنه روي انه دخل على عائشة بعد ما كفّ بصره فقيل لها انه يدخل عليك وقد قال فيك ما قال وقد قال الله تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقالت عائشة اليس قد كفّ بصره فأنشد حسان قوله فيها

حِصَانٌ رِزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ(١)

فقالت عائشة لكنك لست كذلك (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) معناه هلا حين سمعتم هذا الافك من القائلين له ظن المؤمنون والمؤمنات بالذين هم كأنفسهم خيرا لأن المؤمنين كلهم كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الامور فإذا جرى على احدهم محنة فكأنها جرت على جماعتهم فهو كقوله فسلموا على انفسكم عن مجاهد وعلى هذا يكون خطابا لمن سمعه فسكت ولم يصدق ولم يكذب وقيل هو خطاب لمن اشاعه والمعنى هلا إذا سمعتم هذا الحديث ظننتم بها ما تظنونه بانفسكم لو خلوتم بها وذلك لأنها كانت ام المؤمنين ومن خلا بامه فإنه لا يطمع فيها وهي لا تطمع فيه (وقالوا هذا افك مبين) اي وهلا قالوا هذا القول كذب ظاهر (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء) اي هلا جاءوا على ما قالوه ببينة وهي اربعة شهداء يشهدون بما قالوه (فإذ لم يأتوا بالشهداء) اي فحين لم يأتوا بالشهداء (فأولئك) الذين قالوا هذا الافك (عندالله) اي في حكمه (هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة) بأن امهلكم لتتوبوا ولم يعاجلكم بالعقوبة (لمسكم) اي اصابكم (فيما افضتم) اي خضتم (فيه) من الافك (عذاب.

(١) الحصان هنا العفيفة . والرزان : الملازمة موضعها التي لاتتصرف كثيرا . وامرأة رزان : اذا كانت ذات ثبات ووقار . وماتزن : اى ماتتهم . وغرثى اى جائعة . والغوافل جمع عافلة . يريد انها لاترتع فى اعراض الناس

عظيم) اي عذاب لا انقطاع له عن ابن عباس ثم ذكر الوقت الذي كان يصيبهم العذاب فيه لولا فضله فقال (إذ تلقونه بألسنتكم) أي يرويه بعضكم عن بعض عن مجاهد ومقاتل وقيل معناه تقبلونه من غير دليل ولذلك اضافه إلى اللسان وقيل معناه يلقيه بعضكم إلى بعض عن الزجاج (وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا) اي تظنون ان ذلك سهل لا اثم فيه (وهو عند الله عظيم) في الوزر لأنه كذب وافتراء

قوله تعالى (١٦) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٧) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٨) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٠) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ خمس آيات

« المعنى »

ثم زاد سبحانه في الانكار عليهم فقال (ولولا إذ سمعتموه قلتم) اي هلا قلتم حين سمعتم ذلك الحديث (ما يكون لنا ان نتكلم بهذا) اي لا يحلّ لنا ان نخوض في هذا الحديث وما ينبغي لنا ان نتكلم به (سبحانك) يارينا (هذا) الذي قالوه (بهتان عظيم) اي كذب وزور عظيم عقابه او نتحيّر من عظمه وقيل انّ سبحانك هنا معناه التعجب كقول الاعشى «سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الْفَاخِرِ»(١) وقيل معناه ننزهك ربنا من ان نعصيك بهذه المعصية ثم وعظ سبحانه الذين خاضوا في الافك فقال (يعظكم الله) اي ينهاكم الله عن مجاهد وقيل يحرم الله عليكم (ان تعودوا لمثله) عن ابن عباس وقيل معناه كراهة ان تعودوا او لئلا تعودوا إلى مثله من الافك (ابدا) اي طول اعماركم (إن كنتم مؤمنين) اي مصدقين بالله ونبيه قابلين موعظة الله (ويبين الله لكم الآيات) في الأمر والنهي (والله عليم) بما يكون منكم (حكيم) فيما يفعله لا يضع الشيء إلا في موضعه ثم هدّد القاذفين فقال (إن الذين يحبّون ان تشيع الفاحشة) اي يفشوا ويظهروا الزنا والقبائح (في الذين آمنوا) بأن ينسبوها اليهم ويقذفوهم بها (لهم عذاب أليم في الدنيا) بإقامة الحد عليهم (والآخرة) وهو عذاب النار (والله يعلم) ما فيه من سخط الله وما يستحق عليه من المعاقبة (وانتم لا تعلمون) ذلك ثم ذكر فضله ومنّه عليهم فقال (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم) لعاجلكم بالعقوبة ولكنه برحمته امهلكم لتتوبوا وتندموا على ما قلتم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه

النظم

لما بيّن سبحانه احكام قذف المحصنات وعظم امره عقّب ذلك بأحكام قذف الزوجات ثم عطف بعد ذلك قذف الامهات فإن ازواج النبي ﷺ امهات المؤمنين بدلالة قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين الآية

قوله تعالى (٢١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ

(١) وقبله «اقول لما جاءني فخره» . قاله في علقمة بن علاثة .

أَحَدٍ أَبَداً وَلٰكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢) وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٣) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٤) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٥) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (خمس آيات)

القراءة

قرأ روح عن يعقوب ما زكّى منكم بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ ابو جعفر ولا يتأل وهو قراءة زيد بن اسلم وابي رجا وابي مجلز والباقون لا يأتل وروي عن علي (ع) ولتعفوا ولتصفحوا بالتاء كما يروى بالياء ايضا وقرأ اهل الكوفة غير عاصم يوم يشهد عليهم بالياء والباقون تشهد وفي الشواذ قراءة مجاهد وابي روق يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق بالرفع

الحجة

الوجه في قوله ما زكى بالتشديد انه قال والله يزكي وأما قوله ولا يتأل فإنه من تألى إذا حلف وفي الحديث ومن يتأل على الله يكذبه وهو الذي يحلف فيقول والله لا يدخل فلان الجنة وفلان النار وانشد الاصمعي «عجاجة هجاجة تألى لاصبحن الاحقر الأذلا» واما لا يأتل ففيه ثلاثة أقوال ✻ احدها ✻ من الالية التي هي اليمين ايضا يقال ايتلى وتألى والى بمعنى والآخر انه من قولهم ما الوت فى كذا اي ما قصرت والمعنى ولا يقصر وقال الأخفش انه يحتمل الأمرين وقوله ولتعفوا ولتصفحوا بالتاء مثل ما روي فلتفرحوا بالتاء على الاصل وقد تقدم القول فيه ومن قرأ يوم يشهد بالياء فلأن تأنيث الألسنة ليس بحقيقي ولأنه حصل بين الفعل والفاعل فصل ومن قرأ بالتاء فعلى ان الألسنة مؤنثة ومن قرأ الحق بالرفع جعله وصفا لله تعالى اي يوفيهم الله الحق دينهم مثل قوله إلى الله مولاهم الحق

النزول

قيل ان قوله ولا يأتل اولوا الفضل منكم الآية نزلت في ابي بكر ومسطح بن اثاثة وكان ابن خالة ابي بكر وكان من المهاجرين ومن جملة البدريين وكان فقيرا وكان ابو بكر يجري عليه ويقوم بنفقته فلما خاض في الافك قطعها وحلف لا ينفعه بنفع ابدا فلما نزلت الآية عاد ابو بكر إلى ما كان وقال والله اني لأحب ان يغفر الله لي والله لا انزعها عنه ابدا عن ابن عباس وعائشة وابن زيد وقيل نزلت في يتيم كان في حجر ابي بكر حلف لا ينفق عليه عن الحسن ومجاهد وقيل نزلت في جماعة من الصحابة اقسموا على ان لا يتصدقوا على رجل تكلّم بشيء من الافك ولا يواسونهم عن ابن عباس وغيره

المعنى

ثم نهى سبحانه عن اتباع الشيطان فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) اي آثاره وطرقه التي يؤدي إلى مرضاته وقيل وساوسه (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) هذا بيان

سبب المنع من اتباعه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بأن لطف لكم وامركم بما تصيرون به ازكياء ونهاكم عما تصيرون بتركه ازكياء (ما زكى منكم من احد ابدا) اي ما صار منكم احد زكيا ومن في من احد مزيدة وقيل معناه ما طهر منكم احد من وسوسة الشيطان وما صلح (ولكن الله يزكي من يشاء) اي يطهر بلطفه من يشاء وهو من له لطف يفعله سبحانه به ليزكو عنده (والله سميع عليم) يفعل المصالح والألطاف بالمكلفين لأنه يسمع اصواتهم واقوالهم ويعلم احوالهم وافعالهم وفي الآية دلالة على ان الله سبحانه يريد من خلقه خلاف ما يريده الشيطان لأنه إذا ذمّ سبحانه الأمر بالفحشاء والمنكر فخالق الفحشاء والمنكر ومريدهما اولى بالذم تعالى وتقدس عن ذلك وفيها دلالة على ان احدا لا يصلح إلا بلطفه (ولا يأتل) اي ولا يحلف اولا يقصر ولا يترك (اولوا الفضل منكم والسعة) اي أولو الغنى والسعة في المال (ان يؤتوا اولي القربى) قال الزجاج معناه ان لا يؤتوا فحذف لا اي لا يحلفوا ان لا يؤتوا وقيل لا يقصروا ان يؤتوا ولا يتركوا جهدا في الانفاق على اقربائهم (والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) وقد اجتمع في مسطح الصفات الثلاث كان قريبا لابي بكر مسكينا مهاجرا قال الجبائي وفي قصة مسطح دلالة على انه قد يجوز ان تقع المعاصي ممن شهد بدرا بخلاف قول النواصب (وليعفوا وليصفحوا) هذا امر من الله تعالى للمرادين بالآية بالعفو عمن اساء اليهم والصفح عنهم وقال لهم (الا تحبون ان يغفر الله لكم) معاصيكم جزاء على عفوكم وصفحكم عمن اساء اليكم (والله غفور رحيم إن الذين يرمون المحصنات) اي يقذفون العفائف من النساء (الغافلات) عن الفواحش (المؤمنات) بالله ورسوله واليوم الآخر (لعنوا في الدنيا والآخرة) اي ابعدوا من رحمة الله في الدارين وقيل استحقوا اللعنة فيهما وقيل عذبوا في الدنيا بالجلد وردّ الشهادة وفي الآخرة بعذاب النار (ولهم) مع ذلك (عذاب عظيم) وهذا الوعيد عام لجميع المكلفين عن ابن عباس وابن زيد (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) بيّن الله سبحانه أن ذلك العذاب يكون في يوم تشهد السنتهم فيه عليهم بالقذف وسائر اعضائهم بمعاصيهم وفي كيفية شهادة الجوارح اقوال ﴿ احدها ﴾ ان الله تعالى يبنيها بنية يمكنها النطق والكلام من جهتها فتكون ناطقة ﴿ والثاني ﴾ ان الله تعالى يفعل فيها كلاما يتضمن الشهادة فيكون المتكلم هو الله دون الجوارح واضيف الكلام اليها على التوسع لأنها محل الكلام ﴿ والثالث ﴾ ان الله تعالى يجعل فيها علامة تقوم مقام النطق بالشهادة واما شهادة الالسن فبأن يشهدوا بألسنتهم اذ رأوا انه لا ينفعهم الجحود واما قوله اليوم نختم على افواههم فإنه يجوز ان تخرج الألسنة ويختم على الافواه ويجوز ان يكون الختم على الافواه في حال شهادة الأيدي والأرجل (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) أي يتمم الله لهم جزاءهم الحق فالدين هنا بمعنى الجزاء ويجوز أن يكون المراد جزاء دينهم الحق فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه (ويعلمون أن الله هو الحق) أي يعلمون الله ضرورة في ذلك اليوم ويقرّون انه الحق لانه يقضي بالحق ويعطي بالحق ويأخذ بالحق (المبين) أي الذي يظهر لهم حقائق الامور ويبين جلائل الآيات

﴿ النظم ﴾

بدء سبحانه فبيّن حكم القاذف اولا وأوجب عليه الحدوردّ شهادته وسماه فاسقا فعلم ان المراد به أهل الملة ثم عقّبه بحديث الإفك لاتصاله به ثم ذكر صنفا آخر من القذفة وهم المنافقون بقوله إن الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وبيّن ما لهم من الغضب واللعنة ثم عمّ الجميع بالوعيد في قوله إن الذين يرمون

المحصنات الآيات عن ابي مسلم

قوله تعالى (٢٦) ٱلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَٱلطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٧) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٨) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا فَٱرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٩) لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (اربع آيات)

﴿ اللغة ﴾

الاستيناس طلب الأنس بالعلم أو غيره تقول العرب إذهب فاستأنس هل ترى احدا ومنه قوله فإن آنستم منهم رشدا أي علمتم وروي عن ابن عباس انه قال إنما هي تستأذنوا يعني قوله تستأنسوا وكذلك يروى عن عبد الله وروي عن أبي حتى تسلموا وتستأنسوا[1] وكذلك قرأ ابن عباس

﴿ المعنى ﴾

قال سبحانه (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات) قيل في معناه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان الخبيثات من الكلم للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلم والطيبات من الكلم للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من الكلم ألا ترى انك تسمع الخبيث من الرجل الصالح فتقول غفر الله لفلان ما هذا من خلقه ولا مما يقول عن ابن عباس والضحاك ومجاهد والحسن ﴿ والثاني ﴾ ان معناه الخبيثات من السيئات للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من السيئات والطيبات من الحسنات للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من الحسنات عن ابن زيد ﴿ والثالث ﴾ الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء عن ابي مسلم والجبائي وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) قالا هي مثل قوله الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة الآية ان أناسا هموا أن يتزوجوا منهن فنهاهم الله عن ذلك وكره ذلك لهم (أولئك مبرؤون مما يقولون) أي الطيبون مبرؤون أي منزهون من الكلام الخبيث عن مجاهد وقال الفراء يعني به عائشة وصفوان بن المعطل وهو بمنزلة قوله تعالى فإن كان له أخوة والأم تحجب بالاخوين فجاء على تغليب لفظ الجمع (لهم مغفرة) أي لهؤلاء الطيبين من الرجال والنساء مغفرة من الله لذنوبهم (ورزق كريم) اي عطية من الله كريمة في الجنة ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) اي حتى تستأذنوا عن ابن مسعود وابن عباس قال اخطأ الكاتب فيه وكان يقرأ حتى تستأذنوا وقيل تستأنسوا بالتنحنح والكلام الذي يقوم مقام الاستيذان وقد بيّن الله تعالى ذلك في قوله وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا عن مجاهد والسدي وقيل معناه حتى تستعلموا وتتعرفوا عن ابي ايوب الأنصاري قال قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتحميدة والتكبيرة ويتنحنح على أهل البيت وعن سهل بن سعد قال اطلع رجل في حجرة من حجر رسول الله فقال رسول الله ﷺ ومعه مِدرًى[2] يحك به رأسه او أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينيك إنما الاستيذان من النظر وروي ان رجلا قال للنبي ﷺ أستأذن على أمي فقال نعم قال انها ليس لها خادم غيري أفأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال

(١) وفي نسخة «حتى تسلموا اوتستأذنوا» . (٢) المدرى: المشط .

فاستأذن عليها (وتسلموا على أهلها) قيل ان فيه تقديما وتأخيرا تقديره حتى تسلموا على أهلها وتستأنسوا وتستأذنوا فإن أذن لكم فادخلوا وقيل معناه حتى تستأنسوا بأن تسلموا فقد روي ان رجلا استأذن على رسول الله ﷺ فتنحنح فقال رسول الله ﷺ لامرأة يقال لها روضة قومي إلى هذا فعلميه وقولي له قل السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل (ذلكم خير لكم) معناه ذلك الدخول بالاستيذان خير لكم (لعلكم تذكرون) مواعظ الله وأوامره ونواهيه فتتبعونها (فإن لم تجدوا) معناه فإن لم تعلموا (فيها أحدا) يأذن لكم في الدخول (فلا تدخلوها) لأنه ربما كان فيها ما لا يجوز أن تطلعوا عليه (حتى يؤذن لكم) أي حتى يأذن لكم اربابها البيوت في ذلك بيّن الله سبحانه بهذا انه لا يجوز دخول دار الغير بغير إذنه وإن لم يكن صاحبها فيها ولا يجوز أن يتطلع إلى المنزل ليرى من فيه فيستأذنه إذا كان الباب مغلقا لقوله «ع» إنما جعل الاستيذان لأجل النظر والا أن يكون الباب مفتوحا لأن صاحبه بالفتح أباح النظر (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) أي فانصرفوا ولا تلجوا عليهم وذلك بأن يأمروكم بالانصراف صريحا او يوجد منهم ما يدل عليه (هو ازكى لكم) معناه ان الانصراف انفع لكم في دينكم ودنياكم واطهر لقلوبكم واقرب إلى ان تصيروا ازكياء (والله بما تعملون عليم) أي عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها ثم قال سبحانه (ليس عليكم جناح) اي حرج وإثم (ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة) يعني بغير استئذان (فيها متاع لكم) قيل في معنى هذه البيوت اقوال ﴿ احدها ﴾ انها الخانات والحمامات والارحية عن الصادق «ع» وعن محمد بن الحنفية وقتادة ويكون معنى متاع لكم اي استمتاع لكم ﴿ الثاني ﴾ انها الخربات المعطلة ويدخلها الانسان لقضاء الحاجة عن عطا ﴿ والثالث ﴾ انها الحوانيت وبيوت التجار التي فيها امتعة الناس عن ابن زيد قال الشعبي واذنهم لانهم جاءوا ببيوعهم فجعلوها فيها وقالوا للناس هلموا ﴿ والرابع ﴾ انها مناخات الناس في اسفارهم يرتفقون بها من حجاهد والاولى حمله على الجميع (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) لا يخفى عليه شيء من ذلك

النظم

وجه اتصال الآية بما قبلها انه سبحانه لما عظم شأن الزنا والقذف اكّد ذلك بالنهي عن دخول بيوت الناس إلا بعد الاستئذان والاستئناس ليكونوا أبعد من التهمة واقرب إلى العصمة من السيئة

قوله تعالى (٣٠) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣١) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (آيتان)

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن عامر وابو بكر غيرَ اولي الاربة بالنصب والباقون بالجر وقرأ ابن عامر أيه المؤمنين ويا أيه الساحر وايه الثقلان بضم الهاء والباقون بفتحها

الحجة

قال ابو علي وغيره فيمن جرّ صفة للتابعين والمعنى لا يبدين زينتهن إلا للتابعين الذين لا اربة لهم في النساء والاربة الحاجة لانهم في انهم لا اربة لهم كالأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء اي لم يقووا عليها ومنه قوله فاصبحوا ظاهرين وجاز وصف التابعين بغير لأنهم غير مقصودين باعيانهم فاجري لذلك مجرى النكرة وقد قيل ان التابعين جاز أن يوصفوا بغير في هذا لقصر الوصف على شيء بعينه فإذا قصر على شيء بعينه زال الشياع عنه فاختص فالتابعون ضربان ذو اربة وغير ذي اربة وليس ثالث و إذا كان كذلك جاز لاختصاصه ان يجري وصفا على المعرفة وعلى هذا الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم وكذلك لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر لأن المسلمين وغيرهم لا يخلو من أن يكونوا اصحاء اوزمنى فإذا وصفوا بأحد الشيئين زال الشياع فساغ الوصف به لذلك ومن نصب غير احتمل ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون استثناء والتقدير لا يبدين زينتهن إلا للتابعين الا ذا الاربة منهم فإنهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا اربة ﴿ والآخر ﴾ ان يكون حالا المعنى او الذين يتبعونهن عاجزين عنهن وذو الحال ما في التابعين من الذكر وقال الوقف على ياأيها وايها بالألف لانها إنما اسقطت لسكونها وسكون لام المعرفة فإذا وقف عليها زال التقاء الساكنين وظهرت الألف فأما ضم الهاء في قراءة ابن عامر فلا يتّجه لأن آخر الاسم هو الياء الثانية من ايٌّ فينبغي ان يكون المضموم آخر الاسم ولو جاز ان يضم هذا من حيث كان مضموما إلى الكلمة لجاز ان يضم الميم من اللهم لأنه آخر الكلمة ووجه الاشكال والشبهة في ذلك انه وجد هذا الحرف قد صار في بعض المواضع التي يدخل فيها بمنزلة ما هو من نفس الكلمة نحو مررت بهذا الرجل وغلام هذه المرأة فلما وجدها في أوائل المبهمة كذلك جعلها في الآخر ايضا بمنزلة شيء من نفس الكلمة واستجاز حذف الألف اللاحق للحرف لما رآه قد حذف في قولهم هلمّ فأجري عليه الاعراب لما كان كالشيء الذي من نفس الكلمة فإن قلت فإنه قد حرّك الياء التي قبلها بالضم في ياأيها الرجل فإنه يجوز ان نقول حركة ايٌّ في هذه المواضع كحركات الاتباع في نحو امرئ وامرؤ فهذا وجه شبهته

اللغة

اصل الغض النقصان يقال غض من صوته ومن بصره اي نقص ومنه حديث عمرو بن العاص لما مات عبد الرحمن ابن عوف هنيئا لك خرجت من الدنيا ببطنتك لم تتغضغض منها بشيء يقال غضغضت الشيء فتغضغض إذا نقص والاربة فعلة من الأرب كالمشية والجلسة وفي الحديث إن رجلا اعترض النبي ﷺ ليسأله فصاحوا به فقال ﷺ (١) دعوا الرجل أَرِبَ ما لَه قال ابن الاعرابي اي احتاج فسأل ماله وقيل معناه حاجة جاءت به فدعوه وما مزيدة عن الازهري

الاعراب

يغضوا من ابصارهم مجزوم لأنه جواب شرط مقدر والتقدير قل للمؤمنين غضوا من ابصاركم فإنك إن تقل لهم يغضوا ويجوز ان يكون مجزوما على تقدير ليغضوا من ابصارهم ومثل ذلك قوله يغضضن وان لم يظهر فيه الاعراب لكونه مبنيا وما ظهر في موضع نصب على البدل من زينتهن وقوله منها من هنا للتبيين والجار والمجرور مع المحذوف في موضع نصب على الحال

المعنى

ثم بيّن سبحانه ما يحلّ من النظر وما لا يحلّ منه فقال (قل) يا محمد (للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) عما لا يحل لهم النظر اليه (ويحفظوا فروجهم) عمن لا يحل لهم وعن الفواحش وقيل ان من مزيدة وتقديره يغضوا ابصارهم عن عورات النساء وقيل انها للتبعيض لأن غض البصر إنما يجب في بعض المواضع عن ابي مسلم والمعنى ينقصوا من نظرهم فلا ينظروا إلى ما حرّم وقيل انها لابتداء الغاية وقال ابن زيد كل موضع في القرآن ذكر فيه حفظ

(١) وذكروا في الحديث وجوها اخر راجع النهاية لابن الاثير واللسان مادة «أرب».

الفروج فهو عن الزنا إلا في هذا الموضع فان المراد به الستر حتى لا ينظر اليها احد وهو المروي عن ابي عبدالله (ع) قال فلا يحل للرجل ان ينظر إلى فرج اخيه ولا يحل للمرأة أن تنظر إلى فرج اختها (ذلك ازكى لهم) اي انفع لدينهم ودنياهم واطهر لهم وانفى للتهمة واقرب إلى التقوى (إن الله خبير) اي عليم (بما يصنعون) اي بما يعملونه اي على اي وجه يعملونه (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن) امر النساء بمثل ما امر به الرجال من غض البصر وحفظ الفرج (ولا يبدين زينتهن) اي لا يظهرن مواضع الزينة لغير محرم ومن هو في حكمه ولم يرد نفس الزينة لأن ذلك يحل النظر اليه بل المراد مواضع الزينة وقيل الزينة زينتان ظاهرة وباطنة فالظاهرة لا يجب سترها ولا يحرم النظر اليها لقوله (إلا ما ظهر منها) وفيها ثلاثة أقاويل «احدها» ان الظاهرة الثياب والباطنة الخلخالان والقرطان والسواران عن ابن مسعود «وثانيها» ان الظاهرة الكحل والخاتم والخضاب في الكف عن ابن عباس والكحل والسوار والخاتم عن قتادة «وثالثها» انها الوجه والكفان عن الضحاك وعطا والوجه والبنان عن الحسن وفي تفسير علي بن ابراهيم الكفان والأصابع (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) والخمر المقانع جمع خمار وهو غطاء رأس المرأة المسدل على جيبها أمرن بالقاء المقانع على صدورهن تغطية لنحورهن فقد قيل انهن كن يلقين مقانعهن على ظهورهن فتبدوا صدورهن وكنى عن الصدور بالجيوب لأنها ملبوسة عليها وقيل انهن أمرن بذلك ليسترن شعورهن وقرطهن واعناقهن قال ابن عباس تغطي شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها (ولا يبدين زينتهن) يعني الزينة الباطنة التي لا يجوز كشفها في الصلاة وقيل معناه لا يضعن الجلباب والخمار عن ابن عباس (إلا لبعولتهن) أي لأزواجهن يبدين مواضع زينتهن لهم استدعاء لميلهم وتحريكا لشهوتهم فقد روي انه ﷺ لعن السلتاء من النساء والمرهاء فالسلتاء التي لا تخضب والمرهاء التي لا تكتحل ولعن المسوفة والمفسلة فالمسوفة التي إذا دعاها زوجها إلى المباشرة قالت سوف افعل والمفسلة هي التي إذا دعاها قالت انا حائض وهي غير حائض (أو آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او إخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن) وهؤلاء الذين يحرم عليهم نكاحهن فهم ذوو محارم لهن بالاسباب والانساب ويدخل اجداد البعولة فيه وان علوا واحفادهم وان سفلوا يجوز ابداء الزينة لهم من غير استدعاء لشهوتهم ويجوز لهم تعمد النظر من غير تلذذ (او نسائهن) يعني النساء المؤمنات ولا يحل لها أن يتجردن ليهودية او نصرانية او مجوسية إلا إذا كانت أمة وهو معنى قوله (او ما ملكت أيمانهن) اي من الاماء عن ابن جريج ومجاهد والحسن وسعيد بن المسيب قالوا ولا يحل للعبد أن ينظر إلى شعر مولاته وقيل معناه العبيد والاماء وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقال الجبائي أراد مملوكا له لم يبلغ مبلغ الرجال (او التابعين غير أولي الاربة من الرجال) اختلف في معناه فقيل التابع الذي يتبعك لينال من طعامك ولا حاجة له في النساء وهو الأبله المولى عليه عن ابن عباس وقتادة وسعيد ابن جبير وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقيل هو العنين الذي لا ارب له في النساء لعجزه عن عكرمة والشعبي وقيل انه الخصي المجبوب الذي لا رغبة له في النساء عن الشافعي ولم يسبق إلى هذا القول وقيل انه الشيخ الهم لذهاب اربه عن يزيد بن ابي حبيب وقيل هو العبد الصغير عن ابي حنيفة واصحابه (أو الطفل) اي الجماعة من الأطفال (الذين لم يظهروا على عورات النساء) يريد به الصبيان الذين لم يعرفوا عورات النساء ولم يقووا عليها لعدم شهوتهم وقيل لم يطيقوا مجامعة النساء فاذا بلغوا مبلغ الشهوة فحكمهم حكم الرجال (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) قال قتادة كانت المرأة تضرب برجلها لتسمع قعقعة الخلخال فيها فنهاهن عن ذلك وقيل معناه لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت ليتبين خلخالها او يسمع صوته عن ابن عباس (وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) أي تفوزون بثواب الجنة وفي الحديث انه ﷺ قال ايها الناس توبوا إلى ربكم فاني أتوب إلى الله في كل يوم مائة مرة أورده مسلم في الصحيح والمراد بالتوبة الانقطاع إلى الله تعالى

قوله تعالى (٣٢) وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٣) وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٤) وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (ثلاث آيات)

القراءة

في الشواذ قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير من بعد إكراههن لهن غفور رحيم وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع)

الحجة

اللام في لهن متعلقة بغفور أي غفور لهن

اللغة

الأيامى جمع أيم وهي المرأة التي لا زوج لها سواء كانت بكرا أو ثيبا ويقال للرجل الذي لا زوجة له أيم ايضا قال جميل

أُحِبُّ الْأَيَامَىٰ إِذْ بُثَيْنَةُ أَيِّمٌ ... وَأَحْبَبْتُ لَمَّا أَنْ غَنِيتِ الْغَوَانِيَا (١)

وقال الشاعر

فَإِنْ تَنْكِحِي أَنْكِحْ وَإِنْ تَتَأَيَّمِي ... يَدَا الدَّهْرِ مَا لَمْ تَنْكِحِي أَتَأَيَّمُ (٢)

والفعل منه آمت المرأة تئيم أيمة وأيوما والانكاح التزويج يقال نكح إذا تزوج وأنكح غيره إذا زوجه والاستعفاف والتعفف سواء وهو طلب العفة واستعمالها ويقال رجل عف وامرأة عفة والكتاب والمكاتبة ان يكاتب الرجل مملوكه على مال يؤديه اليه فاذا أداه عتق وأصله من الجمع وكل شيء جمعته إلى شيء فقد كتبته ومنه الكتاب لتدائي بعض حروفه إلى بعض وهنا قد جمع العبد نجوم المال وقيل جمع ماله إلى مال السيد

الإعراب

احد مفعولي انكحوا محذوف تقديره وانكحوا رجالكم الأيامى من نسائكم أو نساءكم الأيامى من رجالكم وانكحوا الصالحين من عبادكم اماءكم الصالحات او الصالحات من اماتكم عبادكم الصالحين لأن الأيامى يشتمل على الرجال والنساء والصالحين يشتمل عليها ايضا وقوله منكم ومن عبادكم واماتكم الجار والمجرور في موضع نصب على الحال ومن للتبيين وكل موضع يكون من مع مفعوله والعامل فيه في محل النصب على الحال لا يكون إلا كذلك

المعنى

ثم أمر سبحانه عباده بالنكاح وأغناهم عن السفاح فقال (وانكحوا الأيامى منكم) ومعناه زوجوا ايها المؤمنون من لا زوج له من احرار رجالكم ونسائكم وهذا أمر ندب واستحباب وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) الغانية من النساء: الشابة المتزوجة وجمعها غوان. (٢) وفي بعض النسخ فإن كنت لا تبغين منكم أتايم» بدل المصراع الاخير.

انه قال من أحب فطرتي فليستنّ بسنتي ومن سنتي النكاح وقال ﷺ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباه فليتزوج فإنه أغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[1] وروى عطا بن السايب عن سعيد بن جبير قال لقيني ابن عباس في حجة حجها فقال هل تزوجت قلت لا قال فتزوج قال ولقيني في العام المقبل فقال هل تزوجت قلت لا فقال اذهب فتزوّج فإن خير هذه الأمة كان اكثرها نساء يعني النبي ﷺ وعن ابي هريرة قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد للقيت الله بزوجة سمعت رسول الله ﷺ يقول شراركم عزّابكم وقال ﷺ من أدرك له ولد وعنده ما يزوجه فلم يزوجه فاحدث فالاثم بينهما وعن ابي امامة عن النبي ﷺ قال اربع لعنهم الله من فوق عرشه وامنت عليه ملائكته الذي يحصر نفسه فلا يتزوج ولا يتسرى لئلا يولد له والرجل يتشبه بالنساء وقد خلقه الله ذكرا والمرأة تتشبه بالرجال وقد خلقها الله أنثى ومضلل الناس يريد الذي يهزأ بهم يقول للمسكين هلم اعطك فإذا جاء يقول ليس معي شيء ويقول للمكفوف اتق الدابة وليس بين يديه شيء والرجل يسأل عن دار القوم فيضلله (والصالحين من عبادكم واماءكم) اي وزوّجوا المستورين من عبيدكم وولائدكم وقيل ان معنى الصلاح ههنا الايمان عن مقاتل ثم رجع إلى الأحرار فقال (إن يكونوا فقراء) لاسعة لهم للتزويج (يغنهم الله من فضله) وعدهم سبحانه ان يوسّع عليهم عند التزويج (والله واسع) المقدور كثير الفضل (عليم) باحوالهم وما يصلحهم فيعطيهم على قدر ذلك وقال ابو عبد الله(ع) من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظن بربه لقوله سبحانه إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله) هذا امر من الله تعالى لمن لا يجد السبيل إلى أن يتزوج بأن لا يجد المهر والنفقة أن يتعفف ولا يدخل في الفاحشة ويصبر حتى يوسّع الله عليه من رزقه ثم بيّن سبحانه ما يسهل سبيل النكاح فقال (والذين يبتغون الكتاب) اي يطلبون المكاتبة (مما ملكت أيمانكم) من العبيد والاماء (فكاتبوهم) والمكاتبة ان يكاتب الانسان عبده على مال ينجمه عليه ليؤدّيه اليه في هذه النجوم المعلومة وهذا امر ندب واستحباب وترغيب عند جميع الفقهاء وقيل انه امر حتم وايجاب إذا طلبه العبد وعلم فيه الخير عن عطا وعمر بن دينار والطبري (إن علمتم فيهم خيرا) اي صلاحا ورشدا عن ابن عباس وروي عنه ايضا ان علمتم فيهم قدرة على الاكتساب لاداء مال الكتابة ورغبة فيه وامانة وهو قول ابن عمر وابن زيد والثوري والزجاج قال الحسن إن كان عنده مال فكاتبه وإلا فلا تعلق عليه صحيفة يغدو بها على الناس ويروح بها فيسألهم وروي ان عبداً لسلمان قال له كاتبني قال ألك مال قال لا قال تطعمني اوساخ الناس فأبى عليه وقال قتادة يكره أن يكاتب العبد ويقول لا يكاتبه الا يسأل الناس (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) اي حطّوا عنهم من نجوم الكتابة شيئا من ابن عباس وقتادة وعطا وقيل معناه ردّوا عليهم يا معشر السادة من المال الذي أخذتم منهم شيئا وهو استحباب وقيل هو إيجاب وقال قوم من المفسرين انه خطاب للمؤمنين بمعونتهم على تخليص رقابهم من الرق ومن قال انه خطاب للسادة اختلفوا في قدر ما يجب فقيل يتقدر بربع المال عن الثوري وروي ذلك عن علي(ع) وقيل ليس فيه تقدير بل يحط عنه شيء منه وهو الصحيح وقيل انه يعطى سهمه من الصدقات في قوله وفي الرقاب قال الحسن لولا الكتابة لما جاز له اخذ الصدقة وقال اصحابنا ان المكاتبة ضربان مطلق ومشروط فالمشروط ان يقول لعبده في حال الكتابة متى عجزت عن اداء نجمك كنت مردودا في الرق فإذا كان كذلك جاز له ردّه في الرق عند العجز والمطلق ينعتق منه عند العجز بحساب ما أدّى من المال ويبقى مملوكا بحساب ما بقي عليه ويرث ويورث بحساب ما عتق (ولا تكرهوا فتياتكم) اي اماءكم وولايدكم (على البغاء) اي على الزنا (إن أردن تحصنا) اي تعففا وتزويجا عن ابن عباس وإنما شرط إرادة التحصن لأن الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فإن لم ترد المرأة التحصن بغت بالطبع فهذه فائدة الشرط (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) اي من كسبهن وبيع اولادهن قيل ان عبد الله بن

(١) الوجاء : رض عروق البيضتين حتى تنفضخ فيكون شبيها بالخصاء شبه الصوم به لانه يكسر الشهوة كالوجاء

أبي كان له ست جوار يكرههن على الكسب بالزنا فلما نزل تحريم الزنا أتين رسول الله ﷺ فشكون اليه فنزلت الآية (ومن يكرههن) اي ومن يجبرهن على الزنا من سادتهن (فان الله من بعد اكراههن غفور) للمكرهات لا للمكره لأن الوزر عليه (رحيم) بهن (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) اي واضحات ظاهرات ومن قرأ بفتح الباء فمعناه مفصلات بيّنهن الله وفصّلهن (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) واخبارا من الذين مضوا من قبلكم وقصصا لهم وشبها من حالهم بحالكم لتعتبروا بها (وموعظة للمتقين) أي وزجرا للمتقين عن المعاصي وخصّهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها

قوله تعالى (٣٥) اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٦) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٧) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٨) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (أربع آيات)

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن كثير ويعقوب كوكب دُرِّيّ مضمومة الدال مشددة الياء. تَوَقَّدَ بفتح التاء. والدال وتشديد القاف وقرأ ابو عمر ودِرِّيء مكسورة الدال ممدودة مهموزة توقد كما تقدم وقرأ الكسائي درئ مكسورة الدال ممدودة مهموزة تُوقَدُ بضم التاء. والتخفيف والرفع وقرأ نافع وابن عامر وحفص دُرِّيّ غير مهموزة يوقد بضم الياء. والرفع وقرأ ابو بكر وحمزة دُرِّيء مضمومة الدال مهموزة ممدودة توقد بضم التاء. وتخفيف القاف وقرأ خلف دري مضمومة الدال غير مهموزة توقد بضم التاء والتخفيف وقرأ ابن عامر وابو بكر يُسَبَّحُ له فيها بفتح الباء. والباقون بكسرها

الحجة

قال ابو علي من قرأ دُرِّيّ يحتمل قوله امرين احدهما ان يكون نسبة إلى الدر لفرط صفائه ونوره ويجوز أن يكون فُعِّيلا من الدَّرْئ فخففت الهمزة فانقلبت ياء. كما تنقلب من النسيء والنبيء ومن قال دِرِّيء كان فِعِّيلا من الدرء مثل السِّكِّير والفِسِّيق والمعنى ان الخفاء اندفع عنه لتلألؤه في ظهوره فلم يخف كما يخفى السهى ونحوه ومن قرأ دُرِّيء كان فعيلا من الدَّرْء الذي هو الدفع وقد حكى سيبويه عن ابي الخطاب كوكب دُرِّيء من الصفات ومن الاسماء المِرِّيخ للعُصْفُر ومما يمكن ان يكون على هذا البناء العُلِّيّة ألا تراه انه من علا ومنه السُّرِّية. الأولى ان تكون فعلية ومن قرأ تُوقَدُ كان فاعله المصباح لأن المصباح هو الذي توقد قال امرؤ القيس

سَمَوْتُ إِلَيْهَا وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقَفَّالِ (١)

ومن قرأ يوقد كان فاعله المصباح ايضا ومن قرأ تَوَقَّدَ كان فاعله الزجاجة والمعنى على مصباح الزجاجة فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه فقال توقد فحمل الكلام على لفظ الزجاجة او يريد بالزجاجة القنديل فقال توقد على لفظ الزجاجة وان كان يريد القنديل ومعنى توقد من شجرة اي من زيت شجرة فحذف المضاف يدلك على ذلك قوله يكاد زيتها يضيء ومن قرأ يسبح له بفتح الباء. أقام الجار والمجرور مقام الفاعل ثم فسّر من يسبح فقال

(١) شب النار: اوقدها. والقفال: المسافرون.

رجال اي يسبح له رجال فرفع رجالا بهذا المضمر الذي دلّ عليه قوله يسبح لانه إذا قال يسبح دل على فاعل التسبيح ومثله قول الشاعر

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ (١)

اللغة

المشكاة قيل انها رومية معربة وقال الزجاج يجوز أن تكون عربية لأن في الكلام مثل لفظها شكوة وهي قربة صغيرة فعلى هذا تكون مفعلة منها وأصلها مشكوة فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها والمصباح السراج واصله من البياض والأصبح الأبيض

الإعراب

قيل في تقدير قوله نور السماوات وجهان احدهما أن يكون على حذف المضاف وتقديره ذو نور السماوات والأرض على حد قوله انه عمل غير صالح والثاني ان يكون مصدرا وضع موضع اسم الفاعل كقوله إن اصبح ماؤكم غورا اي غائرا وكما قالت الخنساء

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ (٢)

وعلى هذا تكون الاضافة غير حقيقية والسماوات في تقدير النصب. فيها مصباح جملة في موضع الجر لأنها صفة مشكاة. المصباح في زجاجة جملة في موضع رفع بأنها صفة مصباح والعائد منها اليه لام العهد تقديره فيها مصباح ذلك المصباح في زجاجة او هو في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري الجملة في موضع جر بأنها صفة زجاجة وقوله زيتونة بدل من شجرة والباقي صفة نور خبر مبتدأ محذوف اي هو نور. على نور متعلق بمحذوف في موضع رفع بكونه صفة نور. في بيوت يتعلق بمحذوف وفي موضع جرّ بكونه صفة لمشكاة فانتقل الضمير من المحذوف اليه حيث سدّ مسدّه. بغير حساب في موضع نصب بكونه صفة لمفعول محذوف وتقديره يرزق من يشاء رزقا بغير حساب اي غير محسوب

المعنى

(الله نور السماوات والأرض) اختلف في معناه على وجوه فقيل احدها الله هادي أهل السماوات والأرض إلى ما فيه من مصالحهم عن ابن عباس والثاني الله منور السماوات والأرض بالشمس والقمر والنجوم عن الحسن وابي عالية والضحاك والثالث مزين السماوات بالملائكة مزين الأرض بالأنبياء والعلماء عن ابي بن كعب وإنما ورد النور في صفة الله تعالى لأن كل نفع واحسان وانعام منه وهذا كما يقال فلان رحمة وفلان عذاب إذا كثر فعل ذلك منه وعلى هذا قول الشاعر

أَلَمْ تَرَ أَنَّا نُورُ قَوْمٍ وَإِنَّمَا يُبَيَّنُ فِي الظَّلْمَاءِ لِلنَّاسِ نُورُهَا

وإنما المعنى إنا نسعى فيما ينفعهم ومنا خيرهم وكذا قول ابي طالب في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

يَلُوذُ بِهِ الْهُلَّاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

لم يعن بقوله ابيض بياض لونه وإنما أراد كثرة افضاله واحسانه ونفعه والاهتداء به ولهذا المعنى سماه الله تعالى سراجا منيرا (مثل نوره) فيه وجوه « احدها » أن المعنى مثل نور الله الذي هدى به المؤمنين وهو الايمان في قلوبهم عن ابي بن كعب والضحاك وكان ابي يقرأ مثل نور من آمن به « والثاني » مثل نوره الذي هو القرآن في القلب عن ابن عباس والحسن وزيد بن اسلم « والثالث » انه عنى بالنور محمد صلى الله عليه وآله وسلم واضافه إلى نفسه

(١) الشعر في جامع الشواهد وكذا الشعر الآتي وقد مر في الكتاب ايضا غير مرة . (٢) مر بمعناه في ص ١٦٧ المجلد الثالث .

تشريفا له عن كعب وسعيد بن جبير فالمعنى مثل محمد رسول الله ﷺ « الرابع » ان نوره سبحانه الأدلة الدالة على توحيده وعدله التي هي في الظهور والوضوح مثل النور عن ابي مسلم « الخامس » أن النور هنا الطاعة اي مثل طاعة الله في قلب المؤمن عن ابن عباس في رواية اخرى (كمشكاة فيها مصباح) المشكاة هي الكوة في الحائط يوضع عليها زجاجة ثم يكون المصباح خلف تلك الزجاجة ويكون للكوة باب آخر يوضع المصباح فيه وقيل المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وهو مثل الكوة والمصباح السراج وقيل المشكاة القنديل والمصباح الفتيلة عن مجاهد (المصباح في زجاجة) اي ذلك السراج في زجاجة وفائدة اختصاص الزجاجة بالذكر انه اصفى الجواهر فالمصباح فيه اضوأ (الزجاجة كأنها كوكب دري) اي تلك الزجاجة مثل الكوكب العظيم المضيء الذي يشبه الدر في صفائه ونوره ونقائه وإذا جعلته من الدرء وهو الدفع فمعناه المندفع السريع الوقع في الانقضاض ويكون ذلك أقوى لضوئه (يوقد من شجرة مباركة) اي يشتعل ذلك السراج من دهن شجرة مباركة (زيتونة) اراد بالشجرة المباركة شجرة الزيتون لأن فيها انواع المنافع فإن الزيت يسرج به وهو ادام ودهان ودباغ ويوقد بحطبه وثفله ويغسل برماده الابريسم ولا يحتاج في استخراج دهنه إلى اعصار وقيل انه خص الزيتونة لأن دهنها اصفى واضوء وقيل لأنها اول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان ومنبتها منزل الأنبياء وقيل لأنه بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم فلذلك سميت مباركة (لا شرقية ولا غربية) اي لا يفيء عليها ظل شرق ولا غرب فهي ضاحية للشمس لا يظلها جبل ولا شجر ولا كهف فزيتها يكون اصفر عن ابن عباس والكلبي وعكرمة وقتادة فعلى هذا يكون المعنى انها ليست بشرقية لا تصيبها الشمس إذا هي غربت ولا هي غربية لا تصيبها الشمس إذا طلعت بل هي شرقية غربية اخذت بحظها من الأمرين وقيل معناه إنها ليست من شجر الدنيا فتكون شرقية او غربية عن الحسن وقيل معناه انها ليست في مقنوة لا تصيبها الشمس ولا هي بارزة للشمس لا يصيبها الظل بل يصيبها الشمس والظل عن السدي وقيل ليست من شجر الشرق ولا من شجر الغرب لأن ما اختص باحدى الجهتين كان اقل زيتا واضعف ضوءا لكنها من شجر الشام وهي ما بين الشرق والغرب عن ابن زيد (يكاد زيتها يضيء) من صفائه وفرط ضيائه (ولو لم تمسسه نار) اي قبل ان تصيبه النار وتشتعل فيه واختلف في هذا المشبه والمشبه به على اقوال « احدها » انه مثل ضربه الله لنبيه محمد ﷺ فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة لا شرقية ولا غربية اي لا يهودية ولا نصرانية توقد من شجرة مباركة يعني شجرة النبوة وهي ابراهيم (ع) يكاد نور محمد ﷺ يبين للناس ولو لم يتكلم به كما ان ذلك الزيت يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار اي تصبه النار عن كعب وجماعة من المفسرين وقد قيل ايضا ان المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد ﷺ كما سمي سراجا في موضع آخر من شجرة مباركة يعني ابراهيم لان اكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية لا نصرانية ولا يهودية لأن النصارى تصلي إلى المشرق واليهود تصلي إلى المغرب يكاد زيتها يضيء اي يكاد محاسن محمد ﷺ تظهر قبل ان يوحى اليه (نور على نور) اي نبي من نسل نبي عن محمد بن كعب وقيل ان المشكاة عبد المطلب والزجاجة عبد الله والمصباح هو النبي ﷺ لا شرقية ولا غربية بل مكية لأن مكة وسط الدنيا عن الضحاك وروي عن الرضا (ع) انه قال نحن المشكاة فيها والمصباح محمد ﷺ يهدي الله لولايتنا من احب وفي كتاب التوحيد لابي جعفر بن بابويه رحمه الله بالاسناد عن عيسى بن راشد عن ابي جعفر الباقر (ع) في قوله كمشكاة فيها مصباح قال نور العلم في صدر النبي ﷺ المصباح في زجاجة الزجاجة صدر علي (ع) صار علم النبي ﷺ إلى صدر علي علم النبي عليا يوقد من شجرة مباركة نور العلم لا شرقية ولا غربية لا يهودية ولا نصرانية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار قال يكاد العالم من آل محمد ﷺ يتكلم بالعلم قبل ان يسأل نور على نور اي امام مؤيد بنور العلم والحكمة في اثر إمام من آل محمد ﷺ وذلك من لدن

آدم (ع) إلى ان تقوم الساعة فهؤلاء الاوصياء الذين جعلهم الله خلفاء في ارضه وحججه على خلقه لا تخلو الارض في كل عصر من واحد منهم ويدل عليه قول ابي طالب في رسول الله ﷺ

أَنْتَ الْأَمِينُ مُحَمَّدٌ ... قَرْمٌ أَغَرُّ مُسَوَّدُ
لِمُسَوَّدِينَ أَطَاهِرٍ ... كَرُمُوا وَطَابَ الْمَوْلِدُ
أَنْتَ السَّعِيدُ مِنَ السُّعُودِ ... تَكَنَّفَتْكَ الْأَسْعَدُ
مِنْ لَدُنْ آدَمَ لَمْ يَزَلْ ... فِينَا وَصِيٌّ مُرْشِدُ
وَلَقَدْ عَرَفْتُكَ صَادِقًا ... وَالْقَوْلُ لَا يَتَفَنَّدُ
مَا زِلْتَ تَنْطِقُ بِالصَّوَابِ ... وَأَنْتَ طِفْلٌ أَمْرَدُ

تحقيق هذه الجملة يقتضي ان الشجرة المباركة المذكورة في الآية هي دوحة التقى والرضوان وعترة الهدى والايمان شجرة أصلها النبوة وفرعها الإمامة واغصانها التنزيل واوراقها التأويل وخدمها جبرائيل وميكائيل (وثانيها) انه مثل ضربه الله للمؤمن والمشكاة قلبه والزجاجة صدره والمصباح الإيمان والقرآن في قلبه يوقد من شجرة مباركة هي الإخلاص لله وحده لا شريك له فهي خضراء ناعمة كشجرة التفّ بها الشجر فلا يصيبها الشمس على أيّ حال كانت لا إذا طلعت ولا إذا غربت وكذلك المؤمن قد احترز من أن يصيبه شيء من الشر فهو بين اربع خلال إن أعطي شكر وإن ابتلي صبر وإن حكم عدل وإن قال صدق فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي بين القبور نور على نور كلامه نور وعلمه نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره إلى الجنة نور يوم القيامة عن أبي بن كعب (وثالثها) انه مثل القرآن في قلب المؤمن فكما ان هذا المصباح يستضاء به وهو كما هو لا ينقص فكذلك القرآن يهتدى به ويعمل به فالمصباح هو القرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة لسانه وفمه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد زيتها يضيء يكاد حجج القرآن تتضح وإن لم تقرأ وقيل يكاد حجج الله على خلقه تضيء لمن تفكر فيها وتدبّرها ولو لم ينزل القرآن نور على نور يعني ان القرآن نور مع سائر الأدلة قبله فازدادوا به نورا على نور عن الحسن وابن زيد وعلى هذا فيجوز أن يكون المراد ترتب الأدلة فإن الدلائل يترتب بعضها على بعض ولا يكاد العاقل يستفيد منها إلا بمراعاة الترتيب فمن ذهب عن الترتيب فقد ذهب عن طريق الاستفادة وقال مجاهد ضوء نور السراج على ضوء الزيت على ضوء الزجاجة (يهدي الله لنوره من يشاء) أي يهدي الله لدينه وإيمانه من يشاء بأن يفعل له لطفا يختار عنده الإيمان إذا علم ان له لطفا وقيل معناه يهدي الله لنبوته وولايته من يشاء ممن يعلم انه يصلح لذلك ويضرب الله الأمثال للناس تقريبا إلى الافهام وتسهيلا لدرك المرام (والله بكل شيء عليم) فيضع الأشياء مواضعها (في بيوت أذن الله أن ترفع) معناه هذه المشكاة في بيوت هذه صفتها وهي المساجد في قول ابن عباس والحسن ومجاهد والجبائي وبعضده قول النبي ﷺ المساجد بيوت الله في الأرض وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض ثم قيل انها اربع مساجد لم يبنها إلا نبي الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل ومسجد بيت المقدس بناه سليمان ومسجد المدينة ومسجد قبا بناهما رسول الله ﷺ وقيل هي بيوت الأنبياء وروي ذلك مرفوعا انه سئل النبي ﷺ لما قرأ الآية أيّ بيوت هذه فقال بيوت الأنبياء فقام ابو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها بيت عليّ وفاطمة قال نعم من أفاضلها ويعضد هذا القول قوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقوله ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت فالإذن برفع بيوت الأنبياء والأوصياء مطلق والمراد بالرفع التعظيم ورفع القدر من الارجاس والتطهير من المعاصي والأدناس وقيل المراد برفعها رفع الحوائج فيها إلى الله تعالى (ويذكر فيها اسمه) أي يتلى

فيها كتابه عن ابن عباس وقيل تذكر فيها اسماؤه الحسنى (يسبح له فيها بالغدو والآصال) أي يصلى له فيها بالبكور والعشايا عن ابن عباس والحسن والضحاك وقال ابن عباس كل تسبيح في القرآن صلاة وقيل المراد بالتسبيح تنزيه الله تعالى عما لا يجوز عليه ووصفه بالصفات التي يستحقها لذاته وافعاله التي كلها حكمة وصواب ثم بيّن سبحانه المسبح فقال (رجال لا تلهيهم) أي لا تشغلهم ولا تصرفهم (تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة) أي اقامة الصلاة حذف الهاء لأنها عوض عن الواو في اقوام فلما أضافه صار المضاف اليه عوضا عن الهاء وروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) انهم قوم إذا حضرت الصلاة تركوا التجارة وانطلقوا إلى الصلاة وهم اعظم أجراً ممن يتّجر . (وإيتاء الزكاة) اي إخلاص الطاعة لله تعالى عن ابن عباس وقيل يريد الزكاة المفروضة عن الحسن (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) أراد يوم القيامة تتقلب فيه احوال القلوب والأبصار وتنتقل من حال إلى حال فتلفحها النار ثم تنضجها ثم تحرقها عن الجبائي وقيل تتقلب فيه القلوب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك وتتقلب الأبصار يمنة ويسرة من أين توتى كتبهم وأين يؤخذ بهم أم من قِبَل اليمين أم من قبل الشمال وقيل تتقلب القلوب يبلوغها الحناجر والأبصار بالعمى بعد البصر وقيل معناه تنتقل القلوب عن الشك إلى اليقين والإيمان والأبصار عما كانت تراه غياً فتراه رشداً فمن كان شاكاً في دنياه أبصر في آخرته ومن كان عالما ازداد بصيرة وعلما فهو مثل قوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد عن البلخي (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله) أي يفعلون ذلك طلبا لمجازاة الله إياهم بأحسن ما عملوا ولتفضله عليهم بالزيادة على ما استحقوه بأعمالهم من فضله وكرمه (والله يرزق) اي يعطي (من يشاء بغير حساب) أي بغير مجازاة على عمل بل تفضلا منه سبحانه والثواب لا يكون إلا بحساب والتفضل يكون بغير حساب

النظم

اتصلت الآية الأولى بما قبلها اتصال المثل بالمثل لأنه تعالى لما بيّن وجوه المنافع والمصالح وعلم الشرائع فيما سبق بيّن بعده ان منافع أهل السماوات والأرض منه لأن اسم النور يطلق على ذلك كما تقدم بيانه وقيل انها اتصلت بما قبلها اتصال العلة بالمعلول فكأنه قال أنزلنا آيات بينات ومواعظ بالغات فهديناكم بها لأنا نهدي أهل السماوات والأرض واتصل قوله في بيوت بقوله كمشكاة فيها مصباح على ما تقدّم بيانه وقيل يتصل يسبح ويكون فيها تكريراً على التوكيد والمعنى يسبح لله رجال في بيوت أذن الله أن ترفع فيكون كقولك في الدار قام زيد فيها

قوله تعالى (٣٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤٠) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (آيتان)

القراءة

قرأ ابن كثير في رواية البزي سحاب بغير تنوين ظلمات بالجر وفي رواية القواس وابن فليح سحاب بالتنوين ظلمات بالجر والباقون كلاهما بالرفع والتنوين

الحجة

قال ابو علي قوله أو كظلمات معناه او كذي ظلمات ويدل على حذف المضاف قوله إذا أخرج يده لم يكد يراها فالضمير الذي أضيف اليه يده يعود إلى المضاف المحذوف ومعنى ذي ظلمات انه في ظلمات ومعنى ظلمات

بعضها فوق بعض ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة الموج الذي في الموج وقوله خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث فإنه يجوز أن يكون ظلمة الرحم وظلمة البطن وظلمة المشيمة وقوله فنادى في الظلمات ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وظلمة الليل ويجوز أن يكون الالتقام كان بالليل فهذه ظلمات ومن قرأ سحاب ظلمات فرفع ظلمات كان خبر مبتدء محذوف تقديره هذه ظلمات بعضها فوق بعض ومن قرأ سحاب ظلمات جاز أن يكون تكريرا وبدلا من ظلمات الأولى ومن قرأ سحاب ظلمات بإضافة سحاب إلى الظلمات فالظلمات هي الظلمات التي تقدم ذكرها فأضاف السحاب إلى الظلمات لاستقلال السحاب وارتفاعه في وقت كون هذه الظلمات كما تقول سحاب رحمة وسحاب مطر إذا ارتفع في الوقت الذي يكون فيه الرحمة والمطر

﴿ اللغة ﴾

السراب شعاع يتخيل كالماء يجري على الأرض نصف النهار حين يشتد الحر والآل شعاع يرتفع بين السماء والارض كالماء ضحوة النهار والآل يرفع الشخص الذي فيه وإنما قيل سراب لأنه ينسرب اي يجري كالماء وقيعة جمع قاع وهو الواسع من الارض المنبسطة وفيه يكون السراب ولجة البحر معظمه الذي يتراكب امواجه فلا يرى ساحله والتيج البحر التجاجا

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه مثل الكفار فقال (والذين كفروا اعمالهم) التي يعملونها ويعتقدون انها طاعات (كسراب بقيعة) اي كشعاع بأرض مستوية (يحسبه الظمآن ماء) اي يظنه العطشان ماء (حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) اي حتى إذا انتهى اليه رأى ارضا لا ماء فيها وهو قوله لم يجده شيئاً اي شيئا مما حسب وقدر فكذلك الكافر يحسب ما قدّم من عمله نافعا وان له عليه ثوابا وليس له ثواب (ووجد الله عنده فوفيه حسابه) قيل معناه ووجد الله عند عمله فجازاه على كفره وهذا في الظاهر خبر عن الظمآن والمراد به الخبر عن الكفار ولكن لما ضرب الظمآن مثلا للكفار جعل الخبر عنه كالخبر عنهم والمعنى وجد أمر الله ووجد جزاء الله وقيل معناه وجد الله عنده بالمرصاد فأتمّ له جزاه (والله سريع الحساب) لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الجميع على افعالهم في حالة واحدة وسئل امير المؤمنين (ع) كيف يحاسبهم في حالة واحدة فقال كما يرزقهم في حالة واحدة وقيل ان المراد به عتبة بن ربيعة كان يلتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الإسلام. عن مقاتل ثم ذكر مثلا آخر لأعمالهم فقال (او كظلمات) اي او افعالهم مثل ظلمات (في بحر لجي) اي عظيم اللجة لا يرى ساحله وقيل هو العميق الذى يبعد عمقه عن ابن عباس (يغشيه موج) اي يعلو ذلك البحر اللجي موج (من فوقه موج) اي فوق ذلك الموج موج (من فوقه سحاب) اي من فوق الموج سحاب (ظلمات بعضها فوق بعض) يعني ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب والمعنى ان الكافر يعمل في حيرة ولا يهتدي لرشده فهو من جهله وحيرته كمن هو في هذه الظلمات لأنه من عمله وكلامه واعتقاده متقلب في ظلمات وروي عن أبيّ انه قال ان الكافر يتقلب في خمس ظلمات كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة إلى ظلمة وهي النار (إذا أخرج يده لم يكد يريها) اختلف في معناه فقيل لا يراها ولا يقارب رؤيتها فهو نفي للرؤية وعن مقاربة الرؤية لأن دون هذه الظلمة لا يرى فيها عن الحسن واكثر المفسرين ويدل عليه قول ذي الرمة

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ حُبُّ مَيَّةَ يَبْرَحُ (١)

ويروى رسيس الهوى من حب مية يبرح وقال آخر « ما كدت أعرف إلا بعد انكاري » وقال الفراء كاد صلة والمعنى انه لم يرها وقيل لا يراها إلا بعد جهد ومشقة رؤية تخيل لصورتها لأن حكم كاد إذا لم يدخل عليها حرف نفي ان تكون نافية وإذا دخلها دلّت على ان يكون الأمر وقع بعد بطء عن المبرد (ومن لم يجعل الله له

(١) مية : اسم محبوبة ذى الرمة . والنأى : البعد . يقول ان العشاق اذا بعدوا عمن يحبون زالت المحبة عنهم واما انا فعلى كل حال لا يزول حبها عن قلبي . ورسيس الهوى على الرواية الثانية : مسه واثره وبقيته .

نوراً فما له من نور) أي من لم يجعل الله له نجاة وفرجا فما له من نجاة وقيل من لم يجعل الله له نوراً في القيامة فما له من نور

قوله تعالى (٤١) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤٢) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٣) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٤) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٥) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٦) لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (ست آيات)

القراءة

قرأ ابو جعفر يُذهِب بالأبصار بضم الياء و كسر الهاء والباقون يَذهب

الحجة

من قرأ يُذهِب فالباء زائدة وتقديره يذهب الأبصار ومثله قوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقول الهذلي

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ ... مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ (١)

أي شربن ماء البحر قال ابن جني إنما يزاد هذا الباء لتوكيد معنى التعدي كما يزاد اللام لتوكيد معنى الاضافة في قوله« يابؤس للحرب ضراراً لأقوام» وإن شئت حملته على المعنى فكأنه قال يكاد سنا برقه يلوي بالأبصار اي يستأثر بالأبصار وقد ذكرنا اختلافهم في قوله خلق كل دابة فيه والوجه في سورة ابراهيم

اللغة

الازجاء والتزجية الدفع والسوق وزجا الخراج يزجو زجاء إذا انساق إلى أهله وتيسر جبايته والركام المتراكم بعضه على بعض والركمة الطين المجموع والودق المطر ودقت السماء تدق ودقا إذا امطرت قال الشاعر

فَلَا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا ... وَلَا أَرْضٌ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا (٢)

والخلال جمع الخلل وهو الفرجة بين الشيئين والبرد اصله من البرد خلاف الحر وسحاب برد أتى بالبرد ويقال سمي البرَد لأنه يبرد وجه الارض أي يقشره من بردت الشيء بالمبرد والسنا مقصورا الضوء وهو يالمد الرفعة

الإعراب

صافات حال من الطير وينزل من السماء مِنْ لابتداء الغاية لأن السماء مبدأ لإنزال المطر ومن جبال من للتبعيض لأن البرد بعض الجبال التي في السماء ومِنْ بَرَد من لتبيين الجنس لأن جنس الجبال جنس البرد عن علي بن عيسى والتحقيق ان قوله من جبال بدل من قوله من السماء وقوله فيها في يتعلق بمحذوف وتقديره من جبال كائنة في السماء فالجار والمجرور في موضع الصفة لجبال تقديره من جبال سماوية وقوله من برد يتعلق بمحذوف آخر في محل

(١) لجج جمع لجة وهي في الاصل معظم الماء واراد لجج البحر. «نئيج» مأخوذ من قولهم تاج : ادامرت مراسريعا يصف السحاب (٢) قائله عامر بن جوين الطائي . والمزنة : السحابة البيضاء . وابقلت الارض : خرج بقلها

جرّ لأنه صفة بعد صفة تقديره من جبال سماوية بَرَدية وفعول ينزل محذوف أي ينزل من جبال في السماء من برد برداً كما يقال أخذت من المال شيئا وقوله ٠ على بطنه في موضع نصب على الحال و كذلك قوله على رجلين وعلى اربع ومن الأولى والثالثة بمعنى ما

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه الآيات التي جعلها نوراً للعقلاء العارفين بالله وصفاته فقال (ألم تر) اي ألم تعلم يا محمد لأن ما ذكر في الآية لا يرى بالأبصار وإنما يعلم بالأدلة والخطاب للنبي ﷺ والمراد به جميع المكلفين (ان الله يسبح له من في السماوات والأرض) والتسبيح التنزيه لله تعالى عما لا يجوز عليه ولا يليق به اي ينزهه أهل السماوات واهل الارض بألسنتهم وقيل عني به العقلاء وغيرهم و كنّى عن الجميع بلفظة من تغليبا للعقلاء على غيرهم (والطير) اي ويسبّح له الطير (صافات) اي واقفات في الجوّ مصطفّات الأجنحة في الهواء وتسبيحها ما يرى عليها من آثار الحدوث (كل قد علم صلاته وتسبيحه) معناه ان جميع ذلك قد علم الله تعالى دعاءه إلى توحيده وتسبيحه وتنزيهه وقيل ان الصلاة للإنسان والتسبيح لكل شيء عن مجاهد وجماعة وقيل معناه كل واحد منهم قد علم صلاته وتسبيحه أي صلاة نفسه وتسبيح نفسه فيؤدّيه في وقته فيكون الضمير في علم لكل وفي الأول يعود الضمير إلى اسم الله تعالى وهو اجود لأن الأشياء كلها لا يعلم كيفية دلالتها على الله وإنما يعلم الله تعالى ذلك (والله عليم بما يفعلون) أي عالم بأفعالهم فيجازيهم بحسبها (ولله ملك السماوات والارض) والملك المقدور الواسع لمن يملك السياسة والتدبير فملك السماوات والارض لا يصح إلا لله وحده لأنه القادر على الاجسام لا يقدر على خلقها غيره فالملك التام لا يصحّ إلا له سبحانه (وإلى الله المصير) اي المرجع يوم القيامة ثم قال (ألم تر) أي ألم تعلم (ان الله يزجي سحابا) أي يسوقه سوقا رفيقا إلى حيث يريد (ثم يؤلف بينه) أي يضمّ بعضه إلى بعض فيجعل القطع المتفرقة منه قطعة واحدة (ثم يجعله ركاما) اي متراكما كما متراكبا بعضه فوق بعض (فترى الودق يخرج من خلاله) اي ترى المطر والقطر يخرج من خلال السحاب اي مخارج القطر منه (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) اي وينزل من جبال في السماء تلك الجبال من برد بردا والسماء السحاب لأن كل ما علا مطبقا فهو سماء ويجوز أن يكون البرد يجتمع في السحاب كالجبال ثم يتنزل منها عن البلخي وغيره وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال من برد كما يقول عندي بيتان من تبن أي قدر بيتين عن الفراء وقيل أراد السماء المعروفة فيها جبال من برد مخلوقة عن الحسن والجبائي (فيصيب به) اي بالبرد اي بضرره (من يشاء) فيهلك زرعه وماله (ويصرفه عمن يشاء) اي ويصرف ضرره عمن يشاء فيكون أصابته نقمة وصرفه نعمة (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) اي يقرب ضوء برق السحاب من ان يذهب بالبصر ويخطفه لشدة لمعانه كما قال يكاد البرق يخطف ابصارهم (يقلب الله الليل والنهار) اي يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما وإدخال احدهما في الآخر (إن في ذلك) التقليب (لعبرة) أي دلالة (لأولي الأبصار) اي لذوي العقول والبصائر (والله خلق كل دابة) اي كل حيوان يدبّ على وجه الارض ولا يدخل فيه الجن والملائكة (من ماء) اي من نطفة وقيل عني به الماء لأن أصل الخلق من الماء لأن الله خلق الماء وجعل بعضه نارا فخلق الجن منها وبعضه ريحا فخلق منه الملائكة وبعضه طيناً فخلق منه آدم (ع) فأصل الحيوان كلّه الماء ويدل عليه قوله وجعلنا من الماء كل شيء حيّ (فمنهم من يمشي على بطنه) كالحية والحوت والدود (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانس والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالأنعام والوحوش والسباع ولم يذكر ما يمشي على اكثر من اربع لأنه كالذي يمشي على أربع في رأي العين فترك ذكره لأن العبرة تكفي بذكر الأربع قال البلخي ان الفلاسفة تقول كل ما له قوائم كثيرة فإن اعتماده إذا سعى على اربعة قوائم فقط وقال ابو جعفر (ع) ومنهم من يمشي على اكثر من ذلك (يخلق

الله ما يشاء) أي يخترع ما يشاء وينشئه من الحيوان وغيره وقال المبرد قوله كل دابة للناس وغيرهم وإذا اختلط النوعان حمل الكلام على الاغلب فلذلك قال من لغير ما يعقل (ان الله على كل شيء قدير) يخلق هذه الأشياء لقدرته عليها فاختلاف هذه الحيوانات مع اتفاق اصلها يدل على أن لها قادراً خالقاً عالما حكيما (لقد انزلنا آيات مبينات) أي دلالات واضحات بينات (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) أي من جملة تلك الدواب وعنى به المكلفين دون من ليس بمكلف والصراط المستقيم الإيمان لأنه يؤدي إلى الجنة وقيل ان المراد يهدي في الآخرة إلى طريق الجنة

قوله تعالى (٤٧) وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٨) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٩) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٥٠) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥١) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥٢) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ستة آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وقالون عن نافع ويعقوب ويتقهِ بكسر القاف والهاء مكسورة مختلسة غير مشبعة وقرأ أبو عمرو وحمزة في رواية العجلي وخلاد وابو بكر في رواية حماد ويحيى ويَتَّقْهِ بكسر القاف وسكون الهاء وقرأ حفص ويَتَّقْهِ بسكون القاف وكسر الهاء غير مشبعة والباقون يَتَّقِهِ بكسر القاف والهاء مشبعة وروي عن علي (ع) انه قرأ قولُ المؤمنين بالرفع وهو قراءة الحسن بخلاف ابن ابي اسحاق وهو مثل قراءة من قرأ فما كان جوابُ قومه بالرفع وقد ذكرنا الوجه فيه وقرأ ابو جعفر وحده لِيُحْكَمَ بينهم بضم الياء وفتح الكاف في الموضعين وفي البقرة وآل عمران مثل ذلك وقد ذكرناه هناك

الحجة

قال ابو علي الوجه ويتقهي موصولة بياء لأن ما قبل الهاء متحرك ومن قرأ ويَتَّقِهِ لا يبلغ بها الياء فالوجه فيه ان الحركة غير لازمة قبل الهاء ألا ترى ان الفعل إذا رفع دخلته الياء ومن قرأ ويتقه بسكون الهاء فلأن ما يتبع هذه الهاء من الياء والواو زيادة فردَّ إلى الأصل وحذف ما يلحقه من الزيادة ويقوّي ذلك ما حكي عن سيبويه انه سمع من يقول هذه أمة الله في الوصل والوقف وزعم ابو الحسن ان قوله لَهْ أَرِقَانِ(١) ونحوه لغة يجرونها في الوصل مجراها في الوقف فيحذفون منها كما حذفوا في الوقف وحملها سيبويه على الضرورة وأما قراءة حفص ويَتَّقْهِ فوجهه ان تَقِهِ من يتقه مثل كَتِفٍ فكما يسكن نحو كَتْف كذلك تسكن القاف من تَقِهِ وعلى هذا قول الشاعر

عَجِبْتُ لِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ ... وَذِي وَلَدٍ لَمْ يَلْدَهُ أَبَوَانِ(٢)

ومثله « فَبَاتَ مُنْتَصِباً وَمَا تَكْرُدَسا »(٣) فلما اسكن ما قبل الهاء لهذا التشبيه حرك الهاء بالكسر كما حرك الدال بالفتح في لم يلده

اللغة

قال الزجاج الإذعان الإسراع مع الطاعة يقال أذعن لي بحقي أي طاوعني لما كنت ألتمسه منه وصار يسرع

(١) هذا جزء من بيت لرجل من ازد السراة يصف برقاً وتمامه « فظلت لدى البيت الحرام اخيله ☆ ومطواى مشتاقان له ارقان » . وقوله اخيله اى انظر الى مخيلته والهاء عائدة على البرق في بيت قبله . ومطواى اى صاحباى .
(٢) نسب البيت الى عمرو الجنبي وله قصة مع امرىء القيس و روى « الارب مولود وليس له اب . . . . اه » والمراد

اليه وناقة مذعان منقادة والحيف الجور ينقص الحق والفوز أخذ الحظ الجزيل من الخير

النزول

قيل نزلت الآيات في رجل من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود حكومة فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الاشرف وحكي البلخي انه كانت بين علي وعثمان منازعة في ارض اشتراها من علي (ع) فخرجت فيها أحجار وأراد ردّها بالعيب فلم يأخذها فقال بيني وبينك رسول الله ﷺ فقال الحكم بن ابي العاص ان حاكمته إلى ابن عمه يحكم له فلا تحاكمه اليه فنزلت الآيات وهو المروي عن ابي جعفر (ع) أو قريب منه

المعنى

(ويقولون آمنا بالله) أي صدّقنا بتوحيد الله (وبالرسول وأطعنا) هما فيما حكما (ثم يتولى فريق منهم) أي يعرض عن طاعتهما طائفة منهم (من بعد ذلك) أي من بعد قولهم آمنا (وما أولئك) الذين يدعون الإيمان ثم يعرضون عن حكم الله ورسوله (بالمؤمنين) وفي هذه الآية دلالة على ان القول المجرد لا يكون إيمانا إذ لو كان ذلك كذلك لما صح النفي بعد الإثبات (وإذا دعوا إلى الله) أي إلى كتاب الله وحكمه وشريعته (ورسوله) أي وإلى حكم رسوله (ليحكم بينهم) الرسول وانما افرد بعد قوله إلى الله ورسوله لأن حكم الرسول يكون بأمر الله تعالى فحكم الله ورسوله واحد (إذا فريق منهم معرضون) عما يدعون اليه (وان يكن لهم الحق) أي وإن علموا أن الحق يقع لهم (يأتوا اليه) أي إلى النبي ﷺ (مذعنين) مسرعين طائعين منقادين ثم قال سبحانه منكراً عليهم (أفي قلوبهم مرض) أي شكّ في نبوّتك ونفاق وهو استفهام يراد به التقرير لأنه أشدّ في الذمّ والتوبيخ أي هذا أمر قد ظهر حق لا يحتاج فيه إلى البينة كما جاء في نقيضه من المدح على طريق الاستفهام نحو قول جرير

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ (١)

(ام ارتابوا) في عدلك أي رأوا منك ما رابهم لأجله أمرك (أم يخافون أن يحيف الله عليهم) اي يجور الله عليهم (ورسوله) أي ويميل رسوله في الحكم ويظلمهم لأنه لا وجه في الامتناع عن المجيء إلا احد هذه الأوجه الثلاثة ثم أخبر سبحانه انه ليس شيء من ذلك فقال (بل أولئك هم الظالمون) نفوسهم وغيرهم وفي هذه الآية دلالة على ان خوف الحيف من الله تعالى خلاف الدين وإذا كان كذلك فالقطع عليه أولى أن يكون خلافاً للدين ثم وصف سبحانه الصادقين في إيمانهم فقال (انما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) أي سمعنا قول النبي ﷺ وأطعنا أمره وإن كان ذلك فيما يكرهونه ويضرّهم عن ابن عباس ومقاتل وقيل معناه قبلنا هذا القول وانقدنا له واجبنا إلى حكم الله ورسوله (وأولئك هم المفلحون) اي الفائزون بالثواب الظافرون بالمراد وروي عن ابي جعفر (ع) ان المعني بالآية امير المؤمنين عليه افضل الصلوات (ومن يطع الله ورسوله) فيما أمراه ونهيا عنه (ويخش الله) أي ويخش عقاب الله في ترك أوامره وارتكاب نواهيه (ويتقه) أي ويتق عقابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (فأولئك هم الفائزون) وقيل معناه ويخش الله في ذنوبه التي عملها ويتقه فيما بعد

النظم

قيل اتصلت الآية الأولى بقوله ويضرب الله الأمثال للناس ويعود الضمير في قوله ويقولون اليهم وان كان يقع على بعضهم فكأنه قال ويقول جماعة من هؤلاء الناس آمنا عن ابي مسلم وقيل انه لما تقدّم ذكر المؤمن

← من المولود الذي ليس له اب عيسى بن مريم عليه السلام ومن الذي لم يلده ابوان آدم عليه السلام وقيل أراد به القوس لانها تؤخذ من شجرة معينة واحدة وقيل أراد البيضة وهذا البيت مع بيتين بعده من الالفاظ المكرهة في شرح الاشموني ج ٣ : ٣١٤

(٣) التكردس : التجمع والتقبض . (١) الشعر في جامع الشواهد وقدم في الكتاب ايضاً غير مرة .

والكافر عقّبه سبحانه بذكر المنافق

قوله تعالى (٥٣) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٤) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٥) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ثلاث آيات

القراءة

قرأ ابو بكر كما استخلف بضم التاء والباقون بفتح التاء وقرأ ابن كثير وابو بكر ويعقوب وسهل وليُبَدِّلنهم من الابدال والباقون بالتشديد من التبديل

الحجة

قال ابو علي الوجه في كما استخلف بفتح التاء واللام لأن اسم الله قد تقدّم ذكره والضمير في ليستخلفنهم يعود اليه فكذلك في قوله كما استخلف والوجه في استخلف انه يراد به ما يراد باستخلف والتبديل والابدال بمعنى وقيل ان التبديل تغيير حال إلى حال أخرى يقال بدل صورته والابدال رفع الشيء بأن يجعل غير مكانه قال «عزل الامير بالامير المبدل»

الاعراب

وأقسموا بالله جهد ايمانهم اصله واقسموا بالله يجهدون الإيمان جهداً فحذف الفعل واقيم مصدره مضافاً إلى المفعول مقامه كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين ايمانهم طاعة مبتدء وخبره محذوف تقديره طاعة معروفة اولى بكم وأفضل لكم ليستخلفنهم جواب قسم يدل عليه قوله وعد الله لأن وعده سبحانه كالقسم يعبدونني يجوز ان يكون جملة مستأنفة على طريق الثناء عليهم ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال

المعنى

ولمّا بيّن الله سبحانه كراهتهم لحكمه قالوا للنبي ﷺ والله لو امرتنا بالخروج من ديارنا وأموالنا لفعلنا فقال الله سبحانه (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن أمرتهم ليخرجن) اي حلفوا بالله اغلظ ايمانهم وقدر طاقتهم انك ان امرتنا بالخروج في غزواتك لخرجنا (قل) لهم يا محمد (لا تقسموا) اي لا تحلفوا وتمّ الكلام (طاعة معروفة) أي طاعة حسنة للنبي ﷺ خالصة صادقة افضل واحسن من قسمكم بما لا تصدقون به فحذف خبر المبتدأ للعلم به وقيل معناه ليكن منكم طاعة والقول المعروف هو المعروف صحته (ان الله خبير بما تعملون) اي من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل ثم امرهم سبحانه بالطاعة فقال (قل) لهم (اطيعوا الله) فيما امركم به (واطيعوا الرسول) فيما اتاكم به واحذروا المخالفة (فإن تولوا) اي فإن تعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله والأصل تتولوا فحذف أحد التاءين (فإنما عليه) أي على الرسول (ما حمل) أي كلف وامر من التبليغ واداء الرسالة (وعليكم ما حملتم) أي كلفتم من الطاعة والمتابعة (وان تطيعوه) أي وان تطيعوا الرسول (تهتدوا)

إلى الرشد والصلاح وإلى طريق الجنة (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أي ليس عليه إلا اداء الرسالة وبيان الشريعة وليس عليه الاهتداء وإنما ذلك عليكم ونفعه عائد اليكم والمبين البين الواضح (وعد الله الذين آمنوا منكم) أي صدقوا بالله ورسوله وبجميع ما يجب التصديق به (وعملوا الصالحات) أي الطاعات الخالصة لله (ليستخلفنهم في الأرض) أي ليجعلنهم يخلفون من قبلهم والمعنى ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم سكانها وملوكها (كما استخلف الذين من قبلهم) قال مقاتل يعني بني اسرائيل إذ اهلك الله الجبابرة بمصر وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وعن ابي بن كعب قال لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون إلا مع السلاح ولا يصبحون إلا فيه فقالوا ترون انا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله فنزلت هذه الآية وعن المقداد بن الاسود عن رسول الله ﷺ انه قال لا يبقى على الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله تعالى كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل اما ان يعزهم الله فيجعلهم من أهلها واما ان يذلهم فيدينون لها وقيل انه أراد بالارض أرض مكة لأن المهاجرين كانوا يسألون ذلك (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) يعني دين الإسلام الذي أمرهم ان يدينوا به وتمكينه ان يظهره على الدين كله كما قال زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها وقيل تمكينه بإعزاز أهله واذلال أهل الشرك وتمكين اهله من اظهاره بعد ان كانوا يخفونه (وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا) اي وليصيرنهم بعد ان كانوا خائفين بمكة آمنين بقوة الإسلام وانبساطه قال مقاتل وقد فعل الله ذلك بهم وبمن كان بعدهم من هذه الأمة مكّن لهم في الارض وابدلهم امناً من بعد خوف وبسط لهم في الارض فقد أنجز وعده لهم وقيل معناه وليبدلنهم من بعد خوفهم في الدنيا امناً في الآخرة ويعضده ما روي عن النبي ﷺ انه قال حاكيا عن الله سبحانه اني لا اجمع على عبد واحد بين خوفين ولا بين امنين ان خافني في الدنيا امنته في الآخرة وان امنني في الدنيا خوّفته في الآخرة (يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) هذا استئناف كلام في الثناء عليهم ومعناه لا يخافون غيري عن ابن عباس وقيل معناه لا يراؤون بعبادتي احداً وفي الآية دلالة على صحة نبوة نبينا ﷺ من جهة الإخبار عن غيب لا يعلم الا بوحي من الله عزوجل (ومن كفر بعد ذلك) اي بعد هذه النعم (فاولئك هم الفاسقون) ذكر الفسق بعد الكفر مع ان الكفر اعظم من الفسق لأن الفسق في كل شيء هو الخروج إلى اكثره فالمعنى أولئك هم الخارجون إلى أقبح وجوه الكفر وافحشه وقيل معناه من جحد تلك النعمة بعد انعام الله تعالى بها فأولئك هم العاصون لله عن ابن عباس واختلف في الآية فقيل انها واردة في اصحاب النبي ﷺ وقيل هي عامة في أمة محمد ﷺ عن ابن عباس ومجاهد والمروي عن اهل البيت (ع) انها في المهدي من آل محمد ﷺ وروى العياشي باسناده عن علي بن الحسين (ع) انه قرأ الآية وقال هم والله شيعتنا اهل البيت يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منا وهو مهديي هذه الأمة وهو الذي قال رسول الله ﷺ لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي يملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت ظلماً وجوراً وروي مثل ذلك عن ابي جعفر (ع) وابي عبدالله (ع) فعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات النبي واهل بيته صلوات الرحمن عليهم وتضمنت الآية البشارة لهم بالاستخلاف والتمكن في البلاد وارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي (ع) منهم ويكون المراد بقوله كما استخلف الذين من قبلهم هو ان جعل الصالح للخلاف خليفة مثل آدم وداود وسليمان (ع) ويدل على ذلك قوله إني جاعل في الارض خليفة ويا داود انا جعلناك خليفة في الارض وقوله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناه ملكا عظيماً وعلى هذا اجماع العترة الطاهرة واجماعهم حجة لقول النبي ﷺ اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وايضاً فإن التمكين في الارض على الإطلاق

لم يتفق فيما مضى فهو منتظر لأن الله عز اسمه لا يخلف وعده

قوله تعالى (٥٦) وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٧) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوٰيهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ آيتان

القراءة

قرأ ابن عامر وحمزة لا يحسبن بالياء والباقون بالتاء

الحجة

قال ابو علي من قرأ بالياء جاز ان يكون فاعله احد شيئين اما ان يكون تضمن ضميرا للنبي ﷺ أي لا يحسبن النبي الذين كفروا معجزين فالذين في موضع نصب بأنه المفعول الاول ومعجزين المفعول الثاني ويجوز ان يكون فاعل الحسبان الذين كفروا ويكون المفعول الثاني محذوفا وتقديره لايحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين ومن قرأ بالتاء فخاطب تحسبن المخاطب

المعنى

ثم امر سبحانه باقامة امور الدين فقال (واقيموا الصلوة) اي قوموا بأدائها واتمامها في اوقاتها (وآتوا الزكوة) المفروضة (واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) اي لترحموا جزاء على ذلك وتثابوا بالنعم الجزيلة ثم قال (لا تحسبن) يامحمد اوايها السامع (الذين كفروا معجزين) اي سابقين فائتين في الأرض يقال طلبته فأعجزني اي فاتني وسبقني اي لا يفوتوني ومن قرأ بالياء فمعناه لا يظنن الكافرون انهم يفوتونني (ومأويهم النار) اي مستقرهم ومصيرهم النار (ولبئس المصير) اي بئس المستقر والمأوى وإنما وصفها بذلك وإن كانت حكمة وصوابا من فعل الله تعالى لما ينال الصائر اليها من الشدائد والآلام

قوله تعالى (٥٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلٰى بَعْضٍ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠) وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (ثلاث آيات)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير حفص ثلاثَ عورات بالنصب والباقون بالرفع وفي الشواذ عن الأعمش عَوَرات بفتح الواو وقرأ ابو جعفر وابو عبد الله (ع) يضعن من ثيابهن وروي ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير

الحجة

قال ابو علي من رفع كان خبر المبتدأ محذوفا كأنه قال هذا ثلاث عورات فأجمل بعد التفصيل ومن نصب

جعله بدلا من قوله ثلاث مرات فإن قلت إن قوله ثلاث مرات زمان بدلالة انه فسّر بزمان وهو قوله من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء وليس العورات بزمان فكيف يصح وليس هي هو قيل يكون ذلك على ان تضمر الاوقات كأنه قال اوقات ثلاث عورات فلما حذف المضاف اعرب المضاف اليه باعراب المضاف والعَوْرات جمع عورة وحكم ما كان على فَعْلة من الأسماء تحريك العين في الجمع نحو جَفْنة وجَفَنات إلا أن عامة العرب كرهوا تحريك العين فيما كان عينه واواً أو ياء لما كان يلزم من الانقلاب إلى الألف فأسكنوا وقالوا عورات وبيضات إلا أن هذيلا حرّكوا العين منها فقالوا عَوَرات ولَوَزات وانشد بعضهم

أَخُو بَيَضَاتٍ رَائِحٌ مُتَأَوِّبٌ رَفِيقٌ بِمَسْحِ المَنْكِبَيْنِ سَبُوحُ (١)

فحرك الياء من بيضات والجيّد عند النحويين الأول ومن قرأ من ثيابهن فلأنه لا يوضع كل الثياب وإنما يوضع بعضها وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال هو الجلباب إلا ان تكون امة فليس عليها جناح ان تضع خمارها

اللغة

التبرج اظهار المرأة عن محاسنها ما يجب عليها ستره وأصله الظهور ومنه البرج البناء العالي لظهوره

المعنى

لمّا تقدّم احكام النساء والرجال ومن ابيح له الدخول على النساء استثنى سبحانه هاهنا أوقاتا من ذلك فقال (يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت ايمانكم) معناه مُرُوا عبيدكم واماءكم أن يستأذنوا عليكم إذا ارادوا الدخول إلى مواضع خلواتكم عن ابن عباس وقيل أراد العبيد خاصة عن ابن عمر وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) من احراركم وأراد به الصبي الذي يميّز بين العورة وغيرها وقال الجبائي الاستئذان واجب على كل بالغ في كل حال وعلى الأطفال في هذه الأوقات الثلاثة بظاهر الآية ثلاث مرات أي في ثلاثة أوقات من ساعات الليل والنهار ثم فسّرها فقال (من قبل صلاة الفجر) وذلك أن الإنسان ربما يبيت عرياناً أو على حال لا يحبّ ان يراه غيره في تلك الحال (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) يريد عند القائلة (ومن بعد صلاة العشاء) الآخرة حين يأوي الرجل إلى امرأته ويخلو بها امر الله بالاستئذان في هذه الاوقات التي يتخلى الناس فيها وربما كشفوا ثيابهم للجماع فقال (ثلاث عورات لكم) اي هذه الاوقات ثلاث عورات لكم سمى سبحانه هذه الأوقات عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته قال السدي كان اناس من الصحابة يعجبهم أن يواقعوا نساءهم في هذه الأوقات الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا إلى الصلاة فأمرهم الله سبحانه ان يأمروا المماليك والمملوكين ان يستأذنوا في هذه الساعات الثلاث (ليس عليكم) يعني المؤمنين الأحرار (ولا عليهم) يعني الخدم والغلمان (جناح بعدهن) اي حرج في ان لا يستأذنوا في غير هذه الأوقات الثلاثة ثم بيّن المعنى فقال (طوّافون عليكم) اي هم خدمكم فلا يجدون بُدّاً من دخولهم عليكم في غير هذه الاوقات ويتعذّر عليهم الاستئذان في كل وقت كما قال سبحانه ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي يخدمهم وقال النبي ﷺ انها من الطوافين عليكم والطوافات جعل المرة بمنزلة العبيد والاماء وقال مقاتل ينقلبون فيكم ليلا ونهاراً (بعضكم على بعض) اي يطوف بعضكم وهم المماليك على بعض وهم الموالي (كذلك) أي كما بيّن لكم ما تعبدكم به في هذه الآية (يبيّن الله لكم الآيات) اي الدلالات على الاحكام (والله عليم) بما يصلحكم (حكيم) فيما يفعله (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم) يعني من الأحرار (فليستأذنوا) أي في جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) من الاحرار الكبار الذين امروا بالاستئذان على كل حال في الدخول عليكم فالبالغ يستأذن في كل الاوقات والطفل والعبد يستأذن في العورات الثلاث (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) مرّ معناه قال سعيد بن المسيب ليستأذن الرجل على امه فإنما نزلت هذه الآية في

(١) الرائح بمعنى الذاهب . والمتأوب : الراجع . ورفيق بمسح المنكبين اى عالم بتحريكهما كناية عن حسن جريه ومهارته في السير . وسبوح اى حسن الحركة . وفي اللسان «ابو بيضات . . . اه» .

ذلك (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً) وهن المسنات من النساء اللاتي قعدن عن التزويج لانه لا يرغب في تزويجهن وقيل هن اللاتي ارتفع حيضهن وقعدن عن ذلك اللاتي لا يطمعن في النكاح اي لا يطمع في جماعهن لكبرهن (فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن) يعني الجلباب فوق الخمار عن ابن مسعود وسعيد بن جبير وقيل يعني الخمار والرداء عن جابر بن زيد وقيل ما فوق الخمار من المقانع وغيرها ايسح لهن للقعود بين يدي الاجانب في ثياب ابدانهن مكشوفة الوجه واليد فالمراد بالثياب ما ذكرناه لا كل الثياب (غير متبرجات بزينة) اي غير قاصدات بوضع ثيابهن اظهار زينتهن بل يقصدن به التخفيف عن انفسهن فاظهار الزينة في القواعد وغيرهن محظور واما الشابات فلهن يمنعن من وضع الجلباب او الخمار ويؤمرن بلبس اكثف الجلابيب لئلا تصفهن ثيابهن وقد روي عن النبي ﷺ انه قال للزوج ما تحت الدرع وللابن والاخ ما فوق الدرع ولغير ذي محرم اربعة اثواب درع وخمار وجلباب وازار (وان يستعففن) اي واستعفاف القواعد وهو ان يطلبن العفة بلبس الجلابيب (خير لهن) من وضعها وان سقط الحرج عنهن فيه (والله سميع) لاقوالكم (عليم) بما في قلوبكم

قوله تعالى (٦١) لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

الحرَج الضيق مشتق من الحرَجة وهي الشجر الملتف بعضه ببعض لضيق المسالك فيه وجمعها حرَجات وحِراج قال

أَيَا حَرَجَاتَ الْحَيِّ حِينَ تَحَمَّلُوا ... بِذِي سَلَمٍ لَاجَادَكُنَّ رَبِيعُ (١)

وحرج فلان إذا أثم وتحرج من كذا إذا تأثم من فعله والاشتات المتفرقون وهو جمع شت

﴿ الإعراب ﴾

جميعا نصب على الحال وكذلك اشتاتا وتحية منصوب لأنها مصدر سلموا لأن التحية بمعنى التسليم من عند الله صفة تحية

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الاستيذان عقبه سبحانه بذكر رفع الحرج عن المؤمنين في الانبساط بالأكل والشرب فقال (ليس على الأعمى حرج) الذي كف بصره (ولا على الأعرج) الذي يعرج من رجليه او احداهما (حرج ولا على المريض) العليل (حرج) اي إثم واختلف في تأويله على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان المعنى ليس عليكم في مؤاكلتهم حرج لأنهم كانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ان الأعمى لا يبصر فيأكل جيد الطعام دونه والأعرج لا يتمكن من الجلوس والمريض يضعف عن الأكل عن ابن عباس والفراء ﴿ وثانيها ﴾ ان المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح ابوابهم ويقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في

(١) قيل انه يعاتب الطرق التي سارت فيها المحبوبة للفراق .

بيوتنا فكان أولئك يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب فنفى الله سبحانه الحرج عن الزمنى في أكلهم من بيت القاربهم أو من بيت من يدفع اليهم المفتاح إذا خرج للغزو عن سعيد بن المسيب والزهري ﴿وثالثها﴾ ان المعنى ليس على الأعمى والأعرج والمريض ضيق ولا إثم في ترك الجهاد والتخلف عنه ويكون قوله ولا على أنفسكم كلاما مستأنفا فأول الكلام في الجهاد وآخره في الأكل عن ابن زيد والحسن والجبائي ﴿ورابعها﴾ ان العمي والعرج والمرضى كانوا يتنزهون عن مؤاكلة الاصحاء لأن الناس كانوا يتقذرون منهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان أهل المدينة لا يخالطهم في طعام أعمى ولا اعرج ولا مريض عن سعيد بن جبير والضحاك ﴿وخامسها﴾ ان الزمنى والمرضى رخص الله سبحانه لهم في الاكل من بيوت من سماهم في الآية وذلك ان قوما من اصحاب رسول الله ﷺ كانوا إذا لم يكن عندهم ما يطعمونهم ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم وقراباتهم فكان أهل الزمانة يتحرجون من أن يطعموا ذلك الطعام لأنه يطعمهم غير مالكيه عن مجاهد (ولا على أنفسكم) أي وليس عليكم حرج في أنفسكم (ان تأكلوا من بيوتكم) أي بيوت عيالكم وأزواجكم وبيت المرأة كبيت الزوج وقيل معناه من بيوت أولادكم فنسب بيوت الاولاد إلى الآباء لأن الاولاد كسبهم وأموالهم كأموالهم ويدل عليه قوله ﷺ أنت ومالك لابيك وقوله ﷺ إن أطيب ما يأكل المؤمن كسبه وان ولده من كسبه ولذلك لم يذكر الله بيوت الابناء حين ذكر بيوت الآباء والاقارب اكتفاء بهذا الذكر ثم ذكر بيوت الاقارب بعد الاولاد فقال (او بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم) إلى قوله (او بيوت خالاتكم) وهذه الرخصة في أكل مال القرابات وهم لا يعلمون ذلك كالرخصة لمن دخل حائطا وهو جائع أن يصيب من ثمره أو مر في سفره بغنم وهو عطشان أن يشرب من رسله توسعة منه على عباده ولطفا لهم ورغبة بهم عن دناءة الاخلاق وضيق العطن وقال الجبائي ان الآية منسوخة بقوله لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وبقول النبي ﷺ لا يحل مال امرء مسلم إلا بطيبة نفس منه والمروي عن ائمة الهدى صلوات الله عليهم انهم قالوا لا بأس بالاكل لهؤلاء من بيوت من ذكر الله تعالى بغير اذنهم قدر حاجتهم من غير اسراف وقوله (أو ما ملكتم مفاتحه) معناه او بيوت عبيدكم وما ليككم وذلك ان السيد يملك منزل عبده والمفاتح هنا الخزائن لقوله وعنده مفاتح الغيب وقيل هي التي يفتح الغيب بها عن ابن عباس قال عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته فلا بأس عليه أن يأكل من ثمر حائطه ويشرب من لبن ماشيته وقيل إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير عن عكرمة وقيل هو الرجل يولى طعام غيره يقوم عليه فلا بأس أن يأكل منه عن السدي (أو صديقكم) رفع الحرج عن الاكل من بيت صديقه بغير إذن إذا كان عالما بأنه تطيب نفسه بذلك والصديق هو الذي صدقك عن مودته وقيل هو الذي يوافق باطنه باطنك كما وافق ظاهره ظاهرك ولفظ الصديق يقع على الواحد وعلى الجمع قال جرير

دَعَوْنَ الْهَوَى ثُمَّ ارْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا ... بِأَسْهُمِ أَعْدَاءٍ وَهُنَّ صَدِيقُ

وقال الحسن وقتادة يجوز دخول الرجل بيت صديقه والتحرم بطعامه من غير استئذان منه في الاكل وقال ابو عبد الله «ع» لهو والله الرجل يأتي بيت صديقه فيأكل طعامه بغير إذنه وروي ان صديقا للربيع بن خثيم دخل منزله وأكل من طعامه فلما عاد الربيع إلى المنزل اخبرته جاريته بذلك فقال إن كنت صادقة فأنت حرة (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا او اشتاتا) أي مجتمعين او متفرقين وذكر في تأويله وجوه ﴿احدها﴾ ان حيا من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئا وربما كانت معه الابل الحفل (٢) فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فأعلم الله سبحانه ان الرجل منهم إن أكل وحده فلا إثم عليه عن قتادة والضحاك وابن جريج ﴿وثانيها﴾ ان معناه لا بأس بأن يأكل الغني مع الفقير في بيته فإن

(١) الرسل: اللبن. (٢) المتحفيل: ان لا تحلب الناقة اياما ليجتمع اللبن في ضرعها. و حفل جمع حافل الممتلئة الضروع.

الغني كان يدخل على الفقير من ذوي قرابته او صداقته فيدعوه إلى طعامه فيتحرج عن ابن عباس ﴿ وثالثها ﴾ انهم كانوا إذا نزل بهم ضيف تحرجوا ان يأكلوا إلا معه فأباح الله سبحانه الأكل على الانفراد وعلى الاجتماع عن ابي صالح والأقوال متقاربة والأولى الحمل على العموم (فإذا دخلتم بيوتا فسلّموا على أنفسكم) أي ليسلم بعضكم على بعض عن الحسن فيكون كقوله أن اقتلوا أنفسكم وقيل معناه فسلّموا على أهليكم وعيالكم عن جابر وقتادة والزهري والضحاك وقيل معناه فإذا دخلتم بيوتا يعني المساجد فسلّموا على من فيها عن ابن عباس والأولى حمله على العموم وقال ابراهيم إذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال ابو عبد الله «ع» هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل ثم يردّون عليه فهو سلامكم على أنفسكم (تحية من عند الله) أي هذه تحية حيّاكم الله بها عن ابن عباس وقيل معناه علّمها الله وشرعها لكم فإنهم كانوا يقولون عم صباحاً ثم وصف التحية فقال (مباركة طيبة) أي إذا ألزمتموها كثر خيركم وطاب أجركم وقيل مؤبدة حسنة جميلة عن ابن عباس وقيل إنما قال مباركة لأن معنى السلام عليكم حفظكم الله وسلّمكم الله من الآفات فهو دعاء بالسلامة من آفات الدنيا والآخرة وقال طيبة لما فيها من طيب العيش بالتواصل وقيل لما فيها من الأجر الجزيل والثواب العظيم (كذلك) أي كما بيّن لكم هذه الأحكام والآداب (يبيّن الله لكم الآيات) أي الأدلة على جميع ما يتعبّدكم به (لعلكم تعقلون) أي لتعقلوا معالم دينكم

قوله تعالى (٦٢) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٣) لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٤) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (ثلاث آيات)

﴿ اللغة ﴾

التسلل الخروج في خفية يقال تسلل فلان من بين أصحابه إذا خرج من جملتهم والسلة السرقة في الخفية وكذلك الاسلال ومنه الحديث لا اغلال ولا اسلال واللواذ ان يستتر بشيء مخافة من يراه وقيل اللواذ الاعتصام بالشيء بأن يدور معه حيث دار من قولهم لاذ به وقال الزجاج الملاوذة المخالفة هاهنا بدلالة قوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره ويقال خالفه إلى الامر إذا ذهب اليه دونه ومنه قوله وما أريد أن اخالفكم إلى ما انهيكم عنه وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه

﴿ الاعراب ﴾

لواذا مصدر وضع موضع الحال والتقدير يتسللون منكم ملاوذين يخالفون عن امره أي يخالفون الله عن امره بمعنى يجاوزون أمره. ويوم يرجعون يوم منصوب بالعطف على محذوف وهو ظرف زمان والتقدير ما أنتم تثبتون عليه الآن ويوم يرجعون اليه خرج من الخطاب إلى الغيبة

المعنى

لما تقدم ذكر المعاشرة مع الأقرباء والمسلمين بيّن سبحانه في هذه الآية كيفية المعاشرة مع النبي ﷺ فقال (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) أي ليس المؤمنون على الحقيقة إلا الذين صدقوا بتوحيد الله وعدله وأقرّوا بصدق رسوله (وإذا كانوا معه) اي مع رسوله (على امر جامع) وهو الذي يقتضي الإجماع عليه والتعاون فيه من حضور حرب أو مشورة في امر او صلاة جمعة او ما أشبه ذلك (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) أي لم ينصرفوا عن الرسول او عن ذلك الأمر إلا بعد أن يطلبوا الاذن منه في الانصراف (إن الذين يستأذنونك يا محمد (أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) أي فهم الذين يصدقون بالله ورسوله على الحقيقة دون الذين ينصرفون بلا استئذان (فإذا استأذنوك لبعض شأنهم) أي متى ما استأذنك هؤلاء المؤمنون ان يذهبوا لبعض مهماتهم وحاجاتهم (فأذن لمن شئت منهم) خيّر سبحانه نبيّه ﷺ بين أن يأذن وأن لا يأذن وهكذا حكم من قام مقامه من الأئمة (واستغفر لهم الله) اي واطلب المغفرة لهم من الله بخروجهم من جملة من معك واستغفار النبي ﷺ لهم هو دعاؤه لهم باللطف الذي تقع معه المغفرة (ان الله غفور) للمؤمنين أي ساتر لذنوبهم (رحيم) بهم أي منعم عليهم ثم امر سبحانه جميع المكلفين فقال (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) اختلف في تأويله على وجوه ﴿ احدها ﴾ انه سبحانه علّمهم تفخيم النبي ﷺ في المخاطبة واعلمهم فضله فيه على سائر البرية والمعنى لا تقولوا له عند دعائه يا محمد أو يا ابن عبد الله ولكن قولوا يا رسول الله يا نبي الله في لين وتواضع وخفض صوت عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ﴿ وثانيها ﴾ انه نهي عن التعرض لدعاء رسوله عليهم فالمعنى احذروا دعاءه عليكم إذا أسخطتموه فإن دعاءه موجب مجاب بغير شك وليس كدعاء غيره عن ابن عباس في رواية أخرى ﴿ وثالثها ﴾ ان المعنى ليس الذي يأمركم به الرسول ويدعوكم اليه كما يدعو بعضكم بعضاً لأن في القعود عن امره قعوداً عن امر الله تعالى عن ابي مسلم (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) قال ابن عباس هو ان يلوذ بغيره فيهرب وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة فيلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد في استتار من غير استئذان وفيه معنى التهديد بالمجازاة وقال مجاهد كانوا يتسللون في الجهاد رجوعاً عنه وقيل معناه يستترون ويستخفون تقية والتجاء (فليحذر الذين يخالفون عن امره) حذرهم سبحانه عن مخالفة نبيه صلى الله عليه وآله أي فليحذر الذين يعرضون عن امر الله تعالى وإنما دخلت عن لهذا المعنى وقيل عن امر النبي ﷺ (ان تصيبهم فتنة) أي بلية تظهر ما في قلوبهم من النفاق وقيل عقوبة في الدنيا (أو يصيبهم عذاب اليم) في الآخرة وفي هذا دلالة على ان أوامر النبي ﷺ على الإيجاب لأنها لو لم تكن كذلك لما حذر سبحانه عن مخالفته ثم عظم سبحانه نفسه بأن قال (ألا ان لله ما في السماوات والارض) اي له التصرف في جميع ذلك ولا يجوز لأحد الاعتراض عليه ولا مخالفة امره فليس للعبد ان يخالف امر مالكه (قد يعلم ما انتم عليه) من الخيرات والمعاصي ومن الإيمان والنفاق لا يخفى عليه شيء من احوالكم (ويوم يرجعون اليه) يعني يوم البعث يعلمه الله سبحانه متى هو (فينبئهم بما عملوا) من الخير والشر والطاعات والمعاصي (والله بكل شيء) من اعمالهم وغيرها (عليم) معناه يردّون اليه للجزاء فيجازي كلاً على قدر عمله من الثواب والعقاب

(سورة الفرقان)

مكية كلها عن مجاهد وقتادة وقال ابن عباس إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة من قوله والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى قوله غفوراً رحيما

عدد آيها

وهي سبع وسبعون آية بلا خلاف

فضلها

أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة الفرقان بعث يوم القيامة وهو يؤمن أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ودخل الجنة بغير حساب وروى اسحاق بن عمار عن ابي الحسن الرضا«ع» قال يا ابن عمار لا تدع قراءة تبارك الذي نزل الفرقان على عبده فإن من قرأها في كل ليلة لم يعذبه الله ابداً ولم يحاسبه وكان منزلته في الفردوس الأعلى

تفسيرها

اتصلت هذه السورة بسورة النور اتصال النظير بالنظير فإن مختتم تلك السورة تضمن ان لله ما في السماوات والارض وانه بكل شيء عليم ومفتتح هذه السورة ان له ملك السماوات والارض سبحانه من قدير حكيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً (٢) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً (٣) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً (٤) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً (٥) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٦) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (٧) وَقَالُوا مَالِ هٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً (٨) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً (٩) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (١٠) تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُوراً (عشر آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم نأكل منها بالنون والباقون بالياء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر ويجعل لك بالرفع والباقون بالجزم

﴿ الحجة ﴾

من قرأ يأكل منها بالياء فإنه يعني به النبي ﷺ ومن قرأ نأكل منها فكأنه اراد انه تكون له المزية علينا في الفضل بأكلنا من جنته ومن قرأ ويجعل لك بالجزم عطف على موضع جعل لأنه جزاء الشرط قال الشاعر

أَنَى سَلَكْتَ فَإِنَّنِي لَكَ كَاشِحٌ ... وَعَلَى انْتِقَاصِكَ فِي الحَيَاةِ وَازْدَدِ (١)

ومن رفع قطعه مما قبله واستأنف

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج التقدير جاءوا بظلم وزور فلما سقطت الباء افضى الفعل فنصب الفعل واقول انه يجوز جاءوا ظلما بمعنى اتوا ظلما قال طرفة

عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ جِئْتُهُ غَيْرَ أَنَّنِي ... نَشَدْتُ فَلَمْ أُغْفِلْ حُمُولَةَ مَعْبَدِ (٢)

فمعنى جئته فعلته ١٠ كتبها جملة في موضع نصب على الحال من اساطير الاولين وقد مضمرة واساطير خبر مبتدء محذوف ٠ ويأكل الطعام حال والعامل فيه ما تعلق به اللام في قوله ما لهذا الرسول فيكون منصوبا بإضماران ٠ كيف ضربوا كيف في محل النصب على المصدر والتقدير ضرب اي ضربوا لك الامثال ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال من الواو في ضربوا التقدير انظر أمنكرين ضربوا لك الامثال ام لا ٠ ان شاء جعل لك خيراً من ذلك الشرط والجزاء صلة الذي ٠ وجنات بدل من قوله خيرا

﴿ المعنى ﴾

(تبارك) تفاعل من البركة معناه عظمت بركاته وكثرت عن ابن عباس والبركة الكثرة من الخير وقيل معناه تقدّس وجلّ بما لم يزل عليه من الصفات ولا يزال كذلك فلا يشاركه فيها غيره وأصله من بروك الطير فكأنه قال ثبت ودام فيما لم يزل ولا يزال عن جماعة من المفسرين وقيل معناه قام بكل بركة وجاء بكل بركة (الذي نزل الفرقان) اي القرآن الذي يفرّق بين الحق والباطل والثواب والخطأ في امور الدين بما فيه من الحثّ على افعال الخير والزجر عن القبائح والشر (على عبده) محمد ﷺ (ليكون) محمد ﷺ بالقرآن (للعالمين) اي لجميع المكلفين من الانس والجن (نذيراً) اي مخوّفاً بالعقاب وداعياً لهم إلى الرشاد ثم وصف سبحانه نفسه فقال (الذي له ملك السماوات والارض ولم يتخذ ولداً) كما زعمت اليهود والنصارى والمشركون (ولم يكن له شريك في الملك) يشاركه فيما خلق ويمنعه عن مراده (وخلق كل شيء) مما يطلق عليه اسم المخلوق (فقدّره تقديرا) على ما اقتضته الحكمة والتقدير تبيين مقادير الاشياء للعباد فيكون معناه قدر الاشياء بأن كتبها في الكتاب الذى كتبه الملائكة لطفا لهم وقيل خلق كل شيء فقدّر طوله وعرضه ولونه وسائر صفاته ومدة بقائه عن الحسن ثم اخبر سبحانه عن الكفار فقال (واتخذوا من دونه) اى من دون الله (آلهة) من الاصنام والاوثان وجهوا عبادتهم اليها ثم وصف آلهتهم بما ينبئ انها لا تستحق العبادة فقال (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) اى وهي مخلوقة مصنوعة (ولا يملكون لأنفسهم ضرّاً) فيدفعونه عن انفسهم (ولا نفعا) فيجرّونه إلى انفسهم اى لا يقدرون على دفع ضرّ ولا على جرّ نفع (ولا يملكون موتا ولا حياة) اى لا يستطيعون اماتة ولا احياء (ولا نشورا) ولا اعادة بعد الموت يقال انشره الله فنشر فإن جميع ذلك يختصّ الله تعالى بالقدرة عليه والمعنى فكيف يعبدون من لا يقدر على شيء من ذلك ويتركون عبادة ربهم الذى يملك ذلك كله ثم اخبر سبحانه عن تكذيبهم بالقرآن فقال (وقال الذين كفروا إن هذا إلا افك افتراه) اي ماهذا القرآن إلا كذب افتراه محمد ﷺ واختلقه من تلقاء نفسه (واعانه عليه قوم آخرون) قالوا اعان محمداً ﷺ

(١) الكاشح : العدو الذى يضمر العداوة (٢) هذا بيت من معلقته الشهيرة ومعبد هذا اخوه . والحمولة : الابل التى تطيق ان يحمل عليها ولهذا البيت قصة طويلة مذكورة فى هامش المعلقات العشر . وراوية الزوزنى وغيره هكذا «على غير شيء قلته غير اننى ..... اه» وعليها فلا شاهد فيه .

على هذا القرآن عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار غلام العلاء ابن الحضرمي وجبر مولى عامر وكانوا من أهل الكتاب وقيل انهم قالوا أعانه قوم من اليهود عن مجاهد (فقد جاؤوا ظلما وزوراً) أي فقد قالوا شركا وكذباً حين زعموا ان القرآن ليس من الله ومتى قيل كيف اكتفى بهذا القدر في جوابهم قلنا انه لما تقدم التحدي وعجزهم عن الاتيان بمثله اكتفى هاهنا بالتنبيه على ذلك (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها) معناه وقالوا ايضا هذه أحاديث المتقدمين وما سطروه في كتبهم انتسخها وقيل استكتبها (فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) أي تملى عليه طرفي نهاره حتى يحفظها وينسخها والأصيل العشي لأنه أصل الليل وأوله وفي هذا بيان مناقضتهم وكذبهم لأنهم قالوا افتراه ثم قالوا تملى عليه فقد افتراه غيره وقالوا انه كتب وقد علموا انه كان لا يحسن الكتابة فكيف كتب ولم يستكتب ثم قال سبحانه (قل) يا محمد لهم تكذيبا لقولهم (أنزله) أي انزل القرآن (الذي يعلم السر) أي الخفيات (في السماوات والأرض) على ما اقتضاه علمه ببواطن الأمور لا على ما تقتضيه أهواء النفوس والصدور (انه كان غفوراً رحيما) حيث لم يعاجلهم بالعذاب بل أنعم عليهم بإرسال الرسول اليهم لتأكيد الحجة وقطع المعذرة (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام) كما نأكل (ويمشي في الأسواق) في طلب المعاش كما نمشي (لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) أي هلا انزل اليه ملك فيكون معينا له على الإنذار والتخويف وهذا أيضا من مقالاتهم الفاسدة لأن الملك لو كان معينا له على اداء الرسالة ومخوفا من تركها قبولها ولو فعل تعالى ذلك لأدى ذلك الى استصغار كل واحد منهما من حيث انه لم يقم بنفسه في اداء الرسالة ولأن الجنس الى الجنس اميل وبه آنس (أو يلقى اليه كنز) يستغني به عن طلب المعاش قال ابن عباس او ينزل اليه مال من السماء (او تكون له جنة يأكل منها) اي بستان يأكل من ثمارها ومن قرأ بالنون فالمعنى نأكل نحن معه ونتبعه (وقال الظالمون) اي المشركون للمؤمنين(إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) اي ما تتبعون إلا رجلا مخدوعا مغلوبا على عقله وقد سبق تفسير المسحور في بني اسرائيل (أنظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الأمثال) اي الأشباه لأنهم قالوا تارة هو مسحور وتارة هو محتاج متروك حتى تمنوا له المكنز وتارة انه ناقص عن القيام بالأمور (فضلوا) بهذا عن الهدى وعن وجه الصواب وطريق الحق (فلا يستطيعون سبيلا) لإلزامك الحجة من الوجوه المذكورة وقيل معناه لا يستطيعون سبيلا الى ابطال امرك وقيل معناه لا يستطيعون سبيلا إلى الحق مع ردهم الدلائل والحجج واتباعهم التقليد والإلف والعادة (تبارك) أي تقدس (الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك) الذي اقترحوه من الكنز والبستان ثم فسر الذي هو خير مما اقترحوه فقال (جنات تجري من تحتها الأنهار) ليكون ابلغ في الزهو واسرع في نضج الثمار (ويجعل لك قصورا) اي وسيجعل لك قصورا في كل بستان قصرا والقصور البيوت المبنية المشيدة المطولة عن مجاهد وأراد في الآخرة أي سيعطيك الله في الآخرة اكثر مما قالوا وقيل أراد به في الدنيا لأن جبرائيل «ع» عرض عليه ذلك كله فاختار الزهد في الدنيا

قوله تعالى (١١) بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً (١٢) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً (١٣) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً (١٤) لاَ تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً (١٥) قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ

أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيراً (١٦) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُولاً (١٧) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٨) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً (١٩) فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلا نَصْراً وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً (٢٠) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً (عشر آيات)

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن كثير وحفص ويعقوب ويوم يحشرهم بالياء والباقون بالنون وقرأ ابن عامر فنقول بالنون والباقون بالياء وقرأ ابو جعفر وزيد عن يعقوب ان نُتَّخَذ بضم النون وفتح الخاء وهو قراءة زيد بن ثابت وابي الدرداء وروي عن جعفر بن محمد «ع» وزيد بن علي والباقون نَتَّخِذ بفتح النون وكسر الخاء وروى بعضهم عن ابن كثير فقد كذبوكم بما يقولون بالياء والقراءة المشهورة بالتاء وقرأ حفص فما تستطيعون بالتاء والباقون بالياء وروي عن علي «ع» ويُمَشَّون في الأسواق بضم الياء وفتح الشين المشددة

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ يحشرهم بالياء قوله كان على ربك وعدا مسئولا ويوم يحشرهم ربك ومن قرأ نحشرهم بالنون فيقول بالياء فعلى انه افرد بعد ان جمع كما افرد بعد الجمع في قوله وآتينا موسى الكتاب الى قوله ألاّ تتخذوا من دوني وكيلا وقراءة ابن عامر ويوم نحشرهم فنقول حسن لاجرائه المعطوف مجرى المعطوف عليه في لفظ الجمع قال ابن جني من قرأ أن نتخذ بضم النون فإن قوله من اولياء في موضع الحال أي ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك اولياء ودخلت من زائدة لكان النفي تقول اتخذت زيدا وكيلا فإن نفيت قلت ما اتخذت زيدا من وكيل وكذلك اعطيته درهما وما أعطيته من درهم وهذا في المفعول به واما قراءة الجماعة ان نَتَّخِذَ من دونك من اولياء فإن قوله من اولياء في موضع المفعول اي اولياء فهو كقولك ضربت رجلا فإن نفيت قلت ما ضربت من رجل والمعنى في قوله ما كان ينبغي لنا أن نتخذ لسنا ندّعي استحقاق الولاء ولا العبادة لنا والمعنى في قوله فقد كذّبوكم بما تقولون بالتاء كذّبوكم في قولكم انهم شركاء وانهم آلهة وفي قولهم تبرأنا اليك ما كانوا إيانا يعبدون ومن قرأ بما يقولون بالياء فالمعنى فقد كذّبوكم اي ما كنتم تعبدونه بقولهم وقولهم هو نحو ما قالوه في قوله وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون وقوله فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون وقوله فما يستطيعون بالياء معناه فما يستطيع الشركاء صرفا ولا نصرا لكم ومن قرأ بالتاء فمعناه فما تستطيعون انتم ايها المتخذون للشركاء من دونه صرفا ولا نصرا ومن قرأ يُمَشَّون فمعناه يدعون الى المشي ويحملهم حامل على المشي وجاء على فُعِّل لتكثير فعلهم لأنهم جماعة

اللغة

السعير النار الملتهبة مأخوذة من اسعار النار وهو شدة إيقادها اسعرتها اسعارا وسعّرها الله تسعيرا والتغيظ الهيجان والغليان ومنه قيل لشدة الغضب الغيظ ومقرنين مأخوذ من القرن وهو الحبل يشدّ فيه بعيران او أبعرة ثم يستعمل في كل مجتمعين والثبور الهلاك وثبر الرجل فهو مثبور اهلك قال ابن الزبعرى

إِذْ أُجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الغَيِّ ... وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ

ويقال ما ثبرك عن هذا الأمر اي ما صرفك عنه فكان المثبور ممنوع من كل خير حتى هلك والبور الهلكى وهو جمع البائر وقيل هو مصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث قال ابن الزبعري

يَا رَسُولَ المَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي ... رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ

وأصل الباب من بارت السلعة تبور إذا كسدت فلا تشترى فكأنها بقيت وفسدت

الإعراب

مكانا ظرف لألقى. مقرنين نصب على الحال. ثبورا مصدر فعل محذوف تقديره ثبر ثبورا. ودعوا هنا بمعنى قالوا وهنالك يحتمل أن يكون ظرف زمان وان يكون ظرف مكان أي دعوا في ذلك اليوم أو في ذلك المكان. كانت لهم جزاء ومصيرا في موضع نصب على الحال من وعد وقد مضمرة وذو الحال الضمير المحذوف العائد من الصلة الى الموصول. لهم فيها ما يشاؤن جملة أخرى في موضع الحال من قوله المتقون. وما ارسلنا قبلك من المرسلين مفعول ارسلنا محذوف تقديره وما ارسلنا قبلك رسلا ويدل عليه قوله من المرسلين. إلا انهم ليأكلون الطعام ان مع اسمه وخبره مستثنى عن الرسل المحذوفة تقديره وما ارسلنا قبلك رسلا إلا هم يأكلون الطعام وهذا كما يقال ما قدم علينا امير إلا أنه مكرم لي وليست كسرة ان لأجل اللام فإن دخولها وخروجها واحد في هذا الموضع وقيل ما في الآية كقول الشاعر

مَا أَعْطَيَانِي وَلَا سَأَلْتُهُمَا ... إِلَّا وَإِنِّي لَحَاجِزٌ كَرَمِي

المعنى

ثم بيّن سبحانه سوء اعتقادهم وما أعدّه لهم على قبيح فعالهم ومقالهم فقال (بل كذّبوا بالساعة) أي ما كذّبوك لأنك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق بل لأنهم لم يقرّوا بالبعث والنشور والثواب والعقاب (وأعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيرا) اي ناراً تتلظى ثم وصف ذلك السعير فقال (إذا رأتهم من مكان بعيد) اي من مسيرة مائة عام عن السدي والكلبي وقال ابو عبد الله «ع» من مسيرة سنة ونسب الرؤية الى النار وإنما يرونها هم لأن ذلك ابلغ كأنها تراهم رؤية الغضبان الذي يزفر غيظا وذلك قوله (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) وتغيظها تقطعها عند شدة اضطرابها وزفيرها صوتها عند شدة التهابها كالتهاب الرجل المغتاظ والتغيظ لا يسمع وإنما يعلم بدلالة الحال عليه وقيل معناه سمعوا لها صوت تغيظ وغليان قال عبيد بن عمير ان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى نبي ولا ملك إلا خرّ لوجهه وقيل التغيظ للنار والزفير لأهلها كأنه يقول رأوا النار تغيظا وسمعوا لأهلها زفيرا (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا) معناه وإذا ألقوا من النار في مكان ضيق يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح عن اكثر المفسرين وفي الحديث قال «ع» في هذه الآية والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط (مقرنين) اي مصفدين قرنت ايديهم الى اعناقهم في الاغلال وقيل

قرنوا مع الشياطين في السلاسل والأغلال عن الجبائي (دعوا هنالك ثبورا) اي دعوا بالويل والهلاك على انفسهم كما يقول القائل واثبورا اي واهلاكاه وقيل وانصرافاه عن طاعة الله فتجيبهم الملائكة (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) اي لا تدعوا ويلا واحدا وادعوا ويلا كثيرا اي لا ينفعكم هذا وإن كثر منكم قال الزجاج معناه هلاككم اكبر من ان تدعوا مرة واحدة (قل) يا محمد (ذلك) يعني ما ذكره من السعير (خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت) تلك الجنة (لهم جزاء) على اعمالهم (ومصيراً) اي مرجعا ومستقرا (لهم فيها ما يشاؤن) ويشتهون من المنافع واللذات (خالدين) مؤبّدين لا يفنون فيها (كان على ربك وعداً مسئولا) قال ابن عباس معناه ان الله سبحانه وعد لهم الجزاء فسألوه الوفاء فوفى وقيل معناه ان الملائكة سألوا الله تعالى ذلك لهم فأجيبوا الى مسألتهم وذلك قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم عن محمد بن كعب وقيل انهم سألوا الله تعالى في الدنيا الجنة بالدعاء فأجابهم في الآخرة الى ما سألوا واتاهم ما طلبوا (ويوم نحشرهم) اي نجمعهم (وما يعبدون من دون الله) يعني عيسى وعزير والملائكة عن مجاهد وقيل يعني الأصنام عن عكرمة والضحاك (فيقول) الله تعالى لهؤلاء المعبودين (ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل) اي طريق الجنة والنجاة (قالوا) يعني المعبودين من الملائكة والانس او الأصنام إذا أحياهم الله وانطقهم (سبحانك) تنزيها لك عن الشريك وعن ان يكون معبود سواك (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من اولياء) اي ليس لنا ان نوالي اعداءك بل انت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان يجوز لنا وللعابدين وما كان يحقّ لنا أن نأمر احدا بأن يعبدنا ولا يعبدك فإنا لو أمرناهم بذلك لكنّا والياهم ونحن لا نوالي من يكفر بك ومن قرأ نتخذ فمعناه ما كان يحقّ لنا ان نعبد (ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر) معناه ولكن طوّلت اعمارهم واعمار آبائهم ومتعتهم بالأموال والأولاد بعد موت الرسل حتى نسوا الذكر المنزل على الأنبياء وتركوه (وكانوا قوماً بورا) اي هلكى فاسدين هذا تمام الحكاية عن قول المعبودين من دون الله فيقول الله سبحانه عند تبرء المعبودين من عبدتهم (فقد كذبوكم) اي كذّبكم المعبودون ايها المشركون (بما تقولون) اي بقولكم انهم آلهة شركاء لله ومن قرأ بالياء فالمعنى فقد كذّبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا الآية (فما يستطيعون صرفا) اي فما يستطيع المعبودون صرف العذاب عنكم (ولا نصرا) لكم بدفع العذاب عنكم ومن قرأ بالتاء فالمعنى فما تستطيعون ايها المتخذون الشركاء صرف العذاب عن انفسكم ولا ان تنصروا انفسكم بمنعها من العذاب (ومن يظلم منكم) نفسه بالشرك وارتكاب المعاصي (نذقه) في الآخرة (عذابا كبيرا) اي شديداً عظيما ثم رجع سبحانه الى مخاطبة النبي ﷺ فقال (وما ارسلنا قبلك) يا محمد (من المرسلين إلا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) قال الزجاج وهذا احتجاج عليهم في قوله ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق اي فقل لهم كذلك كان من خلا من الرسل فكيف يكون محمد بدعا منهم (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أي امتحانا وابتلاء وهو افتتان الفقير بالغني يقول لو شاء الله لجعلني مثله غنيا والأعمى بالبصير يقول لو شاء الله لجعلني مثله بصيرا وكذلك السقيم بالصحيح عن الحسن وقيل هو ابتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين اتّبعوا محمدا من موالينا ورذالنا فقال الله لهؤلاء الفقراء (أتصبرون) ايها الفقراء على الأذى والاستهزاء (وكان ربك بصيرا) ان صبرتم فاصبروا فأنزل الله فيهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا عن مقاتل

وقيل معناه أتصبرون ايها الفقراء على فقركم ولا تفعلون ما يؤدّي الى مخالفتنا أتصبرون ايها الأغنياء فتشكرون ولا تفعلون ما يؤدّي الى مخالفتنا (وكان ربك بصيرا) اي عليما فيغني من أوجبت الحكمة اغناءه ويفقر من أوجبت الحكمة افقاره وقيل بصيرا بمن يصبر وبمن يجزع عن ابن جريج

قوله تعالى (٢١) وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا (٢٢) يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا (٢٣) وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا (٢٤) أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٥) وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا (٢٦) ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا (٢٧) وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٨) يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٩) لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا (٣٠) وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا (عشر آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة وابو عمرو تشقق خفيفة الشين هاهنا وفي سورة قَ والباقون تشّقق مشددة الشين وقرأ ابن كثير ننزل بنونين خفيفة الملائكة بالنصب والباقون ونزل بنون واحدة وتشديد الزاي وفتح اللام والملائكة بالرفع

﴿ الحجة ﴾

تشقق اصله تتشقق فادغم التاء في الشين والتخفيف اكثر في الكلام لأن الحذف اخفّ عليهم من الإدغام ومن قرأ ونُنزّل الملائكة تنزيلا فإن انزل مثل نزل ومثله في التنزيل وتبتّل اليه تبتيلا فجاء المصدر على فعّل قال الشاعر « وَقَدْ تَطَوَّيْتُ انْطِوَاءَ الحِضْبِ »(١)

﴿ اللغة ﴾

الرجاء ترقب الخير الذي يقوّى في النفس وقوعه ومثله الطمع والأمل واللقاء المصير إلى الشيء من غير حائل والعتو الخروج إلى افحش الظلم واصل الحَجْر الضيق وسمّي الحرام حَجْرا لضيقه بالنهي عنه قال المتلمس

حَنَّتْ إِلَى النَّخْلَةِ القُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا ... حَجْرٌ حَرَامٌ أَلَا تِلْكَ الدَّهَارِيسُ(٢)

ومنه حجر الكعبة لأنه لا يدخل عليه في الطواف وانما يطاف من ورائه لتضييقه بالنهي عنه والحجر العقل لما فيه من التضييق في القبيح والهباء غبار كالشعاع لا يمكن القبض عليه وفلان كناية عن واحد بعينه من الناس لأنه معرفة وقال ابن دريد عن ابي حاتم عن العرب انهم كنوا عن كل مذكر بفلان وعن كل مؤنثة بفلانة فإذا كنوا عن البهائم ادخلوا عليه الألف واللام فقالوا الفلان والفلانة

(١) قائله رؤبة وبعده «بين قتادردمة وشقب» والخضب : ضرب من الحيات . قيل ويجوز ان يكون أراد الوتر لانه من معاني الخضب ايضاً. (٢) فاعل حنت : النوق . والدهاريس بمعنى الدواهي . وهذا البيت من قصيدة له قالها بعدما هجاهو وطرفة عمرو بن هند ملك العراق فقتل طرفة بيد عامله ببحرين وهرب المتلمس الى الشام وبلغه ان

الاعراب

يوم يرون الملائكة العامل في يوم معنى قوله لا بشرى يومئذ للمجرمين فإنه يدل على يحزنون ويومئذ توكيد ليوم يرون ولا يجوز ان يكون يوم يرون منصوبا بلا بشرى لأن ما يتصل بلا لم يعمل فيما قبلها وحجرا منصوب لأنه مفعول ثان لفعل مقدر وهو جعل الله عليكم الجنة حجرا محجورا. اصحاب الجنة يومئذ خير العامل في يومئذ خير. ويوم تشقق العامل فيه محذوف تقديره واذكر يوم تشقق. الملك يومئذ الحق للرحمن يومئذ من صلة الملك الذي هو المصدر والحق صفة له والجار والمجرور الذي هو للرحمن في موضع خبر المبتدأ الذي هو الملك ويجوز ان يكون يومئذ ظرفا وهو بدل من يوم تشقق ويكون العامل فيهما الظرف الذي هو قوله الرحمن وان تقدما عليه. ويوم يعض يجوز أن يكون العامل فيه اذكر ويجوز ان يكون معطوفا على ما قبله. ويقول جملة في موضع الحال. ياليتني المنادى محذوف وتقديره ياصاحبي ليتني. وياويلتا منادى مضاف اصله ياويلتي تعالي فإنه وقتك فابدل من الكسرة فتحة ومن الياء الفالثقل الكسرة والياء وخفة الفتحة والألف

النزول

قال ابن عباس نزل قوله ويوم يعض الظالم في عقبة بن ابي معيط وابيّ بن خلف وكانا متخالين وذلك ان عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما فدعا اليه اشراف قومه وكان يكثر مجالسة الرسول فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاما ودعا الناس فدعا رسول الله ﷺ إلى طعامه فلما قربوا الطعام قال رسول الله ﷺ ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال عقبة اشهد ان لا إله إلا الله واشهد أن محمدا رسول الله وبلغ ذلك ابي بن خلف فقال صبأت ياعقبة قال لا والله ما صبأت ولكن دخل عليّ رجل فأبى ان يطعم من طعامي إلا أن اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ابيّ ما كنت براض عنك ابدا حتى تأتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة وارتدّ وأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه فقال النبي ﷺ لا القاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فضرب عنقه يوم بدر صبراً[1] وأما ابي بن خلف فقتله النبي ﷺ يوم احد بيده في المبارزة وقال الضحاك لما بزق عقبة في وجه رسول الله ﷺ عاد بزاقه في وجهه فأحرق خدّيه وكان اثر ذلك فيه حتى مات وقيل نزلت في كل كافر او ظالم تبع غيره في الكفر أو الظلم وترك متابعة امر الله تعالى وقال ابو عبد الله (ع) ليس رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه آية أو آيتان تقوده إلى جنة أو تسوقه إلى نار تجري فيمن بعده إن خيرا فخيرا وإن شراً فشراً

المعنى

ثم حكى سبحانه عن حال الكفار بقوله (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يأملون لقاء جزائنا وهذا عبارة عن انكارهم البعث والمعاد وقيل معناه لا يخافون فهي لغة تهامة وهذيل يضعون الرجاء موضع الخوف إذا كان معه جحد لأن من رجا شيئا خاف فوته فإنه إذا لم يخف كان يقينا ومن خاف شيئا رجا الخلاص منه فوضع احدهما موضع الآخر (لولا انزل علينا الملائكة) اي هلا انزل الملائكة ليخبرونا بأن محمداً نبيٌّ (أو نرى ربنا) فيخبرنا بذلك ويأمرنا باتباعه وتصديقه قال الجبائي وهذا يدل على انهم كانوا مُجَسِّمة فلذلك جوّزوا الرؤية على الله ثم اقسم الله عزّ اسمه فقال (لقد استكبروا) بهذا القول (في انفسهم)

صبراً يقول لئن وجده بالعراق ليقتلنه وقصتهما طويلة ذكرها في الاغاني ٢١ : ١٢٧ ومعجم البلدان ٧ : ٢٠٨ ومجمع الامثال ١ : ٣٥ وامالي الشريف ١ : ١٨٣ . وغيرها .

(١) يقال للرجل اذا شدت يداه ورجلاه أوامسكه رجل آخر حتى يضرب عنقه قتل صبراً .

أي طلبوا الكبر والتجبر بغير حق (وعتوا) بذلك اي طغوا وعاندوا (عتوا كبيرا) اي طغيانا وعنادا عظيما وتمرّدوا في ردّ امر الله تعالى غاية التمرد ثم اعلم سبحانه ان الوقت الذي يرون فيه الملائكة هو يوم القيامة وان الله تعالى قد حرمهم البشرى في ذلك اليوم فقال (يوم يرون الملائكة) يعني يوم القيامة (لا بشرى يومئذ للمجرمين) اي لا بشارة لهم بالجنة والثواب قال الزجاج والمجرمون الذين اجرموا الذنوب وهم في هذا الموضع الذين اجترموا الكفر بالله عز وجل (ويقولون حجرا محجورا) اي ويقول الملائكة لهم حراماً محرما عليكم سماع البشرى عن قتادة والضحاك وقيل معناه ويقول المجرمون للملائكة كما كانوا يقولون في الدنيا إذا لقوا من يخافون منه القتل حجرا محجورا دماؤنا عن مجاهد وابن جريج قال الخليل كان الرجل يرى الرجل الذي يخاف منه القتل في الجاهلية في الأشهر الحرم فيقول حجرا محجورا اي حرام عليك حرمتي في هذا الشهر فلا يبدأه بشرّ فإذا كان يوم القيامة رأوا الملائكة فقالوا ذلك ظناً منهم انه ينفعهم وقيل معناه يقول الملائكة حراما محرما أن يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله عن عطا عن ابن عباس وقيل يقولون حجرا محجوراً عليكم أن تتعوذوا فلا معاذ لكم (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل) أي قصدنا وعمدنا كما في قول الشاعر

وَقَدِمَ الْخَوَارِجَ الضُّلَّالُ إِلَى عِبَادِ رَبِّهِمْ فَقَالُوا إِنَّ دِمَاءَكُمْ لَنَا حَلَالُ

وفي هذا بلاغة عجيبة لأن التقدير قصدنا اليه قصد القادم على ما يكرهه مما لم يكن رآه قبل فيغيّره وأراد به العمل الذي عمله الكفار في الدنيا مما رجوا به النفع والأجر وطلبوا به الثواب والبرّ نحو انصافهم لمن يعاملهم ونصرهم للمظلوم واعتاقهم وصدقاتهم وما كانوا يتقرّبون به إلى الأصنام (فجعلناه هباء منثوراً) وهو الغبار يدخل الكوة من شعاع الشمس عن الحسن ومجاهد وعكرمة وقيل هو رهج الدواب[1] عن ابن زيد وقيل هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب عن قتادة وسعيد بن جبير وقيل هو الماء المهراق عن ابن عباس والمنثور المتفرق وهذا مثل والمعنى تذهب اعمالهم باطلاً فلم ينتفعوا بها من حيث عملوها لغير الله ثم ذكر سبحانه فضل أهل الجنة على أهل النار فقال (اصحاب الجنة يومئذ) يعني يوم القيامة (خير مستقراً) أي افضل منزلا في الجنة (وأحسن مقيلا) أي موضع قائلة قال الازهري القيلولة عند العرب الاستراحة نصف النهار إذا اشتدّ الحر وان لم يكن مع ذلك نوم والدليل على ذلك ان الجنة لا نوم فيها وقال ابن عباس وابن مسعود لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار قال البلخي معنى خير واحسن هنا انه خير في نفسه وحسن في نفسه لا بمعنى انه أفضل من غيره كما في قوله وهو أهون عليه أي هو هيّن عليه وكما يقال الله اكبر لا بمعنى انه اكبر من شيء غيره (ويوم تشقق السماء بالغمام) عطف على قوله يوم يرون المعنى تتشقق السماء وعليها غمام كما يقال ركب الامير بسلاحه وخرج بثيابه أي وعليه سلاحه وثيابه عن ابي علي الفارسي وقيل تتشقق السماء عن الغمام الأبيض عن الفراء وانما تتشقق السماء لنزول الملائكة وهو قوله (ونزّل الملائكة تنزيلا) وقال ابن عباس تتشقق السماء الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر ممن في الارض من الجن والانس ثم تتشقق السماء الثانية فينزل اهلها وهم اكثر ممن في السماء الدنيا من الانس والجن ثم كذلك حتى تتشقق السماء السابعة واهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها (الملك يومئذ الحق للرحمن) أي الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة ويزول ملك سائر

(١) الرهج : ما اثير من الغبار .

الملوك فيه وقيل ان الملك ثلاثة اضرب ملك عظمة وهو لله تعالى وحده وملك ديانة وهو بتمليك الله تعالى وملك جبرية وهو بالغلبة (وكان يوما على الكافرين عسيرا) أعسر عليهم ذلك اليوم لشدته ومشقته ويهون على المؤمنين كأدنى صلاة صلّوها في دار الدنيا وفي هذا بشارة للمؤمنين حيث خصّ بشدة ذلك اليوم الكافرين (ويوم يعضّ الظالم على يديه) ندما واسفا وقيل هو عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس على ما مضى ذكره عن ابن عباس وقيل هو عام في كل ظالم نادم يوم القيامة وكل خليل يخالّ غيره في غير ذات الله قال عطاء يأكل يديه حتى تذهبا الى المرفقين ثم تنبتان ولا يزال هكذا كلما نبتت يده أكلها ندامة على ما فعل (يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) أي ليتني اتّبعت محمداً ﷺ واتّخذت معه سبيلا الى الهدى (يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا) يعني أبيّا (خليلا) وقيل اراد به الشيطان عن مجاهد وان قلنا ان المراد بالظالم هنا جنس الظلمة فالمراد به كل خليل يضلّ عن الدين ولو قال لما اتخذ فرعون وهامان وابليس وجميع المضلين لطال فقال فلانا حتى يتناول كل خليل مضلّ عن الدين (لقد اضلني) اي صرفني وردّني (عن الذكر) اي عن القرآن والايمان به (بعد اذ جاءني) مع الرسول وتمّ الكلام هنا ثم قال الله (وكان الشيطان للإنسان خذولا) لأنه يتبرأ منه في الآخرة ويسلمه إلى الهلاك ولا يغني عنه شيئا (وقال الرسول) يعني محمدا ﷺ يشكو قومه (يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) يعني هجروا القرآن وهجروني وكذّبوني عن ابن عباس والمعنى جعلوه متروكا لا يسمعونه ولا يتفهمونه وقيل ان قوله وقال الرسول معناه ويقول كما في قول الشاعر

مِثْلُ الْعَصَافِيرِ اَحْلاَماً وَمَقْدُرَةً لَوْ يَوْزَنُونَ بِزِفِّ الرِّيشِ مَا وَزَنُوا (١)

أي ما يزنون

قوله تعالى (٣١) وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفٰى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٣) وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً (٣٤) اَلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولٰئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً (٣٥) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً (٣٦) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً (٣٧) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً (٣٨) وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذٰلِكَ كَثِيراً (٣٩) وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً (٤٠) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً (عشر آيات)

— « القراءة » —

في الشواذ قراءة مسلم بن محارب فَدَمَّرْنَاهُمْ تدميراً على التاكيد بالنون الثقيلة وروي ذلك عن علي (ع)

(١) قائله معنب بن ام صاحب . والزف : صغار الريش قاله في هجاء قوم وحقرهم .

وعنه فدمّرناهم وهذا كأنه امر لموسى وهارون أن يدمّراهم

﴿ اللغة ﴾

العدو المتباعد عن النصرة للبغضة من عدا يعدو إذا باعد خطوه وعدا عليه باعد خطوه للايقاع به وتعدى في فعله إذا ابعد في الخروج عن الحق ومنه عدوتا الوادي لأنهما بعداه ونهايتاه والترتيل التبيين في تثبيت وترسل وثغر رَتَل ورَتْل بفتح التاء وسكونها إذا كان مفلجا لا لصص فيه[1] والتدمير الاهلاك لأمر عجيب ومنه التنكيل يقال دمّر على فلان إذا هجم عليه بالمكروه والرس البئر التي لم تطوَ بحجارة ولاغيرها والتبير الاهلاك والاسم منه التبار ومنه قيل التِبْر لِقِطَع الذهب

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج هاديا ونصيراً منصوب على وجهين ﴿ احدهما ﴾ الحال أي كفى ربك في حال الهدايه والنصر ﴿ والآخر ﴾ ان يكون منصوبا على التمييز أي كفى ربك من الهداة والنصار. جملةً نصب على الحال معناه مجموعا واحسن مجرور بالعطف على الحق. على وجوههم في موضع نصب على الحال وتقديره يحشرون مكبوبين وقوم نوح منصوب بفعل مضمر يفسّره هذا الظاهر تقديره أغرقنا قوم نوح والعامل في لما اغرقناهم وعادا وثمود وما بعد ذلك عطف على الهاء والميم في قوله وجعلناهم ويجوز ان يكون عطفا على معنى واعتدنا للظالمين عذابا ويكون تقديره وَعَدْنا للظالمين بالعذاب ووعدنا عادا وكلا منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره. المعنى وانذرنا كلا ضربنا له الامثال وتبرنا كلا. مطر السوء منصوب لأنه مصدر امطرت تقديره إمطار السوء

﴿ المعنى ﴾

ثم عزّى الله سبحانه نبيّه بقوله (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) أي وكما جعلنالك عدوا من مشركي قومك جعلنا لكل نبي عدوا من كفار قومه عن ابن عباس والمعنى في جعله اياهم عدوا لأنبيائه انه تعالى أمر الأنبياء (ع) ان يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى وترك ما الفوه من دينهم ودين آبائهم وإلى ترك عبادة الأصنام وذمها وكانت هذه اسبابا داعية إلى المداوة فإذا أمرهم بها فقد جعلهم عدوالهم (وكفى بربك هاديا ونصيراً) أي حسبك بالله هاديا إلى الحق وناصرا لأوليائه في الدنيا والآخرة على أعدائهم وقيل هاديا للأنبياء إلى التحرز عن عداوة المجرمين بالاعتصام بحبله (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) معناه وقال الكفار لرسول الله ﷺ هلا أتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة والانجيل والزبور جملة واحدة قال الله تعالى (كذلك) أي نزّلناه كذلك متفرّقا (لنثبت به فؤادك) أي لنقوّي به قلبك فتزداد بصيرة وذلك انه إذا كان يأتيه الوحي متجددا في كل حادثة وكل امر كان ذلك أقوى لقلبه وازيد في بصيرته وقيل انما انزلت الكتب جملة واحدة لأنها نزلت على الانبياء يكتبون ويقرؤون فنزلت عليهم مكتوبة والقرآن انما نزل على نبيّ اميّ لا يكتب ولا يقرأ ولذلك نزل متفرقا وايضا فإن في القرآن الناسخ والمنسوخ وفيه ماهو جواب لمن سأله عن أمور وفيه ما هو انكار لما كان وفيه ما هو حكاية شيء جرى فاقتضت الحكمة انزاله متفرقا (ورتّلناه ترتيلا) أي بيّناه تبيينا ورسّلناه ترسيلا بعضه في اثر بعض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل فصّلناه تفصيلا عن السدي وقيل فرّقناه تفريقا عن النخعي

(١) المفلجة من الاسنان : المنفرجة . واللصص : تقارب الاسنان .

وروي ان النبي ﷺ قال يا ابن عباس إذا قرأت القرآن فرتله ترتيلا قال وما الترتيل قال بينه تبيينا ولا تنثره نثر الدقل ولا تهذه هذ الشعر (١) قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكونن هم احدكم آخر السورة (ولا يأتونك بمثل) أي ولا يأتيك المشركون بمثل يضربونه لك في ابطال أمرك ومخاصمتك (إلا جئناك بالحق) الذي يبطله ويدحضه (وأحسن تفسيرا) أي وبأحسن تفسيرا مما اتوا به من المثل أي بيانا وكشفا (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم) أي يسحبون على وجوههم إلى النار وهم كفار مكة وذلك انهم قالوا لمحمد ﷺ واصحابه هم شر خلق الله فقال الله سبحانه (أولئك شر مكانا) أي منزلا ومصيراً (وأضل سبيلا) أي دينا وطريقا من المؤمنين وروى انس أن رجلا قال يانبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ان الذي أمشاه على رجليه قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة أورده البخاري في الصحيح ثم ذكر سبحانه حديث الأنبياء وأممهم تسلية للنبي فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا) أي معينا يعينه على تبليغ الرسالة ويتحمل عنه بعض اثقاله (فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني فرعون وقومه وفي الكلام حذف أي فذهبا اليهم فلم يقبلوا منهما وجحدوا نبوتهما (فدمرناهم تدميرا) أي اهلكناهم اهلاكا بأمر فيه اعجوبة (وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم) أي وأغرقنا قوم نوح بالطوفان وهو مجيء السماء بماء منهمر وتفجير الارض عيونا حتى التقى الماء على امر قد قدر قال الزجاج من كذب نبيا فقد كذب بجميع الأنبياء (وجعلناهم للناس آية) اي عبرة وعظة (واعتدنا) اي وهيأنا (للظالمين عذابا اليما) سوى ما حل بهم في الدنيا (وعادا وثمود) اي واهلكنا عاداً وثمود (واصحاب الرس) وهو بئر رسوا فيها نبيهم أي القوه فيها عن عكرمة وقيل انهم كانوا اصحاب مواش ولهم بئر يقعدون عليها وكانوا يعبدون الأصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فانهار البئر وانخسفت بهم الأرض فهلكوا عن وهب وقيل الرس قرية باليمامة يقال لها فلج قتلوا نبيهم فأهلكهم الله عن قتادة وقيل كان لهم نبي يسمى حنظلة فقتلوه فأهلكوا عن سعيد بن جبير والكلبي وقيل هم أصحاب رس والرس بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار فنسبوا اليها عن كعب ومقاتل وقيل اصحاب الرس كان نساؤهم سحاقات عن ابي عبد الله (ع) (وقرونا بين ذلك كثيرا) اي واهلكنا ايضا قرونا كثيرا بين عاد واصحاب الرس على تكذيبهم وقيل بين نوح واصحاب الرس والقرن سبعون سنة وقيل اربعون سنة عن ابراهيم (وكلا ضربنا له الأمثال) اي وكلا بينا لهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا عن مقاتل وقيل معناه بينا لهم الأحكام في الدين والدنيا (وكلا تبرنا تتبيرا) اي وكلا اهلكنا اهلاكا على تكذيبهم وجحودهم قال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته (ولقد اتوا) يعني كفار مكة (على القرية التي امطرت مطر السوء) يعني قرية قوم لوط امطروا بالحجارة (أفلم يكونوا يرونها) في أسفارهم إذا مروا بها فيخافوا ويعتبروا (بل كانوا لا يرجون نشورا) يعني بل رأوها وإنما لم يعتبروا بها لأنهم كانوا لا يخافون البعث وقيل لا يأملون ثوابا ولا يؤمنون بالنشأة الثانية فركبوا المعاصي

قوله تعالى (٤١) وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤٢) إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ

(١) الدقل: ردىء التمر ويابسه وماليس له اسم خاص فتراه ليبسه ورداءته لا يجتمع ويكون منثوراً . وا : سرعة القراءة .

أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٣) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٤) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٥) أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (٤٦) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٧) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٨) وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٩) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (٥٠) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (عشر آيات)

القراءة

قرأ البرجمي نَسقيه بفتح النون والباقون نُسقيه بضم النون وفي الشواذ قراءة الأعرج من اتخذ الإلاهة هواه وقراءة ابن السميفع الرياح بشرى

الحجة

قد مضى الفرق بين نَسقي ونُسقى فيما تقدم(١) والالاهة الشمس وقيل أُلْهَة بالضم غير مصروفة وانشد

تَرَوَّحْنَا مِنَ اللَّعْبَاءِ عَصْرًا ... وَاَعْجَلْنَا الْأُلَاهَةَ اَنْ تَؤُبَا(٢)

ويروى واعجلنا الإلاهة ومن قرأ وألهتك فمعناه وعبادتك وقد يجوز أن يكون اراد هذه المعرفة فأضافها اليه لعبادته لها فيكون كقولك ويذرك وشمسك اي والشمس التي تعبدها ومن قرأ بشرى فهو مصدر وضع موضع الحال اي مبشرة كقولهم هلم جرا أي جارا او منجرا ويأتينك سعيا وقد ذكرنا الاختلاف بين القراء فيه وما لهم من الاحتجاج في كل وجه منه في سورة الاعراف وذكرنا اختلافهم في ليذكروا في سورة بني اسرائيل

اللغة

القبض جمع الأجزاء المنبسطة واليسير السهل القريب والبسير ايضا نقيض العسير ويسر الرجل مال من المال ما تيسّر به الأمور عليه وقيل اليد اليسرى لأنه يتيسر بها العمل مع اليمنى وتياسر اخذ في جهة اليد اليسرى والسبات قطع العمل ومنه سَبَتَ رأسه يسبته سبتا إذا حلقه ومنه يوم السبت وهو يوم قطع العمل والنشر خلاف الطيّ واناسي جمع انسان جعلت الياء عوضا من النون وقد قالوا ايضا اناسين وقد يجوز ايضا ان يكون جمع انسي فيكون مثل كرسي و كراسي

الاعراب

اهذا الذي بعث الله رسولا العائد من الصلة إلى الموصول محذوف لطول الكلام اي بعثه الله . رسولا منصوب على الحال من الهاء المحذوفة وان كاد ليضلنا إنْ مخففة واسمه محذوف تقديره انه كاد وهو ضمير الامر والشأن واللام في ليضلنا لام التأكيد التي تقع في خبر إنْ . كيف مدَّ الظل كيف في محل النصب على الحال من الضمير المستكن في مَدَّ والتقدير امبدعا مَدَّ الظل ام لا ويجوز ان يكون في موضع المصدر والتقدير

(١) يعني في سورة النحل فراجع ج٣ : ٣٢٠ من هذه الطبعة . (٢) قيل ان الشمر لمية بنت عتبة وهي ام البنين

اي مد مد الظل وقال الزجاج الاجود ان يكون ألم تر من رؤية القلب ويجوز ان يكون من رؤية العين وبشرا نصب على الحال في الوجوه كلها من الرياح والعامل فيه ارسل. بما خلقنا الجار والمجرور في موضع نصب على الحال

المعنى

ثم حكى سبحانه عن الكفار الذين وصفهم فيما تقدم فقال (وإذا رأوك) اي واذا شاهدوك يا محمد (ان يتخذونك إلا هزوا) اي ما يتخذونك إلا مهزوا به والمعنى انهم يستهزؤون بك ويستصغرونك ويقولون على وجه السخرية (أهذا الذي بعث الله رسولا) اي بعثه الله الينا رسولا (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا) قال ابن عباس معناه لقد كاد يصرفنا عن عبادة آلهتنا وتأويله قد قارب ان يأخذ بنا في غير جهة عبادة آلهتنا على وجه يؤدي إلى هلاكنا فإن الإضلال الأخذ بالشيء إلى طريق الهلاك (لولا ان صبرنا عليها) اي على عبادتها لأزلنا عن ذلك وحذف الجواب لدلالة الكلام عليه فقال سبحانه متوعدا لهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) الذي ينزل بهم في الآخرة عيانا (من اضل سبيلا) أي من أخطأ طريقا عن الهدى أهم أم المؤمنون ثم عجب سبحانه نبيه ﷺ من نهاية جهلهم فقال (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) أي من جعل إلهه ما يهواه وهو غاية الجهل وكان الرجل من المشركين يعبد الحجر والصنم فإذا رأى أحسن منه رمى به واخذ يعبد الآخر عن سعيد بن جبير وقيل معناه أرأيت من ترك عبادة خالقه وإلهه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندك عن عطاء عن ابن عباس وقيل من اطاع هواه واتبعه فهو كالإله له وترك الحق عن القتيبي (أفأنت تكون عليه وكيلا) أي أفأنت كفيل حافظ يحفظه من اتباع هواه وعبادة ما يهواه من دون الله اي لست كذلك وقيل معناه أتقدر انت يا محمد أن تهديه إذا لم يتدبر ولم يتفكر اي لا تقدر على ذلك لأن الوكيل هو الكافي للشيء ولا يكون كذلك الا وهو قادر عليه ثم قال للنبي ﷺ (أم تحسب) يا محمد (ان اكثرهم يسمعون) ما تقوله سماع طالب للافهام (او يعقلون) ما تقوله لهم وتقرأ عليهم وما يعاينونه من المعجزات والحجج اي لا تظن ذلك (ان هم الا كالانعام) اي ما هم إلا كالبهائم التي تسمع النداء ولا تعقل (بل هم اضل سبيلا) من الانعام لأنهم مكنوا من المعرفة فلم يعرفوا والانعام لم يمكنوا منها ولأن الانعام الهمت منافعها ومضارها فهي لا تفعل ما يضرها وهؤلاء عرفوا طريق الهلاك والنجاة وسعوا في هلاك انفسهم وتجنبوا سبيل نجاتهم فهم اضل منها ثم نبه سبحانه على النظر فيما يدل على وحدانيته وكمال قدرته فقال (الم تر) الخطاب للنبي ﷺ والمراد به سائر المكلفين (الى ربك كيف مد الظل) اي ألم تر إلى فعل ربك ثم حذف المضاف عن مقاتل وقيل معناه ألم تعلم فيكون من رؤية القلب عن الزجاج وذكر ان هذا على القلب وتقديره ألم تر الى الظل كيف مده ربك يعني الظل من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس عن ابن عباس والضحاك وسعيد بن جبير وجعله ممدودا لأنه لا شمس معه كما قيل في ظل الجنة ممدودا إذا لم تكن معه الشمس وقال ابو عبيدة الظل ما نسخته الشمس وهو بالغداة والفيء ما نسخ الشمس وهو بعد زوال الشمس وسمي فيئا لأنه فاء من جانب المشرق الى جانب المغرب وقيل مد الظل من وقت غروب الشمس الى وقت طلوعها فيكون الظل بالليل لأنه ظل الارض عن الجبائي والبلخي (ولو شاء لجعله ساكنا) اي مقيما دائما لا يزول ولا تنسخه الشمس يقال فلان يسكن بلد كذا إذا اقام به فهو مثل قوله سبحانه قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة الآية في المعنى وفي

هذا اشارة الى انه قادر على تسكين الشمس حتى يبقى الظل ممدودا بخلاف ما يقوله الفلاسفة (ثم جعلنا الشمس عليه) اي على الظل (دليلا) قال ابن عباس تدل الشمس على الظل بمعنى انه لولا الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة وكل الأشياء تعرف بأضدادها وقيل معناه ثم جعلنا الشمس عليه دليلا بإذهابها إياه عند مجيئها عن ابن زيد وقيل لأن الظل يتبع الشمس في طوله وقصره كما يتبع السائر الدليل فإذا ارتفعت الشمس قصر الظل وإذا انحطت الشمس طال الظل وقيل ان على هنا بمعنى مع فالمعنى ثم جعلنا الشمس مع الظل دليلا على وحدانيتنا (ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا) اي قبضنا الظل بارتفاع الشمس لأن الشمس كلما تعلو ينقص الظل فجعل سبحانه ذلك قبضا واخبر ان ذلك يسير بمعنى انه سهل عليه لا يعجزه قال الكلبي إذا طلعت الشمس قبض الله الظل قبضا خفيا والمعنى ثم جعلنا اجزاء الظل المنبسط بتسليط الشمس عليه حتى ننسخها شيئا فشيئا وقيل معناه ثم قبضنا الظل بغروب الشمس الينا اي الى الموضع الذي حكمنا بكون الظل فيه . قبضا يسيرا اي خفيا وإنما قيل ذلك لأن الظل لا يذهب بغروب الشمس دفعة بل يذهب جزءا فجزءا بحدوث الظلام فكلما حدث جزء من الظلام نقص جزء من الظل (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) اي غطاء ساترا للأشياء بالظلام كاللباس الذي يشتمل على لابسه فالله سبحانه ألبسنا الليل وغشانا به لنسكن ونستريح من كدّ الأعمال كما قال في موضع آخر لتسكنوا فيه (والنوم سباتا) اي راحة لأبدانكم وقطعا لأعمالكم قال الزجاج السبات ان ينقطع عن الحركة والروح في بدنه (وجعل النهار نشورا) لانتشار الروح باليقظة فيه مأخوذ من نشور البعث وقيل لأن الناس ينتشرون فيه لطلب حوائجهم ومعايشهم فيكون النشور هنا بمعنى التفرق لابتغاء الرزق عن ابن عباس (وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) مضى الكلام فيه في سورة الأعراف (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) اي طاهرا في نفسه ومطهرا لغيره مزيلا للأحداث والنجاسات (لنحيي به بلدة ميتا) قد مات بالجدب واراد بالبلدة البلد او المكان فلذلك قال ميتا بالتذكير والمعنى لنحيي بالمطر بلدة ليس فيها نبت قال ابن عباس لنخرج به النبات والثمار (ونسقيه مما خلقنا انعاما) اي ولنسقي من ذلك الماء انعاما جمة او نجعله سقيا لأنعام (وأناسي كثيرا) اي اناسا كثيرة (ولقد صرفناه) اي صرفنا المطر بينهم يدور في جهات الارض وقيل قسمناه بينهم يعني المطر فلا يدوم على مكان فيهلك ولا ينقطع عن مكان فيهلك ويزيد لقوم وينقص لآخرين على حسب المصلحة (ليذكروا) اي ليتفكروا ويستدلوا به على سعة مقدورنا ولأنه لا يستحق العبادة غيرنا (فأبى اكثر الناس إلا كفورا) اي جحودا لما عددناه من النعم وانكارا فيقولون مطرنا بنوء كذا وكذا عن عكرمة وقيل فأبوا إلا كفورا بالبعث والنشور

قوله تعالى (٥١) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً (٥٢) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً (٥٣) وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً (٥٤) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً (٥٥) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً (٥٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً (٥٧) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ

أجراً إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً (٥٨) وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً (٥٩) الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فسئل به خبيراً (٦٠) وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً (عشر آيات)

القراءة

قرأ حمزة والكسائي لما يأمرنا بالياء والباقون بالتاء

الحجة

قال ابو علي من قرأ بالتاء قال انهم تلقوا امر النبي ﷺ اياهم بالرد وزادهم امره اياهم بالسجود نفورا عما امروا به ومن قرأ بالياء فالمعنى أنسجد لما يأمرنا محمد بالسجود على وجه الانكار منهم لذلك ولا يكون أنسجد لما يأمرنا الرحمن بالسجود له لأنهم انكروا الرحمن تعالى بقولهم وما الرحمن واقول إذا جعلت ما بمعنى الذي على ما ذكره فالتقدير أنسجد لما يأمرنا بالسجود له وترتيب الحذف فيه على الوجه الذي تقدّم بيانه في قوله سبحانه فاصدع بما تؤمر فلا وجه لإعادته[1] وان جعلت ما مصدرية فإنك لا تحتاج إلى حذف شيء ويكون تقديره أنسجد لأمرك او لأمره

اللغة

اصل المرج الخلط ومنه امر مريج أي مختلط وفي الحديث مرجت عهودهم أي اختلطت ومرجت الدابة وامرجتها إذا خليتها ترعى وعذب الماء عذوبة فهو عذب والفرات اعذب المياه يقال فرت الماء يفرت فروتة فهو فرات إذا عذب والملح الاجاج الشديد الملوحة والنسب ما يرجع إلى ولادة قريبة والصهر خلطة تشبه النسب القرابة والمصاهرة في النكاح المقاربة وفي الحديث كان يؤسّس مسجدقبا فيصهر الحجر العظيم إلى بطنه اي يدنيه يقال صهره واصهره

الاعراب

هذا عذب فرات مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال و كذلك قوله وهذا ملح اجاج بالعطف عليه وذوالحال احد البحرين ، مبشرا ونذيرا نصب على الحال . من شاء نصب على الاستثناء والمستثنى منه الكاف والميم في اسألكم وان يتخذ في موضع نصب بأنه مفعول شاء . الذي خلق السماوات والارض في موضع جرّ تقديره وتوكّل على الحي الذي لا يموت خالق السماوات والارض ويحتمل ان يكون في موضع نصب او رفع على المدح والثناء على تقدير اعني الذي خلق او هو الذي خلق والرحمن بالرفع القراءة ووردعن بعضهم في الشواذ بالجر ففي الرفع وجوه ﴿ احدها ﴾ الابتداء وخبره فاسأل به عن الزجاج وفيه نظر لأن الفاء إنما يجوز في خبر ما فيه الألف واللام إذا جاز فيه معنى الشرط ولا يصحّ ذلك هنا ﴿ والثاني ﴾ ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو الرحمن ﴿ والثالث ﴾ ان يكون بدلا من الضمير المستكن في استوى ﴿ والرابع ﴾ ان يكون فاعل استوى واما الجر فعلى ان يكون صفة وتقديره وتوكل على الحي الخالق الرحمن ونفورا مفعول ثان لزاد

(١) راجع المجلد الثالث صفحة ٣٤٦ .

﴿ المعنى ﴾

(ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) ينذرهم ولكن بعثناك يا محمد إلى القرى كلها رسولا لعظيم منزلتك لدينا والنذير هو الداعي إلى ما يؤمن معه الخوف من العقاب وقيل انه اخبار عن قدرته سبحانه والمعنى لو شئنا لقسمنا بينهم النذر كما قسمنا الأمطار بينهم ولكنا نفعل ما هو الأصلح لهم والأعود عليهم في دينهم ودنياهم فبعثناك اليهم كافة (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك اليه من المداهنة والاجابة إلى ما يريدون (وجاهدهم) في الله (به) أي بالقرآن عن ابن عباس (جهادا كبيرا) أي تاما شديدا وفي هذا دلالة على ان من أجل الجهاد واعظمه منزلة عند الله سبحانه جهاد المتكلمين في حل شبه المبطلين وأعداء الدين ويمكن أن يتأول عليه قوله رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر (وهو الذي مرج البحرين) أي ارسلهما في مجاريهما وخلاهما كما يرسل الخيل في المرج وهما يلتقيان فلا يختلط الملح بالعذب ولا العذب بالملح وهو قوله (هذا) يعني احد البحرين (عذب فرات) أي طيب شديد الطيب (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة وقيل الفرات البارد والأجاج الحار وقيل الاجاج المُرّ عن قتادة (وجعل بينهما برزخا) اي حجابا وحاجزا من قدرة الله تعالى يمنعها من الاختلاط (وحجرا محجورا) أي حراما محرما ان يفسد الملح العذب (وهو الذي خلق من الماء بشرا) أي خلق من النطفة إنسانا وقيل أراد به آدم «ع» فإنه خلق من التراب الذي خلق من الماء وقيل أراد به أولاد آدم فإنهم المخلوقون من الماء (فجعله نسبا وصهرا) أي فجعله ذا نسب وصهر والصهر حرمة الختونة وقيل النسب الذي لا يحل نكاحه والصهر النسب الذي يحل نكاحه كبنات العم والخال عن الفراء وقيل النسب سبعة اصناف والصهر خمسة ذكرهم الله في قوله حرمت عليكم أمهاتكم عن قتادة والضحاك وقد تقدم بيانه في سورة النساء وقيل النسب البنون والصهر البنات اللاتي يستفيد الانسان بهن الاصهار فكأنه قال فجعل منه البنين والبنات وقال ابن سيرين نزلت في النبي ﷺ وعلي بن ابي طالب زوّج فاطمة «ع» علياً «ع» فهو ابن عمه وزوج ابنته فكان نسباً وصهرا (وكان ربك قديرا) أي قادرا على ما أراد ثم اخبر سبحانه عن الكفار فقال (ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم) من الأصنام والأوثان (وكان الكافر على ربه ظهيرا) الظهير العون والمعين أي معينا للشيطان على ربه بالمعاصي عن الحسن ومجاهد قال الزجاج لأنه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله فإن عبادتهم الأصنام معاونة للشيطان وقيل ظهيرا أي هينا كالمطرح من قولهم ظهر فلان بحاجته إذا جعلها خلف ظهره فلم يلتفت اليها واستهان بها والظهير بمعنى المظهور وهو المتروك المستخف به ومنه قوله واتخذتموه ورائكم ظهريا والأول أوجه وقالوا عنى بالكافر أبا جهل (وما ارسلناك) يا محمد (إلا مبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار وقد سبق معناه قل يا محمد لهؤلاء الكفار (ما أسئلكم عليه) أي على القرآن وتبليغ الوحي (من أجر) تعطونيه (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) بإنفاقه ماله في طاعة الله واتباع مرضاته والمعنى اني لا أسئلكم لنفسي أجرا ولكني لا أمنع من إنفاق المال في طلب مرضاة الله سبحانه بل ارغب فيه وأحث عليه وفي هذا تأكيد لصدقه لأنه لو طلب على تبليغ الرسالة أجراً لقالوا إنما يطلب اموالنا (وتوكل على الحي الذي لا يموت) أي فوض أمورك اليه فإنه ينتقم لك ولو بعد حين فإنه الحي الذي لا يموت فلن يفوته الانتقام (وسبح بحمده) أي احمده منزها له عما لا يجوز عليه في صفاته بأن تقول الحمد لله رب العالمين الحمد لله على نعمه وإحسانه الذي لا يقدر عليه غيره الحمد لله حمداً يكافئ نعمه في عظيم المنزلة وعلو المرتبة وما أشبه ذلك وقيل معناه واعبده وصل له شكرا منك له على نعمه (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) اي عليما فيحاسبهم ويجازيهم بها فحقيق بهم أن يخافوه ويراقبوه (الذي خلق السماوات والارض وما بينهما) أي ما بين هذين الصنفين (في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن) قد سبق تفسيره في سورة الاعراف (فسئل به خبيرا) اختلف في تأويله

فقيل ان المعنى فاسأل عنه خبيرا والباء بمعنى عن والخبير ههنا هو الله تعالى عن ابن جريج وأنشد في قيام الباء مقام عن قول علقمة بن عبدة

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنَّنِي ... خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ
يُرِدْنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ وَجَدْنَهُ ... وَشَرْخُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبُ (١)
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ ... فَلَيْسَ لَهُ فِي وُدِّهِنَّ نَصِيبُ

وقول الأخطل

دَعِ الْمُعَمَّرَ لَا تَسْأَلْ بِمَصْرَعِهِ ... وَاسْأَلْ بِمَصْقَلَةَ الْبَكْرِيِّ مَا فَعَلَا

وقيل ان الخبير هنا محمد ﷺ والمعنى ليسأل كل منكم عن الله تعالى محمداً فإنه الخبير العارف به وقيل ان الباء على أصلها والمعنى فاسأل بسؤالك ايها الانسان خبيرا يخبرك بالحق في صفته ودلّ قوله فاسأل على السؤال كما قالت العرب من كذب كان شرا له أي كان الكذب شراً له ودلّ عليه كذب وقد مرّ ذكر امثاله وقيل ان الباء فيه مثل الباء في قولك لقيت بفلان ليثا إذا وصفت شجاعته ولقيت به غيثا إذا وصفت سماحته والمعنى انك إذا رأيته رأيت الشيء المشبه به والمعنى فاسأله عنه فإنه الخبير به وروي ان اليهود حكوا عن ابتداء خلق الأشياء بخلاف ما اخبر الله تعالى عنه فقال سبحانه فاسأل به خبيرا قال نفطويه أي سلني عنه فإنك تسأل بسؤالك خبيرا (٢) (وإذا قيل لهم) أي لهؤلاء المشركين (اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) اي وأيّ شيء الرحمن والمعنى أنا لا نعرف الرحمن قال الزجاج الرحمن اسم من اسماء الله عزّ اسمه مذكور في الكتب الأولى ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله فقيل لهم انه من اسماء الله ومعناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة لأن فعلان من ابنية المبالغة تقول رجل ريان وعطشان في النهاية من الري والعطش وفرحان وجذلان إذا كان في النهاية من الفرح والجذل (أنسجد لما تأمرنا) مرّ تفسيره (وزادهم نفورا) اي زادهم ذكر الرحمن تباعدا من الايمان عن مقاتل والمعنى انهم ازدادوا عند ذلك نفورا عن الحق وقبول قول النبي ﷺ

النظم

وجه اتصال الآية بما قبلها ان فيها اخبار انه سبحانه افرده بالارسال مراعاة لحسن التدبير في تميزه بالاكرام والإجلال لعلمه بما فيه من الخلال الموجبة في الحكمة إرساله إلى الخلق على غاية الكمال فعلى هذا يتعلق بقوله ولقد صرّفناه بينهم ليذكروا ثم ذكر من التصريف للآيات بقوله وهو الذي مرج البحرين ما يدلّ على وحدانيته وكمال قدرته ثم عجب سبحانه من اعراضهم عن الآيات مع وضوحها وظهورها ومقابلتهم لنعمه بالكفران بقوله ويعبدون من دون الله الآية ثم بيّن انه أراد بتصريف الآيات الخير والإحسان بقوله وما ارسلناك الآية ثم بيّن انه لا يسألهم عليه أجرا لئلا ينفروا عنه ثم بيّن سبحانه انه كما لا يسألهم أجراً انه يتوكل عليه في أمره ويفوّض اليه علم المصالح فيما كلّفه ثم هدّد سبحانه عباده بقوله وكفى به بذنوب عباده خبيرا فإنه إذا لم يذهب عليه ذنوبهم لا يذهب عليه جزاؤهم

قوله تعالى (٦١) تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦٢) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٣) وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٥) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا

(١) الثراء : كثرة المال . وشرخ الشباب : اوله . (٢) [ايای] .

(٦٦) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ
قَوَامًا (٦٨) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٩) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا
(٧٠) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا (عشر آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم سُرُجًا بضمتين من غير الف والباقون سراجا وقرأ حمزة وخلف ان يذكر خفيفا والباقون يذكر بتشديدتين وقرأ اهل المدينة وابن عامر يقتروا بضم الياء وقرأ اهل الكوفة بفتح الياء وضم التاء وقرأ اهل البصرة وابن كثير بفتح الياء وكسر التاء وقرأ ابو جعفر وابن عامر ويعقوب وسهل يضعف له العذاب بالتشديد والجزم ويخلد بالجزم وقرأ ابن عامر يضعف بالتشديد والرفع ويخلد بالرفع وقرأ ابوبكر يضاعف بالالف والرفع ويخلد بالرفع وقرأ نافع وابو عمرو واهل الكوفة إلا ابا بكر يضاعف بالالف والجزم ويخلد بالجزم وقرأ ابن كثير وحفص فيهي مهانا باشباع كسرة الهاء وذلك مذهب ابن كثير في جميع القرآن ووافقه حفص في هذا الموضع فقط وقرأ يبدل الله بسكون الباء البرجمي عن ابي بكر مختلفا عنه والباقون بالتشديد

الحجة

من قرأ سراجا فحجته قوله وجعل فيها سراجا ومن قرأ سرجا فحجته قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح فشبهت الكواكب بالمصابيح كما شبهت المصابيح بالكواكب في قوله الزجاجة كأنها كوكب دري وانما المصباح الزجاجة في المعنى وقد سبق القول في يذكر ويذكر فيما مضى والاقتار خلاف الايسار قال الشاعر

لَكُمْ مَسْجِدَا اللهِ الْمَزُورَانِ وَالْحَصَى ... لَكُمْ قِبْصُهُ مِنْ بَيْنِ اثْرَى وَاقْتَرَا(١)

تقديره من بين رجل اثرى ورجل اقترا فأقام الصفة مقام الموصوف ومثله في التنزيل ومن اهل المدينة مردوا على النفاق قال ابو علي يجوز ان يكون على قبيل مردوا مثل قوله ومن آياته يريكم البرق واما قتر يقتر ويقتر فمثل عكف يعكف ويعكف وعرش يعرش ويعرش فمن ضم الياء اراد لم يقتروا في انفاقهم لأن المسرف مشرف على الاقتار ومن فتح الياء فالمعنى لم يضيقوا في الانفاق ومن قرأ يضاعف بالجزم جعله بدلا من الفعل الذي هو جزاء الشرط وهو قوله يلق اثاما وذلك ان تضعيف العذاب هو لقي جزاء الاثام في المعنى ومثله قول الشاعر

إِنْ يَجْبُنُوا أَوْ يَغْدِرُوا ... أَوْ يَبْخَلُوا لَا يَحْفِلُوا ... يَغْدُو عَلَيْكَ مُرَجَّلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

فغدوهم مرجلين في المعنى ترك الاحتفال وقد ابدل من الشرط كما ابدل من الجزاء وذلك في قول الشاعر

مَتَى تَأْتِنَا تُلْمِمْ بِنَا فِي دِيَارِنَا ... تَجِدْ حَطَبًا جَزْلًا وَنَارًا تَأَجَّجَا(٢)

فأبدل تلمم من تاتنا لأن الالمام اتيان في المعنى قال ابو علي ومثل حذف الجزاء الذي هو مضاف في المعنى في قوله يلق اثاما اي جزاء اثام قوله ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم المعنى من جزاء ما كسبوا وقال ابو عبيدة يلق اثاما اي عقوبة وانشد لمسافع العيشي

جَزَى اللهُ ابْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَى ... عُقُوقًا وَالْعُقُوقُ لَهُ أَثَامُ

قال وابن عروة رجل من ليث كان دلّ عليهم ملكا من غسان فأغار عليهم قال ابو علي ويمكن ان يكون

(١) قائله الكميت . وارادمن قوله «مسجدا الله» مسجدمكة ومسجد المدينة و«الحصى» آرادبه العدد العديد من الاهل والتبع . والقبص بمعنى العدد الكثيرمن الناس والضمير فى قبصه يعود الى الحصى يقال ان بنى فلان لفى قبص الحصى . (٢) الشعرفى جامع الشواهد .

هذا من قول بشر

فَكَانَ مَقَامُنَا نَدْعُو عَلَيْهِم ... بِأَسْفَلِ ذِي الْمَجَازِ لَهُ اثَامُ (١)

ومن رفع يضاعف ويخلد قطعه عما قبله واستأنف واما يضاعف ويضعف فهما في المعنى سواء وكذلك يبدّل ويبدل

﴿ اللغة ﴾

قال ابو عبيدة الخلفة كل شيء بعد شيء الليل خلفة النهار والنهار خلفة الليل لأن احدهما يخلف الآخر قال زهير

بِهَا الْعِينُ وَالْآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً ... وَاَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ (٢)

والهون مصدر الهين في السكينة والوقار والغرام اشد العذاب وهو اللازم المُلِحّ ومنه الغريم لملازمته والحاحه وفلان مغرم بالنساء اي ملازم لهن لا يصبر عنهن قال بشر بن ابي حازم

وَيَوْمَ النِّسَارِ وَيَوْمَ الْجِفَارِ ... كَانَا عَذَاباً وَكَانَا غَرَاماً (٣)

وقال آخر

إِنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَاماً وَإِنْ يُعْـ ... ـطِ جَزِيلاً فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي

﴿ الاعراب ﴾

الذين يمشون خبر المبتدأ الذي هو عباد الرحمن ويجوز ان يكون خبره اولئك يجزون الغرفة ويكون الذين يمشون صفة العباد وهوناً في موضع الحال وسلاما نصب على المصدر بفعل محذوف وتقديره فتسلم منكم سلاما لا نجاهلكم كأنهم قالوا تسلما منكم . ومستقراً ومقاما منصوبان على التمييز والمخصوص بالذم محذوف تقديره ساءت مستقراً جهنم وكان بين ذلك قواما اي كان الانفاق ذا قوام بين الاسراف والاقتار فقوله بين ذلك تبيين لقوام وان شئت علقته بنفس كان وان شئت علقته بخبر كان اي ثابتا بين ذلك فيكون خبرا بعد خبر

﴿ المعنى ﴾

ثم مدح سبحانه نفسه بأن قال (تبارك) وقدمر معناه في اول السورة (الذي جعل في السماء بروجا) يريد منازل النجوم السبعة السيارة التي هي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وهي اثنا عشر برجاً الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وقيل هي النجوم الكبار عن الحسن ومجاهد وقتادة وسميت بروجا لظهورها (وجعل فيها سراجا) يعني الشمس ومن قرأ سُرُجا اراد الشمس والكواكب معها (وقمرا منيرا) اي مضيئا بالليل إذا لم تكن شمس (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) اي يخلف كل واحد منهما صاحبه فيما يحتاج ان يعمل فيه فمن فاته عمل الليل استدركه بالنهار ومن فاته عمل النهار استدركه بالليل وهو قوله لمن اراد أن يذكر عن عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) قال تقضي صلاة النهار بالليل وصلاة الليل بالنهار وقيل معناه انه جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل احدهما اسود والآخر ابيض عن مجاهد (لمن أراد ان يذكر) اي يتفكر ويستدل بذلك على ان لها مدبّراً ومصرّفاً لا يشبهها ولا يشبهانه فيوجّه العبادة اليه (أو أراد شكورا) يقال شكر يشكر شكرا وشكورا أي أراد شكر نعمة ربه عليه فيها وعلى القول الأول قضاه أو اراد النافلة بعد اداء الفريضة (وعباد الرحمن) يريد افاضل عباده وهذه اضافة التخصيص والتشريف كما يقال ابني من يطيعني أي ابني الذي انا عنه راض ويكون توبيخا لأولاده الذين لا يطيعونه (الذين يمشون على الأرض هونا) أي بالسكينة والوقار والطاعة

(١) وفي اللسان «بأبطح ذي المجاز» . وذو المجاز : موضع سوق خلف العرفة بفرسخ كانت تقوم في الجاهلية ثمانية ايام . (٢) هذا بيت من معلقته الشهيرة يصف داراً . وبها العين اى البقر العين فحذف الموصوف . والعين : جمع عيناء : واسعة العين . والآرام جمع ريم : الظبي الابيض و الاطلاء جمع طلا : ولد الظبية . و الجثوم : القعود .
(٣) النسار والجفار : موضعان وقعت فيهما حروب للعرب.

غير اشرين ولا مرحين ولا متكبرين ولا مفسدين عن ابن عباس ومجاهد وقال ابو عبد الله (ع) هو الرجل يمشي بسجيته التي جبل عليها لا يتكلف ولا يتبختر وقيل معناه حلماء علماء لا يجهلون وان جهل عليهم عن الحسن وقيل اعفاء اتقياء عن الضحاك (واذا خاطبهم الجاهلون) بما يكرهونه أو يثقل عليهم (قالوا) في جوابه (سلاما) أي سدادا من القول لا يقابلونهم بمثل قولهم من الفحش عن مجاهد وقيل سلاما أي قولا يسلمون فيه من الاثم أو سلموا عليهم دليله قوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم وقال قتادة كانوا لا يجاهلون اهل الجهل وقال ابن عباس لا يجهلون مع من يجهل قال الحسن هذه صفة نهارهم إذا انتشروا في الناس وليلهم خير ليل إذا خلوا فيما بينهم وبين ربهم يراوحون بين اطرافهم وهو قوله (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) قال الزجاج كل من ادركه الليل فقد بات نام أو لم ينم والمعنى يبيتون لربهم بالليل في الصلاة ساجدين وقائمين طالبين لثواب ربهم فيكونون سُجَّدا في مواضع السجود وقياما في مواضع القيام (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما) أي يدعون بهذا القول وغراما اي لازما مُلِحّا دائما غير مفارق (انها ساءت مستقرا ومقاما) أي إن جهنم بئس موضع قرار واقامة هي (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) واختلف في معنى الاسراف فقيل هو النفقة في المعاصي والاقتار الامساك عن حق الله تعالى عن ابن عباس وقتادة وقيل السرف مجاوزة الحد في النفقة والاقتار التقصير عما لا بدّ منه عن ابراهيم النخعي وروي عن معاذ انه قال سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال من اعطى في غير حق فقد اسرف ومن منع عن حق فقد قتر وروي عن امير المؤمنين عليه افضل الصلاة انه قال ليس في المأكول والمشروب سرف وان كثر (وكان بين ذلك قواما) أي وكان انفاقهم بين الاسراف والاقتار لا اسرافا يدخلون به في حدّ التبذير ولا تضييقا يصيرون به في حدّ المانع لما يجب وهذا هو المحمود والقوام من العيش ما اقامك واغناك وقيل القوام بالفتح هو العدل والاستقامة وبالكسر ما يقوم به الامر ويستقر عن تغلب وقال ابو عبد الله (ع) القوام هو الوسط وقال (ع) اربعة لا يستجاب لهم دعوة رجل فاتح فاه جالس في بيته فيقول يا رب ارزقني فيقول له ألم آمرك بالطلب ورجل كانت له امرأة يدعو عليها يقول يا رب أرحني منها فيقول ألم أجعل امرها بيدك ورجل كان له مال فأفسده فيقول يارب ارزقني فيقول ألم آمرك بالاقتصاد ورجل كان له مال فأدانه بغير بينة فيقول ألم آمرك بالشهادة (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) اي لا يجعلون لله سبحانه شريكا بل يوجهون عبادتهم اليه وحده (ولا يقتلون النفس التي حرّم الله) اي حرّم الله قتلها (إلا بالحق) والنفس المحرم قتلها نفس المسلم والمعاهد والمستأناة قتلها نفس الحربي ومن يجب قتلها على وجه القود والارتداد أو للزنا بعد الاحصان وللسعي في الارض بالفساد (ولا يزنون) والزنا هو الفجور بالمرأة في الفرج وفي هذا دلالة على ان اعظم الذنوب بعد الشرك القتل والزنا وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما بالاسناد عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله ﷺ أيُّ الذنب اعظم قال ان تجعل لله نِدّا وهو خلقك قال قلت ثم اَيٌّ قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال قلت ثم أيٌّ قال ان تزاني حليلة جارك فأنزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله إلها آخر الآية (ومن يفعل ذلك) قال مقاتل هذه الخصال جميعا (يلق أثاما) اي عقوبة وجزاء لما فعل قال الفراء اثمه الله يأثمه اثما واثاما اي جازاه جزاء الإثم وقال الشاعر

وَهَلْ يَأْثِمَنِّي اللهُ فِي اَنْ ذَكَرْتُها ... وَعَلَّلْتُ اَصْحابِي بِها لَيْلَةَ النَّفْرِ(١)

وقيل ان اثاما اسم واد في جهنم عن عبد الله بن عمر وقتادة ومجاهد وعكرمة ثم فسّر سبحانه لقي الاثام بقوله (يضاعف له العذاب يوم القيامة) يريد سبحانه مضاعفة اجزاء العذاب لا مضاعفة الاستحقاق لأنه تعالى لا يجوز ان يعاقب بأكثر من الاستحقاق لأن ذلك ظلم وهو منفي عنه وقيل معناه انه يستحق على كل معصية منها عقوبة فيضاعف عليه العقاب وقيل المضاعفة عذاب الدنيا وعذاب الآخرة عن قتادة (ويخلد فيه مهانا) اي ويدوم في

(١) قائله نصيب بن الاسود . يعني هل يجزيني الله جزاء اثمي بأن ذكرت هذه المرأة في غنائي . وليلة النفر : ليلة الخروج من منى الى مكة .

العذاب مستحقا به وانما قال ذلك لأنه عزّ اسمه قد يوصل الآلام إلى بعض المكلفين لا على وجه الاستخفاف والاهانة فبيّن انه يوصل العقاب اليهم على وجه الاهانة ثم استثنى من جملتهم التائب بقوله (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) قال قتادة إلا من تاب من ذنبه وآمن بربه وعمل عملا صالحا فيما بينه وبين ربه قال والتبديل في الدنيا طاعة الله بعد عصيانه وذكر الله بعد نسيانه والخير يعمله بعد الشر وقيل يبدّلهم الله بقبائح اعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الإسلام بالشرك إيمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل ان معناه ان يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة عن سعيد بن المسيب ومكحول وعمرو بن ميمون واحتجّوا بالحديث الذي رواه مسلم في الصحيح مرفوعا إلى ابي ذر قال قال رسول الله ﷺ يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ونحّوا عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا كذا وكذا كذا وهو مقرٌّ لا ينكر وهو مشفق من الكبائر فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول ان لي ذنوبا ما اراها هاهنا قال ولقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه (وكان الله غفورا) اي ساتراً لمعاصي عباده (رحيما) اي منعما عليهم بالرحمة والفضل

قوله تعالى (٧١) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧٢) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٣) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٥) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٦) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٧) قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (سبع آيات)

القراءة

قرأ ابو عمرو واهل الكوفة غير حفص وذريتنا والباقون ذرياتنا على الجمع وقرأ يلقون بفتح الياء والتخفيف اهل الكوفة غير حفص والباقون يُلَقّون بضم الياء والتشديد وفي قراءة اهل البيت (ع) واجعل لنا من المتقين اماما والقراءة المشهورة واجعلنا للمتقين اماما وفي قراءة ابن عباس وابن الزبير فقد كذب الكافرون

الحجة

قال ابو علي الذرية تكون واحدة وتكون جمعا فمن قرأ وذريتنا على الافراد فإنه اراد به الجمع فاستغنى عن جمعه لما كان جمعا ومن جمع فكما يجمع هذه الأسماء التي تدل على الجمع نحو قوم وأقوام وجاء في الحديث صواحبات يوسف وحجة من قرأ ويُلَقّون قوله ولقّاهم نضرة وسرورا وحجة من خفف فسوف يلقون غيا ومن قرأ قد كذب الكافرون ترك لفظ الحضور إلى الغيبة ألا ترى ان قبله قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم

اللغة

القُرَّة مصدر يقال قرَّت عينه قرة ويكون من القرور وهو برد العين عند السرور ويكون ايضا من استقرارها عند السرور وقوله اماما مصدر من أمّ فلان فلانا اماما كما قيل قام قياما وصام صياما ولذلك وحّده هنا ومن جمع اماما فقال أئمة فلأنه قد كثر في معنى الصفة وقيل انه إنما وحّد لأنه جاء على الجواب كقول القائل من اميركم فيقول المجيب هؤلاء اميرنا قال الشاعر

يَاعَاذِلَاتِي لَا تُرِدْنَ مَلَامَتِي إِنَّ الْعَوَاذِلَ لَسْنَ لِي بِأَمِيرِ(١)

وقيل إنما وحّد لأن المعنى واجعل كل واحد منا اماما كاجعل فالمعنى معنى التفصيل وقال الزجاج تأويل ما يعبؤ بكم اي وزن يكون لكم عنده كما يقال ما عبأت بفلان اي ما كان له عندي وزن ولا قدر وأصل العبء في اللغة الثقل وقيل اصله من تهيئة الشيء يقال عبئت الطيب اعبؤ عبأ إذا هيأته قال الشاعر يصف اسدا

كَأَنَّ بِنَحْرِهِ وَبِمَنْكِبَيْهِ عَبِيرًا، بَاتَ تَعْبَأُهُ عَرُوسُ(٢)

اي تهيئه وعبأت الجيش بالتشديد والتخفيف إذا هيأته وما اعبؤ به اي لا اهيء به امرا

—« المعنى »—

ثم قال سبحانه (ومن تاب) اي اقلع عن معاصيه وندم عليها (وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا) اي يرجع اليه مرجعا عظيما جميلا وفرّق علي بن عيسى بين التوبة إلى الله والتوبة من القبيح لقبحه بأنّ التوبة إلى الله تقتضي طلب ثوابه وليس كذلك التوبة من القبيح لقبحه فعلى هذا يكون المعنى من عزم على التوبة من المعاصي فإنه ينبغي ان يوجّه توبته إلى الله بالقصد إلى طلب جزائه ورضائه عنه فإنه يرجع إلى الله فيكافيه وقيل معناه من تاب وعمل صالحا فقد انقطع إلى الله فاعرفوا ذلك له فإن من انقطع إلى خدمة بعض الملوك فقد احرز شرفا فكيف المنقطع إلى الله سبحانه ثم عاد سبحانه إلى وصف عباده المخلصين فقال (والذين لا يشهدون الزور) اي لا يحضرون مجالس الباطل ويدخل فيه مجالس الغناء والفحش والخناء وقيل الزور الشرك عن الضحاك قال الزجاج الزور في اللغة الكذب ولا كذب فوق الشرك بالله وقيل الزور اعياد اهل الذمة كالسعانين(٣) وغيرها عن محمد بن سيرين وقيل هو الغناء عن مجاهد وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) وقيل يعني شهادة الزور عن علي بن ابي طلحة فيكون المراد انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في السوق واصل الزور تمويه الباطل بما يوهم انه حق (وإذا مروا باللغو مروا كراما) واللغو المعاصي كلها اي مرّوا به مرّ الكرماء الذين لا يرضون باللغو لأنهم يجلون عن الدخول فيه والاختلاط باهله عن الحسن والكلبي والتقدير إذا مرّوا بأهل اللغو وذوي اللغو مرّوا متنزّهين انفسهم معرضين عنهم فلم يجاروهم فيه ولم يخوضوا معهم في ذلك فهذه صفة الكرام يقال تكرم فلان عما يشينه إذا تنزّه واكرم نفسه عنه وقيل مرورهم كراما هو أن يمرّوا بمن يسبّهم فيصفحون عنه وبمن يستعين بهم على حقّ فيعينونه وقيل هم الذين إذا أرادوا ذكر الفرج كنوا عنه عن ابي جعفر (ع) ومجاهد واصل اللغو هو الفعل الذي لا فائدة فيه ولهذا يقال للكلمة التي لا تفيد لغو وليس المراد به القبيح فإن فعل الساهي والنائم لغو وليس بحسن ولا قبيح إلا ما يتعدّى إلى الغير على الخلاف فيه (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صمًّا وعميانا) اي إذا وعظوا بالقرآن والأدلة التي نصبها الله لهم نظروا فيها وتفكّروا في مقتضاها ولم يقعوا عليها صمًّا كأنهم لم يسمعوها وعميانا كأنهم لم يروها لكنهم سمعوها وأبصروها وانتفعوا بها وتدبّروا لها قال الحسن كم من قارئ يقرؤها فخرّ عليها اصم وأعمى وقال الاخفش لم يخرّوا عليها اي لم يقيموا وقال ابن قتيبة لم يتغافلوا عنها كأنهم صمٌّ لم يسمعوها وعمي لم يروها (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين) اي اجعل ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بأن نراهم يطيعون الله عن الحسن وقيل معناه ارزقنا من ازواجنا اولادا ومن ذريتنا أعقابا قرة اعين اي اهل طاعة تقرّ بهم اعيننا في الدنيا بالصلاح وفي الآخرة بالجنة (واجعلنا للمتقين اماما) اي اجعلنا ممن يقتدي بنا المتقون طلبوا العزّ بالتقوى لا بالدنيا وقيل معناه اجعلنا نأتم بمن قبلنا حتى يأتمّ اي يقتدى بنا من بعدنا وعلى هذا فيجوز ان يكون اللام في اللفظ في المتقين وفي المعنى في نا والتقدير واجعل المتقين لنا اماما ومثله قول الشاعر « كَأَنَّا رَعَنْ قُفٍّ يَرْفَعُ الآلَا »(٤) والتقدير يرفعه الآل ثم اخبر سبحانه عن جميع هذه الأوصاف فقال (أولئك يجزون الغرفة) اي يثابون الدرجة الرفيعة في الجنة

(١) الشعر في جامع الشواهد . (٢) العبير : الزعفران . (٣) السعانين : عيد معروف للنصارى قبل عيدهم الكبير باسبوع كما قاله ابن الاثير . (٤) عجز بيت للنابغة . وصدره «حتى لحقنا بهم تعدى فوارسنا» . والرعن : الانف العظيم من الجبل تراه متقدماً . والقف : ما ارتفع من الارض وغلظ . والآل : السراب .

(بما صبروا) على امر ربهم وطاعة نبيهم وعلى مشاق الدنيا وصعوبة التكليف وقيل هي غرف الزبرجد والدر والياقوت عن عطا والغرفة في الاصل بناء فوق بناء وقيل الغرفة اسم لأعلى منازل الجنة وأفضلها كما انها في الدنيا اعلى المساكن (ويلقون فيها تحية وسلاما) اي تتلقاهم الملائكة فيها بالتحية وهي كل قول يسرّ به الإنسان وبالسلام بشارة لهم بعظيم الثواب وقيل التحية الملك العظيم والسلام جميع انواع السلامة وقيل التحية البقاء الدائم وقال الكلبي يُحَيّي بعضهم بعضا بالسلام ويرسل اليهم الرب بالسلام (خالدين) اي مقيمين (فيها) من غير موت ولا زوال (حسنت) الغرفة (مستقرا ومقاما) اي موضع قرار واستقامة (قل) يامحمد (ما يعبؤ بكم ربي) اي ما يصنع بكم ربي من مجاهد وابن زيد وقيل ما يبالي بكم ربي عن ابي عمرو بن العلاء ومالا يعبؤ به فوجوده وعدمه سواء (لولا دعاؤكم) اي لولا دعاؤه اياكم إلى الدين والاسلام عن ابن عباس فيكون المصدر مضافا إلى المفعول والمعنى قل للمشركين ما يفعل بكم ربي اي اي نفع له فيكم واي ضرر يعود اليه من عدمكم واي قدر لكم عند الله حتى يدعوكم إلى الايمان لكن الواجب في الحكمة دعاؤكم إلى الدين وارسال الرسول وقد فعل وقيل معناه لولا عبادتكم له وايمانكم به وتوحيدكم اياه عن الكلبي ومقاتل والزجاج فيكون الدعاء بمعنى العبادة وفي هذا دلالة على ان من لا يعبد الله ولا يطيعه فلا وزن له عند الله وقيل معناه ما يعبؤ بعذابكم ربي لولا دعاء بعضكم بعضا إلى الشرك والشر عن البلخي ودليله ما يفعل الله بعذابكم الآية وقيل معناه لولا دعاؤكم له إذا مسكم ضر أو اصابكم سوء رغبة له وخضوعا له وروى العياشي باسناده عن يزيد بن معاوية العجلي قال قلت لأبي جعفر (ع) كثرة القراءة افضل أم كثرة الدعاء أفضل قال كثرة الدعاء افضل وقرأ هذه الآية فقد كذبتم الخطاب لأهل مكة اي ان الله دعاكم بالرسول إلى توحيده وعبادته (فقد كذبتم) يا معاشر الكفار الرسول (فسوف يكون لزاما) اي فسوف يكون عقابه لتكذيبكم إياه لازما لكم قال صخر الغي

فَإِمّا يَنْجُوا مِنْ حَتْفِ اَرْضي فَقَدْ لَقِيا حُتُوفَهُما لِزاماً (١)

اي انه واقع لا محالة قال الزجاج تأويله فسوف يكون تكذيبكم لزاما يلزمكم فلا تطون التوبة وتلزمكم به العقوبة وقال ابو عبيدة لزاما فيصلا وقيل في تفسير اللزام انه القتل يوم بدر عن ابن مسعود وابي ابن كعب وقيل هو عذاب الآخرة وقال ابو ذؤيب في اللزام

فَفُاجَأَهُ بِعادِيَةٍ لِزامٍ كَما يَتَفَجَّرُ الْحَوْضُ اللَّقِيفُ (٢)

فلزام معناه كثيرة يلزم بعضها بعضا ولقيف متساقط متهدم وبالله التوفيق

سورة الشعراء

مكية كلها غير قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الآيات إلى آخر السورة فإنها نزلت بالمدينة

عدد آيها

مائتان وسبع وعشرون آية كوفي وشامي والمدني الاول وست في الباقين

اختلافها

اربع آيات طسم كوفي فلسوف تعلمون غير الكوفي ما كنتم تعبدون غير البصري وما تنزلت به الشياطين عراقي شامي والمدني الاول

(١) العتف : الموت . (٢) العادية : جماعة القوم يعدون للقتال . يصف كثرة الجيش وشبههابحوض متهدم يتفجر الماء من جوانبه.

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق بنوح (ع) وكذّب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم (ع) وبعدد من كذّب بعيسى (ع) وصدّق بمحمد ﷺ وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ اعطيت سورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه وطواسين من الواح موسى واعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش واعطيت المفصلة نافلة وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ الطواسين الثلاث في ليلة الجمعة كان من اولياء الله وفي جواره وكنفه وأسكنه الله في جنة عدن وسط الجنة مع النبيين والمرسلين والوصيين الراشدين ولم يصبه في الدنيا بؤس أبدا واعطي في الآخرة من الاجر الجنة حتى يرضى وفوق رضاه وزوّجه الله مائة حوراء من الحور العين

﴿ تفسيرها ﴾

ذكر الله سبحانه في مختتم سورة الفرقان تكذيبهم بالكتاب وذكر في مفتتح هذه السورة وصف الكتاب فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) طسم (٢) تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ (٣) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٤) إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٥) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٦) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٨) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (تسع آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير الاعشى والبرجمي وحفص طسم ويس وحم بالامالة والباقون بالفتح والتفخيم وابن كثير اشد فتحا وتفخيما وكذلك عاصم ثم يعقوب والآخرون لا يفتحون فتحا شديدا وقرأ ابو جعفر وحمزة باظهار النون من سين عند الميم والآخرون يدغمون

الحجة

قال ابو علي تبيين النون هو الوجه لأن حروف الهجاء في تقدير الانفصال والانقطاع مما بعدها فإذا كان كذلك وجب تبيين النون لأنها انما تخفى إذا اتصلت بحرف من حروف الفم فإذا لم تتصل بها لم يكن شيء يوجب اخفاءها ووجه اخفائها مع هذه الحروف ان همزة الوصل قد وصلت ولم تقطع وهمزة الوصل انما تذهب في الدرج فلما سقطت همزة الوصل وهي لا تسقط إلا في الدرج مع هذه الحروف في الف لام ميم الله كذلك لا يبين النون ويقدر فيها الاتصال بما قبلها ولا يقدر الانفصال

(الإعراب)

ان لا يكونوا في محل نصب بأنه مفعول له والتقدير لأن لا يكونوا او بأن لا يكونوا ظلت اعناقهم في

موضع جزم عطفا على تنزل ومن ذكر في محل رفع ومن مزيدة وكم في موضع نصب بأنه مفعول انبتنا وانبتنا في موضع نصب على الحال وقد مضمرة والتقدير مثبتا

﴿ المعنى ﴾

(طسم) قد بينا معاني هذه الحروف المقطعة في اول البقرة فلا معنى لإعادته وقال مجاهد والضحاك ان طسم وطس من اسماء القرآن وقال ابن عباس في رواية الوالبي طسم قسم وهو من اسماء الله عز وجل وقال القرظي أقسم الله بطوله وسنائه وملكه وروي عن ابن الحنفية عن علي (ع) عن النبي ﷺ لما نزلت طسم قال الطاء طور سيناء وسين الاسكندرية والميم مكة وقيل الطاء شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد المصطفى ﷺ (تلك آيات الكتاب المبين) اشار بتلك إلى ما ليس بحاضر لكنه متوقع فهو كالحاضر لحضور المعنى في النفس والتقدير تلك الآيات التي وعدتم بها هي آيات الكتاب أي القرآن والمبين الذي يبين الحق من الباطل (لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين) أي لعلك مهلك نفسك وقاتل نفسك بأن لا يكونوا مؤمنين وبأن يقيموا على الكفر إنما قال ذلك سبحانه تسلية لنبيه ﷺ وتخفيفا عنه بعض ما كان يصيبه من الاغتمام لذلك (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) أي دلالة وعلامة تلجئهم وتضطرهم إلى الإيمان (فظلت اعناقهم لها) أي لتلك الآية (خاضعين) منقادين وقيل في ذلك وجوه ﴿ احدها ﴾ ان المراد فظل أصحاب الاعناق لها خاضعين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه لدلالة الكلام عليه ﴿ وثانيها ﴾ انه جعل الفعل اولا للأعناق ثم جعل خاضعين للرجال لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون ﴿ وثالثها ﴾ ان الخضوع مردود إلى المضمر الذي أضيف الاعناق اليه عن الاخفش والمبرد وابي عبيدة وانشدوا قول جرير

أَرَى مَرَّ السِّنِينَ أَخَذْنَ مِنِّي كَمَا أَخَذَ السِّرَارُ مِنَ الْهِلَالِ(١)

﴿ ورابعها ﴾ ان المراد بالاعناق الرؤساء والجماعات يقال جاءني عنق من الناس اي جماعة ﴿ وخامسها ﴾ انه لما وصف الاعناق بصفة ما يعقل نسب اليها ما يكون من العقلاء كما قال الشاعر

تَمَزَّرْتُهَا وَالدِّيكُ يَدْعُو صِيَاحَهُ إِذَا مَا بَنُو نَعْشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا(٢)

وروي نادى صياحه وذكر ابو حمزة الثمالي في هذه الآية انها صوت يسمع من السماء في النصف من شهر رمضان وتخرج له العواتق من البيوت وقال ابن عباس نزلت فينا وفي بني أمية قال سيكون لنا عليهم الدولة فتخضع لنا اعناقهم بعد صعوبتها وتلين (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين) اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انه لا يأتيهم ذكر من الرحمن محدث أي جديد يعني القرآن كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال ان هو إلا ذكر الا اعرضوا عن الذكر ولم يتدبروا فيه (فقد كذبوا فسيأتيهم) فيما بعد يعني يوم القيامة (انباء ما كانوا به يستهزؤون) وهي مفسرة سيفي سورة الانعام (أولم يروا إلى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج) معناه من كل نوع معه قرينه (كريم) اي حسن وقيل نافع محمود مما يحتاج اليه وقيل من كل صنف يكرم على اهله وقيل كريم مما يأكل الناس والانعام عن مجاهد وقال الشعبي الناس نبات الارض كما قال سبحانه والله انبتكم من الارض نباتا فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم (ان في ذلك لآية) أي لدلالة على وحدانيتنا وكمال قدرتنا (وما كان اكثرهم مؤمنين) اي لا يصدقون بذلك ولا يعترفون به عناداً وتقليداً لأسلافهم وهربا من مشقة التكليف قال سيبويه كان هنا مزيدة ومجازه وما اكثرهم مؤمنين (وان ربك) يا محمد (لهو العزيز) اي القادر والذي لا يعجز والغالب الذي لا يغلب (الرحيم) اي المنعم على عباده بأنواع النعم

(١) السرار : آخر الشهر ليلة يستسر الهلال . (٢) مر المبيت بمعناه في صفحة ٤٦ من هذا الجزء .

قوله تعالى (١٠) وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١١) قَوْمَ فِرْعَوْنَ
أَلَا يَتَّقُونَ (١٢) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٣) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي
فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (١٤) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (١٥) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا
مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٦) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٧) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا
بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٨) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٩) وَفَعَلْتَ
فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٢٠) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢١) فَفَرَرْتُ
مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٢) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٤) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٥) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٦) قَالَ
رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٧) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ
(٢٨) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٩) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا
غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٣٠) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (احدى وعشرون آية)

القراءة

قرأ يعقوب ويضيقَ ولا ينطلقَ بالنصب فيهما والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة عبد الله بن مسلم بن يسار وحماد بن سلمة الا تتقون بالتاء وقراءة الشعبي وفَعَلْتَ فِعْلَتَك

الحجة

من قرأ يضيقُ ولا ينطلقُ بالرفع عطف على اخاف ومن قرأ بالنصب عطف على ان يكذبون أي أخاف ان يكذبون وان يضيق صدري ولا ينطلق لساني ومن قرأ الا تتقون بالتاء فهو على اضمار القول أي فقل لهم الا تتقون ومن قرأ فِعلتك بكسر الفاء فهي مثل الرِكْبة والجِلْسة تكون كناية عن الحال التي يكون عليها وقد يكون المصدر على هذه الزنة تقول نشدته بالله نِشْدة

الإعراب

قال الزجاج موضع إذ نصب على معنى واتل عليهم هذه القصة فيما تتلو والدليل عليه قوله عطفا على هذه القصة واتل عليهم نبأ ابراهيم ان ائت القوم الظالمين موضعه نصب بأنه مفعول نادى أي ناداه بهذه الكلمة رسول رب العالمين واحد في معنى الجمع كقوله فإنهم عدوٌّ لي ويجوز ان يكون كل واحد منهما رسولا . ان عبدت بني اسرائيل في موضع رفع لأنه بدل من نعمة تقديره وتلك نعمة تعبيدك بني اسرائيل وتركك اياي غير عبد ويجوز ان يكون في موضع نصب بأنه مفعول له اي انما صارت نعمة لأن عبدت بني اسرائيل والمعنى لولم تفعل ما فعلت لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم فإنما صارت نعمة لما فعلت من البلاء . فماذا تأمرون يجوز ان يكون ما في موضع رفع بالابتداء وذا بمعنى الذي على تقدير فأيُّ شيء الذي تأمرونه ويجوز ان يكون في موضع نصب بأنه مفعول تأمرون ويكون مع ذا بمنزلة اسم واحد وتقديره ايّ شيء تأمرون

المعنى

ثم ذكر سبحانه اقاصيص رسله تسلية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتحريضاً له على الصبر ثقة بنزول النصر وابتدأ بقصة موسى وفرعون فقال (وإذ نادى ربك) اي واذكر يا محمد واتل عليهم الوقت الذي نادى فيه ربك الذي خلقك (موسى ان ائت القوم الظالمين) هذا امر بعد النداء وتقديره قال له يا موسى ان ائت القوم الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي وظلموا بني اسرائيل بأن ساموهم سوء العذاب ثم بيّن القوم الموصوفين بهذه الصفة فقال (قوم فرعون) وهو عطف بيان (الا يتقون) انما قاله بالياء لأنه على الحكاية ومعناه ألا تتقون لهم ان يتقوا ويصرفوا عن انفسهم عقوبة الله بطاعته والتقوى بمجانبة القبائح بفعل المحاسن واصله صرف الأمر بحاجز بين الصارف وبينه (قال) موسى (رب اني اخاف ان يكذبون) بالرسالة ولا يقبلوا مني والخوف انزعاج النفس بتوقيع الضر ونقيضه الامن وهو سكون النفس إلى خلوص النفع (ويضيق صدري) بتكذيبهم اياي (ولا ينطلق لساني) أي لا ينبعث بالكلام للعقدة التي كانت فيه وقد مرّ بيانها وقد ينعذر ذلك لآفة في اللسان وقد يتعذر لضيق الصدر وغروب المعاني التي تطلب للكلام (فأرسل إلى هارون اخي) يعني ليعاونني كما يقال إذا نزلت بنا نازلة أرسلنا اليك أي لتعيننا وانما طلب المعاونة حرصاً على القيام بالطاعة وقال الجبائي لم يسأل موسى (ع) ذلك إلا بعد أن أذن الله له في ذلك لأن الأنبياء لا يسألون الله إلا ما يؤذن لهم في مسألته (ولهم عليّ ذنب) يعني قتل القبطي الذي قتله موسى (ع) أي لهم عليّ دعوى ذنب (فأخاف ان يقتلون) خاف ان يقتلوه بتلك النفس لا لإبلاغ الرسالة فإنه علم ان الله تعالى إذا بعث رسولا تكفل بمعونته على تبليغ رسالته (قال) الله (كلا) وهو زجراي لا يكون ذلك ولن يقتلوك به فإني لا اسلّطهم عليك (فاذهبا) أنت وأخوك وحذف ذكر هارون واجابة موسى إلى ما اقترحه من ارساله معه إلى فرعون لدلالة قوله فاذهبا عليه (بآياتنا) اي بدلالاتنا ومعجزاتنا التي خصصنا كما بها (انا معكم مستمعون) اي نحن نحفظكم ونحن سامعون ما يجري بينكم ومستمع هنا في موضع سامع لأن الاستماع طلب السمع بالاصغاء اليه وذلك لا يجوز عليه سبحانه وانما اتى بهذه اللفظة لأنه أبلغ في الصفة واوكد وهو قوله اني معكما اسمع وأرى وانما قال انا معكم لأنه اجراهما مجرى الجماعة (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) أرسلنا الله اليك لندعوك إلى عبادته وترك الاشراك به ولم يقل رسولا رب العالمين لأن الرسول قد يكون في معنى الجمع قال الهذلي

أَلِكْنِي إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرَّسُو ... لِ أَعْلَمُهُمْ بِنَوَاحِي الْخَبَرِ (١)

أي وخير الرسل وقيل ان الرسول بمعنى الرسالة كما في قوله

لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا بُحْتُ عِنْدَهُمْ ... بِسِرٍّ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ

اي برسالة وقال العباس بن مرداس

أَلَا مِنْ مُبَلِّغٍ عَنِّي خُفَافاً ... رَسُولاً بَيْتُ أَهْلِكَ مُنْتَهَاهَا

فأنث الرسول تأنيث الرسالة وقد يقع المصدر موقع الصفة كما تقع الصفة موقع المصدر فيكون مجازه انا ذوا رسالة رب العالمين (ان ارسل معنا بني اسرائيل) أي امرك الله بأن ارسلهم واطلقهم من الاستعباد وخلّ عنهم وفي الكلام حذف تقديره انهما اتيا فرعون وبلغا الرسالة على ما امرهما الله تعالى به (قال) فرعون لموسى (ألم نربك فينا وليداً) والتربية تنشية الشيء حالا بعد حال معناه ألم تكن فينا صبيا صغيراً فربيناك (ولبثت فينا من عمرك سنين) اي أقمت سنين كثيرة عندنا وهي ثماني عشرة سنة عن ابن عباس وقيل ثلاثين سنة عن مقاتل وقيل اربعين سنة عن الكلبي وانما قال ذلك امتنانا عليه باحسانه اليه وقيل انه اظهر لؤمه حيث ذكر صنائعه

(١) قوله الكني اليها اى كن رسولي وتحمل رسالتي اليه .

(وفعلت فعلتك التي فعلت) يعني قتل القبطي (وأنت من الكافرين) لنعمتنا وحق تربيتنا عن ابن عباس وعطا ومقاتل وقيل معناه وأنت من الكافرين بإلهك إذ كنت معنا على ديننا الذي تعيب وتقول انه كفر عن الحسن والسدي (قال) موسى (فعلتها إذا وأنا من الضالين) أي فعلت هذه الفعلة وأنا من الجاهلين لم اعلم بأنها تبلغ القتل وقيل معناه من الناسين عن ابن زيد وقيل من الضالين عن العلم بأن ذلك يؤدي إلى قتله عن الجبائي وقيل من الضالين عن طريق الصواب لأني ما تعمدته وانما وقع مني خطأ كمن يرمي طائراً فيصيب انساناً وقيل من الضالين عن النبوة أي لم يوح إلي تحريم قتله (ففررت منكم لما خفتكم) اي ذهبت من بينكم حذرا على نفسي إلى مدين لما خفتكم ان تقتلوني بمن قتلته (فوهب لي ربي حكما) اي نبوة وقيل ان الحكم العلم بما تدعو اليه الحكمة وهو الذي وهبه الله تعالى لموسى من التوراة والعلم بالحلال والحرام وسائر الأحكام (وجعلني من المرسلين) أي نبيا من جملة الانبياء (وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل) يقال عبده واعبده إذا اتخذه عبدا وقيل في معناه أقوال ﴿ احدها ﴾ ان فيه اعترافاً بأن تربيته له كانت نعمة منه على موسى وانكارا للنعمة في ترك استعباده ويكون الف التوبيخ مضمراً فيه فكأنه يقول او تلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل ولم تعبدني ﴿ وثانيها ﴾ انه انكار للمنة اصلا ومعناه أتمنّ علي بأن ربيتني مع استعبادك قومي هذه ليست بنعمة يريد ان اتخاذك بني اسرائيل الذين هم قومي عبيداً احبط نعمتك التي تمنّ بها علي ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه انك لو كنت لا تستعبد بني اسرائيل ولا تقتل ابناءهم لكانت امّي مستغنية عن قذفي في اليم فكأنك تمتن علي بما كان بلاؤك سبباً له عن الزجاج وزاد الازهري لهذا بيانا فقال ان فرعون لما قال لموسى «ع» ألم نربك فينا وليداً فاعتد عليه بأن رباه وليداً منذ ولد إلى ان كبر فكان من جواب موسى «ع» له تلك نعمة تعتد بها علي لأنك عبدت بني اسرائيل ولو لم تعبدهم لكفلني أهلي فلم يلقوني في اليم فإنما صارت لك علي نعمة لما اقدمت عليه مما حظره الله عليك ﴿ ورابعها ﴾ ان فيه بيان انه ليس لفرعون عليه نعمة لأن الذي تولى تربيته امه وغيرها من بني اسرائيل بأمر فرعون لما استعبدهم فيكون معناه انك تمنّ علي بأن استعبدت بني اسرائيل حتى ربوني وحفظوني عن الجبائي (قال فرعون وما رب العالمين) أي ايّ جنس رب العالمين الذي تدعوني إلى عبادته (قال) موسى في جوابه (رب السموات والارض) أي مبدعها ومنشئها وخالقها (وما بينهما) من الحيوان والجماد والنبات (ان كنتم موقنين) بأن الرب من كان بهذه الصفة أو موقنين بأن هذه الأشياء محدثة وليست من فعلكم والمحدث لا بدّ له من محدث ولم يشتغل موسى لجواب ما سأله فرعون لأن الله تعالى ليس بذي جنس بل اشتغل ببيان ربوبيته وصفاته وبيان الحجة الدالة عليه من خلقه الذي يعجز المخلوقون عن مثله (قال) فرعون (لمن حوله ألا تستمعون) يريد ألا تستمعون مقالة موسى عن ابن عباس وقيل معناه ألا تصغون اليه وتفهمون ما يقوله معجباً من قوله وانما عجب فرعون من حوله من جوابه لأنه طلب منه أيّ أجناس الأجسام هو جهلاً منه بالتوحيد لأنه لو كان كأحد أجناس الأجسام لكان محدثاً كسائر الأجسام التي هي من جنسه لحلول الحوادث فيه ودلّه موسى على الله بدلالة أفعاله التي بها يجب ان يستدل عليه تعالى فقال فرعون انظروا إلى هذا أسأله عن شيء فيجيب عن غيره فجرى موسى «ع» على عادته في الرفق وتأكيد الحجة وتكريرها (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) وانما ذكره تأييدا لما قبله وتوكيداً له فإن فرعون كان يدّعي الربوبية على اهل عصره دون من قبله فبيّن ان المستحق للربوبية من هو رب اهل كل عصر ومالك تدبيرهم فعند ذلك (قال) فرعون إذ لم يقدر على جواب لكلام موسى «ع» يموه عليهم (ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون) لأني أسأله عن ماهية رب العالمين فيجيبني عن غير ذلك كما يفعل المجنون فعند ذلك لم يشتغل موسى «ع» بالجواب عما نسبه اليه من الجنون ولكن اشتغل بتأكيد الحجة والزيادة في الابانة بأن (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) ذلك وتدبرونه

وقيل ان كنتم تعلمون انه إنما يستحق العبادة من كان بهذه الصفة فلما طال على فرعون الاحتجاج من موسى (قال) مهدداً له (لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين) أي من المحبوسين قالوا وكان إذا سجن أحداً لم يخرجه حتى يموت فلما توعده بالسجن (قال أولو جئتك بشيء مبين) معناه أتسجنني ولو جئتك بأمر ظاهر تعرف به صدقي وكذبك وحجة ظاهرة تدل على نبوتي

قوله تعالى (٣١) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣٣) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٤) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٥) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٦) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٧) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٨) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٩) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٤٠) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤٢) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٣) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٤٤) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٥) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٦) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٧) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٨) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٩) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٥٠) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (عشرون آية)

المعنى

(قال) فرعون لموسى (فأت به ان كنت من الصادقين) أي هات ما ادّعيت من المعجزات ان كنت صادقاً (فألقى) حينئذ موسى (عصاه فإذا هي ثعبان) أي حيّة عظيمة وقيل الثعبان الذكر من الحيات (مبين) ثعبان لاشبهة فيه (ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) أي واخرج يده من كمه أو جيبه على ما روي فإذا هي بيضاء بياضاً نورياً كالشمس في اشراقها للناظرين اليها (قال) فرعون (للملأ) الاشراف من قومه (حوله إن هذا) يعني موسى (لساحر عليم) بالسحر والحيل (يريد ان يخرجكم من ارضكم) وديارهم ويتغلب عليها (بسحره فماذا تأمرون) في بابه وانما شاور قومه في ذلك مع انه كان يقول لهم انه إله لأنه يجوز ان يكون ذهب عليه وعلى قومه ان الإله لايجوز ان يشاور غيره كما ذهب عليهم ان الإله لايجوز ان يكون جسماً محتاجاً فاعتقدوا إلهيته مع ظهور حاجته (قالوا ارجه واخاه) قد مرّ تفسيره واختلاف القراء فيه في سورة الاعراف (وابعث في المدائن حاشرين) يحشرون الناس من جميع البلدان (يأتوك بكل سحار عليم) وفي الكلام حذف تقديره انه انفذ الحاشرين في البلدان فحشروهم (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) أي لوقت يوم بعينه اختاروه وعيّنوه وهو يوم عيدهم يوم الزينة (وقيل للناس) أي لأهل مصر (هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لموسى واخيه (فلما جاء السحرة) وحضروا بين يدي فرعون (قالوا) له (أئن لنا لأجراً ان كنا نحن الغالبين) أي هل لنا اجرة وجزاء على غلبتنا اياه ان نحن غلبناه (قال) فرعون (نعم)

لكم على ذلك الأجر الجزيل (وانكم) مع ما تعطون من الجزاء ؛ الأجر (إذا لمن المقربين) والمقرب المدني من مجلس الكرامة (قال لهم) اي للسحرة (موسى القوا ما انتم ملقون) هذا بصورة الأمر والمراد به التحدي (فألقوا حبالهم وعصيهم) أي طرحوا ما كان معهم من الحبال والعصي (وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) والعزة القوة التي يمتنع بها من لحاق ضيم لعلو منزلتها وهذا القول قَسَمٌ منهم وإن كان غير مبرور (فألقى) عند ذلك (موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون) اي ان العصا تتناول جميع ماموّهوا به في اوجز مدة من الزمان (فالقي السحرة ساجدين) لما بهرهم ما أظهره موسى «ع» من قلب العصا حية وتلقفها جميع ما اتعبوا به نفوسهم فيه وعلموا ان ذلك من عند الله إذ أحد من البشر لا يقدر عليه (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) فعند ذلك (قال) فرعون مهدداً لهم (آمنتم) اي صدقتم له فيما يدعو اليه (قبل ان آذن لكم) اي انا في تصديقه (انه لكبيركم) اي استاذكم وعالمكم (الذي علّمكم السحر فلسوف تعلمون) فيما بعد ما أفعله بكم عقوبة لكم على تصديقكم إياه ثم فسّر ذلك بقوله (لأقطعن ايديكم وأرجلكم من خلاف) يعني قطع اليد من جانب والرجل من الجانب الآخر كقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولأصلبنكم اجمعين) مع ذلك على الجذوع ولا اترك أحداً منكم لا تناله عقوبتي (قالوا) في جوابه عن ذلك (لا ضير) اي لا ضرر علينا فيما تفعله يقال ضاره يضيره ضيرا وضرّه يضرّه ضرراً (إنا إلى ربنا منقلبون) أي إلى ثواب ربنا راجعون فيجازينا على ايماننا وصبرنا بالنعيم الدائم الذي لا ينقضي ولا يضرّنا قطعك وصلبك فإنه ألم ساعة عن قريب ينقضي قال الحسن لم يصل فرعون إلى قتل واحد منهم ولا قطعه وقيل ان اول من قطع الأيدي والارجل فرعون

قوله تعالى (٥١) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا إِنَّا كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥٢) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٥٣) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٤) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٥) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٦) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٧) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٨) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٩) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٦٠) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦١) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦٢) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٣) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٤) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٥) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٦) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (ثماني عشرة آية)

القراءة

قرأ ابن عامر واهل الكوفة حاذرون بالالف والباقون بغير الف وقرأ فاتبعوهم موصولة الالف مشددة التاء زيد عن يعقوب وقرأ الباقون فاتبعوهم بقطع الالف وسكون التاء وقرأ حمزة ونصير عن الكسائي وخلف ترى الجمعان بكسر الراء والباقون بفتحها وفي الشواذ قراءة ابان بن تغلب ان كنا اول المؤمنين بكسر الهمزة من ان وقراءة ابن ابي عامر حادرون بالدال غير المعجمة وقراءة الأعرج وعبيد بن عمير انا لمدركو ن بتشديد الدال وقراءة عبد الله بن الحرث وازلقنا بالقاف

الحجة

قال ابو علي قال ابو عبيدة رجل حَذِر وحَذُر وحاذر قال ابن احمر

هَلْ يَنْسَأَنْ يَوْمي إلى غَيْرِهِ أَنِّي حَوالي وَأَنِّي حَذِر

حوالي أي ذو حيلة وقال العباس بن مرادس

وَإِنِّي حَاذِرٌ أَنِّي سِلاحي إلى أَوْصالِ ذيالٍ مُنيع (١)

ووجه امالة الحركة على الراء من تراءى ان قياسه ان يكون تراآى في الموقف مثل تراعي فأمال فتحة الراء لإمالة فتحة الهمزة التي أميلت ليميل الألف نحو الياء كما قالوا راى امالوا فتحة الراء لإمالة فتحة الهمزة فإن قيل فإذا وصل وقيل تراء الجمعان فهلا لم يجز امالة الفتحة التي على الراء لأنه إذا كان امالتها لامالة فتحة الهمزة وما يوجب امالة الفتحة فقد سقط وهو الألف المنقلبة من الياء التي سقطت لالتقاء الساكنين فإذا سقطت لم يجز امالة فتحة الهمزة فإذا لم يجز امالة فتحة الهمزة وجب أن لا يجوز امالة فتحة الراء فقيل ان امالة فتحة الراء في تراآى جائزة في الوصل مع سقوط الألف من تفاعل لالتقاء الساكنين وما سقط الألف عن تفاعل لالتقاء الساكنين فهو عندهم في حكم الثابت يدلُّ على ذلك قولهم وَلا ذاكِرَاللهَ إلاَّ قليلاً (٢) فنصب مع سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كما ينصب إذا ثبت وزعم ابو الحسن انه قد قرأ في المقتلي اطر بامالة فتحة اللام مع سقوط الالف وقال ابن جني قوله ان كنا اولى المؤمنين من الكلام الذي يعتاده المستظهر المدل بما عنده يقول الرجل لصاحبه أنا أحفظه عليك إن كنت وافياً ولن يضيع لك جميل عندي إن كنت شاكراً أي فكما تعلم ان هذا معروف من حالي فثق بوفائي وشكري ومثله بيت كتاب سيبويه

أَتَغْضَبُ أَنْ أُذْنا قُتَيْبَةَ حُزَّتا جِهاراً وَلَمْ تَغْضَبْ لِقَتْلِ ابْنِ حازِمِ

فشرط بذلك وقد كان ووقع قبل ذلك وقد جاء به ابو تمام فقال

وَمَكارِماً عُتُقَ النِّجارِ تَليدَةً إنْ كانَ هَضْبُ عِمايَتَيْنِ تَلِيداً (٣)

أي كما كان هضب عمايتين تليداً فكذلك هذه المكارم واما قوله حادرون فالحادر القويّ الشديد ومنه الحادرة الشاعرة وحدر الرجل إذا قوي جسمه وامتلأ لحماً وشحماً قال الأعشى

وَعَسيرٍ أَدْماءَ حادِرَةِ العَيْنِ خَنُوفٍ غَيْرِ انَّةٍ شِمْلال (٤)

ويقال ادركت الشيء وادركته بمعنى ومن قرأ وأزلفنا بالفاء فالآخرون موسى واصحابه ومن قرأ بالقاف فالآخرون فرعون واصحابه أي أهلكناهم

اللغة

سرى واسرى لغتان وقد فرّق بينهما والشرذمة العصبة الباقية من عصب كثيرة وشرذمة كل شيء بقيته القليلة قال الراجز

جاءَ الشِّتاءُ وَقَمِيصي أَخْلاقْ شَراذِمٌ يَضْحَكُ مِنْها التَّواقْ (٥)

والفرق بين الحذر والحاذر ان الحاذر الفاعل للحذر والحذر المطبوع على الحذر والكنوز الاموال المخباة في مواضع غامضة من الأرض بعضها على بعض ومنه كناز التمر وغيره ما يعبأ بعضه على بعض والمقام الموضع الذي يقام فيه والكريم الحقيق بإعطاء الخير الجزيل وهي صفة تعظيم في المدح واتبع فلان فلاناً وتبعه إذا اقتفى اثره والاشراق الدخول في وقت شروق الشمس ويقال شرقت الشمس إذا طلعت واشرقت إذا اضاءت وصفت

(١) فرس ذيال اى طويل القد . وقيل طويل الذنب . والاوصال بمعنى المفاصل (٢) هذا عجز بيت لابي الاسود الدئلي . وصدره «فألفيته غير مستعتب» والشعر بتمامه مذكور في جامع الشواهد . وكذا الشعر الآتي . (٣) النجار : الاصل . وعتق جمع عتيق : الكريم . والتليد : القديم . والهضب : الجبل . وعمايتين : جبلان . (٤) العسير بمعنى

واشرقنا دخلنا في الشروق وتراء الجمعان اي تقابلا بحيث يرى كل منهما صاحبه ويقال تراءى نارا هما إذا تقابلا وإنما جاز تثنية الجمع لأنه يقع عليه صفة التوحيد فتقول هذا جمع واحد كما تقول جملة واحدة والادراك اللحاق يقال ادرك قتادة الحسن اي لحقه وادرك الزرع اي لحق يبلوغه وادرك الغلام اي بلغ وادركت القدر نضجت والطود الجبل قال الاسود بن يعفر

حَلُّوا بِأَنْقُرَةٍ يَجِيشُ عَلَيْهِمُ ... مَاءُ الْفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ (١)

والازلاف الإدناء والتقريب ومنه المزدلفة (٢) ابو عبيدة ازلفنا جمعنا وليلة المزدلفة ليلة جمع قال الشاعر

وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى أَوْ لَيْلَةٍ سَلَفَتْ ... فِيهَا النُّفُوسُ إِلَى الآجَالِ تَزْدَلِفُ

والآخر بفتح الخاء الثاني من قسمي احد بقال نجى الله احدهما وأهلك الآخر وبكسر الخاء هو الثاني من قسمي الأول يقال نجى الأول وهلك الآخر

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن السحرة انهم قالوا لفرعون حين آمنوا (إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا) أي ما فعلناه من السحر وغيره (أن كنا اول المؤمنين) أي لأنا كنا اول من صدق موسى وأقر بنبوته وبما دعانا اليه من التوحيد ونفي التشبيه وقيل انهم أول من آمن عند تلك الآية أو اول من آمن من آل فرعون لأن بني اسرائيل كانوا آمنوا به (وأوحينا إلى موسى ان أسر بعبادي) سبق تفسيره في سورة طه (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده ليحولوا بينكم وبين الخروج من ارض مصر (فأرسل فرعون في المدائن حاشرين) يحشرون اليه الناس ويجمعون له الجيوش ليقبضوا على موسى وقومه لما ساروا بأمر الله عزوجل فلما حضروا عنده (قال) لهم (ان هؤلاء) يعني اصحاب موسى (لشرذمة قليلون) اي عصابة من الناس قليلة قال الفراء يقال عصبة قليلة وقليلون وكثيرة وكثيرون قال المفسرون وكان الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة ألف ولا يحصي عدد اصحاب فرعون (وإنهم لنا لغائظون) يقال غاظه واغتاظه وغيظه إذا أغضبه أي انهم غاظونا لمخالفتهم إيانا في الدين ثم خروجهم من ارضنا على كره منا وذهابهم بالحلي الذي استعاروها وخلوصهم من استعبادنا (وإنا لجميع حاذرون) اي خائفون منهم وحاذرون اي مؤدون مقوون أي ذوو اداة وقوة مستعدون شاكون في السلاح وقال الزجاج الحاذر المستعد والحذر المتيقظ ثم اخبر سبحانه عن كيفية اهلاكهم بقوله (فأخرجناهم) يعني آل فرعون (من جنات) اي بساتين (وعيون) جارية فيها (وكنوز) اي اموال مخباة وخزائن ودفائن (ومقام كريم) اي منابر يخطب عليها الخطباء عن ابن عباس وقيل هو مجالس الأمراء والرؤساء التي كان يحف بها الاتباع فيأتمرون بأمرهم وقيل المنازل الحسان التي كانوا مقيمين فيها في كرامة وقيل يريد مرابط الخيل لتفرد الرؤساء بارتباطها عدة وزينة فصار مقامها اكرم مقام متروك (كذلك) اى كما وصفنا لك اخبارهم (وأورثناها بني اسرائيل) وذلك ان الله سبحانه ردّ بني اسرائيل إلى مصر بعد ما اغرق فرعون وقومه واعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والعقار والمساكن والديار (فاتبعوهم مشرقين) يعني قوم فرعون ادركوا موسى واصحابه حين شرقت الشمس وظهر ضوؤها وذلك قوله (فلما تراء الجمعان) أي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه (قال اصحاب موسى إنا لمدركون) أى سيدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا بهم (قال) موسى ثقة بنصر الله تعالى (كلا) لن يدركونا ولا يكون ما تظنون فانتهوا عن هذا القول (إن معي ربي) بنصره (سيهدين) أى سيرشدني إلى طريق النجاة وقيل سيكفيني عن السدي (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر) وهو نهر النيل ما بين ايلة ومصر وقيل هو بحر قلزم ما بين اليمن ومكة إلى مصر وفيه حذف أي فضرب (فانفلق) أي فانشق البحر وظهر فيه اثنا عشر طريقا وقام الماء عن يمين الطريق ويساره كالجبل العظيم وذلك قوله (فكان كل فرق كالطود

الناقة التى اعتاطت فلم تحمل سنتها . والادمة فى الابل : البياض الشديد . والخنوف : الدابة التى تميل رأسها الى فارسها فى عدوها . والعيرانة : القوية . وناقة شملال : خفيفة سريعة . (٥) قيل ان التواق فى البيت : اسم ابنه . وقيل : التواق الذى تتوق نفسه الى كل دناءة . (١) انقرة : موضع بنواحى الحيرة . وقيل : انقرة التى فى شعر الاسود

العظيم) أي فكان كل قطعة من البحر كالجبل العظيم والفرق الاسم لما انفرق والفرق مصدر (وأزلفنا ثم الآخرين) أي قربنا إلى البحر فرعون وقومه حتى أغرقناهم عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه جمعنا في البحر فرعون وقومه عن ابي عبيدة وقيل معناه وقربناهم إلى المنية لمجيء وقت هلاكهم (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) يعني بني اسرائيل أنجينا جميعهم من الغرق والهلاك (ثم اغرقنا الآخرين) فرعون وجنوده (إن في ذلك لآية) معناه إن في فرق البحر وإنجاء موسى وقومه واغراق فرعون وقومه لدلالة واضحة على توحيد الله وصفاته التي لا يشاركه فيها غيره (وما كان اكثرهم مؤمنين) معناه انهم مع هذا السلطان الظاهر والبرهان الباهر والمعجز القاهر ما آمن اكثرهم فلا تستوحش يا محمد من قعود قومك عن الحق الذي تأتيهم به وتدلم عليه فقد جروا على عادة اسلافهم في إنكار الحق وقبول الباطل (وإن ربك لهو العزيز) في سلطانه (الرحيم) بخلقه وقيل العزيز في انتقامه من اعدائه الرحيم في انجائه من الهلاك لأوليائه وقيل انه لم يؤمن من أهل مصر غير آسية امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون ومريم التي دلت على عظام يوسف

قوله تعالى (٦٩) وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٧٠) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧١) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧٢) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٣) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٤) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٥) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٦) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٧) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٨) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٩) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٨٠) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨١) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨٢) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٣) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٤) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٥) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٦) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٧) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٨) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٩) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٩٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩١) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩٢) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٤) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٥) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٦) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٧) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٨) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٩) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (١٠٠) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠١) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠٢) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (ست وثلاثون آية)

اللغة

الأقدم الموجود قبل غيره ومثله الأول والأسبق والقدم وجود الشيء لا إلى اول والتبريز الاظهار يقال أبرزه وبرّزه فبرز يبرز بروزا والغاوي العامل بما يوجب الخيبة من الثواب كبكبوا أصله كببوا إلا انه ضوعف بتكرير

هى انقرة التى ببلاد الروم واختاره الحموى فى المعجم وفيه «نزلوا بأنقرة يسيل عليهم» بدل المصراع الاول.
(٢) [قال].

الفاء أي دهدهوا وطرح فيها بعضهم على بعض جماعة جماعة والحميم القريب الذي تودّه ويودّك

﴿ الاعراب ﴾

هل يسمعونكم أصله أن يتعدى إلى ما كان صوتا مسموعا تقول سمعت كلامك فإن وقع على جوهر تعدّى إلى مفعولين ولا يكون الثاني منهما إلا صوتا كقولك سمعت زيداً يقرأ ولا يجوز سمعت زيدا يقوم لأن القيام لا يكون مسموعاً وقوله هل يسمعونكم إذ تدعون على حذف المضاف والتقدير هل يسمعون دعاءكم فحذف المضاف ودلّ عليه قوله إذ تدعون . إلا رب العالمين استثناء منقطع ويجوز أن يكون غير منقطع على تقدير فإن جميع ما عبدتم عدوٌّ لي إلا رب العالمين وقد عبدوا مع الله تعالى الأصنام . إلا من أتى الله الموصول والصلة في محل النصب على البدل من مفعول ينفع المحذوف تقديره يوم لا ينفع أحدا مال ولا بنون إلا من أتى الله ويجوز ايضا ان يكون منصوبا على الاستثناء . هم فيها مبتدأ وخبر . يختصمون في موضع نصب على الحال ويجوز أن يكون يختصمون خبر المبتدأ وفيها يتعلق به فيكون منصوبا باضمار ان في جواب التمني

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه (واتل عليهم) يا محمد (نبأ ابراهيم) أي خبر ابراهيم فإنه شجرة الأنبياء وبه افتخار العرب وفيه تسلية لك وعظة لقومك (إذ قال لأبيه وقومه) على وجه الانكار عليهم (ما تعبدون) أي أيَّ شيء تعبدون من دون الله (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) أي فنظل لها مُصَلّين عن ابن عباس وقيل معناه فنقيم على عبادتها مداومين (قال) ابراهيم (هل يسمعونكم) أي هل يسمعون دعاءكم (إذ تدعون) معناه هل يستجيبون دعاءكم إذا دعوتموهم (أو ينفعونكم) إذا عبدتموهم (أو يضرون) ان تركتم عبادتها وفي هذا بيان ان الدين انما يثبت بالحجة ولولا ذلك لم يحاجّهم ابراهيم «ع» هذا الحجاج (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) وهذا اخبار عن تقليدهم آباءهم في عبادة الأصنام (قال) ابراهيم «ع» منكراً عليهم التقليد (أفرأيتم ما كنتم تعبدون) أي الذي كنتم تعبدونه من الأصنام (أنتم) الآن (وآباؤكم الأقدمون) أي المتقدمون أي والذين كان آباؤكم يعبدونهم وانما دخل لفظة كان لأنه جمع بين الحال والماضي (فإنهم عدوٌّ لي) معناه ان عبادة الأصنام مع الأصنام عدوٌّ لي إلا انه غلب ما يعقل وقيل انه يعني الأصنام وانما قال فإنهم فجمعها جمع العقلاء لما وصفها بالعداوة التي لا تكون إلا من العقلاء وجعل الأصنام كالعدو في الضرر من جهة عبادتها ويجوز ان يكون قال فإنهم لأنه كان منهم من يعبد الله مع عبادته الأصنام فغلب ما يعقل ولذلك استثنى فقال (إلا رب العالمين) استثناء من جميع المعبودين قال الفراء انه من المقلوب والمعنى فإني عدوٌّ لهم ومن عاديته فقد عاداك ثم وصف رب العالمين فقال (الذي خلقني) واخرجني من العدم إلى الوجود (فهو يهدين) أي يرشدني إلى ما فيه نجاتي وقيل الذي خلقني لطاعته فهو يهديني إلى جنته (والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين) معناه انه يرزقني ما اتغذى به ويفعل ما يصحّ بدني (والذين يميتني ثم يحيين) أي يميتني بعد ان كنت حيًّا ويحييني يوم القيامة بعد أن اكون ميتا (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي يوم الجزاء وانما قال ذلك على سبيل الانقطاع منه إلى الله تعالى لا على سبيل انّ له خطيئة يحتاج إلى ان يغفر له يوم القيامة لأن عندنا لا يجوز أن يقع من الأنبياء شيء من القبائح وعند جميع اهل العدل وان جوّزوا عليهم الصغائر فإنها تقع عندهم محبطة مكفرة فليس شيء منها غير مغفور فيحتاج إلى أن يغفر يوم القيامة وقيل معناه أطمع ان يغفر لمن يشفعني فيه فأضافه إلى نفسه كقوله سبحانه لنبيّه ﷺ ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر وانما قال وإذا مرضت فأضاف المرض إلى نفسه وإن كان من الله استعمالا لحسن الأدب فإن المقصود شكر نعمة الله تعالى ولو كان المقصود بيان القدرة لأضافه إلى الله تعالى ونظيره قول الخضر «ع» فأردت ان اعيبها ثم قال فأراد ربك ان

يبلغا اشدهما وانما حذف الياء آت لأنه رؤس الآيات وهذا الكلام من ابراهيم «ع» انما صدر على وجه الاحتجاج على قومه والاخبار بأنه لا يصلح للإلهية إلا من فعل هذه الأفعال ثم حكي الله عنه انه سأله وقال (رب هب لي حكما) والحكم بيان الشيء على ما تقتضيه الحكمة وقيل انه العلم عن ابن عباس يعني علما إلى علم وفقها إلى فقه وقيل انه النبوة عن الكلبي (والحقني بالصالحين) أي بمن قبلي من النبيين في الدرجة والمنزلة وقيل معناه افعل بي من اللطف ما يؤديني إلى الصلاح والاجتماع مع النبيين في الثواب وفي هذا دلالة على عظم شأن الصلاح وهو الاستقامة على ما أمر الله تعالى به ودعا اليه (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء حسنا في آخر الامم وذكرا جميلا وقبولا عاما في الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة فأجاب الله سبحانه دعاه فكل اهل الاديان يثنون عليه ويقرون بنبوته والعرب تضع اللسان موضع القول على الاستعارة لأن القول يكون بها وكذلك يسمون اللغة لسانا قال الاعشى باهلة

إني أتتني لسانا لا أسر بها ... من علو لا عجب منها ولا سخر

وقيل ان معناه واجعل لي ولد صدق في آخر الأمم يدعو إلى الله ويقوم بالحق وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم (واجعلني من ورثة جنة النعيم) اي من الذين يرثون الفردوس (واغفر لأبي انه كان من الضالين) اي من الذاهبين عن الصواب في اعتقاده ووصفه بأنه ضال يدل على انه كان كافرا كفر جهالة لا كفر عناد وقد ذكرنا الوجه في استغفار ابراهيم لأبيه في سورة التوبة (ولا تخزني يوم يبعثون) اي لا تفضحني ولا تعيرني بذنب يوم تحشر الخلائق وهذا الدعاء كان منه «ع» على وجه الانقطاع إلى الله تعالى لما بينا ان القبيح لا يجوز وقوعه من الانبياء «ع» ثم فسر ذلك اليوم بأن قال (يوم لا ينفع مال ولا بنون) أي لا ينفع المال والبنون احدا إذ لا يتهيأ لذي المال ان يفتدي من شدائد ذلك اليوم به ولا يتحمل من صاحب البنين بنوه شيئا من معاصيه (إلا من أتى الله بقلب سليم) من الشرك والشك عن الحسن ومجاهد وقيل سليم من الفساد والمعاصي وإنما خص القلب بالسلامة لأنه إذا سلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد من حيث ان الفساد بالجارحة لا يكون إلا عن قصد بالقلب الفاسد وروي عن الصادق «ع» انه قال هو القلب الذي سلم من حب الدنيا ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة (وازلفت الجنة للمتقين) أي قربت لهم ليدخلوها (وبرزت الجحيم للغاوين) أي اظهرت وكشف الغطاء عنها للضالين عن طريق الحق والصواب (وقيل لهم) في ذلك اليوم على وجه التوبيخ (اينما كنتم تعبدون من دون الله) من الأصنام والاوثان وغيرها وانما وبخوا بلفظ الاستفهام لأنه لا جواب لهم عن ذلك إلا بما فيه فضيحتهم (هل ينصرونكم) بدفع العذاب عنكم في ذلك اليوم (او ينتصرون) لكم اذا عوقبتم وقيل ينتصرون أي يمتنعون من العذاب (فكبكبوا فيها) اي جمعوا وطرح بعضهم على بعض عن ابن عباس وقيل نكسوا فيها على رؤوسهم عن السدي (هم) يعني الآلهة التي تعبدونها (والغاوون) اي والعابدون والمعنى اجتمع المعبودون من دون الله والعابدون لها في النار (وجنود ابليس اجمعون) أي وكبكب معهم جنود ابليس يريد من اتبعه من ولده وولد آدم (قالوا وهم فيها يختصمون) أي قال هؤلاء وهم في النار يخاصم بعضهم بعضا (تالله ان كنا في ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) وان هذه هي المخففة من الثقيلة اي انا كنا في ضلال ومعناه لقد كنا في ضلال عن الحق بين وذهاب عن الصواب ظاهر إذ سويناكم بالله وعدلناكم به في توجيه العبادة اليكم (وما اضلنا إلا المجرمون) اي الا أولونا الذين اقتدينا بهم عن الكلبي وقيل إلا الشياطين عن مقاتل وقيل الكافرون الذين دعونا إلى الضلال ثم أظهروا الحسرة فقالوا (فما لنا من شافعين) يشفعون لنا ويسألون في امرنا (ولا صديق حميم) أي ذي قرابة يهمه امرنا والمعنى ما لنا من شفيع من الأباعد ولا صديق من الأقارب وذلك حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون وفي الخبر المأثور عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول

الله ﷺ يقول ان الرجل يقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله تعالى أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقي في النار فما لها من شافعين ولا صديق حميم وروى العياشي بالاسناد عن حمران ابن اعين عن ابي عبد الله «ع» قال والله لنشفعن لشيعتنا والله لنشفعن لشيعتنا حتى يقول العامي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم إلى قوله فنكون من المؤمنين وفي رواية أخرى حتى يقول عدونا وعن ابان بن تغلب قال سمعت ابا عبد الله «ع» يقول ان المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته فيشفع فيهم حتى يبقى خادمه فيقول ويرفع سبابتيه يا رب خويدمي كان يقيني الحرّ والبرد فيشفع فيه وفي خبر آخر عن ابي جعفر «ع» قال ان المؤمن ليشفع لجاره وما له حسنة فيقول يا رب جاري كان يكفّ عني الأذى فيشفع فيه وان أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين انسانا ثم قالوا (فلو ان لنا كرة) أي رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) المصدقين فنحلّ لنا الشفاعة (ان في ذلك) اي فيما قصصناه (لآية) أي دلالة لمن نظر فيها واعتبر بها (وما كان اكثرهم مؤمنين) فيها تسلية للنبي ﷺ واعلام له بأن الشرّ قديم (وان ربك لهو العزيز الرحيم) مضى معناه

قوله تعالى (١٠٥) كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١١) قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١٢) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٣) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٤) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٥) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٦) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٧) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٨) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٩) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٢٠) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢١) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (ثماني عشرة آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب وأتباعك وهو قراءة ابن مسعود والضحاك وابن السميفع والفراء والزجاج واتبعك

﴿ الحجة ﴾

يحتمل قوله واتباعك وجهين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون مبتدءا والأرذلون خبره والمعنى لماذا نؤمن لك وإنما اتباعك الارذلون ﴿ والآخر ﴾ أن يكون معطوفا على الضمير في أنؤمن أي أنؤمن نحن واتباعك والأرذلون صفة للاتباع وجاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير توكيد لما وقع هناك من الفصل وهو قوله لك فصار طول الكلام به كالعوض من توكيد الضمير بقوله نحن والمعنى أنؤمن لك واتباعك الأرذلون فنعدّ في عدادهم

﴿ اللغة ﴾

الأرذلون والأراذل السفلة واوضاع الناس والرذل الوضيع والرذيلة نقيض الفضيلة والطرد إبعاد الشيء على وجه التصغير طرده يطرده واطرده جعله طريدا واطرد في الباب استمر في الذهاب كالطريد والرجم الرمي بالحجارة

ولا يقال للرمي بالقوس رجم ويسمى المشتوم مرجوما لأنه يرمي بما يذم والانتهاء بلوغ الحد من غير مجاوزة إلى ما وقع عنه النهي وأصل النهاية بلوغ الحد والنهي الغدير لانتهاء الماء اليه والفتح الحكم والفتاح الحاكم لأنه يفتح على وجه الأمر بالحكم الفصل قال الشاعر

أَلَا أَبْلِغْ بَنِي أَعْيَا رَسُولًا ... فَإِنِّي عَنْ فُتَاحَتِكُمْ غَنِيُّ

والفلك السفن يقع على الواحد والجمع والمشحون من شحنه يشحنه شحنا إذا ملأه بما يسد خلله وشحن الثغر بالرجال ومنه الشحنة

﴿ الإعراب ﴾

ما علمي ما حرف نفي وعلمي مبتدأ وتقديره ما علمي ثبت او حصل بما كانوا يعملون

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه حديث نوح «ع» فقال (كذبت قوم نوح المرسلين) دخلت التاء في كذبت والقوم مذكر لأن المراد بالقوم الجماعة أي كذبت جماعة نوح المرسلين لأن من كذب رسولا واحدا من رسل الله فقد كذب الجماعة لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل وقال ابو جعفر «ع» يعني بالمرسلين نوحا والأنبياء الذين كانوا بينه وبين آدم «ع» (إذ قال لهم أخوهم نوح) أي في النسب لا في الدين (ألا تتقون) عذاب الله تعالى في تكذيبي ومخالفتي (إني لكم رسول أمين) على الرسالة فيما بيني وبين ربكم (فاتقوا الله) بطاعته وعبادته (وأطيعون) فيما امركم به من الإيمان والتوحيد (وما أسألكم عليه) أي على الدعاء إلى التوحيد (من أجر) من مزيدة (إن أجري) ما جزائي وثوابي (إلا على رب العالمين) وخالق الخلائق اجمعين ثم كرر عليهم قوله (فاتقوا الله واطيعون) لاختلاف المعنى لأن التقدير فاتقوا الله وأطيعون لأني رسول امين واتقوا الله وأطيعون لاني لا اسألكم عليه أجرا فتخافوا تلف اموالكم به وكل واحد من هذين المعنيين يقوي الداعي إلى قبول قول الغير ويبعد عن التهمة (قالوا أنؤمن لك) أي نصدقك فيما تقول (واتبعك الأرذلون) أي وقد اتبعك سفلة الناس وأراذلهم وخساسهم عن قتادة وقيل يعنون المساكين الذين ليس لهم مال ولا عز عن عطا وقيل يعنون الحاكة والأساكفة عن الضحاك وعلقمة والمعنى ان اتباعك اراذلنا وفقراؤنا واصحاب الأعمال الدنية والمهن الخسيسة فلو اتبعناك لصرنا مثلهم ومعدودين في جملتهم وهذا جهل منهم لأنه ليس في إيمان الأرذلين به ما يوجب تكذيبه فإن الرذل إذا أطاع سلطانه استحق التقرب عنده دون الشريف العاصي (قال وما علمي بما كانوا يعملون) اي ما اعلم اعمالهم وصنائعهم ولم أكلف ذلك وإنما كلفت أن ادعوهم الى الله وقد أجابوني اليه (إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون) اي ليس حسابهم إلا على ربي الذي خلقني وخلقهم لو تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنائعهم (وما انا بطارد المؤمنين إن أنا إلا نذير مبين) اي ما انا بالذي لا يقبل الإيمان من الذين تزعمون انهم الارذلون لأني لست إلا نذيرا مخوفا من معصية الله داعيا إلى طاعته مبينا لها (قالوا) له عند ذلك (لئن لم تنته يا نوح) أي إن لم ترجع عما تقوله وتدعو اليه (لتكونن من المرجومين) بالحجارة عن قتادة وقيل من المرجومين بالشتم عن الضحاك (قال) نوح (رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا) أي فاقض بيننا قضاء بالعذاب لأنه قال (ونجني ومن معي من المؤمنين) اي من ذلك العذاب (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) اي فخلصناه ومن معه من المؤمنين في السفينة المملوءة من الناس وغيرهم من الحيوانات (ثم أغرقنا بعد) أي بعد نجاة نوح ومن معه (الباقين) أي الخارجين عن السفينة الكافرين به (إن في ذلك لآية) واضحة على توحيد الله (وما كان أكثرهم مؤمنين) وليس هذا بتكرار وإنما كل واحد في قصة على حدة فهذا ذكر آية في قصة نوح وما كان من

شأنه بعد ذكر آية مما كان في قصة ابراهيم وذكر آية أخرى في قصة موسى وفرعون فبين انه ذكر كلا من ذلك لما فيه من الآية الباهرة (وإن ربك لهو العزيز) في إهلاك قوم نوح بالغرق (الرحيم) في انجائه نوحا ومن معه في الفلك

قوله تعالى (١٢٣) كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٤) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٥) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٦) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٧) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٨) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٩) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٣٠) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣١) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣٢) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٣) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٤) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٥) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٦) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٧) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٨) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٩) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٤٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (ثماني عشرة آية)

القراءة

قرأ ابن كثير واهل البصرة وابو جعفر والكسائي خلق الأولين بفتح الخاء واللام وفي الشواذ قراءة قتادة تُخَلِّدون بضم التاء و كسر اللام

الحجة

قال ابو علي خلق الأولين عادتهم وخلق الأولين اختلاقهم و كذبهم مثل قوله وتخلقون إفكا وإنْ هذا إلا اختلاق وخلد الشيء إذا بقي وأخلدته .وخَلَّدته واخلد إلى كذا إذا اقام عليه ولزمه وقيل أخلد الرجل إذا أبطأ عنه الشيب

اللغة

الريع الارتفاع من الارض وجمعه ارياع وربعة قال ذو الرمة

طِرَاقُ الْخَوَافِي مُشْرِفٌ فَوْقَ رِبْعَةٍ ... نَدَى لَيْلِهِ فِي رِيشِهِ يَتَرَقْرَقُ (١)

ومنه الربع في الطعام وهو ارتفاعه بالزيادة والنماء وقال ابو عبيدة الربع الطريق بين الجبلين في الارتفاع وقيل هو الفج الواسع والمصانع مأخذ الماء جمع مصنع قال ابو عبيدة كل بناء مصنعة وقال قتادة ومجاهد المصانع هي القصور والحصون والبطش العسف قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار العالي على غيره بعظيم سلطانه وهو في صفة الله سبحانه مدح وفي صفة غيره ذم لأن معناه في العبد انه يتكلف الجبرية

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن عاد فقال (كذبت عاد المرسلين) والتأنيث لمعنى القبيلة لأنه أراد بعاد القبيلة (إذ قال لهم أخوهم) في النسب (هود ألا تتقون) الله باجتناب معاصيه (إني لكم رسول امين) إلى قوله (رب العالمين)

(١) الطراق في الريش : ان يكون بعضها فوق بعض . والخوافي : ريشان من الجناح اذا ضم الطائر جناحيه خفيت . وترقرق : بمعنى تلألأ .

مرّ تفسيره (أتبنون بكل ريع) اي بكل مكان مرتفع وقيل بكل شرف عن ابن عباس وقيل بكل طريق عن الكلبي والضحاك (آية تعبثون) أي بناء لاتحتاجون اليه لسكناكم وإنما تريدون العبث بذلك واللعب واللهو كأنه جعل بناءهم ما يستغنون عنه عبثا منهم عن ابن عباس في رواية عطا ويؤيده الخبر المأثور عن أنس بن مالك ان رسول الله ﷺ خرج فرأى قبة مشرفة فقال ما هذه قال له اصحابه هذا لرجل من الأنصار فمكث حتى إذا جاء صاحبها فسلم في الناس اعرض عنه وصنع ذلك به مرارا حتى عرف الرجل الغضب والاعراض عنه فشكا ذلك إلى اصحابه وقال والله إني لأنكر نظر رسول الله ﷺ ما أدري ما حدث فيّ وما صنعت قالوا خرج رسول الله ﷺ فرأى قبتك فقال لمن هذه فأخبرناه فرجع إلى قبته فسوّاها بالارض فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فلم ير القبة فقال ما فعلت القبة التي كانت ههنا قالوا شكا الينا صاحبها اعراضك عنه فأخبرناه فهدمها فقال إن لكل بناء يبنى ووبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بدّ منه وقيل معناه انهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسائلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم عن الكلبي والضحاك وقيل ان هذا في بنيان الحمام أنكر هود عليهم اتخاذهم بروجا للحمام عبثا عن سعيد بن جبير ومجاهد (وتتخذون مصانع) اي حصونا وقصوراً مشيدة عن مجاهد وقيل مأخذا للماء تحت الارض عن قتادة (لعلكم تخلدون) كأنكم تخلدون فيها فلا تموتون فإن هذه الأبنية بناء من يطمع في الخلود قال الزجاج معناه تتخذون مباني للخلود لا تتفكرون في الموت (وإذا بطشتم بطشتم جبارين) البطش الأخذ باليد أي إذا بطشتم بأحد تريدون إنزال عقوبة به عاقبتموه عقوبة من يريد التجبر بارتكاب العظائم كما قال إن تريد إلا أن تكون جبارا في الارض وقيل معناه وإذا عاقبتم قتلتم فمعنى الجبار القتال على الغضب بغير حق (فاتقوا الله وأطيعون) مرّ معناه (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون) أي اعطاكم ما تعلمون من الخير. والامداد اتباع الثاني ماقبله شيئاً بعد شيء على انتظام وهؤلاء أمدّوا بأنواع من النعم وهو قوله (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) فأعطاهم رزقهم على ادرار (إني أخاف عليكم) إن عصيتموني (عذاب يوم عظيم) يريد يوم القيامة وصفه بالعظم لما فيه من الأهوال العظيمة (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أي أنهيتنا أم لم تكن من الناهين لنا عن الكلبي والمعنى أنا لا نقبل ما تدعونا اليه على كل حال أوعظت ام سكت اي حصول الوعظ منك وارتفاعه مستويان عندنا ثم قالوا (إن هذا إلا خلق الأولين) أي ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الاولين الذين ادّعوا النبوة ولم يكونوا أنبياء وانت مثلهم ومن قرأ خلق الاولين بضم الخاء فالمعنى ما هذا الذي نحن عليه من تشييد الأبنية واتخاذ المصانع والبطش الشديد إلا عادة الاولين من قبلنا وقيل معناه ما هذا الذي نحن فيه إلا عادة الاولين في انهم كانوا يحيون ويموتون ولا بعث ولا حساب وقيل معناه ما الذي تدّعيه من النبوة والرسالة إلا عادة الاولين (وما نحن بمعذبين) على ما تدعيه لا في الدنيا ولا بعد الموت (فكذبوه فأهلكناهم) بعذاب الاستئصال (إن في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) قد مرّ تفسيره

قوله تعالى (١٤١) كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤٢) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٣) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٤) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٥) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٦) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٧) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٨) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٩) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٥٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥١) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥٢) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ

فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٣) قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ (١٥٤) وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ (١٥٥) قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (١٥٦) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٧) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَٰدِمِينَ (١٥٨) فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٥٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (تسع عشرة آية)

القراءة

قرأ أهل الكوفة والشام فارهين بالالف والباقون فرهين بغير الالف

الحجة

قال الزجاج فرهين اشرين مرحين وفارهين حاذقين. ابو عبيدة قال قد جاء فارهين في معنى فرهين وأنشد

لَا أَسْتَكِينُ إِذَا مَا أَزْمَةٌ أَزَمَتْ ... وَلَنْ تَرَانِي بِخَيْرٍ فَارِهَ اللَّبَبِ (١)

اي مرح اللبب

اللغة

الهضيم اللطيف في جسمه ومنه هضيمة الحشا اي لطيفة الحشا ومنه هضمه حقه اي نقصه لانه لطف جسمه بنقصه ومنه هضم الطعام إذا لطف واستحال إلى مشاكلة البدن والمُسَحَّر الذي قد سحر مرة بعد أخرى وهو أن يكون ممن له سَحْر أي رئة ومنه قولهم انتفخ سَحْره قال لبيد

فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّنَا ... عَصَافِيرُ مِنْ هَٰذَا الْأَنَامِ الْمُسَحَّرِ

أي المعلل بالطعام والشراب على أمر يخفى كخفاء السحر والشرب الحظ من الماء قال

لَمْ يَمْنَعِ الشُّرْبَ مِنْهَا غَيْرَ أَنْ نَطَقَتْ ... حَمَامَةٌ فِي غُصُونٍ ذَاتِ أَوْقَالِ (٢)

أي لم يمنع حظها من الماء والسوء الضر الذي يشعر به صاحبه لأنه يسوؤه وقوعه والعقر قطع شيء من بدن الحي فإذا كثر انتفت معه الحياة وإذا قل لم ينتف

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن ثمود فقال (كذبت ثمود المرسلين) وهو مفسر في هذه السورة إلى قوله (أتتركون فيما ههنا آمنين) معناه أتظنون انكم تتركون فيما اعطاكم الله من الخير في هذه الدنيا آمنين من الموت والعذاب وهذا اخبار بأن ما هم فيه من النعم لا يبقى عليهم وانها ستزول عنهم ثم عدّد نعمهم التي كانوا فيها فقال (في جنات) أي بساتين يسترها الشجر (وعيون) جارية (وزروع ونخل طلعها هضيم) الطلع الكفرى مشتق من الطلوع لانه يطلع من النخل والهضيم اليانع النضيج عن ابن عباس وقيل هو الرطب اللين عن عكرمة وقيل هو الضامر بدخول بعضه في بعض عن الضحاك وقيل هو الذي إذا مس تفتت عن مجاهد وقيل هو الذى ليس فيه نوى عن الحسن (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) اى حاذقين بنحتها من فره الرجل فراهة فهو فاره وفرهين اشرين بطرين عن ابن عباس [فاتقوا الله] في مخالفته [وأطيعون] فيما أمركم به [ولا تطيعوا أمر المسرفين] يعني الرؤساء منهم وهم تسعة رهط من ثمود الذين عقروا الناقة ثم وصفهم فقال [الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا] في جوابه [إنما انت من المسحرين] قد أصبت بسَحْر ففسد عقلك فصرت لا تدري ما تقول وهو بمعنى

(١) الازمة : الشدة والقحط . و في اللسان « فاره الطلب » . (٢) الوقل : ثمرة شجر المقل . وجمعه أوقال . وفي اللسان : « سحوق ذات اوقال » وقال : السحوق : ماطال من شجر المقل .

المسحورين والمراد سحرت مرة بعد أخرى وقيل معناه من المخدوعين وقيل من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب عن ابن عباس وقيل معناه انت مخلوق مثلنا لك سحر اي رئة تأكل وتشرب فلم صرت أولى منا بالنبوة [ما أنت إلا بشر مثلنا] اى آدمي مثلنا [فأت بآية] أى بمعجزة تدل على صدقك [إن كنت من الصادقين قال هذه ناقة] وهي الناقة التي أخرجها الله تعالى من الصخرة عشراء ترغو على ما اقترحوه (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) أى لها حظ من الماء لا تزاحموها فيه ولكم حظ لا تزاحمكم فيه وروي عن امير المؤمنين «ع» انه قال ان اول عين نبعت في الارض هي التي فجرها الله لصالح فقال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم) هذا مع ما بعده مفسّر في سورة الاعراف والقصة مشروحة هناك

قوله تعالى (١٦٠) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٥) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٦) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٧) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٨) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٩) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٧٠) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧١) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧٢) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٤) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (ست عشرة آية)

اللغة

العادي والظالم والجائر نظائر وهو من العدوان وأصله من العدو الذي هو الاسراع في السعي والقالي المبغض يقال قلاه يقليه قلى ابغضه والغابر الباقي في قلة كالتراب الذى يذهب بالكنس، وبقي غباره والغبر البقية من اللبن في الاخلاف قال الحرث بن حلزة

لَا تَكْسَعِ الشَّوْلَ بِأَغْبَارِهَا ... إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَنِ النَّاتِجُ (١)

والتدمير الإهلاك بأهول الامور

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن قوم لوط فقال (كذبت قوم لوط المرسلين) وقد فسّرناه إلى قوله (اتأتون الذكران من العالمين) اى تصيبون الذكور من جملة الخلائق (وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم) اى وتتركون ما خلقه الله لكم من الازواج والنساء والزوجة هي التي وقع عليه العقد بالنكاح الصحيح يقال لها زوجة وزوج قال سبحانه اسكن أنت وزوجك الجنة (بل أنتم قوم عادون) اى ظالمون معتدون الحلال إلى الحرام والطاعة إلى المعصية (قالوا لئن لم تنته يالوط) وترجع عما تقوله ولم تمتنع عن دعوتنا وتقبيح أفعالنا (لتكونن من المخرجين) عن بلدنا (قال) لوط لهم عند ذلك [اني لعملكم من القالين] اي من المبغضين الكارهين ثم دعا ربه فقال [رب نجني وأهلي مما يعملون] اي من عاقبة ما يعملونه وهو العذاب النازل بهم وأجاب الله سبحانه دعاءه قال [فنجيناه وأهله اجمعين] يعني من العذاب الذى وقع بهم ويجوز ان يكون اراد نجيناه واهله من نفس عملهم وتكون النجاة من العذاب النازل بهم تبعاً لذلك والاول اوضح ويدل عليه قوله [إلا عجوزاً في الغابرين] واراد

(١) الكسع : أن يؤخذ ماء بارد فيضرب بضروع الابل الحلوبة اذا ارادوا تغزيرها ليجف لبنها ويكون اقوى لاولادها التى تنتجها . والشول جمع الشائلة : التى أتى عليها من حملها اووضعها سبعة اشهر فخف لبنها . يوصي الشاعر ابنه باطعام الاضياف . يقول لاتضرب الماء البارد على ضرع الابل تطلب بذلك قوة نسلها واحلبها للاضياف فلعل عدوّاً

بالعجوز امرأته لأنها كانت تدل اهل الفساد على اضيافه فكانت من الباقين في العذاب وهلكت فيما بعدمع من خرج من القرية بما امطره الله من الحجارة (ثم دمرنا الآخرين) اهلكناهم بالخسف وقيل بالائتفاك وهو الانقلاب ثم امطر على من كان غائبا منهم عن القرية الحجارة من السماء وهو قوله (وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين) اي بئس واشئد مطر الكافرين مطرهم وما بعده مفسر قبل

قوله تعالى (١٧٦) كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٧) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٨) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٨٠) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨١) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨٢) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٣) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٤) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٥) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٦) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٧) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٨) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٩) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٩٠) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (ست عشرة آية)

القراءة

قرأ أهل الحجاز والشام ليكة بالنصب غير مهموز هاهنا وفي ص والباقون الأيكة باثبات الهمزة والجر في الموضعين

الحجة

قال ابو علي الأيكة تعريف أيكة فإذا خففت الهمزة حذفتها والقيت حركتها على اللام فقلت لَيْكَة كما قالوا لَحْمَر ومن قال لَحْمَر قال لَيْكَة وقول من قال اصحاب ليكةَ بفتح التاء مشكل لأنه فتح مع لحاق لام المعرفة الكلمة وهذا في الامتناع كقول من قال بلحمر فيفتح وانما يخرج هذا على ان المعنى قد سمي بكلمة تكون اللام فيها فاء ولم اسمع بها وقال الزجاج جاء في التفسير ان اسم المدينة التي ارسل اليها شعيب كان ليكة

اللغة

الأيكة النيضة ذات الشجر الملتف والجمع الأيك قال

تَجْلُو بِقَادِمَتَيْ حَمَامَةِ أَيْكَةٍ ... بَرَدًا أُسِفَّ لِثَاتُهُ بِالْإِثْمِدِ (١)

المخسر المعرض للخسران في رأس المال بالنقصان اخسر يخسر اخسارا اذا جعله يخسر في ماله ونقيضه اربحه والجبلة الخليقة التي طبع عليها الشيء بكسر الجيم والباء وقيل ايضا بضمها ويسقطون الهاء ايضا قال ابو ذؤيب

مَنَايَا يُقَرِّبْنَ الْحُتُوفَ لِأَهْلِهَا ... جِهَارًا وَيَسْتَمْتِعْنَ بِالْأُنُسِ الْجِبْلِ (٢)

← يغير عليها فيكون نتاجها له دونك .

(١) شبه شفتي محبوبته بمقدمي جناح الحمامة . وثغرها بالبرد ذر بالاثمد . (٢) يقول : الناس كلهم متعة للموت يستمتع بهم .

وقال آخر

وَالْمَوْتُ أَعْظَمُ حَادِثٍ مِمَّا يَمُرُّ عَلَى الْجِبِلَّة

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن شعيب فقال (كذب اصحاب ليكة المرسلين) وهم أهل مدين عن ابن عباس وقيل انهم غيرهم عن قتادة وقال ان الله سبحانه أرسل شعيبا إلى امتين (إذ قال لهم شعيب) ولم يقل أخوهم لأنه لم يكن من نسبهم وكان من اهل مدين فلذلك قال في ذلك الموضع وإلى مدين اخاهم شعيبا (ألا تتقون اني لكم رسول أمين) مفسر فيما قبل إلى قوله (رب العالمين) وإنما حكى الله سبحانه دعوة كل نبي بصيغة واحدة ولفظ واحد اشعارا بأن الحق الذي تأتي به الرسل ويدعون اليه واحد من اتقاء الله تعالى واجتناب معاصيه والإخلاص في عبادته وطاعة رسله وان انبياء الله تعالى لا يكونون إلا أمناء الله في عباده فإنه لا يجوز على واحد منهم أن يأخذ الأجرة على رسالته لما في ذلك من التنفير عن قبولهم ثم قال (اوفوا الكيل) أي اعطوا الكيل وافيا غير ناقص ويدخل الوفاء في الكيل والوزن والذرع والعدد (ولا تكونوا من المخسرين) أي من الناقصين للكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس المستقيم) اي بالعدل الذي لا حيف فيه يعني زنوا وزنا يجمع الايفاء والاستيفاء وذكرنا الأقوال في القسطاس في سورة بني اسرائيل (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) اي ولا تنقصوا الناس حقوقهم ولا تمنعوها (ولا تعثوا في الارض مفسدين) أي ولا تسعوا في الأرض بالفساد والعثي اشد الفساد والخراب عن ابي عبيدة (واتقوا الذي خلقكم) أي أوجدكم بعد العدم (والجبلة) أي الخليقة (الأولين) يعني وخلق الأمم المتقدمين (قالوا انما انت من المسحرين وما انت إلا بشر مثلنا) مرّ معناه (وان نظنك لمن الكاذبين) أي وانا نظنك كاذبا من جملة الكاذبين وان هذه مخففة من الثقيلة ولذلك لزمها اللام في الخبر (فأسقط علينا كسفا من السماء) اي قطعا من السماء جمع كسفة عن ابن عباس (ان كنت من الصادقين) في دعواك (قال) شعيب (ربي اعلم بما تعملون) ومعناه انه ان كان في معلومه انه ان بقاكم تبتم او تاب بعضكم لم يقتطعكم بالعذاب وان كان في معلومه انه لا يفلح واحد منكم فسيأتيكم عذاب الاستئصال ثم قال (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) أصابهم حر شديد سبعة أيام وحبس عنهم الريح ثم غشيتهم سحابة فلما خرجوا اليها طلبا للبرد من شدة الحر الذي أصابهم أمطرت عليهم نارا فأحرقتهم فكان من أعظم الأيام في الدنيا عذابا وذلك قوله (انه كان عذاب يوم عظيم) ومعنى الظلة هاهنا السحابة التي قد أظلتهم (إن في ذلك لآية) مفسر إلى آخره

قوله تعالى (١٩٢) وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٣) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٤) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٥) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٦) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٧) أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٨) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٩) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (٢٠٠) كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠١) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠٢) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

(٢٠٣) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (٢٠٤) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٥) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٦) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٧) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٨) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (٢٠٩) ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢١٠) وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١١) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١٢) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ

(احدى وعشرون آية)

القراءة

قرأ اهل الحجاز وابو عمرو وحفص وزيد نزل بالتخفيف الروح الامين بالرفع والباقون نزّل بالتشديد الروح الأمين بالنصب وقرأ ابن عامر اولم تكن بالتاء آية بالرفع والباقون لم يكن بالياء آية بالنصب وفي الشواذ قراءة الحسن الاعجميين وقراءته ايضاً فتأتيهم بغتة بالتاء ما تنزلت به الشياطون

الحجة

قال ابو علي حجة من قال نزل به بالتشديد قوله فإنه نزّله على قلبك وتنزّل الملائكة بالروح فإنه مطاوع نزل وقوله نزله روح القدس من ربك بالحق ومن اسند الفعل إلى الروح فقال نزل به الروح الامين فإنه ينزل بأمر الله تعالى فمعناه معنى المثقلة والوجه في قراءة ابن عامر أولم تكن لهم آية انّ في تكن ضمير القصة والحديث لأن ما يقع تفسيراً للقصة والحديث من الجملة إذا كان فيها اسم مؤنث جاز تأنيث المضمر على شريطة التفسير كقوله فإذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقوله فإنها لا تعمى الابصار وكذلك أن يعلمه علماء بني اسرائيل لما كان فيه مؤنث جاز ان يؤنث تكن فآية مرتفعة بأنها خبر المبتدأ الذي هو ان يعلمه علماء بني اسرائيل ولا يمتنع أن لا يضمر القصة والحديث ولكن يرفع ان يعلمه بقوله تكن وان كان في تكن علامة التأنيث لأن ان يعلمه في المعنى هو الآية فيحمل الكلام على المعنى كما حمل على المعنى في قوله فله عشر أمثالها فأنث لما كان المراد بالامثال الحسنات وكذلك قراءة من قرأ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وقال ابن جني في قراءة الحسن الاعجميين إنها تفسير للغرض في القراءة المجمع عليها وهي قوله بعض الاعجميين وذلك ان ما كان من الصفات على افعل ومؤنثه فعلى لا يجمع بالواو والنون ولا بالالف والتاء فكان قياسه ان لا يجوز فيه الأعجمون لأن مؤنثه عجمي لكن سببه انه أريد به الاعجميون ثم حذف ياء النسب وجعل جمعه بالواو والنون دليلا عليها وامارة لإرادتها كما جعلت صحة الواو في عواور امارة لإرادة الياء في عواوير وقوله فتأتيهم بغتة بالتاء معناه فتأتيهم الساعة فأضمر الساعة لدلالة العذاب الواقع فيها عليها ولكثرة ما يرد في القرآن من ذكر اتيانها وأما قوله الشياطون فقد قال الفراء فيه غلط الشيخ يعني الحسن فقيل ذلك للنضر بن شميل فقال إذا جاز ان يحتج بقول العجاج وروبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن مع انا نعلم انه لم يقرأ به إلا وقد سمعه قال ابن جني هذا مما يعرض مثله للفصيح لتداخل الجمين عليه وتشابههما عنده ونحو منه قولهم مسيل فيمن اخذه من السيل ثم قالوا في جمعه مسلان ومسلة وفي معين معنان ومعنة مع ان الأقوى ان يكون معنان من العين فالشياطون غلط لكن يشبهه كما ان من همز مصائب كذلك عندهم وقال الزمخشري الوجه فيه انه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخيّر بين ان يجري الاعراب على النون وبين ان يجريه على

ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين ان تقول هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه ان يشق من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل

﴿ اللغة ﴾

الاعجم الذي يمتنع لسانه عن العربية والعجمي نقيض العربي والاعجمي نقيض الفصيح

﴿ الإعراب ﴾

لا يؤمنون به في موضع النصب على الحال وبغتة مصدر وضع موضع الحال. سنين ظرف زمان لمتعناهم. ما اغنى ما نافية ومفعول اغنى محذوف وتقديره ما اغنى عنهم تمتعهم شيئا. ذكرى في محل النصب لأنه مفعول له. وماينبغي فاعل ينبغي مستكن فيه عائد إلى مصدر تنزل تقديره وما ينبغي لهم ان يتنزلوا به

﴿ المعنى ﴾

ثم بيّن سبحانه أمر القرآن بعد ان قصّ أخبار الأنبياء «ع» ليتصل بها حديث نبيّنا ﷺ فقال (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به) اي نزل الله بالقرآن (الروح الأمين) يعني جبرائيل «ع» وهو أمين الله لا يغيّره ولا يبدّله وسمّاه روحا لأنه يحيي به الدين وقيل لأنه يحيي به الأرواح بما ينزل من البركات وقيل لأنه جسم روحاني (على قلبك) يا محمد وهذا على سبيل التوسع لأن الله تعالى يسمعه جبرائيل «ع» فيحفظه وينزل به على الرسول ويقرأه عليه فيعيه ويحفظه بقلبه فكأنه نزل به على قلبه وقيل معناه لقنك الله حتى تلقنته وثبته على قلبك وجعل قلبك وعاء له (لتكون من المنذرين) أي لتخوّف به الناس وتنذرهم بآيات الله (بلسان عربي مبين) اي بلغة العرب مبين للناس ما بهم اليه الحاجة في دينهم وقيل أراد به لسان قريش ليفهموا ما فيه ولا يقولوا اما نفهم ما قال محمد عن مجاهد وقيل لسان جرهم وإنما جعله عربيا لأن المنزل عليه عربي والمخاطبون به عرب ولأنه تحدّى بفصاحته فصحاء العرب وقد تضمنت هذه الآية تشريف هذه اللغة لأنه سمّاها مبينا ولذلك اختارها لأهل الجنة (وانه) اي وان ذكر القرآن وخبره (لفي زبر الأولين) اي في كتب الأولين على وجه البشارة به وبمحمد ﷺ لا بمعنى ان الله أنزله على غير محمد ﷺ وواحد الزبر زبور وقيل معناه انه أنزل على سائر الأنبياء من الدعاء إلى التوحيد والعدل والاعتراف بالبعث واقاصيص الأمم مثل الذي نزل في القرآن (أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل) معناه أولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل بمجيئه على ما تقدّمت البشارة دلالة لهم على صحة نبوته لأن العلماء الذين آمنوا من بني اسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم وكانت اليهود تبشّر به وتستفتح على العرب به وكان ذلك سبب إسلام الاوس والخزرج على ما مرّ بيانه وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وأصحابه عن ابن عباس وقيل هم خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد واسيد عن عطية (ولو نزلناه على بعض الاعجمين) أي ولو نزلنا القرآن على رجل ليس من العرب وعلى من لا يفصح (فقرأه عليهم) أي على العرب (ماكانوا به مؤمنين) أي لم يؤمنوا به وانفوا من اتباعه لكنا أنزلناه بلسان العرب على افصح رجل منهم من أشرف بيت ليتدبّروا فيه وليكون ادعى إلى اتباعه وتصديقه وقيل معناه لو نزلناه على اعجم من البهائم او غيرها لما آمنوا به وان كان فيه زيادة اعجوبة عن عبد الله بن مطيع وروي عن عبد الله بن مسعود انه سئل عن هذه الآية وهو على بعير فأشار اليه وقال هذا من الاعجمين (كذلك سلكناه في قلوب المجرمين) اي

كما أنزلنا القرآن عربيا مبينا أمرناه وأدخلناه واوقعناه في قلوب الكافرين بأن امرنا النبي ﷺ حتى قرأه عليهم وبينه لهم ثم بين انهم مع ذلك (لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم) فيلجئهم إلى الايمان به وهذا خبر عن الكفار الذين علم الله انهم لا يؤمنون أبداً (فيأتيهم) أي العذاب الذي يتوقعونه ويستعجلونه (بغتة) أي فجأة (وهم لا يشعرون) بمجيئه (فيقولوا هل نحن منظرون) أي مؤخرون لنؤمن ولنصدق قال مقاتل لما اوعدهم النبي ﷺ بالعذاب استعجلوا العذاب تكذيبا له فقال الله (أفبعذابنا يستعجلون) توبيخا لهم ثم قال (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون) اي أرأيت إن أنظرناهم وأخرناهم سنين ومتعناهم بشيء من الدنيا ثم اتاهم العذاب لم يغن عنهم ما متعوا في تلك السنين من النعيم لازدبادهم في الآثام واكتسابهم من الاجرام وهو استفهام في معنى التقرير (وما اهلكنا من قرية) أي وما أهلكنا قرية (إلا لها منذرون) اي إلا بعد اقامة الحجج عليهم بتقديم الانذار وارسال الرسل (ذكرى) اي تذكيراً وموعظة لهم ليتعظوا ويصلحوا فإذا لم يصلحوا مع التخويف والتحذير واستحقوا عذاب الاستئصال باصرارهم على الكفر والعناد اهلكناهم (وما كنا ظالمين) اي وما ظلمناهم بالاهلاك لأنا لا نظلم أحداً ينفي سبحانه عن نفسه الظلم وفي هذا تكذيب لمن زعم ان كل ظلم وكفر في الدنيا هو من خلقه وارادته وغاية الظلم ان يعاقب عباده على ما خلقه فيهم وأراده منهم تعالى الله عن ذلك وتقدس (وما تنزلت به) اي بالقرآن (الشياطين) كما يزعمه بعض المشركين (وما ينبغي لهم) انزال ذلك أي الشياطين (وما يستطيعون) ذلك ولا يقدرون عليه لأن الله تعالى يحرس المعجزة عن ان يموه بها المبطل فإنه إذا أراد ان يدل بها على صدق الصادق اخلصها بمثل هذه الحراسة حتى تصح الدلالة بها ومعنى قول العرب ينبغي لك ان تفعل كذا انه يطلب منك فعله في مقتضى العقل من البغية التي هي الطلب (انهم عن السمع لمعزولون) اي مصروفون عن استماع القرآن اي عن المكان الذي يستمعون ذلك فيه ممنوعون عنه بالشهب الثاقبة وقيل معناه ان الشياطين عن سمع القرآن منحون عن قتادة فإن العزل تنحية الشيء عن موضع إلى خلافه وازالته عن امر إلى نقيضه قال مقاتل قالت قريش انما تجيء بالقرآن الشياطين فتلقيه على لسان محمد ﷺ فاكذبهم الله تعالى بأن قال انهم لا يقدرون بأن يأتوا بالقرآن من السماء قد حيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشهب

قوله تعالى (٢١٣) فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٤) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٥) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٦) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٧) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٨) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٩) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢٢٠) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (ثماني آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة وابن عامر فتوكل بالفاء والباقون بالواو

﴿ الحجة ﴾

هو لما في مصاحف اهل المدينة والشام بالفاء وفي مصاحف مكة والعراق بالواو والوجهان حسنان

اللغة

عشيرة الرجل قرابته سموا بذلك لأنه يعاشرهم وهم يعاشرونه

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ والمراد به سائر المكلفين فقال (فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين) بسبب ذلك وإنما أفرده بالخطاب ليعلم ان العظيم الشأن إذا اوعد فمن دونه كيف حاله وإذا حذر هو فغيره اولى بالتحذير (وانذر عشيرتك الاقربين) اي رهطك الادنين اي انذرهم بالافصاح من غير تليين بالقول كما تدعو اليه مقاربة العشيرة وإنما خصهم بالذكر تنبيها على انه ينذر غيرهم وانه لا يداهنهم لاجل القرابة ليقطع طمع الاجانب عن مداهنته في الدين وقيل انه ﷺ أمر بأن يبدأ بهم في الانذار والدعاء الى الله ثم بالذين يلونهم كما قال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار لأن ذلك هو الذي يقتضيه حسن الترتيب وقيل انه إنما خصهم لأنه يمكنه ان يجمعهم ثم ينذرهم وقد فعل ذلك النبي ﷺ واشتهرت القصة بذلك عند الخاص والعام وفي الخبر المأثور عن البراء بن عازب انه قال لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم يأكل المسنة[1] ويشرب العس فأمر علياً «ع» برجل شاة فأدمها[2] ثم قال ادنوا بسم الله فدنا القوم عشرة عشرة فأكلوا حتى صدروا ثم دعا بقعب[3] من لبن فجرع منه جرعة ثم قال لهم اشربوا بسم الله فشربوا حتى رووا فبدرهم ابو لهب فقال هذا ما سحركم به الرجل فسكت ﷺ يومئذ ولم يتكلم ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم انذرهم رسول الله ﷺ فقال يا بني عبد المطلب اني انا النذير اليكم من الله عز وجل والبشير فأسلموا وأطيعوني تهتدوا ثم قال من يؤاخيني ويوآزرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني فسكت القوم فأعادها ثلاثا كل ذلك يسكت القوم ويقول علي «ع» انا فقال في المرة الثالثة أنت فقام القوم وهم يقولون لابي طالب اطع ابنك فقد امر عليك اورده الثعلبي في تفسيره وروى عن ابي رافع هذه القصة وانه جمعهم في الشعب فصنع لهم رجل شاة فأكلوا حتى تضلعوا وسقاهم عسا فشربوا كلهم حتى رووا ثم قال ان الله تعالى امرني ان انذر عشيرتي الأقربين وانتم عشيرتي ورهطي وان الله لم يبعث نبيا إلا جعل له من اهله اخا ووزيراً ووارثا ووصيا وخليفة في اهله فأيكم يقوم فيبايعني على انه اخي ووارثي ووزيري ووصيي ويكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبيّ بعدي فسكت القوم فقال ليقومنّ قائمكم أو ليكوننّ في غيركم ثم لتندمنّ ثم اعاد الكلام ثلاث مرات فقام علي «ع» فبايعه وأجابه ثم قال ادن مني فدنا منه ففتح فاه ومجّ في فيه من ريقه وتفل بين كتفيه وثدييه فقال ابو لهب فبئس ما حبوت به ابن عمك[4] انّ أجابك فملأت فاه ووجهه بزاقا فقال ﷺ ملأته حكمة وعلما وعن ابن عباس قال لما نزلت الآية صعد رسول الله ﷺ على الصفا فقال يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا مالك فقال أرأيتكم ان اخبرتكم ان العدوّ مصبحكم او ممسيكم ما كنتم تصدقونني قالوا بلى قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال ابو لهب تباً لك ألهذا دعوتنا جميعا فأنزل الله تعالى تبت يدا أبي لهب وتبّ إلى آخر السورة وفي قراءة عبد الله بن مسعود وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين وروي ذلك عن ابي عبد الله «ع» (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) أي ألن جانبك وتواضع لهم وحسن اخلاقك معهم عن ابي زيد وغيره (فإن عصوك) يعني اقاربك بعد انذارك

(١) وفي بعض الروايات «الجذعة» وفي بعضها «الجفرة» . وهي من اولاد المعز ما بلغ اربعة اشهر وفصل عن امه واخذ في الرعي . والعس : القدح الكبير . (٢) أدم الخبز : خلطه بالادام . (٣) القعب : القدح الضخم الغليظ . (٤) أي اعطيت به .

إياهم وخالفوك فيما تدعوهم اليه (فقل) لهم (اني بريء مما تعملون) أي من اعمالكم القبيحة وعبادتكم الأصنام (وتوكل على العزيز الرحيم) أي فوّض امرك إلى العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم بأوليائه ليكفيك كيد اعدائك الذين عصوك فيما امرتهم به (الذي يريك حين تقوم) اي الذي يبصرك حين تقوم من مجلسك او فراشك إلى الصلاة وحدك وفي الجماعة وقيل معناه يراك حين تقوم في صلاتك عن ابن عباس وقيل حين تقوم بالليل لأنه لا يطلع عليه أحد غيره وقيل حين تقوم للانذار واداء الرسالة (وتقلبك في الساجدين) اي ويرى تصرفك في المصلين بالركوع والسجود والقيام والقعود عن ابن عباس وقتادة والمعنى يراك حين تقوم إلى الصلاة مفرداً وتقلبك في الساجدين إذا صليت في جماعة وقيل معناه وتقلبك في اصلاب الموحدين من نبيّ إلى نبيّ حتى اخرجك نبياً عن ابن عباس في رواية عطا وعكرمة وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله صلوات الله عليهما قالا في أصلاب النبيين نبي بعد نبي حتى اخرجه من صلب ابيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم «ع» وروى جابر عن ابي جعفر «ع» قال قال رسول الله ﷺ لا ترفعوا قبلي ولا تضعوا قبلي فإني أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي ثم تلا هذه الآية (انه هو السميع العليم) يسمع ما تتلو في صلاتك ويعلم ما تضمر فيها

قوله تعالى (٢٢١) هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢٢) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٣) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٤) وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٥) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٦) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٧) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (سبع آيات)

القراءة

قرأ نافع يَتْبعهم ساكنة التاء والباقون يَتَّبعهم

الحجة

الوجهان حسنان يقال تبعت القوم اتبعهم واتبعتهم اتبعهم

اللغة

الافاك الكذاب وأصل الافك القلب والأفاك الكثير القلب للخبر عن جهة الصدق الى جهة الكذب والاثيم الفاعل للقبيح يقال أثم يأثم اثما إذا ارتكب القبيح وتأثم إذا ترك الإثم والهائم الذاهب على وجهه عن الكسائي وقيل هو المخالف للقصد عن ابي عبيدة

الاعراب

انتصب قوله ايَّ منقلب لأنه صفة مصدر محذوف وتقديره سيعلم الذين ظلموا انقلابا اي انقلاب ينقلبون ولا يجوز ان يكون معمول سيعلم لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وانما يعمل فيه ما بعده والعلة في ذلك الاستخبار قبل الخبر ورتبة الاستخبار التقديم فلا يجوز ان يعمل فيه الخبر لأن الخبر بعده وذلك انه موضوع على انه جواب مستخبر

=[المعنى]=

لما اخبر الله سبحانه ان القرآن ليس مما تتنزل به الشياطين وانه وحي من الله عقّبه بذكر من تنزل عليه الشياطين فقال (هل انبئكم) اي هل اخبركم (على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) اي انما يتنزل الشياطين على كل كذاب فاجر عامل بالمعاصي وهم الكهنة وقيل طليحة ومسيلمة عن مقاتل ولست بكذاب ولا أثيم فلا يتنزل عليك الشياطين وإنما يتنزل عليك الملائكة (يلقون السمع) معناه ان الشياطين يلقون ما يسمعونه إلى الكهنة والكذابين ويخلطون به كثيرا من الاكاذيب ويوحونه اليهم (وأكثرهم) اي واكثر الشياطين (كاذبون) وقيل اكثر الكهنة كاذبون قال الحسن هم الذين يسترقون السمع من الملائكة فيلقون الى الكهنة (وهذا) كان قبل ان أوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد ذلك فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا (والشعراء يتبعهم الغاوون) قال ابن عباس يريد شعراء المشركين وذكر مقاتل اسماءهم قال منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف الجمحي وابو عزة عمرو بن عبد الله كلهم من قريش وأمية بن ابي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما قال محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة من قومهم يستمعون اشعارهم ويروون عنهم حين يهجون النبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه فذلك قوله يتبعهم الغاوون وقيل الغاوون الشياطين عن قتادة ومجاهد وقيل أراد بالشعراء الذين غلبت عليهم الاشعار حتى اشتغلوا بها عن القرآن والسنة وقيل هم الشعراء الذين إذا غضبوا سبّوا وإذا قالوا كذبوا وإنما صار الاغلب عليهم الغي لأن الغالب عليهم الفسق فإن الشاعر يصدر كلامه بالتشبيب ثم يمدح للصلة ويهجو على حمية الجاهلية فيدعوه ذلك الى الكذب ووصف الإنسان بما ليس فيه من الفضائل والرذائل وقيل انهم القصاص الذين يكذبون في قصصهم ويقولون مايخطر ببالهم وفي تفسير علي بن ابراهيم انهم الذين يغيرون دين الله تعالى ويخالفون أمره قال وهل رأيتم شاعرا قط تبعه احد انما عنى بذلك الذين وضعوا دينا بآرائهم فتبعهم الناس على ذلك وروى العياشي بالاسناد عن ابي عبد الله «ع» قال هم قوم تعلّموا وتفقهوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا (ألم تر انهم في كل واد يهيمون) أي في كل فن من الكذب يتكلّمون وفي كل لغو يخوضون يمدحون ويذمّون بالباطل عن ابن عباس وقتادة والمعنى انهم لما يغلب عليهم من الهوى كالهائم على وجهه في كل واد يعن له فيخوضون في كل فن من الكلام والمعاني التي تعن لهم ويريدونها فالوادي مثل لفنون الكلام وهيمانهم فيه قولهم على الجهل بما يقولون من لغو وباطل وغلوّ في مدح وذم (وانهم يقولون ما لا يفعلون) اي يحثّون على اشياء لا يفعلونها وينهون عن اشياء يرتكبونها ثم استثنى من جملتهم فقال (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وهم شعراء المؤمنين مثل عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت وسائر شعراء المؤمنين الذين مدحوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وردّوا هجاء من هجاه وفي الحديث عن الزهري قال حدثني عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال يارسول الله ما ذا تقول في الشعر فقال ان المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما ينضحونهم بالنبل وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحسان بن ثابت اهجهم او هاجهم وروح القدس معك رواه البخاري ومسلم في الصحيحين وقال الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي «ع» اشعر من الثلاثة (وذكروا الله كثيرا) لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوا الشعر همّهم (وانتصروا) من المشركين للرسول

والمؤمنين (من بعد ما ظلموا) قال الحسن انتصروا بما يحبون الانتصار به في الشريعة وهو نظير قوله لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم اي ردّوا على المشركين ما كانوا يهجون به المؤمنين ثم هدّد الظالمين فقال (وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون) أي سوف يعلم ايّ مرجع يرجعون وايّ منصرف ينصرفون لأن منصرفهم إلى النار نعوذ بالله منها

سورة النمل مكية

عدد آيها

خمس وتسعون آية حجازي اربع بصري شامي ثلاث كوفي

اختلافها

آيتان وألوا بأس شديد حجازي من قوارير غير الكوفي

فضلها

ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الشعراء بذكر القرآن افتتح هذه السورة بذكره ايضاً فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) طٰسٓ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (٢) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٦) وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٧) إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٨) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٩) يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٠) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (عشر آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة ورويس عن يعقوب بشهاب قبس منونا غير مضاف وقرأ الباقون بشهاب قبس مضافا

— الحجة واللغة —

قال ابو عبيدة الشهاب النار والقبس ما اقتبست وانشد

في كفه صعدة مثقفة فيها سنان كشعلة القبس(١)

وقال غيره كل ذي نور فهو شهاب قال ابو علي يجوز ان يكون قبس صفة ويجوز أن يكون اسما غير صفة فأما الصفة فإنهم يقولون قبسته اقبسه قبسا والقبس الشيء المقبوس فإذا كان القبس صفة فالاحسن ان يجري على شهاب كما جرى على الموصوف في قوله « كأنه ضرم بالكف مقبوس » وان كان مصدرا غير صفة حسنت فيه الاضافة ولا يحسن ذلك في الصفة لأن الموصوف لا يضاف الى صفته وقال ابو الحسن الاضافة اجود وأكثر في القراءة كما تقول دار آجر وسوار ذهب ولو قلت سوار ذهب ودار آجر كان عربيا قال ابو علي جعل ابو الحسن القبس فيه غير وصف الا ترى انه جعله بمنزلة الآجر والذهب وليس واحد منهما صفة

الاعراب

هدى وبشرى في محل النصب او الرفع فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها معنى الإشارة والرفع على ثلاثة اوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من آيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر ان بورك ان هي المفسرة لأن النداء فيه معنى القول يعني قيل له بورك ولا يجوز ان يكون مخففة من الثقيلة على تقدير انه بورك لأنه كان يكون لا بدّ من قدْ والهاء في انه ضمير الشأن وانا الله مبتدأ وخبر والق عصاك عطف على بورك اي نودي ان بورك وان الق عصاك

المعنى

(طس) سبق تفسيره (تلك) اشارة الى ما وعدوا بمجيئه من القرآن (آيات القرآن وكتاب مبين) اضاف الآيات الى القرآن وآيات القرآن هي القرآن فهو كقولك انه لحق اليقين والقرآن والكتاب معناهما واحد وصفه بالصفتين ليفيد أنه مما يظهر بالقراءة ويظهر بالكتابة وهو بمنزلة الناطق بما فيه من الامرين جميعا ووصفه بأنه مبين تشبيه له بالناطق بكذا ومعناه ان الله بيّن فيه امره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده وإذا وصفه بأنه بيان فإنه يجري مجرى وصفه له بالنطق بهذه الأشياء في ظهور المعنى به للنفس والبيان هو الدلالة التي تبين بها الاشياء والمبين المظهر (هدى وبشرى للمؤمنين) اي هدى من الضلالة الى الحق بالبيان الذي فيه والبرهان وباللطف فيه من جهة الاعجاز الدال على صحة أمر النبي ﷺ وبشرى للمؤمنين بالجنة والثواب ويجوز ان يكون في موضع نصب على ان يكون تقديره هاديا ومبشرا ويجوز أن يكون في موضع رفع والتقدير هو هدى وبشرى ثم وصف المؤمنين فقال (الذين يقيمون الصلاة) بحدودها وواجباتها ويداومون على أوقاتها (ويؤتون الزكاة) اي ويخرجون ما يجب عليهم من الزكاة في اموالهم إلى من يستحقها (وهم بالآخرة) اي بالنشأة الآخرة والبعث والجزاء (هم يوقنون) لا يشكّون فيه ثم وصف من خالفهم فقال (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيّنا لهم اعمالهم فهم يعمهون) اختلف في معناه فقيل ان المعنى زيّنا لهم اعمالهم التي أمرناهم بها باحسن وجوه التزيين والترغيب فهم يتحيّرون بالذهاب عنها عن الحسن والجبائي وابي مسلم وقيل زينا لهم اعمالهم بأن خلقنا فيهم شهوة القبيح الداعية لهم الى فعل المعاصي ليجتنبوا المشتهى فهم يعمهون عن هذا المعنى ويتردّدون في الحيرة وقيل معناه حرمناهم التوفيق عقوبة لهم على كفرهم فتزينت

(١) الصعدة : القناة التي نبتت مستوية . ومثقفة اى مستوية .

اعمالهم في أعينهم وحليت في صدورهم (أولئك الذين لهم سوء العذاب) اي شدة العذاب وصعوبته (وهم في الآخرة هم الأخسرون) اي لا احد اخسر صفقة منهم لأنهم يخسرون الثواب ويحصل لهم بدلا منه العقاب (وانك) يا محمد (لتلقى القرآن) اي لتعطى (من لدن حكيم) في أمره (عليم) بخلقه اي من عند الله لأن الملك يلقيه من قبل الله سبحانه وقيل معناه لتلقن قال علي بن عيسى عليم بمعنى عالم الا أن في عليم مبالغة فهو مثل سامع وسميع لأن في قولنا عالم يفيد ان له معلوما كما ان قولنا سامع يفيد ان له مسموعا واذا وصفناه بأنه عليم أفاد انه متى يصح معلوم فهو عالم به كما ان سميعا يفيد انه متى وجد مسموع فلا بدّ أن يكون سامعا له (إذ قال موسى لأهله) قال الزجاج العامل في إذ أذكر اي اذكر في قصة موسى إذ قال لأهله أي امرأته وهي بنت شعيب (اني آنست) اي ابصرت ورأيت (نارا) وسمي اشتقاق الإنس لأنهم مرئيون وقيل آنست اي أحسست بالشيء من جهة يؤنس بها وما أنمت به فقد احسست به مع سكون نفسك اليه (سآتيكم منها بخبر) معناه فالزموا مكانكم لعلي آتيكم من هذه النار بخبر الطريق وأهتدي بها إلى الطريق لأنه كان أضلّ الطريق (أو آتيكم بشهاب قبس) اي بشعلة نار والشهاب نور كالعمود من النار وكل نور يمتد مثل العمود يسمى شهابا وإنما قال لامرأته آتيكم على لفظ خطاب الجمع لأنه أقامه مقام الجماعة في الأنس بها والسكون اليها في الامكنة الموحشة (لعلكم تصطلون) اي لكي تستدفئوا بها وذلك لأنهم كانوا قد أصابهم البرد وكانوا شاتين عن الحسن وقتادة (فلما جاءها) اي جاء موسى الى النار يعني التي ظنّ انها نار وهي نور (نودي أن بورك من في النار ومن حولها) قال وهب لما رأى موسى النار وقف قريبا منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة لا تزداد النار الا اشتعالا ولا تزداد الشجرة إلا خضرة وحسنا فلم تكن النار بحرارتها تحرق الشجرة ولا الشجرة برطوبتها تطفئ النار فعجب منها واهوى اليها بضغث في يده ليقتبس منها فمالت اليه فخافها فتأخر عنها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها الى ان نودي والمراد به نداء الوحي ان بورك من في النار ومن حولها اي بورك فيمن في النار وهم الملائكة وفيمن حولها يعني موسى وذلك ان النور الذي رأى موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسبيح ومن حولها هو موسى لأنه كان بالقرب منها ولم يكن فيها فكأنه قال بارك الله على من في النار وعليك يا موسى ومخرجه الدعاء والمراد الخبر قال الكسائي تقول العرب بارك الله وبارك عليه وبارك فيه وقيل بورك من في النار معناه من في النار سلطانه وقدرته وبرهانه فالبركة ترجع إلى اسم الله وتأويله تبارك من نور هذا النور ومن حولها يعني موسى والملائكة وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقيل معناه بورك من في طلب النار وهو موسى «ع» فحذف المضاف ومن حولها الملائكة اي دامت البركة لموسى والملائكة وهذا تحية من الله سبحانه لموسى «ع» بالبركة كما حيّا ابراهيم «ع» بالبركة على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ثم نزّه سبحانه نفسه فقال (وسبحان الله رب العالمين) اي تنزيها له عما لا يليق بصفاته تعالى عن ان يكون جسما يحتاج إلى جهة أو عرضا يحتاج إلى محل أو يكون ممن يتكلم بآلة ثم أخبر سبحانه موسى عن نفسه وتعرف اليه بصفاته فقال (يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم) أي ان الذي يكلمك هو الله العزيز أي القادر الذي لا يغالب ولا يمتنع عليه شيء الحكيم في افعاله المحكم لتدابيره ثم أراه سبحانه آية يعلم بها صحة النداء فقال (وألق عصاك) وفي الكلام حذف تقديره

فألقاها فصارت حية (فلما رآها تهتز كأنها جان) أي تتحرك كما يتحرك الجان وهو الحية التي ليست بعظيمة وإنما شبّهها بالجان في خفة حركتها واهتزازها مع انها ثعبان في عظمها ولذلك هاله ذلك حتى ولّى مدبراً وقيل ان الحالتين مختلفتان لأن الحال التي صارت ثعبانا هي الحال التي لقي فيها فرعون والحال التي صارت جانا هي الحال التي خاطبه الله في أول ما بعثه نبيّاً (ولى مدبراً) أي رجع إلى ورائه (ولم يعقب) أي لم يرجع وكل راجع معقّب والمفسرون يقولون لم يلتفت ولم يقف فقال الله سبحانه (يا موسى لا تخف إني لا يخاف لديّ المرسلون) وهذا تسكين من الله سبحانه لموسى ونهي له عن الخوف يقول له انك مرسل والمرسل لا يخاف لأنه لا يفعل قبيحا ولا يخلّ بواجب فيخاف عقابي على ذلك

قوله تعالى (١١) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٣) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٤) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (اربع آيات)

القراءة

في الشواذ قراءة زيد بن اسلم وابي جعفر القاري الا من ظلم بفتح الهمزة خفيفة اللام وقرأ علي بن الحسين «ع» وقتادة مبصرة بفتح الميم والصاد

الحجة

قال ابن جني من عدل إلى هذه القراءة فكأنه خفي عليه انقطاع الاستثناء في القراءة الفاشية فإن من في هذه القراءة في موضع رفع بالابتداء أو يكون للشرط كقولك من يقم اضرب ومن هناك منصوبة على الاستثناء وهو استثناء منقطع بمعنى لكن وقوله مَبْصَرة كقولك هدى ونوراً وقد كثرت المفعلة بمعنى الشياع والكثرة في الجواهر والاحداث جميعا كقولهم أرض مضبة كثيرة الضباب ومفعاة كثيرة الافاعي ومحياة ومحواة كثيرة الحيات هذا في الجواهر واما الاحداث فكقولك البطنة موسنة وأكل الرطب مورّدة ومحمة ومنه المسعاة والمعلاة والحق مجدرة بك ومخلقة وفي كله معنى الكثرة من موضعين ﴿احدهما﴾ المصدرية التي فيه والمصدر إلى الشياع والعموم ﴿والآخر﴾ التاء وهي لمثل ذلك

الاعراب

بيضاء منصوبة على الحال ومن غير سوء يتعلق ببيضاء وفي تسع آيات يتعلق بألق وأدخل يدك ومعناه القاء العصا وادخال اليد في جيبك من جملة الآيات التسع التي يظهرها له . إلى فرعون يتعلق بمحذوف والتقدير مرسلا إلى فرعون فهو في موضع الحال ظلما وعلواً مفعول له وكيف في موضع نصب بأنه خبر كان

المعنى

ثم قال سبحانه (إلا من ظلم) المعنى لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح من غير المرسلين لأن الانبياء لا يقع منهم ظلم لكونهم معصومين من الذنوب والقبائح فيكون هذا استثناء منقطعا وإنما حسن ذلك لاجتماع الأنبياء وغيرهم في معنى شملهم وهو التكليف (ثم بدل حسنا بعد سوء) اي بدّل توبة وندما على مافعله من

القبيح وعزما ان لا يعود اليه في المستقبل (فإني غفور رحيم) أي ساتر لذنبه قابل لتوبته (وادخل يدك إلى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) أعطاه آية أخرى وقد سبق بيانها (في تسع آيات) أي مع تسع آيات أخر أنت مرسل بها (إلى فرعون وقومه) فحذف أو يكون تقديره مرسلا بها إلى فرعون ومبعوثا اليه ومثله قول الشاعر

رَأَتْنِي بِحَبْلَيْهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً وَفِي الْحَبْلِ رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ فَرُوقُ (١)

والتقدير رأتني مقبلا بحبليها وقال الزجاج في تسع آيات معناه من تسع آيات أي أظهر هاتين الآيتين من جملة تسع آيات كقولهم خذ لي عشراً من الابل فيها فحلان والمعنى منها فحلان والآيات التسع مفسرة في سورة بني اسرائيل (انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن طاعة الله إلى أقبح وجوه الكفر (فلما جاءتهم آياتنا) أي حججنا ومعجزاتنا (مبصرة) اي واضحة بيّنة على من ابصر انها خارجة عن قدرة البشر وهو مثل قوله وآتينا ثمود الناقة مبصرة وقد مرّ بيانه (قالوا هذا سحر مبين) أي ظاهر بيّن (وجحدوا بها) وانكروها ولم يقرّوا بأنها من عند الله تعالى قال ابو عبيدة الباء زائدة والمعنى جحدوها كما قال العجاج «نضرب بالسيف ونرجو بالفرج» (واستيقنتها أنفسهم) أي عرفوها وعلموها يقينا بقلوبهم وانما جحدوها بألسنتهم (ظلما) على بني اسرائيل وقيل ظلما على أنفسهم (وعلوّاً) أي طلبا للعلو والرفعة وتكبّراً عن ان يؤمنوا بما جاء به موسى «ع» (فانظر) يا محمد أو أيها السامع (كيف كان عاقبة المفسدين) في الأرض بالمعاصي

قوله تعالى (١٥) وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٦) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٧) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٨) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٩) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (خمس آيات)

اللغة

الوزع أصله المنع والكف يقال وزعه عن الظلم قال النابغة

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصِّبَا وَقُلْتُ أَلَمَّا تَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ (٢)

وقال آخر

أَلَمْ تَزِعِ الْهَوَى إِذْ لَمْ تُوَاتِي بَلَى وَسَلَوْتُ عَنْ طَلَبِ الْفَتَاةِ

والحطم الكسر ومنه الحطمة من اسماء جهنم والحطام ما تحطم والايزاع الالهام وفلان موزع بكذا أي مولع به قال الزجاج اوزعني تأويله في اللغة كفني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك و كفني عما يباعد منك

(١) قائله حميد بن ثور . وروعاء الفؤاد : حديده . وفروق بمعنى الخائف . (٢) المشيب : الشيب والبياض مر . والصبا : الميل الى هوى النفس . وقوله «تصح» من الصحو ، وهو زوال السكر . وقوله « على حين» الجار والمجرور متعلق بأسبل في البيت الذى قبله وهو قوله «فأسبل منى عبرة فرددتها * على النحر منها مستهل ودامع» .

﴿ الاعراب ﴾

لا يحطمنكم في موضع جزم لأنه جواب الأمر قال الزجاج ضاحكا حال موكدة لأن تبسم في معنى ضحك وقال بعض المتأخرين يجوز ان يكون حالا بعد الفراغ من الفعل لأن التبسم دون الضحك فكأنه تبسم أولا ثم آل امره إلى الضحك

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على قصة موسى «ع» قصة داود وسليمان «ع» فقال سبحانه (ولقد آتينا داود وسليمان علما) اي علما بالقضاء بين الخلق وبكلام الطير والدواب عن ابن عباس (وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) أي اختارنا من بين الخلق بأن جعلنا أنبياء وبالمعجزة والملك والعلم الذي الاناه وبالانة الحديد وتسخير الشياطين والجن والانس وإنما نكر قوله علما ليدل على انه أراد علما احتاجا اليه مما ينبئ عن صدقهما في دعوى الرسالة (وورث سليمان داود) في هذا دلالة على ان الانبياء يورثون المال كتوريث غيرهم وهو قول الحسن وقيل معناه انه ورثه علمه ونبوته وملكه دون سائر اولاده ومعنى الميراث هنا انه قام مقامه في ذلك فاطلق عليه اسم الارث كما اطلق على الجنة اسم الارث عن الجبائي وهذا خلاف الظاهر والصحيح عند اهل البيت «ع» هو الأول (وقال) سليمان مظهراً لنعمة الله وشاكراً اياها (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) أهل العربية يقولون انه لا يطلق النطق على غير بني آدم وإنما يقال الصوت لأن النطق عبارة عن الكلام ولا كلام للطير إلا انه لما فهم سليمان معنى صوت الطير سماه منطقا مجازاً وقيل انه أراد حقيقة المنطق لأن من الطير ما له كلام مهجي كالطيطوى قال المبرد العرب تسمي كل مبين عن نفسه ناطقاً ومتكلما قال رؤبة

لَوْ اَنَّنِي اُعْطِيتُ عِلْمَ الْحُكْلِ عِلْمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ

والحكل ما لا يسمع له صوت وقال علي بن عيسى ان الطير كانت تكلم سليمان معجزة له كما اخبر عن الهدهد ومنطق الطير صوت يتفاهم به معانيها على صيغة واحدة بخلاف منطق الناس الذي يتفاهمون به المعاني على صيغ مختلفة ولذلك لم نفهم عنها مع طول مصاحبتها ولم تفهم هي عنا لأن افهامها مقصورة على تلك الأمور المخصوصة ولما جعل سليمان يفهم عنها كان قد علم منطقها (وأوتينا من كل شيء) أي من كل شيء يؤتى الأنبياء والملوك وقيل من كل ما يطلبه طالب لحاجته اليه وانتفاعه به وقيل من كل شيء علما وتسخيراً في كل ما يصلح ان يكون معلوما لنا أو مسخراً لنا غير ان مخرجه مخرج العموم فيكون ابلغ واحسن وروى الواحدي بالاسناد عن محمد بن جعفر بن محمد عن ابيه «ع» قال اعطي سليمان بن داود ملك مشارق الارض ومغاربها فملك سبعمائة سنة وستة اشهر ملك اهل الدنيا كلهم من الجن والانس والشياطين والدواب والطير والسباع واعطي علم كل شيء ومنطق كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع العجيبة التي سمع بها الناس وذلك قوله علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء (ان هذا لهو الفضل المبين) أي هذا فضل الله الظاهر الذي لا يخفى على احد وهذا قول سليمان على وجه الاعتراف بنعم الله عليه ويحتمل ان يكون من قول الله سبحانه على وجه الاخبار بأن ما ذكره هو الفضل المبين (وحشر لسليمان جنوده) أي جمع له جموعه وكل صنف من الخلق جند على حدة بدلالة قوله (من الجن والانس والطير) قال المفسرون كان سليمان إذا

أراد سفراً أمر فجمع له طوائف من هؤلاء الجنود على بساط ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والارض والمعنى وحشر لسليمان جنوده اي جمع له جموعه في مسير له وقال محمد بن كعب بلغنا ان سليمان بن داود كان معسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون الوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة صريحة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم احد من الخلائق بشيء إلا جاءت به الريح فأخبرتك وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع فيه منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلّه الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع الريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن الرواح إلى الصباح (فهم يوزعون) اي يمنع اولهم على آخرهم عن ابن عباس ومعنى ذلك ان على كل صنف من جنوده وزعة ترد اولهم على آخرهم ليتلاحقوا ولا يتفرّقوا كما تقوم الجيوش إذا كثرت بمثل ذلك وهو ان تدفع اخراهم وتوقف اولاهم وقيل معناه يحبسون عن ابن زيد وهو مثل الاول في انه يحبس اولاهم على اخراهم (حتى إذا اتوا على واد النمل) اي فسار سليمان وجنوده حتى إذا اشرفوا على واد وهو بالطائف عن كعب وقيل هو بالشام عن قتادة ومقاتل (قالت نملة) اي صاحت بصوت خلق الله لها ولما كان الصوت مفهوما لسليمان عبّر عنه بالقول وقيل كانت رئيسة النمل (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم) اي لا يكسرنكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) بحطمكم ووطئكم فإنهم لو علموا بمكانكم لم يطؤوكم وهذا يدل على ان سليمان وجنوده كانوا ركبانا ومشاة على الأرض ولم تحملهم الريح لأن الريح لو حملتهم بين السماء والارض لما خافت النمل أن يطأوها بأرجلهم ولعل هذه القصة كانت قبل تسخير الله الريح لسليمان فإن قيل كيف عرفت النملة سليمان وجنوده حتى قالت هذه المقالة قلنا إذا كانت مأمورة بطاعته فلا بدّ ان يخلق لها من الفهم ما تعرف به أمور طاعته ولا يمتنع ان يكون لها من الفهم ما يستدرك به ذلك وقد علمنا انه تشق ما تجمع من الحبوب بنصفين مخافة أن يصيبها الندى فتنبت إلا الكزبرة فانها تكسرها بأربع قطع لأنها تنبت إذا شقت بنصفين فمن هداها إلى هذا فإنه جلّ جلاله يهديها إلى تمييز ما يحطمها مما لا يحطمها وقيل ان ذلك كان منها على سبيل المعجز الخارق للعادة لسليمان (ع) قال ابن عباس فوقف سليمان بجنوده حتى دخل النمل مساكنه (فتبسم) سليمان (ضاحكا من قولها) وسبب ضحك سليمان التعجب وذلك ان الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجّب وضحك وقيل انه تبسّم بظهور عدله حيث بلغ عدله في الظهور مبلغا عرفه النمل وقيل ان الريح اطارت كلامها اليه من ثلاثة أميال حتى سمع ذلك فانتهى اليها وهي تأمر النمل بالمبادرة فتبسّم من حذرها (وقال رب اوزعني) اي ألهمني (أن أشكر نعمتك التي انعمت عليّ) بأن علّمتني منطق النمل واسمعتني قولها من بعيد حتى امكنني الكف وأكرمتني بالنبوة والملك (وعلى والدي) اي انعمت علي والدي بأن اكرمته بالنبوة وفصل الخطاب وألنت له الحديد وعلى والدتي بأن زوّجتها نبيك وجعل النعمة عليهما نعمة لله سبحانه عليه يلزمه شكرها (وأن اعمل صالحا ترضاه) اي وفّقني لأن اعمل صالحا في المستقبل ترضاه (وأدخلني

برحمتك في عبادك الصالحين) قال ابن عباس يعني ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين اي أدخلني في جملتهم واثبت اسمي مع اسمائهم واحشرني في زمرتهم وقال ابن زيد في عبادك معناه مع عبادك قال الزجاج جاء لفظ ادخلوا كلفظ ما يعقل لأن النمل هاهنا اجري مجرى الآدميين حتى نطق كما ينطق الآدميون وإنما يقال لما لا يعقل ادخلي وفي الخبر دخلت اردخلن وروي ان نمل سليمان هذا كان كأمثال الذئاب والكلاب

قوله تعالى (٢٠) وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢١) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٢) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٣) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٤) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٥) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٦) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (سبع آيات)

القراءة

قرأ ابن كثير او ليأتيني بنونين اولاهما مشددة مفتوحة والباقون بنون واحدة مشددة وقرأ عاصم ويعقوب فمكث بفتح الكاف والباقون بضم الكاف وقرأ ابو عمرو وابن كثير في رواية البزي من سبإ بفتح الهمزة وقرأ ابن كثير في رواية القواس وابن فليح من سبإ بغير همزة وقرأ الباقون من سبأ مجرورة منونة ومثله سواء في سورة سبأ لقد كان لسبأ وقرأ ابو جعفر والكسائي ورويس عن يعقوب ألا يسجدوا خفيفة اللام وقرأ الباقون ألا يسجدوا مثل قوله الا يقولوا ومن خفف وقف على ألا يا وابتدأ اسجدوا وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم ما تخفون وما تعلنون بالتاء والباقون بالياء.

الحجة

من قرأ ليأتيني حذف النون الثالثة التي هي قبل ياء المتكلم لاجتماع النونات ومن قرأ ليأتينني فهو على الاصل و مكث و مكُث لغتان ومما يقوي الفتح قوله انكم ماكثون وقوله ماكثين فيه ابدا وقال سيبويه ثمود وسبا مرة للقبيلتين ومرة للحيين قال ابو علي يريد ان هذه الاسماء منها ما جاء على انه اسم الحي نحو معد وقريش وثقيف ومنها ما يستوي فيه الامران كثمود وسبأ وقال ابو الحسن في سبأ ان شئت صرفت فجعلته اسم ابيهم او اسم الحي وان شئت لم تصرف فجعلته اسم القبيلة قال والصرف احب الي لأنه قد عرف انه اسم ابيهم وان كان اسم الأب يصير كالقبيلة الا اني احمله على الأصل وقال غيره هو اسم رجل واليمانية كلها تنسب اليه يقولون سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قال الزجاج من قال ان سبأ اسم رجل غلط لأن سبأ هي مدينة تعرف بمارب من اليمن بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام قال الشاعر

مِنْ سَبَإِ الْحَاضِرِينَ مَأْرِبَ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا

فمن لم يصرف فلأنه اسم مدينة ومن صرفه فلأن يكون اسما للبلد قال جرير

الْوَارِدُونَ وَتَيْمٌ فِي ذُرَى سَبَإٍ قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ(١)

(١) الذرى جمع الذروة : أعلى كل شيء .

ومن قرأ ألا يسجدوا فالتقدير فصدّهم عن السبيل لأن لا يسجدوا على انه مفعول له قال ابو علي وهذا هو الوجه لتجري القصة على سننها ولا يفصل بين بعضها وبعض ما ليس منها وان كان الفصل بهذا النحو غير ممتنع لأنه يجري مجرى الاعتراض وكأنه لما قيل وزيّن لهم الشيطان اعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون فدلّ هذا الكلام على انهم لا يسجدون لله قال الا يا قوم اسجدوا لله خلافا عليهم ووجه دخول حرف التنبيه على الامر انه موضع يحتاج فيه إلى استعطاف المأمور لتأكيد ما يؤمر به عليه كما ان النداء موضع يحتاج فيه الى استعطاف المنادى لما ينادي له من اخبار أو أمر أو نهي ونحو ذلك مما يخاطب به وإذا كان كذلك فيجوز ان لا تريد منادى في نحو قولك الا يسجدوا كما لا تريد المنادى في نحو قوله

يا لَعْنَةُ اللهِ وَالأَقْوامِ كُلِّهِمُ ... وَالصَّالِحِينَ عَلَى سِمْعانَ مِنْ جارِ(١)

وكذلك ما حكي عن ابي عمرو من قوله يا ويل له ويجوز ان يراد بعد يا مأمورون فحذفوا كما حذف في قوله يا لعنة الله فكما ان يا هاهنا لا يجوز أن يكون إلا لغير اللعنة كذلك يجوز ان يكون المأمورون مرادين وحذفوا من اللفظ وقد جاء هذا في مواضع من الشعر فمن ذلك ما انشده ابو زيد

فَقالَتْ أَلا يا اسْمَعْ نَعِظْكَ بِخُطَّةٍ ... فَقُلْتُ سَمِيعاً فَانْطِقِي وَأَصِيبِي

وانشد الزجاج لذي الرمة

أَلا يا اسْلَمِي يا دارَ مَيٍّ عَلَى البِلَى ... وَلا زالَ مُنْهَلاً بِجَرْعائِكِ القَطْرُ(٢)

وللاخطل

أَلا يا اسْلَمِي يا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَدْرٍ(٣) ... وَلا زالَ حَيّانا عِدًى آخِرَ الدَّهْرِ(٤)

ومما يؤكد قراءة من قرأ ألّا يسجدوا بالتشديد انها لو كانت مخففة لما كانت في يسجدوا ياء لأنها اسجدوا ففي ثبات الياء في المصحف دلالة على التشديد ومن قرأ يخفون ويعلنون بالياء فلأن الكلام على الغيبة وقراءة الكسائي فيها بالتاء لأن الكلام قد دخله خطاب على قراءة اسجدوا لله ومن قرأ الا يا اسجدوا فيجوز ان يكون الخطاب للمؤمنين والكافرين الذين جرى ذكرهم على لفظ الغيبة

-(الإعراب)-

كان ابو عمرو يسكن الياء في قوله مالي لا ارى الهدهد ويفتح في قوله ومالي لا اعبد الذي فطرني لئلا يقف الواقف على مالي ويبتدئ بلا اعبد ولا ارى في موضع نصب على الحال. أم كان من الغائبين أم منقطعة التقدير بل أهو من الغائبين وكان بمعنى يكون واللام في لأعذبنّه جواب قسم مقدر أي والله لأعذبنه. غير بعيد منصوب لأنه صفة ظرف او صفة مصدر تقديره فمكث وقتاً غير بعيد أو مكثا غير بعيد ويسجدون في موضع نصب على الحال من وجدت

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن سليمان فقال (وتفقّد الطير) اي طلبه عند غيبته (فقال مالي لا أرى الهدهد) أي ما للهدهد لا أراه تقول العرب ما لي أراك كئيباً ومعناه مالك ولكنّه من القلب الذي يوضح المعنى واختلف في سبب تفقده الهدهد فقيل انه احتاج اليه في سفره ليدلّه على الماء لأنه يقال انه يرى الماء في بطن الأرض كما يراه في القارورة عن ابن عباس وروى العياشي بالاسناد قال قال ابو حنيفة لأبي عبد الله (ع) كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير قال لأن الهدهد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى احدكم الدهن في القارورة فنظر ابو حنيفة إلى أصحابه وضحك قال ابو عبد الله «ع» ما يضحكك قال ظفرت بك جعلت فداك قال وكيف ذلك قال الذي يرى الماء في بطن

(١) الشعر في جامع الشواهد . وسمعان : اسم رجل . (٢) قوله أسلمي أمر من السلامة وهي البراءة من العيوب المنادى محذوف تقديره «يا دارمية اسلمي» . وقوله «يا دار مي» تأكيد للمنادى الاول و«مي» مرخم مية محبوبته و تدور ذكرها كثيراً في شعر ذي الرمة . والبلى : الاندراس . والانهلال : انصباب المطر بشدة . والجرعاء : رملة

الارض لا يرى الفخ في التراب حتى يؤخذ بعنقه فقال ابو عبد الله «ع» يا نعمان اما علمت انه إذا نزل القدر أغشى البصر وقيل إنما تفقده لاخلاله بنوبته عن وهب وقيل كانت الطيور تظله من الشمس فلما اخلّ الهدهد بمكانه بان بطلوع الشمس عليه (أم كان من الغائبين) معناه أتأخر عصيانا أم غاب لعذر وحاجة قال المبرد لما تفقّد سليمان الطير ولم ير الهدهد قال مالي لا أرى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم أدركه الشك فشك في غيبته عن ذلك الجمع بحيث لم يره فقال أم كان من الغائبين أي بل أكان من الغائبين كأنه ترك الكلام الاول واستفهم عن حاله وغيبته ثم أوعده على غيبته فقال (لأعذبنّه عذابا شديداً) معناه لأعذبنّه بنتف ريشه والقائه في الشمس عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقيل بأن أجعله بين اضداده وكما صحّ نطق الطير وتكليفه في زمانه معجزة له جازت معاتبته على ما وقع منه من تقصير فإنه كان مأمورا بطاعته فاستحق العقاب على غيبته (اولأذبحنه) اي لأقطعن حلقه عقوبة على عصيانه (او ليأتيني بسلطان مبين) أي بحجة واضحة تكون له عذرا في الغيبة (فمكث غير بعيد) اي فلم يلبث سليمان إلا زمانا يسيرا حتى جاء الهدهد وقيل معناه فلبث الهدهد في غيبته قليلا ثم رجع وعلى هذا فيجوز ان يكون التقدير فمكث في مكان غير بعيد قال ابن عباس فأتاه الهدهد بحجة (فقال أحطت بما لم تحط به) اي اطلّعت على ما لم تطلع عليه وجئتك بأمر لم يخبرك به ولم يعلم به الانس وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك وهو قوله (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) أي بخبر صادق وعلم الاحاطة وهو ان يعلم الشيء من جميع جهاته التي يمكن ان يعلم عليها تشبيها بالسور المحيط بما فيه وفي الكلام حذف تقديره ثم جاء الهدهد فسأله سليمان عن سبب غيبته فقال احطت بما لم تحط به وفي هذا دلالة على انه يجوز ان يكون في زمن الانبياء من يعرف ما لا يعرفونه وسبأ مدينة بأرض اليمن عن قتادة وقيل ان الله تعالى بعث إلى سبأ اثني عشر نبيّاً عن السدي وروى علقمة بن وعلة عن ابن عباس قال سئل النبي ﷺ عن سبأ فقال هو رجل ولد له عشرة من العرب تيامن منهم ستة وتشأم اربعة فالذين تشأموا لخم وجذام وغسان وعاملة والذين تيامنوا كندة والاشعرون والازد ومذحج وحمير وانمار ومن الانمار خثعم وبجيلة (اني وجدت امرأة تملكهم) اي تتصرف فيهم بحيث لا يعترض عليها احد (وأوتيت من كل شيء) وهذا اخبار عن سعة ملكها اي من كل شيء من الاموال وما يحتاج اليه الملوك من زينة الدنيا وقال الحسن هي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ وقيل شرحبيل ولدها اربعون ملكا آخرهم ابوها [شرحبيل] قال قتادة وكان اولو مشورتها ثلاثمائة واثني عشر قيلا كل قيل منهم تحت رايته الف مقاتل (ولها عرش عظيم) اي سرير اعظم من سريرك وكان مقدمه من ذهب مرصع بالياقوت الاحمر والزمرد الاخضر ومؤخره من فضة مكلل بالوان الجواهر وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق وعن ابن عباس قال كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا وطوله في الهواء ثلاثون ذراعا وقال ابو مسلم المراد بالعرش الملك (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم) اي عبادتهم للشمس من دون الله (فصدّهم عن السبيل) اي صرفهم عن سبيل الحق (فهم لا يهتدون) قال الجبائي لم يكن الهدهد عارفا بالله تعالى وانما اخبر بذلك كما يخبر مراهقو صبياننا لأنه لا تكليف إلا على الملائكة والانس والجن فيرانا الصبي على عبادة الله فيتصور ان ما خالفها باطل فكذلك الهدهد تصور له ان ما خالف فعل سليمان باطل وهذا الذي ذكره خلاف ظاهر القرآن لأنه لا يجوز ان يفرق بين الحق الذي هو السجود لله وبين الباطل الذي هو السجود للشمس وان احدها حسن والآخر قبيح إلا العارف بالله سبحانه وبما يجوز عليه وما لا يجوز هذا مع نسبة تزيين اعمالهم وصدّهم عن طريق الحق إلى الشيطان وهذا مقالة من يعرف العدل وان القبيح غير جائز على الله سبحانه (الا يسجدوا لله) قد بيّنا ان التخفيف انما هو على معنى الامر بالسجود ودخلت الياء للتنبيه او على تقدير الا يا قوم اسجدوا لله وقيل انه امر من الله تعالى لجميع خلقه بالسجود له اعترض في الكلام وقيل انه من كلام الهدهد قاله لقوم بلقيس

مستوية لا تنبت شيئاً . والقطر : المطر . (٣) وفي رواية «بني بكر» . (٤) اي ولو كان بين قبيلتي وقبيلتك عداوة
(١) ما بين المعقفتين غير موجود في المخطوطتين وكذا في نسخة البحار . (٢) القيل : الرئيس .

حين وجدهم يسجدون لغير الله وقاله لسليمان عند عوده اليه استنكارا لما وجدهم عليه والقراءة بالتشديد على معنى زين لهم الشيطان ضلالاتهم لئلا يسجدوا لله وذكر الفراء ان القراءة بالتشديد لا توجب سجدة التلاوة وهذا غير صحيح لأن الكلام قد تضمن الذم على ترك السجود فيكون فيه دلالة على وجوب السجود وهو كقوله و إذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن الآية (الذي يخرج الخبء في السموات والأرض) الخبء المخبوء وهو ما احاط به غيره حتى منع من ادراكه وهو مصدر وصف به يقال خبأته أخبؤه خبأ وما يوجده الله تعالى فيخرجه من العدم إلى الوجود يكون بهذه المنزلة وقيل الخبء الغيب وهو كل ما غاب عن الادراك فالمعنى يعلم غيب السماوات والارض عن عكرمة ومجاهد وقيل ان خبء السماوات المطر وخبء الارض النبات والاشجار عن ابن زيد (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) اي يعلم السر والعلانية (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) إلى هاهنا تمام الحكاية لما قاله الهدهد ويحتمل أن يكون ابتداء اخبار من الله تعالى والعرش سرير الملك الذي عظمه الله ورفعه فوق السماوات السبع وجعل الملائكة تحفّ به وترفع اعمال العباد اليه وتنشأ البركات من جهته فهو عظيم الشأن كما وصفه الله تعالى وهو اعظم خلق الله تعالى

قوله تعالى (٢٧) قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٨) اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٩) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٣٠) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣١) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (خمس آيات)

القراءة

في الشواذ ما رواه وهب عن ابن عباس الا تعلوا بالغين المعجمة من الغلو

المعنى

ولما سمع سليمان ما اعتذر به الهدهد في تأخره (قال) عند ذلك (سننظر أصدقت) في قولك الذي اخبرتنا به (ام كنت من الكاذبين) وهذا الطف والين في الخطاب من ان يقول لم كذبت لأنه قد يكون من الكاذبين بالميل اليهم وقد يكون منهم بالقرابة تكون بينه وبينهم وقد يكون منهم بأن يكذب كما كذبوا ثم كتب سليمان كتابا وختمه بخاتمه ودفعه اليه فذلك قوله (اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم) يعني إلى أهل سبأ (ثم تول عنهم) اي استتر منهم قريبا بعد القاء الكتاب اليهم فانظر ماذا يرجعون عن وهب بن منبه وغيره وقيل انه على التقديم والتاخير (فانظر ماذا يرجعون) أي ماذا يردّون من الجواب ثم تول منهم لأن التولي عنهم بعد الجواب عن مقاتل وابن زيد والجبائي وابي مسلم والأول اوجه لأن الكلام إذا صحّ من غير تقديم وتأخير كان اولى وفي الكلام حذف تقديره فمضى الهدهد بالكتاب والقاه اليهم فلما رأته بلقيس (قالت) لقومها (يا أيها الملأ) اي الاشراف (اني القي الي كتاب كريم) قال قتادة أتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها فقرأت الكتاب وقيل كانت لها كوة مستقبلة للشمس تقع الشمس عندما تطلع فيها فإذا نظرت اليها سجدت فجاء الهدهد الى الكوة فسدّها بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم فقامت تنظر فرمى الكتاب اليها عن وهب وابن زيد فلما أخذت الكتاب جمعت الاشراف وهم يومئذ ثلاثمائة واثنا عشر قيلا ثم قالت لهم اني القي إليّ كتاب كريم سمته كريما لأنه كان مختوما عن ابن عباس ويؤيده الحديث اكرام الكتاب ختمه وقيل وصفته بالكريم لأنه صدره ببسم الله الرحمن الرحيم وقيل لحسن خطه وجودة لفظه وبيانه وقيل لأنه كان ممن يملك الانس والجن والطير وقد كانت سمعت

بخبر سليمان فسمته كريما لأنه من كريم رفيع الملك عظيم الجاه (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) معناه ان الكتاب من سليمان وان المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم (ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين) فإن هذا القدر جملة ما في الكتاب واول من استفتح ببسم الرحمن الرحيم سليمان «ع» ولم تعرفه هي ولا قومها وقيل ان هذا حكاية ما قالته على المعنى باللغة العربية وان لم تقل هي بهذا اللفظ والحكاية على ثلاثة اوجه حكاية على المعنى فقط وحكاية على اللفظ فقط ممن حكاه من غير ان يعلم معناه وحكاية على اللفظ والمعنى وهو الأصل في الحكاية التي لا يجوز العدول عنها إلا بقرينة وموضع الا تعلوا يجوز ان يكون رفعا بالبدل من كتاب ويجوز ان يكون نصبا على معنى بأن لا تعلوا والصحيح أنّ أنْ في مثل هذا الموضع بمعنى أي على ما قاله سيبويه في نحو قوله وانطلق الملأ منهم ان امشوا اي امشوا ومعناه لا تترفعوا ولا تتكبروا عليّ وأتوني مسلمين أي منقادين طائعين لأمري فيما ادعوكم وقيل مسلمين مؤمنين بالله تعالى ورسوله . مخلصين في التوحيد قال قتادة وكذا كانت الانبياء تكتب كتبها موجزة مقصورة على الدعاء إلى الطاعة من غير بسط

قوله تعالى (٣٢) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٣) قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٤) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٥) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٦) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٧) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (ست آيات)

القراءة

قرأ حمزة ويعقوب امدوني بنون واحدة مشددة على الادغام والباقون بنونين مظهرين

الاعراب

حتى تشهدون انتصب تشهدون باضمار ان والنون فيه نون عماد . فلما جاء سليمان فاعل جاء الضمير المستكن فيه الراجع إلى مفعول مرسلة المحذوف لأن تقديره اني مرسلة رسولا . اذلة نصب على الحال وهم صاغرون جملة في موضع الحال معطوفة على اذلة

المعنى

ولما وقفت بلقيس على كتاب سليمان (قالت) لأشراف قومها (يا أيها الملؤا افتوني في امري) أي اشيروا عليّ بالصواب والفتيا والفتوى الحكم بما فيه صواب بدلا من الخطأ وهو الحكم بما يعمل عليه فجعلت المشورة هنا فتيا (ما كنت قاطعة أمرا) اي ما كنت ممضية امرا (حتى تشهدون) أي تحضروني تريد الا بحضرتكم ومشورتكم وهذا ملاطفة منها لقومها في الاستشارة منهم لما تعمل عليه (قالوا) لها في الجواب عن ذلك (نحن اولوا قوة) اي اصحاب قوة وقدرة واهل عدد (واولوا بأس شديد) اي واصحاب شجاعة شديدة (والامر اليك) اي ان الامر مفوض اليك في القتال وتركه (فانظري ماذا تأمرين) أي ما الذي تأمرينا به لنمتثله فإن امرت بالصلح صالحنا وان امرت بالقتال قاتلنا (قالت) مجيبة لهم عن التعريض بالقتال (ان الملوك إذا دخلوا قرية افسدوها) اي اذا دخلوها عنوة عن قتال وغلبة اهلكوها وخربوها (وجعلوا أعزة اهلها أذلة) اي اهانوا اشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الامر والمعنى انها حذرتهم مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم وانتهى الخبر عنها وصدقها الله فيما

قالت فقال (وكذلك) اي وكما قالت هي (يفعلون) وقيل ان الكلام متصل بعضه ببعض وكذلك يفعلون من قولها (واني مرسلة اليهم) اي إلى سليمان وقومه (بهدية) اصانعه بذلك عن ملكي (فناظرة) اي فمنتظرة (بم يرجع المرسلون) بقبول ام ردّ وانما فعلت ذلك لانها عرفت عادة الملوك في حسن موقع الهدايا عندهم وكان غرضها ان يتبين لها بذلك انه ملك او نبي فإن قبل الهدية تبيّن انه ملك وعندها ما يرضيه وان ردّها تبين انه نبي واختلف في الهدية فقيل اهدت اليه وصفاء ووصايف البستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من انثى عن ابن عباس وقيل اهدت مائتي غلام ومائتي جارية ألبست الغلمان لباس الجواري والبست الجواري البسة الغلمان عن مجاهد وقيل اهدت له صفائح الذهب في اوعية من الديباج فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموهوا له الآجر بالذهب ثم امر به فألقي في الطريق فلما جاؤوا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان فلما رأوا ذلك صغر في اعينهم ما جاؤوا به عن ثابت اليماني وقيل انها عمدت إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجواري الاقبية والمناطق والبست الغلمان في سواعدهم اساور من ذهب وفي اعناقهم اطواقا من ذهب وفي آذانهم اقراطا وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجواري على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر وبعثت اليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وعمدت إلى حقة فجعلت فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة جزعية مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من اشراف قومها اسمه المنذر بن عمرو وضمّت اليه رجالا من قومها اصحاب رأي وعقل وكتبت اليه كتابا بنسخة الهدية قالت فيها ان كنت نبيا فميّز بين الوصفاء والوصايف واخبر بما في الحقة قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وادخل الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وقالت للرسول انظر اليه ان دخلت عليه فإن نظر اليك نظرة غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك امره فإنا اعزّ منه وإن نظر اليك نظر لطف فاعلم انه نبي مرسل فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا إلى سليمان فاخبره الخبر فأمر سليمان الجن ان يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ففعلوا ثم امرهم ان يبسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى بضع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وان يجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال للجن عليّ باولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع له اربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره وامر الشياطين ان يصطفوا صفوفا فراسخ وامر الانس فاصطفوا فراسخ وامر الوحش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان تقاصرت اليهم انفسهم ورموا بما معهم من الهدايا فلما وقفوا بين يدي سليمان نظر اليهم نظرا حسنا بوجه طلق وقال ما وراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا له واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال ايتوني بالحقة فأتي بها وحركها وجاءه جبرائيل (ع) فاخبره بما في الحقة فقال ان فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة فأرسل سليمان إلى الارضة فجاءت فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة بيضاء انا لها يا رسول الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر ثم ميّز بين الجواري والغلمان بأن امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فكانت الجارية تاخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله على اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام كان ياخذ من الآنية يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا والغلام يحدر الماء على يده حدرا فميّز بينهما بذلك هذا كله مروي عن وهب وغيره وقيل انها انفذت مع هداياها عصا كان يتوارثها ملوك حمير وقالت اريد ان تعرفني رأسها من اسفلها وبقدح ماء وقالت تملأها ماء رواء ليس من الارض ولا من السماء فارسل سليمان العصا إلى الهواء وقال اي الرأسين سبق إلى

الارض فهو اسفلها وامر الخيل فاجريت حتى عرقت وملأ القدح من عرقها وقال ليس هذا من ماء الارض ولا من ماء السماء (فلما جاء سليمان) اي فلما جاء الرسول سليمان (قال اتمدونني بمال) أي تزيدونني مالا وهذا استفهام انكار يعني انه لا يحتاج إلى مالهم (فما آتاني الله خير مما آتاكم) أي ما اعطاني الله من الملك والنبوة والحكمة خير مما اعطاكم من الدنيا وأموالها (بل انتم بهديتكم تفرحون) إذا اهدى بعضكم إلى بعض وأما أنا فلا افرح بها اشار إلى قلة اكتراثه باموال الدنيا ثم قال ٥ع٥ للرسول (ارجع اليهم) بما جئت من الهدايا (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) اي لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعها (ولنخرجنهم منها أذلة) اي من تلك القرية ومن تلك المملكة وقيل من ارضها وملكها (وهم صاغرون) اي ذليلون صغروا القدر ان لم يأتوني مسلمين فلما رد سليمان الهدية وميز بين الغلمان والجواري إلى غير ذلك علموا انه نبي مرسل وانه ليس كالملوك الذين يغترون بالمال

قوله تعالى (٣٨) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٩) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٤٠) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤١) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤٢) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٣) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٤) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (سبع آيات)

القراءة

في الشواذ قراءة ابي رجاء وعيسى الثقفي عفرية

الحجة

والمعنى معنى العفريت يقال رجل عفرية نفرية أي خبيث داه قال ذو الرمة

كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ فِي إِثْرِ عِفْرِيَةٍ ... مُسَوَّمٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبُ (١)

وأصل العفريت والعفرية من العفر وهو التراب لأنه يصرع قرنه في العفر ومنه قيل للاسد عفرنى وللناقة الشديدة عفرناة قال الاعشى

بِذَاتِ لَوْثٍ عَفَرْنَاةٍ إِذَا عَثَرَتْ ... فَالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَنْ يُقَالَ لَعَا (٢)

اللغة

التنكير تغيير الشيء من حال الى حال ينكرها صاحبها إذا رآه والصرح القصر وكل بناء مشرف صرح وصرحة الدار وساحتها وقارعتها صحنها واصله من الوضوح يقال صرح بالأمر اي كشفه واوضحه وصرّح بالتشديد لازم ومتعدٍ واللجة معظم الماء والجمع لجج ولج البحر خلاف الساحل ومنه لج بالأمر إذا بالغ بالدخول فيه والممرّد

(١) قوله مسوم اى معلم بعلامة . ومنقض اى منقض من مكانه يصف ثوراً وحشيا . (٢) اللوث : القوة والعرب تدعو على العاثر من الدواب اذا كان جواداً بالتعس فتقول تعساً له ، وان كان بليداً كان دعاؤهم له اذا عثر لعاً لك .

الملس ومنه الامرد وشجرة مرداء اي ملساء لا ورق عليها والمارد المتملس عن الحق الخارج منه

المعنى

فلما رجع اليها الرسول وعرفت انه نبيّ وانها لا تقاومه فتجهزّت للمسير اليه واخبر جبرائيل سليمان «ع» انها خرجت من اليمن مقبلة اليه (فقال) سليمان لأماثل جنده واشراف عسكره (يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) واختلف في السبب الذي خصّ به العرش بالطلب على اقوال احدها انه اعجبته صفته فأراد أن يراه وظهر له آثار اسلامها فأحبّ أن يملك عرشها قبل ان تسلم فيحرم عليه أخذ مالها عن قتادة وثانيها انه أراد ان يختبر بذلك عقلها وفطنتها ويختبر هل تعرفه او تنكره عن ابن زيد وقيل اراد ان يجعل ذلك دليلا ومعجزة على صدقه ونبوته لأنها خلفته في دارها واوثقته ووكلت به ثقات قومها يحرسونه ويحفظونه عن وهب وقال ابن عباس كان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدء بالكلام حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فرأى رهجاً[1] قريباً منه فقال ما هذا فقالوا بلقيس يارسول الله وقد نزلت منا بهذا المكان وكان ما بين الكوفة والحيرة على قدر فرسخ فقال أيكم يأتيني بعرشها. وقوله مسلمين فيه وجهان احدهما انه أراد مؤمنين موحدين والآخر مستسلمين منقادين على ما مرّ بيانه (قال عفريت من الجن) أي مارد قوي داهية عن ابن عباس (انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) اي من مجلسك الذي تقضي فيه عن قتادة (واني عليه لقوي أمين) اي واني على حمله لقويّ وعلى الاتيان به في هذه المدة قادر وعلى ما فيه من الذهب والجواهر أمين وفي هذا دلالة على ان القدرة قبل الفعل لأنه اخبر بأنه قوي عليه قبل ان يجيء به وكان سليمان يجلس في مجلسه للقضاء غدوة الى نصف النهار فقال سليمان أريد أسرع من ذلك فعند ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) وهو آصف بن برخيا وكان وزير سليمان وابن اخته وكان صديقا يعرف اسم الله الاعظم الذي إذا دعي به أجاب عن ابن عباس وقيل ان ذلك الاسم الله والذي يليه الرحمن وقيل هو يا حي يا قيوم وبالعبرانية اهيا شراهيا[2] وقيل هو يا ذا الجلال والاكرام عن مجاهد وقيل انه قال يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت عن الزهري وقيل ان الذي عنده علم من الكتاب كان رجلا من الانس يعلم اسم الله الاعظم اسمه بلخيا عن مجاهد وقيل اسمه اسطوم عن قتادة وقيل الخضر «ع» عن ابي لهيعة وقيل ان الذي عنده علم من الكتاب هو جبرائيل «ع» أذن الله له في طاعة سليمان (ع) بأن يأتيه بالعرش الذي طلبه وقال الجبائي هو سليمان قال ذلك للعفريت ليريه نعمة الله عليه وهذا قول بعيد لم يؤثر عن اهل التفسير واما الكتاب المعرف في الآية بالالف واللام فقيل انه اللوح المحفوظ وقيل أراد به جنس كتب الله المنزلة على انبيائه وليس المراد به كتابا بعينه والجنس قد يعرف بالالف واللام وقيل ان المراد به كتاب سليمان الى بلقيس (انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) اختلف في معناه فقيل يريد قبل ان يصل اليك من كان منك على قدر مدّ البصر عن قتادة وقيل معناه قبل ان يبلغ طرفك مداه وغايته ويرجع اليك قال سعيد بن جبير قال لسليمان انظر إلى السماء فما طرف حتى جاء به فوضعه بين يديه والمعنى حتى يرتدّ اليك طرفك بعد مدّه إلى السماء وقيل ارتداد الطرف ادامة النظر حتى يرتد طرفه خاسئا عن مجاهد فعلى هذا معناه ان سليمان مدّ بصره الى اقصاه وهو يديم النظر فقبل ان ينقلب بصره اليه حسيرا يكون قد أتى بالعرش قال الكلبي خرّ آصف ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغار عرشها تحت الارض حتى نبع عند كرسي سليمان وذكر العلماء في ذلك وجوها احدها ان الملائكة حملته بأمر الله تعالى والثاني ان الريح حملته والثالث ان الله تعالى خلق فيه حركات متوالية والرابع انه انخرق مكانه حيث هو هناك ثم نبع بين يدي سليمان والخامس ان الارض طويت له وهو المروي عن ابي عبد الله «ع» والسادس انه اعدمه الله في موضعه وأعاده في مجلس سليمان وهذا لا يصحّ على مذهب ابي هاشم

(١) اى غباراً . (٢) كذا في الاصل والمخطوطتين وفى نسخة مطبوعة «اهى اشراهى» واستظهر فى هامش نسخة البحار ان الصحيح «اهيه اشراهيه» وقال اهيه بمعنى واجب الوجود وقيل معنى الجملة : الوجود الذى هو موجود ، و قيل معناها : الذى كان ويكون وهو الكائن .

ويصحّ على مذهب ابي علي الجبائي فإنه يجوز فناء بعض الاجسام دون بعض وفي الكلام حذف كثير لأن التقدير قال سليمان له افعل فسأل الله تعالى في ذلك فحضر العرش فرآه سليمان مستقرا عنده (فلما رآه مستقرا عنده) اي فلما رأى سليمان العرش محمولا اليه موضوعا بين يديه في مقدار رجع البصر (قال هذا من فضل ربي) اي من نعمته عليّ واحسانه لديّ لأن تيسير ذلك وتسخيره مع صعوبته وتعذره معجزة له ودلالة على علوّ قدره وجلالته وشرف منزلته عند الله تعالى (ليبلوني أأشكر أم أكفر) اي ليختبرني هل اقوم بشكر هذه النعمة ام اكفر بها (ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) لأن عائدة شكره ومنفعته ترجعان اليه وتختصانه دون غيره وهذا مثل قوله ان احسنتم احسنتم لأنفسكم (ومن كفر فإن ربي غني) عن شكر العباد غير محتاج اليه بل هم المحتاجون اليه لما لهم فيه من الثواب والاجر (كريم) اي متفضل على عباده شاكرهم وكافرهم عاصيهم ومطيعهم لا يمنعه كفرهم وعصيانهم من الافضال عليهم والاحسان اليهم (قال) سليمان (نكّروا لها عرشها) اي غيّروا سريرها إلى حال تنكرها إذا رأته وأراد بذلك اعتبار عقلها على ما قيل (ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون) أي اتهتدي إلى معرفة عرشها بفطنتها بعد التغيير ام لا تهتدي إلى ذلك عن سعيد بن جبير وقتادة وقيل اتهتدي أي أتستدل بعرشها على قدرة الله وصحة نبوتي وتهتدي بذلك إلى طريق الإيمان والتوحيد ام لا عن الجبائي قال ابن عباس فنزع ما كان على العرش من الفصوص والجواهر وقال مجاهد غير ما كان احمر فجعله اخضر وما كان اخضر فجعله احمر وقال عكرمة زيد فيه شيء ونقص منه شيء (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو) فلم تثبته ولم تنكره ودلّ ذلك على كمال عقلها حيث لم تقل لا إذ كان يشبه سريرها لأنها وجدت فيه ما تعرفه ولم تقل نعم إذ وجدت فيه ما غيّر وبدّل ولأنها خلّفته في بيتها وحمله في تلك المدة إلى ذلك الموضع غير داخل في قدرة البشر قال مقاتل عرفته ولكن شبهوا عليها حين قالوا لها أهكذا عرشك فشبهت حين قالت كأنه هو ولو قيل لها هذا عرشك لقالت نعم قال عكرمة كانت حكيمة قالت ان قلت هو هو خشيت ان اكذّب وان قلت لا خشيت ان اكذب فقالت كأنه هو شبهته به فقيل لها فإنه عرشك فما اغنى عنك اغلاق الابواب وكانت قد خلفته وراء سبعة ابواب لما خرجت فقالت (وأوتينا العلم) بصحة نبوة سليمان (من قبلها) اي من قبل الآية في العرش (وكنا مسلمين) طائعين لامر سليمان وقيل إنه من كلام سليمان من مجاهد ومعناه وأوتينا العلم بالله وقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرة وكنا مخلصين لله بالتوحيد وقيل معناه وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة قبل مجيئها وقيل انه من كلام قوم سليمان عن الجبائي (وصدّها ما كانت تعبد من دون الله) اي منعها عبادة الشمس عن الإيمان بالله تعالى بعد رؤية تلك المعجزة عن مجاهد فعلى هذا تكون ما موصولة مرفوعة الموضع بأنها فاعلة صدّ وقيل معناه وصدّها سليمان عمّا كانت تعبده من دون الله وحال بينها وبينه ومنعها عنه فعلى هذا يكون ما في موضع النصب وقيل معناه منعها الإيمان والتوحيد الذي كانت تعبده من دون الله وهو الشمس ثم استأنف فقال (انها كانت من قوم كافرين) اي من قوم يعبدون الشمس قد نشأت فيما بينهم فلم تعرف الا عبادة الشمس (قيل لها ادخلي الصرح) والصرح هو الموضع المتبسط المنكشف من غير سقف وذكر ان سليمان لما اقبلت صاحبة سبأ أمر الشياطين ببناء الصرح وهو كهيئة السطح المتبسط من قوارير اجرى تحته الماء وجمع في الماء الحيتان والضفادع ودواب البحر ثم وضع له فيه سرير فجلس عليه وقيل انه قصر من زجاج كأنه الماء بياضا وقال ابو عبيدة كل بناء من زجاج او صخر او غير ذلك موثق فهو صرح وإنما امر سليمان «ع» بالصرح لأنه أراد أن يختبر عقلها وينظر هل تستدل على معرفة الله تعالى بما ترى من هذه الآية العظيمة وقيل ان الجن والشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته بعده لو تزوجها وذلك ان أمها كانت جنية فأساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيئا وان رجلها كحافر الحمار فلما امتحن

ذلك وجدها على خلاف ما قيل وقيل انه ذكر له ان على رجليها شعرا فلما كشفته بان الشعر فساءه ذلك فاستشار الجن في ذلك فعملوا الحمامات وطبخوا له النورة والزرنيخ وكان اول ما صنعت النورة (فلما رأته) اي رأت بلقيس الصرح (حسبته لجة) وهي معظم الماء (وكشفت عن ساقيها) لدخول الماء وقيل انها لما رأت الصرح قالت ما وجد ابن داود عذابا يقتلني به إلا الغرق وأنفت ان تحبن فلا تدخل ولم يكن من عادتهم لبس الخفاف فلما كشفت عن ساقيها (قال) لها سليمان (انه صرح ممرد) اي ملس (من قوارير) وليس بماء ولما رأت سرير سليمان والصرح (قالت ربي إني ظلمت نفسي) بالكفر الذي كنت عليه (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) فحسن اسلامها وقيل انها لما جلست دعاها سليمان إلى الإسلام وكانت قد رأت الآيات والمعجزات فأجابته واسلمت وقيل انها لما ظنت ان سليمان يغرقها ثم عرفت حقيقة الامر قالت ظلمت نفسي إذ توهمت على سليمان ما توهمت واختلف في امرها بعد ذلك فقيل انه تزوجها سليمان واقرها على ملكها وقيل إنه زوجها من ملك يقال له تبع وردها إلى ارضها وأمر زوبعة امير الجن باليمن ان يعمل له ويطيع فصنع له المصانع باليمن قال عوف بن عبد الله جاء رجل إلى عبد الله بن عتبة فسأله هل تزوجها سليمان قال عهدي بها ان قالت واسلمت مع سليمان لله رب العالمين يعني انه لا يعلم ذلك وان آخر ما سمع من حديثها هذا القول وروى العياشي في تفسيره بالاسناد قال التقى موسى بن محمد بن علي بن موسى (ع) ويحيى بن اكثم نسأله عن مسائل قال فدخلت على اخي علي بن محمد (ع) بعد ان دار بيني وبينه من المواعظ حتى انتهيت إلى طاعته فقلت له جعلت فداك ان ابن اكثم سألني عن مسائل افتيه فيها فضحك ثم قال فهل افتيته فيها قلت لا قال ولم قلت لم اعرفها قال وما هي قلت اخبرني عن سليمان أكان محتاجا إلى علم آصف بن برخيا ثم ذكر المسائل الأخر قال اكتب يا أخي بسم الله الرحمن الرحيم سألت عن قول الله تعالى في كتابه قال الذي عنده علم من الكتاب فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرفه آصف لكنه «ع» احب ان تعرف أمته من الانس والجن انه الحجة من بعده وذلك من علم سليمان اودعه آصف بأمر الله تعالى ففهمه الله ذلك لئلا يختلف في إمامته ودلالته كما فهم سليمان في حياة داود ليعرف امامته ونبوته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق

قوله تعالى (٤٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٦) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٧) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٨) وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٩) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٥٠) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥١) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٢) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٣) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (تسع آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم لنبيتنه بالتاء وضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء ايضا وضم اللام والباقون لنبيتنه بالنون وفتح التاء ثم لنقولن ايضا بالنون وفتح اللام وقرأ أهل الحجاز وابو عمرو وسهل وابن عامر إنا دمرناهم بكسر

الالف والباقون بفتح الألف وروي عن روح وزيد عن يعقوب بكسر الالف ايضا

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي قوله تقاسموا لايخلو من أن يراد به مثال الماضي اومثال الآتي الذي يراد به الامر فمن أراد به الامر جعل لتبيتنه جوابا لتقاسموا فكأنه قال حلفوا لنبيتنه لأن هذه الالفاظ التي تكون من الفاظ القسم تتلقى بما يتلقى به الأيمان كقوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن واقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت فكذلك تقاسموا بالله لنبيتنه ملفاة باللام والنون الثقيلة وادخل المتكلمون انفسهم مع المقسمين كما دخلوا في قوله قل تعالوا ندع ابناءنا وابنائكم ومن قال تقاسموا لنبيتنه اراد ليقسم بعضكم لبعض لنبيتنه فتقاسموا على هذا أمر كما كان فيمن قال لنبيتنه أمرا ومن قال تقاسموا لتبيتنه بالتاء فتقاسموا على هذا مثال ماض ولا يجوز مع هذا الا بالتاء لأن مثال الماضي للغيبة ولتبيتنه للخطاب ومن كسر انا دمرناهم جاز أن يكون كان في قوله كيف كان عاقبة مكرهم تامة وان تكون ناقصة فإن جعلتها تامة بمعنى وقع كان قوله كيف كان عاقبة في موضع حال تقديره على أي حال وقع عاقبة مكرهم أي أحسنا وقع عاقبة مكرهم أو سيئا ويكون في كيف ضمير من ذي الحال كما انك إذا قلت في الدار حدث الامر فجملته في موضع الحال كان كذلك وحكم كيف على ذا ان يكون متعلقا بمحذوف كما انك إذا قلت في الدار وقع زيد فتقديره وقع زيد مستقرا في هذه الحال فإن جعلته ظرفا للفعل تعلق بكان الذي بمعنى الحدث وقوله انا دمرناهم فيمن كسر استئناف وهو تفسير للعاقبة كما ان قوله لهم مغفرة وأجر عظيم تفسير للموعد ومن قرأ أنا دمرناهم جاز ان يكون كان على ضربها وإذا حملته على وقع كان كيف في موضع حال وجاز في قوله انا دمرناهم أمران ﴿ احدهما ﴾ أن يكون بدلا من قوله عاقبة مكرهم وجاز أن يكون محمولا على مبتدأ مضمر كأنه قال هو انا دمرناهم او ذاك انا دمرناهم فإذا حملتها على المقتضية للخبر جاز في قوله انا دمرناهم قولان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون بدلا من اسم كان الذي هو العاقبة فإذا حملته على ذلك كان كيف في موضع خبر كان ﴿ والآخر ﴾ ان يكون خبر كان ويكون موضعه نصبا بأنه خبر كان كأنه كان عاقبة أمرهم تدميرهم ويكون كيف في موضع حال ويجوز ان يكون العامل في كيف احد شيئين إما ان يكون كان لأنه فعل كما كان العامل في الظرف في قوله أكان للناس عجبا أن اوحينا ألا ترى انه لا يجوز ان يتصل قوله للناس بواحد من المصدرين الا ان تجعله صفة لعجب فتقدمه فيصير في موضع حال فالعامل فيه على هذا ايضا كان ويجوز أن يكون العامل فيه ما في الكلام من الدلالة على الفعل لأن قوله انا دمرناهم بمنزلة تدميرنا وتدميرنا يدل على دمرنا فيصير العامل فيه هذا المعنى الذي دل عليه ما في الكلام من معنى الفعل وزعموا ان في حرف ابي أن دمرناهم فهذا يقوي الفتح في انا

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على قصة سليمان قصة صالح فقال (ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم) في النسب (صالحا ان اعبدوا الله) اي ارسلناه بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له (فإذا هم فريقان يختصمون) اي مؤمنون وكافرون يقول كل فريق الحق معي (قال) صالح للفريق المكذب (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) اي بالعذاب قبل الرحمة اي لم قلتم ان كان ما أتينا به حقا فأتنا بالعذاب وسمى العذاب سيئة لما فيه من الآلام ولأنه جزاء على السيئة لأن السيئة هي الخصلة التي تسوء صاحبها (لولا) اي هلا (تستغفرون الله) اي تطلبون مغفرته من الشرك بأن تؤمنوا (لعلكم ترحمون) فلا تعذبون في الدنيا (قالوا اطيرنا بك وبمن معك) اي تشاءمنا بك وبمن على دينك وذلك انهم قحط المطر عنهم وجاعوا فقالوا اصابنا هذا الشر من شؤمك وشؤم اصحابك (قال) لهم صالح (طائركم عند الله) اي الشؤم أتاكم من عند الله بكفركم وهذا كقوله يطيروا بموسى ومن معه الا انما

طائرهم عند الله (بل انتم قوم تفتنون) اي تختبرون بالخير والشر عن ابن عباس وقيل تعذبون بسوء أعمالكم عن محمد بن كعب وقيل تبتلون وتمتحنون بطاعة الله ومعصيته (وكان في المدينة) يعني التي بها صالح وهي الحجر (تسعة رهط يفسدون في الارض) كانت هذه التسعة النفر من أشرافهم وهم غواة قوم صالح وهم الذين سعوا في عقر الناقة (ولا يصلحون) اي لا يطيعون الله تعالى وذكر ابن عباس أسماءهم وقال هم قدار بن سالف ومصدع ودهمي ودهيم ودعمي ودعيم واسلم وقتال وصداف (قالوا تقاسموا بالله) أي قالوا فيما بينهم احلفوا بالله (لنبيتنه) أي لنقتلن صالحاً (واهله) بياتا ومن قرأ بالنون فكأنهم قالوا اقسموا لنفعلن والأمر بالقسم في القراءتين داخل في الفعل منهم (ثم لنقولن لوليه) أي لذي رحم صالح ان سألنا عنه (ما شهدنا مهلك أهله) أي ما قتلناه وما ندري من قتله وأهلكه وقد ذكرنا اختلاف القراء فيه في سورة الكهف (وإنا لصادقون) في هذا القول قال الزجاج كان هؤلاء النفر تحالفوا ان يبيتوا صالحا واهله ثم ينكروا عند أوليائه ان يكونوا فعلوا ذلك او رأوه وكان هذا مكراً عزموا عليه قال الله تعالى (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً) أي جازيناهم جزاء مكرهم بتعجيل عقوبتهم (وهم لا يشعرون) بمكر الله بهم فإنهم دخلوا على صالح ليقتلوه فأنزل الله سبحانه الملائكة فرموا كل واحد منهم بحجر حتى قتلوهم وسلم صالح من مكرهم عن ابن عباس وقيل ان الله أمر صالحا بالخروج من بينهم ثم استأصلهم بالعذاب وقيل نزلوا في سفح جبل ينظر بعضهم بعضا ليأتوا صالحا فخرّ عليهم الجبل عن مقاتل (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم) أي أهلكناهم بما ذكرناه من العذاب (وقومهم أجمعين) بصيحة جبرائيل (فتلك بيوتهم أشار إلى بيوتهم والمعنى فانظر اليها (خاوية) نصب على الحال أي فارغة خالية (بما ظلموا) أي بظلمهم وشركهم بالله تعالى (ان في ذلك) أي في اهلاكهم (لآية لقوم يعلمون) اي لعبرة لمن نظر اليها واعتبر بها وفي هذه الآية دلالة على ان الظلم يعقب خراب الدور وروي عن ابن عباس انه قال اجد في كتاب الله ان الظلم يخرب البيوت وتلا هذه الآية وقيل ان هذه البيوت بوادي القرى بين المدينة والشام (وانجينا الذين آمنوا) به (وكانوا يتقون) قالوا انهم أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت وسمي حضرموت لأن صالحا لما دخلها مات

قوله تعالى (٥٤) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٥) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٦) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٧) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (٥٨) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٩) قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (ست آيات)

القراءة

قرأ أهل البصرة وعاصم يشركون بالياء والباقون بالتاء على الخطاب وفي الشواذ قراءة الحسن فما كان جواب قومه بالرفع

الحجة

الاولى ان يكون جواب قومه خبر كان والاسم قوله ان قالوا لشبه ان بالمضمر من حيث كانت لا توصف والمضمر اعرف من المظهر وقد تقدم القول في هذا

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصة لوط عاطفاً بها على ما تقدّم فقال (ولوطا) أي وارسلنا لوطاً (إذ قال لقومه) منكراً عليهم أفعالهم (أتاتون الفاحشة) يعني الخصلة القبيحة الشنيعة الظاهرة القبح وهي اتيان الذكران في أدبارهم (وأنتم تبصرون) أي تعلمون انها فاحشة وقيل معناه وأنتم يرى بعضكم ذلك من بعض ثم بيّن سبحانه الفاحشة التي يأتونها فقال (إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) اللاتي خلقهن الله لكم (بل انتم قوم تجهلون) أي تفعلون افعال الجهال قال ابن عباس تجهلون القيامة وعاقبة العصيان (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون) عن اتيان الرجال في ادبارهم (فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها) أي جعلناها (من الغابرين) أي الباقين في العذاب (وامطرنا عليهم مطراً) وهو الحجارة (فساء مطر المنذرين) الذين ابلغهم لوط النذارة واعلمهم بموضع المخافة ليتقوها فخالفوا ذلك ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) يا محمد (الحمد لله) شكراً على نعمه بأن وفّقنا للايمان وقيل الحمد لله على هلاك الأمم الكافرة (وسلام على عباده الذين اصطفى) اي اصطفاهم الله واجتباهم واختارهم على بريته وهم الأنبياء عن مقاتل وقيل هم اصحاب محمد ﷺ عن ابن عباس والحسن وقيل هم امة محمد ﷺ ومعنى السلام عليهم انهم سلموا مما عذّب الله به الكفار عن الكلبي وقيل هم آل محمد ﷺ عن علي بن ابراهيم ثم قال سبحانه مخاطباً للمشركين (آلله خير أما يشركون) يا أهل مكة يعني الله خير لمن عبده ام الأصنام لعابديها وهذا الزام للحجة على المشركين بعد ذكر هلاك الكفار والمعنى لان الله تعالى نجى من عبده من الهلاك والاصنام لم تغن شيئاً عن عابديها عند نزول العذاب وانما قال ذلك لأنهم توهموا في عبادة الأصنام خيراً

قوله تعالى (٦٠) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦١) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦٢) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٤) أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٥) قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (ست آيات)

القراءة

قرأ ابو عمرو وهشام ما يذكرون بالياء والباقون بالتاء والوجه فيهما ظاهر

اللغة

الحديقة البستان الذي عليه حائط وكل ما احاط به البناء فهو حديقة وقيل الحديقة البستان الذي فيه النخل والقرار المكان المطمئن الذي يستقرّ فيه الماء ويقال للروضة المنخفضة قرارة ومنه حديث ابن عباس قال علمي في

علم علي «ع» كالقرارة في المثعنجر أي كالغدير في البحر والبرهان البيان بحجة

﴿ الإعراب ﴾

أمن استفهام في محل الرفع على الابتداء وخبره خلق وقرازا نصب على الحال لأن جعل بمعنى خلق وان كان بمعنى صير فهو مفعول ثان له أإله مع الله مبتدأ وخبر تقديره أإله ثبت مع الله وإنما جاز ان تكون النكرة مبتدأ لأنه استفهام ويجوز ان يكون خبر المبتدأ محذوفا او يكون تقديره أإله في الوجود مع الله قليلا ما تذكرون صفة مصدر محذوف تقديره تذكرون تذكراً قليلا وما مزيدة وبشرا نصب على الحال وبين يدي رحمته ظرف منه ايان في محل نصب لأنه ظرف زمان والعامل فيه يبعثون

﴿ المعنى ﴾

ثم عدّد سبحانه الدلائل على توحيده ونعمه الشاملة لعبيده فقال (أمن خلق السموات والارض) وتقديره اما تشركون خير أم من خلق السموات والارض أي أنشأهما واخترعهما (وانزل لكم من السماء ماء) أي غيثاً ومطراً لكم أي لمنافعكم ولأجل معاشكم عرّفهم سبحانه ان غيره لا يقدر على ذلك (فأنبتنا به حدائق) أي رياضاً وبساتين وما لم يكن عليه حائط لا يقال له حديقة (ذات بهجة) اي ذات منظر حسن يبتهج به من رآه ولم يقل ذوات بهجة لأنه أراد تأنيث الجماعة ولو اراد تأنيث الاعيان لقال ذوات وقال الشاعر

وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ ... رَبٌّ كَرِيمٌ وَبِيضٌ ذَاتُ أَطْهَارِ(١)

(ما كان لكم ان تنبتوا شجرها) ما هنا للنفي أي لم يكونوا يقدرون على انبات شجرها (أإله مع الله) وهذا استفهام انكار معناه هل معه معبود سواه اعانه على صنعه (بل) ليس معه إله (هم قوم يعدلون) يشركون بالله غيره يعني كفار مكة (أمن جعل الأرض قراراً) أي مستقرة لا تميل ولا تميد بأهلها (وجعل خلالها أنهاراً) اي وجعل وسط الارض وفي مسالكها ونواحيها أنهاراً جارية ينبت بها الزرع ويحيا بها الخلق (وجعل لها رواسي) أي جبالاً ثوابت أثبت بها الارض (وجعل بين البحرين حاجزاً) اي مانعاً من قدرته بين العذب والملح فلا يختلط احدهما بالآخر (أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون) توحيد ربهم وكمال قدرته وسلطانه (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) اي يجيب المكروب المجهود فيكشف ضرّه وكربه واجابة دعاء المضطر هي فعل ما يدعو به وهذا لا يكون إلا من قادر على الإجابة مختار لها ورأس المضطرين المذنب الذي يدعوه ويسأله المغفرة ومنهم الخائف الذي يسأله الأمن والمريض الذي يطلب العافية والمحبوس الذي يطلب الخلاص فإن الكل إذا ضاق بهم الأمر فزعوا إلى رب العالمين وأكرم الاكرمين وانما خصّ المضطر وان كان قد يجيب غير المضطر لأن رغبته أقوى وسؤاله اخضع (ويكشف السوء) أي يدفع الشدة وكل ما يسوء (ويجعلكم خلفاء الارض) يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله فيهلك قرنا وينشئ قرنا وقيل يجعلكم خلفاء من الكفار بنزول بلادهم وطاعة الله تعالى بعد شركهم وعنادهم (أإله مع الله قليلا ما تذكرون) أي قليلا ما تتعظون عن ابن عباس ومن قرأ بالياء فالمعنى قليلا ما يتذكر هؤلاء المشركون (أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر) أي أما تشركون خير أم من يرشدكم إلى القصد والسمت في البر والبحر بما نصب لكم من الدلالات من الكواكب والقمر إذا ضللتم وهو كقوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر (ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) قد مضى تفسيره ووجوه القراآت فيه(٢) (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) أي جلّ وتنزّه عن الشريك كما يزعمه المشركون (أمن يبدؤ الخلق) بأن يخترعه وبوجده وينشئه على غير مثال واحتذاء ثم يميته ويفنيه(ثم يعيده) بعد الإفناء وإنما قال ذلك لأنهم أقرّوا بأنه الخالق فيلزمهم الإقرار بالبعث من حيث

(١) قيل ان الشرلسموال بن عاديا يضرب به المثل في الوفاء وكانت عنده دروع امانة ، فطلب منه رجل فأبى فأخذه الرجل ابنه وهدده بقتله ان لم يسلم الدروع ، والبيت يشير الى ذلك ويقول ان ظفرت بابني وقتلته فسوف يخلفني ربي ابناء اخرى من نساء بيض ذات اطهار . (٢) اى في سورة الاعراف . راجع ج٢ : ٤٣٠ من هذه الطبعة .

ان من قدر على الإنشاء قدر على الإعادة (ومن يرزقكم من السماء والأرض) بانزال المطر وباخراج الثمار والنبات (أإله مع الله) يقدر على ذلك (قل) لهم يا محمد (هاتوا برهانكم) أي حجتكم (ان كنتم صادقين) ان لي شريكا صنع شيئا من هذه الأشياء فإذا لم يقدروا على اقامة البرهان على ذلك فاعلموا انه لا إله معي ولا يستحق العبادة سواي (قل) يا محمد (لا يعلم من في السموات والأرض) من الملائكة والانس والجن (الغيب) وهو ما غاب علمه عن الخلق مما يكون في المستقبل (إلا الله) وحده او من اعلمه الله تعالى (وما يشعرون ايان يبعثون) أي متى يحشرون يوم القيامة دلّ سبحانه بهذه الآية كما دلّ بما تقدّمها على قدرته

قوله تعالى (٦٦) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (٦٧) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٨) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٧٠) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٧١) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧٢) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٥) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (عشر آيات)

القراءة

قرأ اهل البصرة وابو جعفر وابن كثير بَلْ آدْرَكَ بقطع الالف وسكون اللام والدال وقرأ الشموني عن ابي بكر بَلِ إِدَّرَكَ موصولة الالف مشدّدة الدال بلا الف بعدها والباقون بل ادّارك وفي الشواذ قراءة سليمان بن يسار وعطاء بن يسار بَلَ دْرَكَ بفتح اللام ولا همزة ولا الف وقراءة الحسن وابي رجاء وابن محيصن وقتادة بَلْ ءَادْرَكَ وقراءة ابن عباس بلى ياء ادرك وقراءة ابي بل تدارك وقرأ اهل المدينة إذا كنا ترابا بكسر الألف آنا لمخرجون بالاستفهام بهمزة واحدة ممدودة عن ابي جعفر وقالون وغير ممدودة عن ورش واسماعيل وقرأ ابن عامر والكسائي أإذا بهمزتين انا بنونين وقرأ ابن كثير ويعقوب أ ذا أ نا بالاستفهام فيهما جميعاً بهمزة واحدة غير ممدودة وقرأ ابو عمرو آذا آنا بالاستفهام فيهما جميعاً بهمزة واحدة ممدودة وقرأ عاصم وحمزة وخلف أإذا أإنا بالاستفهام فيهما جميعاً بهمزتين همزتين وقرأ ابن كثير في ضيق بكسر الضاد والباقون بفتحها

الحجة

قال ابو علي ان علم قد يصل بالجار كقوله تعالى ألم يعلم بأن الله يرى وقولهم علمي بزيد يوم الجمعة ومعنى أدرك بلغ ولحق يقال فلان أدرك الحسن اي لحق ايامه وهذا ما ادركه علمي اي بلغه فالمعنى انهم لم يدركوا علم الآخرة اي لم يعلموا حدوثها وكونها ودلّ على ذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون أي بل هم من علمها عمون وإذا كان كذلك كان معنى قوله في الآخرة معنى الباء اي لم يدركوا علمها ولم ينظروا في حقيقتها فيدركوا ولهذا قرأ من قرأ آدرك كأنه اراد لم يدركوه كما تقول أجئتني امس أي لم تجئني والمعنى لم يدرك علمهم بحدوث الآخرة بل هم في شك منها بل هم من علمها عمون والعمى عن علم الشيء ابعد منه من الشاك فيه لأن الشك قد يعرض عن ضرب من النظر والعمى عن الشيء الذي لم يدرك منه شيئاً واما من قال إدّارك فإنه أراد تدارك فأدغم التاء في الدال لمقاربتها لها وكونها من حيزها فلما سكنت التاء للادغام اجتلبت لها همزة

الوصل كما اجتلبتها في نحو ادّارأتم وفي التنزيل حتى إذا ادّاركوا فيها كان معناها تلاحقوا قال «تَدَارَكْتُمُ الْأَحْلَافَ قَدْ ثُلَّ عَرْشُهَا» (١) وما روي عن ابي بكر بَلِ إِدَّرَكَ فمعناه افتعل من ادّركت وافتعل وتفاعل يجيآن بمعنى ومن ثم صحّ قولهم ازدوجوا وان كان الحرف على صورة يجب فيها الانقلاب ولكنه صحّ لما كان بمعنى تفاعلوا وتفاعلوا يلزم فيه تصحيح حروف العلة لسكون الحرف الذي قبل حرف العلة فصار تصحيح هذا كتصحيح عَوِرَ وحَوِلَ لما كان بمعنى اِعْوَرَّ واِحْوَلَّ ومن قرأ بَلَ ادْرَكَ فإنه خفف الهمزة بحذفها والقاء حركتها على اللام الساكنة قبلها نحو قَدْ فَلَحَ في قَدْ أَفْلَحَ واما قوله بل آدْرَكَ فإن بل استئناف وما بعدها استفهام كما تقول ازيد عندك بل اعمرو عندك تركاً للاول إلى غيره واما بلى (٢) فكأنه جواب وذلك لأنه لما قال قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب إلا الله فكأن قائلا قال ما الامر كذلك فقيل له بلى ثم استؤنف فقيل أُدرك علمهم في الآخرة وقد سبق ذكر الاستفهامين فيما تقدم وكذلك ذكر الضيق والضيق والاولى ان يحمل على انهما لغتان

﴿ اللغة ﴾

قال ابن الاعرابي ردفت واردفت ولحقت والحقت بمعنى وترادفوا تلاحقوا قال المبرد اللام في ردف لكم زائدة وقيل انه انما اتى باللام لأن معنى ردف دنا فكأنه قال دنا لكم كما قال الشاعر

فَقُلْتُ لَهَا: الْحَاجَاتُ يَطْرَحْنَ بِالْفَتَى ... وَهَمٌّ تَعَنَّانِي مُعَنًّى رَكَائِبُهْ (٣)

قال يطرحن بالفتى لما كان معنى يطرحن يرمين و كننت الشيء في نفسي واكننته إذا سترته في نفسك فهو مكن ومكنون قال الرماني الاكنان جعل الشيء بحيث لا يلحقه أذى بمانع يصدّه عنه

﴿ الاعراب ﴾

العامل في إذا معنى قوله مخرجون لأن ما بعد ان لا يعمل فيما قبل ان فالتقدير أإذا كنا تراباً أخرجنا وهذا في محل نصب لأنه مفعول ثان لوعدنا ويجوز ان يكون ردف لكم يكون اسمه ضمير الامر والشأن وما بعده خبره وان يكون وما يتعلق به في محل رفع بأنه فاعل عسى

﴿ المعنى ﴾

لما اخبر سبحانه عن الكفار انهم لا يشعرون متى يبعثون وانهم شاكون عقّبه بأنهم يعلمون حقيقة ذلك يوم القيامة فقال (بل ادارك علمهم في الآخرة) اي تتابع منهم العلم وتلاحق حتى كمل علمهم في الآخرة بما اخبروا به في الدنيا فهو على لفظ الماضي والمراد به الاستقبال اي يتدارك ومن قرأ ادرك فمعناه سيدرك علمهم هذه الاشياء في الآخرة حين لا ينفعهم اليقين (بل هم في شك منها) في الدنيا عن ابن عباس والمعنى ان ماجهلوه في الدنيا وسقط علمه عنهم علموه في الآخرة وقيل معناه اجتمع علمهم يوم القيامة فلم يشكّوا ولم يختلفوا عن السدي وقال مقاتل يقول بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا وعموا عنه في الدنيا وقيل ان هذا على وجه الاستفهام فحذف الالف والمراد به النفي بمعنى انه لم يدرك علمهم بالآخرة ولم يبلغها علمهم وقيل معناه ادرك هذا العلم جميع العقلاء لو تفكروا ونظروا لأن العقل يقتضي ان الاهال قبيح فلا بدّ من تكليف والتكليف يقتضي الجزاء وإذا لم يكن ذلك في الدنيا فلا بدّ من دار للجزاء وقيل ان الآية اخبار عن ثلاث طوائف طائفة اقرّت بالبعث وطائفة شكّت فيه وطائفة تقنه كما قال بل هم في امر مريج وقوله (بل هم منها عمون) اي عن معرفتها وهو جمع عمى وهو الاعمى القلب لتركه التدبر والنظر (وقال الذين كفروا) بإنكارهم البعث (أإذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون) من القبور مبعوثون يقولون ذلك على طريق الاستبعاد والاستنكار (لقد وعدنا هذا) البعث (نحن) فيما مضى (وآباؤنا من قبل) اي ووعد آباؤنا ذلك من قبلنا فلم يكن مما قالوه شيء (ان

(١) هذا صدر بيت لزهير وعجزه «وذبيان قد زلت باقدامها النعل». ومراده من الاحلاف هم قبيلتا اسد وغطفان لانهم تحالفوا على التناصر وقوله «وذبيان» عطف على الاحلاف . وثل عرشه اى تضعضعت حاله . (٢) اى في قراءة ابن عباس «بلى ادرك» (٣) قائله الفرزدق من قصيدة يمدح فيها المطلب بن عبدالله المخزومي وقبل هذا البيت قوله —

هذا إلا أساطير الأولين) اي أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها (قل) يا محمد (سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) الذين كفروا بالله وعصوه اي كيف أهلكهم الله وخرب ديارهم (ولاتحزن عليهم) اي على تكذيبهم وتركهم الإيمان (ولا تكن في ضيق) وهو ما يضيق به الصدر (مما يمكرون) اي يدبّرون في أمرك فإن الله تعالى يحفظك وينصرك عليهم (ويقولون متى هذا الوعد) الذي تعدنا يا محمد من العذاب (ان كنتم صادقين) بأنه يكون (قل) يا محمد (عسى ان يكون ردف لكم) اي قرب لكم عن ابن عباس وقيل اقرب لكم عن السدي وقيل اردف لكم عن قتادة (بعض الذي تستعجلون) من العذاب وعسى من الله واجب فمعناه انه قرب منكم وسيأتيكم وهذا البعض الذي دنا لهم القتل والأسر يوم بدر وسائر العذاب لهم فيما بعد الموت وقيل هو الانذار عند الموت وشدته وعذاب القبر عن الجبائي (وان ربك لذوفضل على الناس) بضروب النعم الدينية والدنيوية وقيل بإمهالهم ليتوبوا والفضل هو الزيادة من الله تعالى للعبد على مايستحقه بشكره والعدل حقٌّ للعبد والفضل فيه واقع من الله تعالى الا انه على ما يصحّ وتقتضيه الحكمة (ولكن اكثرهم لايشكرون) نعمه (فإن ربك ليعلم ما تكنّ صدورهم) اي تخفيه وتستره (ومايعلنون) اي ويعلم ما يظهرونه ايضا (وما من غائبة) اي من خصلة غائبة (في السماء والارض) يعني جميع ما اخفاه عن خلقه وغيبه عنهم (إلا في كتاب مبين) اي إلا وهو مبين في اللوح المحفوظ وقيل أراد أن جميع افعالهم محفوظة عنده غير منسية كما يقول القائل افعالك عندي مكتوبة اي محفوظة عن ابي مسلم والجبائي

قوله تعالى (٧٦) إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٧) وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٨) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ (٧٩) فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ (٨٠) إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨١) وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ (٨٢) وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٣) وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٤) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٥) وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ (عشر آيات)

القراءة

قرأ ولا يسمع بالياء الصمُّ بالرفع هاهنا وفي الروم ابن كثير وابن عباس والباقون لا تسمع بضم التاء الصم بالنصب وقرأ وما انت تهدي العمي حمزة هاهنا وفي الروم وقرأ الباقون وما انت بهادي العمي وفي الشواذ قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والجحدري وابن ذرعة تكلّمهم بفتح التاء والتخفيف وقرأ اهل العراق غير ابي عمرو وسهل أنَّ الناس بفتح الهمزة والباقون بكسرها

الحجة

حجة من قال تسمع انه اشبه بما قبل من قوله انك لا تسمع الموتى ويؤكد ذلك قوله ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ومن قرأ ولا يَسمَعُ الصُّمُّ الدعاءَ فالمعنى لا ينقادون للحق لعنادهم كما لا يسمع الأصم مايقال له

= وهو مطلع القصيدة = «تقول ابنة الفوثي مالك هيهنا» ✲ وأنت تميمي مع الشرق جانبه ✲ فقلت لها . . . . » وقولهم تعنائي اي قاساني و«معنى» من التعنية .

ومن قرأ تهدي العمي فالتقدير إنك لا تهدي بهم لشدة عنادهم واعراضهم وانت مرفوع بما على قول اهل الحجاز وتهدي في موضع نصب بأنه خبر وعلى قول تميم يرتفع بفعل مضمر يفسره الظاهر الذي هو تهدي تقديره إذا اظهرت ذلك المضمر ما تهدي تهدي لأنك اذا اظهرت الفعل المضمر اتصل به الضمير ولم ينفصل كما ينفصل إذا لم تظهر ومن قرأ بهادي العمي مضافاً في السورتين فاسم الفاعل للحال اوللآتي فإذا كان كذلك كانت الاضافة في نية الانفصال وقوله أن الناس بالفتح فالوجه فيه تكلمهم بأن الناس وزعموا انه في قراءة ابي تنبئهم وعن قتادة انه في بعض الحروف تحدثهم وهذا يدل على ان تكلمهم من الكلام الذى هو النطق وليس هو من الكلم الذى هو الجراحة . ومن كسر فقال ان الناس فالمعنى تكلمهم فتقول لهم ان الناس واضمار القول في الكلام كثير وحسن ذلك لأن الكلام قول فكأن القول قد اظهر ومن قرأ تكلمهم فمعناه تجرحهم بأكلها اياهم

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه من الحجج ما يقوي قلب نبيه ﷺ فقال (إن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) اي يخبرهم بالصدق (اكثر الذي هم فيه يختلفون) من حديث مريم وعيسى والنبي المبشر به في التوراة حيث قال بعضهم هو يوشع وقال بعضهم لا بل هو منتظر لم يأت بعد وغير ذلك من الاحكام وكان ذلك معجزة لنبينا ﷺ إذ كان لا يدرس كتبهم ولا يقرؤها ثم اخبرهم بما فيها (وانه) يعني القرآن (لهدى) اي دلالة على الحق (ورحمة للمؤمنين) اى نعمة لهم (إن ربك يقضي بينهم بحكمه) يريد بين المختلفين في الدين يوم القيامة واشار بذلك إلى شيئين ﴿ احدهما ﴾ ان الحكم له فلا ينفذ حكم غيره فيوصل إلى كل ذي حق حقه ﴿ والآخر ﴾ انه وعد المظلوم بالانتصاف من الظالم (وهو العزيز) القادر على ما يشاء لا يمتنع عليه شيء (العليم) بالمحق والمبطل فيجازي كلا بحسب عمله وفي هذه الآية تسلية للمحقين من الذين خولفوا في أمور الدين وان أمرهم يؤل الى أن يحكم بينهم رب العالمين ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (فتوكل على الله) يا محمد (إنك على الحق المبين) اي الواضح البين الظاهر والمحق اولى بالتوكل من المبطل المدغل والمراد بهذا الخطاب سائر المؤمنين وان كان في الظاهر لسيد المرسلين ثم شبه الكفار بالموتى فقال (إنك لا تسمع الموتى) يقول كما لا تسمع الميت الذي ليس له آلة السمع النداء كذلك لا تسمع الكافر النداء لأنه لا يسمع ولا يقبل الموعظة ولا يتدبر فيها (ولا يسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) إنما قال ذلك لأن الأصم إذا كان قريبا فالإنسان يطمع في اسماعه فإذا اعرض وادبر وتباعد انقطع الطمع في اسماعه فجعل سبحانه المصمم على الجهل كالميت في انه لا يقبل الهدى وكالأصم في انه لا يسمع الدعاء (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) في الدين بالآيات الدالة على الهدى إذا اعرضوا عنها كما لا يمكنك ان تهدي الاعمى الى قصد الطريق جعل سبحانه الجهل بمنزلة العمى لأنه يمنع عن ادراك الحق كما يمنع العمى من إدراك المبصرات (ان تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) اي ما يسمع إلا من يطلب الحق بالنظر في آياتنا (فهم مسلمون) اي مستسلمون منقادون جعل سبحانه اسماعهم وقبولهم الحق سماعا وتركهم للقبول تركا للسماع وقيل مسلمون اي موحدون مخلصون (وإذا وقع القول عليهم) اي وجب العذاب والوعيد عليهم وقيل معناه إذا صاروا بحيث لا يفلح أحد منهم ولا احد بسببهم عن مجاهد وقيل معناه إذا غضب الله عليهم عن قتادة وقيل معناه إذا أنزل العذاب بهم عند اقتراب الساعة فسمي المقول قولا كما يقال جاء الخبر الذي قلت وبراد به المخبر قال ابو سعيد الخدري وابن عمر إذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم وأخذوا بمبادئ العقاب منها قوله (أخرجنا لهم دابة من الارض) تخرج بين الصفا والمروة فتخبر المؤمن بأنه مؤمن والكافر بأنه كافر وعند ذلك يرتفع التكليف ولا تقبل التوبة وهو علم من اعلام الساعة وقيل لا يبقى مؤمن إلا مسحته ولا يبقى منافق الا خطمته تخرج ليلة جمع والناس يسيرون إلى منى عن

ابن عمر وروى محمد بن كعب القرظي قال سئل علي صلوات الرحمن عليه عن الدابة فقال أما والله ما لها ذنب وإن لها للحية وفي هذا اشارة إلى انها من الإنس وروي عن ابن عباس انها دابة من دواب الارض لها زغب وريش ولها اربع قوائم وعن حذيفة عن النبي ﷺ قال دابة الارض طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب فتسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه مؤمن وتسم الكافر بين عينيه وتكتب بين عينيه كافر ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم انف الكافر بالخاتم حتى يقال يا مؤمن ويا كافر وروي عن النبي ﷺ انه يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى المدينة فيفشو ذكرها في البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم سار الناس يوما في أعظم المساجد على الله عز وجل حرمة واكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم ترعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا مابين الركن الاسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فيرفض الناس عنها ويثبت لها عصابة عرفوا انهم لن يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم ويشتركون في الأموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر وروي عن وهب انه قال ووجهها وجه رجل وسائر خلقها خلق الطير ومثل هذا لا يعرف إلا من النبوات الإلهية وقد روي عن علي «ع» انه قال انه صاحب العصا والميسم وروى علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره عن ابي عبدالله «ع» قال قال رجل لعمار بن ياسر يا ابا اليقظان آية في كتاب الله افسدت قلبي قال عمار وأية آية هي فقال هذه الآية فأية دابة الارض هذه قال عمار والله ما اجلس ولا آكل ولا اشرب حتى اريكها فجاء عمار مع الرجل الى أمير المؤمنين «ع» وهو يأكل تمرا وزبدا فقال يا ابا اليقظان هلم فجلس عمار يأكل معه فتعجب الرجل منه فلما قام عمار قال الرجل سبحان الله حلفت انك لا تأكل ولا تشرب حتى ترينيها قال عمار أريتكها ان كنت تعقل وروى العياشي هذه القصة بعينها عن ابي ذر رحمه الله ايضاً وقوله (تكلمهم) اي تكلمهم بما يسوءهم وهو انهم يصيرون الى النار بلسان يفهمونه وقيل تحدثهم بأن هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تكلمهم بان تقول لهم (إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) وهو الظاهر وقيل بآياتنا معناها بكلامها وخروجها (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) اي يدفعون عن ابن عباس وقيل يحبس أولهم على آخرهم واستدلّ بهذه الآية على صحة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإمامية بأن قال ان دخول من في الكلام يوجب التبعيض فدلّ ذلك على ان اليوم المشار اليه في الآية يحشر فيه قوم دون قوم وليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وقد تظاهرت الاخبار عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ في ان الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي قوماً ممن تقدّم موتهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهجوا بظهور دولته ويعيد ايضا قوما من اعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب في القتل على ايدي شيعته والذل والخزي بما يشاهدون من علو كلمته ولا يشكّ عاقل ان هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه وقد فعل الله ذلك في الامم الخالية ونطق القرآن بذلك في عدة مواضع مثل قصة عزير وغيره على ما فسّرناه في موضعه وصحّ عن النبي ﷺ قوله سيكون في أمتي كل ما كان في بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة[1] حتى لو ان احدهم دخل جحر ضبّ لدخلتموه على ان جماعة من الإمامية تأوّلوا ما ورد من الاخبار في الرجعة على رجوع الدولة والامر والنهي دون رجوع الاشخاص واحياء الاموات وأوّلوا الاخبار الواردة في ذلك لما ظنّوا ان الرجعة تنافي التكليف وليس

(١) قال ابن الاثير القذة واحدة القذذ : ريش السهم : وفي الحديث : لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة اى كما تقدر كل واحد منهما على قدر صاحبتها و تقطع . يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان .

كذلك لأنه ليس فيها ما يلجئ إلى فعل الواجب والامتناع من القبيح والتكليف يصح معها كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة كفلق البحر وقلب العصا ثعبانا وما أشبه ذلك ولأن الرجعة لم تثبت بظواهر الاخبار المنقولة فيتطرق التأويل عليها وانما المعول في ذلك على اجماع الشيعة الإمامية وإن كانت الأخبار تعضده وتؤيده ومن قال ان قوله ويوم يحشر من كل أمة فوجا المراد به يوم القيامة قال المراد بالفوج الجماعة من الرؤساء والمتبوعين في الكفر حشروا وجمعوا لإقامة الحجة عليهم (حتى إذا جاؤوا) إلى موقف الحساب (قال) الله تعالى لهم (أكذبتم بآياتي) اي كذبتم بأنبيائي ودلالاتي الدالة على ديني (ولم تحيطوا بها علما) أي لم تطلبوا معرفتها ولم تبينوا ما اوجب الله عليكم فيها (أماذا كنتم تعملون) حين لم تبحثوا عنها ولم تتفكروا في صحتها يقول ذلك تبكيتا لهم وتجهيلا أي هذا كان الواجب عليكم فتركتموها ولم تعرفوها حق معرفتها فبماذا اشتغلتم ومن قال بالأول قال المراد بالآيات الأئمة الطاهرون «ع» (ووقع القول عليهم) أي وجب العذاب عليهم (بما ظلموا) أي بظلمهم إذ صاروا بحيث لا يفلح احد منهم ولا احد بسببهم (فهم لا ينطقون) إذ ذاك بكلام ينتفعون به ويجوز ان يكون المراد انهم لا ينطقون اصلا لعظم ما يشاهدونه وهول ما يرونه

قوله تعالى (٨٦) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٧) وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (٨٨) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٩) مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٩٠) وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩١) إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٢) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ (٩٣) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (ثمان في آيات)

القراءة

قرأ حمزة وحفص وخلف اتوه مقصورة الألف غير ممدودة بفتح التاء وقرأ الباقون آتوه بمد الالف وضم التاء وقرأ اهل البصرة غير سهل وابن كثير وحماد والاعشى والبرجمي عن ابي بكر بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء وقرأ اهل الكوفة من فزع منونا يومئذ بفتح الميم وقرأ اهل المدينة غير اسماعيل من فزع بغير تنوين يومئذ بفتح الميم وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ونافع برواية اسماعيل ويعقوب من فزع بغير تنوين يومئذ بكسر الميم وقرأ اهل المدينة وابن عامر وحفص ويعقوب عما تعملون بالتاء والباقون بالياء

الحجة

قال ابو علي من قرأ اتوه كان فعلوا من الاتيان ومن قرأ آتوه فهو فاعلوه وكلاهما محمول على معنى كل ولو حمله على اللفظ جاز كما في قوله وكلهم آتيه وان كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبداً وحجة من قال يفعلون بالياء ان ذكر الغيبة قد تقدم في قوله وكل اتوه وحجة التاء انه خطاب للكافة وقد تدخل الغيبة في

الخطاب ولا يدخل الخطاب في الغيبة وقوله من فزع يومئذ من نوّن كان في انتصاب يوم ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ ان يكون منتصباً بالمصدر كأنه قال وهم من ان يفزعوا يومئذ آمنون ﴿ والآخر ﴾ ان يكون اليوم صفة لفزع لأن اسماء الاحداث توصف بأسماء الزمان كما يخبر عنها بها وفيه ذكر الموصوف وتقديره في هذا الوجه ان يتعلق بمحذوف كأنه من فزع يحدث يومئذ ﴿ والثالث ﴾ ان يتعلق باسم الفاعل كأنه آمنون من فزع يومئذ ويجوز اذا نوّن الفزع ان يعني به فزعاً واحداً ويجوز ان يعني به كثرة لأنه مصدر والمصادر تدل على الكثرة وإن كانت مفردة الألفاظ كقوله تعالى ان انكر الأصوات لصوت الحمير وكذلك إذا اضاف فقال من فزع يومئذ او يومئذ ويجوز ان يعني به مفرداً ويجوز ان يعني به كثرة فأما القول في اعراب يوم وبنائه إذا اضيف إلى إذ فقد ذكر فيما تقدم وحجة من قرأ يعملون بالياء انه وعيد للمشركين وحجة التاء انه على معنى قل لهم ذلك

﴿ الإعراب ﴾

وصف النهار بأنه مبصر فيه وجهان ﴿ أحدهما ﴾ ان معناه ذو ابصار كقوله عيشة راضية أي ذات رضى وكقول النابغة « كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبُ »(١) أي ذي نصب ﴿ والثاني ﴾ انه يريك الأشياء كما يراها من يبصرها بالنور الذي تجلى عندها وفيه قول ثالث انه مثل قول جرير

لَقَدْ لُمْتَنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى ... وَنِمْتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ(٢)

اي بالذي ينام فيه فيكون مبصراً بمعنى ما يبصر فيه

﴿ المعنى ﴾

ثم بيّن سبحانه قدرته على الإعادة والبعث بما احتجّ به على الكفار فقال (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) عن التعب والحركات (والنهار مبصراً) أي يبصر فيه ويمكن التصرف فيه لضيائه ويدرك بنوره جميع الاشخاص كما يدرك بنور البصر (إن في ذلك لآيات) أي دلالات (لقوم يؤمنون) لأن جعل الشيء لما يصلح له من الانتفاع إنما يكون بالاختيار ولا يكون بالطباع (ويوم ينفخ في الصور) منصوب بتقدير واذكر يوم ينفخ اسرافيل بأمر الله تعالى في الصور وذلك اليوم الذي يقع عليهم القول بما ظلموا ويجوز أن يكون على حذف في الكلام والتقدير ويوم ينفخ في الصور وتكون النشأة الثانية واختلف في معنى الصور فقيل هو صور الخلق جمع صورة عن الحسن وقتادة ويكون معناه يوم ينفخ الروح في الصور فيبعثون وقيل هو قرن ينفخ فيه شبه البوق عن مجاهد وقد ورد ذلك في الحديث (ففزع من في السموات ومن في الارض) أي ماتوا لشدة الخوف والفزع يدل عليه قوله في موضع آخر فصعق من في السموات الآية وقيل هي ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين (إلا من شاء الله) من الملائكة الذين يثبت الله قلوبهم وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل يعني الشهداء فإنهم لا يفزعون في ذلك اليوم وروي ذلك في خبر مرفوع (وكل) من الاحياء الذين ماتوا ثم احيوا (اتوه) أي يأتونه في المحشر (داخرين) أي أذلاء صاغرين عن ابن عباس وقتادة (وترى الجبال تحسبها جامدة) أي واقفة مكانها لا تسير ولا تتحرك في مرأى العين (وهي تمر مر السحاب) اي تسير سيراً حثيثاً مثل سير السحاب عن ابن عباس وفي مثل هذا المعنى قول النابغة الجعدي يصف جيشاً

بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسِبُ أَنَّهُمْ ... وُقُوفٌ لِحَاجٍ وَالرِّكَابُ تُهَمْلِجُ(٣)

اي تحسب انهم وقوف من اجل كثرتهم والتفافهم فكذلك المعنى في الجبال انك لا ترى سيرها لبعد اطرافها كما لا ترى سير السحاب إذا انبسط لبعد اطرافه وذلك إذا ازيلت الجبال عن اماكنها التلاشي كما في قوله وتكون

(١) هذا صدر بيت للنابغة الذبياني وعجزه «وليل اقاسيه بطيء الكواكب» وقوله «كلينى» اى دعنى امر من ا وكل اليه الامر : فوض . واميمة على وزن جهينة اسم جبينة . (٢) الشعر في جامع الشواهد (١) الجيش الارعن : هو المضطرب لكثرته . والمطود : الجبل والحاج جمع الحاجة . والهملاج : حسن سير الدابة في سرعة .

الجبال كالعهن المنفوش (صنع الله) اي صنع الله ذلك صنعاً وانتصب بما دلّ عليه ما تقدّمه من قوله وهي تمرّ مرّ السحاب وذكر اسم الله لأنه لم يأت ذكره فيما قبل وإنما دلّ عليه (الذي اتقن كل شيء) اي خلق كل شيء على وجه الاتقان والاحكام والاتساق قال قتادة أي أحسن كل شيء خلقه وقيل الاتقان حسن في ايثاق (انه خبير بما تفعلون) اي عليم بما يفعل اعداؤه من المعصية وبما يفعل اولياؤه من الطاعة ثم بيّن سبحانه كيفية الجزاء على افعال الفريقين فقال (من جاء بالحسنة) أي بكلمة التوحيد والاخلاص عن قتادة وقيل بالإيمان عن النخعي وكان يحلف ولا يستثني ان الحسنة لا إله إلا الله والمعني من وافى يوم القيامة بالإيمان (فله خير منها) قال ابن عباس اي فمنها يصل الخير اليه والمعنى فله من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والأمان من العقاب فخير هاهنا اسم وليس بالذي هو بمعنى الأفضل وهو المروي عن الحسن وعكرمة وابن جريج قال عكرمة فأما ان تكون خيرا من الإيمان فلا فليس شيء خيرا من لا إله إلا الله وقيل معناه فله افضل منها في معظم النفع لأنه يعطي بالحسنة عشرا عن زيد بن اسلم ومحمد بن كعب وابن زيد وقيل لأن الثواب فضل الله تعالى والطاعة فعل العبد وقيل هو رضوان الله ورضوان من الله اكبر (وهم من فزع يومئذ آمنون) قال الكلبي إذا اطبقت النار على اهلها فزعوا فزعة لم يفزعوا مثلها واهل الجنة آمنون من ذلك الفزع (ومن جاء بالسيئة) اي بالمعصية الكثيرة التي هي الكفر والشرك عن ابن عباس واكثر المفسرين (فكبّت وجوههم في النار) أي القوا في النار منكوسين (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) يعني ان هذا جزاء فعلكم وليس بظلم حدثنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال حدثنا الحاكم ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال اخبرنا محمد بن عبد الله بن احمد قال اخبرنا محمد بن احمد بن محمد قال حدثنا عبد العزيز بن يحيى بن احمد قال حدثني محمد بن عبد الرحمن بن الفضل قال حدثني جعفر ابن الحسين قال حدثني محمد بن زيد بن علي (ع) عن ابيه قال سمعت ابا جعفر (ع) يقول دخل ابو عبد الله الجدلي على أمير المؤمنين (ع) فقال له يا ابا عبد الله الا اخبرك بقول الله تعالى من جاء بالحسنة إلى قوله تعملون قال بلى جعلت فداك قال الحسنة حبّنا أهل البيت والسيئة بغضنا وحدثنا السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القاسم قال اخبرنا ابو عثمان سعيد بن محمد الحميري قال حدثنا جدّي احمد بن اسحاق الحميري قال حدثنا جعفر بن سهل قال حدثنا ابو زرعة عثمان بن عبد الله القرشي قال حدثنا ابن لهيعة عن ابن الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﷺ ياعلي لو أن أمتي صاموا حتى صاروا كالاوتاد وصلّوا حتى صاروا كالحنايا ثم ابغضوك لأكبّهم الله على مناخرهم في النار ثم قال سبحانه لنبيّه ﷺ قل لهم (إنما أمرت ان اعبد رب هذه البلدة) يعني مكة عن ابن عباس وقال ابو العالية هي منى (الذي حرّمها) اي جعلها حرماً آمناً يحرم فيها مايحلّ في غيرها لا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يقتص فيها (وله كل شيء) اي وهو مالك كل شيء مما احلّه وحرّمه فيحرم ما شاء ويحلّ ما شاء (وأمرت ان أكون من المسلمين) اي من المخلصين لله بالتوحيد (وان اتلوا القرآن) عليكم يا اهل مكة وأدعوكم إلى ما فيه (فمن اهتدى) إلى الحق والعمل بما فيه (فإنما يهتدي لنفسه) لأن ثواب ذلك وجزاءه يصل اليه دون غيره (ومن ضلّ) عنه وحاد ولم يعمل بما فيه ولم يهتد إلى الحق (فقل) له يا محمد (انما انا من المنذرين) الذين يخوّفون بعقاب الله من معاصيه ويدعون إلى طاعته ولا اقدر على اكراههم على الإيمان والدين (وقل الحمد لله) اعترافاً بنعمته إذا اختارني لرسالته (سيريكم آياته) يوم القيامة (فتعرفونها) وتعرفون انها على ما اخبرتم بها في الدنيا عن الحسن وقيل معنى آياته هي العذاب في الدنيا والقتل يوم بدر فتعرفونها اي تشاهدونها ورأوا ذلك ثم عجّلهم الله إلى النار عن مقاتل (وما ربك بغافل عما تعملون) بل هو عالم بجميع ذلك فيجازيكم عليها وإنما يؤخّر عقابكم إلى وقت تقتضيه الحكمة

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله إنما امرت ان اعبد رب هذه البلدة بما قبله انه سبحانه لما بيّن ان الأمن من اهوال القيامة للمؤمن المحسن فكأنّ قائلا قال وما الحسنة و كيف العبادة فقال انما امرت

سورة القصص (مكية)

﴿ عدد آيها ﴾

وهي ثمان وثمانون آية

﴿ اختلافها ﴾

آيتان طسم كوفي يسقون غير الكوفي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ طسم القصص اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بموسى و كذّب به ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا ان كل شيء هالك إلا وجهه

﴿ تفسيرها ﴾

لما امر سبحانه في خاتمة تلك السورة بتلاوة القرآن بيّن في هذه السورة ان القرآن من طسم وانه يتلو عليهم من نبأ موسى وفرعون فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) طسم (٢) تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ (٣) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٤) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٥) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ (٦) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (ست آيات كوفي وخمسة في غيرهم)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير عاصم ويرى فرعون بالياء وما بعده بالرفع وقرأ الباقون ونرى بالنون وضمّه و كسر الراء ونصب الياء وما بعده بالنصب

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قرأ بالنون ان ما قبله للمتكلم فينبغي ان يكون ما بعده ايضا كذلك ليكون الكلام من وجه واحد وحجة من قرأ بالياء ان فرعون وجنوده يرون ذلك والمعلوم انهم يرونه إذا رأوه وهو قراءة الاعمش

﴿ اللغة ﴾

النبأ الخبر عما هو عظيم الشأن والشيع الفرق وكل فرقة شيعة وسمّوا بذلك لأن بعضهم يتابع بعضاً والعرب تقول شاعكم السلام اي تبعكم وشيّعه اتبعه والتمكين تكميل ما يتمّ به الفعل

﴿ الاعراب ﴾

قوله بالحق في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف تقديره تلاوة كائنة بالحق ويجوز ان يكون الحق صفة محذوف تقديره بالأمر الحق والجار والمجرور يتعلق بنتلو ويستضعف في موضع نصب على الحال وبذبح حال بعد حال ويجوز ان يكون حالا عن الحال

﴿ المعنى ﴾

(طسم تلك آيات الكتاب المبين) أي المبيّن الرشد من الغيّ عن قتادة وقيل هو البيّن الظاهر والآية مفسّرة فيما مضى (نتلو عليك) يا محمد (من نبأ موسى وفرعون) أي طرفاً من اخبارهما (بالحق)اي بالصدق والحقيقة لا ريب فيه (لقوم يؤمنون) اي يصدّقون بالله وبما انزله اليك (ان فرعون علا في الارض) أي بغى وتجبّر وتعظّم واستكبر في ارض مصر يقال علا علوا إذا تجبّر ومنه قوله لا يريدون علواً في الارض (وجعل اهلها شيعاً) اي فرقاً قال قتادة فرّق بين بني اسرائيل والقبط والمعنى يكرم قوماً ويذل آخرين بالاستعباد والاستعمال في الاعمال الشاقة وقيل معناه جعل بني اسرائيل اصنافاً في الخدمة والتسخير (يستضعف طائفة منهم) يعني من بني اسرائيل ثم فسّر ذلك فقال (يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم) يقتل الابناء ويستبقي البنات فلا يقتلن وذلك ان بعض الكهنة قال له ان مولوداً يولد في بني اسرائيل يكون سبب ذهاب ملكك وقال السدي رأى فرعون في منامه ان ناراً اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فسأل علماء قومه فقالوا له يخرج من هذا البلد رجل يكون هلاك مصر على يده (انه كان من المفسدين)بالقتل والعمل بالمعاصي (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض) المعنى ان فرعون كان يريد اهلاك بني اسرائيل وافناءهم ونحن نريد ان نمنّ عليهم (ونجعلهم أئمة) اي قادة ورؤساء في الخير يقتدى بهم عن ابن عباس وقيل نجعلهم ولاة وملوكا عن قتادة وهذا القول مثل الاول لأن الذين جعلهم الله ملوكا فهم أئمة ولا يضاف إلى الله سبحانه ملك من يملك الناس عدوانا وظلما وقد قال سبحانه فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيماً والملك من الله تعالى هو الذي يجب ان يطاع فالأئمة على هذا ملوك مقدّمون في الدين والدنيا بطاعة الناس اعقابهم (ونجعلهم الوارثين) لديار فرعون وقومه واموالهم وقد صحّت الرواية عن امير المؤمنين «ع» انه قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها (١) وتلا عقيب ذلك ونريد ان نمنّ على الذين استضعفوا في الارض الآية وروى العياشي بالاسناد عن ابي الصباح الكناني قال نظر ابو جعفر «ع» إلى ابي عبد الله «ع» فقال هذا والله من الذين قال الله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض الآية وقال سيد العابدين علي بن الحسين «ع» والذي بعث محمدا بالحق بشيراً ونذيراً ان الابرار منا أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته وان عدوّنا واشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه (ونمكن لهم في الارض) أي ونريد ان نمكّن لبني اسرائيل في أرض مصر والتمكين هو فعل جميع ما لا يصحّ الفعل إلا معه من القدرة والآلة واللطف وغير ذلك وقال علي بن عيسى اللطف لا يدخل في التمكين لأنه لو دخل فيه لكان من لا لطف له لم يكن ممكنا ولكنّه من باب ازاحة العلة (ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم) أي من بني اسرائيل (ما كانوا يحذرون) من ذهاب الملك على يد رجل منهم قال الضحاك عاش فرعون اربعمائة سنة وكان قصيراً دميما وهو أول من خضب بالسواد وعاش موسى «ع» مائة وعشرين سنة

(١) شمس الفرس شماساً : كان لا يمكن احداً من ظهره ولا من الاسراج ولا اللجام ولا يكاد يستقر . والضروس الناقة السيئة الخلق تعض حالبها .

قوله تعالى (٧) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٨) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٩) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(أربع آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم وحزنا بضم الحاء وسكون الزاي والباقون حزنا بفتحها وفي الشواذ قراءة الحسن وفضالة بن عبد الله فؤاد ام موسى فزعا وقراءة ابن عباس قرْعا بالقاف والراء وحكى قطرب عن بعضهم فَرْغا

الحجة

الحَزَن والحُزْن لغتان مثل البَخَل والبُخْل والعَرَب والعُرْب والعَجَم والعُجْم واما قوله فزعاً بالفاء والزاي فمعناه قلقاً يكاد يخرج من غلافه واما قرعاً فمعناه يرجع إلى معنى فارغ لأن رأس الاقرع يكون خالياً من الشعر واما فَرْغا فمعناه هدراً وباطلا قال

فَإِنْ تَكُ أَذْوَادٌ أُصِبْنَ وَنِسْوَةٌ ... فَلَنْ يَذْهَبُوا فَرْغاً بِقَتْلِ حِبَالِ(١)

وقوله فارغاً معناه خالياً من الحزن لعلمها انه لا يغرق

الاعراب

مفعول خفت محذوف تقديره خفت عليه احداً. قرة عين لي ولك خبر مبتدأ محذوف أي هو قرة عين قال الزجاج ويجوز على بعد ان يكون قرة عين مبتدأ ويكون خبره لا تقتلوه وهم لا يشعرون في موضع نصب على الحال والعامل فيه ما يدل على هذه القصة وتقديره قالوا ما قالوه غير شاعرين

المعنى

ثم بيَّن سبحانه كيف دبَّر في اهلاك فرعون وقومه منبهاً بذلك على كمال قدرته وحكمته فقال (واوحينا إلى ام موسى) اي ألهمناها وقذفنا في قلبها وليس بوحي نبوة عن قتادة وغيره وقيل اتاها جبرائيل «ع» بذلك عن مقاتل وقيل كان هذا الوحي رؤيا منام عبَّر عنها من يثق به من علماء بني اسرائيل عن الجبائي (أن أرضعيه) ما لم تخافي عليه الطلب (فإذا خفت عليه) في القتل الذي امر به فرعون في ابناء بني اسرائيل (فألقيه في اليم) أي في البحر وهو النيل (ولا تخافي) عليه الضيعة (ولا تحزني) من فراقه (إنا رادُّوه اليك) سالماً عن قريب (وجاعلوه من المرسلين) والانبياء وفي هذه الآية امران ونهيان وخبران وبشارتان وحكي ان بعضهم سمع بدوية تنشد ابياتا فقال لها ما افصحك فقالت الفصاحة لله تعالى وذكرت هذه الآية وما فيها قال وهب بن منبه لما حملت ام موسى بموسى كتمت امرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها احد من خلق الله وذلك شيء ستره الله تعالى لما أراد ان يمنَّ به على بني اسرائيل فلما كانت السنة التي يولد فيها موسى بعث فرعون القوابل وتقدم اليهن ان يفتشن النساء تفتيشا لم يفتشنه قبل ذلك وحملت ام موسى بموسى فلم ينتْ بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر

(١) قائله طليحة بن خويلد الاسدي والاذواد جمع ذود: مابين الثلاث الى العشرة من الابل. وحبال: اسم رجل وهو ابن اخي طليحة بن خويلد ـ قائل البيت ـ (و قال ابن هشام في السيرة ج١: ٦٣٨ وكذا الميداني في مجمع الامثال ج٢: ١٧١ هو ابنه) قتله عكاشة بن محصن الاسدي فلما اطلع على قتله طليحة خرج في أثر عكاشة حتى أدركه فقتله ـ

لبنها فكانت القوابل لا يعرضن لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها موسى ولدته امه ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها احد إلا اخته مريم فأوحى الله تعالى اليها أن ارضعيه الآية قال فكتمته أمه ثلاثة اشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك فلما خافت عليه عملت له تابوتا مطبقا ومهدت له فيه ثم القته في البحر ليلا كما امرها الله تعالى قال ابن عباس لما قربت ولادة ام موسى وكانت قابلة من النساء اللاتي وكلهن فرعون بجبالى بني اسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها فجاءت فعالجتها فلما ولد موسى رأت نوراً بين عينيه فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى في قلبها ثم قالت يا هذه ما جئت اليك إلا ومن ورائي قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حباً ما وجدت حبّ شيء مثل حبه فاحفظي ابنك فإني أراه هو عدونا فلما خرجت من عندها القابلة بصرتها العيون فجاؤوا ليدخلوا على ام موسى فقالت اخته يا اماه هذا الحرس بالباب فلفّت موسى في خرقة فوضعته في تنور مسجور فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا ام موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فخرجوا من عندها وانطلقت إلى الصبي وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما قال ثم لما رأت الحاح فرعون في الطلب خافت على ابنها فانطلقت إلى نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت قالت ان لي ابنا اخبأه في التابوت وكرهت الكذب فلما اشترت التابوت وحملته انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمر ام موسى فلم يطق الكلام فرجع واخذ في النجر فانطلق لسانه فرجع ثانيا فلما انتهى اليهم اعتقل لسانه هكذا ثلاث مرات فعلم ان ذلك امر إلهي (فالتقطه آل فرعون) اي اصابوه واخذوه من غير طلب (ليكون لهم عدوا وحزنا) اي ليكون لهم في عاقبة امره كذلك لا انهم اخذوه لهذا كما يقال لمن كسب مالا فأداه ذلك إلى التلف والهلاك انما كسب فلان لحتفه وهو لم يطلب المال للحتف (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) اي عاصين ربهم في افعالهم وكانت القصة في ذلك ان النيل جاء بالتابوت إلى موضع فيه فرعون وامرأته على شط النيل فأمر فرعون فأتي به وفتحت آسية بنت مزاحم بابه فلما نظرت اليه القى الله في قلبها محبة موسى وكانت آسية بنت مزاحم امرأة من بني اسرائيل استنكحها فرعون وهي من خيار النساء ومن بنات الأنبياء وكانت أما للمؤمنين ترحمهم وتتصدق عليهم ويدخلون عليها فلما نظر فرعون إلى موسى غاظه ذلك وقال كيف اخطأ هذا الغلام الذبح قالت آسية وهي قاعدة إلى جنبه هذا الوليد اكبر من ابن سنة وانك امرت ان يذبح الولدان لهذه السنة فدعه يكن قرة عين لي ولك وذلك قوله تعالى (وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولداً) وانما قالت ذلك لأنه لم يكن له ولد فأطمعته في الولد قال ابن عباس ان اصحاب فرعون لما علموا بموسى جاؤوا ليقتلوه فمنعتهم وقالت لفرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه قال فرعون قرة عين لك واما لي فلا قال رسول الله ﷺ والذي يحلف به لو أقرّ فرعون بأن يكون له قرة عين كما اقرت امرأته لهداه الله به كما هداها ولكنه ابى للشقاء الذي كتبه الله عليه (وهم لا يشعرون) أي لا يشعرون ان هلاكهم على يديه وقيل لا يشعرون ان هذا هو المطلوب الذي يطلبونه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أي خاليا من كل شيء إلا من ذكر موسى اي صار فارغا له عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل فارغا من الحزن لعلمها ان ابنها ناج سكونا إلى ما وعدها الله تعالى به وقيل فارغا من الوحي الذي اوحي اليها بنسيانها فإنها نسيت ما وعدها الله تعالى به عن الحسن وابن زيد (ان كادت لتبدي به) معناه انها

ثم قال في ذلك أبياتاً وهذا البيت احدها . يقول : ان صاردم الابل والنسوة هدراً فلن يصير دم جبال هدراً (٢) نتاينتو الشيء : ارتفع . ورم . وفي بعض النسخ «فلم ينتأ» بالهمزة ومعناهما واحد .

كادت تبدي بذكر موسى فتقول يا ابناه من شدة الغم والوجد عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل معناه كادت تصيح على ابنها شفقة عليه من الفرق عن مقاتل وقيل معناه همّت بأن تقول انها امه لما رأته عند دعاء فرعون اياها للارضاع لشدة سرورها به عن جعفر بن حرب وقيل معناه انها كادت تبدي بالوحي (لولا ان ربطنا على قلبها) بالصبر واليقين والربط على القلب الهام الصبر وتقويته عن الزجاج وقيل معناه لولا ان قوينا قلبها بالعصمة والوحي وجواب لولا محذوف والتقدير لولا ان ربطنا على قلبها لأظهرته (لتكون من المؤمنين) أي فعلنا ذلك لتكون جملة المصدقين بوعدنا الواثقين بوحينا وقولنا انا رادّوه اليك

قوله تعالى (١١) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٣) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٤) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٥) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (خمس آيات)

﴿ اللغة ﴾

القص اتباع الاثر ومنه القصص في الحديث لأنه يتبع فيه الثاني الاول والقصاص اتباع الجاني في الأخذ بمثل جنايته في النفس فبصر به رآه فبصر لا يتعدى إلا بحرف الجر ورأى يتعدى بنفسه ومعنى بصرت به عن جنب أبصرته عن جنابة أي عن بعد قال الاعشى

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زَائِرًا عَنْ جِنَابَةٍ ... وَكَانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِيَ جَامِدًا

وقيل جنب صفة وقعت موقع الموصوف أي عن مكان جنب والمراضع جمع مرضعة والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد وهو نقيض الغش والوكز الدفع وقيل هو بجمع الكف ومثله اللكز واللهز

﴿ الاعراب ﴾

عن جنب الجار والمجرور في موضع نصب على الحال وتقديره فبصرت به بعيدة وان جعلت جنبا صفة على تقدير من مكان جنب فهو في موضع نصب بأنه ظرف مكان. هذا من شيعته وهذا من عدوه جملتان في محل النصب لأنها صفة رجلين صفة بعد صفة

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه لطف صنعه في تسخيره لفرعون حتى تولى تربية موسى فقال (وقالت) يعني ام موسى (لاخته) يعني اخت موسى واسمها كلثمة عن الضحاك (قصيه) اي اتبعي اثره وتعرفي خبره (فبصرت به عن جنب) في الكلام حذف واقتصار تقديره فذهبت أخت موسى فوجدت آل فرعون قد اخرجوا التابوت واخرجوا موسى فبصرت به وهذا من الايجاز الدال على الاعجاز باللفظ القليل المبني على المعنى الكثير

اي فرأت اخاها موسى عن جنب اي عن بعد عن مجاهد وقيل عن جانب تنظر اليه كأنها لا تريده عن قتادة وتقديره عن مكان جنب (وهم لا يشعرون) اي وآل فرعون لا يشعرون انها اخته عن قتادة وقيل معناه وهم لا يشعرون انها جاءت متعرفة عن خبره ويمكن ان يكون سبحانه كرّر هذا القول تنبيها على ان فرعون لو كان إلهاً لكان يشعر بهذه الأمور (وحرّمنا عليه المراضع) المعنى انه لا يؤتى بمرضع فيقبلها وتأويله منعناهن منه وبغضناهن اليه عن ابن عباس وقيل هو جمع مرضع بمعنى الرضاع اي منعناه من الرضاع فهذا تحريم منع لا ان هناك نهيا عن الفعل ومثله قول امرئ القيس

جَالَتْ لِتَصْرَعَنِي فَقُلْتُ لَهَا اقْصِرِي ... إِنِّي امْرُؤٌ صَرْعِي عَلَيْكِ حَرَامُ(١)

أي صرعي ممتنع عليك فإني فارس امنعك من ذلك ويقال فلان حرم على نفسه كذا اي امتنع منه كما يمتنع بالنهي (من قبل) اي من قبل مجيء اخته وقيل من قبل ردّه على امه (فقالت هل ادلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) وهذا يدلّ على ان الله تعالى القى محبته في قلب فرعون فلشدة محبته وغاية شفقته عليه طلب له المراضع وكان موسى لا يقبل ثدي واحدة منهن بعد ان اتته مرضع بعد مرضع فلما رأت اخته وجدهم به وحبهم له ورقتهم عليه قالت لهم هل أدلكم على اهل بيت يقبلون هذا الولد ويبذلون النصح في امره ويحسنون تربيته ويضمنون لكم القيام بأمره (وهم له ناصحون) يشفقون عليه وينصحونه وقيل انه لما قالت اخته ذلك قال هامان ان هذه المرأة تعرف ان هذا الولد من أيّ اهل بيت هو فقالت هي انما عنيت انهم ناصحون للملك فأمسكوا عنها (فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن) يعني عين امه وانطلقت اخت موسى إلى امها فجاءت بها اليهم فلما وجد موسى ريح امه قبل ثديها وسكن بكاؤه وقيل ان فرعون قال لأمه كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك فقالت لأني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد اوتى بصبي إلا ارتضع مني فسرّ فرعون بذلك (ولتعلم ان وعد الله حق) اراد به ما وعدها الله به في الآية المتقدمة بقوله إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين (ولكن اكثرهم لا يعلمون) تحقيق ذلك الوعد كما علمت (ولما بلغ اشده) اي ثلاثا وثلاثين سنة (واستوى) اي بلغ اربعين سنة عن مجاهد وقتادة وابن عباس (آتيناه حكما وعلما) اي فقها وعلما وعقلا بدينه ودين آبائه فعلم موسى وحكم قبل ان يبعث نبيا وقيل نبوة وعلما عن السدي (وكذلك نجزي المحسنين) وهذه الآية مفسرة في سورة يوسف (ودخل المدينة) يريد مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر وقيل على فرسخين من ارض مصر (على حين غفلة من اهلها) أراد به نصف النهار والناس قائلون عن سعيد بن جبير وقيل ما بين المغرب والعشاء الآخرة عن ابن عباس وقيل كان يوم عيد لهم وقد اشتغلوا بلعبهم عن الحسن وقيل اختلفوا في سبب دخوله المدينة في هذا الوقت على أقوال ﴿ أحدها ﴾ انه كان موسى حين كبر يركب في مواكب فرعون فلما جاء ذات يوم قيل له ان فرعون قد ركب فركب في اثره فلما كان وقت القائلة دخل المدينة ليقيل عن السدي ﴿ والثاني ﴾ ان بني اسرائيل كانوا يجتمعون إلى موسى ويسمعون كلامه ولما بلغ اشدّه خالف قوم فرعون فاشتهر ذلك منه واخافوه فكان لا يدخل مصر إلا خائفا فدخلها على حين غفلة عن ابن اسحاق ﴿ والثالث ﴾ ان فرعون امر باخراجه من البلد فلم يدخل إلا الآن عن ابن زيد (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أي يختصمان في الدين عن الجبائي وقيل في امر الدنيا (هذا من شيعته وهذا من عدوه) أي أحدهما اسرائيلي والآخر قبطي يسخر الاسرائيلي

(١) الضمير ترجع الى الناقة المذكورة في الابيات السابقة على هذا البيت .

ليحمل حطبا إلى مطبخ فرعون وقيل كان احدهما مسلما والآخر كافرا عن محمد بن اسحاق (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) أي استنصره لينصره عليه وروى ابو بصير عن ابي عبد الله «ع» قال ليهنكم الاسم قال قلت وما الاسم قال الشيعة قال أما سمعت الله سبحانه يقول فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه (فوكزه موسى) أي دفع في صدره بجمع كفه عن مجاهد وقيل ضربه بعصاه عن قتادة (فقضى عليه) اي فقتله وفرغ من امره (قال هذا من عمل الشيطان) اي بسببه حتى هيج غضبي فضربته فهو من اغوائه قال الحسن لم يكن يحل قتل الكافر يومئذ لأن الحال كانت حال الكف عن القتال وقيل معناه ان الأمر الذي وقع القتل بسببه من عمل الشيطان أي حصل بوسوسة الشيطان وذكر المرتضى قدس الله روحه فيه وجهين آخرين ﴿ احدهما ﴾ انه أراد ان تزيين قتلي له وتركي لما ندبت اليه من تأخيره وتفويتي ما استحقه عليه من الثواب من عمل الشيطان ﴿ والآخر ﴾ انه يريد أن عمل المقتول من عمل الشيطان يبين بذلك انه مخالف لله تعالى مستحق للقتل ثم وصف الشيطان فقال (انه عدو) لبني آدم (مضل مبين) ظاهر العداوة والاضلال «سؤال» قالوا ان هذا القتل لا يخلو من ان يكون مستحقا او غير مستحق فإن كان غير مستحق فالأنبياء «ع» لا يجوز عليهم ذلك عندكم لا قبل النبوة ولا بعدها وان كان مستحقا فلا معنى لندمه عليه واستغفاره منه «والجواب» ان القتل إنما وقع على سبيل تخليص المؤمن من يد من اراد ظلمه والبغي عليه ودفع مكروهه عنه ولم يكن مقصوداً في نفسه وكل الم وقع على هذا الوجه فهو حسن غير قبيح سواء كان القاتل مدافعا عن نفسه او عن غيره وسنذكر الوجه في استغفاره منه وندمه عليه

قوله تعالى (١٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٧) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (١٨) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (١٩) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (٢٠) وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (خمس آيات)

﴿ اللغة ﴾

الترقب الانتظار والاستصراخ طلب الصراخ على العدو بما يردعه عن الايقاع به والائتمار التشاور والارتياء يقال ائتمر القوم وارتاءوا بمعنى قال امرؤ القيس

أَحَارِ ابْنَ عَمْرٍو كَأَنِّي خَمِرْ وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتَمِرْ (١)

وقال النمر بن تولب

أَرَى النَّاسَ قَدْ أَحْدَثُوا شِيمَةً وَفِي كُلِّ حَادِثَةٍ يُؤْتَمَرْ

(١) قوله «حار» مرخم حارث. ورجل خمر ككتف: خالطه داء. و قيل: رجل خمراى فى عقب خمار وهو بقية السكر.

الاعراب

«بما انعمت عليَّ» الباء للقسم ويجوز ان يكون ما حرفا موصولا والمعنى بانعامك عليَّ ويجوز ان يكون اسما موصولاً والضمير العائد محذوفا والتقدير بالذي انعمته عليَّ وجواب القسم لن اكون والفاء لجواب القسم مقدر في الموصول بالجملة الفعلية. ان أراد أن يبطش ان الاولى زائدة وان الثانية مع صلتها منصوبة الموضع بأنها مفعولة اراد «اني لك من الناصحين» لا يجوز ان تتعلق اللام في لك بالناصحين لأن الصلة لا تعمل فيما قبل الموصول وانما تتعلق بمحذوف يفسّره هذا الظاهر تقديره اني من الناصحين لك

المعنى

ثم حكى سبحانه ان موسى «ع» حين قتل القبطي ندم على ذلك (وقال رب اني ظلمت نفسي) في هذا القتل فإنهم لو علموا بذلك لقتلوني وقال المرتضى قدس الله روحه العزيز انما قاله على سبيل الانقطاع والرجوع إلى الله تعالى والاعتراف بالتقصير عن اداء حقوق نعمه او من حيث حرم نفسه الثواب المستحق بفعل الندب (فاغفر لي) معناه قول آدم «ع» ربنا ظلمنا انفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. وقبول الاستغفار والتوبة قد يسمى غفرانا (فغفر له انه هو الغفور) لعباده (الرحيم) بهم المنعم عليهم (قال) موسى (رب بما انعمت عليَّ) اي بنعمتك عليَّ من المغفرة وصرف بلاء الأعداء عني (فلن اكون ظهيرا للمجرمين) المعنى فلك عليَّ الا اكون مظاهرا ومعينا للمشركين عن ابن عباس وفي هذا دلالة على ان مظاهرة المجرمين جرم ومعصية ومظاهرة المؤمنين طاعة وانما ظاهر موسى «ع» من كان ظاهره الإيمان وخالف من كان ظاهره الكفر وجاء في الأثر أن رجلا قال لعطا بن ابي رباح ان فلانا يكتب لفلان ولا يزيد على كتبه دخله وخرجه فإن اخذ منه اجرا كان له غنى وان لم يأخذ اشتدَّ فقره وفقر عياله فقال عطاء اما سمعت قول الرجل الصالح رب بما انعمت عليَّ فلن اكون ظهيراً للمجرمين (فأصبح) موسى في اليوم الثاني (في المدينة خائفا) من قبل القبطي (يترقب) أي ينتظر الاخبار في قتل القبطي عن ابن عباس يعني انه خاف من فرعون وقومه ان يكونوا عرفوا انه هو الذي قتل القبطي فكان يتجسس وينتظر الاخبار في شأنه (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) معناه ان الاسرائيلي الذي كان قد خلصه بالأمس ووكز القبطي من اجله يستصرخ موسى ويستعين به على رجل آخر من القبط خاصمه قال ابن عباس لما فشا امر قتل القبطي قيل لفرعون ان بني اسرائيل قتلت منا رجلا قال اتعرفون قاتله ومن يشهد عليه قالوا لا فأمرهم بطلبه فبينا هم يطوفون إذ مرَّ موسى من الغد واتى ذلك الاسرائيلي يطلب نصرته ويستغيث به (قال له موسى انك لغوي مبين) أي ظاهر الغواية حيث قاتلت بالأمس رجلا وتقاتل اليوم الآخر ولم يرد الغواية في الدين والمراد أن من خاصم آل فرعون مع كثرتهم فإنه غوي أي خائب فيما يطلبه عادل عن الصواب فيما يقصده (فلما ان أراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس) معناه فلما اخذته الرقة على الاسرائيلي وأراد ان يدفع القبطي الذي هو عدوّ لموسى والاسرائيلي عنه ويبطش به أي يأخذه بشدة ظن الاسرائيلي ان موسى قصده لما قال له انك لغوي مبين فقال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس عن ابن عباس واكثر المفسرين وقال الحسن هو من قول القبطي لأنه قد اشتهر أمر القتل بالامس وانه قتله بعض بني اسرائيل (ان تريد إلا ان تكون جباراً في الأرض) أي ما تريد إلا ان تكون عاليا في

الارض بالقتل والظلم قال عكرمة والشعبي لا يكون الانسان جباراً حتى يقتل نفسين بغير حق (وما تريد أن تكون من المصلحين) ولما قال الاسرائيلي ذلك علم القبطي ان القاتل موسى فانطلق إلى فرعون واخبره فأمر فرعون بقتل موسى وبعث في طلبه (وجاء رجل من اقصى المدينة) أي آخرها فاختصر طريقا قريبا حتى سبقهم إلى موسى (يسعى) اي يسرع في المشي فأخبره بذلك وانذره وكان الرجل حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل رجل اسمه شمعون وقيل سمعان (قال يا موسى ان الملأ) اي الاشراف من آل فرعون (يأتمرون بك) أي يتشاورون فيك عن ابي عبيدة وقيل يأمر بعضهم (ليقتلوك فاخرج) من ارض مصر (اني لك من الناصحين) في هذا يقال نصحته ونصحت له

قوله تعالى (٢١) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٢) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٣) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٤) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٥) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

خمس آيات كوفيون وست في غيرهم

القراءة

قرأ ابو جعفر وابو عمرو وابن عامر حتى يَصْدُر يفتح الياء وضم الدال وقرأ الباقون يُصْدِر بضم الياء وكسر الدال

الحجة

من قرأ حتى يَصْدُر الرعاء فمعناه حتى يرجعوا من سقيهم وفي التنزيل يَصْدُر الناس اشتاتا ليروا ومن قرأ حتى يُصْدِر اراد حتى يصدروا مواشيهم من وردهم فحذف المفعول كما قال الشاعر

لا يَعْدِلَنْ أَتَاوِيُّونَ تَضْرِبُهُمْ ... نَكْبَاءُ صِرٌّ بِأَصْحَابِ الْمُحِلَّاتِ (١)

اي أحداً

اللغة

تلقاء الشيء حذاؤه ويقال فعل ذلك من تلقاء نفسه اي من حذاء داعي نفسه وسواء السبيل وسط الطريق قال الشاعر « حَتَّى أُغَيِّبَ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ » (٢) وذاد شاته او ابله عن الشيء يذودها ذودا أي حبسها عنه بمنعه منه قال سويد بن كراع

أَبِيتُ عَلَى بَابِ الْقَوَافِي كَأَنَّمَا ... أَذُودُ بِهَا سِرْباً مِنَ الْوَحْشِ نُزَّعَا (٣)

(١) الاتاويون : الغرباء . والصر : شدة البرد . والمحلات : القدر والرحى والدلو والقربة والجفنة والسكين والفأس والزند سمي بذلك لان من كانت هذه معه حل حيث شاء والا فلابد ان يجاور الناس يستعير منهم بعضها اى لاتعدل اتاويون اذا اصابهم الصر أحداً باصحاب المحلات . سواء الملحد : وسط القبر . (٣) السرب : القطيع من الظباء والبقر والطير وغيرها . ونزع اى طالبة الفحل

قال الفراء ولا يقال ذدت في الناس وإنما يقال في الإبل والغنم وهذا ليس بشيء يدل عليه قول الكميت يصف بني هاشم (١)

سَادَةٌ ذَادَةٌ عَنِ الْخُرَّدِ البِيـ ـضِ إِذَا الْيَوْمُ كَانَ كَالأَيَّامِ (٢)

والخطب الامر الذي فيه تفخيم ومنه الخِطبة والخُطبة والخطاب كل ذلك فيه معنى العظم وما خطبكما أي ما شأنكما قال الراجز « يا عَجَباً ما خَطْبُهُ وَخَطْبِي » والرعاء جمع راع ويجمع على الرعيان والرعاة

الإعراب

تلقاء ظرف مكان لا نسقي اي لانسقي الغنم الماء فحذف مفعولاه لدلالة الكلام عليه وكذلك قوله فسقى لهما واللام في قوله لما انزلت يتعلق بفقير · تمشي في موضع نصب على الحال من جاءت وقوله على استحياء في موضع الحال ايضا من تمشي اي تمشي مستحيية ويجوز ان يكون حالا بعد حال · قالت ان ابي يدعوك الجملة يجوز ان يكون بدلا من قوله فجاءته احداهما ويجوز ان تكون في موضع الحال باضمار قد والعامل فيه جاءت او تمشي

المعنى

ثم بيّن سبحانه خروج موسى من مصر إلى مدين فقال (فخرج منها) اي من مدينة فرعون (خائفا) من ان يطلب فيقتل (يترقب) الطلب (قال رب نجّني من القوم الظالمين) قال ابن عباس خرج موسى متوجّها نحو مدين وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنّه بربّه قال رب نجني من فرعون وقومه وقيل انه خرج بغير زاد ولا ماء ولا حذاء ولا ظهر وكان لا يأكل إلا من حشيش الصحراء حتى بلغ ماء مدين (ولما توجه تلقاء مدين) التوجه صرف الوجه إلى جهة من الجهات وقوله هذا المعنى يتوجه الى كذا اي هو كالطالب له يصرف وجهه اليه قال الزجاج معناه ولما سلك في الطريق الذي يلقى مدين فيها وهي على مسيرة ثمانية أيام من مصر نحو ما بين البصرة الى الكوفة ولم يكن له علم بالطريق ولذلك (قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل) اي يرشدني قصد السبيل الى مدين وقيل سواء السبيل وسطه المؤدّي الى النجاة لأن الأخذ يمينا وشمالا لا يباعد عن طريق الصواب وقيل انه لم يقصد موضعاً بعينه ولكنّه أخذ في طريق مدين وقال عكرمة عرضت لموسى اربعة طرق فلم يدر أيّتها يسلك ولذلك قال عند استواء الطرق له عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فلما دعا ربه استجاب له ودلّه على الطريق المستقيم الى مدين وقيل جاء ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين وقيل انه خرج حافيا ولم يصل الى مدين حتى وقع خف قدميه عن سعيد بن جبير (ولما ورد ماء مدين) وهو بئر كانت لهم (وجد عليه أمة من الناس يسقون) اي جماعة من الرعاة يسقون مواشيهم الماء من البئر (ووجد من دونهم امرأتين تذودان) اي تحبسان وتمنعان غنمهما من الورود إلى الماء عن السدي وقيل تذودان الناس عن مواشيهما عن قتادة وقيل تكفان الغنم عن ان تختلط باغنام الناس عن الحسن فترك ذكر الغنم اختصارا (قال) موسى لهما (ما خطبكما) اي ما شأنكما وما لكما لا تسقيان مع الناس عن ابن اسحاق (قالتا لا نسقي) عند المزاحمة مع الناس (حتى يصدر الرعاء) مرّ معناه اي حتى ينصرف الناس فإنا لا نطيق السقي فننتظر فضول الماء فإذا انصرف الناس سقينا مواشينا من فضول الحوض عن ابن عباس وقتادة (وابونا شيخ كبير) لا يقدر على ان يتولى السقي بنفسه من الكبر ولذلك

(١) وقد ورد في حديث الحوض ايضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « انى لبعقر حوضى اذود الناس عنه لاهل اليمن » وفي حديث آخر « فليذ ادن رجال عن حوضى » وغير ذلك ذكره الجزري في النهاية فراجع وفي زيارة الجامعة ايضاً : « السادة الولاة والذادة الحماة » . (٢) الغريد من النساء البكر التي لم تمس قط .

احتجنا ونحن نساء ان نسقي الغنم وانما قالتا ذلك تعريضا للطلب من موسى ان يعينهما على السقي وقيل انما قالتا ذلك اعتذارا الى موسى في الخروج بغير محرم (فسقى لهما) معناه فسقى موسى غنمهما الماء لاجلهما وهو انه زحم القوم عن الماء حتى اخرجهم عنه ثم سقى لهما عن ابن اسحاق وقيل رفع لاجلهما حجرا عن بئر كان لا يقدر على رفع ذلك الحجر عنها الا عشرة رجال وسألهم ان يعطوه دلوا فناولوه دلوا وقالوا له انزح ان امكنك وكان لا ينزحها الا عشرة فنزحها وحده وسقى اغنامهما ولم يستق الا ذنوبا(١) واحدا حتى رويت الغنم (ثم تولى الى الظل) اي ثم انصرف الى ظل سمرة فجلس تحتها من شدة الحر وهو جائع (فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير) قال ابن عباس سأل نبي الله فلق خبز يقيم به صلبه وقال أمير المؤمنين عليه افضل الصلوات والله ما سأله الا خبزا يأكله لأنه كان يأكل بقلة الارض لقد كانت خضرة البقلة ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه قال الاخفش يقال فقير اليه وفقير له قال ابن اسحاق فرجعتا الى ابيهما في ساعة كانتا لا ترجعان فيها فأنكر شانهما وسألها فأخبرتاه الخبر فقال لإحداهما علي به فرجعت الكبرى الى موسى لتدعوه فذلك قوله (فجاءته احداهما تمشي على استحياء) **اي مستحيية معرضة عن عادة** النساء الخفرات وقيل أراد باستحيائها انها غطت وجهها بكمّ درعها عن عمر بن الخطاب وقيل هو بعدها من النداء عن الحسن قال فوالله ما كانت ولاجة ولا خراجة ولكنها كانت من الخفرات اللاتي لا يحسن المشي بين أيدي الرجال والكلام معهم وقيل أراد انها كانت تمشي عادلة عن الطريق (قالت ان ابي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) أي ليكافئك على سقيك لغنمنا واكثر المفسرين على ان اباها شعيب «ع» وقال وهب وسعيد بن جبير هو يثرون ابن أخي شعيب وكان شعيب مات قبل ذلك بعد ما كف بصره ودفن بين المقام وزمزم وقيل يثروب وقيل هو اسم شعيب لأن شعيبا اسم عربي قال ابو حازم لما قالت ليجزيك أجر ما سقيت لنا كره ذلك موسى وأراد ان لا يتبعها ولم يجد بدا من ان يتبعها لأنه كان في ارض مسبعة وخوف فخرج معها وكانت الريح تضرب ثوبها فنصف ثوبها فجعل موسى يعرض عنها مرة ويغض مرة فناداها يا أمة الله كوني خلفي وأريني السمت بقولك فلما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهيئا فقال له شعيب أجلس يا شاب فتعشّ فقال له موسى اعوذ بالله قال شعيب ولم ذاك الست بجائع قال بلى ولكن أخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من أهل بيت لا نبيع شيئا من عمل الآخرة بملك الأرض ذهبا فقال له شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام قال فجعل موسى يأكل وذلك قوله (فلما جاءه وقصّ عليه القصص) أي فلما جاء موسى شعيبا وقصّ عليه امره اجمع من قتل القبطي وانهم يطلبونه ليقتلوه (قال) له شعيب (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يعني فرعون وقومه فلا سلطان له بأرضنا ولسنا في مملكته

قوله تعالى (٢٦) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٧) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٨) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٩) فَلَمَّا قَضَى مُوسَى

(١) الذنوب : الدلو التي لها ذنب .

الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٣٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ عاصم او جذوة بفتح الجيم وقرأ حمزة وخلف جُذوة بضم الجيم والباقون جِذوة بالكسر وفي الشواذ قراءة الحسن ايما الأجلين بتخفيف الياء وسكونها

الحجة

في الجذوة ثلاث لغات على حسب القراءات الثلاث واما ايما فهي لغة قال الفرزدق

تَنَظَّرْتُ نَسْرًا وَالسِّمَاكَيْنِ أَيُّهُمَا ... عَلَيَّ مِنَ الْغَيْثِ اسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرُهْ (١)

اللغة

الجذوة القطعة الغليظة من الحطب فيها النار وجمعها جذى قال

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا ... جَزْلَ الْجِذَى غَيْرَ خَوَّارٍ وَلَا دَعِرِ (٢)

وشاطئ الوادي جانبه وهو الشط والجمع الشواطئ

الاعراب

هاتين صفة لابنتي . ثماني حجج ظرف زمان . ذلك بيني وبينك ذلك مبتدأ وخبره بيني وبينك ومعناه ما شرطت عليَّ فلك وما شرطت لي فلي كذلك الأمر بيننا عن الزجاج وايٌّ في معنى الجزاء وهي منصوبة بقضيت ومامزيدة مؤكدة وجوابه فلا عدوان عليَّ . ان ياموسى أنْ في موضع نصب وهي مخففة من الثقيلة تقديره نودي بأنه ياموسى وبأنه الق عصاك

المعنى

ثم ذكر سبحانه امر موسى في مدين وانصرافه عنه فقال (قالت احداهما) إي احدى ابنتيه واسمها صفورة وهي التي تزوّج بها واسم الاخرى ليا وقيل ان اسم الكبرى صفراء واسم الصغرى صفيراء (يا ابت استأجره) اي اتخذه اجيرا (إن خير من استأجرت القوي الأمين) اي خير من استعملت من قوي على العمل واداء الأمانة قال عمر بن الخطاب لما قالت المرأة هذا قال شعيب وما علمك بأمانته وقوته قالت أما قوته فلأنه رفع الحجر الذي لا يرفعه كذا وكذا وأما امانته فإنه قال لي امشي خلفي فأنا اكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي عجزك وقيل القوي في نزعه الحجر من البئر وكان لا يستطيعه إلا النفر . الأمين في غضّ طرفه عنها حين سقى لهما فصدرتا وقد عرفتا قوته وأمانته فلما ذكرت المرأة من حاله ما ذكرت زاده ذلك رغبة فيه (قال اني اريد ان انكحك) اي ازوّجك (احدى ابنتيّ هاتين على ان تأجرني ثماني حجج) اي على ان تكون اجيراً لي ثماني سنين (فإن اتممت عشرا فمن عندك) اي ذلك تفضل منك وليس بواجب عليك وقيل معناه على ان تجعل جزائي وثوابي اياك على ان انكحك احدى ابنتي ان تعمل لي ثماني سنين فزوّجه ابنته بمهر واستأجره للرعي ولم يجعل ذلك مهراً وإنما شرط ذلك عليه وهذا على وفق مذهب ابي حنيفة

(١) النسر . والسماكان : اسماء لكواكب . وفي جامع الشواهد « نصراً » بالصاد وقال في ترجمته : نصر بالنون والصاد والراء المهملتين كفلس هو ابن سيار امير خراسان . واستهل المطر : انصب بشدة . (٢) الحواطب : الجوارى يلتمسن الحطب . والجزل : الحطب اليابس وقيل : الغليظ والخوار من كل شيء : الضعيف الذي لا بقاء له . وهو ودعر-

والاول اصح واوفق لظاهر الآية (وما اريد ان اشق عليك) في هذه الثمانية حجج وان اكلفك خدمة سوى رعي الغنم وقيل وما اشق عليك بأن آخذك باتمام عشر سنين (ستجدني إن شاء الله من الصالحين) في حسن الصحبة والوفاء بالعهد وإنما علّق الصلاح بمشيئة الله لأن مراده ان شاء الله تبقيتي فمن الجائز ان يخترمه الله ولا يفعل الصلاح الديني الذي يريده وحكى يحيى بن سلام انه جعل لموسى كل سخلة توضع على خلاف شية امها فأوحى الله إلى موسى في المنام أن الق عصاك في الماء ففعل فولدن كلهن على خلاف شيتهن وقيل انه وعده أن يعطيه تلك السنة من نتاج غنمه كل ادرع[1] وانها نتجت كلها درعا وروى الحسين بن سعيد عن صفوان بن يحيى عن ابي عبد الله (ع) قال سئل ايتها التي قالت ان ابي يدعوك قال التي تزوج بها قيل فأيّ الأجلين قضى قال أوفاهما وأبعدهما عشر سنين قيل فدخل بها قبل أن يمضي الشرط أو بعد انقضائه قال قبل أن ينقضي قيل له فالرجل يتزوج المرأة ويشترط لأبيها اجارة شهرين ايجوز ذلك قال ان موسى علم انه سيتم له شرطه قيل كيف قال علم انه سيبقى حتى يفي (قال) موسى (ذلك بيني وبينك) أي ذلك الذي وصفت وشرطت عليّ فلك وما شرطت لي من تزويج احداهما فلي وتم الكلام ثم قال (ايما الأجلين) من الثماني والعشر (قضيت) اي اتممت وفرغت منه (فلا عدوان علي) اي لا ظلم علي بأن اكلف اكثر منها واطالب بالزيادة عليها (والله على ما نقول وكيل) اي شهيد فيما بيني وبينك عن ابن عباس (فلما قضى موسى الأجل) اي اوفاهما روى الواحدي بالاسناد عن ابن عباس قال سئل رسول الله ﷺ اي الأجلين قضى موسى قال اوفاهما وأبطأهما وبالاسناد عن ابي ذر قال قال رسول الله ﷺ اذا سئلت اي الأجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما وان سئلت اي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا ابت استأجره وقال وهب تزوج الكبرى منهما وفي الكلام حذف وايجاز وهو فلما قضى موسى الأجل وتسلم زوجته ثم توجه نحو الشام (وسار بأهله انس من جانب الطور نارا) وقيل انه لما زوّجها منه امر الشيخ أن يعطي موسى عصا يدفع السباع عن غنمه بها فأعطي العصا وقد ذكرنا حديث العصا في سورة الأعراف وقيل خرج آدم بالعصا من الجنة فأخذها جبرائيل بعد موت آدم (ع) وكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا فدفعها اليه عن عكرمة وقيل لم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وصلت إلى شعيب فأعطاها موسى وكانت عصا الأنبياء عنده وروى عبد الله بن سنان قال سمعت ابا عبد الله (ع) يقول كانت عصا موسى قضيب آس من الجنة اتاه به جبرائيل عليه السلام لما توجه تلقاء مدين وقال السدي كانت تلك العصا استودعها شعيبا ملك في صورة رجل فأمر ابنته ان تأتيه بعصا فدخلت واخذت العصا فأتته بها فلما رآها الشيخ قال لا أتيه بغيرها فألقتها وأرادت أن تأخذ غيرها فكانت لا تقع في يدها إلا هي فعلت ذلك مرارا فأعطاها موسى وقوله وسار بأهله قيل انه مكث بعد انقضاء الأجل عند صهره عشرا اخرى فأقام عنده عشرين سنة ثم استأذنه في العود إلى مصر ليزور والديه وأخاه فأذن له فسار بأهله من مجاهد وقيل انه لما قضى العشر سار بأهله اي بامرأته وبأولاد الغنم التي كانت له وكانت قطيعا فأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته في شهرها فسار في البرية غير عارف بالطريق فألجأه المسير إلى جانب الطور الأيمن في ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امرأته الطلق وضلّ الطريق وتفرّقت ماشيته فأصابه المطر فبقي لا يدري اين يتوجه فبينا هو كذلك آنس من جانب الطور نارا وروى ابو بصير عن ابي جعفر (ع) قال لما قضى موسى الأجل وسار بأهله نحو بيت المقدس اخطأ

← بالدال المهملة ـ : اي كثير الدخان .

(١) الادرع من الخيل والشاة : ما اسود رأسه وابيض سائر جسده .

الطريق ليلا فرأى نارا (قال لأهله امكثوا إني آنست نارا) وقد مرّ تفسيره (لعلي آتيكم منها بخبر) اي بخبر من الطريق الذي اريد قصده وهل أنا على صوبه أو منحرف عنه وقيل بخبر من النار هل هي لخير نأنس به أو لشر نحذره (أو جذوة من النار) اي قطعة من النار وقيل بأصل شجرة فيها نار (لعلكم تصطلون) اي تستدفئون بها (فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن) اي نودي موسى من الجانب الأيمن للوادي (في البقعة المباركة) وهي البقعة التي قال الله تعالى فيها لموسى اخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وإنما كانت مباركة لأنها معدن الوحي والرسالة وكلام الله تعالى وقيل مباركة لكثرة الأشجار والأثمار والخير والنعم بها والأول اصح (من الشجرة) إنما سمع موسى النداء والكلام من الشجرة لأن الله تعالى فعل الكلام فيها وجعل الشجرة محل الكلام لأن الكلام عرض يحتاج إلى محل وعلم موسى بالمعجز ان ذلك كلامه تعالى وهذه اعلى منازل الأنبياء اعني ان يسمعوا كلام الله من غير واسطة ومبلّغ وكان كلامه سبحانه (ان يا موسى إني أنا الله رب العالمين) أي أن المكلم لك هو الله مالك العالمين وخالق الخلائق اجمعين تعالى وتقدس عن أن يحلّ في محل أو يكون في مكان لأنه ليس بعرض ولا جسم

قوله تعالى (٣١) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (٣٢) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (٣٤) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (٣٥) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ اهل الحجاز والبصرة من الرَهَب بفتح الراء والهاء وقرأ حفص من الرَهْب بفتح الراء وسكون الهاء والباقون بضم الراء وسكون الهاء وقرأ اهل البصرة وابن كثير فذانك بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ ابو جعفر ونافع رداً بغير همزة والباقون بالهمزة وقرأ عاصم وحمزة يُصَدِّقُنِي بالرفع والباقون يُصَدِّقْنِي بالجزم وفي الشواذ قراءة الحسن عَضْدَكَ

الحجة

الرَهب والرُهْب لغتان مثل الرشد والرُشد والرَهَب والرَهْب مثل الشمع والشَمع والنَهر والنَهَر وقوله فذانك قد مضى القول فيه فيما تقدّم وقال الزجاج التشديد تثنية ذلك والتخفيف تثنية ذاك وجعل بدل اللام في ذلك تشديد النون ومن قرأ رداً فإنه خفف الهمزة وذلك حكم الهمزة إذا خففتها وكان قبلها ساكن ان تحذف وتلقى حركتها على الساكن قبلها ومن قرأ يصدقني بالرفع جعله صفة للنكرة وتقديره ردءاً مصدقا ومن قرأ بالجزم كان على معنى الجزاء اي ان ارسلته يصدقني وفي عضد خمس لغات عَضُد وعَضْد وعُضُد وعُضْد

وعَضِد وافصحها عَضُد مثل رجل

-(الإعراب)-

قوله إلى فرعون يتعلق بما يتعلق به مِنْ من قوله برهانان من ربك ويجوز أن يتعلق بمحذوف كما تقدم ذكره في قوله في تسع آيات . إلى فرعون وهارون عطف بيان . ردءاً نصب على الحال والباء في قوله بآياتنا يحتمل ثلاثة أوجه ﴿ احدها ﴾ ان يتعلق بيصلون ﴿ والثاني ﴾ ان يتعلق بنجعل ﴿ والثالث ﴾ ان يتعلق بقوله الغالبون

﴿ المعنى ﴾

ثم بيّن سبحانه تمام قصة موسى (ع) فقال (وأن الق عصاك) إنما اعاد سبحانه هذه القصة وكررها في السور تقريراً للحجة على اهل الكتاب واستمالة بهم إلى الحق ومن احبَّ شيئاً احبَّ ذكره والقوم كانوا يدّعون محبة موسى وكل من ادّعى اتباع سيده مال إلى من ذكره بالفضل على ان كل موضع من مواضع التكرار لا تخلو من زيادة فائدة وهاهنا حذف تقديره فألقاها من يده فانقلبت بإذن الله تعالى ثعبانا عظيما تهتز كأنها جانّ في سرعة حركتها وشدة اهتزازها (فلما رآها تهتز) اي تتحرّك (كأنها جان ولى مدبرا) موسى (ولم يعقب) اي لم يرجع إلى ذلك الموضع فنودي (يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين) مِن ضررها وفي انقلاب العصا حية دلالة على ان الجواهر متماثلة وانها من جنس واحد لأنه لا حال ابعد إلى حال الحيوان من حال الخشب وما جرى مجرى ذلك من الجماد فإذا صحَّ قلب الخشب إلى حال الحيوان صحَّ ايضا قلب الأبيض إلى حال الأسود (اسلك يدك في جيبك) اي ادخلها فيه (تخرج بيضاء من غير سوء) اي من غير برص (واضمم اليك جناحك من الرهب) اي ضم يدك إلى صدرك من الخوف فلا خوف عليك عن ابن عباس ومجاهد والمعنى ان الله تعالى امره أن يضم يده الى صدره فيذهب ما اصابه من الخوف عند معاينة الحية وقيل امره سبحانه بالعزم على ما أراده منه وحثّه على الجد فيه لئلا يمنعه الخوف الذي يغشاه في بعض الأحوال مما امره بالمضي فيه وليس يريد بقوله اضمم يدك الضم المزيل للفرجة بين الشيئين عن ابي علي الفارسي قال وهذا كما ان اشدد في قوله «اُشْدُدْ حَيَازِيمَكَ لِلْمَوْتِ * فَإِنَّ الْمَوْتَ لَاقِيكَا» ليس يراد به الشدّ الذي هو الربط والمراد به تأهّب للموت واستعدّ للقائه حتى لا تهاب لقاه ولا تجزع من وقوعه وقد جاء ذكر اليدين في مواضع يراد بها جملة ذي اليد فمن ذلك قولهم لبيك والخير بين يديك ومنه قوله تعالى بما قدّمت يداك وفي المثل يَدَاكَ أَوْ كَتَا وَفُوكَ نَفَخَ (١) وإنما يقال هذا عند تفريغ الجملة و قال ابو عبيدة جناحا الرجل يداه وقال غيره الجناح هنا العضد ويدل على قوله ان العضد قد تقام مقام الجملة في مثل قوله سنشد عضدك بأخيك وقد جاء المفرد ويراد به التثنية قال

يَدَاكَ يَدٌ إِحْدَاهُمَا الْجُودُ كُلُّهُ ... وَأُخْرَى لِطَعْنٍ تَغَامِرُهْ

المعنى يداك يدان بدلالة قوله احداهما فعلى هذا يجوز ان يراد بالافراد في قوله واضمم اليك جناحك التثنية وقيل انه لما القى العصا وصارت حية بسط يديه كالملتقي وهما جناحاه فقيل له اضمم اليك جناحك اي ما بسطته من يديك والمعنى لا تبسط يديك خوف الحية فإنك آمن من ضررها ويجوز ان يكون معناه اسكن ولا تخف فإنّ من هاله امر أزعجه حتى كأنه يطيره وآلة الطيران الجناح فكأنه (ع) قد بلغ نهاية الخوف فقيل له ضم منشور جناحك من الخوف واسكن وقيل معناه إذا هالك امر يدك لما تبصر من شعاعها فاضممها

(١) اوكى القربة : شدها بالوكاء .

البك لتسكن (فذانك برهانان من ربك) معناه فاليد والعصا حجتان من ربك على نبوتك (إلى فرعون وملئه) اي ارسلناك إلى فرعون وملئه بهاتين الآيتين الباهرتين (انهم كانوا قوما فاسقين) اي خارجين من طاعة الله إلى اعظم المعاصي وهو الكفر (قال) موسى (رب اني قتلت منهم نفسا فأخاف ان يقتلون) بتلك النفس (وأخي هارون هو افصح مني لسانا) وإنما قال ذلك لعقدة كانت في لسانه وقد مرّ فيما مضى ذكر سببها وقد كان الله تعالى ازال اكثرها او جميعها بدعائه (فأرسله معي ردءاً) اي معينا لي على تبليغ رسالتك يقال فلان ردء لفلان إذا كان ينصره ويشدّ ظهره (يصدّقني اني اخاف ان يكذبون) اي مصدقا لي على ما ألقيه من الرسالة وان جزمته فالمعنى انك ان ترسله معي يصدّقني وإنما كان سؤاله ذلك بعد ان اذن له فيه لأن الإنسان لا يعلم ان المصلحة في ارسال نبي واحد أو اثنين إلا بالوحي وقال مقاتل معناه لكي يصدقني فرعون (قال سنشد عضدك بأخيك) هذه استعارة رابعة والمعنى سنجعله رسولا معك ونؤيدك بأن نقرنه اليك في النبوة وننصرك به (ونجعل لكما سلطانا) اي حجة وقوة وبرهانا (فلا يصلون اليكما بآياتنا) اي لا يصل فرعون وقومه إلى الاضرار بكما بسبب ما نعطيكما من الآيات وما يجري على ايديكما من المعجزات فيخافكما فرعون وقومه لأجلها وقيل ان قوله بآياتنا موضعه التقديم اي ونجعل لكما سلطانا بآياتنا فلا يصلون اليكما ثم اخبر ان الغلبة لهما عليهم فقال (انتما ومن اتبعكما الغالبون) على فرعون وقومه القاهرون لهم وهذه الغلبة غير السلطان فإن السلطان بالحجة والغلبة بالقهر حين هلك فرعون وقومه وملك موسى وقومه ديارهم وروي عن ابي جعفر (ع) في حديث طويل قال فلما رجع موسى (ع) إلى امرأته قالت من أين جئت قال من عند رب تلك النار قال فغدا إلى فرعون فوالله لكأني أنظر اليه طويل الباع ذو شعر ادم عليه جبة من صوف عصاه في كفه مربوط حقوه بشريط نعله من جلد حمار شراكها من ليف فقيل لفرعون ان على الباب فتى يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون لصاحب الأسد خل سلاسلها وكان إذا غضب على رجل خلاها فقطعته فخلّاها فقرع موسى الباب الأول وكانت تسعة ابواب فلما قرع الباب الأول انفتحت له الأبواب التسعة فلما دخل جعلن تبصبصن تحت رجليه كأنهن جراء فقال فرعون لجلسائه رأيتم مثل هذا قط فلما اقبل اليه فقال ألم نربك فينا وليدا إلى قوله وانا من الضالين فقال فرعون لرجل من اصحابه قم فخذ بيده وقال للآخر اضرب عنقه فضرب جبرئيل بالسيف حتى قتل ستة من اصحابه فقال خلّوا عنه قال فأخرج يده فإذا هي بيضاء قد حال شعاعها بينه وبين وجهه فألقى العصا فإذا هي حية فالتقمت الايوان بلحييها فدعاه ان يا موسى اقلني إلى غد ثم كان من امره ما كان

قوله تعالى (٣٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٣٧) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٨) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٩) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٤٠) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤١) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ (٤٢) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (سبع آيات)

(١) الحقو : الخصر . والشريط : خوص مفتول يشرط به السرير ونحوه (٢) بصبص الكلب: تحرك ذنبه . والجراء جمع الجرو : اولاد السباع .

القراءة

قرأ ابن كثير قال موسى بغير واو و كذلك هو في مصاحف مكة والباقون وقال بالواو وقرأ نافع وأهل الكوفة غير عاصم من يكون بالياء والباقون بالتاء وقرأ أهل الكوفة غير عاصم ويعقوب لا يرجعون بفتح الياء والباقون بضم الياء وفتح الجيم

الحجة

قال ابو علي قد مضى القول في نحو هذا فيما قبل و كذلك في نحو الياء والتاء من يكون وكلاهما حسن و كذلك قد مضى فيما تقدم القول في يُرجعون و يَرجعون

اللغة

الصرح البناء العالي كالقصر وأصله من الظهور فالتصريح شدة ظهور المعنى قال الشاعر

بِهِنَّ نَعَامُ بَنَاهَا الرِّجَالُ تَحْسِبُ أَعْلاَمَهُنَّ الصُّرُوحا(١)

والنبذ الإلقاء والطرح والشيء منبوذ قال ابو الأسود

نَظَرْتُ إِلَى عُنْوَانِهِ فَنَبَذْتُهُ كَنَبْذِكَ نَعْلاً أَخْلَقَتْ مِنْ نِعَالِكَا

والقبح الإبعاد قبحه الله أي ابعده يقبحه قبحاويقال قبحه إذا جعله قبيحا وقيل قبحه فهو مقبوح اهلكه

الاعراب

بينات نصب على الحال . ما سمعنا بهذا يحتمل أن تكون الباء زائدة ويحتمل أن تكون على اصلها وقوله بغير الحق الجار والمجرور في موضع نصب على الحال والتقدير واستكبر هو وجنوده مبطلين . ويدعون صفة الائمة . ويوم القيامة ظرف لفعل يدل عليه قوله من المقبوحين على تقدير قبحوا يوم القيامة لأن الصلة لا تعمل فيما قبل الموصول والألف واللام في المقبوحين موصول وتقدير الذين قبحوا

المعنى

ثم قال سبحانه (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) التقدير فمضى موسى الى فرعون وقومه فلما جاءهم بآياتنا اي بحججنا البينات ومعجزاتنا الظاهرات (قالوا ما هذا إلا سحر مفترى) أي مختلق مفتعل لم يُبنَ على أصل صحيح لأنه حيلة توهم خلاف الحقيقة فوصفوا الآيات بالسحر والاختلاف على هذا المعنى جهلا منهم وذهابا عن الصواب (وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) اي لم نسمع ما يدعيه ويدعو اليه في آبائنا الذين كانوا قبلنا وإنما قالوا ذلك مع اشتهار قصة نوح وهود وصالح وغيرهم من النبيين الذين دعوا إلى توحيد الله واخلاص عبادته لاحد أمرين اما للفترة التي دخلت بين الوقتين والزمان الطويل واما لأن آباءهم ما صدقوا بشيء من ذلك ولا دانوا به فيكون المعنى ما سمعنا بآبائنا انهم صدقوا الرسل فيما جاؤا به ووجه شبهتهم في ذلك انهم قالوا انهم الكبراء فلو كان حقا لأدركوه فإنه لا يجوز أن يدرك الحق الأنقص في الرأي والعقل ولا يدركه الأفضل فيهما وهذا غلط لأن ما طريقه الاستدلال لا يمتنع أن يصيبه الأدون في الرأي إذا سلك طريقه ولا يصيبه الاكمل في الرأي إذا لم يسلك طريقه (وقال موسى) مجيبا لهم (ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار) ومعناه ربي يعلم اني جئت بهذه الآيات الدالة على الهدى من عنده فهو شاهد لي على ذلك ان كذبتموني ويعلم ان العاقبة الحميدة لنا ولأهل الحق

(١) النعام : المفازة . والاعلام : الجبال .

والانصاف وهذا كما يقال على سبيل المظاهرة الله اعلم بالمحق منا والمبطل وحجتي ظاهرة فاكثرها إن قدرت على ذلك (انه لا يفلح الظالمون) اي لا يفوز بالخير من ظلم نفسه وعصى ربه و كفر نعمه (وقال فرعون) منكرا لما أتى به موسى من آيات الله لما أعياه الجواب وعجز عن محاجته (يا ايها الملأ) يريد اشراف قومه (ما علمت لكم من إله غيري فأوقدلي يا هامان على الطين) أي فأججِ النار على الطين واتخذ الآجر وقيل انه اول من اتخذ الآجر وبنى به عن قتادة (فاجعل لي صرحا) اي قصرا وبناء عاليا (لعلي أطلع إلى إله موسى) أي أصعد اليه واشرف عليه وأقف على حاله وهذا تلبيس من فرعون وإيهام على العوام ان الذي يدعو اليه موسى يجري مجراه في الحاجة الى المكان والجهة (وإني لأظنه من الكاذبين) في ادعائه إلها غيري وانه رسوله (واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق) أي رفع فرعون وجنوده أنفسهم في الارض فوق مقدارها بالباطل والظلم وأنفوا وتعظموا عن قبول الحق في اتباع موسى (وظنوا انهم الينا لا يرجعون) اي أنكروا البعث وشكوا فيه (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) أي فعاقبناهم وطرحناهم في البحر وأهلكناهم بالغرق وعنى باليم نيل مصر وقيل بحر من وراء مصر يقال له اساف غرقهم الله فيه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) أي تفكر وتدبر وانظر بعين قلبك كيف اخرجناهم من ديارهم واغرقناهم (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) وهذا يحتاج الى تأويل لأنه ظاهره يوجب انه تعالى جعلهم أئمة يدعون إلى النار كما جعل الأنبياء أئمة يدعون الى الجنة وهذا ما لا يقول به أحد فالمعنى انه اخبر عن حالهم بذلك وحكم بأنهم كذلك وقد تحصل الاضافة على هذا الوجه بالتعارف ويجوز أن يكون أراد بذلك انه لما أظهر حالهم على لسان انبيائه حتى عرفوا فكأنه جعلهم كذلك ومعنى دعائهم الى النار انهم يدعون الى الأفعال التي يستحق بها دخول النار من الكفر والمعاصي (ويوم القيامة لا ينصرون) أي لا ينصر بعضهم لبعض ولا ينصرهم غيرهم يوم القيامة كما كانوا يتناصرون في الدنيا (واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) اي اردفناهم لعنة بعد لعنة وهي البعد عن الرحمة والخيرات وقيل معناه ألزمناهم اللعنة في هذه الدنيا بأن أمرنا المؤمنين بلعنهم فلعنوهم عن ابي عبيدة (ويوم القيامة هم من المقبوحين) اي من المهلكين عن الأخفش وقيل من المشوهين في الخلقة بسواد الوجوه وزرقة الأعين عن الكلبي عن ابن عباس وقيل من المقوتين المفضوحين

قوله تعالى (٤٣) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٤) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٥) وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٦) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٧) وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٨) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ

(٤٩) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٥٠) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (ثماني آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة سحران بغير الف والباقون ساحران بالألف

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ ساحران انه قال تظاهرا والمظاهرة المعاونة وفي التنزيل وان تظاهرا عليه والمعاونة في الحقيقة إنما تكون للساحرين لا للسحرين والوجه في قوله سحران انه نسب المعاونة الى السحرين على وجه الاتساع كأن كل سحر منهما يقوي الآخر

الاعراب

قال الزجاج قوله بصائر حال أي آتيناه الكتاب مبينا واقول فيه انه بدل من الكتاب فإن المعرفة يجوز أن تبدل منها النكرة والبصائر في معنى الحجج فلا يصح معنى الحال فيها إذا كان اسما محضاً لا شائبة فيه للفعل وقوله إذ قضينا ظرف للمحذوف الذي يتعلق به الباء في قوله بجانب الغربي وتتلو جملة منصوبة الموضع على الحال ولكن رحمة رحمة منصوبة مفعول لها تقديره ولكنا أوحينا اليك رحمة أي للرحمة كما تقول فعلت ذلك ابتغاء الخير. لولا ان تصيبهم مصيبة لولا هذه هي التي معناها امتناع الشيء لوجود غيره وان تصيبهم مبتدأ وجواب لولا محذوف وتقديره لم يحتج إلى ارسال الرسل ولولا الثانية في قوله فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا هي التي معناها التخصيص بمعنى هلا. بغير هدى الجار والمجرور في موضع نصب على الحال

المعنى

ثم ذكر سبحانه من اخبار موسى «ع» مافيه دلالة على معجزة نبينا ﷺ فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) أي الجموع التي كانت قبله من الكفار مثل قوم نوح وعاد وثمود ويجوز أن يريد بالقرون قوم فرعون لأنه سبحانه اعطاه التوراة بعد اهلاكهم بمدة (بصائر للناس) أي حججا وبراهين للناس وعبرا يبصرون بها أمر دينهم وأدلة يستدلون بها في احكام شريعتهم (وهدى) اي دلالة لمن اتبعه يهتدي بها (ورحمة) لمن آمن به (لعلهم يتذكرون) اي يتعظون ويعتبرون وجاءت الرواية بالاسناد عن ابي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة ولا اهل قرية بعذاب من السماء منذ انزل التوراة على وجه الارض غير اهل القرية التي مسخوا قردة ألم تر ان الله تعالى قال ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى الآية (وما كنت بجانب الغربي) اي وما كنت يا محمد حاضراً بجانب الجبل الغربي اي في الجانب الغربي من الجبل الذي كلم الله فيه موسى عن قتادة والسدي وقيل بجانب الوادي الغربي عن ابن عباس والكلبي (إذ قضينا إلى موسى الأمر) اي عهدنا اليه واحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه وقيل معناه اخبرناه بأمرنا ونهينا وقيل أراد كلامه معه في وصف نبينا ﷺ ونبوته (وما كنت من الشاهدين) اي الحاضرين لذلك الأمر وبذلك المكان فتخبر قومك عن مشاهدة وعيان ولكنا أخبرناك به ليكون معجزة لك (ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر) اي خلقنا قرنا بعد قرن فطال عهدهم بالمهلكين قبلهم وفترة النبوة فحملهم ذلك على الاغترار وانكروا بعثة الله رسله لجهلهم بأمر الرسل فأرسلناك للناس رسولا

وجعلناك رحمة للناس كما جعلنا موسى رحمة لا يتم الكلام إلا بهذا التقدير وقيل ان المعنى خلقنا خلقا كثيرا عهدنا اليهم في نعتك وصفتك وامرنا الأول بالإبلاغ للناس إلى الثاني فامتدّ بهم الزمان فنسوا عهدنا اليهم فيك (وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلوا عليهم آياتنا) معناه وما كنت مقيما في قوم شعيب تتلو عليهم آياتنا قال مقاتل معناه ولم تشهد اهل مدين فتقرأ على اهل مكة خبرهم (ولكنا كنا مرسلين) اي ارسلناك إلى اهل مكة وانزلنا عليك هذه الأخبار ولولا ذلك لما علمتها قال الزجاج المعنى انك لم تشاهد قصص الأنبياء ولا تليت عليك ولكنا اوحيناها اليك وقصصناها عليك حتى تخبر قومك بهذا فيدل ذلك على صحة نبوتك وقيل معناه انك لم تشهد إحساننا إلى عبادنا في ارسال الرسل ونصب الآيات وإنزال الكتب بالبينات والهدى وهذا كما يقال لم تدر أيّ شيء كان هناك تفخيما للأمر ولولا الوحي لما علمت من ذلك ما علمت ولم تهتد له (وما كنت بجانب الطور إذ ناديا) أي ولم تك حاضرا بناحية الجبل الذي كلمنا عليه موسى وناديناه يا موسى خذ الكتاب بقوة وقيل اراد بذلك المرة الثانية التي كلّم الله فيها موسى «ع» حين اختار من قومه سبعين رجلا ليسمعوا كلام الله تعالى (ولكن رحمة من ربك) اي ولكن الله تعالى أعلمك ذلك وعرفك إياه نعمة من ربك أنعم بها عليك وهو ان بعثك نبيا واختارك لإيتاء العلم بفلك معجزة لك (لتنذر قوما ما أتيهم من نذير من قبلك) اي لتنذر العرب الذين لم يأتهم رسول قبلك (لعلهم يتذكرون) اي لكي يتفكروا ويعتبروا ويتزعوا عن المعاصي وفي هذا دلالة على وجوب فعل اللطف فإن الانذار والدعوة لطف من الله تعالى مؤثر في القبول ومقرّب منه (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) معناه لولا ان لهم أن يحتجّوا لو اصابتهم عقوبة بأن يقولوا هلا ارسلت الينا رسولا يدعونا إلى ما يجب الإيمان به فنتّبع الرسول ونأخذ بشريعته ونصدّق لما ارسلنا الرسل ولكنا ارسلنا رسلا لقطع حجتهم وهو في معنى قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقيل ان جواب لولا هاهنا لعجّلنا لهم العقوبة وقيل المراد بالمصيبة هاهنا عذاب الاستئصال وقيل عذاب الدنيا والآخرة عن ابي مسلم (فلما جاءهم الحق من عندنا) اي محمد ﷺ والقرآن والإسلام (قالوا لولا أوتي) اي هلا أعطي محمد ﷺ (مثل ما أوتي موسى) من فلق البحر واليد البيضا والعصا وقيل معناه هلا أوتي كتابا جملة واحدة وإنما قاله اليهود او قريش بتعليم اليهود فاحتجّ الله عليهم بقوله (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) اي وقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد ﷺ (وقالوا سحران تظاهرا) يعنون التوراة والقرآن من عكرمة والكلبي ومقاتل ومن قرأ ساحران تظاهرا فمعناه انهم قالوا تظاهر موسى ومحمد ﷺ عن ابن عباس (وقالوا إنا بكل كافرون) من التوراة والقرآن قال الكلبي وكانت مقالتهم هذه حين بعثوا الرهط منهم إلى رؤوس اليهود بالمدينة في عيد لهم فسألوهم عن محمد ﷺ فأخبروهم بنعته وصفته في كتابهم التوراة فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك سحران تظاهرا (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين) معناه قل يا محمد لكفار قومك فأتوا بكتاب هو اهدى من التوراة والقرآن حتى اتبعه إن صدقتم ان التوراة والقرآن سحران وقيل معناه فأتوا بكتاب من عند الله يؤمن معه التكذيب اي لم يكذب به طائفة من الناس ثم قال لنبيّه ﷺ (فإن لم يستجيبوا لك) اي فإن لم يأتوا بمثل التوراة والقرآن وقيل فإن لم يستجيبوا لك إلى الإيمان مع ظهور الحق (فاعلم انما يتبعون اهواءهم) اي ما تميل اليه طباعهم لأن الهوى ميل الطبع إلى المشتهى قال الزجاج اي فاعلم انما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه وإنما آثروا فيه الهوى ثم ذمّهم فقال (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) اي لا احد أضل ممن اتبع هواه بغير رشاد ولا بيان جاءه من الله (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) إلى طريق الجنة وقيل معناه لا يحكم الله بهدايتهم وقيل انهم إذا لم يهتدوا بهدى الله فكأنه لم يهدهم

قوله تعالى (٥١) وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٢) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٣) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٤) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٥٥) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (خمس آيات)

﴿ اللغة ﴾

اصل التوصيل من وصل الحبال بعضها ببعض قال امرؤ القيس

دَرِيرٍ كَخُذْرُوفِ الْوَلِيدِ أَمَرَّهُ ... تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ(١)

اي موصول بعضه ببعض وهو في الكلام ان يصير بعضه يلي بعضا والدرء الدفع

﴿ النزول ﴾

نزل قوله الذين آتيناهم الكتاب وما بعده في عبد الله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي فإنهم لما اسلموا نزلت فيهم الآيات عن قتادة وقيل نزلت في اربعين رجلا من اهل الانجيل كانوا مسلمين بالنبي ﷺ قبل مبعثه اثنان وثلاثون من الحبشة اقبلوا مع جعفر بن ابي طالب «ع» وقت قدومه وثمانية قدموا من الشام منهم بحيرا وابرهة والأشرف وعامر وايمن وادريس ونافع وتميم

﴿ المعنى ﴾

ثم بيّن سبحانه صفة القرآن فقال (ولقد وصلنا لهم القول) اي فصّلنا لهم القول وبيّنا عن ابن عباس ومعناه أتينا بآية بعد آية وبيان بعد بيان واخبرناهم باخبار الأنبياء والمهلكين من أممهم (لعلهم يتذكرون) اي ليتذكروا ويتفكروا فيعلموا الحق ويتّعظوا (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) اي من قبل محمد ﷺ (هم به) اي بمحمد ﷺ (يؤمنون) لأنهم وجدوا نعته في التوراة وقيل معناه من قبل القرآن وهم بالقرآن يصدّقون والمراد بالكتاب التوراة والانجيل يعني الذين أوتوا الكتاب (وإذا يتلى) القرآن (عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا إنا كنا من قبله) اي من قبل نزوله (مسلمين) به وذلك ان ذكر النبي ﷺ والقرآن كان مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فهؤلاء لم يعاندوا ثم أثنى الله سبحانه عليهم فقال (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) مرّة بتمسكهم بدينهم حتى ادركوا محمدا ﷺ فآمنوا به ومرة بإيمانهم به وقيل بما صبروا على الكتاب الأول وعلى الكتاب الثاني وإيمانهم بما فيهما عن قتادة وقيل بما صبروا على دينهم وعلى أذى الكفار وتحمل المشاق (ويدرؤون بالحسنة السيئة) اي يدفعون بالحسن من الكلام الكلام القبيح الذي يسمعونه من الكفار وقيل يدفعون بالمعروف المنكر عن سعيد بن جبير وقيل يدفعون بالحلم جهل الجاهل عن يحيى بن سلام ومعناه يدفعون بالمداراة مع الناس أذاهم عن أنفسهم وروي مثل ذلك عن ابي عبد الله «ع» (ومما رزقناهم ينفقون) مرّ معناه (وإذا سمعوا اللغو) اي السفه من الناس والقبيح من القول والهزء الذي لا فائدة فيه (اعرضوا عنه) ولم يقابلوه بمثله (وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) اي لا نسأل نحن عن اعمالكم ولا تسألون عن اعمالنا بل كل منا يجازى على عمله وقيل معناه لنا ديننا ولكم دينكم وقيل لنا حلمنا ولكم سفهكم (سلام عليكم) اي أمان منا لكم ان نقابل لغوكم بمثله وقيل هي كلمة حلم واحتمال بين المؤمنين والكافرين وقيل هي كلمة تحية بين المؤمنين عن الحسن (لا نبتغي الجاهلين) اي لا نطلب مجالستهم ومعاونتهم وإنما نبتغي الحكماء والعلماء وقيل معناه لا نريد أن

(١) هذا بيت من معلقته المعروفة. يصف فرسه وشدة عدوه ومهارته في الجري. والدرير: السريع من الدواب. والخذروف: شيء مستدير يديره الصبيان بخيط ادخل في ثقبه وفتل. والوليد: الصبي والامرار: احكام الفتل. شبه شدة عدوه بادارة خذروف احكم الصبي فتل خيطه وتتابعت كفاه في فتله وادارته بخيط انقطع ثم وصل وذلك اشد لفوه وانه يقول: مدير الجري والهزيز

ن من اهل الجهل والسفه عن مقاتل وقيل لا نبتغي دين الجاهلين ولا نحبه عن الكلبي

قوله تعالى (٥٦) إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٧) وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٨) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٩) وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٦٠) وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ اهل المدينة ويعقوب وسهل تجبى بالتاء. والباقون بالياء وقرأ ابو عمرو أفلا تعقلون بالياء. والتاء كيف شئت والباقون بالتاء.

الحجة

قال ابو علي تأنيث ثمرات تأنيث جمع وليس بتأنيث حقيقي فيكون بمنزلة الوعظ والموعظة والصوت والصيحة إذا ذكرت جاز وإذا أنثت جاز وحجة من قرأ أفلا تعقلون بالتاء قوله فما أوتيتم والياء على أفلا يعقلون يا محمد

اللغة

التخطف اخذ الشيء على وجه الاستلاب من كل وجه يقال تخطفه تخطفا واختطفه اختطافا وخطفه يخطفه خطفا قال امرؤ القيس

تَخَطَّفُ خِزَّانَ الْأَنِيعِمِ بِالضُّحَىٰ وَقَدْ حَجَرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالُ (١)

يجبى من جبيت الماء في الحوض اي جمعته والجابية الحوض والبطر الطغيان عند النعمة قال ابن الاعرابي البطر سوء احتمال الغنى وقيل ان اصله من قولهم ذهب دمه بطرا اي باطلا عن الكسائي وقيل هو ان يتكبر عند الحق فلا يقبله

الإعراب

رزقا مصدر وضع موضع الحال تقديره يجبى اليه ثمرات كل شيء من رزقه ويجوز ان يكون مصدر فعل محذوف تقديره نرزق رزقا ويجوز أن يكون مصدرا من معنى قوله يجبى اليه ثمرات لأنه في معنى رزق فيكون مثل قولهم حمدته شكرا ويجوز ان يكون مفعولا له وقوله من لدنا في موضع نصب على الصفة لقوله رزقا وكم أهلكنا اي كثيرا من القرى اهلكنا فكم في موضع نصب بأهلكنا ومن قرية في موضع نصب على التمييز لأن كم الخبرية إذا فصل بينها وبين مميزها بكلام نصب كما ينصب كم الاستفهامية. معيشتها انتصب بقوله بطرت وتقديره في معيشتها فحذف الجار فأفضى الفعل. فتلك مساكنهم مبتدأ وخبر. لم تسكن في موضع نصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة في تلك. قليلا صفة مصدر محذوف تقديره الا سكونا قليلا او صفة ظرف تقديره وقتا او زمانا قليلا

النزول

قيل نزل قوله إنك لا تهدي من أحببت في ابي طالب فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحب اسلامه فنزلت هذه الآية

(١) يصف فرسه وقبل البيت قوله «كأني بفتخاء الجناحين لقوة ... صيود من العقبان طأطأت شملال» شبهه بعقاب تخطف الارانب والثعالب. وتخطف اصله تتخطف فحذف احدى التاءين والخزان: ذكور الارانب. والانيم: موضع وفي بعض الروايات «خزان الشربة» و هو اسم موضع ايضا. و أورال: أجبل ثلاثة سود في جوف الرمل حذاؤه

وكان يكره إسلام وحشي قاتل حمزة فنزل فيه يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فلم يسلم ابو طالب واسلم وحشي ورووا ذلك عن ابن عباس وغيره وفي هذا نظر كما ترى فإن النبي ﷺ لا يجوز أن يخالف الله سبحانه في إرادته كما لا يجوز ان يخالفه في اوامره ونواهيه و إذا كان الله تعالى على ما زعم القوم لم يرد إيمان ابي طالب وأراد كفره وأراد النبي ﷺ إيمانه فقد حصل غاية الخلاف بين ارادتي الرسول ﷺ والمرسل فكأنه سبحانه يقول على مقتضى اعتقادهم انك يا محمد تريد إيمانه ولا أريد إيمانه ولا اخلق فيه الإيمان مع تكفله بنصرتك وبذل مجهوده في اعانتك والذب عنك ومحبته لك ونعمته عليك وتكره انت إيمان وحشي لقتله عمك حمزة وانا اريد إيمانه واخلق في قلبه الإيمان وفي هذا ما فيه وقد ذكرنا في سورة الأنعام ان اهل البيت عليهم السلام قد أجمعوا على ان ابا طالب مات مسلما وتظاهرت الروايات بذلك عنهم واوردنا هناك طرفا من اشعاره الدالة على تصديقه للنبي ﷺ وتوحيده فإن استيفاء ذلك جميعه لا تتسع له الطوامير وما روي من ذلك في كتب المغازي وغيرها اكثر من أن يحصى يكاشف فيها من كاشف النبي ﷺ ويناضل عنه ويصحح نبوته وقال بعض الثقات ان قصائده في هذا المعنى التي تنفث في عقد السحر وتغير في وجه شعراء الدهر يبلغ قدر مجلد واكثر من هذا ولا شك في انه لم يختر تمام مجاهرة الأعداء استصلاحا لهم وحسن تدبيره في دفع كيادهم لئلا يلجئوا الرسول إلى ما الجأوه اليه بعد موته

—« المعنى »—

لما تقدم ذكر الرسول والقرآن وانه أنزل هدى للخلق بيّن سبحانه انه ليس عليه الاهتداء و إنما عليه البلاغ والاداء فقال (إنك) يا محمد (لا تهدي من أحببت) هدايته وقيل من احببته لقرابته والمراد بالهداية هنا اللطف الذي يختار عنده الإيمان فإنه لا يقدر عليه إلا الله تعالى لأنه اما ان يكون من فعله خاصة او بإعلامه ولا يعلم ما يصلح المرء في دينه إلا الله تعالى فإن الهداية التي هي الدعوة والبيان قد أضافها سبحانه اليه في قوله وانك لتهدي إلى صراط مستقيم وقيل ان المراد بالهداية في الآية الاجبار على الاهتداء اي انت لا تقدر على ذلك وقيل معناه ليس عليك اهتداؤهم وقبولهم الحق (ولكن الله يهدي من يشاء) بلطفه وقيل على وجه الإجبار (وهو اعلم بالمهتدين) اي القابلين للهدى فيدبّر الأمور على ما يعلمه من صلاح العباد ثم قال سبحانه حاكيا عن الكفار (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا) اي نستلب من ارضنا يعني ارض مكة والحرم وقيل إنما قاله الحرث بن نوفل بن عبد مناف فإنه قال للنبي ﷺ انا لنعلم ان قولك حق ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك ونؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العرب من ارضنا ولا طاقة لنا بالعرب فقال سبحانه رادّاً عليه هذا القول (أولم نمكن لهم حرماً آمناً) اي أولم نجعل لهم مكة في أمن وأمان قبل هذا ودفعنا ضرر الناس عنهم حتى كانوا يأمنون فيه فكيف يخافون زواله الآن أفلا نقدر على دفع ضرر الناس عنهم لو آمنوا بل حالة الإيمان والطاعة اولى بالأمن والسلامة من حالة الكفر (يجبى اليه ثمرات كل شيء) اي تجمع اليه ثمرات كل ارض وبلد (رزقا من لدنا) اي اعطاء من عندنا جاريا عليهم (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ما أنعمنا به عليهم وقيل لا يعلمون الله ولا يعبدونه فيعلموا ما يفوتهم من الثواب (وكم أهلكنا من قرية) اي من اهل قرية (بطرت معيشتها) اي في معيشتها بأن اعرضت عن الشكر وتكبّرت والمعنى اعطيناهم المعيشة الواسعة فلم يعرفوا حق النعمة وكفروا فأهلكناهم (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا) تلك اشارة إلى ما يعرفونه هم من ديار عاد وثمود وقوم لوط اي صارت مساكنهم خاوية خالية عن اهلها وهي قريبة منكم فإن ديار عاد إنما كانت بالاحقاف وهو موضع بين اليمن والشام وديار ثمود بوادي القرى وديار قوم لوط بسدوم وكانوا هم يمرّون بهذه المواضع في تجاراتهم (وكنا نحن الوارثين) اي المالكين لديارهم لم يخلفهم احد فيها ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ

← ماء لبني دارم وكان يسكنها قوم من العرب .

فقال (وما كان ربك) يا محمد (مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا) قيل ان معنى أمها أم القرى وهي مكة وقيل يريد معظم القرى من سائر الدنيا (يتلوا عليهم آياتنا) اي يقرأ عليهم حججنا وبيناتنا (وما كنا مهلكي القرى إلا واهلها ظالمون) لنفوسهم بالكفر والطغيان والعتو والعصيان ثم خاطب سبحانه خلقه فقال (وما أوتيتم من شيء) اي وما اعطيتموه من شيء (فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) اي هو شيء تتمتعون به في الحياة وتتزينون به (وما عند الله) من الثواب ونعيم الآخرة (خير) من هذه النعم (وابقى) لأنها فانية ونعم الآخرة باقية (أفلا تعقلون) ذلك وتتفكرون فيه حتى تميزوا بين الباقي والفاني

قوله تعالى (٦١) أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٦٢) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٣) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٤) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٥) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٦) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (ست آيات)

اللغة

المتعة المنفعة وقد فرق بينها بأن المتعة منفعة توجب الالتذاذ في الحال والمنفعة قد تكون بألم تؤدي عاقبته إلى نفع فكل متعة منفعة وليس كل منفعة متعة والاحضار إيجاد ما به يكون الشيء بحيث يشاهد والزعم القول في الأمر على ظن او علم ولذلك دخل في باب علمت واخواته قال

فَإِنْ تَزْعَمِينِي كُنْتُ أَجْهَلُ فِيكُمُ ... فَإِنِّي شَرَيْتُ الْحِلْمَ عِنْدَكِ بِالْجَهْلِ

النزول

نزل قوله أفمن وعدناه الآية في رسول الله ﷺ وابي جهل وقيل نزل في حمزة بن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب «ع» وفي ابي جهل عن محمد بن كعب والسدي وقيل نزل في عمار وفي الوليد بن المغيرة والأولى أن يكون عاما فيمن يكون بهذه الصفة

المعنى

لما تقدم ذكر ما أوتوا من زينة الحياة الدنيا عقبه سبحانه بالفرق بين من اوتي نعيم الدنيا وبين من اوتي نعيم الآخرة فقال (افمن وعدناه وعدا حسنا) من ثواب الجنة ونعيمها جزاء على طاعته (فهو لاقيه) اي فهو واصل اليه ومدركه لا محالة (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) من الأموال وغيرها (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) للجزاء والعقاب وقيل من المحضرين في النار والمعنى أيكون حال هذا كحال ذاك اي لا يكون حالهما سواء لأن نعم الدنيا مشوبة بالغموم وتعرض الزوال والفناء ونعم الآخرة خالصة صافية دائمة لا تتكدر بالشوب ولا تنقص بالانقضاء (ويوم يناديهم) اي واذكر يوم ينادي الله الكفار وهو يوم القيامة وهذا نداء تقريع وتبكيت (فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون) اي كنتم تزعمون في الدنيا انهم شركاء في الالهية وتعبدونهم وتدعون أنهم ينفعونكم (قال الذين حق عليهم القول) اي حق عليهم الوعيد بالعذاب من الجن والشياطين والذين اغووا الخلق من الانس (ربنا هؤلاء الذين اغوينا) يعنون اتباعهم (اغويناهم كما غوينا) اي اضللناهم عن الدين

بدعائنا اياهم إلى الضلال كما ضللنا نحن بأنفسنا (تبرأنا اليك) منهم ومن افعالهم قال الزجاج يرئ بعضهم من بعض وصاروا اعداء كما قال سبحانه الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو (ما كانوا ايانا يعبدون) أي لم يكونوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون الشياطين الذين زيّنوا لهم عبادتنا وقيل معناه لم يعبدونا باستحقاق وحجة (وقيل ادعوا شركائكم) اي ويقال للاتباع ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله وزعمتم انهم شركائي لينصروكم ويدفعوا عنكم عذاب الله وإنما اضاف الشركاء اليهم لأنه لا يجوز أن يكون لله شريك ولكنهم كانوا يزعمون انها شركاء لله بعبادتهم اياهم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) اي فيدعونهم فلا يجيبونهم إلى ملتمسهم (ورأوا العذاب) اي ويرون العذاب (لو انهم كانوا يهتدون) جواب لو محذوف تقديره لو انهم كانوا يهتدون لرأوا العذاب اي لاعتقدوا أن العذاب حق وهذا القول اولى لدلالة الكلام على المحذوف (ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين) اي ما كان جوابكم لمن ارسل اليكم من النبيين وهذا سؤال تقرير بالذنب وهو نداء يجمع العلم والعمل معا فإن الرسل يدعون إلى العلم والعمل جميعا فكأنه قيل لهم ماذا علمتم وماذا عملتم (فعميت عليهم الأنباء يومئذ) اي فخفيت واشتبهت عليهم طرق الجواب يومئذ فصاروا كالعمي لانسداد طرق الاخبار عليهم كما تنسد طرق الأرض على العمي وقيل معناه فالتبست عليهم الحجج عن مجاهد وسميت حججهم انباء لأنها اخبار يخبر بها فهم لا يحتجون ولا ينطقون بحجة لأن الله تعالى ادحض حجتهم واكمّ السنتهم فسكتوا فذلك قوله (فهم لا يتساءلون) أي لا يسأل بعضهم بعضا عن الحجج وقيل لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر الذي يعتذر به في الجواب فلا يجيبون وقيل معناه لا يتساءلون بالانساب والقرابة كما في الدنيا وقيل لا يسأل بعضهم بعضا عن حاله لشغله بنفسه عن الجبائي وقيل لا يسأل بعضهم بعضا أن يحمل ذنوبه عنه عن الحسن

قوله تعالى (٦٧) فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (٦٨) وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٩) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٠) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (أربع آيات)

المعنى

ثم ذكر سبحانه التائبين ورغّب في التوبة بعد التخويف فقال (فأما من تاب) اي رجع عن المعاصي والكفر (وآمن وعمل صالحا) أي وأضاف إلى إيمانه الأعمال الصالحة (فعسى أن يكون من المفلحين) و إنما أتى بلفظة عسى مع انه مقطوع بفلاحه لأنه على رجاء ان يدوم على ذلك فيفلح وقد يجوز ان يزل فيما بعد فيهلك على انه قد قيل ان عسى من الله سبحانه لفظة وجوب في جميع القرآن ولما كان المفلح مختارا لله تعالى ذكر عقيبه ان الاختيار إلى الله تعالى والخلق والحكم له لكونه قادرا عالما على الكمال فقال (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) الخيرة اسم من الاختيار اقيم مقام المصدر والخيرة اسم للمختار ايضا يقال محمد ﷺ خيرة الله من خلقه ويجوز التخفيف فيهما واختلف في الآية وتقديرها على قولين ﴿ احدهما ﴾ ان معناه وربك يخلق ما يشاء من الخلق ويختار تدبير عباده على ما هو الأصلح لهم ويختار للرسالة ما هو الأصلح لعباده ثم قال ما كان لهم الخيرة اي ليس لهم الاختيار على الله بل لله الخيرة عليهم وعلى هذا تكون ما نفيا ويكون الوقف على قوله ويختار وفيه ردّ على المشركين الذين قالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فاختاروا الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف ﴿ والآخر ﴾ ان يكون ما في الآية بمعنى الذي اي ويختار

لذي كان لهم الخيرة فيه فيكون الوقف على هذا عند قوله ما كان لهم الخيرة وهذا ايضا في معنى الأول لأن حقيقة المعنى فيهما انه سبحانه يختار واليه الاختيار ليس لمن دونه الاختيار لأن الاختيار يجب أن يكون على العلم بأحوال المختار ولا يعلم غيره سبحانه جميع أحوال المختار ولأن الاختيار هو اخذ الخير وكيف يأخذ الخير من الأشياء من لا يعلم الخير فيها (سبحان الله وتعالى عما يشركون) اي تقدس وتنزه عن ان يكون له شريك في خلقه واختياره ثم اقام سبحانه البرهان على صحة اختياره بقوله (وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) اي وربك يعلم ما يخفونه وما يظهرونه فإليه الاختيار وفي هذا دلالة على ان من لا يعلم السر والجهر فلا اختيار اليه ثم اكد سبحانه ذلك بقوله (وهو الله لا إله إلا هو) لا يستحق العبادة سواه (له الحمد في الأولى والآخرة) اي له الثناء والمدح والتعظيم على ما انعم به على خلقه في الدنيا والعقبى (وله الحكم) بينهم بما يميز به الحق من الباطل قال ابن عباس يحكم لأهل طاعته بالمغفرة والفضل ولأهل معصيته بالشقاء والويل (واليه) أي وإلى جزائه وحكمه (ترجعون)

قوله تعالى (٧١) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧٢) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٣) وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٤) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٥) وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (خمس آيات)

المعنى

ثم بيّن سبحانه ما يدلُّ على توحيده فقال لنبيه ﷺ (قل) يا محمد لأهل مكة الذين عبدوا معي آلهة تنبيها لهم على خطئهم (ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) اي دائما (إلى يوم القيامة) لا يكون معه نهار (من إله غير الله يأتيكم بضياء) كضياء النهار تبصرون فيه فإنهم لا يقدرون على الجواب عن ذلك إلا بأنه لا يقدر على ذلك سوى الله فحينئذ تلزمهم الحجة بأنه لا يستحق العبادة غيره (افلا تسمعون) اي افلا تقبلون ما وعظتم به وقيل افلا تسمعون ما بيّنه الله لكم من ادلته وتتفكرون فيه (قل) يا محمد لهم (أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا) اي دائما (إلى يوم القيامة) لا يكون معه ليل (من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) اي تستريحون فيه من الحركة والنصب (افلا تبصرون) أي افلا تعلمون من البصيرة وقيل افلا تشاهدون الليل والنهار وتتدبرون فيهما فتعلموا انهما من صنع مدبر حكيم ثم قال (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار) اي ومن نعمته عليكم واحسانه اليكم ان جعل لكم الليل والنهار (لتسكنوا فيه) اي في الليل (ولتبتغوا من فضله) اي في النهار (ولعلكم تشكرون) نعم الله في تصريف الليل والنهار وفي سائر انواع النعم (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) مضى تفسيره فإنما كرّر ذكر النداء للمشركين بأين شركائي تقريعا لهم بعد تقريع وقيل لأن النداء الاول لتقرير اقرارهم على انفسهم بالنفي الذي كانوا عليه ودعوا اليه والثاني للتعجيز عن اقامة البرهان على ما طولبوا به بحضرة الاشهاد (ونزعنا من كل امة شهيدا) اي وأخرجنا من كل امة من الامم رسولها الذي يشهد عليهم بالتبليغ وبما كان منهم عن مجاهد وقتادة وقيل هم عدول الآخرة

ولايخلو كل زمان منهم يشهدون على الناس بما علموا (فقلنا هاتوا برهانكم) اي حجتكم على صحة ما ذهبتم اليه (فعلموا أن الحق لله) اي فبهتوا وتحيروا لما لم يكن لهم حجة يقيمونها وعلموا يقينا أن الحق ما انتم عليه وما انزله الله وان الحجة لله ولرسوله فلزمتهم الحجة لأن المشهود عليه إذا لم يأت بمخلص من بينة الخصم توجهت القضية عليه ولزمه الحكم (وضل عنهم) اي ذهب عنهم (ما كانوا يفترون) من الكذب وبطل ما عبدوه من دون الله تعالى

— النظم —

لما اتصلت هذه الآيات بما قبلها بأنه جرى ذكر معبودي الكفار وأنهم لم يغنوا من الله شيئا فعقبه سبحانه بأن وصف نفسه بأنه المنعم المالك للنفع والضر وقيل لما تقدم ان الحمد لله سبحانه في الدارين ذكر عقيبه مايوجب الحمد من النعم السابقة وقيل يتصل بقوله يخلق ما يشاء ويختار اي ويختار لعباده ما هو الأصلح لهم والأنفع

قوله تعالى (٧٦) إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٧) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٨) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٩) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٨٠) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨١) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨٢) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (سبع آيات)

القراءة

قرأ حفص عن عاصم ويعقوب وسهل خسف بفتح الخاء والسين وهو قراءة الحسن والأعرج وشيبة ومجاهد والباقون لخُسِف بضم الخاء وكسر السين وقرأ يعقوب وَيْكَ يقف عليها ثم يبتدي فيقول انه

الحجة

قال ابو علي من قرأ خسف بنا بفتح الخاء فلتقدم ذكر الله تعالى ومن قرأ بضم الخاء فبنى الفعل للمفعول به فانه يؤول إلى الأول في المعنى وقال ابن جني في ويكأنه ثلاثة أقوال منهم من جعلها كلمة واحدة فلم يقف على وي ومنهم من وقف على وي ومنهم من قال ويك وهو مذهب ابي الحسن والوجه فيه عندنا هو قول الخليل وسيبويه وهو ان وَيْ اسم سمّي به الفعل في الخبر فكأنه اسم اعجب ثم ابتدأ فقال كأنه لا يفلح الكافرون وكأن الله يبسط الرزق فوي منفصلة من كأن وعليه بيت الكتاب

سَأَلَتَانِي الطَّلَاقَ إِنْ رَأَتَانِي ... قَلَّ مَالِي قَدْ جِئْتُمَانِي بِنُكْرِ

وَيْ كَأَنْ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْـ ... ـبَبَ وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ (١)

ومما جاءت فيه كأن عارية من معنى التشبيه ما أنشده ابو علي

كَأَنَّنِي حِينَ أُمْسِي لَا تُكَلِّمُنِي ... مُتَيَّمٌ يَشْتَهِي مَا لَيْسَ مَوْجُودَا

أي انا حين أمسي متيّم من حالي كذا ومن قال انها ويك فكأنه قال اعجب لأنه لا يفلح الكافرون وأعجب لأن الله يبسط الرزق وهو قول ابي الحسن وينبغي أن يكون الكاف هنا حرف خطاب بمنزلة الكاف في ذلك وأولئك ويشهد لهذا قول عنترة

وَلَقَدْ شَفَا نَفْسِي وَأَذْهَبَ سُقْمَهَا ... قِيلُ الْفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرُ أَقْدِمِ

وقول من قال ويكأنه كلمة واحدة إنما يريد به انه لا يفصل بعضه من بعض

﴿ اللغة ﴾

البغي طلب العتو بغير حق ومنه قيل لِوُلاة الجور بغاة. والكنز جمع المال بعضه على بعض وصار بالعرف عبارة عما يخبأ تحت الأرض ولا يطلق في الشرع اسم الكنز إلا على مال لا تخرج زكاته للوعيد الذي جاء فيه. والمفاتح جمع مفتح والمفاتيح جمع مفتاح ومعناها واحد وهو عبارة عما يفتح به الاغلاق. وناء بحمله ينوء نوءا إذا نهض به مع ثقله عليه ومنه اخذت الأنواء لأنها تنهض من المشرق على ثقل نهوضها وقال ابو زيد ناء في الحمل إذا أثقلني والعصبة الجماعة الملتفّ بعضها ببعض يقال ناءت المفاتيح بالعصبة وناءت العصبة بمعنى كما يقال ذهبت به وأذهبته فالباء والهمز يتعاقبان في تعدّي الفعل قال سبحانه فأجاءها المخاض أي جاء بها وقال ابو عبيدة هذا من المقلوب ومعنى قوله لتنوء بالعصبة تنوء العصبة بها كما قال الشاعر

إِنَّ سِرَاجًا لَكَرِيمٌ مَفْخَرُهْ ... تَحْلَى بِهِ الْعَيْنُ إِذَا مَا تَجْهَرُهْ

ومعناه يجلى بالعين فقلب وقال آخر

كَانَتْ عُقُوبَةُ مَا جَنَيْتُ كَمَا ... كَانَ الزِّنَاءُ عُقُوبَةَ الرَّجْمِ

قال امرؤ القيس

يُضِيءُ الظَّلَامَ وَجْهُهَا لِضَجِيعِهَا ... كَمِصْبَاحِ زَيْتٍ فِي قَنَادِيلِ ذُبَّالِ (٣)

أي في ذُبّال قناديل وهذا غير صحيح ولا يجوز ان يحمل القرآن عليه لأنه يجري مجرى الغلط من العرب ومثل ذلك في شعرهم كثير قال

غَدَاةٌ أَحَلَّتْ لِابْنِ صَرْمَةَ طَعْنَةً ... حُصَيْنٍ غَبِيطَاتُ السَّدَائِفِ وَالْخَمْرُ (٤)

والغبيطات مفعولة والطعنة فاعلة فقلب ومن اغلاطهم قول الراجز

جَارِيَةٌ لَمْ تَعْلَمِ الْمُرَقَّقَا ... وَلَمْ تَذُقْ مِنَ الْبُقُولِ الْفُسْتُقَا

فظن الفستق من البقول فأما قول خداش بن زهير

وَتَرَكْتُ خَيْلًا لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا ... وَتَشَقَّى الرِّمَاحُ بِالضَّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ (٥)

فذهب كثير من العلماء إلى ان المعنى وتشقي الضيا طرة الحمر بالرماح فقلب وليس الأمر كذلك وإنما أراد ان رماحهم تشرف عن هؤلاء الضياطرة فإذا طعنوا بها فقد شقيت الرماح لأن منزلتها ارفع من ان يطعنوا بها وقالوا ايضا في قول زهير

(١) النشب : المال والعقار . (٢) المتيم من تيمه الحب اى عبده وذلله والشعر في جامع الشواهد وكذا الشعر الآتي . (٣) ذبال جمع ذبالة بمعنى الفتيلة (٤) حصين بدل ابن اصرم اى حصين بن اصرم وسدائف جمع سديف السنام . (٥) الهوادة : المحاباة . الضياطرة : الضخام الذين لا غناء عندهم . والحمر جمع الاحمر . من لا سلاح معه . (٦) اى ←

فَتُنْتِجَ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُنْتَجْ فَتَتِمِّ (١)

انه غلط فنسبه إلى عاد وإنما هو احمر ثمود وهذا ايضا ليس بغلط فإن ثمود يسمى عاداً الآخرة لقوله تعالى وانه أهلك عاداً الأولى وقيل إنما سموا ثمود لأن الله تعالى اهلك عادا وبقيت منهم بقية تناسلوا فهم ثمود واشتق لهم هذا الاسم من الثمد وهو الماء القليل لأنهم قلوا عن عدد عاد الأولى وإذا جاء في الشعر ما يجري مجرى الغلط فلا يجوز أن يحمل كلام الله تعالى عليه

﴿ المعنى ﴾

(ان قارون كان من قوم موسى) أي كان من بني اسرائيل ثم من سبط موسى وهو ابن خالته عن عطا عن ابن عباس وروى ذلك عن ابي عبد الله «ع» وقيل كان ابن عم موسى لحّا (٢) لأنه كان قارون بن يصهر بن فاهث وموسى بن عمران بن فاهث عن ابن جريج وقيل كان موسى ابن أخيه وقارون عمه عن محمد بن اسحاق (فبغى عليهم) اي استطال عليهم بكثرة كنوزه عن قتادة قال وكان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني اسرائيل اقرأ منه للتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فبغى عليهم وقيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فكان يبغي عليهم ويطالبهم لما كانوا بمصر عن سعيد بن المسيب وابن عباس وقيل انه زاد عليهم في الثياب شبرا عن عطاء الخراساني وشهر بن حوشب (وآتيناه من الكنوز) قال عطا اصاب كنزا من كنوز يوسف (ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة) ماهذه موصولة بمعنى الذي وصلتها أن مع اسمها وخبرها اي اعطيناه من الاموال المدخرة قدر الذي ينيء مفاتحه العصبة والمفاتح هنا الخزائن في قول اكثر المفسرين وهو اختيار الزجاج كما في قوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب فيكون المراد بمفاتحه خزائن ماله وهو قول ابن عباس والحسن وقيل هي المفاتح التي تفتح بها الابواب عن قتادة ومجاهد وروى الأعمش عن خيثمة قال كانت مفاتيح قارون من جلود كل مفتاح مثل الاصبع واختلف في معنى العصبة فقيل ما بين عشرة إلى خمسة عشر عن مجاهد وقيل ما بين عشرة إلى اربعين عن قتادة وقيل اربعون رجلا عن ابي صالح وقيل ما بين الثلاثة إلى العشرة عن ابن عباس وقيل انهم الجماعة يتعصب بعضهم لبعض (إذ قال له قومه) من بني اسرائيل (لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين) اي لا تأشر ولا تمرح ولا تتكبر بسبب كنوزك إن الله لا يحب من كان بهذه الصفة ويدل على ان الفرح بمعنى البطر قول الشاعر

وَلَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي وَلَا جَازِعٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلِّبِ

وقول الآخر «ولا ارتخي من الفرح الازارا» (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) وهذا ايضا من مقالة المؤمنين من قوم قارون له وقيل ان المخاطب له بذلك موسى وان ذكر بلفظ الجمع ومعناه اطلب فيما اعطاك الله من الأموال الدار الآخرة بأن تنفقها في سبيل الخير ووجوه الخير والبر (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وهو أن تعمل في الدنيا للآخرة عن اكثر المفسرين ومعناه لا تنس أن تعمل لآخرتك لأن حقيقة نصيب الانسان من الدنيا الذي يعمل به لآخرته وروي في معناه عن علي «ع» لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك وغناك ان تطلب بها الآخرة وقيل امر أن يقدم الفضل وان يمسك ما يغنيه عن الحسن وقيل معناه انه كان قتورا شحيحا فقيل له كل واشرب واستمتع بما آتاك الله من الوجه الذي اباحه الله لك فإن ذلك غير محظور عليك (وأحسن كما احسن الله اليك) اي افضل على الناس كما افضل الله عليك وقيل احسن فيما افترض الله عليك كما أحسن في انعامه عليك عن يحيى بن سلام وقيل معناه واحسن شكر الله تعالى على قدر انعامه عليك وواس عباد الله بمالك (ولا تبغ الفساد) اي لا تطلب العمل (في الأرض) بالمعاصي (إن الله لا يحب المفسدين) ظاهر المعنى (قال) قارون (إنما أوتيته على علم عندي) اختلف في معناه فقيل أراد إنما أعطيت هذا المال بفضل وعلم عندي ليس ذلك عندكم عن قتادة يعني انه قدر ان هذا ثواب من الله تعالى له لفضيلته كما اخبر سبحانه عن ذلك

← انهم يقتلون بها .

(١) هذا بيت من المعلقات قاله في ذم الحرب ورواية المعلقات العشر والزوزني وغيره هكذا « كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم» فراجع (٢) اى لاصق النسب .

الكافر بقوله ولئن رددت إلى ربي لأجدنّ خيرا منها منقلبا وقيل معناه لرضا الله عني ومعرفته باستحقاقي عن ابن زيد وهذا قريب من الأول وقيل معناه إن المال حصل له على علم عندي بوجوه المكاسب وبما لا يتهيأ لأحد ان يكتسبه من التجارات والزراعات وغيرها وقيل على علم عندي بصنعة الذهب وهو علم الكيمياء عن الكلبي وحكي ان موسى (ع) علّم قارون الثلث من صنعة الكيمياء وعلم يوشع الثلث منها وعلم ابن هارون الثلث منها فخدعهما قارون حتى علم ما عندهما وعمل بالكيمياء فكثرت امواله (أو لم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون) الكافرة بنعمته (من هو اشد منه قوة وأكثر جمعا) كقوم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ثم بيّن سببا ان اغتراره بماله وعدده من الخطأ العظيم لأنه لا ينتفع بذلك عند نزول العذاب به كما ان من كانوا أقوى وأغنى منه لم تغن اموالهم وجموعهم عنهم شيئاً عند ذلك (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) قال قتادة يعني انهم يدخلون النار بغير حساب وقال قتادة إن الملائكة تعرفهم بسيماهم فلا يسألون عنهم لعلامتهم ويأخذونهم بالنواصي والاقدام فيصيرونهم إلى النار وهذا كقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وأما قوله فوربك لنسألنهم اجمعين فإنما ذلك سؤال تقريع وتوبيخ لا ليعلم ذلك من قبلهم عن الحسن (فخرج على قومه) اي خرج قارون على بني اسرائيل (في زينته) التي كان يتزين بها وحشمه وتبعه وقيل انه خرج في اربعة آلاف دابة عليها اربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان عن قتادة والارجوان في اللغة صبغ احمر وقيل خرج في جوار بيض على سرج من ذهب على قطف ارجوان على بغال بيض عليهن ثياب حمر وحليّ من ذهب عن السدي وقيل خرج في سبعين الفا عليهم المعصفرات (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا) من الكفار والمنافقين وضعيفي الإيمان بما للمؤمنين عند الله من ثواب الجنة لما رأوه في تلك الزينة والجمال (ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم) اي ذو نصيب وافر من الدنيا والمعنى انهم تمنّوا مثل منزلته ومثل ماله (وقال الذين أوتوا العلم) وهم المصدّقون بوعد الله المؤمنون لهم (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً) مما اوتي قارون وحذف لدلالة الكلام عليه (ولا يلقاها إلا الصابرون) اي ولا يلقى مثل هذه الكلمة ولا يوفّق لها إلا الصابرون على امر الله وقيل معناه ولا يعطاها يعني الجنة في الآخرة ودلّ عليها قوله ثواب الله إلا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الدنيا عن الكلبي (فخسفنا به وبداره الأرض) قال السدي دعا قارون امرأة من بني اسرائيل بغيا فقال لها إني اعطيك الفين على ان تجيئي غداً إذا اجتمعت بنو اسرائيل عندي فتقولي يامعشر بني اسرائيل مالي ولموسى قد آذاني قالت نعم فأعطاها خريطتين عليهما خاتمه فلما جاءت بيتها ندمت وقالت ياويلتي قد عملت كل فاحشة فما بقي إلا ان افتري على نبي الله فلما اصبحت اقبلت ومعها الخريطتان حتى قامت بين بني اسرائيل فقالت ان قارون قد اعطاني هاتين الخريطتين على ان آتي جماعتكم فأزعم أن موسى يراودني عن نفسي ومعاذ الله أن افتري على نبي الله وهذه دراهمه عليها خاتمه فعرف بنو اسرائيل خاتم قارون فغضب موسى فدعا الله عليه فأوحى الله اليه اني لمرت الأرض ان تطيعك وسلّطتها عليه فمرها فقال موسى يا أرض خذيه وهو على سريره وفرشه فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى قارون ذلك ناشده الرحم فقال خذيه فأخذته حتى غيبت قدميه ثم اخذته حتى غيبت ركبتيه ثم اخذته حتى غيبت حقويه وهو يناشده الرحم فأخذته حتى غيبته فأوحى الله اليه ياموسى ناشدك الرحم واستغاثك فأبيت أن تغيثه لو إياي دعا واستغاثني لأغثته قال مقاتل ولما أمر موسى الأرض فابتلعته قال بنو اسرائيل إنما فعل ذلك موسى ليرث ماله لأنه كان ابن عمه فخسف بداره وبجميع أمواله بعده بثلاثة ايام فلم يقدر على ماله بعده ابدا (فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله) أي فما كان له من جماعة منقطعة اليه يدفعون عنه عذاب الله تعالى الذي نزل به وإنما قال سبحانه ذلك لأنه كان يقدر مع نفسه الامتناع بحاشيته وجنوده (وما كان من المنتصرين) بنفسه لنفسه (واصبح الذين تمنّوا مكانه بالأمس) حين خرج عليهم في زينته (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن

يشاء من عباده ويقدر) وهذه كلمة تندم واعتراف وقد بينا ان عند الخليل وسيبويه لفظة وي مفصولة من كأن وإن وقعت في المصحف موصولة يقول القائل إذا تبين له الخطأ وي كنت على خطأ وقال الفراء أصله ويك فحذفت اللام وجعلت ان مفتوحة في موضع نصب بفعل مضمر كأنه قال اعلم ان الله تعالى قال وحدثني شيخ من أهل البصرة قال سمعت اعرابية تقول لزوجها أين ابنك ويلك فقال لها ويك انه وراء البيت قال معناه أما تربنه وراء البيت وقيل معناه الا كان واما كان وقال الكسائي ويكأن في التأويل ذلك ان الله وهو قول ابن عباس أي قالوا ذلك ان الله يبسط الرزق لمن يشاء لا لكرامته كما يبسط لقارون ويقدر ان يضيق على من يشاء لا لهوان لكن بحسب المصلحة وقال مجاهد وقتادة ويكأن معناه ألم تعلم (لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا) أي لولا انه أنعم علينا بنعمه فلم يعطنا ما أعطى قارون لخسف بنا كما خسف به وقيل معناه لو ان الله تعالى منّ علينا بالتجاوز عما تمنينا لخسف بنا لما تمنينا منزلة قارون (ويكأنه لا يفلح الكافرون) أي لا يفوز بثواب الله وينجو من عقابه الجاحدون لنعمه العابدون معه سواه

النظم

إنما اتصلت قصة قارون بما قبلها من قوله نتلو عليك من نبإ موسى فكأنه قال ومن نبإ موسى الذي وعدنا تلاوته في اول السورة قصة قارون معه وقيل اتصل بقوله فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى فأكد سبحانه ذلك بحديث قارون وحاله وقيل انه لما تقدم خزي الكفار وافتضاحهم يوم القيامة ذكر عقيبه ان قارون من جملتهم وانه يفتضح يوم القيامة كما افتضح في الدنيا

قوله تعالى (٨٣) تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٤) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٥) إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨٦) وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (٨٧) وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٨٩) وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

(ست آيات)

النزول

قيل لما نزل النبي ﷺ بالجحفة في مسيره إلى المدينة لما هاجر اليها اشتاق إلى مكة فأتاه جبرئيل «ع» فقال أتشتاق إلى بلدك ومولدك فقال نعم قال جبرئيل فإن الله يقول إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد يعني مكة ظاهراً عليها فنزلت الآية بالجحفة وليست بمكية ولا مدنية وسميت مكة معاداً لعوده اليها عن ابن عباس

المعنى

(تلك الدار الآخرة) يعني الجنة (نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض) أي تجبرا وتكبرا على عباد الله واستكبارا عن عبادة الله (ولا فسادا) أي عملا بالمعاصي عن ابن جريج ومقاتل وروى زاذان عن امير

المؤمنين «ع» انه كان يمشي في الأسواق وحده وهو دالٌ يرشد الضال ويعين الضعيف ويمرّ بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ويقول نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس وروى ابو سلام الاعرج عن امير المؤمنين «ع» ايضا قال ان الرجل ليعجبه شراك نعله فيدخل في هذه الآية تلك الدار الآخرة الآية يعني ان من تكبر على غيره بلباس يعجبه فهو ممن يريد علواً في الأرض قال الكلبي يعني بقوله فساداً الدعاء إلى عبادة غير الله وقال عكرمة هو أخذ المال بغير حق (والعاقبة للمتقين) أي والعاقبة الجميلة المحمودة من الفوز بالثواب للذين اتقوا الشرك والمعاصي وقيل معناه الجنة لمن اتقى عقاب الله باداء فرائضه واجتناب معاصيه (من جاء بالحسنة فله خير منها) مضى تفسيره (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) أي لا يزاد في عقابهم على قدر استحقاقهم بخلاف الزيادة في الفضل على الثواب المستحق فإنه يكون تفضلا فهو مثل قوله ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها (إن الذي فرض عليك القرآن) خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى ان الذي أوجب عليك الامتثال بما تضمّنه القرآن وأنزله عليك (لرادّك الى معاد) أي يردّك الى مكة عن ابن عباس ومجاهد والجبائي وعلى هذا فيكون في الآية دلالة على صحة النبوة لأنه اخبر به من غير شرط ولا استثناء وجاء المخبر مطابقا للخبر قال القتيبي معاد الرجل بلده لأنه يتصرف في البلاد ثم يعود اليه وقيل إلى معاد إلى الموت عن ابن عباس في رواية أخرى وعن ابي سعيد الخدري وقيل الى المرجع يوم القيامة أي يعيدك بعد الموت كما بدأك عن الحسن والزهري وعكرمة وابي مسلم وقيل الى الجنة عن مجاهد وابي صالح فالمعنى انه مميتك وباعثك ومدخلك الجنة والظاهر يقتضي انه العود الى مكة لأن ظاهر العود يقتضي ابتداء ثم عودا اليه على انه يجوز أن يقال الجنة معاد وإن لم يتقدم له فيها كون كما قال سبحانه في الكفار ثم ان مرجعهم لإلى الجحيم ثم ابتدأ سبحانه كلاما آخر فقال (قل) يا محمد (ربي اعلم من جاء بالهدى) الذي يستحق به الثواب (ومن هو في ضلال مبين) أي ومن لم يجئ بالهدى وضلّ عنه أي لايخفى عليه المؤمن والكافر ومن هو على الهدى ومن هو ضال عنه وتأويله قل ربي يعلم اني جئت بالهدى من عنده وانكم في ضلال سينصرني عليكم ثم ذكر نعمه فقال (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب) أي وما كنت يا محمد ترجو فيما مضى أن يوحي الله اليك ويشرفك بإنزال القرآن عليك (إلا رحمة من ربك) قال الفراء هذا من الاستثناء المنقطع ومعناه إلا ان ربك رحمك وأنعم به عليك وأراد بك الخير كذلك ينعم عليك بردّك إلى مكة فاعرف هذه النعم وقيل معناه وما كنت ترجو أن تعلم كتب الأولين وقصصهم تتلوها على أهل مكة ولم تشهدها ولم تحضرها بدلالة قوله وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا أي انك تتلو على أهل مكة قصص مدين وموسى ولم تكن هناك ثاويا مقيما وكذلك قوله وما كنت بجانب الغربي وانت تتلو قصصهم وامرهم فهذه رحمة من ربك (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) أي معينا لهم وفي هذا دلالة على وجوب معاداة أهل الباطل وفي هذه الآية وما بعدها وإن كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فالمراد غيره وقد روي عن ابن عباس انه كان يقول القرآن كله اياك اعني واسمعي يا جارة (ولا يصدنّك عن آيات الله بعد إذ أنزلت اليك) أي ولا يمنعك هؤلاء الكفار عن اتباع آيات الله التي هي القرآن والدين بعد إذ نزلت اليك تعظيما لذكرك وتفخيما لشأنك (وادع إلى ربك) أي إلى طاعة ربك الذي خلقك وأنعم عليك وإلى توحيده (ولا تكونن من المشركين) اي لا تمل اليهم ولا ترض بطريقتهم ولا توال احدا منهم (ولا تدع مع الله إلهاً آخر) أي لا تعبد معه غيره ولا تستدع حوائجك من جهة ما سواه (لا إله إلا هو) أي لا معبود إلا هو وحده لا شريك له (كل شيء هالك إلا وجهه) أي كل شيء فانٍ بائد إلا ذاته وهذا كما يقال هذا وجه الرأي ووجه الطريق وهذا معنى قول مجاهد (الا هو) وفي هذا دلالة على ان الأجسام تفنى ثم تعاد على ما قاله الشيوخ في الفناء

والإعادة وقيل معناه كل شيء هالك إلا ما اريد به وجهه فإن ذلك يبقى ثوابه عن عطا وابن عباس وعن ابي العالية والكلبي وهو اختيار الفراء وانشد

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

أي اليه أوجه العمل وعلى هذا يكون وجه الله ما وجه اليه من الأعمال (له الحكم) أي له القضاء النافذ في خلقه وقيل له الفصل بين الخلائق في الآخرة دون غيره (واليه ترجعون) اي تردون في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم

النظم

اتصل قوله تلك الدار الآخرة الآية بما قبله على معنى انه سبحانه كما حرّم نعم الدنيا عليهم بالهلاك كذلك يحرّم عليهم نعم الآخرة وأما وجه اتصال قوله إنّ الذي فرض عليك القرآن الآية بما قبله فقد ذكر فيه من حمل المعاد على البعث انه اتصل بقوله تلك الدار الاخرة ومن حمله على العود إلى مكة قال انه لما بيّن سبحانه وعده لأم موسى ردّ موسى عليها مع شرف النبوة كذلك وعده ربه العودة إلى مكة مع الشرف العظيم وقد انجز وعده كما انجز وعده هناك ويكون معنى الكلام أن الذي انزل القرآن بذلك الوعد سينجز هذا الوعد واتصل قوله قل ربي اعلم من جاء بالهدى على معنى انه امر بأن يقول لهم ربي اعلم بالصادق والكاذب لا يلتبس عليه شيء

تمّ الجزء السابع من مجمع البيان في تفسير القرآن

وقد تصدى لتصحيحه والتعليق عليه العبد المذنب الفاني السيد هاشم الرسولي المحلاتي عفى عنه

وعن والديه بحق محمد وآله الطاهرين

الجزء الثامن

سورة العنكبوت

مكية كلها في قول عكرمة وعطا والكلبي ومدنية في احد القولين عن ابن عباس وقتادة ومكية إلا عشر آيات من اولها فإنها مدنية عن الحسن وفي احد القولين عن ابن عباس وهو عن يحيى بن سلام

عدد آيها

تسع وستون آية بالإجماع

اختلافها

ثلاث آيات الم كوفي وتقطعون السبيل حجازي مخلصين له الدين بصري شامي

فضلها

أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين وروى ابو بصير عن ابي عبد الله «ع» قال من قرأ سورة العنكبوت والروم في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين فهو والله يا أبا محمد من أهل الجنة لا استثني فيه ابداً ولا أخاف أن يكتب الله عليَّ في يميني إثما وان لهاتين السورتين من الله مكانا

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة القصص بذكر الوعد والوعيد وافتتح هذه السورة بذكر تكليف العبيد فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) الم (٢) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٤) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥) مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (خمس آيات)

القراءة

قرأ علي (ع) فليُعْلِمن الذين صدقوا وليُعْلِمن الكاذبين بضم الياء وكسر اللام فيهما وهو المروي عن جعفر ابن محمد ومحمد بن عبد الله بن الحسن ووافقهم الزهري في وليعلمن الكاذبين وقرأ ايضا وليعلمن المنافقين

الحجة

معناه ليعرفن الناس من هم فحذف المفعول الأول كما قال سبحانه يوم ندعو كل اناس بإمامهم وقال يعرف المجرمون بسيماهم وقال ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ويجوز أن يكون من قولهم ثوب معلم وفارس معلم بالكسر إذا اعلم نفسه في الحرب فيكون معناه وليشهرن فيرجع إلى المعنى الأول لأنه على تقدير حذف المفعول ويجوز أن يكون على حذف المفعول الثاني اي وليعلمن الصادقين ثواب صدقهم والكاذبين عقاب كذبهم

الاعراب

قال الزجاج موضع أَنْ الأولى نصب باسم حسب وخبره وموضع أَنْ الثانية نصب من جهتين اجودهما أن تكون منصوبة بيتركوا فيكون المعنى أحسب الناس أن يتركوا لأن يقولوا أو بأن يقولوا فلما حذف حرف

الخفض وصل يتركوا إلى ان فنصب ويجوز أن تكون أن الثانية العامل فيها حسب اي حسب الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون قال ابو علي أما ما ذكره من انه نصب بيتركوا فإنه بين السقوط لأن ترك فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا بني للمفعول لم يتعد إلى آخر فأن يقولوا لا يتعلق به ولا يتعدى اليه حتى يقدّر حرف ثم يقدر الحذف فيصل الفعل وأما ما ذكره من انتصابه بحسب فلا يخلو إذا قدر انتصابه به من أن يكون مفعولا اولا او ثانيا أو صفة أو بدلا فلا يكون مفعولا أولا لتعديه إلى المفعول الذي قبله وهو الترك ولا يجوز أن يكون مفعولا ثانيا من وجهين ﴿ احدهما ﴾ أن باب ظننت وأخواته إذا تعدّى إلى هذا الضرب من المفعول لم يتعدّ إلى مفعول ثان ظاهر في اللفظ (والآخر) أن المفعول الثاني هو الأول في المعنى وليس القول الترك ولا يكون ايضا بدلا لأنه ليس الأول ولا بعضه ولا مشتملا عليه ولا يكون ايضا صفة لان ان الثانية لحسب وعمله فيها لا يخلو مما ذكرناه فإذا لم يستقم حمله على شيء مما ذكرناه تبينت موضع اغفاله في المسألة وأقول وبالله التوفيق إن البدل هنا صحيح فإنه إذا قال أحسبوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وقوله وهم لا يفتنون جملة في موضع الحال فكأنه قال احسبوا أن يدعوا الإيمان غير مختبرين ممتحنين بمشاق التكليف فيكون التقدير في معنى الآية أحسبوا ان يتركوا احسبوا أن يهملوا ولا شك أن الاهمال في معنى الترك فيكون الثاني في معنى الأول بعينه وأما الوجه الأول فإنك لو قدرت اللام فقلت لأن يقولوا أو الباء فقلت بأن يقولوا فلا شك أن الحرف يتعلق بيتركوا فإن الجار والمجرور في موضع نصب به فتساهل الزجاج في العبارة عن المجرور بأنه منصوب وقوله ساء مايحكمون ما هذه يحتمل وجهين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون اسما مفردا نكرة في موضع النصب على التمييز والتقدير ساء حكما يحكمون ﴿ والثاني ﴾ ان يكون حرفا موصولا ويحكمون صلته وتقديره ساء الحكم حكمهم

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت الآية في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله عن ابن جريج وقيل نزلت في اناس مسلمين كانوا بمكة فكتب اليهم من كان في المدينة انه لا يقبل منكم الإقرار بالإسلام حتى تهاجروا فخرجوا إلى المدينة فاتبعهم المشركون فآذوهم وقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا عن الشعبي وقيل انه اراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم عن ابن عباس

﴿ المعنى ﴾

(الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أي أظن الناس أن يقنع منهم بأن يقولوا إنا مؤمنون فقط ويقتصر منهم على هذا القدر ولا يمتحنون بما تبيّن به حقيقة إيمانهم هذا لا يكون وهذا استفهام انكار وتوبيخ وقيل ان معنى يفتنون يبتلون في انفسهم وأموالهم عن مجاهد وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) ويكون المعنى ولا يشدّد عليهم التكليف والتعبد ولا يؤمرون ولا ينهون وقيل معناه ولا يصابون بشدائد الدنيا ومصائبها أي انها لا تندفع بقولهم آمنا وقال الحسن معناه أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا لا إله إلا الله ولا يختبروا أصدقوا أم كذبوا يعني أن مجرد الاقرار لا يكفي والاولى حمله على الجميع إذ لا تنافي فإن المؤمن يكلف بعد الإيمان بالشرائع ويمتحن في النفس والمال ويبتى بالشدائد والهموم والمكاره فينبغي أن يوطن نفسه على هذه الفتنة ليكون الأمر ايسر عليه إذا نزل به ثم اقسم سبحانه فقال (ولقد فتنّا الذين من قبلهم) اي ولقد ابتلينا الذين من قبل امة محمد ﷺ من سالف الامم بالفرائض التي افترضناها عليهم أو بالشدائد والمصائب على حسب اختلافهم وذكر ذلك تسلية للمؤمنين قال ابن عباس منهم ابراهيم خليل الرحمن وقوم كانوا معه ومن بعده نشروا بالمناشير على دين الله فلم يرجعوا عنه وقال غيره يعني بني اسرائيل ابتلوا بفرعون يسومونهم سوء العذاب (فليعلمن الله الذين صدقوا) في ايمانهم (وليعلمن الكاذبين) فيه وإنما قال فليعلمن مع ان الله سبحانه كان

عالما فيما لم يزل بأن المعلوم سيحدث لأنه لا يصح وصفه سبحانه فيما لم يزل بأنه عالم بأنه حادث وإنما يعلمه حادثا إذا حدث وقيل معناه فليميزن الله الذين صدقوا من الذين كذبوا بالجزاء والمكافاة وعبّر عن الجزاء والتمييز بالعلم لأن كل ذلك إنما يحصل بالعلم فأقام السبب مقام المسبب ومثله في اقامة السبب مقام المسبب قوله تعالى كانا يأكلان الطعام فهذا سبب قضاء الحاجة فكنّى بذكره عنها ومعنى صدقوا اي ثبتوا على الشدائد و كذبوا أي لم يثبتوا ومنه قول زهير «إذا ما الليث كذّب عن اقرانه صدقا»(١) (أم حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا) أم هذه استفهام منقطع عما قبله وليست التي هي معادلة الهمزة والمعنى بل أحسب الذين يفعلون الكفر والقبائح ان يفوتونا فوت السابق لغيره ويعجزونا فلا نقدر على اخذهم والانتقام منهم (ساء ما يحكمون) اي بئس الشيء الذي يحكمون ظنّهم انهم يفوتوننا وروى العياشي بالاسناد عن ابي الحسن (ع) قال جاء العباس إلى امير المؤمنين (ع) فقال له امش حتى نبايع لك الناس فقال اتراهم فاعلين قال نعم فأين قول الله الم احسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا الآيات (من كان يرجو لقاء الله) أي من كان يأمل لقاء ثواب الله وقيل معناه من كان يخاف عقاب الله عن سعيد بن جبير والسدي والرجاء قد يكون بمعنى الخوف كما في قول الشاعر

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها ... وحالفها في بيت نوب عواسل(٢)

والمعنى من كان يخشى البعث ويخاف الجزاء والحساب أو يأمل الثواب فليبادر بالطاعة قبل ان يلحقه الأجل (فإن أجل الله لآت) أي الوقت الذي وقّته الله للثواب والعقاب جاء لا محالة (وهو السميع) لأقوالكم (العليم) بما في ضمائركم

قوله تعالى (٦) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (١٠) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ خمس آيات

الإعراب

حسنا مفعول فعل محذوف تقديره ووصينا الإنسان بأن يفعل بوالديه حسنا أي ما يحسن ما ليس لك به علم موصول وصلة في موضع نصب بأنه مفعول تشرك

النزول

قال الكلبي نزلت الآية الأخيرة في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك انه اسلم فخاف أهل بيته فهاجر إلى المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ فحلفت أمه اسماء بنت مخرمة بن ابي جندل التميمي أن لا تأكل ولا تشرب ولا تغسل رأسها ولا تدخل كنّا(٣) حتى يرجع اليها فلما رأى ابناها ابوجهل والحرث ابناهشام وهما اخوا عياش لأمه جزعها ركبا في طلبه حتى أتيا المدينة فلقياه وذكرا له القصة فلم يزالا به حتى أخذ عليها المواثيق أن لا يصرفاه عن دينه وتبعها وقد كانت أمه صبرت ثلاثة ايام ثم أكلت وشربت فلما خرجوا من المدينة اخذاه واوثقاه كتافا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة حتى يرئ من دين محمد ﷺ جزعا من الضرب وقال مالاينبغي

(١) وتمام البيت «ليث بعثر يصطاد الرجال اذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا» وعثر: بتشديد الثاء موضع كثير الاسد. (٢) مر البيت في صفحة ٩٣ من المجلد الثالث و١٠٤ من المجلد الثاني فراجع (٣) الكن بالكسر: البيت

فنزلت الآية وكان الحرث اشدهما عليه فحلف عياش لئن قدر عليه خارجا من الحرم ليضربن عنقه فلما رجعوا إلى مكة مكثوا حينا ثم هاجر النبي ﷺ والمؤمنون إلى المدينة وهاجر عياش وحسن إسلامه واسلم الحرث بن هشام وهاجر الى المدينة وبايع النبي ﷺ على الإسلام ولم يحضر عياش فلقيه عياش يوما بظهر قبا ولم يشعر بإسلامه فضرب عنقه فقيل له ان الرجل قد اسلم فاسترجع عياش وبكى ثم أتى النبي ﷺ فأخبره بذلك فنزل وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً الآية وقيل نزلت الآية في ناس من المنافقين يقولون آمنا فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك عن الضحاك وقيل نزلت في قوم ردّهم المشركون الى مكة عن قتادة

المعنى

لما رغّب سبحانه في تحقيق الرجاء والخوف بفعل الطاعة عقّبه بالترغيب في المجاهدة فقال (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه) اي ومن جاهد الشيطان بدفع وسوسته واغوائه وجاهد اعداء الدين لإحيائه وجاهد نفسه التي هي اعدى اعدائه فإنما يجاهد لنفسه لأن ثواب ذلك عائد عليه وواصل اليه دون الله تعالى (إن الله لغني عن العالمين) غير محتاج إلى طاعتهم فلا يأمرهم ولا ينهاهم لمنفعة ترجع اليه بل لمنفعتهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) التي اقترفوها قبل ذلك اي لنطلبنها حتى تصير كأنهم لم يعملوها (ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي يجزيهم باحسن اعمالهم وهو ما أمروا به من العبادات والطاعات والمعنى لنكفرن سيئاتهم السابقة منهم في حال الكفر ولنجزينهم بحسناتهم التي عملوها في الإسلام ولما امر سبحانه بمجاهدة الكفار ومباينتهم بيّن حال الوالدين في ذلك فقال (ووصينا الإنسان بوالديه) اي أمرناه ان يفعل بوالديه (حسنا) والزمناه ذلك ثم خاطب سبحانه كل واحد من الناس فقال (وان جاهداك) اي وان جاهداك ابواك أيها الإنسان والزماك واستفرغا مجهودهما في دعائك (لتشرك بي) في العبادة (ما ليس لك به علم) اي وليس لاحد به علم (فلا تطعهما) في ذلك فأمر سبحانه اطاعة الوالدين في الواجبات حتما وفي المباحات ندبا ونهي عن طاعتهما في المحظورات ونفى العلم به كناية عن تعريه من الادلة لأنه إذا لم يكن عليه حجة ودليل لم يحصل العلم به فلا يحسن اعتقاده (إلي مرجعكم) اي الى حكمي مصيركم (فأنبئكم بما كنتم تعملون) أي اخبركم باعمالكم فأجازيكم عليها وروي عن سعد بن ابي وقاص قال كنت رجلا بَرّاً بأمي فلما اسلمت قالت يا سعد ما هذا الدين الذي احدثت لتدعنّ دينك هذا اولا آكل ولا اشرب حتى أموت فتعير بي فيقال يا قاتل أمه فقلت لا تفعلي يا أمه اني لا أدع ديني هذا لشيء قال فمكثت يوما لا تأكل وليلة ثم مكثت يوماً آخر وليلة فلما رأيت ذلك قلت والله يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا فكلي واشربي وإن شئت فلا تأكلي ولا تشربي فلما رأت ذلك أكلت فأنزلت هذه الآية وإن جاهداك وأمه حمنة بنت ابي سفيان بن أمية بن عبد شمس وروي عن بهز بن ابي حكيم عن أبيه عن جده قال قلت للنبي ﷺ يا رسول الله من أبرّ قال أمك قلت ثم مَنْ قال ثم أمك قلت ثم مَنْ قال ثم أمك قلت ثم مَنْ قال ثم اباك ثم الأقرب فالأقرب وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال الجنة تحت اقدام الأمهات ثم قال سبحانه (والذين آمنوا) اي صدقوا بوحدانية الله تعالى واخلاص العبادة له (وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) اي في زمرتهم وجملتهم في الجنة ولما ذكر سبحانه خيار المؤمنين عقّبه بذكر ضعفائهم وقيل بل عقّبه بذكر المنافقين فقال (ومن الناس من يقول آمنا بالله) بلسانه (فإذا أوذي في الله) اي في دين الله او في ذات الله (جعل فتنة الناس كعذاب الله) والمعنى فإذا أوذي بسبب دين الله رجع عن الدين مخافة عذاب الناس كما ينبغي للكافر ان يترك دينه مخافة عذاب الله فيسوي بين عذاب فانٍ منقطع وبين عذاب دائم غير منقطع ابدا لقلة تمييزه وسعي أذية الناس فتنة لما في احتمالها من المشقة (ولئن جاء نصر من ربك) يا محمد اي ولئن جاء نصر من الله للمؤمنين ودولة لأولياء الله على الكافرين (ليقولن

إنا كنا معكم) اي ليقولن هؤلاء المنافقون للمؤمنين إنا كنا معكم على عدوكم طمعاً في الغنيمة ثم كذبهم الله فقال (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) من الإيمان والنفاق فلا يخفى عليه كذبهم فيما قالوا

قوله تعالى (١١) وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (١٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٣) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٥) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (خمس آيات)

﴿ اللغة ﴾

الثقل متاع البيت وجمعه اثقال وهو من الثقل يقال ارتحل القوم بثقلهم وثقلتهم اي بأمتعتهم ومنه الحديث اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض قال ثعلب[1] سُمّيا به لأن الأخذ بموجبها ثقيل وقال غيره ان العرب تقول لكل شيء خطير نفيس ثقل فسمّاهما ثقلين تفخيما لشأنهما وكل شيء يتنافس فيه فهو ثقل ومنه سمي الجن والإنس ثقلين لأنهما فضلا على غيرهما من الخلق والطوفان الماء الكثير الغامر لأنه يطوف بكثرته في نواحي الارض قال الراجز « افناهم الطوفان موت جارف » الجرف الأخذ الكثير وقد جرفت الشيء اجرفه بالضم جرفا اي ذهبت به كله شبّه الموت في كثرته بالطوفان

﴿ الاعراب ﴾

قوله بحاملين من خطاياهم من شيء تقديره وما هم بحاملين من شيء من خطاياهم فقوله من خطاياهم في الأصل صفة لشيء فقدّم عليه فصار في موضع نصب على الحال . الف سنة نصب على الظرف . خمسين نصب على الاستثناء وعاما تمييزه

﴿ المعنى ﴾

ثم اقسم سبحانه فقال (وليعلمن الله الذين آمنوا) بالله على الحقيقة ظاهراً وباطنا (وليعلمن المنافقين) فيجازيهم بحسب اعمالهم قال الجبائي معناه وليميزنّ الله المؤمن من المنافق فوضع العلم موضع التمييز توسعاً وقد مرّ بيانه وفي هذه الآية تهديد للمنافقين بما هو معلوم من حالهم التي استهزؤا بها وتوهّموا انهم قد نجوا من ضررها باخفائها فبيّن انها ظاهرة عند من يملك الجزاء عليها وانه يحل الفضيحة العظمى بها (وقال الذين كفروا) نعم الله وجحدوها (للذين آمنوا) اي صدقوا بتوحيده وصدق رسله (اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) اي ونحن نحمل آثامكم عنكم إن قلتم ان لكم في اتباع ديننا إثما ويعنون بذلك انه لا إثم عليكم باتباع ديننا ولا يكون بعث ولا نشور فلا يلزمنا شيء مما ضمنا والمامور في قوله ولنحمل هو المتكلم به نفسه في مخرج اللفظ والمراد به الزام النفس هذا المعنى كما يلزم الشيء بالأمر وفيه معنى الجزاء وتقديره ان تتبعوا ديننا حملنا خطاياكم عنكم ثم قال سبحانه (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء) اي لا يمكنهم حمل ذنوبهم عنهم يوم القيامة فإن الله سبحانه عدل لا يعذّب احدا بذنب غيره فلا يصح إذاً أن يتحمل احد ذنب غيره وهذا مثل قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ولا يجري هذا مجرى تحمل الدية عن الغير لأن الغرض في الدية اداء المال عن نفس المقتول فلا فرق بين ان يؤدّيه زيد عنه وبين ان يؤدّيه عمرو فإنه بمنزلة قضاء الدين (انهم لكاذبون) فيما ضمنوا من حمل خطاياهم (وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم) يعني انهم يحملون خطاياهم واوزارهم في انفسهم التي لم يعملوها بغيرهم

(١) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد النحوي الشيباني ، وكان من المعروفين بالادب و كثرة العلم وامام الكوفيين في النحو واللغة ، وسمي بثعلب لانه كان اذا سئل عن مسئلة أجاب من هاهنا ومن هاهنا فشبهوه بثعلب اذا اغار.

ويحملون الخطايا التي ظلموا بها غيرهم وقيل معناه يحملون عذاب ضلالهم وعذاب اضلالهم غيرهم ودعائهم لهم إلى الكفر وهذا كقوله من سن سنة سيئة الخبر وهذا كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) ومعناه انهم يسئلون سؤال تعنيف وتوبيخ وتبكيت وتقريع لا سؤال استعلام واستخبار (ولقد ارسلنا نوحا إلى قومه) يدعوهم إلى توحيد الله عز وجل (فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاما) فلم يجيبوه وكفروا به (فأخذهم الطوفان) جزاء على كفرهم فهلكوا (وهم ظالمون) لأنفسهم بما فعلوه من الشرك والعصيان (فأنجيناه واصحاب السفينة) اي فأنجينا نوحا من ذلك الطوفان والذين ركبوا معه في السفينة من المؤمنين به (وجعلناها) اي وجعلنا السفينة[1] (آية للعالمين) اي علامة للخلائق اجمعين يعتبرون بها إلى يوم القيامة لانها فرقت بين المؤمنين والكافرين والأبرار والفجار وهي دلالة للخلق على صدق نوح وكفر قومه

﴿ النظم ﴾

إنما اتصل قوله وقال الذين كفروا بما تقدمه من ذكر المنافقين فإنه سبحانه لما بين حالهم عند إيراد الشبهة عليهم بين في هذه الآية ان من الواجب أن لا يغتر المؤمنون بما يورده اهل الكفر عليهم من الشبه الفاسدة وقد ذكر في اتصال قصة نوح بما قبلها وجوه ﴿ احدها ﴾ انه لما قال فتنا الذين من قبلهم فصل ذلك فبدأ بقصة نوح ثم بما يليها ﴿ وثانيها ﴾ انه لما ذكر حال المجاهد الصابر وحال من كان بخلافه ذكر قصة نوح وصبره على أذى قومه وتكذيبهم تلك المدة الطويلة ثم عقب ذلك بذكر غيره من الأنبياء ﴿ وثالثها ﴾ انه لما أمر ونهى ووعد وأوعد على امتثال اوامره وارتكاب نواهيه أكد ذلك بقصص الأنبياء

قوله تعالى (١٦) وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٧) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٨) وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٩) أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٠) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي وخلف ألم تروا بالتاء والباقون بالياء وروي عن ابي بكر بالتاء والياء جميعاً وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بفتح الشين ممدودة مهموزة وقرأ الباقون النشأة بسكون الشين غير ممدودة وفي الشواذ قراءة السلمي وزيد بن علي وتخلقون افكا

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة التاء في ألم تروا ان قبلها وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وحجة الياء ان المعنى قل لهم ألم يروا النشاءة والنشأة مثل الرآفة والرأفة والكآبة والكأبة وقال ابو زيد نشأت انشأ نشأ إذا شببت ونشأت السحابة نشأ ولم يذكر النشأة واما تخلقون فإنه على وزن تكذبون وفي معناه

(١) وقد يقال الضمير يرجع الى العقوبة او الواقعة او النجاة ويؤيد الاول اى الذى اختاره المصنف (ره) قوله تعالى فى سورة يس «وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون» فان المراد بالفلك على ما قاله اكثر المفسرين سفينة نوح عليه السلام .

﴿ الإعراب ﴾

كيف يبدئ الله الخلق كيف في موضع نصب على الحال من الله والتقدير أمبدعا يبدئ الله الخلق أم لا ويجوز أن يكون حالا من الخلق فيكون تقديره أمبدعا يبدئ الله الخلق ام لا ثم يعيده ام لا ويجوز ان يكون في موضع مصدر والتقدير ايّ ابداء يبدئ ومثله كيف بدأ الخلق والنشأة منصوبة على المصدر ومفعول ينشئ محذوف تقديره وينشئ الخلق

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وابراهيم) اي وارسلنا ابراهيم (إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) اي اطيعوا الله وخافوه بفعل طاعاته واجتناب معاصيه (ذلكم خير لكم) اي ذلك التقوى خير لكم (إن كنتم تعلمون) ما هو خير مما هو شر لكم (إنما تعبدون من دون الله أوثانا) ما في هذا الموضع كافة والمعنى انكم تعبدون اصناما من حجارة لا تضر ولا تنفع (وتخلقون إفكا) اي تفتعلون كذبا بأن تسموا هذه الأوثان آلهة عن السدي وقيل معناه وتصنعون اصناما بأيديكم وسماها إفكا لادعائهم انها آلهة عن مجاهد وقتادة وابي علي الجبائي ثم ذكر عجز آلهتهم عن رزق عابديها فقال (إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) اي لا يقدرون على أن يرزقوكم والملك قدرة القادر على ماله ان يتصرف في ماله أتم التصرف وليس ذلك إلا لله على الحقيقة فإن الإنسان إنما يملك ما يملكه الله تعالى ويأذن له في التصرف فيه فأصل الملك لجميع الأشياء لله تعالى فمن لا يملك ان يرزق غيره لا يستحق العبادة لأن العبادة تجب بأعلى مراتب النعمة ولا يقدر على ذلك غير الله تعالى فلا يستحق العبادة سواه (فابتغوا عند الله الرزق) اي اطلبوا الرزق من عنده دون من سواه (واعبدوه واشكروا له) على ما أنعم به عليكم من أصول النعم من الحياة والرزق وغيرهما (اليه ترجعون) اي إلى حكمه تصيرون يوم القيامة فيجازيكم على قدر اعمالكم ثم خاطب العرب فقال (وان تكذبوا) اي وان تكذبوا محمدا ﷺ (فقد كذب أمم من قبلكم) انبياءهم الذين بعثوا اليهم (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أي ليس عليه إلا التبليغ الظاهر البين وليس عليه حمل من ارسل اليه على الإيمان (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده) يعني كفار مكة الذين انكروا البعث واقروا بأن الله هو الخالق فقال أولم يتفكروا فيعلموا كيف ابدأ الله الخلق بعد العدم ثم يعيدهم ثانيا إذا اعدمهم بعد وجودهم قال ابن عباس يريد الخلق الأول والخلق الآخر (إن ذلك على الله يسير) غير متعذر لأن من قدر على الانشاء والابتداء فهو على الإعادة اقدر ثم خاطب محمدا ﷺ فقال (قل) لهؤلاء الكفار (سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) وتفكروا في آثار من كان فيها قبلكم وإلى أيّ شيء صار امرهم لتعتبروا بذلك ويؤديكم ذلك إلى العلم بربكم وقيل معناه انظروا وابحثوا هل تجدون خالقا غير الله فإذا علموا انه لا خالق ابتداء إلا الله لزمتهم الحجة في الإعادة وهو قوله (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي ثم الله الذي خلقها وانشأ خلقها ابتداء ينشئها نشأة ثانية ومعنى الانشاء الايجاد من غير سبب (إن الله) تعالى (على كل شيء قدير) اي ان الله على الإنشاء والإفناء والإعادة وعلى كل شيء يشاؤه قدير

قوله تعالى (٢١) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢٢) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٣) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

(٢٥) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ

(خمس آيات)

القراءة

قرأ ابن كثير وأهل البصرة والكسائي مودة بينكم بالرفع والإضافة وقرأ حمزة وحفص بنصب مودة واضافتها إلى بينكم وقرأ الباقون مودة منصوبة منونة بينكم بالنصب إلا الشموني والبرجمي فإنهما قرءا مودة مرفوعة منونة بينكم بالنصب

الحجة

قال ابو علي يجوز في قول من قال مودّةُ بينكم أن يجعل ما اسم إنَّ ويضمر ذكرا يعود إلى ما كما جاء في قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا فيكون التقدير إن الذين اتخذتموهم أوثانا ذوو مودة بينكم ويكون دخول ان على ما لأنه بمنزلة الذي كقوله أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين لعود الذكر اليه ويجوز ان يضمر هو ويجعل مودة بينكم خبرا عنه والجملة في موضع خبر ان ومن قرأ مودّةَ بينكم بالنصب جعل ما مع إنَّ كلمة ولم يعد اليها ذكرا كما اعاد في الوجه الأول وجعل الأوثان منتصبا باتخذتم وعدّاه ابو عمرو إلى مفعول واحد كقوله قل اتخذتم عند الله عهدا والمعنى إنما اتخذتم من دون الله اوثانا آلهة فحذف كما ان قوله إن الذين اتخذوا العجل معناه اتخذوا العجل إلهاً فحذف وانتصب مودة على انه مفعول له وبينكم نصب على الظرف والعامل فيه المودة ومن قال مودة بينكم اضاف المودة إلى البين واتسع بأن جعل الظرف اسما لما اضاف اليه ومثل ذلك قراءة من قرأ لقد تقطع بينكم ومن قرأ مودة بينكم في الحياة الدنيا جاز في قوله بينكم إذا نوّن مودة ضربان ﴿ احدهما ﴾ أن يجعله ظرفا متعلقا بالمصدر لأن الظرفين احدهما من المكان والآخر من الزمان وإنما الذي يمتنع أن يعلق به إذا كانا ظرفين من الزمان أو ظرفين من المكان (فأما) إذا اختلفا فليس بممتنع فقوله في الحياة الدنيا ظرف زمان لأن المعنى في وقت الحياة الدنيا ولا ذكر في واحد من الظرفين كما انك إذا قلت لقيت زيداً اليوم في السوق كان كذلك فإن جعلت الظرف الأول صفة للنكرة كان متعلقا بمحذوف وصار فيه ذكر يعود إلى الموصوف فإذا جعلته صفة للمصدر جاز أن يكون قوله في الحياة الدنيا في موضع حال والعامل فيه الظرف الذي هو صفة للنكرة وفيه ذكر يعود إلى ذي الحال وذو الحال الضمير الذي في الظرف العائد إلى الموصوف الذي هو مودة وهو هي في المعنى فإن قلت هل يجوز أن يتعلق الظرف الذي قد جاز أن يكون حالا بالمودة مع انه قد وصف بقوله بينكم قيل لا يمتنع ذلك لأنك إذا وصفته فمعنى الفعل قائم فيه والظرف يتعلق بمعنى الفعل وإنما الذي يمتنع أن يعمل فيه إذا وصف المفعول به فأما الحال والظرف فلا يمتنع أن يتعلق كل واحد منهما به وان كان قد وصف به وقد جاء في الشعر ما يعمل عمل الفعل إذا وصف عاملا في المفعول به وإذا جاز أن يعمل في المفعول به فلا نظر في جواز عمله فيما ذكرناه من الظرف والحال فمن ذلك قوله

إِذَا فَاقِدٌ خَطْبَاءُ فَرْخَيْنِ رَجَّعَتْ ذَكَرْتُ سُلَيْمَى فِي الْخَلِيطِ الْمُبَايِنِ (١)

والتحقير في ذلك بمنزلة الوصف لو قال هذا ضويرب زيداً لقبح كما يقبح ذلك في الصفة ولم يجز ذلك في حال السعة والاختيار

المعنى

ثم ذكر سبحانه الوعد والوعيد فقال (يعذب من يشاء) معناه انه المالك للثواب والعقاب وإن كان لا يشاء

(١) البيت منسوب الى بشر بن أبي حازم يقول اذا رجعت الحمامة التي لونها الخطبة وهي لون كدر مشرب حمرة في صفرة في غنائها وصوتها حزنا لفقد ولديها ذكرت «سليمى» (معشوقته) في الاعداء. والشاهد في اعمال اسم الفاعل الموصوف وهو فاقد في فرخين.

إلا الحكمة والعدل وما هو الأحسن من الأفعال فيعذب من يشاء ممن يستحق العقاب (ويرحم من يشاء) ممن هو مستحق للرحمة بأن يفز له بالتوبة وغير التوبة (واليه تقلبون) معاشر الخلق أي اليه ترجعون يوم القيامة والقلب هو الرجوع والردّ فمعناه انكم تردّون إلى حال الحياة في الآخرة حيث لا يملك فيه النفع والضر إلا الله وهذا يتعلق بما قبله كأن المنكرين للبعث قالوا إذا كان العذاب غير كائن في الدنيا فلا نبالي به فقال واليه تقلبون و كأنهم قالوا إذا صرفنا إلى حكم الله فزرنا فقال (وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء) اي ولستم بفائتين عن الله في الدنيا ولا في الآخرة فاحذروا مخالفته ومتى قيل كيف وصفهم بذلك وليسوا من أهل السماء فالجواب عنه من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان المعنى لستم بمعجزين فرارا في الأرض ولا في السماء لو كنتم في السماء كقولك ما يفوتني فلان هاهنا ولا بالبصرة يعني ولا بالبصرة لو صار اليها عن قطرب وهو معنى قول مقاتل ﴿ والآخر ﴾ أن المعنى ولا من في السماء بمعجزين فحذف مَنْ لدلالة الكلام عليه كما قال حسان

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ

فكأنه قال ومن يمدحه وينصره سواء ام لا يتساوون عن الفراء وهذا ضعيف عند البصريين (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) ينصركم ويدفع عذاب الله عنكم فلا تغتروا بأن الأصنام تشفع لكم وقيل إن الولي الذي يتولى المعونة بنفسه والنصير يتولى النصرة تارة بنفسه وتارة بأن يأمر غيره به (والذين كفروا بآيات الله) أي جحدوا بالقرآن وبأدلة الله (ولقائه) أي وجحدوا بالبعث بعد الموت (أولئك يئسوا من رحمتي) اخبر انه سبحانه آيسهم من رحمته وجنته أو يكون معناه يجب ان ييأسوا من رحمتي (وأولئك لهم عذاب أليم) أي مؤلم وفي هذا دلالة على أن المؤمن بالله واليوم الآخر لا ييأس من رحمة الله ثم عاد سبحانه إلى قصة ابراهيم فقال (فما كان جواب قومه) يعني حين دعاهم إلى الله تعالى ونهاهم عن عبادة الأصنام (إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه) وفي هذا تسفيه لهم إذ قالوا حين انقطعت حجتهم لا تحاجّوه ولكن اقتلوه أو حرّقوه ليتخلّصوا منه (فأنجاه الله من النار) وهاهنا حذف تقديره ثم اتفقوا على احراقه فأجّجوا ناراً فألقوه فيها فأنجاه الله منها (إن في ذلك لآيات) اي علامات واضحات وحجج بينات (لقوم يؤمنون) بصحة ما اخبرناه به وبتوحيد الله و كمال قدرته (وقال) ابراهيم لقومه (إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم) أي لتتوادوا بها (في الحيوة الدنيا) وقد تقدّم بيانه في الحجة (ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض) اي يتبرأ القادة من الاتباع (ويلعن بعضكم بعضا) اي ويلعن الاتباع القادة لأنهم زيّنوا لهم الكفر وقال قتادة كل خلة تنقلب يوم القيامة عداوة إلا خلة المتقين قال سبحانه الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين (ومأواكم النار) اي ومستقركم النار (وما لكم من ناصرين) يدفعون عنكم عذاب الله

قوله تعالى (٢٦) فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٨) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٩) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٠) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير حفص انكم لتأتون الفاحشة انكم لتأتون الرجال بهمزتين فيهما وقرأ ابو عمرو

بالاستفهام فيهما بهمزة ممدودة آئنكم وقرأ الباقون إنكم لتأتون الفاحشة بكسر الهمزة من غير استفهام ائنكم لتأتون الرجال بالاستفهام إلا ان ابن كثير وورشا ويعقوب قرؤا بهمزة واحدة غير ممدودة وابن عامر وحفص بهمزتين واهل المدينة غير ورش بهمزة واحدة ممدودة

﴿ اللغة ﴾

هاجر القوم من دار إلى دار معناه تركوا الأولى للثانية قال الأزهري أصل المهاجرة خروج البدوي من البادية إلى المدن وتهجّر اي تشبّه بالمهاجرين ومنه حديث عمر هاجروا ولا تهجروا اي اخلصوا الهجرة لله والنادي والندي المجلس إذا اجتمعوا فيه وتنادى القوم اجتمعوا في النادي ودار الندوة دار قصي بن كلاب كانوا يجتمعون فيه للمشاورة تبركا به والأصل من النداء لأن القوم ينادي بعضهم بعضا

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدّم بأن قال (فآمن له لوط) اي فصدّق بابراهيم لوط وهو ابن أخته وكان لابراهيم خاله عن ابن عباس وابن زيد وجمهور المفسرين وهو اول من صدق بابراهيم «ع» (وقال) ابراهيم (إني مهاجر إلى ربي) اي خارج من جملة الظالمين على جهة الهجر لهم لقبيح اعمالهم من حيث امرني ربي وقيل معناه قال لوط اني مهاجر الى ربي عن الجبائي وخرج ابراهيم «ع» ومعه لوط وامرأته سارة وكانت ابنة عمه من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة إلى ارض الشام عن قتادة ومثل هذا هجرة المسلمين من مكة الى ارض الحبشة اولا ثم إلى المدينة ثانيا لأنهم هجروا ديارهم واوطانهم بسبب أذى المشركين لهم (إنه هو العزيز) الذي لا يذلّ من نصره (الحكيم) الذي لا يضيع من حفظه (ووهبنا له) اي لابراهيم من بعد اسماعيل (اسحاق ويعقوب) من وراء اسحاق (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) وذلك ان الله سبحانه لم يبعث نبيا من بعد ابراهيم إلا من صلبه فالتوراة والانجيل والزبور والفرقان كلها أنزلت على اولاده (وآتيناه أجره في الدنيا) وهو الذكر الحسن والولد الصالح عن ابن عباس وقيل هو رضى اهل الأديان به فكلهم يحبّونه ويتولونه عن قتادة وقيل هو انه أري مكانه في الجنة عن السدي وقال بعض المتأخرين هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره من الأنبياء قال البلخي وفي هذا دلالة على انه يجوز أن يثيب الله في دار التكليف ببعض الثواب (وانه في الآخرة لمن الصالحين) يعني ان ابراهيم مع ما أعطي من الأجر والثواب في الدنيا يحشره الله في جملة الصالحين العظيمي الأقدار مثل آدم ونوح (ولوطا إذ قال لقومه) أي وارسلنا لوطا ويجوز أن يريد واذكر لوطا حين قال لقومه (إنكم لتأتون الفاحشة) من قرأ بلفظ الاستفهام أراد به الانكار دون الاستعلام ومن قرأ انكم على الخبر اراد ان لوطا قال ذلك لقومه منكراً لفعلهم لا مفيداً معلما لهم لأنهم قد علموا ما فعلوه والفاحشة هاهنا ما كانوا يفعلونه من اتيان الذكران (ما سبقكم بها) اي بهذه الفاحشة (من احد من العالمين) اي احد من الخلائق ثم فسّر الفاحشة بقوله (إنكم لتأتون الرجال) اي تنكحونهم (وتقطعون السبيل) قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ تقطعون سبيل الولد باختياركم الرجال على النساء ﴿ وثانيها ﴾ انكم تقطعون الناس عن الأسفار بإتيان هذه الفاحشة فإنهم كانوا يفعلون هذا الفعل بالمجتازين من ديارهم وكانوا يرمون ابن السبيل بالحجارة بالحذف[1] فأيّهم اصابه كان أولى به ويأخذون ماله وينكحونه ويغرمونه ثلاثة دراهم وكان لهم قاض يقضي بذلك ﴿ وثالثها ﴾ انهم كانوا يقطعون الطريق على الناس كما يفعل قطاع الطريق في زماننا (وتأتون في ناديكم المنكر) قيل فيه ايضا وجوه ﴿ احدها ﴾ هو انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم من غير حشمة ولا حياء عن ابن عباس وروي ذلك عن الرضا «ع» ﴿ وثانيها ﴾ انهم كانوا يأتون الرجال في مجالسهم يرى بعضهم بعضا عن مجاهد ﴿ وثالثها ﴾ كانت مجالسهم تشتمل على انواع من المناكير والقبائح مثل الشتم والسخف والصفع[2] والقمار وضرب المخراق[3] وحذف

(١) ضرب من الرمي والضرب . (٢) صفعه صفعا: ضرب قفاه أو بدنه بكفه مبسوطة . (٣) المخراق : المنديل يلف ليضرب به .

الاحجار على من مر بهم وضرب المعازف والمزامير وكشف العورات واللواط قال الزجاج وفي هذا اعلام انه لا ينبغي أن يتعاشر الناس على المناكير ولا ان يجتمعوا على المناهي ولما انكر لوط على قومه ما كانوا يأتونه من الفضائح قالوا له استهزاء ائتنا بعذاب الله وذلك قوله (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) وعند ذلك (قال) لوط (رب انصرني على القوم المفسدين) الذين فعلوا المعاصي وارتكبوا القبائح وأفسدوا في الأرض

قوله تعالى (٣١) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٤) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٥) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ويعقوب لَنُنَجِّيَنَّهُ خفيفة الجيم ساكنة النون والباقون لَنُنَجِّيَنَّهُ بالتشديد وقرأ ابن كثير واهل الكوفة غير حفص ويعقوب إنا مُنْجُوك بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ ابن عامر مُنَزِّلون بالتشديد والباقون مُنْزِلُون بالتخفيف

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ لَنُنَجِّيَنَّهُ وإنا مُنَجُّوك قوله فأنجيه الله من النار وحجة من ثقل قوله ونجّينا الذين آمنوا يقال نجا زيد ونجيته وأنجيته مثل فرحته وافرحته وكذلك قولك نزل إذا عدّيته قلت نزّلته وأنزلته

المعنى

ثم بيّن سبحانه انه استجاب دعاء لوط وبعث جبرائيل ومعه الملائكة لتعذيب قومه بقوله (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) اي يبشرونه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب (قالوا إنا مهلكوا اهل هذه القرية) يعنون قرية قوم لوط «ع» وإنما قالوا هذا لأن قريتهم كانت قريبة من قرية قوم ابراهيم (إن أهلها كانوا ظالمين) اي مشركين مرتكبين للفواحش (قال) ابراهيم (إن فيها لوطاً) فكيف تهلكونها (قالوا) في جوابه (نحن اعلم بمن فيها لننجينه وأهله) اي لنخلصنّ لوطا من العذاب باخراجه منها ولنخلصن ايضا اهله المؤمنين منهم (إلا امرأته) فإنها تبقى في العذاب لا تنجو منه وذلك قوله (كانت من الغابرين) اي من الباقين في العذاب (ولما ان جاءت رسلنا لوطا) أن هذه مزيدة (سيء بهم) معناه سيء لوط بالملائكة اي ساءه مجيئهم لما رآهم في احسن صورة لما كان يعلمه من خبث فعل قومه عن قتادة وقيل معناه سيء بقومه لما علم من عظيم البلاء النازل بهم (وضاق بهم ذرعا) اي ضاق قلبه وقبل ضاقت حيلته فيما أراد من حفظهم وصيانتهم عن الجبائي فلما رأى الملائكة حزنه وضيق صدره (قالوا لا تخف) علينا وعليك (ولا تحزن) بما نفعله بقومك وقيل لا تخف ولا تحزن علينا فإنا رسل الله لا يقدرون علينا (إنا منجوك وأهلك)

من العذاب (إلا امرأتك) الكافرة (كانت من الغابرين) اي الباقين في العذاب (إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً) اي عذابا من السماء (بما كانوا يفسقون) اي يخرجون من طاعة الله إلى معصيته اي جزاء بفسقهم (ولقد تركنا منها آية بينة) اي تركنا من تلك القرية عبرة واضحة ودلالة على قدرتنا قال قتادة هي الحجارة التي امطرت عليهم وقال ابن عباس هي آثار منازلهم الخربة وقال مجاهد هي الماء الأسود على وجه الارض (لقوم يعقلون) ذلك ويبصرونه ويتفكرون فيه ويتعظون به فيزجرهم ذلك عن الكفر بالله واتخاذ شريك معه في العبادة

قوله تعالى (٣٦) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٧) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٣٨) وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٩) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٤٠) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (خمس آيات)

﴿ اللغة ﴾

الرجفة زعزعة الأرض تحت القدم يقال رجف السطح من تحت اهله يرجف رجفا ورجفة شديدة والبحر رجاف لاضطرابه وأرجف الناس بالشيء أي اخبروا بما يضطرب لأجله من غير تحقق به. والحاصب الريح العاصفة التي فيها الحصباء وهي الحصى الصغار يشبه به البرد والجليد قال الفرزدق

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا ... بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ الْقُطْنِ مَنْثُورِ

وقال الأخطل

وَلَقَدْ عَلِمْتَ إِذَا الْعِشَارُ تَرَوَّحَتْ ... هَدَجَ الرِّئَالِ بِكُنَّهُنَّ شِمَالَا

تَرْمِي الْعِضَاهَ بِحَاصِبٍ مِنْ ثَلْجِهَا ... حَتَّى تَبِيتَ عَلَى الْعِضَاهِ جِفَالَا(١)

والخسف سوخ الأرض بما عليها يقال خسف الله به الأرض وخسف القمر اذهاب نوره والخسوف للقمر والكسوف للشمس

﴿ الاعراب ﴾

اخاهم ينتصب بفعل مضمر والتقدير وأرسلنا إلى مدين اخاهم وعاداً منصوب بفعل مضمر تقديره وأهلكنا عادا وثمود وقد تبيَّن فاعله مضمر تقديره وقد تبين اهلاكهم لكم وكانوا مستبصرين في موضع نصب على الحال. ليظلمهم اللام لتأكيد النفي ولا يجوز اظهار أن بعده

(١) قوله لقدعلمت اى ايها الامير ، اذاهوظرف مفعول ثان لعلمت ، والعشار جمع عشراء وهى الناقة يمضى لها من حين اللقاح عشرة أشهر ، و تروحت استنشقت و مفعوله شمالا و هى ريح معروفة بشدة توصف بشدة البرد، و هدج الرئال الهدج مصدر هدج الظليم اى ذكر النعام اذامشى فى ارتعاش، والرئال جمع رائل وهو فرخ النعام وهو مفعول اول ←

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدّم فقال (وإلى مدين) أي وأرسلنا إلى مدين (أخاهم شعيباً) وهذا مفسر فيما مضى (فقال ياقوم اعبدوا الله) بدأ بالدعاء إلى التوحيد والعبادة (وارجوا اليوم الآخر) اي وأملوا ثواب اليوم الآخر واخشوا عقابه بفعل الطاعات وتجنب السيئات (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) اي لاتسعوا في الأرض بالفساد ثم اخبر ان قومه كذّبوه ولم يقبلوا منه فعاقبهم الله وذلك قوله (فكذّبوه فأخذتهم الرجفة) وقد مرّ بيانه (فأصبحوا في دارهم جاثمين) اي بارکين على رکبهم ميتين (وعادا وثمود) اي وأهلكنا ايضا عادا وثمود جزاء لهم على كفرهم (وقد تبين لكم) معاشر الناس كثير (من مساكنهم) وقيل معناه وقد ظهر لكم يا أهل مكة من منازلهم بالحجر واليمن آية في هلاكهم (وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدّهم عن السبيل) اي فمنعهم عن طريق الحق (وكانوا مستبصرين) اي وكانوا عقلاء يمكنهم التمييز بين الحق والباطل بالاستدلال والنظر ولكنّهم اغفلوا ولم يتدبّروا وقيل معناه إنهم كانوا مستبصرين عند انفسهم فيما كانوا عليه من الضلالة يحسبون انهم على هدى عن قتادة والكلبي (وقارون) اي وأهلكنا قارون (وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات) اي بالحجج الواضحات من قلب العصا حية واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها (فاستكبروا) اي طلبوا التجبر (في الأرض) ولم ينقادوا للحق (وما كانوا سابقين) اي فائتين الله كما يفوت السابق (فكلا اخذنا بذنبه) اي فأخذنا كلاً من هؤلاء بذنبه وعاقبناهم بتكذيبهم الرسل (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) أي حجارة وقيل ريحا فيها حصى وهم قوم لوط عن ابن عباس وقتادة وقيل هم عاد (ومنهم من اخذته الصيحة) وهم ثمود وقوم شعيب عن ابن عباس وقتادة والصيحة العذاب وقيل صاح بهم جبرائيل فهلكوا (ومنهم من خسفنا به الأرض) وهو قارون (ومنهم من اغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) فيعذّبهم على غير ذنب أو قبل ازاحة العلة (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بكفرهم وتكذيبهم الرسل وفي هذا دلالة واضحة على فساد مذهب اهل الجبر فإن الظلم لو كان من فعل الله كما يزعمون لما كان هؤلاء هم الظالمين لنفوسهم بل كان الظالم لهم من فعل فيهم الظلم تعالى الله عن ذلك

قوله تعالى (٤١) مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤٢) إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٣) وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٤) خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٤٥) اُتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ اهل البصرة وعاصم إلا الأعمش والبرجمي ما يدعون بالياء والباقون بالتاء

لعلت «بكنهن» الكن : مايكنك به من الحر والبرد، وترمى العضاه و هى شجرة كبيرة بعاصب اى ريح عاصف والمراد به هنا الثلج على التشبيه، فتكون «من» فى قوله من ثلجها بيانية «حتى تبيت» اى ذلك العاصب على العضاه . جفالا وهو الصوف الكثير ، والمعنى : ولقد علمت ايها الامير مشى الفراخ فى ارتعاش فى مسكنهن عند هبوب هذه

الحجة والاعراب

قال ابو علي التاء على قوله قل لهم إن الله يعلم ما تدعون لايكون إلا عند هذا لأن المسلمين لايخاطبون بذلك وما استفهام وموضعه نصب بيدعون ولا يجوز أن يكون نصبا بيعلم ولكن صارت الجملة التي هي منها في موضع نصب بيعلم ولا يكون يعلم بمعنى يعرف كقوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت لأن ذلك لا يلغى وما لا يلغى لا يعلق ويبعد ذلك دخول من في الكلام وهي إنما تدخل في نحو قولك هل من طعام وهل من رجل ولا تدخل في الايجاب هذا قول الخليل وكذلك قوله فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار المعنى فستعلمون المسلم تكون له عاقبة الدار ام للكافر وكل ما كان من هذا فهكذا القول فيه وهو قياس قول الخليل

اللغة

جمع العنكبوت عناكب وتصغيره عنيكب ووزنه فعللوت وهو يذكر ويؤنث قال الشاعر

عَلَىٰ هَطَّالِهِمْ مِنْهُمْ بُيُوتٌ كَأَنَّ الْعَنْكَبُوتَ هُوَ ابْتَنَاهَا (١)

ويقال فيه العنكباء

المعنى

ثم شبّه سبحانه حال الكفار الذين اتخذوا من دونه آلهة بحال العنكبوت فقال (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء) اي شبه من اتخذ الأصنام آلهة يريدون نصرها ونفعها وضرها والرجوع اليها عند الحاجة (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها لتأوي اليه فكما أن بيت العنكبوت لا يغني عنها شيئا لكونه في غاية الوهن والضعف ولا يجدي نفعا كذلك الأصنام لا تملك لهم خيراً وشراً ونفعا وضراً والولي هو المتولي للنصرة وهو ابلغ من الناصر لأن الناصر قد يكون ناصرا بأن يأمر غيره بالنصرة والولي هو الذي يتولى النصرة بنفسه (وان اوهن البيوت) اي اضعفها (لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) صحة ما اخبرناهم به ويتحققون ولو متعلقة بقوله اتخذوا أي لو علموا ان اتخاذهم الأولياء كاتخاذ العنكبوت بيتا سخيفا لم يتخذوهم اولياء ولا يجوز أن تكون متعلقة بقوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لأنهم كانوا يعلمون ان بيت العنكبوت واهٍ ضعيف (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) هذا وعيد منه سبحانه ومعناه انه يعلم ما يعبد هؤلاء الكفار وما يتخذونه من دونه اربابا (وهو العزيز) الذي لا يغالب فيما يريده (الحكيم) في جميع افعاله (وتلك الامثال) وهي الاشباه والنظائر يعني امثال القرآن (نضربها للناس) اي نذكرها لهم لندعوهم إلى المعرفة والتوحيد ونعرفهم قبح ما هم فيه من عبادة الأصنام (وما يعقلها إلا العالمون) أي وما يفهمها إلا من يعلم وجه الشبه بين المثل والممثل به وقيل معناه وما يعقل الامثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله وروى الواحدي بالاسناد عن جابر قال تلا النبي ﷺ هذه الآية وقال العالم الذي عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ثم بيّن سبحانه ما يدلّ على إلهيته واستحقاقه العبادة فقال (خلق الله السموات والأرض) اي اخرجهما من العدم إلى الوجود ولم يخلقهما عبثا بل خلقهما ليسكنها خلقه وليستدلّوا بها على اثباته ووحدانيته (بالحق) اي على وجه الحكمة وقيل معناه للحق واظهار الحق (إن في ذلك لآية للمؤمنين) لأنهم المنتفعون بذلك ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال (اتل ما اوحي اليك من الكتاب) يعني القرآن

الربح الموصوفة بالصفات المذكورة ما رحمتي وجدعلى، والمراد من البيت الاسترحام والاستعطاف (كذا في هامش المخطوطة) . (١) هطال: اسم جبل .

اي اقرأه على المكلفين واعمل بما تضمنه (وأقم الصلاة) اي ادّها بحدودها في مواقيتها (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) في هذا دلالة على ان فعل الصلاة لطف للمكلف في ترك القبيح والمعاصي التي ينكرها العقل والشرع فإن انتهى عن القبيح يكون توفيقا والا فقد اتي المكلف من قبل نفسه وقيل ان الصلاة بمنزلة الناهي بالقول إذا قال لا تفعل الفحشاء والمنكر وذلك لأن فيها التكبير والتسبيح والتهليل والقراءة والوقوف بين يدي الله تعالى وغير ذلك من صنوف العبادة وكل ذلك يدعو إلى شكله ويصرف عن ضدّه فيكون مثل الأمر والنهي بالقول وكل دليل مؤدّ إلى المعرفة بالحق فهو داع اليه وصارف عن الباطل الذي هو ضدّه وقيل معناه ان الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها وقيل معناه انه ينبغي أن تنهاه كقوله ومن دخله كان آمنا وقال ابن عباس في الصلاة منهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تنهه صلاته عن المعاصي لم يزدد من الله إلا بعداً وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وروى انس بن مالك الجهني عن النبي ﷺ قال انه من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا وروي عن ابن مسعود ايضا عن النبي ﷺ انه قال لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة ان ينتهي عن الفحشاء والمنكر ومعنى ذلك ان الصلاة إذا كانت ناهية عن المعاصي فمن اقامها ثم لم ينته عن المعاصي لم تكن صلاته بالصفة التي وصفها الله بها فإن تاب من بعد ذلك وترك المعاصي فقد تبين أن صلاته كانت نافعة له ناهية وان لم ينته إلا بعد زمان وروى انس ان فتى من الانصار كان يصلي الصلاة مع رسول الله ﷺ ويرتكب الفواحش فوصف ذلك لرسول الله ﷺ فقال إن صلاته تنهاه يوما وعن جابر قال قيل لرسول الله ﷺ إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلاته لترده وروى اصحابنا عن ابي عبد الله «ع» قال من احبَّ ان يعلم اقبلت صلاته ام لم تقبل فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر فبقدر ما منعته قبلت منه (ولذكر الله أكبر) اي ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته عن ابن عباس وسلمان وابن مسعود ومجاهد وقيل معناه ذكر العبد لربه اكبر مما سواه وافضل من جميع اعماله عن سلمان في رواية اخرى وابن زيد وقتادة وروي ذلك عن ابي الدرداء وعلى هذا فيكون تأويله أن اكبر شيء في النهي عن الفحشاء ذكر العبد ربه وأوامره ونواهيه وما اعدّه من الثواب والعقاب فإنه اقوى لطف يدعو إلى الطاعة وترك المعصية وهو اكبر من كل لطف وقيل معناه ذكر الله العبد في الصلاة اكبر من الصلاة عن ابي مالك وقيل ان ذكر الله هو التسبيح والتقديس والتهليل وهو اكبر واحرى بأن ينهى عن الفحشاء والمنكر عن الفراء اي من كان ذاكراً لله فيجب أن ينهاه ذكره عن الفحشاء والمنكر وروي عن ثابت البناني قال ان رجلا اعتق اربع رقاب فقال رجل آخر سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ثم دخل المسجد فأتى حبيب بن اوفى السلمي واصحابه فقال ما تقولون في رجل اعتق اربع رقاب واني أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر فأيهما افضل فنظروا هنيهة فقالوا ما نعلم شيئا افضل من ذكر الله وعن معاذ بن جبل قال ما من عمل آدمي عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل وقيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد فإن الله عز وجل يقول ولذكر الله اكبر وعنه قال سألت رسول الله ﷺ اي الأعمال احبُّ إلى الله قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل وقال ﷺ يامعاذ ان السابقين الذين يسهرون بذكر الله

عزوجل ومن احب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وروي عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال قال ابن عباس أرأيت قول الله عز وجل ولذكر الله اكبر قال قلت ذكر الله بالقرآن حسن وذكره بالصلاة حسن وبالتسبيح والتكبير والتهليل حسن وأفضل من ذلك أن يذكر الرجل ربه عند المعصية فينحجز عنها فقال ابن عباس لقد قلت قولا عجيبا وما هو كما قلت ولكن ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه (والله يعلم ما تصنعون) من خير وشر فيجازيكم بحسبه

قوله تعالى (٤٦) وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٧) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٨) وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٩) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٥٠) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابن كثير واهل الكوفة غير حفص وقتيبة آية من ربه على التوحيد والباقون آيات على الجمع

الحجة

قال ابو علي حجة الافراد قوله فليأتنا بآية وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية وحجة الجمع ان في حرف أبي زعموا لولا يأتينا بآيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وقد تقع آية على لفظ الواحد ويراد به كثرة كما جاء وجعلنا ابن مريم وأمه آية وليس في قوله قل إنما الآيات عند الله دلالة على ترجيح من قرأ آيات لأنه لما اقترحوا آية قيل إنما الآيات عند الله والمعنى الآية التي اقترحتموها وآيات أخر لم تقترحوها

اللغة

أصل الجدل شدة الفتل يقال جدلته اجدله جدلا إذا فتلته فتلا شديدا والجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه وقيل ان اصله من الجدالة وهي الأرض فإن كل واحد من الخصمين يروم أن يلقي صاحبه بالجدالة. الخط معروف والارتياب والريبة شك مع تهمة

الاعراب

الذين ظلموا منهم في محل النصب على الاستثناء من أهل الكتاب وكذلك انزلنا اليك الكتاب تقديره وكما أنزلنا الى اهل الكتاب الكتاب أنزلنا اليك الكتاب. إذا لارتاب المبطلون اللام للقسم وفي الكلام حذف تقديره ولو خططته بيمينك او تلوت قبله كتابا إذا والله لارتابوا به. من ربه في موضع رفع بأنه صفة آية

المعنى

لما تقدم الأمر بالدعاء الى الله سبحانه بيّن عقيبه كيف يدعونهم و كيف يجادلونهم فقال (ولا تجادلوا اهل الكتاب) وهم نصارى بني نجران وقيل اليهود والنصارى (إلا بالتي هي احسن) اي بالطريق التي هي احسن وإنما يكون احسن إذا كانت المناظرة برفق ولين لإرادة الخير والنفع بها ومثله قوله فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والأحسن الأعلى في الحسن من جهة قبول العقل له وقد يكون ايضا أعلى في الحسن من جهة قبول الطبع وقد يكون في الأمرين جميعا وفي هذا دلالة على وجوب الدعاء الى الله تعالى على احسن الوجوه وألطفها واستعمال القول الجميل في التنبيه على آيات الله وحججه (إلا الذين ظلموا منهم) اي إلا من أبى ان يقرّ بالجزية منهم ونصب الحرب فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل إلا الذين ظلموا منهم بالعناد و كتمان صفة نبينا ﷺ بعد العلم به عن ابي مسلم وقيل إلا الذين ظلموا منهم بالإقامة على الكفر بعد قيام الحجة عن ابن زيد والأولى ان يكون معناه إلا الذين ظلموك في جدالهم او في غيره مما يقتضي الاغلاظ لهم فيجوز أن يسلكوا معهم طريقة الغلظة وقيل ان الآية منسوخة بآية السيف عن قتادة والصحيح انها غير منسوخة لأن الجدال على الوجه الأحسن هو الواجب الذي لا يجوز غيره (وقولوا) لهم في المجادلة وفي الدعوة الى الدين (آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم) اي بالكتاب الذي أنزل الينا وبالكتاب الذي انزل اليكم (وإلهنا وإلهكم واحد) لا شريك له (ونحن له مسلمون) اي مخلصون طائعون (وكذلك) اي ومثل ما انزلنا الكتاب على موسى وعيسى (أنزلنا اليك الكتاب) وهو القرآن (فالذين آتيناهم الكتاب) اي علم الكتاب فحذف المضاف (يؤمنون به) يعني مؤمني اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام ونظرائه (ومن هؤلاء) يعني كفار مكة (من يؤمن به) يعني من اسلم منهم ويجوز ان تكون الهاء في به راجعة الى النبي ﷺ ويجوز ان تكون راجعة الى القرآن ويحتمل ايضا ان يريد بقوله الذين آتيناهم الكتاب المسلمين والكتاب القرآن ومن هؤلاء يعني ومن اليهود والنصارى من يؤمن به (وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) اي وما ينكر دلالاتنا إلا الكافرون ولا يضرّك جحودهم ثم خاطب نبيّه ﷺ فقال (وما كنت تتلو من قبله من كتاب) اي وما كنت يا محمد تقرأ قبل القرآن كتابا والمعنى انك لم تكن تحسن القراءة قبل ان يوحى اليك بالقرآن (ولا تخطّه بيمينك) معناه وما كنت ايضا تكتبه بيدك (إذا لارتاب المبطلون) اي ولو كنت تقرأ كتابا او تكتبه لوجد المبطلون طريقا الى اكتساب الشك في امرك والقاء الريبة لضعفة الناس في نبوتك ولقالوا إنما تقرأ علينا ما جمعته من كتب الأولين فلما ساويتهم في المولد والمنشأ ثم أتيت بما عجزوا عنه وجب ان يعلموا انه من عند الله تعالى وليس من عندك إذ لم تجر العادة أن ينشأ الانسان بين قوم يشاهدون احواله من عند صغره الى كبره ويرونه في حضره وسفره لا يتعلم شيئاً من غيره ثم يأتي من عنده بشيء يعجز الكل عنه وعن بعضه ويقرأ عليهم اقاصيص الأولين. قال الشريف الأجل المرتضى علم الهدى قدّس الله روحه هذه الآية تدل على ان النبي ﷺ ما كان يحسن الكتابة قبل النبوة فأما بعد النبوة فالذي نعتقده في ذلك التجويز لكونه عالما بالكتابة والقراءة والتجويز لكونه غير عالم بهما من غير قطع على احد الأمرين وظاهر الآية يقتضي ان النفي قد تعلق بما قبل النبوة دون ما بعدها ولأن التعليل في الآية يقتضي اختصاص النفي بما قبل النبوة لأن المبطلين إنما

يرتابون في نبوته ﷺ لو كان يحسن الكتابة قبل النبوة فأما بعد النبوة فلا تعلق له بالريبة والتهمة فيجوز ان يكون قد تعلمها من جبرائيل «ع» بعد النبوة ثم قال سبحانه (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) يعني ان القرآن دلالات واضحات في صدور العلماء وهم النبي ﷺ والمؤمنون به لأنهم حفظوه ووعوه ورسخ معناه في قلوبهم عن الحسن وقيل هم الأئمة (ع) من آل محمد عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل إن هو كناية عن النبي ﷺ اي انه في كونه اميا لا يقرأ ولا يكتب آيات بينات في صدور العلماء من اهل الكتاب لأنه منعوت في كتبهم بهذه الصفة عن الضحاك وقال قتادة المراد به القرآن وأعطى هذه الأمة الحفظ ومن كان قبلها لا يقرؤون الكتاب إلا نظرا فإذا اطبقوه لم يحفظوا ما فيه إلا اليسير (وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) الذين ظلموا انفسهم بترك النظر فيها والعناد لها بعد حصول العلم لهم بها وقيل يريد بالظالمين كفار قريش واليهود وقالوا يعني كفار مكة (لولا انزل عليه آية من ربه) أراد به الآيات التي اقترحوها في قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات وان يجعل الصفا ذهبا وقيل انهم سألوا آية كآية موسى «ع» من فلق البحر وقلب العصا حية وجعلوا ما أتى به من المعجزات والآيات غير آية وحجة لإلقاء الشبهة بين العوام فقال الله تعالى (قل) يا محمد لهم (إنما الآيات عند الله) ينزلها ويظهرها بحسب ما يعلم من مصالح عباده وينزل على كل نبي منها ما هو أصلح له ولأمته ولذلك لم تتفق آيات الأنبياء كلها وإنما جاء كل نبي بفن منها (وإنما انا نذير مبين) اي منذر مخوف من معصية الله مظهر طريق الحق والباطل وقد فعل الله سبحانه ما يشهد بصدقي من المعجزات

قوله تعالى (٥١) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٣) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٤) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٥) يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ نافع وأهل الكوفة ويقول بالياء والآخرون بالنون

الحجة

قال ابو علي ويقول اي ويقول الموكل بعذابهم ذوقوا كقوله والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم تجزون عذاب الهون اي يقولون لهم ومن قرأ بالنون فلأن ذلك لما كان بأمره سبحانه جاز أن ينسب اليه والمعنى ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون وإنما قيل ذوقوا لوصول ذلك إلى المعذبين واتصاله كوصول المذوق إلى الذائق قال (دونك ما جنيته فأحسن وذق)[1]

الاعراب

يتلى في موضع نصب على الحال من الكتاب اي متلوا عليهم. يعلم ما في السماوات يجوز ان يكون صفة

(١) دونك اى خذ. واحس فعل امر من حسا يحسو اى اشرب.

لقوله شهيدا ويجوز أن يكون حالا ويجوز أن يكون جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب. وليأتينهم اللام جواب قسم مقدر. بغتة منصوب على الحال. يوم يغشيهم ظرف لقوله محيطة

المعنى

لمّا تقدّم طلبهم للآيات أجابهم سبحانه فقال (او لم يكفهم انا انزلنا عليك) يا محمد (الكتاب) اي القرآن (يتلى عليهم) بيّن سبحانه ان في انزال القرآن دلالة واضحة ومعجزة لائحة وحجة بالغة تنزاح معه العلة وتقوم به الحجة فلا يحتاج في الوصول إلى العلم بصحة نبوته إلى غيره على ان اظهار المعجزات مع كونها ازاحة للعلة تراعى فيه المصلحة فإذا كانت المصلحة في اظهار نوع منها لم يجز اظهار غيرها ولو اظهر الله سبحانه الآيات التي اقترحوها ثم لم يؤمنوا لاقتضت الحكمة اهلاكهم بعذاب الاستئصال كما اقتضت ذلك في الامم السالفة وقد وعد الله سبحانه ان لا يعذب هذه الامة بعذاب الاستئصال وفي هذا دلالة على أن القرآن كاف في المعجز وانه في أعلى درجات الإعجاز لأنه جعله كافيا عن جميع المعجزات والكفاية بلوغ حدّ ينافي الحاجة (إن في ذلك) معناه ان في القرآن (لرحمة) اي نعمة عظيمة الموقع لأن من تبعه وعمل به نال الثواب وفاز بالجنة (وذكرى) اي وتذكير او موعظة (لقوم يؤمنون) اي يصدّقون به وقيل ان قوما من المسلمين كتبوا شيئا من كتب اهل الكتاب فهدّدهم سبحانه في هذه الآية ونهاهم عنه وقال النبي ﷺ جئتكم بها بيضاء نقية (قل) يا محمد (كفى بالله بيني وبينكم شهيداً) لي بالصدق والإبلاغ وعليكم بالتكذيب والعناد وشهادة الله له قوله محمد رسول الله وهو في كلام معجز قد ثبت انه من الله سبحانه وقيل ان شهادة الله له اثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه (يعلم ما في السموات والأرض) فيعلم اني على الهدى وانكم على الضلالة (والذين آمنوا بالباطل) اي صدقوا بغير الله عن ابن عباس وقيل بعبادة الشيطان عن مقاتل (وكفروا بالله) اي جحدوا وحدانية الله (أولئك هم الخاسرون) خسروا ثواب الله بارتكاب المعاصي والجحود بالله (ويستعجلونك بالعذاب) يا محمد اي يسألونك نزول العذاب عاجلا لجحودهم صحة ما توعدهم به كما قال النضر بن الحرث امطر علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) أي وقت قدرة الله تعالى أن يعاقبهم فيه وهو يوم القيامة او أجل قدّره الله تعالى أن يقيهم اليه لضرب من المصلحة (لجاءهم العذاب) الذي استحقّوه (وليأتينهم) العذاب (بغتة وهم لا يشعرون) بإتيانه ووقت مجيئه ثم ذكر ان موعد عذابهم النار فقال (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) يعني ان العذاب وإن لم يأتهم في الدنيا فإن جهنم محيطة بهم اي جامعة لهم وهم معذّبون فيها لا محالة (يوم يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم) يعني ان العذاب يحيط بهم لا انه يصل الى موضع منهم دون موضع فلا يبقى جزء منهم إلا وهو معذب في النار عن الحسن وهذا كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش (ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) اي جزاء اعمالكم وافعالكم القبيحة

قوله تعالى (٥٦) يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٧) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٩) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٦٠) وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ يرجعون بالياء يحيى عن ابي بكر وهشام والباقون بالتاء وقرأ اهل الكوفة غير عاصم لنثوينهم بالثاء والباقون لنبوئنهم بالباء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي اما يرجعون بالياء فلأن الذي قبله على لفظ الغيبة وترجعون على انه انتقل من الغيبة إلى الخطاب مثل اياك نعبد بعد قوله الحمد لله وحجة من قرأ لنبوئنهم بالباء قوله ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوء صدق وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وتكون اللام هنا زائدة كزيادتها في قوله ردف لكم ويجوز ان يكون بوأنا لدعاء ابراهيم (ع) ويكون المفعول محذوفا اي بوأنا لدعائه ناسا مكان البيت ومن قرأ لنثوينهم فحجته قوله وما كنت ثاويا في اهل مدين اي مقيما نازلا فيهم قال الأعشى

أَثْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَهُ لِيُزَوِّدَا وَمَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا (١)

وقال حسان « ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حَجَّةً » أي أقام فيهم فإذا تعدّى بحرف جرّ فزيدت عليه الهمزة وجب أن يتعدّى إلى المفعول الثاني بحرف جرّ وليس في الآية حرف جر قال ابو الحسن قرأ الأعمش لنثوينهم من الجنة غرفا ولا يعجبني لأنك لا تقول اثويته الدار قال ابو علي ووجهه انه كان في الأصل لنثوينهم من الجنة في غرف كما يقول لننزلنهم من الجنة في غرف وحذف الجار كما حذف من قولك « أمرتك الخير فافعل ما امرت به » ويقوي ذلك أن الغرف وإن كانت اماكن مختصة فقد اجريت المختصة من هذه الحروف مجرى غير المختص نحو قوله (كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ) (٢) ونحو ذهبت الشام عند سيبويه

﴿ الاعراب ﴾

خالدين نصب على الحال من الهاء والميم . الذين صبروا في موضع جر صفة للعاملين ويكون المخصوص بالمدح محذوفا اي نعم اجر العاملين الصابرين المتوكلين اجرهم ويجوز أن يكون المضاف محذوفا اي نعم اجر العاملين اجر الذين صبروا فحذف المخصوص بالمدح واقام المضاف اليه مقامه . وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله . موضع كأين مرفوع . ومن دابة في موضع التبيين له . وقوله لا تحمل رزقها صفة للمجرور ويكون قوله الله مبتدأ ويرزقها خبره والجملة خبر كأين

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت الآية الاولى في المستضعفين من المؤمنين بمكة امروا بالهجرة عنها عن مقاتل والكلبي ونزل قوله وكأين من دابة لا تحمل رزقها في جماعة كانوا بمكة يؤذيهم المشركون فأمروا بالهجرة إلى المدينة فقالوا كيف نخرج اليها وليس لنا بها دار ولا عقار ومن يطعمنا ومن يسقينا ؟

﴿ المعنى ﴾

ثم بيّن سبحانه انه لا عذر لعباده في ترك طاعته فقال (ياعبادي الذين آمنوا إن ارضي واسعة)

(١) قوله « و أخلف » اى صادفها مخلفة وعدها ، وقتيلة : اسم معشوقته وقد مر البيت في صفحة ٤٦٤ من المجلد الثالث ايضاً . (٢) وتمام البيت « لدن بهز الكف يعسل متنه ☆ فيه كما عسل الطريق . . . اه) وهو مذكور في جامع الشواهد وقد مر في الكتاب ايضاً غير مرة .

ببعد اقطارها فاهربوا من ارض يمنعكم اهلها من الايمان والاخلاص في عبادتي وقال ابو عبد الله (ع) معناه إذا عصي الله في ارض انت فيها فاخرج منها إلى غيرها وقيل معناه إن أرض الجنة واسعة عن الجبائي واكثر المفسرين على القول الأول (فإياي فاعبدون) اي اعبدوني خالصا ولا تطيعوا احدا من خلقي في معصيتي واياي منصوب بفعل مضمر يفسّره ما بعده وقد مرّ بيانه وقيل إن دخول الفاء للجزاء والتقدير ان ضاق بكم موضع فاعبدوني ولا تعبدوا غيري إن ارضي واسعة امر سبحانه المؤمنين إذا كانوا في بلد لا يلتئم فيه لهم أمر دينهم أن ينتقلوا عنه إلى غيره ثم خوّفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة فقال (كل نفس ذائقة الموت) اي كل نفس احياها الله بحياة خلقها فيه ذائقة مرارة الموت بأيّ ارض كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفا من الموت (ثم الينا ترجعون) بعد الموت فنجازيكم بأعمالكم ثم ذكر سبحانه ثواب من هاجر فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعني المهاجرين (لنبوئنهم) اي لننزلنّهم (من الجنة غرفا) اي علالي عاليات (تجري من تحتها الأنهار) قال ابن عباس لنسكننهم غرف الدر والزبرجد والياقوت ولننزلنهم قصور الجنة (خالدين فيها) يبقون فيها ببقاء الله (نعم اجر العاملين) لله تلك الغرف ثم وصفهم فقال (الذين صبروا) على دينهم فلم يتركوه لشدة نالتهم واذى لحقهم وصبروا على مشاق الطاعات (وعلى ربهم يتوكلون) في مهمات امورهم ومهاجرة ديارهم ثم قال (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) أي وكم من دابة لا يكون رزقها مدخرا معدا عن الحسن وقيل معناه لا تطيق حمل رزقها لضعفها وتأكل بأفواهها عن مجاهد وقيل إن الحيوان اجمع من البهائم والطيور وغيرهما مما يدبّ على وجه الأرض لا تدخر القوت لغدها إلا ابن آدم والنملة والفارة بل تأكل منه قدر كفايتها فقط عن ابن عباس (الله يرزقها واياكم) اي يرزق تلك الدابة الضعيفة التي لا تقدر على حمل رزقها ويرزقكم ايضا فلا تتركوا الهجرة بهذا السبب وعن عطا عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل فقلت لا اشتهيه يا رسول الله قال لكنّي أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم اذق طعاما ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت مع قوم يخبئون رزق سنتهم لضعف اليقين فوالله ما برحنا حتى نزلت هذه الآية وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم (وهو السميع العليم) اي السميع لأقوالكم عند مفارقة أوطانكم العليم بأحوالكم لا يخفى عليه شيء من سرّكم واعلانكم

قوله تعالى (٦١) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ فَأَنّٰى يُؤْفَكُونَ (٦٢) اَللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٣) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٤) وَمَا هٰذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٥) فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجّٰيهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٦) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنٰاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٧) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ

أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٦٨) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٦٩) وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (تسع آيات)

القراءة

قرأ ابن كثير وقالون واهل الكوفة غير عاصم إلا الأعمش والبرجمي وليتمتعوا ساكنة اللام والباقون وليتمتعوا بكسر اللام

الحجة

قال ابو علي من كسر اللام وجعلها الجارة كانت متعلقة بالاشراك المعنى يشركون ليكفروا اي لافائدة لهم في الاشراك إلا الكفر وليس يرد عليهم الشرك نفعا إلا الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة ومن قرأ وليتمتعوا وأراد الأمر كان على معنى التهديد والوعيد كقوله واستفزز من استطعت واعملوا ما شئتم ويدل على ذلك قوله في موضع آخر فتمتعوا فسوف تعلمون والإسكان في لام الأمر سائغ

اللغة

قال ابوعبيدة الحيوان والحياة واحد وهما مصدران حي حياة وحيوانا والحياة عرض يصير الأجزاء بمنزلة الشيء الواحد حتى يصح أن يكون قادراً عالما وخاصية الحياة الإدراك . والتخطف تناول الشيء بسرعة ومنه اختطاف الطير لصيده

الإعراب

أنّى في قوله وأنى يؤفكون منصوب الموضع فيجوز أن يكون حالا من يؤفكون والتقدير منكرين يؤفكون ويجوز أن يكون مصدراً تقديره اي إفك يؤفكون ويتخطف الناس من حولهم جملة في موضع الحال

المعنى

ثم عجّب سبحانه ورسوله والمؤمنون من إيمان المشركين بالباطل مع اعترافهم بأن الله هو الخالق الفاعل فقال (ولئن سئلتهم) اي إن سألت يا محمد هؤلاء المشركين (من خلق السموات والأرض) أي من انشأها واخرجها من العدم الى الوجود (وسخّر الشمس والقمر) اي من ذلّلها وسيّرها في دورانها على طريقة واحدة لا تختلف (ليقولن) في جواب ذلك (الله) الفاعل لذلك لأنهم كانوا يقولون بحدوث العالم والنشأة الأولى (فأنّى يؤفكون) اي فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة حجر لا ينفع ولا يضرّ (الله يبسط الرزق) اي يوسعه (لمن يشاء من عباده ويقدر له) اي ويضيق ذلك على قدر ما تقتضيه المصلحة وانما خصّ بذكر الرزق على الهجرة لئلا يخلفهم عنها خوف العيلة (إن الله بكل شيء عليم) يعلم مصالح عباده فيرزقهم بحسبها (ولئن سئلتهم من نزّل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن) في الجواب عن ذلك (الله) قل يا محمد عند ذلك (الحمد لله) على كمال قدرته وتمام نعمته وعلى ما وفقنا للاعتراف بتوحيده والاخلاص في عبادته ثم قال (بل اكثرهم لا يعقلون) توحيد ربهم مع اقرارهم بأنه خالق الأشياء

ومنزل المطر من السماء لأنهم لا يتدبرون وعن الطريق المفضي الى الحق يعدلون فكأنهم لا يعقلون (وما هذه الحيوة الدنيا إلا لهو ولعب) لأنها تزول كما يزول اللهو واللعب ويستمتع بها الانسان مدة ثم تنصرم وتنقطع (وان الدار الآخرة) يعني الجنة (لهي الحيوان) اي الحياة على الحقيقة لأنها الدائمة الباقية التي لا زوال لها ولا موت فيها وتقديره وان الدار الآخرة لهي دار الحيوان او ذات الحيوان لأن الحيوان مصدر كالنزوان والغليان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والمعنى ان حياة الدار الآخرة هي الحياة التي لا تنغيص فيها ولا تكدير (لو كانوا يعلمون) الفرق بين الحياة الفانية والحياة الباقية الدائمة اي لو علموا لرغبوا في الباقي وزهدوا في الفاني ولكنهم لا يعلمون (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) اخبر الله سبحانه عن حال هؤلاء الكفار فقال انهم إذا ركبوا في السفن في البحر وهاجت به الرياح وتلاطمت به الأمواج وخافوا الهلاك اخلصوا الدعاء لله مستيقنين انه لا يكشف السوء إلا هو وتركوا شركاءهم فلم يطلبوا منهم انجاءهم (فلما نجيهم الى البر إذا هم يشركون) اي فلما خلصهم إلى البر وأمنوا الهلاك عادوا الى ما كانوا عليه من الاشراك معه في العبادة (ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون) ان جعلت اللام للأمر فمعناه التهديد اي ليجحدوا نعم الله في إنجائه إياهم وليتمتعوا بباقي عمرهم فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وان جعلتها لام كي فالمعنى انهم يشركون ليكفروا وقد مرّ معناه (أولم يروا) اي ألم يعلم هؤلاء الكفار (أنا جعلنا حرما آمنا) يأمن أهله فيه من القتل والغارة (ويتخطف الناس من حولهم) اي يقتل بعضهم بعضا فيما حولهم وهم آمنون في الحرم ذكّرهم سبحانه النعمة بذلك ليذعنوا له بالطاعة وينزجروا عن عبادة غيره ثم قال مهدداً لهم (أفبالباطل يؤمنون) اي يصدقون بعبادة الأصنام وهي باطلة مضمحلة (وبنعمة الله) التي أنعم بها عليهم (يكفرون) ثم قال (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) اي لا ظالم اظلم ممن اضاف الى الله ما لم يقله من عبادة الأصنام وغيرها (او كذب بالحق) اي بالقرآن وقيل بمحمد ﷺ (لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين) هذا استفهام تقرير اي اما لهؤلاء الكفار المكذبين مثوى في جهنم وهذا مبالغة في إنجاز الوعيد لهم (والذين جاهدوا فينا) اي جاهدوا الكفار ابتغاء مرضاتنا وطاعة لنا وجاهدوا انفسهم في هواها خوفا منا وقيل معناه اجتهدوا في عبادتنا رغبة في ثوابنا ورهبة من عقابنا (لنهدينهم سبلنا) اي لنهدينهم السبل الموصلة الى ثوابنا عن ابن عباس وقيل لنوفقنهم لازدياد الطاعات فيزداد ثوابهم وقيل معناه والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهدينّهم سبل الجنة وقيل معناه والذين يعملون بما يعلمون لنهدينهم الى ما لا يعلمون (وان الله لمع المحسنين) بالنصر والمعونة في دنياهم والثواب والمغفرة في عقباهم وبالله التوفيق

سورة الروم

هي مكية قال الحسن إلا قوله فسبحان الله حين تمسون الآية

عدد آيها

تسع وخمسون مكية والمدني الأخير والباقون ستون آية

﴿ اختلافها ﴾

اربع آيات الم كوفي غلبت الروم غير الكوفي والمدني الأخير في بضع سنين غير الكوفي والمدني الأول بقسم المجرمون المدني الأول

﴿ فضلها ﴾

أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأها كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله ما بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته

﴿ تفسيرها ﴾

اجل في آخر العنكبوت ذكر المجاهدين ثم فصّل في هذه السورة فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) الٓمٓ (٢) غُلِبَتِ الرُّومُ (٣) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٤) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٥) بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٧) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ

(سبع آيات)

﴿ اللغة ﴾

قال الزجاج الغلب والغلبة مصدر غلبت مثل الجلب والجلبة والغلبة الاستيلاء على القرن بالقهر والبضع القطعة من العدد ما بين الثلاثة إلى العشرة وهو من بضعته اي قطعته تبضيعا ومنه البضاعة القطعة من المال تدور في التجارة قال المبرد البضع ما بين العقدين في جميع الأعداد والفرج والسرور نظيران وتقيضهما الغم وليس شيء من ذلك بجنس والصحيح انها من جنس الاعتقاد

﴿ الاعراب ﴾

من بعد غلبهم تقديره من بعد أن غلبوا فالمصدر مضاف إلى المفعول. وعد الله مصدر مؤكد لأن قوله سيغلبون وعد من الله للمؤمنين فالمعنى وعد الله ذلك وعدا

﴿ المعنى ﴾

(الم) مرّ تفسيره (غلبت الروم) قال المفسرون غلبت فارس الروم وظهروا عليهم على عهد رسول الله ﷺ وفرح بذلك كفار قريش من حيث إن اهل فارس لم يكونوا اهل كتاب وساء ذلك المسلمين وكان بيت المقدس لأهل الروم كالكعبة للمسلمين فدفعتهم فارس عنه وقوله (في ادنى الأرض) اي في ادنى الأرض من أرض العرب عن الزجاج وقيل في ادنى الأرض من أرض الشام إلى أرض فارس يريد الجزيرة وهي اقرب أرض الروم إلى فارس عن مجاهد وقيل يريد اذرعات وكسكر عن عكرمة (وهم) يعني الروم (من بعد غلبهم سيغلبون) اي من بعد غلبة فارس اياهم سيغلبون فارس (في بضع سنين) وهذه من الآيات الدالة على أن القرآن من عند الله عز وجل لأن فيه انباء ما سيكون وما يعلم ذلك إلا الله عز وجل (لله الأمر

من قبل ومن بعد) أي من قبل ان غلبت الروم ومن بعد ان غلبت فإن شاء جعل الغلبة لأحد الفريقين على الآخر وان شاء جعل الغلبة للفرقة الآخر عليهم وان شاء اهلكهما جميعا (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) اي ويوم يغلب الروم فارسا يفرح المؤمنون بدفع الروم فارسا عن بيت المقدس لا بغلبة الروم على بيت المقدس فإنهم كفار ويفرحون ايضا لوجوه اخر وهو اغتمام المشركين بذلك ولتصديق خبر الله عز وجل وخبر رسوله ولأنه مقدمة لنصرهم على المشركين (ينصر من يشاء) من عباده (وهو العزيز) في الانتقام من اعدائه (الرحيم) بمن اناب اليه من خلقه (وعد الله) اي وعد الله ذلك (لا يخلف الله وعده) بظهور الروم على فارس (ولكن اكثر الناس) يعني كفار مكة (لا يعلمون) صحة ما اخبرناه لجهلهم بالله تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) اي يعلمون منافع الدنيا ومضارها ومتى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يجمعون وكيف يبنون وهم جهال بالآخرة فعمروا دنياهم وخربوا آخرتهم عن ابن عباس وقال الحسن بلغ والله من علم احدهم بدنياه ان يقلب الدرهم على ظهره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلي وسئل ابو عبد الله (ع) عن قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا فقال منه الزجر[1] والنجوم

-(القصة)-

عن الزهري قال كان المشركون يجادلون المسلمين وهم بمكة يقولون ان الروم أهل كتاب وقد غلبهم الفرس وانتم تزعمون انكم ستغلبون بالكتاب الذي انزل اليكم على نبيكم فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم وانزل الله تعالى الم غلبت الروم إلى قوله في بضع سنين قال فأخبرني ابو بكر بن عتبة بن مسعود أن أبا بكر ناحَبَ[2] بعض المشركين قبل ان يحرم القمار على شيء إن لم تغلب فارس في سبع سنين فقال رسول الله ﷺ لم فعلت فكل ما دون العشرة بضع فكان ظهور فارس على الروم في تسع سنين ثم اظهر الله الروم على فارس زمن الحديبية ففرح المسلمون بظهور اهل الكتاب وروى ابو عبد الله الحافظ بالاسناد عن ابن عباس في قوله الم غلبت الروم قال قد مضى كان ذلك في أهل فارس والروم وكانت فارس قد غلبت عليهم ثم غلبت الروم بعد ذلك ولقي نبي الله مشركي العرب والتقت الروم وفارس فنصر الله النبي ﷺ ومن معه من المسلمين على مشركي العرب ونصر اهل الكتاب على مشركي العجم ففرح المسلمون بنصر الله اياهم ونصر اهل الكتاب على العجم قال عطية وسألت أبا سعيد الخدري عن ذلك فقال التقينا مع رسول الله ﷺ ومشركوا العرب والتقت الروم وفارس فنصرنا الله على مشركي العرب ونصر اهل الكتاب على المجوس ففرحنا بنصر الله ايانا على مشركي العرب ونصر اهل الكتاب على المجوس فذلك قوله يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وقال سفيان الثوري سمعت انهم ظهروا يوم بدر وقال مقاتل فلما كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكة واخبر رسول الله ﷺ ان الروم غلبت فارساً ففرح المؤمنون بذلك وروي انهم استردوا بيت المقدس وأن ملك الروم مشى اليه شكراً وبسطت له الرياحين فمشي عليها وقال الشعبي لم تمض تلك المدة التي عقدها ابو بكر مع ابي بن خلف حتى غلبت الروم فارسا وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية[3] فأخذ ابو بكر الخطر من ورثته وجاء به إلى رسول الله ﷺ فتصدق به وروي ان ابا بكر لما أراد الهجرة تعلق به ابي وأخذ ابنه عبد الله بن ابي بكر كفيلا فلما أراد أن يخرج ابيّ إلى حرب احد تعلق به عبد الله بن ابي بكر واخذ منه ابنه كفيلا وجرح ابي في احد وعاد إلى مكة فمات من تلك الجراحة جرحه رسول الله ﷺ

(١) الزجر : التيمن والتشاؤم بالطير والتفؤل بطيرانها وهو نوع من الكهانة والعيافة ، قيل : وانما سمي الكاهن زاجراً لانه اذا رأى ما يظن انه يتشاؤم به زجر بالنهي عن المضي في تلك الحاجة برفع صوت و شدة . (٢) ناحبه على كذا : راهنه . (٣) الرومية : بلد

وجاءت الرواية عن النبي ﷺ انه قال لفارس نطحة أو نطحتان ثم قال لا فارس بعدها ابدا والروم ذات القرون كلما ذهب قرن خلف قرن هبهب إلى آخر الأبد والمعنى أن فارس تنطح نطحة او نطحتين فيبطل ملكها ويزول امرها

قوله تعالى (٨) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٩) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٠) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (ثلاث آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير البرجمي والشموني عن ابي بكر عاقبة بالنصب والباقون بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من نصب عاقبة جعلها خبر كان ونصبها متقدمة كما قال وكان حقا علينا نصر المؤمنين فأما اسمها على هذه القراءة فيجوز أن يكون احد الشيئين السوءى والتقدير ثم كان السوءى عاقبة الذين أساءوا ويكون ان كذبوا مضمولا له اي لأن كذبوا ولا يجوز أن يكون كذبوا متعلقا بقوله أساءوا على هذا لأنك تفصل بين الصلة والموصول باسم كان أو يكون ان كذبوا اسم كان والتقدير ثم كان التكذيب عاقبة الذين أساءوا ويكون السوءى على هذا مصدرا لأساؤوا لأن فعلى من ابنية المصادر كالرجعى والشورى والبشرى ويدل على أن السوءى والسوء بمنزلة المصدر ما انشده ابو عمرو

أَنَّى جَزَوْا عَامِرًا سُوءًا بِفِعْلِهِمُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السُّوءَى مِنَ الْحَسَنِ

ومن رفع عاقبة جاز أن يكون الخبر احد الشيئين السوءى وان كذبوا كما جاز في النصب أن يكون كل واحد منها الاسم ومعنى الذين أساءوا الذين اشركوا والتقدير ثم كان عاقبة المسيئ التكذيب بآيات الله اي لم يظفر في كفره وشركه بشيء إلا بالتكذيب وإذا جعلت أن كذبوا نفس الخبر جعلت السوءى في موضع نصب بأنه مصدر وقد يجوز أن يكون السوءى صفة لموصوف محذوف كأنه قال الحلة السوءى او الخلال السوءى

«المعنى»

ثم حثّ سبحانه على التفكر والتدبّر فيما يدل على توحيده من خلق السماوات والأرض ثم في احوال القرون الخالية والأمم الماضية فقال (أولم يتفكروا في انفسهم) اي في حال الخلوة لأن في تلك الحالة يتمكن الإنسان من نفسه ويحضره ذهنه وقيل معناه او لم يتفكروا في خلق الله أنفسهم والمعنى او لم يتفكروا فيعلموا وحذف لأن في الكلام دليلا عليه (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما إلا بالحق) قال الزجاج معناه الا للحق اي لإقامة الحق ومعناه للدلالة على الصانع والتعريض للثواب (واجل مسمى) اي ولوقت معلوم توفى فيه كل نفس ما كسبت وقيل معناه خلقها في أوقات قدرها اقتضت المصلحة خلقها فيها ولم يخلقها عبثا عن الجبائي (سؤال) قالوا كيف يعلم المتفكر في نفسه ان الله سبحانه لم يخلق شيئا إلا بالحق وكيف يعلم الآخرة (جواب) قلنا إذا

علم بالنظر في نفسه انه محدث مخلوق وان له محدثا قديما قادرا عالما حيا وانه لا يفعل القبيح وانه حكيم علم انه لم يخلقه عبثا وإنما خلقه لغرض وهو التعريض للثواب وذلك لا يتم إلا بالتكليف فلا بد إذا من الجزاء. فإذا لم يوجد في الدنيا فلا بد من دار أخرى يجازي فيها ويعلم إذا خلق ما لا ينتفع بنفسه فلا بد ان يكون الغرض ان ينتفع الحي به (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون) اي بلقاء جزاء ربهم وبالبعث وبيوم القيامة لجاحدون غير معترفين ثم نبههم سبحانه دفعة اخرى فقال (اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم (كانوا اشد منهم قوة) فهلكوا وبادوا فيعتبروا بهم لعلمهم انهم اهلكوا بتكذيبهم (وأثاروا الارض) اي وقلبوها وحرثوها بعمارتها عن مجاهد (وعمروها اكثر مما عمروها) اي اكثر مما عمرها هؤلاء الكفار لأنهم كانوا اكثر اموالا واطول اعمارا واكثر اعدادا فحفروا الانهار وغرسوا الاشجار وبنوا الدور وشيدوا القصور ثم تركوها وصاروا إلى القبور و إلى الهلاك والثبور (وجاءتهم رسلهم بالبينات) اي اتتهم رسلهم بالدلالات من عند الله وفي الكلام حذف تقديره فجحدوا الرسل وكذبوا بتلك الرسل فاهلكهم الله بالعذاب (فما كان الله ليظلمهم) بأن يهلكهم من غير استحقاق (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بأن جحدوا رسل الله واشركوا معه في العبادة سواه حتى استحقوا العذاب عاجلا وآجلا (ثم كان عاقبة الذين أساؤا) إلى نفوسهم بالكفر بالله وتكذيب رسله وارتكاب معاصيه (السوأى) اي الخلة التي تسوء صاحبها إذا ادركها وهي عذاب النار عن ابن عباس وقتادة (ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) اي لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها

قوله تعالى (١١) اَللّٰهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٢) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٤) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٥) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٦) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٧١) فَسُبْحَانَ اللّٰهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٨) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٩) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (عشر آيات)

القراءة

قرأ يرجعون بالياء ابو عمرو غير عباس واوقية وسهل وحماد ويحيى مختلف عنهما والباقون بالتاء. وقرأ حمزة والكسائي وكذلك تخرجون بفتح التاء والباقون بضمها وفتح الراء. وفي الشواذ قراءة عكرمة حينا تمسون وما بعده

الحجة

قال ابو علي حجة الياء ان المتقدم ذكره غيبة يبدؤا الخلق ثم يعيده والخلق هم المخلوقون في المعنى وجاء قوله ثم يعيده على لفظ الخلق وقوله واليه يرجعون على المعنى ولم يرجع على لفظ الواحد ووجه التاء انه صار الكلام من الغيبة الى الخطاب وحجة من قرأ يخرجون قوله يخرجون من الاجداث وقوله إلى ربهم ينسلون وحجة تُخرجون من بعثنا من مرقدنا وقوله وكذلك تخرج الموتى واليه تقلبون ولما قوله حين تمسون فالمراد تمسون فيه فحذف فيه تخفيفا على مذهب صاحب الكتاب في نحوه ومثله قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تجزى

فيه قال ابن جني قال سيبويه حذف فيه معتبطا لحرف الجر والضمير لدلالة الفعل عليهما وقال ابو الحسن حذف في فبقي تجزيه لأنه اوصل الفعل اليه ثم حذف الضمير من بعد فهما حذفان متتاليان شيئا على شيء

اللغة

الابلاس اليأس من الخير وقيل هو التحير عند لزوم الحجة قال العجاج .

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه وأبلسا (١)

والحبرة المسرة ومنه الحبر العالم والحبر الجمال وفي الحديث يخرج رجل من النار ذهب حبره وسبره اي جماله وسحناؤه والتحبير التحسين الذي يسر به وخص ذكر الروضة ها هنا لأنه ليس عند العرب شيء احسن منها قال الاعشى

ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل (٢)

يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل (٣)

يوما بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل (٤)

الإعراب

ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون يوم ظرف ليتفرقون ويومئذ بدل عنه وموضع الكاف من كذلك نصب بقوله يخرجون

المعنى

ثم ذكر سبحانه قدرته على الاعادة فقال (الله يبدؤا الخلق ثم يعيده) اي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت احياء كما كانوا (ثم اليه يرجعون) فيجازيهم بأعمالهم (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) اي يوم تقوم القيامة ييأس الكافرون من رحمة الله تعالى ونعمه التي يفيضها على المؤمنين وقيل يتحيرون وتنقطع حججهم بظهور جلائل آيات الآخرة التي يقع عندها علم الضرورة (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء) اي لم يكن لهم من اوثانهم التي عبدوها ليشفعوا لهم شفعاء تشفع لهم او تدفع عنهم كما زعموا انا نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى (وكانوا بشركائهم كافرين) يعني ان المشركين يتبرؤن من الاوثان وينكرون كونها آلهة ويقرون بأن الله لا شريك له عن الجبائي وابي مسلم (ويوم تقوم الساعة) اي تظهر القيامة (يومئذ يتفرقون) فيصير المؤمنون اصحاب اليمين والمشركون اصحاب الشمال فيتفرقون تفرقا لا يجتمعون بعده وقال الحسن لئن كانوا اجتمعوا في الدنيا ليتفرقن يوم القيامة هؤلاء في اعلى عليين وهؤلاء في اسفل السافلين وهو قوله (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) اي في الجنة ينعمون ويسرون سرورا يبين اثره عليهم عن قتادة ومجاهد ومنه قيل كل حبرة تتبعها عبرة والروضة البستان المتناهي منظرا وطيبا وقال ابن عباس يحبرون اي يكرمون وقيل يلذذون بالسماع عن يحيى بن ابي كثير والاوزاعي اخبرنا ابو الحسن عبيد الله بن محمد بن احمد البيهقي قال اخبرنا جدي الإمام ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي قال حدثنا ابو سعيد عبد الملك بن ابي عثمان الواعظ قال اخبرنا ابو الحسن علي بن بندار قال حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن القرياني قال حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي قال حدثنا خالد بن يزيد بن ابي مالك عن ابيه عن خالد بن معدان عن ابي امامة الباهلي ان رسول الله ﷺ قال مامن عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه باحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتمجيد الله وتقديسه وعن ابي الدرداء قال كان رسول الله ﷺ يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الازواج والنعيم وفي القوم اعرابي فجثا لركبتيه وقال يارسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي سألت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وعن ابراهيم إن في الجنة لأشجارا عليها

(١) المكرس : الذي صار فيه الكرس - بالكسر - ، وهو الابوال والابعار . وأبلس : سكت غما . (٢) الابيات من قصيدة معروفة له واعتبرها بعض من المعلقات و اولها «ودع هريرة ان الركب مرتحل» وهل تطيق وداعا ايها الرجل » « ما روضة » «ما» نافية و «روضة» اسمها و «بأطيب» في البيت الثالث خبرها والحزن :

اجراس من فضة فإذا اراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طرباً هذا الحديث ليس في بعض النسخ وفي اكثرها موجود (١) وعن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين منها كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها سموا واوسطها محلة ومنها تنفجر انهار الجنة فقام اليه رجل وقال يارسول الله اني رجل حبب اليّ الصوت فهل لي في الجنة صوت حسن فقال اي والذي نفسي بيده ان الله تعالى يوحي الى شجرة في الجنة ان أسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي وذكري عن عزف البرابط والمزامير فترفع صوتا لم يسمع الخلائق بمثله قط من تسبيح الرب ثم اخبر عن حال الكافرين فقال (واما الذين كفروا وكذّبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) اي بدلائلنا وبالبعث يوم القيامة (فأولئك في العذاب محضرون) اي فيه محصلون ولفظة الاحضار لا تستعمل الا فيما يكرهه الانسان يقال احضر فلان مجلس القضاء اذا جيء به مالا يؤثره ومنه حضور الوفاة ثم ذكر سبحانه ما تدرك به الجنة فقال (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) وهذا خبر والمراد به الأمر اي فسبّحوه ونزّهوه عما لا يليق به او ينافي تعظيمه من صفات النقص بأن تصفوه بما يليق به من الصفات والاسماء. والإمساء الدخول في المساء وهو مجيء الليل والإصباح نقيضه وهو الدخول في الصباح وهو مجيء ضياء النهار وله الثناء والمدح في السماوات والأرض اي هو المستحق لمدح اهلها لإنعامه عليهم وعشيا اي وفي العشي وحين تدخلون في الظهيرة وهي نصف النهار وانما خصّ تعالى هذه الاوقات بالذكر بالحمد وان كان حمده واجبا في جميع الاوقات لأنها اوقات تذكر باحسان الله وذلك ان انقضاء احسان اول الى احسان ثان يقتضي الحمد عند تمام الإحسان الأول والأخذ في الآخر كما اخبر سبحانه عن حمد اهل الجنة بقوله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين لأن ذلك حال الانتقال من نعيم الدنيا الى الجنة وقيل ان الآية تدل على الصلوات الخمس في اليوم والليلة لأن قوله حين تمسون يقتضي المغرب والعشاء الآخرة وحين تصبحون يقتضي صلاة الصبح وعشيا يقتضي صلاة العصر وحين تظهرون يقتضي صلاة الظهر عن ابن عباس ومجاهد وهو الأحسن لأنه خصّ هذه الاوقات بالذكر وقيل إنما خصّ صلاة الليل باسم التسبيح وصلاة النهار باسم الحمد لأن الإنسان في النهار متقلب في احوال توجب الحمد لله عليها وفي الليل على احوال توجب تنزيه الله تعالى من الاسواء فيها فلذلك صار الحمد في النهار اخصّ فسميت به صلاة النهار والتسبيح بالليل اخصّ فسميت به صلاة الليل (يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ) اي يخرج الانسان من النطفة ويخرج النطفة من الانسان عن ابن عباس وابن مسعود وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن عن مجاهد وقد ذكرناه فيما تقدم (ويحيي الأرض بعد موتها) بالنبات بعد جدوبها (وكذلك تخرجون) اي كما احيا الأرض بالنبات كذلك يحييكم بالبعث وتخرجون من قبوركم احياء (ومن آياته) اي ومن دلالاته على وحدانيته وكمال قدرته (ان خلقكم) اي خلق آدم الذي هو ابوكم واصلكم (من تراب) ثم خلقكم منه وذلك قوله (ثم اذا انتم بشر تنتشرون) اي ثم اذا انتم ذرية بشر من لحم ودم تنبسطون في الارض وتنصرفون على ظهرها وتتفرقون في اطرافها فهلا دلكم ذلك على انه لا يقدر على ذلك غيره تعالى وانه لا يستحق العبادة سواه

قوله تعالى (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٤)

(١) ما بين المعقفين انما هو في نسخة صيدا دون سائر النسخ.

ـه ما غلظ من الارض و اختص رياض الحزن لا نها احسن من رياض الخفوض ، والمعشبة : ذات العشب . و السبل الهطل : المطر المتواتر . (٣) « يضاحك الشمس » اى يدور معها حيثما دارت، والمراد من الكواكب هنا الزهر وقيل : الكواكب معظم النبات . والشرق : الريان الممتلىء ماءاً . والمؤزر : الذى صار النبت كالازار له .والعميم: ـه

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٥) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ حفص للعالمين بكسر اللام الأخيرة والباقون بفتحها

الحجة

قال ابو علي خصّ العالمين في رواية حفص و إن كانت الآية لكافة الناس عالمهم وجاهلهم لأن العالم لما تدبّر فاستدل بما شاهده على ما لم يستدل عليه غيره صار كأنه ليس بآية لغير العالم لذهابه عنها وتركه الاعتبار بها ومن قال للعالمين فلأن ذلك في الحقيقة دلالة وموضع اعتبار وان ترك تاركون لغفلتهم او لجهلهم التدبر بها والاستدلال بها

الإعراب

في قوله ومن آياته يريكم البرق اقوال ﴿ احدها ﴾ ان التقدير ومن آياته ان يريكم فلما حذف ان ارتفع الفعل كقول طرفة

أَلَا أَيُّ هٰذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الْوَغَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي(١)

وفي المثل تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ﴿ وثانيها ﴾ ان التقدير ومن آياته آية يريكم البرق بها ثم حذف لدلالة من عليها ومثله من الشعر

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ(٢)

اي فمنها تارة اموتها اي أموت فيها ﴿ وثالثها ﴾ ان يكون التقدير ويريكم البرق خوفا وطمعا ومن آياته فيكون عطفا لجملة على جملة وقوله خوفا وط[illegible] صوبان على تقدير اللام والتقدير لتخافوا خوفا ولتطمعوا طمعا ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض الجار يتعلق بمحذوف في موضع الحال من الكاف والميم اي إذا دعاكم خارجين من الأرض و إن شئت كان وصفا للنكرة اي دعوة ثابتة من هذه الجهة ولا يجوز أن يتعلق بيخرجون لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبله

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما قدّمه من تنبيه العبيد على دلائل التوحيد فقال (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم) اي جعل لكم من شكل انفسكم ومن جنسكم (ازواجا) و إنما منّ سبحانه علينا بذلك لأن الشكل إلى الشكل اميل عن ابي مسلم وقيل معناه ان حواء خلقت من ضلع آدم «ع» عن قتادة وقيل إن المراد بقوله من انفسكم ان النساء خلقن من نطف الرجال (لتسكنوا اليها) اي لتطمئنوا اليها وتألفوا بها ويستأنس بعضكم ببعض (وجعل بينكم مودّة ورحمة) يريد بين المرأة وزوجها جعل سبحانه بينهما المودّة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان وما شيء أحبّ إلى احدهما من الآخر من غير رحم بينهما قال السدي المودّة المحبة والرحمة الشفقة (إن في ذلك) اي في خلق الأزواج مشاكلة للرجال (لآيات) اي لدلالات واضحات (لقوم يتفكرون) في ذلك ويعتبرون به ثم نبّه سبحانه على آية أخرى فقال (ومن آياته) الدالة على توحيده (خلق السموات والأرض) وما فيها من عجائب خلقه وبدائع صنعه مثل ما في السماوات من النجوم والشمس والقمر وجريها في مجاريها على غاية الاتساق والنظام وما في الأرض من انواع الجماد والنبات والحيوان المخلوقة على وجه الاحكام (واختلاف ألسنتكم)

النبت الكثيف الحسن . و اكتهل النبت : طال وانتهى منتهاه . (٤) الاصل - بضمتين - جمع الاصيل ، و الاصيل من العصر: العشاء ، وانما خص هذا الوقت لان النبات يكون فيه احسن مايكون لتباعد الشمس والفيء عنه . و «نشر رائحة» منصوب على التمييز . وقيل على البيان وان كان مضافا لان المضاف الى النكرة نكرة (١) البيت في جامع الشواهد ←

فالألسنة جمع لسان واختلافها هو أن ينشئها الله تعالى مختلفة في الشكل والهيئة والتركيب فتختلف نغماتها واصواتها حتى انه لا يشتبه صوتان من نفسين هما اخوان وقيل ان اختلاف الألسنة هو اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما ولا شيء من الحيوانات تتفاوت لغاتها كتفاوت لغات الإنسان فإن كانت اللغات توقيفيا من قبل الله تعالى فهو الذي فعلها وابتدأها وان كانت مواضعة من قبل العباد فهو الذي يسرها (والوانكم) اي واختلاف الوانكم من البياض والحمرة والصفرة والسمرة وغيرها فلا يشبه احد احدا مع التشاكل في الخلقة وماذاك الا للتراكيب البديعة واللطائف العجيبة الدالة على كمال قدرته وحكمته حتى لا يشتبه اثنان من الناس ولا يلتبسان مع كثرتهم (إن في ذلك لآيات) اي ادلة واضحات (للعالمين) اي للمكلفين (ومن آياته) الدالة على توحيده واخلاص العبادة له (منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) بالنهار وهذا تقديره اي يصرفكم في في طلب المعيشة والمنام والنوم بمعنى واحد وقيل ان الليل والنهار معا وقت للنوم ووقت لابتغاء الفضل لأن من الناس من يتصرف في كسبه ليلا وينام نهارا فيكون معناه ومن دلائله النوم الذي جعله الله راحة لابدانكم بالليل وقد تنامون بالنهار فإذا انتبهتم انتشرتم لابتغاء فضل الله (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) ذلك فيقبلونه ويتفكرون فيه لان من لا يتفكر فيه لا ينتفع به فكأنه لم يسمعه (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا) معناه ومن دلالاته ان يريكم النار تنقدح من السحاب يخافه المسافر ويطمع فيه المقيم عن قتادة وقيل خوفا من الصواعق وطمعا في الغيث عن الضحاك وقيل خوفا من ان يخلف ولا يمطر وطمعا في المطر عن ابي مسلم (وينزل من السماء ماء) اي غيثا ومطرا (فيحيى به) اي بذلك الماء (الارض بعد موتها) اي بعد انقطاع الماء عنها وجدوبها (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) اي للعقلاء المكلفين (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره) بلا دعامة تدعمها ولا علاقة تتعلق بها بأمره لهما بالقيام كقوله تعالى إنما أمرنا لشيء إذا أردناه ان نقول له كن فيكون وقيل بأمره اي بفعله وامساكه إلا ان افعال الله عز اسمه تضاف اليه بلفظ الامر لأنه ابلغ في الاقتدار فإن قول القائل أراد فكان اوأمر فكان ابلغ في الدلالة على الاقتدار من ان يقول فعل فكان ومعنى القيام الثبات والدوام ويقال السوق قائمة (ثم إذا دعاكم دعوة من الارض) اي من القبر عن ابن عباس بأمر الله عز اسمه اسرافيل (ع) فينفخ في الصور بعد ما يصور الصور في القبور فيخرج الخلائق كلهم من قبورهم (إذا انتم تخرجون) من الارض احياء وقيل انه سبحانه جعل النفخة دعاء لأن اسرافيل يقول أجيبوا داعي الله فيدعو بأمر الله سبحانه وقيل ان معناه اخرجكم من قبوركم بعد ان كنتم امواتا فيها فعبّر عن ذلك بالدعاء إذ هو بمنزلة الدعاء وبمنزلة كن فيكون في سرعة تأتي ذلك وامتناع التعذر وإنما ذكر سبحانه هذه المقدورات على اختلافها ليدلّ عباده على انه القادر الذي لا يعجزه شيء العالم الذي لا يعزب عنه شيء وتدلّ هذه الآيات على فساد قول من قال ان المعارف ضرورية لأن ما يعرف ضرورة لا يمكن الاستدلال عليه

قوله تعالى (٢٦) وَلَهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَٰنِتُونَ (٢٧) وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٨) ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٩) بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٣٠) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ

(٢) قائله ابن مقبل . والكدح : السعي والحرص في العمل في امر الدنيا أو الاخرة .

لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (خمس آيات)

﴿ الإعراب ﴾

هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء . لكم الجار والمجرور في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ والمبتدأ من شركاء ومن مزيدة ومن في قوله مما ملكت أيمانكم تتعلق بما يتعلق به اللام ويجوز ان يتعلق بمحذوف ويكون في موضع نصب على الحال والعامل في الحال ما يتعلق به اللام . فأنتم فيه سواء جملة في موضع نصب لأنه جواب قوله هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء وتقديره فتستووا وقوله تخافونهم اي تخافون ان يساووكم كخيفتكم مساواة بعضكم بعضا . حنيفا نصب على الحال . فطرة الله منصوب بمعنى اتبع فطرة الله لأن معنى فأقم وجهك للدين القيم اتبع الدين القيم فيكون بدلا من وجهك في المعنى

=[المعنى]=

ثم قال سبحانه بعد ان ذكر الدلالات الدالة على توحيده (وله من في السموات والارض) من العقلاء يملكهم ويملك التصرف فيهم وإنما خصّ العقلاء لأن ما عداهم في حكم التبع لهم ثم اخبر سبحانه عن جميعهم فقال (كل له قانتون) اي كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وان عصوا في العبادة عن ابن عباس وهذا مفسّر في سورة البقرة (وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده) اي يخلقهم انشاء ويخترعهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الافناء فجعل سبحانه ما ظهر من ابتداء خلقه دليلا على ما خفي من إعادته استدلالا بالشاهد على الغائب ثم أكّد ذلك بقوله (وهو أهون عليه) هو يعود إلى مصدر يعيده فالمعنى والاعادة أهون وقيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه وهو هيّن عليه كقوله الله اكبر اي كبير لا يدانيه أحد في كبريائه وكقول الشاعر

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى أَيِّنَا تَغْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

فمعنى لأوجل اي وجل وقال الفرزدق

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

اي عزيزة طويلة وقد قيل فيه انه أراد أعز وأطول من دعائم بيوت العرب ومثل آخر

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ

اي بواحد هذا قول أهل اللغة ﴿ والثاني ﴾ انه انما قال أهون لما تقرّر في العقول ان اعادة الشيء أهون من ابتدائه ومعنى اهون ايسر واسهل وهم كانوا مقرّين بالابتداء فكأنه قال لهم كيف تقرّون بما هو اصعب عندكم وتنكرون ما هو اهون عندكم ﴿ الثالث ﴾ ان الهاء في عليه يعود إلى الخلق وهو المخلوق اي والاعادة على المخلوق أهون من النشأة الأولى لأنه إنما يقال له في الإعادة كن فيكون وفي النشأة الأولى كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم كسيت العظام لحما ثم نفخ فيه الروح فهذا على المخلوق اصعب والانشاء يكون اهون عليه وهذا قول النحويين ومثله يروى عن ابن عباس قال وهو اهون على المخلوق لأنه يقول له يوم القيامة كن فيكون وأما ما يروى عن مجاهد انه قال الانشاء اهون عليه من الابتداء فقوله مرغوب عنه لأنه تعالى لا يكون عليه شيء اهون من شيء (وله المثل الاعلى) اي وله الصفات العليا (في السموات والارض) وهي انه لا إله إلا هو وحده لا شريك له لأنها دائمة يصفه بها الثاني كما يصفه بها الأول من قتادة وقيل هي انه ليس كمثله شيء عن ابن عباس وقيل هي جميع ما يختص به عز اسمه من الصفات العلى التي لا يشاركه فيها سواه والاسماء الحسنى التي تفيد التعظيم كالقاهر والإله (وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في خلقه ثم احتجّ سبحانه على عبدة الاوثان فقال (ضرب لكم) ايها المشركون (مثلا من انفسكم) اي بيّن لكم شبها لحالكم ذلك

المثل من انفسكم ثم بيّنه فقال (هل لكم مما ملكت أيمانكم) اي من عبيدكم وامائكم (من شركاء فيما رزقناكم) من المال والاملاك والنعم اي هل يشاركونكم في اموالكم وهو قوله (فأنتم فيه سواء) اي فأنتم وشركاؤكم من عبيدكم وإمائكم فيما رزقناكم شرع سواء (تخافونهم) ان يشاركوكم فيما ترثونه من آبائكم (كخيفتكم أنفسكم) اي كما يخاف الرجل الحرّ شريكه الحرّ في المال يكون بينهما ان ينفرد دونه فيه بأمر وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث أن يشاركه لأنه يجب أن ينفرد به فهو يخاف شريكه يعني ن هذه الصفة لا تكون بين المالكين والمملوكين كما تكون بين الاحرار ومعنى انفسكم هاهنا أمثالكم من الاحرار كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وكقوله ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا أي بأمثالهم من المؤمنين والمؤمنات والمعنى انكم إذا لم ترضوا في عبيدكم ان يكونوا شركاءلكم في أموالكم واملاككم فكيف ترضون لربكم ان يكون له شركاء في العبادة قال سعيد بن جبير لأنه كانت تلبية قريش لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك فأنزل الله تعالى الآية ردّاً عليهم وانكاراً لقولهم (كذلك) أي كما ميّزنا لكم هذه الأدلة (نفصل الآيات) أي الأدلة (لقوم يعقلون) فيتدبرون ذلك ثم قال سبحانه مبيناً لهم انهم انما اتبعوا اهواءهم فيما أشركوا به (بل اتبع الذين ظلموا) أي اشركوا بالله (اهواءهم) في الشرك (بغير علم) يعلمونه جاءهم من الله (فمن يهدي من أضل الله) اي فمن يهدي إلى الثواب والجنة من أضلّه الله عن ذلك عن الجبائي وقيل معناه من أضلّ عن الله الذي هو خالقه ورازقه والمنعم عليه مع ما نصبه له من الأدلة فمن يهديه بعد ذلك عن ابي مسلم قال وهو من قولهم أضلّ فلان بعيره بمعنى ضلّ بعيره عنه قال الشاعر

هَبُوني امْرَءاً مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعِيرَهُ ... لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الذِّمَامَ كَثِيرُ

وانما المعنى ضلّ بعيره عنه (وما لهم من ناصرين) ينصرونهم ويدفعون عنهم عذاب الله تعالى إذا حلّ بهم ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ والمراد جميع المكلفين وقال (فأقم وجهك للدين) أي أقم قصدك للدين والمعنى كن معتقدا للدين وقيل معناه اثبت ودم على الاستقامة وقيل معناه اخلص دينك عن سعيد بن جبير وقيل معناه سدّد عملك فإن الوجه ما يتوجه اليه وعمل الإنسان ودينه ما يتوجه الإنسان اليه لتشديده واقامته (حنيفا) اي مائلا اليه ثابتا عليه مستقيما فيه لا يرجع عنه إلى غيره (فطرت الله التي فطر الناس عليها) فطرة الله الملة وهي الدين والإسلام والتوحيد التي خلق الناس عليها ولها وبها أي لأجلها والتمسك بها فيكون كقوله وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون وهو كما يقول القائل ارسوله بعثتك على هذا ولهذا وبهذا المعنى واحد ومنه قول النبي ﷺ كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقيل معناه اتبع من الدين ما دلّك عليه فطرة الله وهو ابتداء خلقه للأشياء لأنه خلقهم وركبهم وصوّرهم على وجه يدل على انلهم صانعا قادرا عالما حيّاً قديما واحداً لايشبه شيئا ولا يشبهه شيء عن ابي مسلم (لا تبديل لخلق الله) أي لا تغيير لدين الله الذي أمر الناس بالثبات عليه في التوحيد والعدل واخلاص العبادة لله عن الضحاك ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابراهيم وابن زيد وقالوا انلاهاهنا بمعنى النهي أي لاتبدّلوا دين الله التي امرتم بالثبات عليها وقيل المراد به النهي عن الخصاء عن ابن عباس وعكرمة وقيل معناه لا تبديل لخلق الله فيما دلّ عليه بمعنى انه فطرة الله على وجه يدل على صانع حكيم فلا يمكن ان يجعله خلقا لغير الله حتى يبطل وجه الاستدلال عن ابي مسلم والمعنى انما دلت عليه الفطرة لايمكن فيه التبديل (ذلك الدين القيم) اي ذلك الدين المستقيم الذي يجب اتباعه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) صحة ذلك لعدولهم عن النظر فيه

قوله تعالى (٣١) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ

(٣٢) مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٣) وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٤) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٥) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ حمزة والكسائي فارقوا بالالف والباقون فرقوا وقد مضى بيانه في سورة الأنعام وفي الشواذ قراءة ابي العالية فيمتعوا فسوف يعلمون ومعناه تطول اعمارهم على كفرهم فسوف يعلمون تهديدا على ذلك

اللغة

الإنابة الانقطاع إلى الله بالطاعة فأصله على هذا القطع ومنه الناب لأنه قاطع وينيب في الأمر إذا نشب فيه كما ينشب الناب القاطع ويجوز ان يكون من ناب ينوب إذا رجع مرّة بعد مرّة فتكون الانابة التوبة التي يجدّدها مرة بعد مرة والشيع الفرق و كل فرقة شيعة على حدة سمّوا بذلك لأن بعضهم يشيع بعضا على مذهبه فشيعة الحق هم الذين اجتمعوا على الحق و كذلك شيعة امير المؤمنين (ع) هم الذين اجتمعوا معه على الحق

المعنى

ثم قال سبحانه (منيبين اليه) قال الزجاج زعم جميع النحويين ان معناه فأقيموا وجوهكم منيبين اليه لأن مخاطبة النبي ﷺ تدخل معه فيها الأمة والدليل على ذلك قوله يا ايها النبي إذا طلقتم النساء فقوله فأقم وجهك معناه فأقيموا وجوهكم منيبين اليه أي راجعين إلى كل ما امر به مع التقوى واداء الفرض وهو قوله (واتقوه وأقيموا الصلوة) ثم اخبر سبحانه انه لا ينفع ذلك إلا بالاخلاص في التوحيد فقال (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرّقوا دينهم) اي لا تكونوا من أهل الشرك من جملة الذين فرّقوا دينهم عن الفراء ويجوز ان يكون قوله من الذين فرقوا دينهم (و كانوا شيعا) ابتداء كلام ومعناه الذين اوقعوا في دينهم الاختلاف وصاروا ذوي أديان مختلفة فصار بعضهم يعبد وثنا وبعضهم يعبد نارا وبعضهم شمسا إلى غير ذلك وقد تقدّم تفسيره في سورة الانعام (كل حزب بما لديهم فرحون) أي كل اهل ملة بما عندهم من الدين راضون عن مقاتل وقيل كل فريق بدينهم معجبون مسرورون يظنون انهم على حق (و إذا مس الناس ضرٌّ دعوا ربهم) أي إذا اصابهم مرض او فقر او شدّة دعوا الله تعالى (منيبين اليه) أي منقطعين اليه مخلصين في الدعاء ثم إذا أذاقهم منه رحمة) بأن يعافيهم من المرض او يغنيهم من الفقر أو ينجيهم من الشدة (إذا فريق منهم بربهم يشركون) اي يعودون إلى عبادة غير الله على خلاف ما يقتضيه العقل من مقابلة النعم بالشكر ثم بيّن سبحانه انهم يفعلون ذلك (ليكفروا بما آتيناهم) من النعم إذ لا غرض في الشرك إلا كفران نعم الله سبحانه وقيل ان هذه اللام للأمر على معنى التهديد مثل قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ثم قال سبحانه مخاطبهم مهدّداً لهم (فتمتعوا) بهذه الدنيا وانتفعوا بنعيمها الفاني كيف شئتم (فسوف تعلمون) عاقبة كفركم (أم انزلنا عليهم سلطانا) هذا استفهام مستأنف معناه بل انزلنا عليهم برهانا وحجة يتسلطون بذلك على ما ذهبوا اليه (فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) اي فذلك البرهان كأنه يتكلم بصحة شركهم ويحتجّ لهم به والمعنى انهم لا يقدرون على تصحيح ذلك ولا يمكنهم ادّعاء برهان وحجة عليه

قوله تعالى (٣٦) وَإِذَا أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ

أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٧) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٨) فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٩) وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٤٠) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابن كثير وما أتيتم من ربا مقصورة الألف غير ممدودة وقرأ الباقون ما آتيتم بالمد وقرأ اهل المدينة ويعقوب وسهل لِتُرْبُوا بالتاء وضمها وسكون الواو والباقون ليربوا بالياء وفتحها ونصب الواو

الحجة

قال أبو علي معنى ما آتيتم من ربا ما اتيتم من هدية أهديتموها لتعوضوا ما هو اكثر منه وتكافئوا أزيد منه فلا يربو عند الله لأنكم انما قصدتم إلى زيادة العوض فلم تبتغوا في ذلك وجه الله ومثل هذا في المعنى قوله ولا تمنن تستكثر فمن مدّ آتيتم فلأن المعنى أعطيتم ومن قصر فإنه يؤول في المعنى إلى قول من مدّ إلا أن أتيتم على لفظ جئتم كما تقول جئت زيداً فكأنه قال ما جئتم من ربا ومجيئهم لذلك إنما هو على وجه الاعطاء له كما تقول اتيت الخطأ واتيت الصواب قال الشاعر

أَتَيْتُ الَّذِي يَأْتِي السَّفِيهُ لِغِرَّتِي ... إِلَىٰ أَنْ عَلَا وَخْطٌ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرِقِي (١)

فإتيانه الذي يأتيه السفيه إنما هو فعل منه له قال ولم يختلفوا في مدّ وما آتيتم من زكوة فهو كقوله وإيتاء الزكاة وان كان لو قال أتيت الزكاة لجاز أن يعني به فعلتها ولكن الذي جاء منه في التنزيل وفي سائر الكلام الإيتاء ومن قرأ ليربو فإن فاعله الربا المذكور في قوله وما آتيتم من ربا وقدّر المضاف وحذفه كأنه في اجتلاب أموال الناس واجتذابه ونحو ذلك وكأنه سمي هذا المدفوع على وجه اجتلاب الزيادة ربا ولو قصد به وجه الله لما كان العوض فيه الاستزادة على ما أعطي فسمي باسم الزيادة والرباء هو الزيادة بذلك سمي المحرم المتوعد فاعله وبالزيادة ما يأخذ على ما اعطي والمدفوع ليس في الحقيقة ربا إنما المحرم الزيادة التي يأخذها زيداً على ما اعطي فسمي الجميع ربا فكذلك ما اعطاه الواهب والمهدي لاستجلاب الزيادة سمي ربا لمكان الزيادة المقصودة في المكافأة فوجه ليربوا في أموال الناس ليربوا ما آتيتم فلا يربو عند الله لأنه لم يقصد به وجه البر والقربة انما قصد به اجتلاب الزيادة ولو قصد به وجه الله تعالى لكان كقوله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون أي صاروا ذوي اضعاف من الثواب على ما اتوا من الزكاة يعطون بالحسنة عشرا فله عشر امثالها وقول نافع لِتُرْبُوا أي لتصيروا ذوي زيادة فيما اتيتم من أموال الناس أي تستدعونها وتجتلبونها وكأنه من أربى أي صار ذا زيادة مثل اقطف واجرب

المعنى

لما تقدّم ذكر المشركين عقّبه سبحانه بذكر احوالهم في البطر عند النعمة واليأس عند الشدة فقال (وإذا أذقنا الناس رحمة) أي إذا آتيناهم نعمة من عافية وصحة جسم أو سعة رزق أو أمن ودعة (فرحوا بها) أي سرّوا بتلك الرحمة (وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم) أي وان أصابهم بلاء وعقوبة بذنوبهم التي قدّموها وسمى

(١) الوخط: ظهور الشيب في الرأس ووخط فلان اذا شاب رأسه.

ذلك سيئة توسعاً لكونه جزاء على السيئة عن الجبائي وقيل وان يصبهم قحط وانقطاع مطر وشدة وسميت سيئة لأنها تسوء صاحبها (إذا هم يقنطون) أي ييأسون من رحمة الله وإنما قال بما قدمت أيديهم ولم يقل بما قدموا على التغليب للأظهر الأكثر فإن اكثر العمل لليدين والعمل للقلب وان كان كثيراً فإنه أخفى ثم نبههم سبحانه على توحيده فقال (أولم يروا ان الله يبسط الرزق) اي يوسعه (لمن يشاء ويقدر) أي ويضيق لمن يشاء على حسب ما تقتضيه مصالح العباد (ان في ذلك) أي في بسط الرزق لقوم وتضييقه لقوم آخرين (لآيات) أي دلالات (لقوم يؤمنون) بالله ثم خاطب نبيه ﷺ فقال (وآت ذا القربى حقه) اي واعط ذوي قرباك يا محمد حقوقهم التي جعلها الله لهم من الاخماس عن مجاهد والسدي وروى ابو سعيد الخدري وغيره انه لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ اعطى فاطمة (ع) فدكا وسلمه اليها وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) وقيل انه خطاب له ﷺ ولغيره والمراد بالقربى قرابة الرجل وهو امر بصلة الرحم بالمال والنفس عن الحسن (والمسكين وابن السبيل) معناه وآت المسكين والمسافر المحتاج ما فرض الله لهم في مالك (ذلك خير) أي اعطاء الحقوق مستحقيها خير (للذين يريدون وجه الله) بالاعطاء دون الرياء والسمعة (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون بثواب الله (وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله) قيل في الربا المذكور في الآية قولان ﴿ احدهما ﴾ انه ربا حلال وهو ان يعطي الرجل العطية او يهدي الهدية ليثاب اكثر منها فليس فيه اجر ولا وزر عن ابن عباس وطاوس وهو المروي عن ابي جعفر (ع) ﴿ والقول الآخر ﴾ انه الربا المحرم عن الحسن والجبائي فعلى هذا يكون كقوله يمحق الله الربا ويربي الصدقات (وما آتيتم من زكاة) أي وما اعطيتموه أهله على وجه الزكاة (تريدون) بذلك (وجه الله) اي ثواب الله ورضاه ولا تطلبون بها المكافأة (فأولئك هم المضعفون) اي فأهلها هم المضعفون يضاعف لهم الثواب وقيل المضعفون ذوو الاضعاف في الحسنات كما يقال رجل مقو اي ذو قوة وموسر اي ذو يسار وقيل هم المضعفون للمال في العاجل وللثواب في الآجل لأن الله سبحانه جعل الزكاة سبباً لزيادة المال ومنه الحديث ما نقص مال من صدقة وقال امير المؤمنين (ع) فرض الله تعالى الصلاة تنزيها عن الكبر والزكاة تسبيباً للرزق والصيام ابتلاء لإخلاص الخلق وصلة الارحام منماة للعدد في كلام طويل وبدأ سبحانه في الآية بالخطاب ثم ثنى بالخبر وذلك معدود في الفصاحة ثم عاد إلى دليل التوحيد فقال (الله الذي خلقكم) اي أوجدكم وأنشأ خلقكم (ثم رزقكم) اي اعطاكم أنواع النعم (ثم يميتكم) بعد ذلك ليصح إيصالكم إلى ما عرضكم له من الثواب الدائم (ثم يحييكم) ليجازيكم على افعالكم (هل من شركائكم) التي عبدتموها من دونه (من يفعل من ذلكم من شيء) او يقدر عليه فيجوز لذلك توجه العبادة اليه ثم نزه سبحانه نفسه عن ان يشرك معه في العبادة فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون)

قوله تعالى (٤١) ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٢) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (٤٣) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٤) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٥) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ

(خمس آيات)

﴿ اللغة ﴾

الصدع الشق وتصدّع القوم تفرّقوا قال

وَكُنّا كَنَدْمانَيْ جَذيمَةَ حِقْبَةً ... مِنَ الدَّهْرِ حَتّى قيلَ لَنْ يَتَصَدَّعا(١)

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه ما اصاب الخلق بسبب ترك التوحيد فقال (ظهر الفساد في البر والبحر) ومعناه ظهر قحط المطر وقلة النبات في البر حيث لا يجري نهر وهو البوادي والبحر وهو كل قرية على شاطئ نهر عظيم (بما كسبت أيدي الناس) يعني كفار مكة عن ابن عباس وليس المراد بالبر والبحر في الآية كل بر وبحر في الدنيا وإنما المراد به حيث ظهر القحط بدعاء النبي ﷺ فعلى هذا يكون التقدير ظهر عقوبة الفساد في البر والبحر قال الفراء اجدب البر وانقطعت مادة البحر بذنوبهم وكان ذلك ليذوقوا الشدة في العاجل ويجوز ايضاً ان يسمى الهلاك والخراب فساداً كما يسمى العذاب سوءاً وان كان ذلك حكمة وعدلا وقيل البر ظهر الأرض والبحر المعروف والفساد ارتكاب المعاصي عن ابي العالية وقيل فساد البرّ قتل قابيل بن آدم أخاه وفساد البحر اخذ السفينة غصباً عن مجاهد وقيل ولاة السوء في البر والبحر وقيل فساد البر ما يحصل فيه من المخاوف المانعة من سلوكه ويكون ذلك بخذلان الله تعالى لأهله والعقاب به وفساد البحر اضطراب أمره حتى لا يكون للعباد متصرف فيه وكل ذلك ليرتدع الخلق عن معاصيه وقيل البر البرية والبحر الريف(٢) والمواضع الخصبة وأصل البَرّ من البِرّ لأنه يبر بصلاح المقام فيه وكذلك البُرّ لأنه يبر بصلاحه في الغذاء أتم صلاح وأصل البحر الشق لأنه شقّ في الأرض ثم كثر فسمي الماء الملح بحراً انشد ثعلب

وَقَدْ عادَ عَذْبُ الْماءِ بَحْراً فَزادَني ... عَلى مَرَضي أَنَّ الْبَحْرَ الْمُشَرَّبُ الْعَذْبُ(٣)

(بما كسبت أيدي الناس) أي جزاء بما عمله الناس من الكفر والفسوق وقيل معناه بسوء افعالهم وشؤم معاصيهم (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي ليصيبهم الله بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوها من المعاصي (لعلهم يرجعون) اي ليرجعوا عنها في المستقبل وقيل معناه ليرجع من يأتي بعدهم عن المعاصي (قل) يا محمد (سيروا في الأرض) ليس بأمر ولكنه مبالغة في العظة وروي عن ابن عباس انه قال من قرأ القرآن وعمله سار في الأرض لأن فيه اخبار الأمم (فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) من الملوك العاتية والقرون العاصية كيف اهلكهم الله وكيف صارت قصورهم قبورهم ومحاضرهم مقابرهم فلم يبق لهم عين ولا اثر ثم بيّن انه فعل ذلك بهم لسوء صنيعهم فقال (كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم) أي استقم للدين المستقيم بصاحبه إلى الجنة اي لا تعدل عنه يميناً ولا شمالا فإنك متى فعلت ذلك ادّاك إلى الجنة وهو مثل قوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقوله تتقلب فيه القلوب والابصار (من قبل ان يأتي يوم لا مردّ له) اي لذلك اليوم وهو يوم القيامة (من الله) أي لا يردّه أحد من الله (يومئذ يصدعون) أي يتفرّقون فيه فريق في الجنة وفريق في السعير عن قتادة وغيره (من كفر فعليه كفره) أي عقوبة كفره لا يعاقب احد بذنبه (ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون) أي يوطئون لأنفسهم منازلهم يقال مهدت لنفسي خيراً أي هيأته ووطأته والمعنى ان ثواب ذلك يصل اليهم ويتمهد احوالهم الحسنة عند الله وهذا توسع يقول من أصلح عمله فكأنه فرش لنفسه في القبر والقيامة وسوّى مضجعه ومثواه وروى منصور بن حازم عن ابي عبد الله (ع) قال ان العمل الصالح ليسبق صاحبه إلى الجنة فيمهد له كما يمهد لأحدكم خادمه فراشه (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) أي ليجزيهم على قدر استحقاقهم ويزيدهم من فضله وقيل معناه بسبب فضله لأنه خلقه وهداه ومكّنه وأزاح علته حتى استحق الثواب

(١) البيت منسوب الى متمم بن نويره ؛ قال في مرثية اخيه مالك بن نويرة حين قتله خالد بن الوليد وبعده «فلما تفرقنا كاني ومالك ✡ بطول اجتماع لم يبت ليله معاً » و ندماني جذيمة قيل : هما الفرقدان ـ قاله في منتهى الادب ـ وقيل : هما مالك وعقيل نديما جذيمة الابرش ملك الحيرة صاحب الزباء ، قتلهما في حال السكر ←

وقيل من فضله يعني فضلا من فضله وثوابا لا ينقطع (انه لا يحب الكافرين) أي لا يريد كرامتهم ومنفعتهم وإنما يريد عقابهم جزاء على كفرهم

قوله تعالى (٤٦) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٨) اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٩) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٥٠) فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن ذكوان كسفا بسكون السين والباقون بتحريكها وقد مضى القول فيه وقرأ ابن عامر واهل الكوفة غير ابي بكر إلى آثار على الجمع والباقون أثر بغير الالف على الواحد وروي عن علي (ع) وابن عباس والضحاك من خلله وعن الجحدري وابن السميفع وابن حيوة كيف تحيي بالتاء

الحجة

قال ابو علي الافراد في أثر لا نه مضاف إلى مفرد وجاز الجمع لأن رحمة الله يجوز أن يراد به الكثرة كما قال سبحانه وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها وقوله كيف يحيي الأرض يجوز ان يكون فاعل يحيي الضمير العائد الى اثر ويجوز ان يكون الضمير العائد إلى اسم الله وهو الأولى ومن ردّ الضمير إلى اثر لزمه ان يقول تحيي بالتاء إذا قرأ آثار رحمة الله فأما من قرأ من خلله فيجوز ان يكون خلل واحد خلال كجبل وجبال ويجوز أن يكون خلال واحدا عاقب خللا كالصّلال والصّلاء ومن قرأ إلى أثر رحمت الله كيف تحيي بالتاء فإنما جاز ذلك وإن كان لا يجوز أما ترى الى غلام هند كيف تضرب زيداً بالتاء لأن الرحمة قد يقوم مقامها اثرها ولا يقوم مقام هند غلامها تقول رأيت عليك النعمة ورأيت عليك اثر النعمة ولا يعبر عن هند بغلامها

الإعراب

وليذيقكم عطف على المعنى وتقديره يرسل الرياح ليبشركم بها وليذيقكم وقوله كيف يشاء تقديره ايّ مشيئة يشاء فيكون مفعولا مطلقاً ليشاء وقوله كيف يحيي الأرض يجوز ان يكون كيف في موضع نصب على الحال من يحيي وذو الحال الضمير المستكن في يحيي أو الأرض والتقدير أمبدعاً يحيي الأرض أم لا او مبدعة يحيي الأرض ام لا ويجوز أن يكون على تقدير المصدر أي ايّ احياء يحيي الأرض قال ابن جني والجملة منصوبة الموضع على الحال حملا على المعنى لا على اللفظ وذلك ان اللفظ استفهام والحال ضرب من الخبر والاستفهام والخبر معنيان متدافعان وتلخيص كونها حالا انه كأنه قال فانظر إلى آثار رحمة الله محيية للأرض كما ان قوله

مَا زِلْتُ أَسْعَى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبِطْ حَتَّى إِذَا جَاءَ الظَّلَامُ الْمُخْتَلِطْ

جَاؤُوا بِضَيْحٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطّ (١)

فلما أصبح ندم وبنى على قبر يهما طربان وكان يغريهما بدم من يقتله يوم بؤسه ولكن الظاهر القول الاول وقد ورد نظيره في كلمات الشعراء قال عمرو بن معديكرب : «وكل اخ مفارقه اخوه ☆ لعمر ابيك الا الفرقدان» اى حتى الفرقدان (٢) الخ (٣) الضحيح: صار ملحاً. (١) نسبه في جامع الشواهد الى احمد الرجاز

فقوله هل رأيت الذئب قط جملة استفهامية في موضع وصف لضيح حملا على المعنى دون اللفظ فكأنه قال جاؤوا بضيح يشبه لونه لون الذئب والضيح اللبن المخلوط بالماء وهو يضرب إلى الخضرة والطلسة

المعنى

ولما وعد الله سبحانه واوعد فكأن قائلا قال ما اصل مايجزي الله عليه بالخير فقيل العبادة وأصل عبادة الله معرفته ومعرفته انما تكون بأفعاله فقال (ومن آياته) أي ومن أفعاله الدالة على معرفته (ان يرسل الرياح مبشرات) بالمطر فكأنها ناطقات بالبشارة لما فيها من الدلالة عليه وارسال الرياح تحريكها واجراؤها في الجهات المختلفة تارة شمالا وتارة جنوبا ومرة صبا واخرى دبوراً على حسب ما يعلم الله في ذلك من المصلحة (وليذيقكم من رحمته) اي وليصيبكم من نعمته وهي الغيث وتقديره انه يرسل الرياح للبشارة والإذاقة من الرحمة (ولتجري الفلك)بها (بأمره ولتبتغوا من فضله) اي ولتطلبوا بركوب السفن الارياح وقيل لتطلبوا بالامطار فيما تزرعونه من فضل الله (ولعلكم تشكرون) نعمة الله تلطف سبحانه بلفظ لعلكم في الدعاء إلى الشكر كما تلطف في الدعاء إلى البر بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ تسلية له في تكذيب قومه إياه فقال (ولقد أرسلنا من قبلك) يا محمد (رسلا إلى قومهم فجاؤهم بالبينات) أي بالمعجزات والآيات الباهرات وهاهنا حذف تقديره فكذبوهم وجحدوا بآياتنا فاستحقوا العذاب (فانتقمنا من الذين اجرموا) أي عاقبناهم بتكذيبهم (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) معناه ودفعنا السوء والعذاب عن المؤمنين وكان واجباً علينا نصرهم بإعلاء الحجة ودفع الأعداء عنهم إلا انه دلّ على المحذوف قوله وكان حقاً علينا نصر المؤمنين وجاءت الرواية عن ام الدرداء انها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من امرئ مسلم يردّ عن عرض اخيه إلا كان حقاً على الله ان يردّ عنه نار جهنم يوم القيامة ثم قرأ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ثم قال سبحانه مفسراً لما أجمله في الآية المتقدمة (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) اي فتهيج سحاباً فتزعجه (فيبسطه) الله (في السماء كيف يشاء) ان شاء بسطه مسيرة يوم وان شاء بسطه مسيرة يومين ويجريها إلى اي جهة شاء وإلى اي بلد شاء (ويجعله كسفاً) اي قطعاً متفرقة عن قتادة وقيل متراكبا بعضه على بعض حتى يغلظ عن الجبائي وقيل قطعاً تغطي ضوء الشمس عن ابي مسلم (فترى الودق) اي القطر (يخرج من خلاله) اي من خلال السحاب (فإذا اصاب به) اي بذلك الودق (من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) اي يفرحون ويبشر بعضهم بعضاً به (وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين) معناه وانهم كانوا من قبل انزال المطر عليهم قانطين آيسين من نزول المطر عن قتادة وكرر كلمة من قبل للتوكيد عن الاخفش وقيل ان الأول من قبل الانزال للمطر والثاني من قبل الارسال للرياح (فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض) حتى انبتت شجراً ومرعى (بعد موتها) اي بعد ان كانت مواتا يابسة جعل الله سبحانه اليبس والجدوبة بمنزلة الموت وظهور النبات فيها بمنزلة الحياة توسعاً (ان ذلك لمحي الموتى) أي ان الله تعالى يفعل ما ترون وهو الله تعالى ليحيي الموتى في الآخرة بعد كونهم رفاتا (وهو على كل شيء قدير) مرّ معناه

قوله تعالى (٥١) وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥٢) فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٣) وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٥٤) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ

ـ ونسبه بعض الى رؤبة بن العجاج ، وقال في شرح الاشموني ومن الناس من ينسب الرجز للعجاج بن رؤبة الراجز المشهور و منهم من يقول لرجل و لم يعينوه «انتهى » يصف الراجز قوما نزل بهم فأطالوا انتظاره في اطعامه ثم جاؤه بضيح .وفي جامع الشواهد وغيره «جاؤا بمذق» ومعناهما واحد

الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٥) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابن كثير وعباس عن ابي عمرو ولا يسمع الصم والباقون ولا تسمع الصم وقد ذكرناه في سورة النمل وقرأ عاصم وحمزة من ضعف بالضم والباقون بفتح الضاد وقد ذكرناه في سورة الانفال

الاعراب

جواب الشرط من قوله لئن ارسلنا قد حذف لأنه قد اغنى عنه جواب القسم لأن المعنى في قوله لظلوا يظلن كما ان قوله ان ارسلنا بمعنى ان نرسل فجواب القسم قد ناب عن الامرين وكان احق بالحكم لتقدمه على الشرط ولو تقدم الشرط لكان الجواب له كقولك ان ارسلنا ريحا فظلوا والله يكفرون واللام في قوله ولئن يسميها البصريون لام توطئة القسم ويسميها الكوفيون لام انذار القسم والمعنى ظل يفعل في صدر النهار وهو الوقت الذي فيه الظل للشمس

المعنى

ثم عاب سبحانه كافر النعمة فقال (ولئن ارسلنا ريحا) مؤذنة بالهلاك باردة (فرأوه مصفراً) أي فرأوا النبت والزرع الذي كان من اثر رحمة الله مصفراً من البرد بعد الخضرة والنضارة وقيل ان الهاء يعود إلى السحاب ومعناه فرأوا السحاب مصفراً لأنه إذا كان كذلك لم يكن فيه مطر (لظلوا من بعده يكفرون) أي لصاروا من بعد ان كانوا راجين مستبشرين يكفرون بالله وبنعمته ولم يرضوا بقضاء الله تعالى فيه فعل من جهل صانعه ومدبّره ولا يعلم انه حكيم لا يفعل إلا الاصلح فيشكر عند النعمة ويصبر عند الشدة ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (فإنك لا تسمع) يا محمد (الموتى ولا تسمع الصم الدعاء) شبّه الكفار في ترك تدبّرهم فيما يدعوهم اليه النبي ﷺ تارة بالأموات وتارة بالصم لأنهم لا ينتفعون بدعاء الداعي فكأنهم لا يسمعونه (إذا ولوا مدبرين) أي إذا اعرضوا عن أدلتنا ذاهبين إلى الضلال والفساد غير سالكين سبيل الرشاد (وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم) يعني انهم كالعمي لا يهتدون بالأدلة ولا تقدر على ردّهم عن العمى إذ لم يطلبوا الاستبصار (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) اي ليس تسمع إلا من يصدّق بآياتنا وأدلّتنا فإنهم المنتفعون بدعائك واسماعك (فهم مسلمون) منقادون لأمر الله ثم عاد سبحانه إلى ذكر الادلة فقال (الله الذي خلقكم من ضعف) أي من نطف وقيل معناه خلقكم أطفالاً لا تقدرون على البطش والمشي والتصرفات (ثم جعل من بعد ضعف قوة) أي شبابا (ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة) يعني حال الشيخوخة والكبر (يخلق ما يشاء) من ضعف وقوة (وهو العليم) بما فيه مصالح خلقه (القدير) على فعله يفعل بحسب ما يعلمه من المصلحة ثم بيّن سبحانه حال البعث فقال (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) أي يحلف المشركون (ما لبثوا) في القبور (غير ساعة) واحدة عن الكلبي ومقاتل وقيل يحلفون ما مكثوا في الدنيا غير ساعة لاستقلالهم مدة الدنيا وقيل يحلفون ما لبثوا بعد انقطاع عذاب القبر غير ساعة عن الجبائي ومتى قيل كيف يحلفون كاذبين مع ان معارفهم في الآخرة ضرورية قيل فيه أقوال ﴿احدها﴾ انهم حلفوا على الظن ولم يعلموا لبثهم في القبور فكانهم قالوا ما لبثنا غير ساعة في ظنوننا عن ابي علي وابي هاشم ﴿وثانيها﴾ انهم استقلوا الدنيا لما عاينوا من امر الآخرة فكأنهم قالوا ما الدنيا في الآخرة إلا ساعة فاستقلوا حيث اشتغلوا في المدة اليسيرة بما أوردهم تلك الأهوال الكثيرة ﴿وثالثها﴾ ان ذلك يجوز ان يقع منهم قبل اكمال عقولهم عن ابي بكر بن الاخشيد (كذلك كانوا يؤفكون) في دار الدنيا أي يكذبون وقيل يصرفون

صرفهم جهلهم عن الحق في الدارين ومن استدل في هذه الآية على نفي عذاب القبر فقد ابعد لما بيّنّا انه يجوز ان يريدوا انهم لم يلبثوا بعد عذاب الله إلا ساعة

قوله تعالى (٥٦) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٧) فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٨) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٩) كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٦٠) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة لا ينفع بالياء والباقون بالتاء وكذلك في حم المؤمن ووافق نافع اهل الكوفة في حم المؤمن

الحجة

قال ابو علي التأنيث حسن لأن المعذرة اسم مؤنث واما التذكير فلأن التأنيث غير حقيقي وقد وقع الفصل بين الفعل وفاعله والفصل يحسن التذكير

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن علماء المؤمنين في ذلك اليوم فقال (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان) أي آتاهم الله العلم بما نصب لهم من الأدلة الموجبة له فنظروا فيها فحصل لهم العلم فلذلك أضافه إلى نفسه لما كان هو الناصب للأدلة على العلوم والتصديق بالله وبرسوله (لقد لبثتم) اي مكثتم (في كتاب الله) ومعناه ان لبثكم ثابت في كتاب الله ثبته الله فيه وهو قوله ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون وهذا كما يقال ان كل ما يكون فهو في اللوح المحفوظ اي هو مثبت فيه والمراد لقد لبثتم في قبوركم (إلى يوم البعث) وقيل ان الذين أوتوا العلم والإيمان هم الملائكة وقيل هم الأنبياء وقيل هم المؤمنون وقيل ان هذا على التقديم وتقديره وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله وهم الذين يعلمون كتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يوم البعث وقال الزجاج في كتاب الله أي في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ فهذا يوم البعث الذي كنتم تنكرونه في الدنيا (ولكنكم كنتم لا تعلمون) وقوعه في الدنيا فلم ينفعكم العلم به الآن ويدلُّ على هذا المعنى قوله (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا) انفسهم بالكفر (معذرتهم) فلا يمكنون من الاعتذار ولو اعتذروا لم يقبل عذرهم (ولا هم يستعتبون) أي لا يطلب منهم الإعتاب والرجوع إلى الحق (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي بالغنا في البيان للمكلفين في هذا القرآن الذي أنزلناه على نبيّنا من كل مثل يدعوهم إلى التوحيد والإيمان (ولئن جئتهم بآية) أي معجزة باهرة مما اقترحوها منك (ليقولن الذين كفروا ان انتم إلا مبطلون) أي اصحاب اباطيل وهذا اخبار عن عناد القوم وتكذيبهم بالآيات (كذلك) اي مثل ما طبع الله على قلوب هؤلاء (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) توحيد الله والطبع والختم مفسّران في سورة البقرة (فاصبر) يا محمد على اذى هؤلاء الكفار واصرارهم على كفرهم (إن وعد الله حق) بالعذاب والتنكيل لأعدائك والنصر والتأييد لك ولدينك (ولا يستخفنك) اي لا يستفزنك (الذين يوقنون) بالبعث والحساب فهم ضالون شاكّون وقيل لا يستخفنّك اي لا يحملنّك كفر هؤلاء على الخفة والعجلة لشدة الغضب عليهم لكفرهم بآياتك فتفعل خلاف ما امرت به من الصبر والرفق عن الجبائي

سورة لقمان

مكية عن ابن عباس سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام إلى آخرهن

عدد آيها

ثلاث وثلاثون آية حجازي اربع في الباقين

اختلافها

آيتان الم كوفي مخلصين له الدين بصري شامي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة لقمان كان لقمان له رفيقاً يوم القيامة واعطي من الحسنات عشراً بعدد من عمل بالمعروف وعمل بالمنكر وروى محمد بن جبير العزرمي عن ابيه عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ سورة لقمان في كل ليلة وكل الله به في ليلته ثلاثين ملكا يحفظونه من ابليس وجنوده حتى يصبح فإن قرأها بالنهار لم يزالوا يحفظونه من ابليس وجنوده حتى يمسي

تفسيرها

لما ختم الله سورة الروم بذكر الآيات الدالة على صحة نبوته افتتح هذه السورة بذكر آيات القرآن فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) الٓمٓ (٢) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٣) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (٤) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٥) أُولٰئِكَ عَلٰى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٦) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٧) وَإِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلّٰى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٩) خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٠) خَلَقَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقٰى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ

(عشر آيات)

القراءة

قرأ حمزة ورحمة بالرفع والباقون ورحمة بالنصب وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر ويعقوب ويتخذها بالنصب والباقون بالرفع وقد ذكرنا فيما تقدم ان ابن كثير وابا عمرو ويعقوب قرؤوا ليَضلّ بفتح الياء وان نافعاً يقرأ الاذن بسكون الذال كل القرآن

الحجة

قال ابو علي والزجاج وجه النصب في ورحمة انه انتصب عن الاسم المبهم على الحال أي تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة والرفع على اضمار المبتدأ اي هو هدى ورحمة ومن رفع ويتخذها جعله عطفاً على الفعل الأول أي من يشتري ويتخذ ومن نصب عطفه على ليضل ويتخذها واما الضمير في يتخذها فيجوز ان يكون للحديث لأنه بمعنى الاحاديث ويجوز ان يكون للسبيل لأن السبيل يؤنث قال قل هذه سبيلي ويجوز ان يكون لآيات الله وقد جرى ذكرها في قوله تلك آيات الكتاب

الإعراب

مفعول يضل محذوف اي ليضل الناس · بغير علم في موضع النصب على الحال تقديره ليضل الناس جاهلا او غير عالم · كأن لم يسمعها الكاف في موضع الحال وكذا قوله كأنَّ في اذنيه وقراً في موضع الحال أي ولى مستكبراً مشبهاً للصم · لهم جنات النعيم جنات يرتفع بالظرف على المذهبين لأنه جرى خبراً على المبتدأ · وعدالله مصدر فعل محذوف وحقاً صفة للمصدر وتقديره وعد الله وعداً حقاً · بغير عمد يجوز ان يكون غير صفة لمحذوف مجرور بالباء أي بعمد غير عمد ترونها وترونها جملة في موضع جرّ بكونها صفة لعمد أي بغير عمد مرئية ويجوز ان يكون غير بمعنى لا وعلى الوجهين يتعلق الباء بخلق ويجوز ان يكون الباء للحال فيكون حالا من السموات ويجوز وجه آخر وهو ان يتعلق الباء بترون والجملة في موضع نصب على الحال من خلق فالتقدير خلق السموات مرئية بغير عمد · ان تميد في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره حذر ان تميد و كراهة ان تميد

النزول

نزل قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث في النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد الدار بن قصي ابن كلاب كان يتّجر فيخرج إلى فارس فيشتري اخبار الاعاجم ويحدث بها قريشا ويقول لهم ان محمداً يحدّثكم بحديث عاد وثمود وانا احدّثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن عن الكلبي وقيل نزل في رجل اشترى جارية تغنيه ليلاً ونهاراً عن ابن عباس ويؤيّده ما رواه ابو امامة عن النبي ﷺ قال لا يحلّ تعليم المغنيات ولا بيعهن واثمانهن حرام وقد نزل تصديق ذلك في كتاب الله تعالى ومن الناس من يشتري الآية والذي نفسي بيده ما رفع رجل عقيرته(١) يتغنّى إلا ارتدفه شيطانان يضربان ارجلها على صدره وظهره حتى يسكت

المعنى

(الم تلك آيات الكتاب الحكيم) تقدّم تفسيره (هدى ورحمة للمحسنين) أي بيان ودلالة ونعمة للمطيعين وقيل للموحّدين وقيل للذين يحسنون العمل ثم وصفهم فقال (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة) إلى قوله (هم المفلحون) قد مرّ تفسيره في سورة البقرة ثم وصف الذين حالهم تخالف حال هؤلاء فقال (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) اي باطل الحديث واكثر المفسرين على ان المراد بلهو الحديث الغناء وهو قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وابي الحسن الرضا عليهم السلام قالوا منه الغناء وروي ايضاً عن ابي عبد الله (ع) انه قال هو الطعن بالحق والاستهزاء به وما كان ابو جهل واصحابه يجيئون به إذ قال يا معشر قريش ألا أطعمكم من الزقوم الذي يخوّفكم به صاحبكم ثم ارسل إلى زبد وتمر فقال هذا هو الزقوم الذي يخوّفكم به قال ومنه الغناء فعلى هذا فإنه يدخل فيه كل شيء يلهي عن سبيل الله وعن سماعه من الاباطيل والمزامير والملاهي والمعازف ويدخل فيه السخرية بالقرآن واللغو فيه كما قاله ابو مسلم والترهات والبسابس على ما قاله عطا وكل لهو ولعب على ما قاله قتادة والأحاديث الكاذبة والأساطير الملهية عن القرآن على

(١) عقيرة الرجل : صوته اذا غنى ، وقيل : أصله ان رجلا عقرت رجله فوضع العقيرة على الصحيحة وبكى عليها باعلى صوته ، فقيل : رفع عقيرته ثم كثر ذلك حتى صير الصوت بالغناء عقيرة .

ما قاله الكلبي وروى الواحدي بالاسناد عن نافع عن ابن عمر انه سمع النبي ﷺ في هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال باللعب والباطل كثير النفقة سمح فيه ولا تطيب نفسه بدرهم يتصدق به وروي ايضاً بالاسناد عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من ملأ مسامعه من غناء لم يؤذن له أن يسمع صوت الروحانيين يوم القيامة قيل وما الروحانيون يا رسول الله قال قراء أهل الجنة (ليضلّ عن سبيل الله) أي ليضلّ غيره ومن أضلّ غيره فقد ضلّ هو ومن قرأ بفتح الياء فالمعنى ليصير أمره إلى الضلال وهو ان لم يكن يشتري للضلال فإنه يصير امره إلى ذلك قال قتادة يحسب المرء من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق وسبيل الله قراءة القرآن وذكر الله عن ابن عباس (بغير علم) معناه انه جاهل فيما يفعله لا يفعل عن علم (ويتخذها هزوا) أي ويتخذ آيات القرآن هزواً أو ويتخذ سبيل الله هزوا يستهزأ بها (أولئك لهم عذاب مهين) أي مضلّ يهينهم الله به (وإذا تتلى عليه آياتنا) أي وإذا قرئ عليه القرآن (ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها) أي اعرض عن سماعه اعراض من لا يسمعه رافعاً نفسه فوق مقدارها (كأنّ في اذنيه وقراً) أي كأنّ في مسامعه ثقلا يمنعه عن سماع تلك الآيات (فبشّره) يا محمد (بعذاب أليم) أي مؤلم موجع في القيامة ثم اخبر سبحانه عن صفة المؤمنين المصدقين فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) يوم القيامة يتنعمون فيها (خالدين فيها) اي مؤبّدين في تلك الجنات (وعد الله حقاً) أي وعداً وعده الله حقاً لا خلف له (وهو العزيز) في انتقامه (الحكيم) في جميع افعاله وأحكامه لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ثم أخبر سبحانه عن افعاله الدالة على توحيده فقال (خلق السموات) أي انشأها واخترعها (بغير عمد ترونها) إذ لو كان لها عمد لرأيتموها لأنها لو كانت تكون اجساماً عظاماً حتى يصحّ منها ان تقل السموات ولو كانت كذلك لاحتاجت إلى عمد آخر فكان يتسلسل فإذا لا عمد لها وقيل ان المراد بغير عمد مرئيّة والمعنى ان لها عمداً لا ترونها عن مجاهد والصحيح الأول (والقى في الأرض رواسي) اي جبالاً ثابتة (أن تميد بكم) اي كراهة ان تميد بكم وقيل لئلا تميد بكم (وبث فيها) أي فرّق فيها اي في الأرض (من كل دابة) تدبّ على وجهها من انواع الحيوانات (وأنزلنا من السماء ماء) اي غيثاً ومطراً (فأنبتنا فيها) أي في الأرض بذلك الماء (من كل زوج) اي صنف (كريم) أي حسن النبتة طيب الثمرة

قوله تعالى (١١) هٰذَا خَلْقُ اللّٰهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلّٰهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٣) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللّٰهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٤) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٥) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابن كثير في رواية البزي يا بُنَيْ لا تشرك بالله ساكنة الياء يا بُنَيِّ انها مكسورة الياء يا بُنَيَّ اقم الصلاة مفتوحة الياء وقرأ في رواية القواس يا بُنَيْ لا تشرك يا بُنَيْ اقم ساكنة الياء فيهما يا بنيّ انها مكسورة الياء وقرأ ابن

فليح يا بنيّ لا تشرك يا بنيّ انها مكسورة الياء فيهما يا بنيَّ اقم مفتوحة الياء وقرأ حفص يا بنيَّ بفتح الياء في كل القرآن والباقون بكسر الياء في كل القرآن وفي الشواذ قراءة عيسى الثقفي ورواية بعضهم عن ابي عمرو وَهَناً على وَهَن بفتح الهاء وقراءة الحسن بخلاف وابي رجا والجحدري وقتادة ويعقوب وفصله في عامين

الحجة

قال ابو علي من اسكن الياء في الوصل فإنه يجوز ان يكون على قول من قال يا غُلامَ اقبل فلما وقف قال يا غُلامْ فأسكن للوقف ويكون اجرى الوصل مجرى الوقف وهذا يجيء في الشعر كقول عمران بن حطان

قَدْ كُنْتُ عِنْدَكَ حَوْلاً لا تُرَوِّعُنِي ... فِيهِ رَوَائِعُ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانِ

فإنما خفف جان للقافية ثم وصل بحرف الاطلاق وأجرى الوصل مجرى الوقف وهذا لا نعلم جاء في الكلام ومن قال يا بُنَيِّ انها فهو على قولك يا غُلامَ أقبل ومن قال يا بنيَّ بفتح الياء فانه على قولك يا بنيا فأبدل من ياء الاضافة الفا ومن الكسرة فتحة وعلى هذا حمل ابو عثمان قوله يا أبت وقد تقدَّم ذكر ذلك فيما سلف ومن قرأ وهَناً على وهَن بفتح الهاء فيمكن ان يكون حرك الهاء لأجل حرف الحلق كقراءة الحسن إلى يوم البَعْث فهذا يوم البَعْث بفتح العين وأما الفصل فإنه أعمّ من الفصال لأنه يستعمل في الرضاع وغيره. والفصال هاهنا أوجه لأن الموضع مختص بالرضاع

الاعراب

فأروني ماذا خلق الذين من دونه تقديره أيّ شيء خلق فماذا بمنزلة اسم واحد في موضع نصب بأنه مفعول خلق والجملة معلقة بأروني. أن اشكر لله قال الزجاج معناه لأن يشكر لله ويجوز ان تكون ان مفسرة فيكون المعنى ان اشكر لله وتأويل ان اشكر قلنا له اشكر لله على ما اتاك. حملته امه جملة في موضع النصب على الحال بإضمار قد والعامل في الحال معنى الفعل الذي يدلّ عليه قوله ووصّينا الإنسان بوالديه فإن معناه أمرناه بالإحسان إلى والديه وحاله انه كان محمولاً لأمه ومثله قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا أي وحالكم انكم كنتم أمواتا. وهناً مصدر فعل محذوف في موضع الحال أي تهن وهناً وقوله على وهن في موضع الصفة لقوله وهنا ويجوز أن يتعلق ايضاً بالعامل في وهناً وقوله معروفاً صفة لمصدر محذوف وتقديره مصاحباً معروفاً بمعنى مصاحبة معروفة

المعنى

ثم اشار سبحانه إلى ما تقدَّم ذكره فقال (هذا خلق الله) اي هذا الذي ذكرت من السموات على عظمها وكبر حجمها والأرض وما فيها خلق الله الذي أوجده وأحدثه (فأروني ماذا خلق الذين من دونه) يعني آلهتهم التي يعبدونها (بل الظالمون في ضلال مبين) المعنى انهم لا يجدون لهذا الكلام جوابا ولا يمكنهم أن يشيروا إلى شيء هو خلق آلهتهم فلم يحملهم على عبادتهم خلقها لشيء ولكنهم في عدول ظاهر عن الحق ولما ذكر سبحانه الأدلة الدالة على توحيده وقدرته وحكمته بيّن عقيب ذلك قصة لقمان وانه اعطاه الحكمة فقال (ولقد آتينا لقمان الحكمة) اي اعطيناه العقل والعلم والعمل به والاصابة في الأمور واختلف فيه فقيل انه كان حكيماً ولم يكن نبياً عن ابن عباس ومجاهد وقتادة واكثر المفسرين وقيل انه كان نبياً عن عكرمة والسدي والشعبي وفسّروا الحكمة هنا بالنبوة وقيل انه كان عبدا اسود حبشياً غليظ المشافر[1] مشقوق الرجلين في زمن داود (ع) وقال له بعض الناس ألست كنت ترعى معنا فقال نعم قال فمن أين أوتيت ما أرى قال قدر الله واداء الأمانة وصدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وقيل انه كان ابن اخت ايوب عن وهب وقيل كان ابن خالة ايوب عن مقاتل وروي عن نافع عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول حقاً أقول لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه ومنّ عليه بالحكمة كان نائماً نصف النهار إذ جاءه نداء يا لقمان هل لك

(١) جمع المشفر : الشفة .

ان يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت إنْ خيَّرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم علي فسمعاً وطاعة فإني اعلم انه ان فعل بي ذلك اعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لِمَ يا لقمان قال لأن الحكم أشد المنازل وآكدها يغشاه الظلم من كل مكان ان وقي فبالحري ان ينجو وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا وفي الآخرة شريفاً خير من ان يكون في الدنيا شريفاً وفي الآخرة ذليلاً ومن يختر الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم كان يوآزر داود بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان اعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى (ان اشكر لله) معناه وقلنا له اشكر لله تعالى على ما اعطاك من الحكمة (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه) اي من يشكر نعمة الله ونعمة من انعم عليه فإنه انما يشكر لنفسه لأن ثواب شكره عائد عليه ويستحق مزيد النعمة والزيادة الحاصلة بالشكر تكون له (ومن كفر فإن الله غني) عن شكر الشاكرين (حميد) اي محمود على افعاله وقيل مستحمد إلى خلقه بالانعام عليهم والشكر لا يكون إلا على نعمة سبقت فهو يقتضي منعما فعلى هذا لا يصح ان يشكر الإنسان نفسه كما لا يصح ان يكون منعما على نفسه ويجري مجرى الدَّين في انه حق لغيره عليه يلزمه اداؤه فكما لا يصح ان يقرض نفسه فكذلك لا يصح ان ينعم على نفسه (وإذ قال لقمان لابنه) معناه واذكر يا محمد إذ قال لقمان لابنه ويجوز ايضاً ان يتعلق إذ بقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة إذ قال لابنه (وهو يعظه) أي يؤدّبه ويذكره أي في حال ما يعظه (يا بني لا تشرك بالله) أي لا تعدل بالله شيئاً في العبادة (إن الشرك لظلم عظيم) أصل الظلم النقصان ومنع الواجب فمن اشرك بالله فقد منع ما وجب لله عليه من معرفة التوحيد فكان ظالماً وقيل انه ظلم نفسه ظلما عظيما بأن اوبقها (ووصينا الإنسان بوالديه) لما قدَّم الأمر بشكر النعمة اتبعه بالتنبيه على وجوب الشكر لكل منعم فبدأ بالوالدين أي أمرناه بطاعة الوالدين وشكرهما والإحسان اليهما وإنما قرن شكرهما بشكره لأنه الخالق المنشئ وهما السبب في الانشاء والتربية ثم بيَّن سبحانه زيادة نعمة الأم فقال (حملته أمه وهناً على وهن) معناه ضعفاً على ضعف عن الضحاك والحسن يعني ضعف نطفة الوالد على ضعف نطفة الأم عن ابي مسلم وقيل لأن الحمل يؤثر فيها فكلما ازداد الحمل ازدادت ضعفاً على ضعف وقيل لأنها ضعيفة الخلقة فازدادت ضعفاً بالحمل وقيل وهناً على وهن أي شدة على شدة وجهداً على جهد عن ابن عباس وقتادة (وفصاله في عامين) اي وفطامه من الرضاع في انقضاء عامين لأن العامين جملة مدة الرضاع فهو كقوله يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة والمراد انها بعد ما تلده ترضعه عامين وتربيه فتلحقها المشقة بذلك ايضاً (ان اشكر لي ولوالديك) هذا تفسير قوله ووصينا الإنسان أي وصيناه بشكرنا وشكر والديه فشكر الله سبحانه بالحمد والطاعة وشكر الوالدين بالبر والصلة (إليَّ المصير) وفيه تهديد أي إليَّ مرجعكم فأجازيكم على حسب أعمالكم (وإن جاهداك) أيها الإنسان أي جاهداك والداك (على ان تشرك بي) معبوداً آخر فلا تطعهما وهو قوله (ما ليس لك به علم) لأن ما يكون حقاً تعلم صحته فما لا تعلم صحته فهو باطل فكأنه قال فإن دعواك إلى باطل (فلا تطعهما) في ذلك (وصاحبهما في الدنيا معروفاً) أي واحسن اليهما وارفق بهما في الأمور الدنيوية وان وجبت مخالفتهما في أبواب الدين لمكان كفرهما (واتبع سبيل من أناب إليَّ) أي واسلك طريقة من رجع إلى طاعتي وأقبل إليَّ بقلبه وهو النبي ﷺ والمؤمنون قال (ثم إليَّ) أي إلى حكمي (مرجعكم) ومنقلبكم (فأنبئكم) أي اخبركم (بما كنتم تعملون) في دار الدنيا من الأعمال وأجازيكم عليها بحسبها

فصل في ذكر نبذ من حكم لقمان

ذكر في التفسير ان مولاه دعاه فقال اذبح شاة فأتني بأطيب مضغتين منها فذبح شاة وأتاه بالقلب واللسان[1]

(١) وفي بعض التفاسير كالبيضاوي والثعلبي «ثم امره بمثل ذلك بعد اياموأن يأتي بأخبث مضغتين منها فاخرج القلب واللسان فسأله عن ذلك فقال ...» واحتمل المجلسي (ره) في هامش البحار انه سقط من الكتاب ايضاً .

فسأله عن ذلك فقال انهما اطيب شيء إذا طابا واخبث شيء إذا خبثا وقيل ان مولاه دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الحاجة يفجع منه الكبد ويورث منه الباسور ويصعد الحرارة إلى الرأس فاجلس هونا وقم هونا قال فكتب حكمته على باب الحش[1] قال عبد الله بن دينار قدم لقمان من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال ما فعل ابي قال مات قال ملكت أمري قال ما فعلت امرأتي قال ماتت قال جدّد فراشي قال ما فعلت اختي قال ماتت قال سترت عورتي قال ما فعل اخي قال مات قال انقطع ظهري وقيل للقمان ايّ الناس شرٌّ قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيئاً. وقيل له ما اقبح وجهك قال تعتب على النقش او على فاعل النقش. وقيل انه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد ليّن الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما اتمّها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وفي كتاب من لا يحضره الفقيه قال لقمان لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله واجعل شراعها التوكل على الله واجعل زادك فيها تقوى الله فإن نجوت فبرحمة الله وان هلكت فبذنوبك وروى سليمان بن داود المنقري عن حماد بن عيسى عن ابي عبد الله (ع) قال في وصية لقمان لابنه يا بني سافر بسيفك وخفّك وعمامتك وخبائك وسقائك وخيوطك ومخرزك وتزود معك من الادوية ما تنتفع به أنت ومن معك وكن لأصحابك موافقاً إلا في معصية الله عز وجل يا بني إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك وامورهم واكثر التبسم في وجوههم وكن كريما على زادك بينهم فإذا دعوك فأجبهم وإذا استعانوا بك فأعنهم واستعمل طول الصمت وكثرة الصلاة وسخاء النفس بما معك من دابة او ماء أو زاد وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم واجهد رأيك لهم إذا استشاروك ثم لا تعزم حتى تثبت وتنظر ولا تجب في مشورة حتى تقوم فيها وتقعد وتنام وتأكل وتصلي وأنت مستعمل فكرتك وحكمتك في مشورته فإن من لم يمحض النصيحة من استشاره سلبه الله رأيه وإذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم فإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم واسمع لمن هو اكبر منك سناً وإذا امروك بأمر وسألوك شيئاً فقل نعم ولا تقل لا فإنّ لا عيٌّ ولؤم وإذا تحيّرتم في الطريق فانزلوا وإذا شككتم في القصد فقفوا وتوآمروا وإذا رأيتم شخصاً واحداً فلا تسألوه عن طريقكم ولا تسترشدوه فإن الشخص الواحد في الفلاة مريب لعله يكون عين اللصوص أو يكون هو الشيطان الذي حيّركم واحذروا الشخصين أيضاً إلا ان تروا ما لا أرى لأن العاقل إذا أبصر بعينه شيئاً عرف الحق منه والشاهد يرى ما لا يرى الغائب يا بني إذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرها لشيء صلّها واسترح منها فإنها دين وصلّ في جماعة ولو على رأس زجّ[2] ولا تنامن على دابتك فإن ذلك سريع في دبرها وليس ذلك من فعل الحكماء إلا ان تكون في محمل يمكنك التمدد لاسترخاء المفاصل فإذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وابدأ بعلفها قبل نفسك فإنها نفسك[3] وإذا أردتم النزول فعليكم من بقاع الأرض بأحسنها لوناً وألينها تربة واكثرها عشباً وإذا نزلت فصلّ ركعتين قبل ان تجلس وإذا اردت قضاء حاجتك فابعد المذهب في الارض وإذا ارتحلت فصلّ ركعتين ثم ودّع الأرض التي حللت بها وسلم على اهلها فإن لكل بقعة أهلا من الملائكة وإن استطعت ان لا تأكل طعاماً حتى تبتدئ فتصدق منه فافعل وعليك بقراءة كتاب الله ما دمت راكباً وعليك بالتسبيح مادمت عاملا عملا وعليك بالدعاء مادمت خالياً وإياك والسير في أول الليل إلى آخره وإياك ورفع الصوت في مسيرك. وقال ابو عبد الله (ع) والله ما أوتي لقمان الحكمة لحسب ولا مال ولا بسط في جسم ولا جمال ولكنه كان رجلا قوياً في امر الله مشوراً في الله ساكتاً ساكناً عميق النظر طويل التفكر حديد البصر لم ينم نهاراً قط ولم يتكئ في مجلس قوم قط ولم يتفل في مجلس قوم قط ولم يعبث بشيء قط ولم يره احد من الناس على بول ولا غائط قطّ ولا على اغتسال لشدة تستّره وتحفظه في امره ولم يضحك من شيء قط ولم يغضب قط مخافة الاثم في دينه ولم يمازح إنسانا قط ولم يفرح بما اوتيه من الدنيا ولا حزن منها على شيء قط وقد

(١) الحش ـ مثلثة ـ : المخرج ، وأصله من البستان سمي بذلك لانهم كانوا يقضون حاجتهم في البساتين .
(٢) الزج : الحديدة التي في اسفل الرمح . (٣) روى الكليني (ره) الحديث في روضة الكافي بأدنى اختلاف فيه وليس فيما رواه «فانها نفسك» راجع الروضة : ٣٤٨ـ٣٤٩ .

نكح من النساء وولد له الأولاد الكثيرة وقدم اكثرهم افراطا فما بكى على موت احد منهم ولم يمر بين رجلين يقتتلان أو يختصمان إلا اصلح بينهما ولم يمض عنهما حتى تحاجزا ولم يسمع قولا استحسنه من احد قط إلا سأله عن تفسيره وعن من اخذه وكان يكثر مجالسة الفقهاء والعلماء وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين فير ثي للقضاة بما ابتلوا به ويرحم الملوك والسلاطين لعزتهم بالله وطمأنينتهم في ذلك ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه ويحترز من السلطان وكان يداوي نفسه بالتفكر والعبر وكان لا يظعن إلا فيما ينفعه ولا ينظر إلا فيما يعنيه فبذلك اوتي الحكمة ومنح القضية

قوله تعالى (١٦) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٧) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٩) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (٢٠) أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (خمس آيات)

القراءة

قد ذكرنا في سورة الأنبياء ان قراءة أهل المدينة مثقال حبة بالرفع وقراءة الباقين بالنصب وقرأ اهل الكوفة غير عاصم وابو عمرو ونافع ولا تصاعر بالالف والباقون ولا تصعّر بالتشديد وقرأ اهل المدينة والبصرة غير يعقوب وحفص نعمه على الجمع والباقون نعمة على الواحد وفي الشواذ قراءة عبد الكريم الجزري فَتَكِنُ في صخرة بكسر الكاف وقراءة يحيى بن عمارة واصبغ بالصاد عليكم نعمه ظاهرة وباطنة

الحجة

قال ابو علي من قرأ ان تك مثقالُ بالرفع فألحق علامة التأنيث بالفعل فلأن المثقال هو السيئة اوالحسنة فأنث على المعنى كما قال فله عشر امثالها فأنّث ومن قرأ مثقالَ بالنصب فالمعنى ان تك المظلمة أو السيئة أو الحسنة مثقال حبة اتى بها الله وأثاب عليها او عاقب واما قوله ولا تصعّر فإنه يشبه ان يكون لا تصعر ولا تصاعر بمعنى كما قال سيبويه في ضعف وضاعف وقال ابو الحسن لا تصاعر لغة أهل الحجاز ولا تصعر لغة بني تميم وقال ابو عبيدة اصله من الصعر الذي يأخذ الابل في رؤوسها وأعناقها قال ابو علي فكأنه يقول لا تعرض عنهم ولا تزور كازورار الذي به هذا الداء الذي يلوي منه عنقه ويعرض بوجهه والنعم جمع نعمة فالنعم للكثير ونعم الله تعالى كثيرة والمفرد ايضاً يدل على الكثرة قال وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها وأما قوله ظاهرة وباطنة فلا ترجيح فيه لإحدى القراءتين على الاخرى ألا ترى أن النعم توصف بالظاهرة والباطنة كما توصف النعمة بذلك ومن قرأ فَتَكِنُ فهو من وَكَنَ الطائر يَكِنُ إذا استقرّ في وكنه ومنه قول امرء القيس

وَقَدْ اغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا ... بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ (١)

وقوله اصبغ ابدل فيه السين صاداً لأجل الغين كما قالوا سالغ وصالغ

(١) البيت من معلقته المعروفة قوله «وقد اغتدى» اى اخرج وقت الغداة والوكنات: جمع الوكنة: بتثليث الواو. عش الطائر. والمنجرد: الفرس الماضي في السير او القصير الشعر. والاوابد: الوحوش. والهيكل: الفرس العظيم الضخم وقوله «قيد الاوابد» يريد ان هذا الفرس لسرعة عدوه وشدة جريه يدرك الوحوش ويلحقها ولا يمكنها

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى الإخبار عن لقمان ووصيته لابنه وانه قال له (يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل) معناه ان فعلة الإنسان من خير أو شر ان كانت مقدار حبة خردل في الوزن ويجوز ان يكون الهاء في انها ضمير القصة كما في قوله فإنها لا تعمى الأبصار قال الزجاج يروى ان ابن لقمان سأل لقمان فقال ارأيت الحبة تكون في مقل البحر اي مغاص البحر يقال مقل يمقل إذا غاص أيعلمها الله فقال انها أي ان التي سألتني عنها ان تك مثقال حبة من خردل (فتكن في صخرة) اي فتكن تلك الحبة في جبل عن قتادة والمعنى في صخرة[1] عظيمة لأن الحبة فيها اخفى وابعد من الاستخراج (او في السموات او في الارض) ذكر السموات والارض بعد ذكر الصخرة وان كان لا بدّ وان تكون الصخرة في الارض على وجه التأكيد كما قال اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم قال خلق الإنسان وقال السدي هذه الصخرة ليست في السموات ولا في الارض هي تحت سبع أرضين وهذا قول مرغوب عنه (يأت بها الله) اي يحضرها الله يوم القيامة ويجازي عليها اي يأت بجزاء ما وازنها من خير او شر وقيل معناه يعلمها الله فيأتي بها إذا شاء كذلك قليل العمل من خير او شر يعلمه الله فيجازي عليه فهو مثل قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وروى العياشي بالاسناد عن ابن مسكان عن ابي عبد الله «ع» قال اتقوا المحقرات من الذنوب فإن لها طالبا لا يقولن احدكم اذنب واستغفر الله ان الله تعالى يقول ان تك مثقال حبة من خردل الآية (ان الله لطيف) باستخراجها (خبير) بمستقرها عن قتادة وقيل اللطيف العالم بالامور الخفية والخبير العالم بالأشياء كلها (يا بني) انما صغّر اسمه في هذه المواضيع للرقة والشفقة لا للتحقير (أقم الصلوة) اي أدّ الصلاة المفروضة في ميقاتها بشروطها (وأمر بالمعروف) وهو الطاعة (وانه عن المنكر) وهو كل معصية وقبيح سواء كان من القبائح العقلية او الشرعية فإن المعروف ما يدعو اليه العقل والشرع والمنكر ما يزجر عنه العقل والشرع (واصبر على ما أصابك) من المشقة والأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن علي «ع» وقيل ما أصابك من شدائد الدنيا ومكارهها من الأمراض وغيرها عن الجبائي (ان ذلك من عزم الامور) اي من العقد الصحيح على فعل الحسن بدلا من القبيح والعزم الإرادة المتقدمة للفعل بأكثر من وقت وهو العقد على الأمر لتوطين النفس على فعله والتلون في الرأي يناقض العزم وقيل معناه ان ذلك من الامور التي يجب الثبات والدوام عليها وقيل العزم القوة والحزم الحذر ومنه المثل لا خير في عزم بغير حزم وقيل الحزم التأهب للامر والعزم النفاذ فيه ومنه قيل في المثل « رَوِّ بحزم[2] فإذا استوضحت فاعزم » (ولا تصعّر خدّك للناس) اي ولا تمل وجهك من الناس تكبرا ولا تعرض عمن يكلمك استخفافا به وهذا معنى قول ابن عباس وابي عبد الله «ع» يقال أصاب البعير صعر اي داء يلوي منه عنقه فكأن المعنى لا تلزم خدك الصعر لأنه لا داء للإنسان ادوى من الكبر قال

وَكُنَّا إِذَا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... أَقَمْنَا لَهُ مِنْ دَرْئِهِ فَتَقَوَّما[3]

وقيل هو ان يكون بينك وبين إنسان شيء فإذا لقيته اعرضت عنه عن مجاهد وقيل هو ان يسلّم عليك فتلوي عنقك تكبرا عن عكرمة (ولا تمش في الارض مرحا) اي بطرا وخيلاء (ان الله لا يحب كل مختال فخور) اي كل متكبر فخور على الناس (واقصد في مشيك) اي اجمل في مشيك قصداً مستويا على وجه السكون والوقار كقوله الذين يمشون على الأرض هونا قال قتادة معناه تواضع في مشيك وقال سعيد بن جبير ولا تختل في مشيك (واغضض من صوتك) اي انقص من صوتك إذا دعوت وناجيت ربك عن عطا وقيل لا تجهر كل الجهر واخفض صوتك ولا ترفعه مطاولا به (ان انكر الاصوات لصوت الحمير) اسيء اقبح الاصوات صوت الحمير اوله زفير وآخره شهيق عن قتادة يقال وجه منكر اي قبيح . أمر لقمان ابنه بالاقتصاد في المشي والنطق وروي

← من الشراد والنفار فكأنه يقيدها .

(١) وفي المخطوطتين «في حجرة» بدل «في صخرة» . (٢) امر من روى في الامر: نظر فيه وتفكر. (٣) قائله جرير و الدرء : الميل والعوج يقول : اذا المال متكبر خده أذللناه حتى يتقوم ميله وفي اللسان «من ميله» مكان «من درئه»

عن زيد بن علي انه قال أراد صوت الحمير من الناس وهم الجهال شبّههم بالحمير كما شبّههم بالانعام في قوله ولئك كالانعام وروي عن ابي عبد الله «ع» قال هي العطسة المرتفعة القبيحة والرجل يرفع صوته بالحديث رفعاً قبيحا إلا ان يكون داعيا او يقرأ القرآن ثم ذكر سبحانه نعمه على خلقه ونبّههم على معرفتها فقال (ألم تروا ان الله سخّر لكم ما في السموات) من الشمس والقمر والنجوم (وما في الارض) من الحيوان والنبات وغير ذلك مما تنتفعون به وتتصرفون فيه بحسب ما تريدون (وأسبغ عليكم) اي اوسع عليكم واتمّ عليكم نعمه (ظاهرة وباطنة) فالظاهرة ما لا يمكنكم جحده من خلقكم واحيائكم واقداركم وخلق الشهوة فيكم وغيرها من ضروب النعم والباطنة ما لا يعرفها إلا من امعن النظر فيها وقيل الباطنة مصالح الدين والدنيا مما يعلمه الله وغاب من العباد علمه عن ابن عباس وفي رواية الضحاك عنه قال سألت النبي ﷺ عنه فقال يا ابن عباس لما ما ظهر فالإسلام وما سوى الله من خلقك وما افاض عليك من الرزق وأما ما بطن فستر مساوئ عملك ولم يفضحك به يا ابن عباس ان الله تعالى يقول ثلاثة جعلتهن للمؤمن ولم تكن له صلاة المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله وجعلت له ثلث ماله اكفر به عنه خطاياه والثالث سترت مساوئ عمله ولم أفضحه بشيء منه ولو ابديتها عليه لنبذه أهله فمن سواهم وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة عن عطا وقيل الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم الآخرة وقيل الظاهرة نعم الجوارح والباطنة نعم القلب عن الربيع وقيل الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الاعداء والباطنة الإمداد بالملائكة عن مجاهد وقيل الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة عن الضحاك وقيل الظاهرة القرءان والباطنة تأويله ومعانيه وقال الباقر «ع» النعمة الظاهرة النبي ﷺ وما جاء به النبي من معرفة الله عز وجل وتوحيده وأما النعمة الباطنة ولايتنا أهل البيت وعقد مودّتنا ولا تنافي بين هذه الاقوال وكلها نعم الله تعالى ويجوز حمل الآية على الجميع (ومن الناس من يجادل) اي يخاصم في الله (بغير علم) بما يقوله (ولا هدى) اي ولا دلالة وحجة (ولا كتاب منير) اي ولا كتاب من عند الله ظاهر واضح وقد مضى هذا مفسّراً في سورة الحج

قوله تعالى (٢١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٢٢) وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٣) وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٥) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (خمس آيات)

المعنى

لما اخبر سبحانه عمن جادل في الله بغير علم ولم يذكر النعمة زاد عقيبه في ذمّهم فقال (وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله) على محمد ﷺ من القرآن وشرائع الإسلام (قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا) ذمّهم على التقليد ثم قال منكراً عليهم (او لو كان الشيطان يدعوهم) الى تقليد آبائهم واتباع ما يدعوهم (إلى عذاب السعير) ادخل على واو العطف همزة الاستفهام على وجه الانكار وجواب لو محذوف تقديره او لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير لاتبعوهم والمعنى ان الشيطان يدعوهم الى تقليد آبائهم وترك اتباع ما جاءت به الرسل

وذلك موجب لهم عذاب النار فهو في الحقيقة يدعوهم إلى النار ثم قال (ومن يسلم وجهه إلى الله) اي ومن يخلص دينه لله ويقصد في افعاله التقرب اليه (وهو محسن) فيها فيفعلها على موجب العلم ومقتضى الشرع وقيل ان اسلام الوجه إلى الله تعالى هو الانقياد لله تعالى في أوامره ونواهيه وذلك يتضمن العلم والعمل (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اي فقد تعلق بالعروة الوثيقة التي لا يخشى انفصامها والوثقى تأنيث الاوثق (و إلى الله عاقبة الامور) اي وعند الله ثواب ماصنع عن مجاهد والمعنى و إلى الله ترجع أواخر الامور على وجه لا يكون لأحد التصرف فيها بالأمر والنهي (ومن كفر) من هؤلاء الناس (فلا يحزنك) يامحمد (كفره) اي لا يغمنك ذلك (الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا) اي نخبرهم باعمالهم ونجازيهم بسوء افعالهم (ان الله عليم بذات الصدور) اي بما تضمره الصدور لا يخفى عليه شيء منه (نمتعهم قليلا) اي نعطيهم من متاع الدنيا ونعيمها ما يتمتعون به مدة قليلة (ثم نضطرهم) في الاخرة (إلى عذاب غليظ) اي ثم نصيرهم مكرهين إلى عذاب يغلظ عليهم ويصعب (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن) في جواب ذلك (الله) خلقهما (قل) يا محمد أو أيها السامع (الحمد لله) على هدايته لنا وتوفيقه إيانا لمعرفته وقيل معناه اشكر لله على دين يقر لك خصمك بصحته لوضوح دلالته عن الجبائي (بل اكثرهم لا يعلمون) ما عليهم من الحجة

قوله تعالى (٢٦) لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ (٢٧) وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٨) مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ (٢٩) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣٠) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ (خمس آيات)

« القراءة »

قرأ ابو عمرو ويعقوب والبحر بالنصب والباقون بالرفع وقرأ جعفر بن محمد «ع» والبحر مداده وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده وهي قراءة طلحة بن مصرف وقراءة الحسن والاعرج والبحر يُمِدُّه بضم الياء

الحجة

قال ابو زيد امددت القوم بمال ورجال امدادا وقلّ ماء ركيتنا فمددتها بركية اخرى عدّها قال ابو عبيدة وهاهنا اختصاراً سبيله لو كتبت كلمات الله بهذه الاقلام والبحر ما نفدت قال ابو علي والمراد بذلك والله اعلم ما في المقدور دون ما خرج منه إلى الوجود قال قتادة يقول لو كان شجر الارض اقلاما ومع البحر سبعة ابحر مدادا إذا لانكسرت الاقلام ونفد ماء البحر قبل ان تنفد عجائب الله وحكمته وخلقه وعلمه فأما انتصاب البحر من قوله والبحرَ يمدّه فلأنه معطوف على اسم انّ وهو ما في الأرض فما اسم ان واقلام خبرها والتقدير لو ان شجر الارض اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر فإذا عطفت البحر على اسم ان فنصبته كان خبره يمدّه والرابع إلى البحر الضمير المنصوب المتصل بيمدّ ومن رفع استأنف كأنه قال والبحر هذه حاله فيما قاله سيبويه وأقول إذا عطفت البحر على اسم ان فنصبته فالاولى ان يكون خبره محذوفا ويكون التقدير ولو ان البحر مدادا ويمدّه سبعة أبحر يكون جملة منصوبة الموضع على الحال وحذف

الخبر الذي هو مدادا لدلالة الكلام عليه و إذا نصبت البحر او رفعته فالمعنى لو كتب ما في مقدور الله لنفد ذلك قبل نفاد المقدور ونحو هذا من الجمل قد يحذف لدلالة الكلام عليه كقوله اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ما ذا يرجعون قالت يا أيها الملأ والمعنى فذهب فالقى الكتاب فقرأته المرأة او فقرئ عليها فقالت يا أيها الملأ ومن قرأ ويجر يمدّه فتقديره وهناك بحر يمده من بعده سبعة ابحر قال ابن جني لا يجوز ان يكون وبحر معطوفا على اقلام لأن البحر وما فيه من الماء ليس من حديث الشجر والاقلام و إنما هو من حديث المداد كما قرأ جعفر الصادق «ع» مداده فلما رفع البحر فإن شئت كان معطوفا على موضع ان واسمها كما عطف عليه في قوله ان الله بريء من المشركين ورسوله وقد مضى ذكر ذلك في موضعه ومن قرأ يُمِدّه بضم الياء فإنه تشبيه بإمداد الجيش وليس يقوى ان يكون قراءة جعفر بن محمد (ع) والبحر مداده اي زائد فيه لأن ماء البحر لا يعتد في الشجر والاقلام لأنه ليس من جنسه والمداد هناك هو هذا الذي يكتب به

— « المعنى » —

ثم اكّد سبحانه ما تقدّم من خلقه السماوات والارض بقوله (لله ما في السموات والارض) اي له جميع ذلك خلقا وملكا يتصرف فيه كما يريده ليس لأحد الاعتراض عليه في ذلك (ان الله هو الغني) عن حمد الحامدين وعن كل شيء (الحميد) اي المستحق للحمد والتعظيم (ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله) اي لو كان شجر الارض اقلاما وكان البحر مدادا ويمده سبعة ابحر مثله اي تزيده مائها فكتب بتلك الاقلام والبحور لتكسرت تلك الاقلام ونفد ماء البحور وما نفدت كلمات الله وقد ذكرنا تفسير كلمات الله في سورة الكهف والاولى ان يكون عبارة عن مقدوراته ومعلوماته لأنها إذا كانت لا تتناهى فكذلك الكلمات التي تقع عبارة عنها لا تتناهى (ان الله عزيز) في اقتداره على جميع ذلك (حكيم) يفعل من ذلك ما يليق بحكمته ثم قال (ما خلقكم ولا بعثكم) يا معشر الخلائق (إلا كنفس واحدة) اي كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة في قدرته فإنه لا يشق عليه ابتداء جميع الخلق ولا اعادتهم بعد افنائهم قال مقاتل ان كفار قريش قالوا ان الله خلقنا اطوارا نطفة علقة مضغة لحما فكيف يبعثنا خلقا جديدا في ساعة واحدة فنزلت الآية (ان الله سميع) يسمع ما يقوله القائلون في ذلك (بصير) بما يضمرونه (الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) اي ينقص من الليل في النهار ومن النهار في الليل عن قتادة وقيل معناه ان كل واحد منهما يتعقب الآخر (وسخّر الشمس والقمر) لأنهما يجريان على وتيرة واحدة لا يختلفان (كل يجري لأجل مسمى) قدّره الله تعالى (وان الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق) الذي يجب توجيه العبادة إليه (وانّ ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العليّ الكبير) اي القادر القاهر والآيتان مفسّرتان في سورة الحج

قوله تعالى (٣١) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٢) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٣) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٤) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي

نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (أربع آيات)

القراءة

في الشواذ قراءة الاعرج بِنِعْمَات الله ساكنة العين

الحجة

في جمع فِعْلة ثلاث لغات فِعْلات بسكون العين وفِعَلات بفتحها وفِعِلات بكسر الفاء والعين

اللغة

الظلل جمع ظلة وهو ما أظلك والختر اقبح الغدر والختار صاحب الختل والختر قال عمرو بن معدي كرب

فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ مَلَأْتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَتْرٍ(١)

ويقال جزيت عنك اجزي اي اغنيت عنك وفيه لغة اخرى اجزأت عنك اجزئ بالهمز

الإعراب

فلما نجاهم العامل في لما معنى مقتصد وتقديره اقتصدوا واخشوا يوما انتصب يوما بأنه مفعول به. لايجزي في موضع نصب بأنه صفة يوم والتقدير لا يجزي فيه والد عن ولده ولا يكون مولود هو جاز عن والده شيئا انتصب شيئا بأنه مفعول جاز ومفعول يجزي محذوف ويجوز ان يكون سدّ مسدّ مفعوليها جميعا

المعنى

ثم اكّد سبحانه ما تقدّم من الادلة على وحدانيته ونعمه على بريته فقال (ألم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمت الله) اي الم تعلم أيها الإنسان ان السفن تجري في البحر بنعمة الله عليكم (ليريكم من آياته) اي بعض ادلته الدالة على وحدانيته ووجه الدلالة من ذلك ان الله تعالى يجري السفن بالرياح التي يرسلها في الوجوه التي يريدون المسير فيها ولو اجتمع جميع الخلق ليجروا الفلك في بعض الجهات المخالفة لجهة الرياح لما قدروا عليه وفي ذلك اعظم دلالة على ان المجري لها بالرياح هو القادر الذي لا يعجزه شيء فذلك بعض الادلة الدالة عليه فلذلك قال من آياته (إن في ذلك) اي في تسخير الفلك واجرائها على البحر واجراء الريح على وفقها (لآيات) اي دلالات (لكل صبار) على مشاق التكليف (شكور) لنعم الله تعالى عليه وإنما قال ذلك ليدلّ على ان الصبر على بلائه والشكر لنعمائه افضل الطاعات قال الشعبي الصبر نصف الإيمان والشكر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله وفي الحديث الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وعلى هذا فكأنه سبحانه قال ان في ذلك لآيات لكل مؤمن (وإذا غشيهم) اي إذا غشي اصحاب السفن الراكبي البحر (موج) وهو هيجان البحر (كالظلل) في ارتفاعه وتغطيته ما تحته شبّه الموج بالسحاب الذي يركب بعضه على بعض عن قتادة وقيل يريد كالجبال عن مقاتل (دعوا الله مخلصين له الدين) اي ان خافوا الغرق والهلاك فاخلصوا في الدعاء لله في هذه الحال (فلما نجاهم) اي خلّصهم (إلى البر) وسلّمهم من هول البحر (فمنهم مقتصد) اي عدل في الوفاء في البرّ بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له وقيل انّ هذا كان سبب اسلام عكرمة بن ابي جهل وهو اخلاصهم الدعاء في البحر روى السدي عن مصعب بن سعد عن ابيه قال لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ﷺ الناس إلا اربعة نفر قال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة عكرمة بن ابي جهل وعبد الله بن اخطل وقيس بن صبابة وعبد الله بن سعد ابن ابي سرح فأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم ريح عاصفة فقال اهل السفينة اخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئا هاهنا فقال عكرمة لئن لم ينجني في البحر إلا الاخلاص ما ينجيني في البر غيره اللهم ان لك عليّ عهداً إن انت عافيتني مما انا فيه ان آتي محمدا ﷺ حتى اضع يدي في يده فلأجدنّه عفواً كريما فجاء

(١) ملات يديك : كناية عن الكثرة ، قيل : لانهم كانوا يعدون الاشياء بأصابعهم و اذا كان العدد كثيراً استوعب الاصابع.

فأسلم وقيل فمنهم مقتصد معناه على طريقة مستقيمة وصلاح من الامر عن ابن زيد وقيل ثابت على إيمانه عن الحسن وقيل موف بعهده في البر عن ابن عباس وقيل مقتصد في قوله مضمر لكفره عن مجاهد ثم ذكر الذين تركوا التوحيد في البر فقال (وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار) بعهده اي غادرا سوء الغدر واقبحه (كفور) لله في نعمه ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده) يعني يوم القيامة لا يغني فيه أحد عن أحد لا والد عن ولده (ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) كل امرء تهمّه نفسه (ان وعد الله) بالبعث والجزاء والثواب والعقاب (حق) لا خلف فيه (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) أي لايغرنكم الإمهال عن الانتقام والآمال والأموال عن الإسلام ومعناه لا تغتروا بطول السلامة وكثرة النعمة فإنها عن قريب إلى زوال وانتقال (ولا يغرنكم بالله الغرور) وهو الشيطان عن مجاهد وقتادة والضحاك وقيل هو تمنّيك المغفرة في عمل المعصية عن سعيد بن جبير وقيل كل شيء غرّك حتى تعصي الله وتترك ما أمرك الله به فهو غرور شيطانا كان أو غيره من ابي عبيدة وفي الحديث الكَيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وفي الشواذ قراءة سماك بن حرب الغُرور بضم الغين وعلى هذا فيكون المعنى ولا يغرنكم غرور الدنيا بخدعها الباطلة أو غرور النفس بشهواتها الموبقة (ان الله عنده علم الساعة) أي استأثر سبحانه به ولم يطلع عليه أحد من خلقه فلا يعلم وقت قيام الساعة سواه (وينزل الغيث) فيما يشاء من زمان أو مكان والصحيح ان معناه ويعلم نزول الغيث في مكانه وزمانه كما جاء في الحديث ان مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله وقرأ هذه الآية (ويعلم ما في الارحام) أي ويعلم ما في ارحام الحوامل أذكر أم أنثى أصحيح أم سقيم واحد او اكثر (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) أي ماذا تعمل في المستقبل وقيل ما يعلم بقاءه غدا فكيف يعلم تصرفه (وما تدري نفس بأيّ ارض تموت) اي في أيّ أرض يكون موته وقيل انه إذا رفع خطوة لم يدر أنه يموت قبل ان يضع الخطوة ام لا وانما قال بأيّ أرض لأنه أراد بالارض المكان ولو قال بأيّة أرض جاز وروي ان ذلك قراءة ابي وقد روي عن أئمة الهدى «ع» ان هذه الأشياء الخمسة لا يعلمها على التفصيل والتحقيق غيره تعالى (ان الله عليم) بهذه الاشياء (خبير) بها

سورة السجدة

وسميت ايضا سجدة لقمان لئلا تلتبس بعم السجدة وهي مكية ماخلا ثلاث آيات فإنها نزلت بالمدينة أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقاً لا يستوون الى تمام الآيات

عدد آيها

تسع وعشرون آية بصري وثلاثون في الباقين

اختلافها

آيتان الم تنزيل في جديد حجازي شامي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك فكأنما احيا ليلة القدر

وروى ليث بن ابي الزبير عن جابر قال كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك قال ليث فذكرت ذلك لطاوس فقال فضلتا على كل سورة في القرآن ومن قرأها كتب له ستون حسنة ومحي عنه ستون سيئة ورفع له ستون درجة وروى الحسين بن ابي العلاء عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة السجدة في كل ليلة جمعة اعطاه الله كتابه بيمينه ولم يحاسبه بما كان منه وكان من رفقاء محمد ﷺ وأهل بيته (ع)

تفسيرها

ختم الله سبحانه السورة التي قبلها بدلائل الربوبية وافتتح هذه السورة ايضا بها فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) الم (٢) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٥) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (خمس آيات)

الإعراب

تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف وتقديره هذا تنزيل ويجوز ان يكون تنزيل الكتاب مبتدأ ولا ريب فيه خبره وعلى القول الأول يكون لا ريب فيه في موضع نصب على الحال أو في موضع رفع على انه خبر بعد خبر وقوله من رب العالمين يحتمل الوجهين ايضا . أم يقولون افتراه ام هاهنا استفهام مستأنف والتقدير بل أيقولون وقوله من ربك يجوز ان يتعلق بالحق على تقدير هو الذي حق من ربك ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال أي كائنا من ربك والعامل فيه الحق وذو الحال الضمير المستكن فيه . لتنذر اللام يتعلق بما يتعلق به من قوله ما لكم من دونه من ولي من الثانية زائدة والتقدير ما ولي ثبت لكم ومن دونه في موضع نصب على الحال مما يتعلق به اللام في لكم

المعنى

(آلم) مفسّر في اول البقرة (تنزيل الكتاب) أي هذه الآيات تنزيل الكتاب الذي وعدتم به (لاريب فيه) اي لا شك فيه انه وحي (من رب العالمين) والمعنى انه لا ريب فيه للمهتدين وان كان قد ارتاب فيه خلق من المبطلين لا يعتدّ بهم لأنه ليس بموضع الشك وقيل معناه انه زال الشك في انه كلام رب العزة لعجزهم عن الإتيان بمثله وقيل ان لفظه الخبر ومعناه النهي أي لا ترتابوا فيه والريب اقبح الشك (أم يقولون) اي بل يقولون (افتريه) وليس الأمر على ما يقولون (بل هو الحق) نزل عليك (من ربك) والحق هو كل شيء من اعتقده كان معتقده على ما هو به مما يدعو العقل إلى استحقاق المدح عليه وتعظيمه فالكتاب حقٌّ لأن من اعتقد انه من عند الله كان معتقده على ما هو به والباطل نقيض الحق (لينذر قوما ما أتيهم من نذير من قبلك) يعني قريشا إذ لم يأتهم نبيٌّ قبل نبينا ﷺ وان اتى غيرهم من قبائل العرب مثل خالد بن سنان العبسي وقيل يعني اهل الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ فكانوا كأنهم في غفلة عما لزمهم من حق نعم الله وما خلقهم له من العبادة عن ابن عباس (لعلهم يهتدون) اي ليهتدوا ثم ذكر سبحانه الدلالة على وحدانيته فقال (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام) أي فيما قدّره ستة أيام لأن قبل الشمس لم يكن ليل ولا نهار (ثم استوى على العرش)

بالقهر والاستعلاء وهو مفسَّر في سورة الاعراف (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) أي ليس لكم من دون عذابه وليّ أي قريب ينفعكم ويردّ عذابه عنكم ولا شفيع يشفع لكم وقيل من ولي أي من ناصر ينصركم من دون الله (أفلا تتذكرون) أي أفلا تتفكرون فيما قلناه وتعتبرون به فتعلموا صحة ما بيّناه لكم (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض) أي خلقها وما بينهما في هذه المدة يدبّر الأمور كلها ويقدّرها على حسب إرادته فيما بين السماء والأرض وينزله مع الملك الى الارض (ثم يعرج اليه) الملك أي يصعد إلى المكان الذي أمره الله تعالى ان يصعد اليه (في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون) اي يوم كان مقداره لو ساره غير الملك الف سنة مما يعدّه البشر خمس مائة عام نزوله وخمس مائة عام صعوده وقوله يعرج اليه يعني إلى الموضع الذي أمره بالعروج اليه كقول ابراهيم اني ذاهب إلى ربي سيهدين أي إلى أرض الشام التي أمرني ربي بالذهاب اليها وقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله يعني إلى المدينة ولم يكن الله سبحانه بالشام ولا بالمدينة ومعناه انه ينزل الملك بالتدبير او الوحي ويصعد إلى السماء فيقطع في يوم واحد من أيام الدنيا مسافة الف سنة مما تعدّونه أنتم لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام لابن آدم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن والضحاك وقتادة وهو اختيار الجبائي وقيل معناه انه يدبر الامر سبحانه ويقضي امر كل شيء لألف سنة في يوم واحد ثم يلقيه إلى ملائكته فإذا مضى الألف سنة قضى لألف سنة أخرى ثم كذلك أبدا عن مجاهد وقيل معناه يدبر امر الدنيا فينزل القضاء والتدبير من السماء إلى الارض مدة أيام الدنيا ثم يرجع الامر ويعود التدبير اليه بعد انقضاء الدنيا وفنائها حتى يتقطع امر الامراء وحكم الحكام وينفرد الله بالتدبير في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيامة فالمدة المذكورة مدة يوم القيامة إلى ان يستقر الخلق في الدارين عن ابن عباس ايضا فأما قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فإنه اراد سبحانه على الكافر جعل الله ذلك اليوم مقدار خمسين الف سنة فإن المقامات في يوم القيامة مختلفة وقيل ان المراد بالأول ان مسافة الصعود والنزول إلى السماء الدنيا في يوم واحد للملك مقدار مسيرة الف سنة لغير الملك من بني آدم وإلى السماء السابعة مقدار مسيرة خمسين الف سنة وقيل ان الالف سنة للنزول والعروج والخمسين الف سنة لمدة القيلمة

قوله تعالى (٦) ذٰلِكَ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٧) ٱلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٨) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٩) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلأَبْصَارَ وَٱلأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ (١٠) وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ

(خمس آيات)

✻ القراءة ✻

قرأ اهل الكوفة ونافع وسهل خَلْقَه بفتح اللام والباقون خَلْقه بسكون اللام وفي الشواذ قراءة الزهري وبدا خلق الانسان بغير همز وقرأ علي وابن عباس وابان بن سعيد بن العاص والحسن بخلاف أإذا ضللنا بالضاد مكسورة اللام وقرأ الحسن صللنا بالصاد أيضا مفتوحة اللام

✻ الحجة ✻

قال ابو علي خلقه منتصب على انه مصدر دلّ عليه ما تقدّم من قوله احسن كل شيء فأما الضمير الذي أضيف خلق اليه فلا يخلو من أن يكون ضمير اسم الله تعالى أو يكون كناية عن المفعول فالذي يدل عليه

نظائره ان الضمير لاسم الله تعالى لانه مصدر لم يسند الفعل المنتصب عنه إلى فاعل ظاهر وما كان من هذا النحو اضيف المصدر فيه إلى الفاعل نحو صنع الله ووعد الله و كتاب الله عليكم فكما اضيف هذه المصادر الى الفاعل فكذلك يكون خلقه مضافا إلى ضمير الفاعل لأن قوله احسن كل شيء خلقه يدل على خلق كل شيء. فإن قلت كيف يدل قوله احسن كل شيء على خلق كل شيء وقد نجد اشياء حسنة مما لم يخلقها قيل هذا كما قال خالق كل شيء فاطلق اللفظ عاما وروي ان عكرمة سئل عن قوله تعالى احسن كل شيء خلقه فقال ان امت القرد ليست بحسنة ولكنه ابرم خلقها اي اتقن وما قلناه من ان انتصاب خلقه من المصدر الذي دلّ عليه فعل متقدم مذهب سيبويه ويجوز أن يكون خلقه بدل من قوله كل شيء فيصير التقدير الذي احسن خلق كل شيء ومن قال احسن كل شيء خَلْقه كان خلقه وصفا للنكرة المتقدمة وموضع الجملة يحتمل وجهين النصب على أن يكون صفة لكل والجر على أن يكون صفة لشيء وترك الهمزة في بدأ محمول على البدل لا على التخفيف القياسي ومثله بيت الكتاب

رَاحَتْ بِمُسْلِمَةَ الْبِغَالُ عَشِيَّةً فَارْعَيْ فَزَارَةُ لَا هَنَاكِ الْمَرْتَعُ (١)

وتقول على البدل ابديت إذا اخبرت عن نفسك وتقول على التخفيف بدات بالألف بلا همزة وقد مرّ القول في اختلافهم في قوله أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد وموضع إذا نصب بما دلّ عليه قوله أإنا لفي خلق جديد لأن هذا الكلام يدل على نعاد والتقدير نعاد إذا ضللنا في الأرض قال ابو عبيدة معناه همدنا في الأرض وقال غيره صرنا ترابا فلم يتبين شيء من خلقنا وقوله صللنا بالصاد من قولهم صل اللحم إذا نتن يصل ويصُل والمعنى اذا دفنا في الأرض وصلت اجسامنا وقيل أن معناه من الصلة وهي الأرض اليابسة ومنه الصلصال

المعنى

ثم اكّد سبحانه ما تقدّم من دلائل وحدانيته واعلام ربوبيته فقال (ذلك عالم الغيب والشهادة) أي الذي يفعل ذلك ويقدر عليه هو العالم بما يشاهد وما لا يشاهد وبما غاب عن الخلق وما حضر (العزيز) المنيع في ملكه (الرحيم) بأهل طاعته (الذي احسن كل شيء خلقه) اي احكم كل شيء خلقه واتقنه عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه علم كيف يخلق كل شيء قبل ان خلقه من غير أن يعلمه احد عن مقاتل والسدي من قولهم فلان يحسن كذا اي يعلمه وقيل الذي جعل كل شيء في خلقه حسنا حتى جعل الكلب في خلقه حسنا عن ابن عباس والمعنى انه احسن خلقه من جهة الحكمة فكل شيء خلقه وأوجده فيه وجه من وجوه الحكمة تحسنه وفي هذا دلالة على ان الكفر والقبائح لا يجوز أن يكون من خلقه (وبدأ خلق الانسان من طين) أي ابتدأ خلق آدم الذي هو أول البشر من طين كان ترابا ثم صار طينا ثم صلصالا ثم حيوانا (ثم جعل نسله) اي نسل الإنسان الذي هو آدم يعني ولده (من سلالة) وهي الصفوة التي تنسل من غيرها ويسمى ماء الرجل سلالة لانسلاله من صلبه (من ماء مهين) اي ضعيف عن قتادة وقيل حقير مهان اشار إلى انه من شيء حقير لا قيمة له وإنما يصير ذا قيمة بالعلم والعمل (ثم سوّيه) أي جعله بشرا سويّا وعدله ورتّب جوارحه (ونفخ فيه) اي في ذلك المخلوق (من روحه) اضاف الروح إلى نفسه اضافة اختصاص وملك على وجه التشريف ثم قال سبحانه مخاطبا لذريته (وجعل لكم) ايها الخلق (السمع والأبصار)

(١) البيت منسوب الى الفرزدق يهجو به عمر بن هبيرة الفزاري اى المنسوب الى فزارة ويخاطبهم يقول راحت البغال بمسلمة - وهو مسلمة بن عبد الملك على ماقيل - فصفى لك العيش يا فزارة ثم يدعو عليهم ويقول: لا يكن المرعى لك هنيئاً .

لتسمعوا المسموعات وتبصروا المبصرات (والأفئدة) اي وجعل لكم القلوب لتعقلوا بها (قليلا ما تشكرون) اي تشكرون نعم الله قليلا من كثير وما مزيدة ويجوز أن يكون ما مصدرية فيكون تقديره قليلا شكركم لهذه النعم (وقالوا) يعني منكري البعث (أإذا ضللنا في الأرض) اي غبنا في الأرض وصرنا ترابا وكل شيء غلب عليه غيره حتى يغيب فيه فقد ضلّ قال الأخطل

فَكُنْتَ الْقَذَا فِي مَوْجِ أَكْدَرَ مَزْبَدٍ قَذَفَ الْأَتِيُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلَالَا (١)

وقيل ان معنى ضللنا هلكنا عن قتادة ومجاهد (أإنا لفي خلق جديد) اي نبعث ونحيى فهو استفهام معناه الانكار والمعنى كيف نخلق جديدا ونعاد بعد ان هلكنا وتفرّقت اجسامنا ثم قال سبحانه (بل هم) اي هؤلاء الكفار (بلقاء ربهم) اي ما وعد ربهم به من الثواب والعقاب (كافرون) اي جاحدون فلهذا قالوا هذا القول

قوله تعالى (١١) قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٢) وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٣) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٤) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (خمس آيات)

﴿ اللغة ﴾

التوفي اخذ الشيء على تمام تما . الراجز

إِنَّ بَنِي دَارِمٍ لَيْسُوا بِنِي أَحَدْ وَلَا تَوَفَّتْهُمْ قُرَيْشٌ فِي الْعَدَدْ

يقال استوفى الدين اذا قبضه على كماله والتوكيل تفويض الامر الى غيره للقيام به والنكس قلبك الشيء على رأسه ويقال في المرض النُّكس بضم النون وأما النِّكس بكسر النون فهو السهم ينكس فيجعل اعلاه اسفله

﴿ الاعراب ﴾

ولو ترى اذ المجرمون يجوز أن يكون مفعول ترى محذوفا فيكون تقديره ولو ترى المجرمين اذ هم ناكسوا رؤوسهم ويجوز أن يكون المعنى لو رأيت ببصرك مثل قوله وإذا رأيت ثم رأيت نعيما فيكون ترى عاملا في اذ وجواب لو محذوف تقديره لو رأيت المجرمين على تلك الحالة رأيت ما تعتبر به غاية الاعتبار فذوقوا اي فيقال لهم ذوقوا العذاب بنسيانكم وهذا في موضع جرّ على انه صفة ليومكم

﴿ المعنى ﴾

ثم امر سبحانه نبيّه ﷺ فقال (قل) يا محمد للمكلّفين (يتوفيكم) اي يقبض ارواحكم اجمعين وقيل يقبضكم واحدا واحدا حتى لا يبقي منكم احدا (ملك الموت الذي وكل بكم) اي وكل بقبض ارواحكم عن ابن عباس قال جعلت الدنيا بين يدي ملك الموت مثل جام يأخذ منها ما شاء إذا قضى عليه الموت من

(١) القذى: مايحمله السيل من تبن ونحوه ومزبد اى ذوزبد والاتى : السيل . الجدول . يصف جلا بقلة عنائه فى العرب وانه كان فى تلك الحرب بمنزلة القذى فى الماء الكدر الذى يقذف به السيل او بعض الجداول، لا يرى له عين ولا اثر.

غير عناء وخطوته ما بين المشرق والمغرب وقيل ان له اعوانا كثيرة من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب عن قتادة والكلبي فعلى هذا المراد بملك الموت الجنس ويدل عليه قوله توفته رسلنا وقوله تتوفيهم الملائكة واما اضافة التوفي إلى نفسه في قوله الله يتوفى الأنفس حين موتها فلأنه سبحانه خلق الموت ولا يقدر عليه احد سواه (ثم إلى ربكم ترجعون) اي إلى جزاء ربكم من الثواب والعقاب تردون وجعل ذلك رجوعا اليه تفخيما للأمر وتعظيما للحال وروى عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ الأمراض والأوجاع كلها بريد للموت ورسل للموت فإذا حان الأجل اتى ملك الموت بنفسه فقال يا ايها العبد كم خبر بعد خبرو كم رسول بعد رسول و كم بريد بعد بريد انا الخبر الذي ليس بعدي خبر وانا الرسول أجب ربك طائعا او مكرها فإذا قبض روحه وتصارخوا عليه قال على من تصرخون وعلى من تبكون فوالله ما ظلمت له اجلا ولا اكلت له رزقا بل دعاه ربه فليبك الباكي على نفسه فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لا ابقي منكم احدا ثم اخبر سبحانه عن حالهم في القيامة وعند الحساب فقال (ولو ترى) يا محمد او ايها الانسان (إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم) اي يوم القيامة حين يكون المجرمون متطأطئي رؤوسهم ومطرقيها حياء وندما وذلا (عند ربهم) اي عند ما يتولى الله سبحانه حساب خلقه يقولون (ربنا ابصرنا وسمعنا) اي ابصرنا الرشد وسمعنا الحق وقيل معناه ابصرنا صدق وعدك وسمعنا منك تصديق رسلك وقيل معناه إنا قد كنا بمنزلة العمي فأبصرنا وبمنزلة الصمّ فسمعنا (فارجعنا) اليه فارددنا إلى دار التكليف (نعمل صالحا) من الصالحات (إنا موقنون) اليوم لا نرتاب شيئا من الحق والرسالة ثم قال سبحانه (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) بأن نفعل امرا من الامور يلجئهم إلى الاقرار بالتوحيد ولكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف لأن المقصود به استحقاق الثواب والإلجاء لا يثبت معه استحقاق الثواب قال الجبائي ويجوز ان يكون المراد به ولو شئنا لأجبناهم إلى ما سألوا من الردّ الى دار التكليف ليعملوا بالطاعات ولكن حق القول مني ان اجازيهم بالعقاب ولا اردّهم وقيل معناه ولو شئنا لهديناهم الى الجنة (ولكن حق القول مني) اي الخبر والوعيد (لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) اي من كلا الصنفين بكفرهم بالله سبحانه وجحدهم وحدانيته و كفرانهم نعمته والقول من الله سبحانه بمنزلة القسم فلذلك اتى بجواب القسم وهو قوله لأملأن جهنم ثم حكى سبحانه ما يقال لهؤلاء الذين طلبوا الرجعة الى دار التكليف اذا جعلوا في العذاب بقوله (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) اي بما فعلتم فعل من نسي لقاء جزاء هذا اليوم فتركتم ما امركم الله به وعصيتموه والنسيان الترك ومنه قول النابغة « سَفُّودُ شَرْبٍ نَسُوهُ عِنْدَ مُفْتَأَدِ »(١) اي تركوه فلم يستعملوه قال المبرد لانه لو كان المراد النسيان الذي هو ضدّ الذكر لجاز ان يكونوا استعملوه (انا نسيناكم) اي فعلنا معكم فعل من نسيكم من ثوابه اي تركنا كم من نعيمه جزاء على تركنا طاعتنا (وذوقوا عذاب الخلد) الذي لا فناء له (بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصي ثم اخبر سبحانه عن حال المؤمنين فقال (إنما يؤمن بآياتنا) اي يصدّق بالقرآن وسائر حججنا (الذين اذا ذكروا بها) تذكروا واتعظوا بمواعظها بأن (خروا سجدا) أي ساجدين شكراً لله سبحانه على ان هداهم بمعرفته وأنعم عليهم بفنون نعمته (وسبّحوا بحمد ربهم) اي نزّهوه عما لا يليق به من الصفات وعظّموه وحمدوه (وهم لا يستكبرون) عن عبادته ولا يستنكفون من طاعته ولا يأنفون أن يعفروا وجوههم صاغرين له

(١) هذا عجز بيت يصف فيه فرسه وقبله « كانه خارجاً من جنب صفحته » وهو من قصيدة قالها في مدح نعمان بن المنذر ويعتذر اليه مما وشى له به المنخل اليشكري من شأن امرأته المتجردة ، و اعتبر بعض العلماء هذه القصيدة من المعلقات . سفود : حديدة يشوى عليها اللحم . والشرب: القوم المجتمعون للشراب . والمفتأد : موضع الوقود ـ

قوله تعالى (١٦) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٧) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨) أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٩) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ حمزة ويعقوب ما أُخفي لهم ساكنة الياء والباقون بفتحها وروي في الشواذ عن النبي ﷺ وابي هريرة وابي الدرداء وابن مسعود قرّات اعين

الحجة

قال ابو علي الذي يقوّي بناء الفعل للمفعول به قوله فلهم جنات المأوى نزلا فأبهم ذلك كما أبهم قوله أخفي لهم ولم يسند إلى فاعل بعينه ولو كان اخفي لكان اعطاهم جنات المأوى ويقوّي قراءة حمزة ان اخفى مثل آتينا كل قس هديها وقوله حق القول مني وقوله مما رزقناهم ينفقون واما ما في قوله ما اخفى فالأبين فيه أن يكون استفهاما وهو عندي قياس قول الخليل فمن قال أُخْفِيَ كان ما عنده مرفوعاً بالابتداء والذكر الذي في اخفى يعود اليه والجملة التي هي ما اخفيَ في موضع نصب ويعلم هو الذي يتعدّى إلى مفعولين كما ان قوله ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء كذلك ومن قال ما أُخْفِي لهم فإن ما في موضع نصب بأخفي والجملة في موضع نصب بيعلم كما كان في الأول كذلك ومثله قوله فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار وسوف يعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وما اشبه ذلك يحمل فيه العلم على التعدي إلى مفعولين ومن بعده للاستفهام واما قوله قرّات أعين فإن القرّة مصدر وكان القياس ان لا يجمع لأن المصدر اسم الجنس والأجناس أبعد شيء من الجمعية لكن جعلت القرة نوعا هاهنا فجمع كما نحن في اشغال ولنا علوم

اللغة

التجافي تعاطي الارتفاع عن الشيء ومثله النبو يقال جفا عنه يجفو جفاء وتجافى عنه تجافيا إذا نبا عنه قال الشاعر

وَصَاحِبِي ذَاتُ هِبَابٍ دَمْشَقُ ... وَابْنِ مِلَاطٍ مُتَجَافٍ أَرْفَقُ (١)

والمضجع موضع الاضطجاع وقال عبد الله بن رواحة يصف النبي ﷺ

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

الاعراب

خوفا وطمعا مفعول له كما يقال فعلت ذلك مخافة الشر قال الزجاج وحقيقته انه في موضع المصدر لأن يدعون ربهم هنا يدل على انهم يخافون عذابه ويرجون رحمته فهو في تأويل يخافون خوفا ويطمعون طمعا وقوله جزاء منصوب ايضا بأنه مفعول له لا يستوون جواب الاستفهام أي لا يكون كذلك والواو الثانية في يستوون فاعل من وجه مفعول من وجه لأن المعنى لا يساوي هؤلاء أولئك ولا أولئك هؤلاء ولو قال لا يستويان لكان جائزا ولكنه جاء على معنى لا يستوي المؤمنون والكافرون ويجوز أن يكون لا يستوون للاثنين لأن معنى الاثنين جماعة . نزلا نصب على الحال والعامل فيه ما يتعلق به اللام من لهم . كلما ظرف زمان لأعيدوا

(١) الهباب : النشاط . والدمشق : الناقة الخفيفة السريعة . والملاط : الجنب و ابن الملاط : عضد البعير لانه يلي الجنب .

حـ وقد مر في صفحة ٢٠٣ من المجلد الثالث ايضاً

المعنى

ثم وصف سبحانه المؤمنين المذكورين في الآية المتقدمة فقال (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أي ترتفع جنوبهم عن مواضع اضطجاعهم لصلاة الليل وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون عن فرشهم للصلاة عن الحسن ومجاهد وعطا وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله«ع» وروى الواحدي بالاسناد عن معاذ بن جبل قال بينا نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وقد أصابنا الحرّ فتفرق القوم فإذا رسول الله ﷺ اقربهم مني فدنوت منه فقلت يا رسول الله أنبئني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسّره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدّي الزكاة المفروضة وتصوم شهر رمضان قال وإن شئت أنبأتك بأبواب الخير قال قلت أجل يا رسول الله قال الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله ثم قرأ هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع وبالاسناد عن بلال قال قال رسول الله ﷺ عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة إلى الله ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة الداء عن الجسد وقيل هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة قال أنس نزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء الآخرة مع النبي ﷺ وقيل هم الذين يصلّون ما بين المغرب والعشاء الآخرة وهي صلاة الأوابين عن قتادة وقيل هم الذين يصلّون العشاء والفجر في جماعة (يدعون ربهم خوفاً) من عذاب الله (وطمعاً) في رحمة الله (ومما رزقناهم ينفقون) في طاعة الله وسبيل ثوابه ووجه المدح في هذه الآية ان هؤلاء المؤمنين بقطعهم اشتغالهم بالصلاة والدعاء عن طيب المضجع لانقطاعهم إلى الله تعالى فآمالهم مصروفة اليه واتكالهم في كل الأمور عليه ثم ذكر سبحانه جزاءهم فقال (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) أي لا يعلم احد ما خبئ لهؤلاء الذين ذكروا مما تقرّ به اعينهم قال ابن عباس هذا مالا تفسير له فالأمر أعظم وأجلّ مما يعرف تفسيره وقد ورد في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال ان الله يقول أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بَلْهَ[1] ما اطلعتكم عليه اقرؤا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين رواه البخاري ومسلم جميعاً وقد قيل في فائدة الاخفاء وجوه ﴿ احدها ﴾ ان الشيء إذا عظم خطره وجلّ قدره لا تستدرك صفاته على كنهه إلا بشرح طويل ومع ذلك فيكون ابهامه ابلغ ﴿ وثانيها ﴾ ان قرة العيون غير متناهية فلا يمكن إحاطة العلم بتفاصيلها ﴿ وثالثها ﴾ انه جعل ذلك في مقابلة صلاة الليل وهي خفية فكذلك ما يزائها من جزائها ويؤيد ذلك ما روي عن ابي عبد الله«ع» انه قال ما من حسنة إلا ولها ثواب مبيّن في القرآن إلا صلاة الليل فإن الله عزّ اسمه لم يبين ثوابها لعظم خطرها قال فلا تعلم نفس الآية وقرة العين رؤية ما تقرّ به العين يقال أقرّ الله عينك أي صادف فؤادك ما يرضيك فتقرّ عينك حتى لا تطمح بالنظر إلى ما فوقه وقيل هي من القرّ أي البرد لأن المستبشر الضاحك يخرج من شؤون عينيه دمع بارد والمحزون المهموم يخرج من عينيه دمع حار ومنه قولهم سخنت عينه وهو قرير العين وسخين العين وإنما أضاف القرة إلى الأعين على الإطلاق لا إلى اعينهم تنبيها على انها غاية في الحسن والكمال فتقرّ بها كل عين (جزاء بما كانوا يعملون) من الطاعات في دار الدنيا (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) هذا استفهام يراد به التقرير اي أيكون من هو مصدق بالله على الحقيقة عارفا بالله وبأنبيائه عاملا بما أوجبه الله عليه وندبه اليه مثل من هو فاسق خارج عن طاعة الله مرتكب لمعاصي الله ثم قال (لا يستوون) لأن منزلة المؤمن درجات الجنان ومنزلة الفاسق دركات النيران ثم فسّر ذلك بقوله (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) يأوون اليها (نزلا بما كانوا يعملون) أي عطاء بما كانوا يعملون عن الحسن وقيل ينزلهم الله فيها نزلا كما ينزل الضيف يعني انهم في حكم الأضياف (وأما الذين فسقوا فمأويهم)

(١) قال ابن الاثير : في حديث نعيم الجنة : ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه : بله من اسماء الافعال بمعنى دع واترك والمعنى : دع ما اطلعتم عليه من نعيم الجنة وعرفتموه من لذاتها . ونقل في اللسان عن ابن الاحمر انه قال : بله بمعنى كيف ومعناه : كيف ما اطلعتم عليه .

الذي يأوون اليه (النار) نعوذ بالله منها (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أي كلما هموا بالخروج منها لما يلحقهم من ألم العذاب (أعيدوا) اي ردوا (فيها) وقد مر بيانه في سورة الحج (وقيل لهم) مع ذلك (ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) اي لا تصدقون به وتجحدونه وفي هذا دلالة على ان المراد بالفاسق هنا الكافر المكذب قال ابن ابي ليلى نزل قوله أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً الآيات في علي بن ابي طالب«ع» ورجل من قريش وقال غيره نزلت في علي بن ابي طالب«ع» والوليد بن عقبة فالمؤمن علي والفاسق الوليد وذلك انه قال لعلي«ع» انا ابسط منك لسانا وأحد منك سنانا فقال علي«ع» ليس كما تقول يا فاسق قال قتادة لا والله ما استووا لا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة

قوله تعالى (٢١) وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٢) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٤) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ حمزة والكسائي ورويس عن يعقوب لِما صبروا بكسر اللام والباقون لَمّا بالتشديد وفتح اللام

الحجة

قال ابو علي من قرأ لَمّا فإنه جعله للمجازات إلا ان الفعل المتقدم أغنى عن الجواب كما انك إذا قلت أجيئك إذا جئت تقديره إن جئت أجئك فاستغنيت عن الجواب بالفعل المتقدم على الشرط فكذلك المعنى هنا لمّا صبروا جعلناهم أئمة ومن قال لِما صبروا علّق الجار بجعلنا والتقدير جعلنا منهم أئمة لصبرهم

المعنى

ثم اقسم سبحانه في هذه الآية فقال (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الاكبر) اما العذاب الأكبر فهو عذاب جهنم في الآخرة واما العذاب الأدنى ففي الدنيا واختلف فيه فقيل انه المصائب والمحن في الانفس والأموال عن أبيّ بن كعب وابن عباس وابي العالية والحسن وقيل هو القتل يوم بدر بالسيف عن ابن مسعود وقتادة والسدي وقيل هو ما ابتلوا به من الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والكلاب عن مقاتل وقيل هو الحدود عن عكرمة وابن عباس وقيل هو عذاب القبر عن مجاهد وروي ايضا عن ابي عبد الله«ع» والاكثر في الرواية عن ابي جعفر«ع» وابي عبد الله«ع» ان العذاب الأدنى الدابة والدجال (لعلهم يرجعون) أي ليرجعوا إلى الحق ويتوبوا من الكفر وقيل ليرجع الآخرون عن أن يذنبوا مثل ذنوبهم (ومن أظلم ممن ذكّر بآيات ربه) اي لا أحد أظلم لنفسه ممن نبّه على حجج الله التي توصله إلى معرفته ومعرفة ثوابه (ثم اعرض عنها) جانبا ولم ينظر فيها (إنا من المجرمين) الذين يعصون الله تعالى بقطع طاعاته وتركها (منتقمون) بأن نحلّ العقاب بهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (فلا تكن في مرية من لقائه) أي في شك من لقائه اي من لقائك موسى ليلة الاسراء بك إلى السماء عن ابن عباس وقد ورد في الحديث انه قال رأيت ليلة اسري بي موسى بن عمران رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة[1] ورأيت عيسى بن مريم رجلا مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس فعلى هذا فقد وعد ﷺ انه سيلقى موسى قبل ان يموت وبه قال مجاهد والسدي وقيل

(١) قبيلة من اليمن .

فلا تكن في مرية من لقاء موسى إياك في الآخرة وقيل معناه فلا تكن يا محمد في مرية من لقاء موسى الكتاب عن الزجاج وقيل معناه فلا تكن في شك من لقاء الاذى كما لقي موسى الأذى عن الحسن فكأنه قال فلا تك في مرية من أن تلقى كما لقي موسى (وجعلناه هدى لبني اسرائيل) اي وجعلنا موسى هاديا لهم عن قتادة وقيل وجعلنا الكتاب هاديا لهم عن الحسن (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا) اي وجعلنا منهم رؤساء في الخير يقتدى بهم يهدون إلى افعال الخير بإذن الله عن قتادة وقيل هم الانبياء الذين كانوا فيهم يدلون الناس على الطريق المستقيم بأمر الله (لما صبروا) أي لما صبروا وجعلوا أئمة (وكانوا بآياتنا يوقنون) لا يشكون فيها (إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة) اي يحكم بين المؤمن والكافر والفاسق (فيما كانوا فيه يختلفون) من التصديق برسل الله والإيمان بالبعث والنشور وغير ذلك من اعمالهم وأمور دينهم

النظم

وجه اتصال ذكر موسى «ع» بما قبله ان المراد بالآية كما آتيناك القرآن يا محمد فكذبوك كذلك آتينا موسى التوراة فكذبوه فهو تسلية للنبي ﷺ ووعيد للمكذبين به

قوله تعالى (٢٦) أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٧) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٨) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٩) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٣٠) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ زيد أولم نهد بالنون والقراء كلهم على الياء وقد ذكرناه في سورة الاعراف وفي الشواذ قراءة ابن السميفع يمشون بضم الياء وتشديد الشين وانهم منتظرون بفتح الظاء

الحجة

قال ابن جني دفع ابو حاتم فتح الظاء واستدل على ذلك بقوله فارتقب انهم مرتقبون وقوله يُمَشَّون للكثرة قال

يُمَشِّي بَيْنَنَا حَانُوتُ كَرْمٍ ... مِنَ الْخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ القِطَاطِ(١)

اللغة

يقال هداه في الدين يهديه هدى والى طريق هداية واهتدى إذا قبل الهداية والواجب من الهدى هو ما يؤدي إلى ما ليس للعبد عنه غنى في دينه فاللطف على هذا هدى والنظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى هدى . والسوق الحث على السير ساقه يسوقه . والجرز الأرض اليابسة التي ليس فيها نبات لانقطاع الأمطار عنها واشتقاقه من قولهم سيف جراز أي قطاع لا يبقي شيئاً إلا قطعه وناقة جراز إذا كانت تأكل كل شيء فلا تبقي شيئا إلا قطعته بفيها ورجل جروز أي أكول قال الراجز «خَبٌّ جَرُوزٌ وَإِذَا جَاعَ بَكَى»(٢) وفي الجرز اربع لغات بضم الجيم والراء وبفتحها وبضم الجيم واسكان الراء وفتح الجيم واسكان الراء

الإعراب

فاعل يهد مضمر يدل عليه قوله كم أهلكنا وتقديره أولم يهد لهم اهلاكنا من أهلكناه من القرون الخالية

(١) قائله المتنخل الهذلي والبيت من قصيدة طويلة رواها في ديوان الهذليين ج ٢ : ٢١ ونقله في جمهرة اشعار العرب ايضاً وقد اختلفت رواياتهم في هذا البيت ففي بعضها «يمشي» بالياء و«خمر» بدل «كرم» وفي بعضها «الخرس» بالعماد ويختلف المعنى حسب هذا الاختلاف قال صاحب اللسان في مادة «حنت» و«خرس» يريد صاحب حانوت خمر

ولا يجوز أن يكون فاعله كم أهلكنا لأن ما قبل كم لا يجوز أن يعمل فيه إلا حروف الإضافة لأن كم على تقدير الاستفهام الذي له صدر الكلام فهو في محل النصب لأنه مفعول أهلك ويمشون في محل النصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم نبه الله سبحانه خلقه على الاعتبار بمن تقدمهم من القرون فقال (أو لم يهد لهم) أي أو لم يبصرهم ويبين لهم (كم اهلكنا من قبلهم من القرون) الماضية جزاء على كفرهم بالله وارتكابهم لمعاصيه (يمشون في مساكنهم) ويرون آثارهم وقيل معناه انا اهلكناهم بغتة وهم مشاغيل بنفوسهم يمشون في منازلهم (إن في ذلك لآيات) اي في اهلاكنا لهم دلالات واضحات على الحق (افلا يسمعون) اي افلا يسمع هؤلاء الكفار ما يوعظون به من المواعظ ثم نبههم سبحانه على وجه آخر فقال (أو لم يروا) اي او لم يعلموا (أنا نسوق الماء) بالمطر والثلج وقيل بالانهار والعيون (إلى الأرض الجرز) اي اليابسة التي لا نبات فيها وقيل نسوق الماء بالسيول اليها لأنها مواضع عالية وهي قرى بين الشام واليمن عن ابن عباس (فنخرج به زرعاً تأكل منه) اي من ذلك الزرع (انعامهم وأنفسهم) والمعنى أن هذه الأرض تنبت ما يأكله الناس والانعام (افلا يبصرون) نعم الله تعالى عليهم (ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين) قال الفراء المراد به فتح مكة وقال السدي الفتح هو القضاء بعذابهم في الدنيا وهو يوم بدر وقال مجاهد وهو الحكم بالثواب والعقاب يوم القيامة وكانوا يسمعون المسلمين يستفتحون بالله عليهم فقالوا لهم متى هذا الفتح ايبي متى هذا الحكم فينا (قل) يا محمد (يوم الفتح) يوم (لا ينفع الذين كفروا ايمانهم) بين سبحانه ان يوم الفتح يكون يوم القيامة وذلك اليوم لا ينفع الكافرين ايمانهم (ولا هم ينظرون) أي لا يؤخر عنهم العذاب يعني الذين قتلوا يوم بدر لم ينفعهم ايمانهم بعد القتل (فاعرض عنهم) يا محمد فإنه لا ينجع فيهم الدعاء والوعظ وقيل اعرض عن أذاهم وانتظر حكم الله فيهم قال ابن عباس نسخت آية السيف (وانتظر) موعدي لك بالنصر على اعدائك (انهم منتظرون) بك حوادث الزمان من موت او قتل فيستريحون منك وقيل معناه انهم سيأتيهم ما وعد الله فيهم فكأنهم ينتظرونه

سورة الاحزاب

مدنية وهي ثلاث وسبعون آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الأحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر وروى عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله (ع) قال من كان كثير القراءة لسورة الأحزاب كان يوم القيامة في جوار محمد وآله وأزواجه

﴿ تفسيرها ﴾

امره سبحانه في مختتم تلك السورة بالانتظار ثم امره هنا ان يكون في انتظاره متقيا ونهاه عن طاعة الكفار فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٣) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤) مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ

فاختصر الكلام وقال غيره كان الاصل . «الى حانوت» وهذا القائل يجعل الصراصرة فاعل «تمشي» و معناها نبط الشام يعني انا كنا قاصدين حانوت الخمر وتمشي بيننا نساء حسان الشعور من نبط الشام و«الغرس» الدن الذي فيه الخمر وقال : اراد بالكرم : الخمرة مجازاً لكن الظاهر ان قوله ساقط والصحيح ما قاله صاحب اللسان وغيره ان المراد

أَبْنَآئَكُمْ ذٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّٰهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً

(خمس آيات)

القراءة

قرأ ابو عمرو بما يعملون خبيرا بالياء والباقون بالتاء وقرأ ابن عامر واهل الكوفة اللائي مهموزة ممدودة مشبعة بعدها ياء وفي سورة المجادلة والطلاق مثله وقرأ نافع ويعقوب اللاء مهموزة ممدودة مختلسة لا ياء بعدها والباقون اللاي بغير همزة ولا مدّ حيث كانت وقرأ عاصم تظاهرون بضم التاء وتخفيف الظاء وقرأ بفتح التاء وتخفيف الظاء أهل الكوفة غير عاصم وقرأ ابن عامر تظاهرون بفتح التاء وتشديد الظاء وقرأ الباقون تظهرون بغير الف وتشديد الظاء والهاء

الحجة

قال ابو علي من قرأ بما يعملون بالياء فعلى لا تطع الكافرين انه بما يعملون والتاء على المخاطبة ويدخل فيه الغيب واللائي اصله فاعل مثل شائي فالقياس ان يثبت الياء فيه كما يثبت في الشائي والنائي وقد حذفوا الياء في حروف من ذلك قولهم ما باليت به بالة ومنه جابة وكذا إذا حذفت من اللائي يصير اللاء فإن خففت الهمزة فالقياس ان تجعل بين بين وقد حكى سيبويه حذف الياء من اللاي ومن قرأ تَظَّهَّرون فإنه تتظهرون فادغم التاء في الظاء ومن قرأ تظاهرون مضمومة التاء فهو من ظاهر من امرأته ويقوّي ذلك قولهم في مصدره الظهار ومن قرأ تظاهرون خفيفة الظاء فمعناه تتظاهرون فحذف تاء تتفاعلون التي ادغمها غيره وهو من قرأ تظاهرون بتشديد الظاء مع الألف

النزول

نزلت في ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابي الأعور السلمي قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن ابي بعد غزوة احد بأمان من رسول الله ﷺ ليكلّموه فقاموا وقام معهم عبد الله بن ابي وعبد الله بن سعد ابن ابي سرح وطعمة بن ابيرق فدخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومنات وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشقّ ذلك على النبي ﷺ فقال عمر بن الخطاب ائذن لنا يارسول الله في قتلهم فقال اني اعطيتهم الأمان وامر ﷺ فأخرجوا من المدينة ونزلت الآية ولا تطع الكافرين من اهل مكة أبا سفيان وابا الأعور وعكرمة والمنافقين ابن ابي وابن سعد وطعمة وقيل نزلت في ناس من ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فطلبوا منه ان يمتعهم باللات والعزى سنة قالوا لتعلم قريش منزلتنا منك وقوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه نزلت في ابي معمر جميل بن معمر بن حبيب الفهري وكان لبيباً حافظاً لما يسمع وكان يقول إنّ في جوفي لقلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فكانت قريش تسمّيه ذا القلبين فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم ابو معمر وتلقاه ابو سفيان بن حرب وهو آخذ بيده احدى نعليه والاخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما بالك احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال ابو معمر ما شعرت إلا انهما في رجلي فعرفوا يومئذ انه لم يكن له إلا قلب واحد لما نسي نعله في يده

يمشي بيننا صاحب حانوت خمر من الخرس الصراصرة - بالسين - وهم خدم عجم لا يفصحون فلذلك جعلهم خرساً .
(٢) الخب : الخداع .

المعنى

خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (يا ايها النبي اتق الله) أي اثبت على تقوى الله ودم عليه وقيل معناه اتق الله في اجابة المشركين إلى ما التمسوه وقيل ان بعض المسلمين همّوا بقتل أولئك الذين قدموا المدينة بأمان فقال اتّق الله في نقض العهد (ولا تطع الكافرين والمنافقين) مرّ بيانه وقيل انه عام وهو الوجه والكافر هو الذي يظهر الكفر ويبطنه والمنافق هو الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر (إن الله كان عليما) بما يكون قبل كونه (حكيما) فيما يخلقه ولما نهاه عن متابعة الكفار وأهل النفاق أمره باتباع أوامره ونواهيه على الاطلاق فقال (واتبع ما يوحى اليك من ربك) من القرآن والشرائع فبلّغه واعمل به (إن الله كان بما تعملون خبيرا) أي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم فيجازيكم بحسبها إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر (وتوكل على الله) أي فوّض أمورك إلى الله حتى لا تخاف غيره ولا ترجو إلا خيره (وكفى بالله وكيلا) اي قائما بتدبيرك حافظا لك ودافعا عنك (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) فإن أمر الرجل الواحد لا ينتظم ومعه قلبان فكيف تنتظم أمور العالم وله آلهان معبودان وقيل انه نزل في أبي معمر على ما مرّ بيانه عن مجاهد وقتادة واحدى الروايتين عن ابن عباس وقيل ان المنافقين كانوا يقولون ان لمحمد قلبين ينسبونه إلى الدهاء فأكذبهم الله تعالى بذلك عن ابن عباس وقيل ان رجلا كان يقول ان لي نفسين نفساً تأمرني ونفساً تنهاني فنزل ذلك فيه عن الحسن وقيل هو ردّ على المنافقين والمعنى ليس لاحد قلبان يؤمن بأحدهما ويكفر بالآخر وإنما هو قلب واحد فإما أن يؤمن وإما أن يكفر عن ابي مسلم وقيل انه يتصل بقوله وما جعل ادعياءكم أبناءكم والتقدير انه كما لم يجعل لرجل قلبين في جوفه لم يجعل ابن الانسان ابنا لغيره وقيل بل يتصل بما قبله والمعنى انه لا يمكن الجمع بين اتباعين متضادين اتباع الوحي والقرآن واتباع أهل الكفر والطغيان فكنّى عن ذلك بذكر القلبين لأن الاتباع يصدر عن الاعتقاد والاعتقاد من افعال القلوب فكما لا يجتمع قلبان في جوف واحد لا يجتمع اعتقادان متضادان في قلب واحد وقال ابو عبد الله «ع» ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه يحب بهذا قوما ويحب بهذا اعداءهم واختلف العلماء في انه هل يجوز ان يكون لإنسان واحد قلبان فمنع بعضهم من ذلك وقال إن ذلك يؤدّي إلى أن لا ينفصل إنسان من إنسانين لأنه يصحّ أن يريد بأحد قلبيه ما يكرهه بالقلب الآخر فيصير كشخصين وجوّز بعضهم ذلك وقال كما ان الانسان الواحد يجوز ان يكون له قلب كثير الأجزاء ويمتنع أن يريد ببعض الأجزاء ما يكرهه البعض الآخر لأن الإرادة والكراهة وإن وجدتا في جزئين من القلب فالحالتان الصادرتان عنهما يرجعان إلى الجملة وهي جملة واحدة فاستحال اجتماع معنيين ضدّين في حيّ واحد ويجوز ان يكون معنيان مختلفان او مثلان في جزئين من القلب وبوجبان الصفتين للحي الواحد فكذلك القياس إذا كان المعنيان في قلبين إذا كان ما يوجد فيهما يرجع إلى حيّ واحد إلا ان السمع ورد بالمنع من ذلك (وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) يقال ظاهر من امرأته وتظاهر وتظهر وهو ان يقول لها أنت عليّ كظهر أمي وكانت العرب تطلق نساءها في الجاهلية بهذا اللفظ فلما جاء الإسلام نهوا عنه وأوجبت الكفارة على من ظاهر من امرأته وسنذكره في سورة المجادلة والمعنى ان الله تعالى أعلمنا ان الزوجة لا تصير أما فقال وما جعل نساءكم اللاتي تقولون هُنّ علينا كظهر أمهاتنا أمهاتكم لأن امهاتكم على الحقيقة هن اللائي ولدنكم وارضعنكم (وما جعل ادعياءكم ابناءكم) الأدعياء جمع الدعي وهو الذي يتبنّاه الإنسان . بيّن سبحانه انه ليس بابن على الحقيقة ونزلت في زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي من بني عبدود تبنّاه النبي ﷺ قبل الوحي وكان قد وقع عليه السبي فاشتراه رسول الله ﷺ بسوق عكاظ فلما نبئ رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام فأسلم فقدم ابو حارثة مكة وأتى ابا طالب وقال سل ابن أخيك فإما أن يبيعه وإما أن يعتقه فلما قال ذلك ابو طالب لرسول الله قال هو حرٌّ فليذهب حيث شاء فأبى زيد أن يفارق

رسول الله ﷺ فقال حارثة يا معشر قريش اشهدوا انه ليس ابني فقال رسول الله ﷺ اشهدوا انه ابني يعني زيدا فكان يدعى زيد بن محمد فلما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش فكانت تحت زيد بن حارثة قالت اليهود والمنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها فقال الله سبحانه ما جعل الله من تدعونه ولدا وهو ثابت النسب من غيركم ولدا لكم (ذلكم قولكم بأفواهكم) أي ان قولكم الدعي ابن الرجل شيء تقولونه بألسنتكم لا حقيقة له عند الله تعالى (والله يقول الحق) الذي يلزم اعتقاده وله حقيقة وهو ان الزوجة لا تصير بالظهار أما والدعي لا يصير بالتبني ابنا (وهو يهدي السبيل) اي يرشد إلى طريق الحق ويدل عليه (ادعوهم لآبائهم) الذين ولدوهم وانسبوهم اليهم أو إلى من ولدوا على فراشهم (هو اقسط عند الله) أي اعدل عند الله قولا وحكما وروى سالم عن ابن عمر قال ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل في القرآن ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله أورده البخاري في الصحيح (فإن لم تعلموا آبائهم) أي لم تعرفوا بأعيانهم (فإخوانكم في الدين) اي فهم اخوانكم في الملة فقولوا يا أخي (ومواليكم) اي بنو اعمامكم قال الزجاج ويجوز أن يكون المراد أولياءكم في الدين في وجوب النصرة وقيل معناه معتقوكم ومحرروكم إذا اعتقتموهم من رق فلكم ولاؤهم (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) اي ليس عليكم حرج في نسبته إلى المتبني إذا ظننتم انه ابوه ولم تعلموا انه ليس بابن له فلا يؤاخذكم الله به (ولكن ما تعمدت قلوبكم) أي ولكن الإثم والجناح فيما تعمدت قلوبكم يعني في الذي تعمدته قلوبكم وقصدتموه من دعائهم إلى غير آبائهم فإنكم تؤاخذون به وقيل ما أخطأتم قبل النهي وما تعمدتموه بعد النهي عن مجاهد (وكان الله غفورا) لما سلف من قولكم (رحيما) بكم وفي هذه الآية دلالة على انه لا يجوز الانتساب إلى غير الأب وقد وردت السنة بتغليظ الأمر فيه قال «ع» من انتسب إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله

قوله تعالى (٦) ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا (٧) وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا (٨) لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٩) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (١٠) إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا (خمس آيات)

القراءة

قرأ اهل المدينة وابن عامر وابو بكر وقتيبة الظنونا والرسولا والسبيلا بألف في الوصل والوقف وقرأ اهل البصرة وحمزة بغير الف في الوصل والوقف والباقون بالألف في الوقف وبغير الف في الوصل

الحجة

قال ابو علي وجه قول من أثبت في الوصل انها في المصحف كذلك وهو رأس آية ورؤوس الآيات تشبه

بالقوافي من حيث كانت مقاطع فلما شبه اكرمن واهانبن بالقوافي في حذف الياء منهن كما حذف في نحو قوله «مِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ أَنْ يَأْتِينَ» «وَإِذَا مَا أُنْتُسِبْتُ لَهُ أَنْكَرْنَ» كذلك يشبه هذا في اثبات الألف بالقوافي فأما من طرح الالف في الوصل فإنه ذهب إلى ان ذلك في القوافي وليس رؤوس الآي بقوافي فيحذف في الوصل كما يحذف غيرهما يثبت في الوقف نحو التشديد الذي يلحق الحرف الموقوف عليه وهذا إذا أثبت في الخط فينبغي أن لا يحذف كما لا يحذف هاء الوقف من حسابيَهْ وكتابيَهْ وان يجري مجرى الموقوف عليه ولا يوصل

﴿ الاعراب ﴾

أن تفعلوا موصول وصلة في موضع رفع بالابتداء إلا انه استثناء منقطع وخبره محذوف تقديره لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفا جائز وإذ اخذنا العامل في الظرف هنا محذوف تقديره واذكروا نعمة الله عليكم كائنة وقت مجيء جنود. إذ جاؤكم بدل من إذ الأولى وإذ زاغت كذلك

﴿ النزول ﴾

قال الكلبي آخى رسول الله ﷺ بين الناس فكان يؤاخي بين الرجلين فإذا مات احدهما ورثه الثاني منها دون أهله فمكثوا بذلك ما شاء الله حتى نزلت وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وورث الأدنى فالأدنى من القرابات وقال قتادة كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وكان لا يرث الاعرابي المسلم من المهاجرين شيئاً فنزلت هذه الآية فصار المواريث بالقرابات

﴿ المعنى ﴾

(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي هو أولى بهم منهم بأنفسهم وقيل في معناه اقوال ﴿ احدها ﴾ انه أحق بتدبيرهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمهم على أنفسهم خلاف ما يحكم به لوجوب طاعته التي هي مقرونة بطاعة الله تعالى عن ابن زيد ﴿ وثانيها ﴾ انه أولى بهم في الدعوة فإذا دعاهم النبي ﷺ إلى شيء ودعتهم انفسهم إلى شيء كانت طاعته اولى بهم من طاعة أنفسهم عن ابن عباس وعطا وهذا قريب من الأول ﴿ وثالثها ﴾ ان حكمه أنفذ عليهم من حكم بعضهم على بعض كقوله فسلموا على أنفسكم فإذا كان هو أحق بهم وهو لا يرث أمته بما له من الحق فكيف يرث من توجبون حقه بالتبني وروي ان النبي ﷺ لما أراد غزوة تبوك وأمر الناس بالخروج قالوا قوم نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت هذه الآية وروي عن أبي وابن مسعود وابن عباس انهم كانوا يقرؤون النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وكذلك هو في مصحف أبي وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله «ع» قال مجاهد وكل نبي أب لأمته ولذلك صار المؤمنون أخوة لأن النبي ﷺ ابوهم في الدين وواحدة الأنفس نفس وهي خاصة الحيوان الحساسة الدراكة التي هي أنفس ما فيه ويحتمل أن يكون اشتقاقه من التنفس الذي هو للتروح ويحتمل ان يكون من النفاسة لأنه أجل ما فيه واكرمه (وازواجه أمهاتهم) المعنى انهن للمؤمنين كالأمهات في الحرمة وتحريم النكاح ولسن أمهات لهم على الحقيقة إذ لو كن كذلك لكانت بناته اخوات المؤمنين على الحقيقة فكان لا يحل للمؤمن التزويج بهن فثبت ان المراد به يعود إلى حرمة العقد عليهن لا غير لأنه لم يثبت شيء من احكام الأمومة بين المؤمنين وبينهن سوى هذه الواحدة ألا ترى انه لا يحل للمؤمنين رؤيتهن ولا يرثن المؤمنين ولا يرثونهن ولهذا قال الشافعي وازواجه امهاتهم في معنى دون معنى وهو انهن محرمات على التأبيد وما كن محارم في الخلوة والمسافرة وهذا معنى ما رواه مسروق عن عائشة ان امرأة قالت لها يا أمه فقالت لست لك بأم إنما انا أم رجالكم فعلى هذا لا يجوز ان يقال لإخوانهن واخواتهن أخوال المؤمنين وخالات المؤمنين قال الشافعي تزوج الزبير اسماء بنت ابي بكر ولم يقل هي خالة المؤمنين (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) وهو مفسر في آخر الأنفال وأولوا الأرحام

(١) والاصل يأتيني وأنكرني.

هم ذوو الأنساب . لما ذكر سبحانه ان ازواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين عقبه بهذا وبين انه لا توارث إلا بالولادة والرحم والمعنى ان ذوي القرابات بعضهم أولى بميراث بعض من المؤمنين أي من الأنصار والمهاجرين اي الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وقيل معناه من المؤمنين والمتواخين والمهاجرين فصارت هذه الآية ناسخة للتوارث بالمهجرة والمؤاخاة في الدين دالة على ان الميراث بالقرابة فمن كان اقرب في قرباه فهو أحق بالميراث من الأبعد (إلا أن تفعلوا إلى اوليائكم معروفا) هذا استثناء منقطع ومعناه لكن إن فعلتم إلى اوليائكم المؤمنين وخلفائكم ما يعرف حسنه وصوابه فهو حسن قال السدي عنى بذلك وصية الرجل لأخوانه في الدين وقال غيره لما نسخ التوارث بالمؤاخاة والمهجرة أباح الوصية فيوصي لمن يتولاه بما أحبّ من الثلث فمعنى المعروف هنا الوصية وحكي عن محمد بن الحنفية وعكرمة وقتادة ان معناه الوصية لذوي القرابات من المشركين وقيل ان هذا لا يصح لأنه تعالى نهى عن ذلك بقوله لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم اولياء وقد أجاز كثير من الفقهاء الوصية للقرابة الكافرة وقال اصحابنا انها جائزة للوالدين والولد (كان ذلك) أي نسخ الميراث بالمهجرة وردّه إلى أولي الأرحام من القرابات (في الكتاب) اي في اللوح المحفوظ وقيل في القرآن وقيل في التوراة (مسطورا) اي مكتوبا ومن في قوله من المؤمنين والمهاجرين يحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ما ذكرناه ﴿ والآخر ﴾ ان يكون التقدير وأولوا الأرحام من المؤمنين والمهاجرين أولى بالميراث (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) اي واذكر يا محمد حين أخذ الله الميثاق على النبيين خصوصاً بأن يصدق بعضهم بعضا ويتبع بعضهم بعضا عن قتادة وقيل اخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله وان يصدق بعضهم بعضا وان ينصحوا لقومهم عن مقاتل (ومنك) يا محمد وإنما قدّمه لفضله وشرفه (ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) خصّ هؤلاء بالذكر لأنهم اصحاب الشرائع (واخذنا منهم ميثاقاً غليظا) اي عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا من اعباء الرسالة وتبليغ الشرائع وقيل على ان يعلنوا أن محمدا رسول الله ﷺ ويعلن محمد ﷺ انه لا نبي بعده وإنما أعاد ذكر الميثاق على وجه التغليظ وذكره في اول الآية مطلقا وفي آخرها مقيدا بزيادة صفة ثم بيّن سبحانه الفائدة في اخذ الميثاق فقال (ليسئل الصادقين عن صدقهم) قيل معناه إنما فعل ذلك ليسأل الأنبياء المرسلين ما الذي جاءت به أممكم عن مجاهد وقيل ليسأل الصادقين في توحيد الله وعدله والشرائع عن صدقهم أي عما كانوا يقولونه فيه تعالى فيقال لهم هل ظلم الله تعالى أحدا هل جازى كل إنسان بفعله هل عذب بغير ذنب ونحو ذلك فيقولون نعم عدل في حكمه وجازى كلاً بفعله وقيل معناه ليسأل الصادقين في اقوالهم عن صدقهم في افعالهم وقيل ليسأل الصادقين ماذا قصدتم بصدقكم وجه الله أو غيره ويكون فيه تهديد للكاذب قال الصادق«ع» إذا سأل عن صدقه على ايّ وجه قاله فيجازي بحسبه فكيف يكون حال الكاذب ثم قال سبحانه (واعدّ للكافرين عذابا أليما) اي مؤلما ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) ذكّرهم سبحانه عظيم نعمته عليهم في دفع الأحزاب عنهم (إذ جاءتكم جنود) وهم الذين تحزّبوا على رسول الله ﷺ ايام الخندق (فأرسلنا عليهم ريحا) وهي الصبا ارسلت عليهم حتى اكفأت قدورهم ونزعت فساطيطهم (وجنوداً لم تروها) من الملائكة وقيل ان الملائكة لم يقاتلوا يومئذ ولكن كانوا يشجّعون المؤمنين ويجبّنون الكافرين (وكان الله بما تعملون بصيراً) من قرأ بالتاء وجّه الخطاب إلى المؤمنين ومن قرأ بالياء أراد ان الله عالم بما يعمله الكفار ثم قال (إذ جاؤكم) اي واذكروا حين جاءكم جنود المشركين (من فوقكم) أي من فوق الوادي قبل المشرق قريظة والنضير وغطفان (ومن اسفل منكم) اي من قبل المغرب من ناحية مكة ابو سفيان في قريش ومن تبعه (وإذ زاغت الأبصار) اي مالت عن كل شيء فلم تنظر إلا إلى عدوّها مقبلا من كل جانب وقيل معناه عدلت الأبصار عن مقرّها من الدهش والحيرة كما يكون الجبان فلا يعلم ما يبصر (وبلغت القلوب الحناجر) والحنجرة جوف الحلقوم اي شخصت القلوب

من مكانها فلولا انه ضاق الحلقوم عنها ان تخرج لخرجت عن قتادة وقال ابو سعيد الخدري قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر فقالى قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فقلناها فضرب وجوه اعداء الله بالريح فهزموا قال الفراء المعنى في قوله بلغت القلوب الحناجر انهم جبنوا وجزع اكثرهم وسبيل الجبان إذ اشتدَّ خوفه أن ينتفخ سَحْرُه والسحر الرئة فإذا انتفخت الرئة رفعت القلوب إلى الحنجرة (وتظنون بالله الظنونا) اي اختلفت الظنون فظنَّ بعضكم بالله النصر وبعضكم ايس وقنط وقيل تظنون ظنونا مختلفة فظن المنافقون انه يستأصل محمد وظن المؤمنون انه ينصر عن الحسن وقيل ان من كان ضعيف القلب والإيمان ظنَّ ما ظنَّه المنافقون إلا انه لم يرد ذلك وقيل اختلاف ظنونهم ان بعضهم ظن ان الكفار تغلبهم فظن بعضهم انهم يستولون على المدينة وظنَّ بعضهم ان الجاهلية تعود كما كانت وظنَّ بعضهم ان ما وعد الله ورسوله من نصرة الدين وأهله غرور فاقسام الظنون كثيرة خصوصاً ظن الجبناء

النظم

اتصل قوله النبي أولى بالمؤمنين بقوله وما جعل ادعياءكم ابناءكم فإنه سبحانه لما بيَّن ان النبي عليه لا يجوز بيَّن عقيبه انه مع ذلك اولى بالمؤمنين من انفسهم من حيث انه ولاّه الله امرهم فيلزمهم طاعته والانقياد له وأصل الولاية لله تعالى كما قال هنالك الولاية لله فلاحظَّ فيها لأحد إلا لمن ولاّه سبحانه وإلى هذا المعنى اشار النبي ﷺ يوم الغدير في قوله ألست أولى بكم منكم بأنفسكم فلما قالوا بلى قال من كنت مولاه فعليٌّ مولاه والمولى بمعنى الأولى بدلالة قوله مأواكم النار هي مولاكم أي أولى بكم وقول لبيد

فَغَدَتْ كِلَا الْفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا(١)

اي أولى بالمخافة ثم عاد سبحانه إلى الكلام في تأكيد نبوة نبينا ﷺ بذكر ما اخذ على النبيين من الميثاق في هذا الباب وعقَّب ذلك ببيان آياته ومعجزاته يوم الأحزاب وذكر ما انعم عليه وعلى المؤمنين من النصر مع ما اعدَّ لهم من الثواب

قصة غزوة الخندق

ذكر محمد بن كعب القرظي وغيره من اصحاب السير قالوا كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلام بن ابو الحقيق وحيي بن اخطب في جماعة من بني النضير الذين اجلاهم رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا إنا سنكون معكم عليهم حتى نستأصلهم فقالت لهم قريش يامعشر اليهود إنكم اهل الكتاب الأول فديننا خير أم دين محمد قالوا بل دينكم خير من دينه فأنتم أولى بالحق منه فهم الذين انزل الله فيهم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا إلى قوله وكفى بجهنم سعيرا فسرَّ قريشاً ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه فاجمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه ﷺ وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم فخرجت قريش وقائدهم ابوسفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر في فزارة والحرث بن عوف في بني مرة ومسعر بن رجيلة الأشجعي فيمن تابعه من اشجع وكتبوا إلى حلفائهم من بني اسد فأقبل طليحة في من اتبعه من بني اسد وهما حليفان اسد وغطفان وكتب قريش إلى رجال من بني سليم فأقبل ابو الأعور السلمي فيمن اتبعه من بني سليم مدداً لقريش فلما علم بذلك رسول الله ﷺ ضرب الخندق على المدينة وكان الذي اشار عليه سلمان الفارسي (ره) وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حرٌّ قال يارسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون حتى احكموه فما ظهر من دلائل

(١) البيت من المعلقات، والفرج: مابين قوائم الدواب فما بين اليدين فرج وما بين الرجلين فرج، يصف بقرة وحشية سمعت صوتاً. يقول فغدت البقرة وهي تحسب ان كل فرج من فرجيها أولى بالمخافة منه ولم تقف على أن صاحب الصوت خلفها ام أمامها.

النبوة في حفر الخندق ما رواه ابو عبد الله الحافظ باسناده عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني قال حدثني ابي عن ابيه قال خطّ رسول الله ﷺ الخندق عام الاحزاب اربعين ذراعا بين عشرة فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال الانصار سلمان منا وقال المهاجرون سلمان منا فقال رسول الله ﷺ سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف فكنت انا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن وستة من الانصار نقطع اربعين ذراعا فحفرنا حتى إذا بلغنا الثرى اخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا ياسلمان ارقَ إلى رسول الله ﷺ فأخبره عن الصخرة فإما ان نعدل عنها فإن المعدل قريب وإما ان يأمرنا فيه بأمره فإنا لا نحبّ ان نجاوز خطّه فرقى سلمان حتى اتى رسول الله ﷺ وهو مضروب عليه قبة فقال يارسول الله خرجت صخرة بيضاء من الخندق مدوّرة فكسرت حديدنا وشقّت علينا حتى مايحك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان في الخندق واخذ المعول(١) وضرب به ضربة فلمعت منها برقة اضاءت ما بين لابتيها(٢) يعني لابتي المدنية حتى لكأن مصباحا في جوف ليل مظلم فكبّر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح فكبّر المسلمون ثم ضرب ضربة اخرى فلمعت برقة اخرى ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة اخرى فقال سلمان بأبي انت وأمي يارسول الله ما هذا الذي أرى فقال اما الاولى فإن الله عز وجل فتح علي بها اليمن وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق فاستبشر المسلمون بذلك وقالوا الحمد لله موعد صادق قال وطلعت الأحزاب فقال المؤمنون هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وقال المنافقون ألا تعجبون يحدثكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر في يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون ان تبرزوا ومما ظهر فيه ايضا من آيات النبوة ما رواه ابو عبد الله الحافظ بالاسناد عن عبد الواحد بن ايمن المخزومي قال حدثني ايمن المخزومي قال سمعت جابر بن عبد الله قال كنا يوم الخندق نحفر الخندق فعرضت فيه كُدْيَة(٣) وهي الجبل فقلنا يا رسول الله إن كدية عرضت فيه فقال رسول الله ﷺ رَشُّوا عليها ماء ثم قام فأتاها وبطنه معصوب بحجر من الجوع فأخذ المعول أو المسحاة فسمّى ثلاثا ثم ضرب فعادت كثيبا أهيل(٤) فقلت له إئذن لي يا رسول الله الى المنزل ففعل فقلت للمرأة هل عندك من شيء فقالت عندي صاع من شعير وعَناق(٥) فطحنت الشعير وعجنته وذبحت العَناق وسلختها وخليت بين المرأة وبين ذلك ثم اتيت الى رسول الله ﷺ فجلست عنده ساعة ثم قلت إئذن لي يا رسول الله ففعل فأتيت المرأة فإذا العجين واللحم قد أمكنا فرجعت الى رسول الله ﷺ فقلت ان عندنا طعيما لنا فقم يارسول الله انت ورجلان من اصحابك فقال وكم هو قلت صاع من شعير وعَناق فقال للمسلمين جميعا قوموا إلى جابر فقاموا فلقيت من الحياء ما لا يعلمه الا الله فقلت جاء بالخلق على صاع شعير وعَناق فدخلت على المرأة وقلت قد افتضحت جاءك رسول الله ﷺ بالخلق اجمعين فقالت هل كان سألك كم طعامك قلت نعم فقالت الله ورسوله اعلم قد اخبرناه ما عندنا فكشفت عني غمّا شديدا فدخل رسول الله ﷺ فقال خذي ودعيني من اللحم فجعل رسول الله ﷺ يثرد ويفرّق اللحم ثم يحمّ هذا ويحمّ(٧) هذا فما زال يقرب الى الناس حتى شبعوا اجمعين ويعود التنور والقدر املأ ما كانا ثم قال رسول الله ﷺ كلي واهدي فلم نزل نأكل ونهدي قومنا اجمع أورده البخاري في الصحيح وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله ﷺ ينقل معنا التراب يوم الاحزاب وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول « اللّٰهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا إِنَّ الْأُولَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا » يرفع بها صوته رواه البخاري ايضا في الصحيح(٨) عن ابي الوليد عن شعبة عن ابي اسحاق عن البراء قالوا ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق اقبلت قريش(٩) حتى نزلت بين الجُرف والغابة في عشرة آلاف من احابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان(١٠)

(١) المعول : الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر . (٢) اللابة . الحرة وهي الارض ذات الحجارة السود التي قد ألبستها لكثرتها ، والمدينة المنورة مابين حرتين عظمتين . (٣) قال الحموي : الحيرة مدينة كانت على ثلاثة اميال من الكوفة على موضع يقال له النجف (٤) هذا هو الظاهر الموافق لسيرة ابن هشام ج ٢ : ٢١٧ والبخاري ج ٥ ←

ومن تابعهم من اهل نجد حتى نزلوا الى جانب احد وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع[١١] في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هناك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام[١٢] وخرج عدو الله حيي بن اخطب النضيري حتى اتى كعب بن اسد القرظي صاحب بني قريظة وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع كعب صوت ابن اخطب اغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى ان يفتح له فناداه يا كعب افتح لي فقال ويحك ياحيي انك رجل مشؤوم اني قد عاهدت محمداً ﷺ ولست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقا قال ويحك افتح لي أكلمك قال ما انا بفاعل قال ان اغلقت دوني إلا على حشيشة تكره ان آكل منها معك فاحفظ الرجل[١٣] ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبحر طام[١٤] جئتك بقريش على قادتها وسادتها وبغطفان على سادتها وقادتها قد عاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه فقال كعب جئتني والله بذل الدهر بجهام[١٥] قد هراق ماؤه يرعد ويبرق وليس فيه شيء فدعني ومحمدا وما انا عليه فلم أر من محمد إلا صدقا ووفاء فلم يزل حيي بكعب يفتل منه في الذروة والغارب[١٦] حتى سمح له على ان اعطاه عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن ادخل معك في حصنك حتى يصيبني ما اصابك فنقض كعب عهده وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله ﷺ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ بعث سعد بن معاذ بن النعمان بن امرء القيس احد بني عبد الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة احد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فإن كان حقا فالحنوا لنا لحنا نعرفه ولا تفتوا اعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس وخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على اخبث مما بلغهم عنهم قالوا لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وقال سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فإن ما بيننا وبينهم اعظم من المشاتمة ثم اقبلوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا عضل والقارة[١٧] لغدر عضل والقارة باصحاب رسول الله خبيب بن عدي واصحابه اصحاب الرجيع فقال رسول الله ﷺ الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن وظهر النفاق من بعض المنافقين فأقام رسول الله ﷺ واقام المشركون عليه بضعاً وعشرين ليلة لم يكن بينهم قتال إلا الرمي بالنبل إلا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود اخو بني عامر بن لوي وعكرمة بن ابي جهل وضرار بن الخطاب وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبد الله قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا تهيأوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا تعنق بهم[١٨] خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن ابي طالب «ع» في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي منها اقتحموا واقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو بن عبدود فارس قريش وكان قد قاتل يوم بدر حتى ارتث واثبته الجراح ولم يشهد احدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مشهده وكان يعد بألف فارس وكان يسمى فارس يليل لأنه اقبل في ركب من قريش حتى إذا كانوا بيليل وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد فقال لأصحابه امضوا فمضوا فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من ان يصلوا اليه فعرف بذلك وكان اسم الموضع الذي حفر فيه الخندق المذاد وكان اول من طفره عمرو واصحابه فقيل في ذلك

عَمْرُو بْنُ عَبْدٍ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ ... جَزَعَ الْمَذَادَ وَكَانَ فَارِسَ يَلْيَلِ

وذكر ابن اسحاق ان عمرو بن عبدود كان ينادي من يبارز فقام علي «ع» وهو مقنع في الحديد فقال انا له

---

٩٠٠ وغيره لكن في الاصل «كدانة» قال ابن الاثير: في حديث الخندق فعرضت فيه كدية فاخذ المساحاة .. اه الكدية: قطعة غليظة صلبة لا يعمل فيها الفأس. (٥) اى رملا سائلا. (٦) العناق: الانثى من اولاد المعز قبل استكمال الحول. (٧) كذا في النسخ ولم أظفر له على معنى يناسب المقام والسياق و في اللغة جم الآناء ملاء -

يا نبي الله فقال انه عمرو اجلس ونادى عمرو الارجل وهو يوبخهم(١٩) ويقول اين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم دخلها فقام علي «ع» فقال انا له يا رسول الله ثم نادى الثالثة فقال

وَلَقَدْ بَحَحْتُ(٢٠) مِنَ النِّدَاءِ ... بِجَمْعِكُمْ هَلْ مِنْ مُبَارِز
وَوَقَفْتُ إِذْ جَبُنَ الْمُشَجَّعُ ... مَوْقِفَ الْبَطَلِ الْمُنَاجِز
إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالشَّجَا ... عَةَ فِي الْفَتَى خَيْرُ الْغَرَائِز

فقام علي فقال يا رسول الله انا فقال انه عمرو فقال وان كان عمرا فاستأذن رسول الله فأذن له رسول الله وفيما رواه لنا السيد ابو محمد الحسيني القايني عن الحاكم ابي القاسم الحسكاني بالاسناد عن عمرو بن ثابت عن ابيه عن جده عن حذيفة قال فألبسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم درعه ذات الفضول واعطاه سيفه ذا الفقار وعممه عمامة السحاب على رأسه تسعة اكوار ثم قال له تقدم فقال لما ولى: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه قال ابن اسحاق فمشى اليه وهو يقول

لَا تَعْجَلَنَّ فَقَدْ أَتَا ... كَ مُجِيبُ صَوْتِكَ غَيْرَ عَاجِز
ذُو نِيَّةٍ وَبَصِيرَةٍ ... وَالصِّدْقُ مُنْجِي كُلَّ فَائِز
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُقِـ ... ـمَ عَلَيْكَ نَائِحَةَ الْجَنَائِز
مِنْ ضَرْبَةٍ نَجْلَاءَ يَبْقَى ... ذِكْرُهَا عِنْدَ الْهَزَاهِزِ(٢١)

قال له عمرو من انت قال انا علي قال ابن عبد مناف فقال انا علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فقال غيرك يا ابن أخي من اعمامك من هو اسنّ منك فإني اكره ان اهريق دمك فقال علي «ع» لكني والله ما اكره ان اهريق دمك فغضب ونزل وسلّ سيفه كأنه شعلة نار ثم اقبل نحو عليّ مغضبا فاستقبله علي بدرقته(٢٢) فضربه عمرو بالدرقة فقدّها واثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه وضربه عليٌّ على حبل العاتق فسقط وفي رواية حذيفة وتسيف علي رجليه بالسيف من اسفل فوقع على قفاه وثارت بينهما عجاجة فسُمع عليٌّ يكبّر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتله والذي نفسي بيده فكان أول من ابتدر العجاج(٢٣) عمر بن الخطاب فإذا عليٌّ يمسح سيفه بدرع عمرو فكبّر عمر بن الخطاب وقال يا رسول الله قتله فحز عليٌّ رأسه واقبل نحو رسول الله ووجهه يتهلل فقال عمر بن الخطاب هلّا استلبته درعه فإنه ليس للعرب درع خير منها فقال ضربته فاتقاني بسوأته فاستحييت ابن عمي ان استلبه قال حذيفة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابشر ياعلي فلو وزن اليوم عملك بعمل امة محمد لرجح عملك بعملهم وذلك انه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن بقتل عمرو ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عزّ بقتل عمرو وعن الحاكم ابي القاسم ايضا بالاسناد عن سفيان الثوري عن زبيد الثاني عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال كان يقرأ وكفى الله المؤمنين القتال بعلي وخرج اصحابه منهزمين حتى طفرت خيولهم الخندق وتبادر المسلمون فوجدوا نوفل بن عبد العزى جوف الخندق فجعلوا يرمونه بالحجارة فقال لهم قتلة اجمل من هذه ينزل بعضكم اقاتله فقتله الزبير بن العوام وذكر ابن اسحاق ان عليا «ع» طعنه في ترقوته حتى اخرجها من مراقه فمات في الخندق وبعث المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشترون جيفته بعشرة آلاف فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو لكم لانأكل ثمن الموتى وذكر علي «ع» ابياتا منها

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ ... وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِ
فَضَرَبْتُهُ وَتَرَكْتُهُ مُتَجَدِّلًا ... كَالْجِذْعِ بَيْنَ دَكَادِكٍ وَرَوَابِ(٢٤)

← وفي صحيح البخاري ج ٥ : ٩٠ مانصه « ويخمر (اى يغطى) التنور اذا اخذمنه ويقرب الى أصحابه ... اه »
(٨) قائلها عبدالله بن رواحة ارتجز بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . (٩) الجرف: موضع على ثلاثة اميال المدينة نحو الشام . والغابة ايضا موضع بينها وبين جبل سلع ثمانية اميال قاله الحموى فى المعجم (١٠) حابيش: ←

وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوَ انَّنِي كُنْتُ الْمُقَطَّرَ بَزَّنِي أَثْوَابِي(٢٥)

وروى عمرو بن عبيد عن الحسن البصري قال ان عليا «ع» لما قتل عمرو بن عبدود حمل رأسه فألقاه بين يدي رسول الله ﷺ فقام ابو بكر وعمر فقبلا رأس علي «ع» وروي عن ابي بكر بن عياش انه قال ضرب علي ضربة ما كان في الاسلام اعز منها يعني ضربة عمرو بن عبدود وضُرِب عليٌّ ضربة ما كان في الاسلام ضربة أشأم منها يعني ضربة ابن ملجم عليه لعائن الله. قال ابن اسحاق ورمى حيان بن قيس بن العرفة سعد بن معاذ بسهم وقال خذها وانا ابن العرفة فقطع اكحله فقال سعد عرف الله وجهك في النار اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها فإنه لا قوم احبّ اليّ ان اجاهد من قوم آذوا رسولك وكذّبوه واخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقرّ عيني من بني قريظة قال وجاء نعيم بن مسعود الاشجعي إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله إني قد اسلمت ولم يعلم بي احد من قومي فمرني بأمرك فقال له رسول الله ﷺ إنما انت فينا رجل واحد فخَذِّل عنا ما استطعت فإنما الحرب خدعة فانطلق نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريظة فقال لهم إني لكم صديق والله ما انتم وقريش وغطفان من محمد ﷺ بمنزلة واحدة إن البلد بلدكم وبه اموالكم وابناؤكم ونساؤكم وإنما قريش وغطفان بلادهم غيرها وإنما جاءوا حتى نزلوا معكم فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا حتى تأخذوا رهنا من اشرافهم تستوثقون به ان لا يبرحوا حتى يناجزوا محمدا فقالوا له قد اشرت برأي ثم ذهب فأتى ابا سفيان واشراف قريش فقال يامعشر قريش إنكم قد عرفتم وُدّي اياكم وفراقي محمدا ودينه وإني قد جئتكم بنصيحة فاكتموا عليّ فقالوا نفعل ما انت عندنا بتهم فقال تعلمون ان بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد فبعثوا اليه انه لا يرضيك عنا إلا ان نأخذ من القوم رهنا من اشرافهم وندفعهم اليك فتضرب اعناقهم ثم نكون معك عليهم حتى نخرجهم من بلادك فقال بلى فإن بعثوا اليكم يسألونكم نفرا من رجالكم فلا تعطوهم رجلا واحدا واحذروا ثم جاء غطفان وقال يامعشر غطفان إني رجل منكم ثم قال لهم ما قال لقريش فلما اصبح ابو سفيان وذلك يوم السبت في شوال سنة خمس من الهجرة بعث اليهم ابو سفيان عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش ان ابا سفيان يقول لكم يامعشر اليهود ان الكراع والخف(٢٧) قد هلكا وانا لسنا بدار مقام فاخرجوا إلى محمد حتى نناجزه فبعثوا اليه ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم نستوثق بهم لا تذهبوا وتدعونا حتى نناجز محمدا فقال ابو سفيان والله قد حذرنا هذا نعيم فبعث اليهم ابو سفيان انا لا نعطيكم رجلا واحدا فإن شئتم أن تخرجوا وتقاتلوا وإن شئتم فاقعدوا فقالت اليهود هذا والله الذي قال لنا نعيم فبعثوا اليهم انا والله لا نقاتل حتى تعطونا رهنا وخذّل الله بينهم وبعث سبحانه عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد حتى انصرفوا راجعين قال محمد بن كعب قال حذيفة بن اليمان والله لقد رأيتنا يوم الخندق وبنا من الجهد والجوع والخوف مالا يعلمه إلا الله وقام رسول الله ﷺ فصلّى ما شاء الله من الليل ثم قال ألا رجل يأتينا بخبر القوم يجعله الله رفيقي في الجنة قال حذيفة فوالله ما قام منا احد مما بنا من الخوف والجهد والجوع فلما لم يقم احد دعاني فلم اجد بُدّاً من اجابته قلت لبيك قال اذهب فجئني بخبر القوم ولا تحدثنّ شيئاً حتى ترجع قال وأتيت القوم فإذا ريح الله وجنوده يفعل بهم ما يفعل ما يستمسك لهم بناء ولا تثبت لهم نار ولا تطمئن لهم قدر فإني لكذلك إذ خرج ابو سفيان من رحله ثم قال يا معشر قريش لينظر احدكم من جليسه قال حذيفة فبدأت بالذي عن يميني فقلت من انت قال انا فلان(٢٨) ثم عاد ابو سفيان براحلته فقال يامعشر قريش والله ما انتم بدار مقام هلك الخف والحافر واخلفتنا بنو قريظة وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شيء ثم عجل فركب راحلته وانها لمعقولة ما حلّ عقالها إلا بعد

← الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة. (١١) سلع : جبل بالمدينة. (١٢) الاطام : الا بنية المرتفعة كالحصون (١٣) أحفظه بمعنى اغضبه. (١٤) طم الماء : كثر. (١٥) الجهام: السحاب (١٦) اى يدور من وراء خديعته. (١٧) قال الجوهري عضل قبيلة وهو عضل بن الهون بن خزيمة أخو الديش، و يقال لهما القارة. اى غدروا كغدر عضل و القارة

ما ركبها قال قلت في نفسي لو رميت عدوّ الله فقتلته كنت قد صنعت شيئا فوترت قوسي ثم وضعت السهم في كبد القوس وانا اريد ان ارميه فأقتله فذكرت قول رسول الله ﷺ لا تحدثن شيئا حتى ترجع قال فحططت القوس ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو يصلّي فلما سمع حسي فرّج بين رجليه فدخلت تحته وارسل عليّ طائفة من مرطه[٢٩] فركع وسجد ثم قال ما الخبر فأخبرته وروى الحافظ بالاسناد عن عبد الله بن ابي أوفى قال دعا رسول الله ﷺ على الاحزاب فقال اللهم انت منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم وعن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ كان يقول لا إله إلا الله وحده وحده اعزّ جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده وعن سليمان بن صرد قال قال رسول الله ﷺ حين اجلى عنه الأحزاب الآن نغزوهم ولا يغزوننا فكان كما قال ﷺ فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو يغزوهم حتى فتح الله عليهم مكة

قوله تعالى (١١) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١٢) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٣) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٤) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٥) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٦) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٧) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٨) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٩) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٢٠) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (عشر آيات)

القراءة

قرأ حفص لا مُقام لكم بضم الميم والباقون بفتحها وقرأ اهل الحجاز لأتوها بغير مدّ والباقون لآتوها بالمد وقرأ يعقوب يسّائلون بالتشديد والمدّ والباقون يسئلون بالتخفيف وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن يعمر وقتادة ان بيوتنا عَورة وما هي بعورة بكسر الواو في الموضعين وقراءة الحسن ثم سولوا الفتنة مرفوعة السين ولا يجعل فيها ياء ولا يمدها وقراءة ابن عباس لو انهم بُدّى في الاعراب

الحجة

قال ابو علي المقام يحتمل أمرين (احدهما) لا موضع إقامة لكم وهذا اشبه لأنه في معنى لامقام بفتح

و قصة غدرهما بالسبعة نفر الذين بعثهم رسول الله معهم منهم خبيب في الموضع الذى يقال له الرجيع معروف
(١٨) من العنق وهو ضرب من السير .(١٩) أنه :لامه(٢٠)البحاح : غلظ في الصوت وخشونة(٢١) ضربة نجلاء :
واسعة .والهزاه زبمعنى الحروب .(٢٢) الدرقة :الترس من الحديد. (٢٣) حز الشيء : قطعه .(٢٤)د كادك جمع د كدك : ←

الميم اي ليس لكم موضع تقومون فيه ﴿ والآخر ﴾ لا اقامة لكم ومن قصر لأتوها فلأنك تقول أتيت الشيء إذا فعلته تقول أتيت الخير وتركت الشر ومعنى ثم سئلوا الفتنة لأتوها سئلوا فعل الفتنة لفعلوها ومن قرأ لآتوها فالمعنى لأعطوها اي لم يمتنعوا فيها والمعنى لو قيل لهم كونوا على المسلمين ومع المشركين لفعلوا ذلك ومن قرأ يسّاءلون فإنه يتساءلون اي يسأل بعضهم بعضا فأدغم التاء في السين ومن قرأ عورة بكسر الواو فإنه شاذ من طريق الاستعمال وذلك لتحرك الواو بعد الفتحة والقياس ان تقول عارة كما قالوا رجل مال وامرأة مالة وكبش صاف ونعجة صافة ومثل عَورة في صحة الواو قولهم رجل عَوِز لا مال له وقول الاعشى

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتْبَعُنِي ... شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ (٣٠)

وقوله سولوا من قولهم سال يسال كخاف يخاف فالعين على هذه اللغة واووحكى ابو زيد قولهم هما يتساولان كما يقال يتقاومان والأقيس على هذا ان يقال سيلوا كميدوا وقيل واللغة الاخرى إشمام الضمة نحوسئلوا واللغة الثالثة سولوا على اخلاص ضمة فُعِل إلا انه اردأ اللغات قال الشاعر « وقُولَ لا اهل له ولامال » (٣١) اي وقيل وقال آخر « نُوطَ الى صلب شديد الحل » اي نيط وقوله بُدّى جمع باد فهو مثل غاز وغُزّى

﴿ اللغة ﴾

يقال هنا للقريب من المكان وهنالك للبعيد وهناك للمتوسط بين القريب والبعيد وسبيله سبيل ذا وذلك وذاك والزلزال الاضطراب العظيم والزلزلة اضطراب الارض وقيل انه مضاعف زلّ وزلزله غيره والشدة قوة تدرك بالحاسة لأن القوة التي هي القدرة لا تدرك بالحاسة وإنما تعلم بالدلالة فلذلك يوصف تعالى بأنه قويٌّ ولا يوصف بأنه شديد والغرور ايهام المحبوب بالمكروه والغرور الشيطان قال الحرث بن حلزة

لَمْ يَغُرُّوكُمْ غُرُوراً وَلَكِنْ ... يَرْفَعُ الآلُ جَمْعَهُمْ وَالضُّحَاءُ (٣٢)

ويثرب اسم ارض المدينة قال ابو عبيدة ان مدينة الرسول في ناحية من يثرب وقيل يثرب هي المدينة نفسها وذكر المرتضى علم الهدى قدس الله روحه ان من اسماء المدينة يثرب وطيبة وطابة والدار والسكينة وجائزة والمحبورة والمحبة والمحبوبة والعذراء والمرحومة والقاصمة ويندد فذلك ثلاثة عشر اسما والعورة كل شيء يتخوف منه في ثغر او حرب ومكان معور ودار معورة إذا لم تكن حريزة . القطر الناحية والجانب وجمعه الاقطار يقال طعنه فقطره إذا القاه على احد قطريه اى احد شقيه والتعويق التثبيت والعوق الصرف ورجل عوق وعوقة يعوق الناس عن الخير . والبأس الحرب واصله الشدة . والاشحة جمع شحيح والشح البخل مع حرص يقال شَحَّ يَشُحُّ ويَشَحُّ بضم الشين وفتحها . والسلق اصله الضرب وسلق اي صاح ومنه خطيب مِسْلق ومِصْلق فصيح وسلقته بالكلام اسمعته المكروه وفي الحديث ليس منا من سلق او حلق اورفع صوته عند المصيبة وقيل هو ان تصلك وجهها ومعنى حلق اي يحلق رأسه وشعره عند المصيبة . والحديد ضد الكليل والجمع حداد . والاحزاب الجماعات واحدها حزب وتحزّبوا اي تجمّعوا من مواضع والبادي الذي ينزل البادية ومنه الحديث من بدا جفا اي من نزل البادية كان فيه جفوة الاعراب والبداوة الخروج إلى البادية بفتح الباء وكسرها قال القطامي

وَمَنْ تَكُنِ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ ... فَأَيَّ الناسِ بَادِيَةٍ تَرَانَا (٣٣)

﴿ الإعراب ﴾

الضمير في دخلت عائد إلى البيوت الا يسيرا تقديره الا تلبسا يسيرا أوزمانا يسيرا فهو صفة ظرف زمان محذوف واذا لا تمتعون لم يعمل إذا لوقوعه بين الواو والفعل وقد اعملت بعد انَّ في قول الشاعر

لَا تَتْرُكَنِّي فِيهِمِ شَطِيرَا ... إِنِّي إِذَنْ أَهْلِكَ أَوْ أَطِيرَا (٣٤)

← الرمل اللين و رواب جمع رابية : ما ارتفع من الارض . (٢٥) القطر : الملقى على أحد قطريه اى جنبيه ويزّه : سلبه (٢٦) امر من خذله : حمله على الفشل وترك القتال (٢٧) يريد بالكراع : الخيل وبالخف : الابل . (٢٨) و في المنقول، عن شرح المواهب « فضربت يدى على الذى عن يمينى فأخذت بيده فقلت : من أنت ؟ قال : معاوية بن أبى سفيان، ←

ولا يأتون جملة معطوفة على صلة الموصول اي الذين يعوّقون ولا يأتون وقوله إلا قليلا تقديره الا زمانا قليلا وان شئت الا اتيانا قليلا اشحّة منصوب على الحال في الموضعين وقيل هو نصب على الذم كالذي يغشى عليه من الموت اي تدور اعينهم دورانا مثل دوران اعين الذي يغشى عليه من الموت فالكاف صفة مصدر محذوف وقد حذف بعد الكاف المضاف والمضاف اليه. هلمّ معناه اقبل وتعال واهل الحجاز يقولون للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث هلم بلفظ الواحد وانما هي لُمَّ ضمت اليها هاء التي للتنبيه ثم حذفت الالف منها اذا صارا شيئا واحدا كقولهم ويلُمّه واصله ويل لأمه فلما جعلوهما شيئا واحدا حذفوا وغيّروا وأما بنو تميم فيصرفونه تصريف الفعل يقولون هلم يا رجل وهلما وهلموا وهلمي يا امرأة وهلما وهلممن يا نساء الا انهم يفتحون آخر الواحد البتة

المعنى

لما وصف سبحانه شدة الامر يوم الخندق قال (هنالك ابتلي المؤمنون) اي اختبروا وامتحنوا ليظهر لك حسن ايمانهم وصبرهم على ما امرهم الله به من جهاد اعدائه فظهر من كان ثابتا قويا في الإيمان ومن كان ضعيفا فيه (وزلزلوا زلزالا شديدا) اي حرّكوا بالخوف تحريكا شديدا وازعجوا ازعاجا عظيما وذلك ان الخائف يكون قلقا مضطربا لا يستقر على مكانه قال الجبائي منهم من اضطرب خوفا على نفسه من القتل ومنهم من اضطرب عليه دينه (واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) اي شكّ عن الحسن وقيل ضعف في الايمان (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) قال ابن عباس ان المنافقين قالوا يعدنا محمد ان يفتح مدائن كسرى وقيصر ونحن لا نأمن ان نذهب الى الخلاء هذا والله الغرور (وإذ قالت طائفة منهم) يعني عبد الله بن ابي واصحابه عن السدي وقيل هم بنو سالم من المنافقين عن مقاتل وقيل ان القائل لذلك اوس بن قبطي ومن وافقه على رأيه عن يزيد بن رومان (يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا) اي لا اقامة لكم هاهنا ولا مكان لكم تقومون فيه للقتال اذا فتح الميم فارجعوا الى منازلكم بالمدينة وأرادوا الهرب من عسكر رسول الله ﷺ (ويستأذن فريق منهم النبي) في الرجوع الى المدينة وهم بنو حارثة وبنو سلمة (يقولون ان بيوتنا عورة) ليست بحريزة، مكشوفة ليست بحصينة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه بيوتنا خالية من الرجال نخشى عليها السراق عن الحسن وقيل قالوا بيوتنا مما يلي العدو ولا نأمن على اهلينا عن قتادة فكذّبهم الله تعالى فقال (وما هي بعورة) بل هي رفيعة السمك حصينة عن الصادق (ع) (ان يريدون) اي ما يريدون (الا فرارا) وهربا من القتال ونصرة المؤمنين (ولو دخلت) اي ولو دخلت البيوت او دخلت المدينة (عليهم) اي ولو دخل هؤلاء الذين يريدون القتال وهم الاحزاب على الذين يقولون ان بيوتنا عورة وهم المنافقون (من اقطارها) أي من نواحي المدينة او البيوت (ثم سئلوا الفتنة لآتوها) اي ثم دعوا هؤلاء إلى الشرك لأشركوا فالمراد بالفتنة الشرك عن ابن عباس (وما تلبثوا بها إلا يسيرا) اي وما احتبسوا عن الاجابة إلى الكفر إلا قليلا عن قتادة وقيل معناه وما اقاموا بالمدينة بعد اعطائهم الكفر إلا قليلا حتى يعاجلهم الله بالعذاب عن الحسن والفراء ثم ذكرهم الله سبحانه عهدهم مع النبي ﷺ بالثبات في المواطن فقال (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أي من قبل الخندق (لا يولون الأدبار) اي بايعوا النبي ﷺ وحلفوا له انهم ينصرونه ويدفعون عنه كما يدفعون عن نفوسهم ولا يرجعون عن مقاتلة العدو ولا ينهزمون قال مقاتل يريد ليلة العقبة (وكان عهد الله مسئولا) يسألون عنهم في الآخرة وإنما جاء بلفظ الماضي تأكيدا ثم قال سبحانه (قل) يا محمد للذين استأذنوك في الرجوع واعتلّوا بأن بيوتهم يخاف عليها (لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت او القتل) إن كان حضرت آجالكم فإنه لا بدّ من واحد منها وان هربتم فالهرب لا يزيد في آجالكم (وإذا لا تمتعون إلا قليلا) معناه وان لم تحضر آجالكم وسلمتم من الموت أو القتل في هذه الوقعة لم تمتعوا في الدنيا إلا اياما قلائل وإنما فرّق بين الموت والقتل لأن القتل غير الموت فإن الموت ضد

← ثم ضربت بيدى على الذى عن شمالى فقلت : من أنت قال : عمرو بن العاص » (٢٩) المرط بالكسر : الكساء
(٣٠) من أبيات اعتبرها بعض من المعلقات و الحانوت بيت الخمار . و الشاوى : الذى يشوى اللحم والشل المستعث والجيد السوق ، وقيل: الذى يشل اللحم فى السفود ، والشلول : مثل الشل . وشلشل : الخفيف فى العمل ←

الحياة عند من اثبته معنى وانتفاء الحياة عند من لم يثبته معنى والقتل هو نقض البنية الحيوانية فالقتل يقدر عليه غير الله تعالى والموت لا يقدر عليه غيره (قل) يا محمد (من ذا الذي يعصمكم من الله) اي يدفع عنكم قضاء الله ويمنعكم من الله (إن اراد بكم سوءا) اي عذابا وعقوبة (أو أراد بكم رحمة) اي نصرا وعزا فإن احدا لا يقدر على ذلك (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) يلي امورهم (ولا نصيرا) ينصرهم ويدفع عنهم ثم قال سبحانه (قد يعلم الله المعوقين منكم) وهم الذين يعوقون غيرهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ ويثبطونهم ويشغلونهم لينصرفوا عنه وذلك بأنهم قالوا لهم ما محمد واصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم (٢٥) أبو سفيان وهؤلاء الأحزاب (والقائلين لاخوانهم) يعني اليهود قالوا لاخوانهم المنافقين (هلم الينا) اي تعالوا وأقبلوا الينا ودعوا محمدا وقيل القائلون هم المنافقون قالوا لاخوانهم من ضعفة المسلمين لا تحاربوا وخلّوا محمدا فإنا نخاف عليكم الهلاك (ولا يأتون البأس) اي ولا يحضرون القتال في سبيل الله (إلا قليلا) يخرجون رياء وسمعة قدر ما يرهبون انهم معكم يعلم الله سبحانه احوالهم لا يخفى عليه شيء منها عن السدي وقيل معناه ولا يحضرون القتال إلا كارهين تكون قلوبهم مع المشركين عن قتادة (أشحة عليكم) اي لا يأتون الناس اشحة عليكم أي بخلاء بالقتال معكم وقيل بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة عن قتادة ومجاهد ومعناه لا ينصرونكم ثم اخبر عن جبنهم فقال (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) اي كعين الذي يغشى عليه من الموت) وهو الذي قرب من حال الموت وغشي اسبابه فيذهل ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف كذلك هؤلاء تشخص ابصارهم وتحار اعينهم من شدة خوفهم فإذا ذهب الخوف والفزع وجاء الأمن والغنيمة (سلقوكم بألسنة حداد) اي آذوكم بالكلام وخاصموكم بألسنة سليطة ذربة عن الفراء وقيل معناه بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا اعطونا فلستم بأحق بها منا عن قتادة قال فأما عند البأس فأجبن قوم واخذلهم للحق واما عند الغنيمة فأشح قوم وهو قوله (أشحة على الخير) اي بخلاء بالغنيمة يشاحون المؤمنين عند القسمة وقيل معناه بخلاء بأن يتكلموا بكلام فيه خير عن الجبائي (أولئك) يعني من تقدم وصفهم (لم يؤمنوا) كما آمن غيرهم وإلا لما فعلوا ذلك (فأحبط الله اعمالهم) لأنها لم تقع على الوجوه التي يستحق عليها الثواب إذ لم يقصدوا بها وجه الله تعالى وفي هذا دلالة على صحة مذهبنا في الاحباط (٣٣) لأن المنافقين ليس لهم ثواب فيحبط فليس إلا ان جهادهم الذي لم يقارنه إيمان لم يستحقوا عليه ثوابا (وكان ذلك) الاحباط او كان نفاقهم (على الله يسيرا) اي هينا ثم وصف سبحانه هؤلاء المنافقين فقال (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) اي يظنون ان الجماعات من قريش وغطفان وأسد واليهود الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ لم ينصرفوا وقد انصرفوا وإنما ظنوا ذلك لجبنهم وفرط جبنهم قهر المسلمين (وإن يأت الأحزاب) اي وإن يرجع الأحزاب اليهم ثانية للقتال (يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسئلون عن انبائكم) اي يود هؤلاء المنافقون ان يكونوا في البادية مع الأعراب يسألون عن اخباركم ولا يكونوا معكم حذرا من القتل وتربصا للدوائر (ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا) اي ولو كان هؤلاء المنافقون معكم وفيكم لم يقاتلوا معكم إلا قدرا يسيرا ليوهموا انهم في جملتكم لا لينصروكم ويجاهدوا معكم وقيل معناه قتالا قليلا رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان لله تعالى لم يكن قليلا عن الجبائي ومقاتل

قوله تعالى (٢١) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢٢) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٣) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ

---

(٢٥) والخدمة ، وشول : الذى يشول بالشيء الذى يشتريه صاحبه اى يرفعه ، وقال فى اللسان محكياً عن بعض ان الالفاظ متقاربة اريد بذكرها المبالغة (٣١) هذا عجز بيت وقبله « وابتدأت غضبى وام الرحال » (٣٢) الال: السراب والضحاء ارتفاع النهار الاعلى . (٣٣) الحضارة : الاقامة في الحضر (٣٤) الشطير: الغريب والبعيد و« أطير » متكلم من طار

مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٤) لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٥) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم أسوة بضم الألف حيث كان في جميع القرآن والباقون بكسر الألف وهما لغتان ومعناهما قدوة

﴿ اللغة ﴾

النحب النذر قال بشر بن ابي حازم.

وَإِنِّي وَالْهِجَاءُ لِآلِ لَامٍ ... كَذَاتِ النَّحْبِ تُوفِي بِالنُّذُورِ

والنحب الموت قال ذو الرمة

عَشِيَّةَ مَرَّ الْحَارِثِيُّونَ بَعْدَمَا ... قَضَىٰ نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ هَوْبَرُ

وهوبر اسم رجل والنحب الخطر قال جرير

بِطِخْفَةَ حَالَدْنَا الْمُلُوكَ وَخَيْلُنَا ... عَشِيَّةَ بِسْطَامٍ جَرَيْنَ عَلَىٰ نَحْبِ (٣٧)

اي على خطر والنحب المد في السير يوما وليلة

[المعنى]

ثم حثّ سبحانه على الجهاد والصبر عليه فقال (لقد كان لكم) معاشر المكلفين (في رسول الله أسوة حسنة) اي قدوة صالحة يقال لي في فلان أسوة أي لي به اقتداء. والأسوة من الاتساء كما ان القدوة من الاقتداء. اسم وضع موضع المصدر والمعنى كان لكم برسول الله اقتداء لو اقتديتم به في نصرته والصبر معه في مواطن القتال كما فعل هو يوم أحد إذ انكسرت رباعيته وشجّ حاجبه وقتل عمّه فواساكم مع ذلك بنفسه فهلّا فعلتم مثل ما فعله هو وقوله لمن كان يرجو الله بدل من قوله لكم وهو تخصيص بعد العموم للمؤمنين يعني ان الأسوة برسول الله إنما تكون (لمن كان يرجو الله) أي يرجو ما عند الله من الثواب والنعيم عن ابن عباس وقيل معناه يخشى الله ويخشى البعث الذي فيه جزاء الأعمال وهو قوله (واليوم الآخر) عن مقاتل (وذكر الله كثيرا) اي ذكراً كثيرا وذلك ان ذاكر الله متّبع لأوامره بخلاف الغافل عن ذكره ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأحزاب فقال (ولما رأى المؤمنون الأحزاب) اي ولما عاين المصدّقون بالله ورسوله الجماعة التي تحزّبت على قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع كثرتهم (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) اختلف في معناه على قولين ﴿ احدهما ﴾ ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد اخبرهم انه يتظاهر عليهم الأحزاب ويقاتلونهم ووعدهم الظفر بهم فلما رأوهم تبيّن لهم مصداق قوله وكان ذلك معجزاً له (وما زادهم) مشاهدة عدوّهم (إلا إيمانا) اي تصديقا بالله ورسوله (وتسليما) لأمره عن الجبائي ﴿ والآخر ﴾ ان الله تعالى وعدهم في سورة البقرة بقوله أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا إلى قوله ان نصر الله قريب ما سيكون من الشدة التي تلحقهم من عدوّهم فلما رأوا الأحزاب يوم الخندق قالوا هذه المقالة علما منهم انه لا يصيبهم إلا ما أصاب الأنبياء والمؤمنين قبلهم وزادهم كثرة المشركين تصديقاً ويقيناً وثباتا في الحرب عن قتادة وغيره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي بايعوا أن لا يفرّوا فصدّقوا في لقائهم العدو (فمنهم من قضى نحبه) اي مات أو قتل في سبيل الله فأدرك ما تمنى فذلك قضاء النحب وقيل قضى نحبه معناه فرغ من عمله ورجع إلى ربه يعني من استشهد يوم أحد عن محمد بن اسحاق وقيل معناه

---

(٣٥) التهمه : ابتلعه بسرعة (٣٦) وهو القول بان كل من الايمان و الكفر يتحقق بتحقق شروط المقارنة ، و ليس شيء منهما يستحق الثواب والعقاب مشروطا بشرط متأخر بل ان تحقق الايمان تحقق استحقاق الثواب و كذا في الكفر ، فان كفر بعد الايمان كان كفره اللاحق كاشفا عن انه لم يكن مؤمنا سابقا و لم يكن مستحقا للثواب عليه و اطلاق المؤمن عليه بحسب ←

قضى أجله على الوفاء. والصدق عن الحسن وقال ابن قتيبة أصل النحب النذر وكان قوما نذروا إن يلقوا العدو أن يقاتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله فقتلوا فقيل فلان قضى نحبه إذا قتل وروي عن أنس بن مالك ان عمه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن اول قتال قاتله رسول الله مع المشركين لئن أراني الله قتالا للمشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم احد انكشف المسلمون فقال اللهم اني اعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فلقيه سعد دون أحد فقال انا معك قال سعد فلم استطع ان اصنع ما صنع فوجد فيه بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم كنا نقول فيه وفي اصحابه نزلت فمنهم من قضى نحبه (ومنهم من ينتظر) رواه البخاري في الصحيح عن محمد بن سعيد الخزاعي من عبد الأعلى عن حميد بن أنس وقال ابن اسحاق فمنهم من قضى نحبه من استشهد يوم بدر وأحد ومنهم من ينتظر ما وعد الله من نصرة أو شهادة على ما مضى عليه اصحابه (وما بدلوا تبديلا) أي ما غيروا العهد الذي عاهدوا ربهم كما غير المنافقون قال ابن عباس من قضى نحبه حمزة بن عبد المطلب ومن قتل معه وأنس بن النضر واصحابه وقال الكلبي ما بدلوا العهد بالصبر ولا نكثوه بالفرار وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني بالاسناد عن عمرو بن ثابت عن ابي اسحاق عن علي «ع» قال فينا نزلت رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأنا والله المنتظر وما بدلت تبديلا (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) أي صدق المؤمنون في عهودهم ليجزيهم الله بصدقهم (ويعذب المنافقين) بنقض العهد (إن شاء أو يتوب عليهم) إن تابوا ويكون معناه انه سبحانه إن شاء قبل توبتهم واسقط عقابهم وإن شاء لم يقبل توبتهم وعذبهم فلون اسقاط العذاب على المذهب الصحيح بالتوبة تفضل من الله تعالى لا يجب عقلا وإنما علمنا ذلك بالسمع والاجماع على ان الله سبحانه يفعل ذلك فالاية قاضية بما يقتضيه العقل من الحكم ويؤكد ذلك قوله (إن الله كان غفورا رحيما) لأن المدح إنما يحصل إذا رحم سبحانه من يستحق العقاب ويغفر ما جاز له المؤاخذة به ولا مدح في مغفرة ورحمة من يجب عليه غفرانه ورحمته وقيل معناه ويعذب المنافقين بعذاب عاجل في الدنيا إن شاء أو يتوبوا من الجبائي ثم عاد سبحانه إلى تعداد نعمه فقال (ورد الله الذين كفروا) يعني الأحزاب أبا سفيان وجنوده وغطفان ومن معهم من قبائل العرب (بغيظهم) أي بغمهم الذي جاءوا به وحنقهم لم يشفوا بنيل ما أرادوا و (لم ينالوا خيرا) أملوه وأرادوه من الظفر بالنبي والمؤمنين وإنما سماه خيرا لأن ذلك كان خيرا عندهم وقيل أراد بالخير المال كما في قوله وانه لحب الخير لشديد (وكفى الله المؤمنين القتال) أي مباشرة القتال بما أنزل الله على المشركين من الريح الشديدة الباردة التي أزعجتهم من أماكنهم وبما ارسل من الملائكة وبما قذف في قلوبهم من الرعب وقيل بعلي بن ابي طالب «ع» وقتله عمرو بن عبدود وكان ذلك سبب هزيمة القوم عن عبد الله بن مسعود وهو المروي عن ابي عبد الله «ع» (وكان الله قويا) اي قادرا على ما يشاء (عزيزا) لا يمتنع عليه شيء من الاشياء وقيل قويا في ملكه وسلطانه عزيزا في قهره وانتقامه

قوله تعالى (٢٦) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٧) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (آيتان)

اللغة

المظاهرة المعاونة وهي زيادة القوة بأن يكون المعاون ظهيرا لصاحبه في الدفع عنه والظهير المعين والصياصي الحصون التي يمتنع بها واحدتها صيصية يقال جد الله صيصية فلان أي حصنه الذي يمتنع به وكل ما امتنع به فهو صيصية ومنه يقال لقرون البقر والظباء صياصي ويقال ايضا لشوكة الديك وشوكة الحايك صيصية قال «كوقع

* اللفظ الظاهر، وهذا مذهب جمع من الامامية رضوان الله عليهم في الاحباط، و ان شئت مزيد تحقيق في الباب فراجع كتاب بحار الانوار ج ١٥ : ص١٦٩ .

(٣٧) طخية : اسم موضع . والمجالدة : المضاربة .

الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ»(١)

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما فعل باليهود من بني قريظة فقال (وأنزل الذين ظاهروهم) اي عاونوا المشركين من الأحزاب ونقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ أن لا ينصروا عليه عدوّاً من أهل الكتاب يعني من اليهود واتفق المفسرون على انهم بنو قريظة إلا الحسن فإنه قال هم بنو النضير والأول أصح وأليق بسياق الآيات لأن بني النضير لم يكن لهم في قتال أهل الأحزاب شيء وكانوا قد انجلوا قبل ذلك (من صياصيهم) أي من حصونهم (وقذف في قلوبهم الرعب) أي القى في قلوبهم الخوف من النبي ﷺ واصحابه المؤمنين (فريقا تقتلون) منهم يعني الرجال (وتأسرون فريقا) يعني الذراري والنساء (وأورثكم ارضهم) اي واعطاكم ارضهم (وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها) اي وأورثكم ارضا لم تطؤوها بأقدامكم بعد وسيفتحها الله عليكم وهي خيبر فتحها الله عليهم بعد بني قريظة عن ابن زيد ويزيد بن رومان ومقاتل وقيل هي مكة عن قتادة وقيل هي الروم وفارس عن الحسن وقيل هي كل ارض تفتح إلى يوم القيامة عن عكرمة وقيل هي ما افاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب عن ابي مسلم (وكان الله على كل شيء قديرا) ظاهر المعنى

القصة

روى الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن ابيه قال لما انصرف النبي ﷺ مع المسلمين عن الخندق ووضع عنه اللأمة(٢) واغتسل واستحم تبدّى له جبرائيل (ع) فقال عذيرك من محارب(٣) ألا اراك قد وضعت عنك اللأمة وما وضعناها بعد فوثب رسول الله ﷺ فزعاً فعزم على الناس أن لا يصلّوا صلاة العصر حتى يأتوا قريظة فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بنو قريظة حتى غربت الشمس واختصم الناس فقال بعضهم ان رسول الله ﷺ عزم علينا ان لا نصلّي حتى نأتي قريظة فإنا نحن في عزمة رسول الله فليس علينا اثم وصلّى طائفة من الناس احتسابا وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلّوها حين جاءوا بني قريظة احتسابا فلم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين وذكر عروة انه بعث علي بن ابي طالب (ع) على المقدم ودفع اليه اللواء وأمره أن ينطلق حتى يقف بهم على حصن بني قريظة ففعل وخرج رسول الله ﷺ على آثارهم فمرّ على مجلس من الانصار في بني غنم ينتظرون رسول الله ﷺ فزعموا انه قال مرّ بكم الفارس آنفاً فقالوا مرّ بنا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج فقال رسول الله ﷺ ليس ذلك بدحية ولكنّه جبرائيل (ع) ارسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب قالوا وسار علي (ع) حتى إذا دنا من الحصن سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال اظنّك سمعت لي منهم اذى فقال نعم يا رسول الله فقال لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال يا اخوة القردة والخنازير هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته فقالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة حتى اجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن اخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت قريش وغطفان فلما ايقنوا ان رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن اسد يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايّها شئتم قالوا ما هنّ قال نبايع هذا الرجل ونصدّقه فوالله لقد تبيّن لكم انه نبيٌّ مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على

(١) هذا عجز بيت لدريد بن صمة في قصيدة له يقولها في رثاء اخيه وصدره « نظرت اليه والرماح تنوشه » وفي اللسان « فجئت اليه والرماح . . . » . وتنوشه : اى تتنازله من قريب شبه وقوع الرماح على أخيه بوقوع شوك النساج في نسيجه (٢) اللامة : الدرع وقيل السلاح . (٣) عذيرك من فلان اى هات من يعذرك فيه ، فعيل بمعنى فاعل .

دمائكم واموالكم ونسائكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة ابدا ولا نستبدل به غيره قال فإذا أبيتم علي هذا فهلموا فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا يهمنا وان نظهر لنجدنّ النساء والابناء فقالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير في العيش بعدهم قال فإذا ابيتم علي هذه فإن الليلة ليلة السبت وعسى أن يكون محمد واصحابه قد امنوا فيها فانزلوا فلّنا نصيب منهم غرة فقالوا نفسد سبتنا ونحدث فيها ما احدث من كان قبلنا فأصابهم ماقد علمت من المسخ فقال مابات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازماً قال الزهري وقال رسول الله ﷺ حين سألوه ان يحكم فيهم رجلا اختاروا من شئتم من اصحابي فاختاروا سعد بن معاذ فرضي بذلك رسول الله ﷺ فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فأمر رسول الله ﷺ بسلاحهم فجعل في قبته وامر بهم فكتفوا واوثقوا وجعلوا في دار اسامة وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فجيء به فحكم فيهم بأن يقتل مقاتليهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم وتغنم اموالهم وان عقارهم للمهاجرين دون الانصار وقال للانصار انكم ذوو عقار وليس للمهاجر بن عقار فكبّر رسول الله وقال لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وفي بعض الروايات لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة وارقعة جمع رقيع اسم سماء الدنيا فقتل رسول الله ﷺ مقاتليهم وكانوا فيما زعموا ستمائة مقاتل وقيل قتل منهم اربع مائة وخمسين رجلا وسبى سبعمائة وخمسين وروي انهم قالوا لكعب بن اسد وهم يذهب بهم الى رسول الله ﷺ ارسالا يا كعب ما ترى يصنع بنا فقال كعب أفي كل موطن تقولون الا ترون ان الداعي لا ينزع ومن يذهب منكم لا يرجع هو والله القتل وأتى بحيي بن اخطب عدوّ الله عليه حلة فاخنية قد شقّها عليه من كل ناحية كموضع الانملة لئلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما بصر برسول الله ﷺ قال اما والله ما لمت نفسي على عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم قال ايها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب الله وقدره ملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه ثم قسّم رسول الله ﷺ نساءهم وابناءهم واموالهم على المسلمين وبعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الانصاري فابتاع بهم خيلا وسلاحا قالوا فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فرجعه رسول الله ﷺ إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد وروي عن جابر بن عبدالله قال جاء جبرائيل (ع) إلى رسول الله ﷺ فقال من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له ابواب السماء وتحرّك له العرش فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بن معاذ قد قبض

قوله تعالى (٢٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٩) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٣٠) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣١) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (اربع آيات)

— « القراءة » —

قرأ ابن كثير وابن عامر نضعف بالنون والتشديد العذاب بالنصب وقرأ ابو جعفر وأهل البصرة يضعف

بالياء والتشديد العذاب بالرفع والباقون يضاعف بالياء والألف وفتح العين وقرأ اهل الكوفة غير عاصم ومن يقنت ويعمل صالحا يؤنثها الجميع بالياء وقرأ روح وزيد من تأت ومن تقنت وتعمل كلها بالتاء نؤتها بالنون والباقون من يات ومن يقنت بالياء وتعمل بالتاء ونؤتها بالنون

الحجة

قال ابو علي ضاعف وضعف بمعنى فمن لم يسم الفاعل اسند الفعل الى العذاب ومن قرأ بكسر العين فالفعل مسند الى ضمير اسم الله تعالى ومعنى يضاعف لها العذاب ضعفين انها لما تشاهد من الزواجر الرادعة عن مواقعة الذنوب ينبغي أن يمتنع منها اكثر مما يمتنع من لا يشاهد ذلك وقال يضاعف لها العذاب فعاد الضمير الى معنى من دون لفظه ولو عاد على لفظه لذكره ومن قرأ يقنت بالياء فلأن الفعل مسند الى ضمير من ولم يتبين فاعل الفعل بعد فلما ذكر ما دلَّ على ان الفعل لمؤنث حمل على المعنى فأنَّث و كذلك قوله من آمن بالله ثم قال فلا خوف عليهم ومن قرأ كل ذلك بالياء فإنه حمل على اللفظ دون المعنى ومن قرأ من تأت بالتاء حمل على المعنى فكأنه قال أيَّة امرأة منكن أتت بفاحشة أو تأت بفاحشة ومثله في الكلام كثير للبيان كقوله سبحانه ومنهم من يستمعون اليك وقول الفرزدق

تَعَشَّ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونُنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ(١)

أي مثل اللذين يصطحبان قال ابن جني: ان تكون من هنا على الصلة أولى من ان تكون على الصفة

اللغة

الضعف مثل الشيء الذي يضمّ اليه يقال ضاعفته أي زدت عليه مثله ومنه الضعف وهو نقصان القوة بأن يذهب احد ضعفيها فهو ذهاب ضعف القوة

النزول

قال المفسّرون ان ازواج النبي ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه لغيرة بعضهن على بعض فآلى رسول الله ﷺ منهن شهراً فنزلت آية التخيير وهو قوله قل لأزواجك و كنَّ يومئذ تسعاً عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت ابي أمية فهؤلاء من قريش وصفيّة بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وروى الواحدي بالاسناد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ جالسا مع حفصة فتشاجرا بينهما فقال لها هل لك ان اجعل بيني وبينك رجلا قالت نعم فأرسل الى عمر فلما ان دخل عليها قال لها تكلّمي فقالت يا رسول الله تكلم ولا تقل إلا حقّاً فرفع عمر يده فوجأ وجهها ثم رفع يده فوجأ وجهها فقال له النبي ﷺ كفّ فقال عمر ياعدوة الله النبي لا يقول إلا حقا والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتي فقام النبي ﷺ فصعد الى غرفة فمكث فيها شهرا لا يقرب شيئا من نسائه يتغدّى ويتعشّى فيها فأنزل الله تعالى هذه الآيات

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى ذكر نساء النبي ﷺ فقال مخاطبا لنبيّه ﷺ آمرا له أن يخيّر ازواجه فقال (يا ايها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) أي سعة العيش في الدنيا و كثرة المال

(١) تعش امر من تعشى: اكل العشاء وفي رواية سيبويه في الكتاب ج١ ص ٤٠٤ «تعال» مكان «تعش» وهذا البيت من أبيات قالها في وصف ذئب أتاه ليلا في بعض اسفاره لما رأى ناره ثم رمى اليه زاده يخاطبه ويقول له: فان عاهدتني لا تؤذيني نكن كالرجلين المصطحبين اى كالصاحبين بأن لا تؤذيني ولا اوذيك.

(فتعالين أمتعكن) اي اعطكن متعة الطلاق وقد مرّ بيانها في سورة البقرة وقيل امتعكن بتوفير المهر (واسرحكن) اي اطلقكن (سراحا جميلا) والسراح الجميل الطلاق من غير خصومة ولا مشاجرة بين الزوجين (وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة) اي وان اردتن طاعة الله وطاعة رسوله والصبر على ضيق العيش والجنة (فإن الله أعد للمحسنات) اي العارفات المريدات الإحسان المطيعات له (منكن أجرا عظيما) واختلف في هذا التخيير فقيل انه خيّرهنّ بين الدنيا والآخرة فإن هنّ اخترن الدنيا ومحبتها استأنف حينئذ طلاقهن بقوله أمتعكن واسرحكن سراحا جميلا عن الحسن وقيل خيّرهن بين الطلاق والمقام معه عن مجاهد والشعبي وجماعة من المفسرين واختلف العلماء في حكم التخيير على اقوال ﴿ احدها ﴾ ان الرجل إذا خيّر امرأته فاختارت زوجها فلا شيء وإن اختارت نفسها تقع تطليقة واحدة وهو قول عمر بن الخطاب وابن مسعود واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه ﴿ وثانيها ﴾ انه إذا اختارت نفسها تقع ثلاث تطليقات وإن اختارت زوجها تقع واحدة وهو قول زيد بن ثابت واليه ذهب مالك ﴿ وثالثها ﴾ انه ان نوى الطلاق كان طلاقا وإلا فلا وهو مذهب الشافعي ﴿ ورابعها ﴾ انه لا يقع بالتخيير طلاق وإنما كان ذلك للنبي ﷺ خاصة ولو اخترن انفسهن لمآ خيّرهن لبنّ منه فأما غيره فلا يجوز له ذلك وهو المروي عن ائمتنا «ع» ثم خاطب سبحانه نساء النبي ﷺ فقال (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) اي بمعصية ظاهرة (يضاعف لها العذاب) في الآخرة (ضعفين) اي مثلي ما يكون على غيرهنّ وذلك لأن نعم الله سبحانه عليهن اكثر لمكان النبي ﷺ منهن ولنزول الوحي في بيوتهن فإذا كانت النعمة عليهن اعظم واوفر كانت المعصية منهن افحش والعقوبة بها اعظم واكثر وقال ابو عبيدة الضعفان ان يجعل الواحد ثلاثة فيكون عليهن ثلاثة حدود لأن ضعف الواحد مثله وضعفي الشيء مثلاه وقال غيره المراد بالضعف المثل فالمعنى انها يزاد في عذابها ضعف كما زيد في ثوابها ضعف في قوله نؤتها أجرها مرتين (وكان ذلك على الله يسيرا) اي كان عذابها على الله هينا عن مقاتل (ومن يقنت منكن لله ورسوله) اي ومن يطع الله ورسوله والقنوت الطاعة وقيل معناه من يواظب منكن على الطاعة لله ولرسوله ومنه القنوت في الصلاة وهو المداومة على الدعاء المعروف (وتعمل صالحا) فيما بينها وبين ربها (نؤتها أجرها مرتين) أي نؤتها ثوابها مثلي ثواب غيرها وروى ابو حمزة الثمالي عن زيد بن علي «ع» انه قال اني لأرجو للمحسن منا أجرين وأخاف على المسيء منا أن يضاعف له العذاب ضعفين كما وعد ازواج النبي ﷺ وروى محمد بن ابي عمير عن ابراهيم بن عبد الحميد عن علي ابن عبد الله بن الحسين عن ابيه عن علي بن الحسين زين العابدين انه قال له رجل انكم أهل بيت مغفور لكم قال فغضب وقال نحن أحرى أن يجري فينا ما أجرى الله في ازواج النبي ﷺ من أن نكون كما تقول إنا نرى لمحسننا ضعفين من الأجر ولمسيئنا ضعفين من العذاب ثم قرأ الآيتين (وأعتدنا لها رزقا كريما) اي عظيم القدر رفيع الخطر وقيل ان الرزق الكريم ما سلم من كل آفة وقيل هو الثواب الذي لا يحسن الابتداء بمثله

قوله تعالى (٣٢) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٣) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ

الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٤) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٥) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (اربع آيات)

القراءة

قرأ أهل المدينة وعاصم وقرن بفتح القاف وقرأ الباقون وهبيرة عن حفص عن عاصم وقرن بكسر القاف وفي الشواذ قراءة الأعرج وابان بن عثمان فيطمع الذي بكسر العين

الحجة

قال ابو علي قوله وقرْنَ لا يخلو اما ان يكون من القرار او من الوقار فإن كان من الوقار فهو مثل عِدن وكان مما يحذف فيه الفاء وهي واو فيبقى من الكلمة عِلَنَ وإن كان من القرار فيكون الأمر اقررن فيبدل من العين الباء كراهة التضعيف كما ابدل في قيراط ودينار فيصير لها حركة الحرف المبدل منه ثم تلقى الحركة على الفاء فتسقط همزة الوصل لتحرك ما بعدها فتقول قرن لأن حركة الراء كانت كسرة في تقرألا ترى ان القاف متحرك بها واما من فتح فقال قَرْنَ فمن لم يجز قررت بالمكان أقر وإنما يقول قررت أقِرُّ فإن فتح الفاء عنده لا يجوز ومن أجاز ذلك جاز على قوله قرن كما جاز قرن وهي لغة حكاها الكسائي وقال ابو عثمان يقال قررت به عينا أقر ولا يقال قررت في هذا المعنى وقررت في المكان فأنا أقر فيه يقال قررت في هذا المعنى ومن قرأ فيطمع الذي بالكسر فهو معطوف على فلا تخضعن أي فلا يطمع الذي في قلبه مرض فكلاهما منهي عنه إلا ان النصب اقوى لأنه يكون بمعنى ان طمعه مسبب عن خضوعهن بالقول وإذا كان عطفا كان نهيا لهن وله وليس فيه دليل على ان الطمع واقع من أجلهن

اللغة

التبرج اظهار المرأة محاسنها مأخوذ من البرج وهو السعة في العين وطعنة برجاء واسعة وفي اسنانه برج إذا تفرق ما بينها

الإعراب

قوله ليذهب اللام يتعلق بمحذوف تقديره وارادته ليذهب ويجوز أن يتعلق بيريد. أهل البيت منصوب على المدح تقديره اعني اهل البيت ويجوز ان يكون منادى مضافا ويجوز في العربية جرّ اللام ورفعها فالجرّ على أن يكون بدلا من كم والرفع على المدح

المعنى

ثم اظهر سبحانه فضيلتهن على سائر النسوان بقوله (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) قال الزجاج

لم يقل كواحدة من النساء لأن احدا للنفي العام وقال ابن عباس معناه ليس قدر كنّ عندي كقدر غيركن من النساء الصالحات أنتن اكرم عليّ فأنا بكنّ أرحم وثوابكنّ اعظم لمكانكنّ من رسول الله ﷺ (إن اتقيتنّ) الله شرط عليهن التقوى ليبيّن سبحانه ان فضيلتهن بالتقوى لا باتصالهن بالنبي ﷺ (فلا تخضعن بالقول) اي لا ترققن القول ولا تلنّ الكلام للرجال ولا تخاطبن الأجانب مخاطبة تؤدّي الى طمعهم فتكن كما تفعل المرأة التي تظهر الرغبة في الرجال (فيطمع الذي في قلبه مرض) اي نفاق وفجور عن قتادة وقيل من في قلبه شهوة للزنا عن عكرمة وقيل ان المرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب الى الغلظة في المقالة لأن ذلك أبعد من الطمع في الريبة (وقلن قولا معروفا) اي مستقيما جميلا بريئا من التهمة بعيدا من الريبة موافقا للدين والإسلام (وقرن في بيوتكن) أمرهنّ بالاستقرار في بيوتهن والمعنى اثبتن في منازلكن والزمنها وإن كان من وقر يقر فمعناه كنّ اهل وقار وسكينة (ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى) اي لا تخرجن على عادة النساء اللاتي في الجاهلية ولا تظهرن زينتكنّ كما كنّ يظهرن ذلك وقيل التبرج التبختر والتكبّر في المشي عن قتادة ومجاهد وقيل هو أن تلقي الخمار على رأسها ولا تشدّه فتواري قلائدها وقرطيها فيبدو ذلك منها عن مقاتل والمراد بالجاهلية الأولى ما كان قبل الإسلام عن قتادة وقيل ما كان بين آدم «ع» ونوح «ع» ثمان مائة سنة عن الحكم وقيل ما بين عيسى ومحمد عن الشعبي قال وهذا لا يقتضي أن يكون بعدها جاهلية في الإسلام لأن الأول اسم للسابق تأخّر عنه غيره أو لم يتأخر وقيل ان معنى تبرج الجاهلية الأولى انهم كانوا يجوّزون أن تجمع امرأة واحدة زوجا وخِلّا فتجعل لزوجها نصفها الأسفل ولخلّها نصفها الأعلى يقبّلها ويعانقها ثم قال (وأقمن الصلاة) اي أدّينها في اوقاتها بشرائطها (وآتين الزكوة) المفروضة في اموالكن (وأطعن الله ورسوله) فيما يأمرانكنّ به وينهانكنّ عنه ثم قال عز وجل (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قال ابن عباس الرجس عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضى والبيت التعريف فيه للعهد والمراد به بيت النبوة والرسالة والعرب تسمي ما يلتجأ اليه بيتا ولهذا سمّوا الانساب بيوتا وقالوا بيوتات العرب يريدون النسب قال

أَلَا يَا بَيْتُ بِالْعَلْيَاءِ بَيْتُ ... وَلَوْلَا حُبُّ أَهْلِكَ مَا أَتَيْتُ (١)
أَلَا يَا بَيْتُ أَهْلُكَ أَوْعَدُونِي ... كَأَنِّي كُلَّ ذَنْبِهِمُ جَنَيْتُ

يريد بيت النسب وبيت النبوة والرسالة كبيت النسب قال الفرزدق

بَيْتُ زُرَارَةَ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ ... وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ (٢)
لَا يَحْتَبِي بِفِنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلُهُمْ ... أَبَدًا إِذَا عُدَّ الْفِعَالُ الْأَكْمَلُ

وقيل البيت بيت الحرام وأهله هم المتقون على الاطلاق لقوله ان أولياؤه إلا المتقون وقيل البيت مسجد رسول الله ﷺ وأهله من مكّنه رسول الله ﷺ فيه ولم يخرجه ولم يسدّ بابه وقد اتفقت الأمة بأجمعها على ان المراد بأهل البيت في الآية أهل بيت نبينا ﷺ ثم اختلفوا فقال عكرمة أراد ازواج النبي لأن اول الآية متوجه اليهنّ وقال ابو سعيد الخدري وانس بن مالك وواثلة بن الاسقع وعائشة وأم سلمة ان الآية مختصة برسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره حدثني شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت جاءت فاطمة «ع» الى النبي ﷺ تحمل حريرة

(١) العلياء: رأس الجبل. المكان العالي. (٢) الاحتباء هو أن يجمع بين ظهره وساقيه بثوب ونحوه.

لها فقال ادعي زوجك وابنيك فجاءت بهم فطعموا ثم القى عليهم كساء له خيبريا فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا فقلت يا رسول الله وانا معهم قال انت إلى خير وروى الثعلبي في تفسيره ايضا بالاسناد عن أم سلمة ان النبي ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة «ع» ببُرمة(١) فيها حريرة فقال لها ادعي زوجك وابنيك فذكرت الحديث نحو ذلك ثم قالت فأنزل الله تعالى إنما يريد الله الآية قالت فأخذ فضل الكساء فغشّاهم به ثم اخرج يده فألوى يده بها الى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فأدخلت رأسي البيت وقلت وانا معكم يا رسول الله قال انك إلى خير انك إلى خير وباسناده قال مجمع دخلت مع أمي على عائشة فسألتها أمي أرأيت خروجك يوم الجمل قالت انه كان قدراً من الله فسألتها عن علي «ع» فقالت تسأليني عن أحبّ الناس كان إلى رسول الله ﷺ وزوج أحبّ الناس كان الى رسول الله ﷺ لقد رأيت عليا وفاطمة وحسنا وحسينا «ع» وجمع رسول الله ﷺ بثوب عليهم ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فقلت يارسول الله انا من أهلك قال تنحّي فإنك إلى خير وباسناده عن ابي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال نزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة «ع» واخبرنا السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني قال حدثونا عن ابي بكر السبيعي قال حدثنا ابو عروة الحراني قال حدثنا ابن مصفي قال حدثنا عبدالرحيم بن واقد عن ايوب بن سيار عن محمد بن المنكدر عن جابر قالت نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وليست في البيت إلا فاطمة والحسن والحسين (ع) وعليّ (ع) إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فقال النبي ﷺ اللهم هؤلاء أهلي وحدثنا السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القاسم باسناده عن زاذان عن الحسن ابن علي (ع) قال لما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله ﷺ وإياه في كساء لأم سلمة خيبري ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي والروايات في هذا كثيرة من طريق العامة والخاصة لوقصدنا إلى ايرادها لطال الكتاب وفيما اوردناه كفاية واستدلت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة (ع) بأن قالوا إن لفظة إنما محققة لما اثبت بعدها نافية لما لم يثبت فإن قول القائل إنما الك عندي درهم و إنما في الدار زيد يقتضي انه ليس عنده سوى الدرهم وليس في الدار سوى زيد و إذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة في الآية أن تكون هي الارادة المحضة أو الإرادة التي يتبعها التطهير واذهاب الرجس ولا يجوز الوجه الأول لأن الله تعالى قد اراد من كل مكلف هذه الارادة المطلقة فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق ولأن هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة ولامدح في الارادة المجردة فثبت الوجه الثاني وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيّين بالآية من جميع القبائح وقد علمنا أن من عدا من ذكرناه من اهل البيت غير مقطوع على عصمته فثبت ان الآية مختصة بهم لبطلان تعلّقها بغيرهم ومتى قيل ان صدر الآية وما بعدها في الازواج فالقول فيه ان هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون اليه والقرآن من ذلك مملوء و كذلك كلام العرب واشعارهم ثم عاد سبحانه إلى ذكر الازواج فقال (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) معناه واشكرن الله تعالى إذ صيركنّ في بيوت يتلى فيها القرآن والسنة عن قتادة وقيل اذكرن اي احفظن ذلك وليكن منكنّ على بال ابداً لتعملن بموجبه وهذا حثّ لهنّ على حفظ القرآن والاخبار ومذاكرتهنّ بها والخطاب وان اختص بهنّ فغيرهنّ يشاركهن فيه لأن بناء الشريعة على القرآن والسنة (إن الله كان لطيفاً) بأوليائه (خبيرا) بجميع خلقه وقيل لطيفا في تدبير خلقه وايصال المنافع اليهم خبيرا بما يكون منهم ومصالحهم ومفاسدهم فيأمرهم بفعل ما فيه صلاحهم واجتناب ما فيه فسادهم قال مقاتل بن حيان لما رجعت اسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي

(١) البرمة : القدر من الحجر .

طالب (ع) دخلت على نساء رسول الله ﷺ فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فأتت رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار فقال ﷺ ومم ذلك قالت لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فانزل الله تعالى هذه الآية (إن المسلمين والمسلمات) اي المخلصين الطاعة لله والمخلصات من قوله ورجلا سلما لرجل اي خالصا وقيل معناه إن الداخلين في الاسلام من الرجال والنساء وقيل يعني المستسلمين لأوامر الله والمنقادين له من الرجال والنساء (والمؤمنين والمؤمنات) اي والمصدقين بالتوحيد والمصدقات والاسلام والايمان واحد عند اكثر المفسرين وإنما كرر لاختلاف اللفظين وقيل انهما مختلفان فالاسلام الاقرار باللسان والايمان التصديق بالقلب وبعضده قوله قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وقيل الاسلام هو اسم الدين والايمان التصديق به قال البلخي فسر رسول الله ﷺ المسلم والمؤمن بقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمن جاره بوائقه(١) وما آمن بي من بات شبعان وجاره طاو(٢) (والقانتين والقانتات) يعني الدائمين على الأعمال الصالحات والدائمات وقيل يعني الداعين والداعيات (والصادقين) في إيمانهم وفيما ساءهم وسرهم (والصادقات والصابرين) على طاعة الله وعلى ما ابتلاهم الله به (والصابرات والخاشعين) أي المتواضعين الخاضعين لله تعالى (والخاشعات) وقيل معناه والخائفين والخائفات (والمتصدقين) أي المخرجين الصدقات والزكوات (والمتصدقات والصائمين) لله تعالى بنية صادقة (والصائمات والحافظين فروجهم) من الزنا وارتكاب الفجور (والحافظات فروجهن فحذف لدلالة الكلام عليه (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) الله كثيرا وحذف ايضا للدلالة عليه (أعد الله لهم) أي لهؤلاء الموصوفين بهذه الصفات والخصال (مغفرة) لذنوبهم (وأجرا عظيما) في الآخرة وروى ابو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فتوضئا وصليا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروي عن أبي عبد الله «ع» انه قال من بات على تسبيح فاطمة «ع» كان من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات

قوله تعالى (٣٦) وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٧) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٨) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٩) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٤٠) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (خمس آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة وهشام ان يكون بالياء والباقون بالتاء وقرأ عاصم وحده وخاتم النبيين بفتح التاء والباقون بكسرها

(١) اى غوائله وشروره واحدها بائقة وهي الداهية (٢) طوى يطوى بمعنى جاع فهو طاو اى خالي البطن جائع

الحجة

قال ابو علي التذكير والتأنيث حسنان وهذه الآية تدل على ان ما في قوله يخلق ما يشاء ويختار ما كان لم الخيرة تم وليست بموصولة ومن كسر التاء من خاتم فإنه ختمهم فهو خاتمهم ومن فتح التاء فمعناه آخر النبيين لا نبي بعده قال الحسن خاتم الذي ختم به قال المبرد خاتِم فعل ماض على فاعل وهو في معنى ختم النبيين ونصب النبيين على هذا الوجه بأنه مفعول به وفي حرف عبد الله ولكن نبيا وختم النبيين

اللغة

قال الزجاج الخيرة التخيير وقال علي بن عيسى الخيرة ارادة اختيار الشيء على غيره والوطر الارب والحاجة وقضاء الشهوة قال

وَكَيْفَ ثَوَائِي فِي ٱلْمَدِينَةِ بَعْدَ مَا ... قَضَى وَطَرًا مِنْهَا جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرِ(١)

قال الخليل الوطر كل حاجة يكون لك فيها همة فإذا بلغها البالغ قيل قد قضى وطره واربه

الاعراب

سنة الله منصوب على المصدر تقديره سنَّ الله له سنة. الذين يبلّغون يجوز ان يكون رفعا على المدح تقديره هم الذين يبلغون رسالات الله ويجوز ان يكون نصبا على اعني الذين. ولكن رسولَ الله تقديره ولكن كان رسولَ الله وكان خاتمَ النبيين ولو قرئ رسولُ الله وخاتمُ النبيين بالرفع لجاز اي ولكن هو رسول الله وخاتم النبيين

النزول

نزلت في زينب بنت جحش الأسدية وكانت بنت اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ فخطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة ورأت انه يخطبها على نفسه فلما علمت انه يخطبها على زيد ابت وانكرت وقالت انا ابنة عمتك فلم اكن لأفعل وكذلك قال اخوها عبد الله بن جحش فنزل وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية يعني عبد الله بن جحش واخته زينب فلما نزلت الآية قالت رضيت يارسول الله وجعلت امرها بيد رسول الله ﷺ وكذلك اخوها فأنكحها رسول الله ﷺ زيداً فدخل بها وساق اليها رسول الله ﷺ عشرة دنانير وستين درهماً مهراً وخمارا وملحفة ودرعا وإزارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقالت زينب خطبني رسول الله ﷺ استشيره فاشار بزيد ففضبت اختي وقالت تزوج بنت عمتك مولاك ثم اعلمتني ففضبت اشدّ من غضبها فنزلت الآية فارسلت إلى رسول الله ﷺ وقلت زوّجني ممّن شئت فزوّجني من زيد وقيل نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وكانت وهبت نفسها للنبي ﷺ فقال قد قبلت وزوّجها زيد بن حارثة فسخطت هي واخوها وقالا إنما اردنا رسول الله ﷺ فزوّجنا عبده فنزلت الآية عن ابن زيد وذكر علي بن ابراهيم في تفسيره ان رسول الله ﷺ كان شديد الحبّ لزيد وكان إذا ابطأ عليه زيد اتى منزله فيسأل عنه فأبطأ عليه يوما فأتى رسول الله ﷺ منزله فإذا زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيبا بفهر(٢) لها قال فدفع رسول الله ﷺ الباب فلما نظر اليها قال سبحان الله خالق النور تبارك الله احسن الخالقين ورجع فجاء زيد واخبرته زينب بما كان فقال لها لعلك وقعت في قلب رسول الله ﷺ فهل لك ان اطلقك حتى يتزوجك رسول الله ﷺ فقالت اخشى إن تطلقني ولا يتزوجني فجاء زيد إلى رسول الله ﷺ تمام القصة فنزلت الآية واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه الآية

المعنى

لما تقدّم ذكر نساء النبي ﷺ عقّبه سبحانه بذكر زيد وزوجته فقال (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا

(١) ثوى ثواءاً بالمكان وفيه : أقام . (٢) الفهر : الحجر قدر مايدق به الجوز او يملاء الكف .

قضى الله ورسوله) اي إذا اوجب الله ورسوله (امرا) والزماه وحكما به (ان يكون لهم الخيرة) اي الاختيار (من امرهم) على اختيار الله تعالى والمعنى ان كل شيء أمر الله تعالى به أو حكم به فليس لأحد مخالفته وترك ما أمر به الى غيره (ومن يعص الله ورسوله) فيما يختاران له (فقد ضل ضلالا مبينا) اي ذهب عن الحق ذهابا ظاهرا ثم خاطب النبي ﷺ فقال (وإذ تقول) اي واذكر يا محمد حين تقول (للذي انعم الله عليه) بالهداية إلى الإيمان (وانعمت عليه) بالعتق وقيل انعم الله عليه بمحبة رسوله وانعم الرسول عليه بالتبني عن السدي والثوري وهو زيد بن حارثة (امسك عليك زوجك) يعني زوجك زينب تقول احبسها ولا تطلقها وهذا الكلام يقتضي مشاجرة جرت بينهما حتى وعظه الرسول وقال له امسكها (واتق الله) في مفارقتها ومضارتها (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشيه) والذي اخفاه في نفسه هو انه ان طلقها زيد تزوجها وخشي لائمة الناس ان يقولوا أمره بطلاقها ثم تزوجها وقيل ان الذي اخفاه في نفسه هو ان الله سبحانه اعلمه انها ستكون من أزواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال له أريد ان اطلق زينب قال له امسك عليك زوجك فقال سبحانه لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك روي ذلك عن علي بن الحسين «ع» وهذا التأويل مطابق لتلاوة الآية وذلك انه سبحانه اعلم انه يبدي ما أخفاه ولم يظهر غير التزويج فقال زوجناكها فلو كان الذي اضمره محبتها او إرادة طلاقها لاظهر الله تعالى ذلك مع وعده بأنه يبديه فدل ذلك على انه انما عوتب على قوله امسك عليك زوجك مع علمه بأنها ستكون زوجته وكتمانه ما اعلمه الله به حيث استحيا ان يقول لزيد ان التي تحتك ستكون امرأتي قاله البلخي ويجوز ان يكون ايضا على ما يقولونه ان النبي استحسنها فتمنى ان يفارقها زيد فيتزوجها وكتم ذلك لأن هذا التمني قد طبع عليه البشر ولا حرج على احد في ان يتمنى شيئا استحسنه وقيل انه انما اضمر ان يتزوجها ان طلقها زيد من حيث انها كانت ابنة عمته فأراد ضمها إلى نفسه لئلا يصيبها ضيعة كما يفعل الرجل بأقاربه عن الجبائي قال فأخبر الله سبحانه الناس بما كان يضمره من ابثار ضمها الى نفسه ليكون ظاهره مطابقا لباطنه ولهذا المعنى قال ﷺ لاصحابه يوم فتح مكة وقد جاءه عثمان بعبد الله بن سعد بن ابي سرح يستأمنه منه وكان ﷺ قبل ذلك قد اهدر دمه وأمر بقتله فلما رأى عثمان استحيا من رده وسكت طويلا ليقتله بعض المؤمنين ثم آمنه بعد تردد المسألة من عثمان وقال أما كان منكم رجل رشيد يقوم الى هذا فيقتله فقال له عباد بن بشر يا رسول الله ان عيني ما زالت في عينك انتظار ان تومي الي فأقتله فقال ان الأنبياء لا تكون لهم خائنة أعين فلم يستحب الإشارة الى قتل كافر وان كان مباحا وقيل كان النبي ﷺ يريد أن يتزوج بها إذا فارقها ولكنه عزم ان لا يتزوجها مخافة ان يطعنوا عليه فأنزل الله هذه الآية كيلا يمتنع عن فعل المباح خشية الناس ولم يرد بقوله والله احق ان تخشاه خشية التقوى لأنه ﷺ كان يتقي الله حق تقاته ويخشاه فيما يجب ان يخشى فيه ولكنه أراد خشية الاستحياء لأن الحياء كان غالبا على شيمته الكريمة ﷺ كما قال سبحانه ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم وقيل ان زينب كانت شريفة فزوجها رسول الله ﷺ من زيد مولاه ولحقها بذلك بعض العار فأراد ﷺ ان يزيدها شرفا بأن يتزوجها لأنه كان السبب في تزويجها من زيد فعزم ان يتزوج بها إذا فارقها وقيل ان العرب كانوا ينزلون الادعياء منزلة الابناء في الحكم فأراد ﷺ ان يبطل ذلك بالكلية وينسخ سنة الجاهلية فكان يخفي في نفسه تزويجها لهذا الغرض كيلا يقول الناس انه تزوج بامرأة ابنه ويقرفونه بما هو منزه عنه ولهذا قال امسك عليك زوجك عن ابي مسلم ويشهد لهذا التأويل قوله فيما بعد (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطرا) ومعناه فلما قضى زيد حاجته من نكاحها فطلقها وانقضت عدتها ولم يكن في قلبه ميل اليها ولا وحشة من فراقها فإن معنى القضاء هو الفراغ من الشيء على التمام زوجناكها اي اذ نالك في تزويجها وإنما فعلنا ذلك توسعة على المؤمنين

حتى لا يكون عليهم إثم في ان يتزوّجوا أزواج ادعيائهم الذين تبنوهم إذا قضى الادعياء منهن حاجتهم وفارقوهن فبيّن سبحانه أن الغرض في ذلك ان لا يجري المتبنى في تحريم امرأته إذا طلّقها على المتبني مجرى الابن من النسب والرضاع في تحريم امرأته إذا طلقها على الأب (وكان أمر الله مفعولا) اي كائنا لا محالة وفي الحديث ان زينب كانت تفتخر على سائر نساء النبي وتقول زوّجني الله من النبي وانتن انما زوّجكنّ أولياؤكن وروى ثابت عن انس بن مالك قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد اذهب فاذكرها علي قال زيد فانطلقت فقلت يا زينب ابشري قد ارسلني رسول الله ﷺ يذكرك ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير اذن لقوله تعالى زوجناكها وفي رواية أخرى قال زيد فانطلقت فإذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في نفسي حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله ﷺ يخطبك ففرحت بذلك وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل زوجناكها فتزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها وما اولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار وعن الشعبي قال كانت زينب تقول للنبي ﷺ اني لأدل عليك بثلاث مامن نسائك امرأة تدل بهن جدّي وجدّك واحد واني انكحنيك الله في السماء وان السفير لي جبرائيل «ع» ثم قال سبحانه (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) اي ما كان على النبي من اثم وضيق فيما أحلّ الله له من التزويج بامرأة الابن المتبنى وقيل فيما فرض وأوجب عليه من التزويج بها ليبطل حكم الجاهلية في الادعياء (سنة الله في الذين خلوا من قبل) اي كسنة الله في الأنبياء الماضين وطريقته وشريعته فيهم في زوال الحرج عنهم وعن امتهم بما احلّ سبحانه لهم من ملاذهم وقيل في كثرة الازواج كما فعله داود وسليمان (ع) وكان لداود مائة امرأة ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقيل أشار بالسنة إلى أن النكاح من سنة الأنبياء كما قال النكاح من سنتي فمن رغب عنه فقد رغب عن سنتي (وكان امر الله قدرا مقدورا) اي كان ما ينزله الله على انبيائه من الامر الذي يريده قضاء مقضيا وقيل معناه جاريا على مقدار لا يكون فيه تفاوت من جهة الحكمة وقيل ان القدر المقدر هو ما كان على مقدار ما تقدم من غير زيادة ولا نقصان وعليه قول الشاعر

وَاعْلَمْ بِأَنَّ ذَا الْجَلَالِ قَدْ قَدَرْ ... فِي الصُّحُفِ الْأُولَى الَّتِي كَانَ سَطَرْ

ثم وصف سبحانه الأنبياء الماضين واثنى عليهم فقال (الذين يبلّغون رسالات الله) اي يؤدّونها إلى من بعثوا اليهم ولا يكتمونها (ويخشونه) اي ويخافون الله مع ذلك في ترك ما أوجبه عليهم (ولا يخشون احدا إلا الله) ولا يخافون من سوى الله فيما يتعلق بالاداء والتبليغ وفي هذا دلالة على ان الانبياء لا يجوز عليهم التقية في تبليغ الرسالة ومتى قيل فكيف ما قال لنبينا ﷺ وتخشى الناس فالقول انه لم يكن ذلك فيما يتعلق بالتبليغ وإنما خشي المقالة القبيحة فيه والعاقل كما يتحرز عن المضار يتحرز من اساءة الظنون به والقول السيء فيه ولا يتعلق شيء من ذلك بالتكليف (وكفى بالله حسيبا) اي حافظا لأعمال خلقه ومحاسبا مجازيا عليها ولما تزوّج زينب بنت جحش قال الناس إن محمدا تزوج امرأة ابنه فقال سبحانه (ما كان محمد ابا احد من رجالكم) الذين لم يلدهم وفي هذا بيان انه ليس بأب لزيد فتحرم عليه زوجته فإن تحريم زوجة الابن معلق بثبوت النسب فمن لا نسب له لا حرمة لامرأته ولهذا اشار اليهم فقال من رجالكم وقد ولد له ﷺ اولاد ذكور ابراهيم والقاسم والطيب والمطهر فكان اباهم وقد صحّ انه قال للحسن ان ابني هذا سيد وقال ايضا للحسن والحسين ابناي هذان إمامان قاما او قعدا وقال ﷺ ان كل بني بنت ينتسبون إلى أبيهم إلا أولاد فاطمة فإني أنا ابوهم وقيل أراد بقوله رجالكم البالغين من رجال ذلك الوقت ولم يكن أحد من ابنائه رجلا في ذلك الوقت (ولكن رسول الله) أي ولكن كان رسول الله لا يترك ما أباحه الله تعالى بقول الجهال وقيل ان الوجه

في اتصاله بما قبله انه أراد سبحانه ليس يلزم طاعته وتعظيمه لمكان النسب بينه وبينكم ولمكان الأبوة بل إنما يجب ذلك عليكم لمكان النبوة (وخاتم النبيين) أي وآخر النبيين ختمت النبوة به فشريعته باقية إلى يوم الدين وهذا فضيلة له صلوات الله عليه وآله اختصّ بها من بين سائر المرسلين فإن قيل ان اليهود يدعون في موسى مثل ذلك فالجواب ان بعض اليهود يدّعون ان شريعته لا تنسخ وهم مع ذلك يجوزون أن يكون بعده أنبياء ونحن إذا أثبتنا نبوة نبينا صلى الله عليه وآله بالمعجزات القاهرة وجب نسخ شريعته بذلك (وكان الله بكل شيء عليما) لا يخفى عليه شيء من مصالح العباد وصحّ الحديث عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إنما مثلي في الانبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وحسنها الا موضع لبنة فكان من دخل فيها فنظر اليها قال ما احسنها إلا موضع هذه اللبنة قال صلى الله عليه وآله وسلم فأنا موضع اللبنة ختم بي الانبياء أورده البخاري ومسلم في صحيحيهما

قوله تعالى (٤١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤٢) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٣) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٤) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٥) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٦) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٧) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٨) وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (ثماني آيات)

المعنى

ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من عجز عن الليل ان يكابده وجبن عن العدو ان يجاهده وبخل بالمال ان ينفقه فليكثر ذكر الله عز وجل ثم اختلف في معنى الذكر الكثير فقيل هو أن لا ينساه ابدا عن مجاهد وقيل هو ان يذكره سبحانه بصفاته العلى واسمائه الحسنى وتعاليه عما لا يليق به وقيل هو ان يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر على كل حال عن مقاتل وقد ورد عن أئمتنا (ع) انهم قالوا من قالها ثلاثين مرة فقد ذكر الله ذكرا كثيرا وعن زرارة وحمران ابني اعين عن ابي عبد الله «ع» قال من سبّح تسبيح فاطمة الزهراء «ع» فقد ذكر الله ذكرا كثيرا وروى الواحدي بإسناده عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال جاء جبرائيل «ع» إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم فإنّ من قالها كتب الله له بها ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيرا وكان أفضل من ذكره بالليل والنهار وكن له غرسا في الجنة وتحاتت عنه خطاياه كما تحات ورق الشجرة اليابسة وينظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذّبه (وسبّحوه بكرة وأصيلا) اي ونزّهوه سبحانه عن جميع ما لا يليق به بالغداة والعشي والأصيل العشي وقيل يعني به صلاة الصبح وصلاة العصر عن قتادة وقيل صلاة الصبح وصلاة العشاء الآخرة خصّهما بالذكر لأن لهما مزية على غيرهما من حيث أن ملائكة الليل والنهار يجتمعون فيهما وقال الكلبي اما بكرة فصلاة الفجر وأما اصيلا فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة وسمى الصلاة تسبيحا لما فيها من التسبيح والتنزيه (هو الذي يصلّي عليكم وملائكته) الصلاة من الله تعالى المغفرة والرحمة عن سعيد بن جبير والحسن وقيل الثناء عن ابي العالية وقيل هي الكرامة عن سفيان وأما صلاة الملائكة فهي دعاؤهم عن ابن عباس وابي العالية وقيل طلبهم انزال الرحمة من الله تعالى (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) اي من الجهل بالله سبحانه

(١) تحات الورق من الشجر : تناثر وتساقط .

إلى معرفته فشبّه الجهل بالظلمات وشبّه المعرفة بالنور لأن هذا يقود إلى الجنة وذلك يقود إلى النار وقيل من الضلالة إلى الهدى بالطافه وهدايته وقيل من ظلمات النار إلى نور الجنة (وكان بالمؤمنين رحيما) خصّ المؤمنين بالرحمة دون غيرهم لأنه سبحانه جعل الإيمان بمنزلة العلة في ايجاب الرحمة والنعمة العظيمة التي هو الثواب (تحيتهم يوم يلقونه سلام) اي يحيّي بعضهم بعضا يوم يلقون ثواب الله بأن يقولوا السلامة لكم من جميع الآفات ولقاء الله سبحانه معناه لقاء ثوابه كما سبق القول فيه وروي عن البراء بن عازب انه قال يوم يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سلّم عليه فعلى هذا يكون المعنى تحية المؤمنين من ملك الموت يوم يلقونه أن يسلّم عليهم وملك الموت مذكور في الملائكة (وأعدّ لهم اجرا كريما) اي ثوابا جزيلا ثم خاطب نبيّه ﷺ فقال (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا) على امتك فيما يفعلونه من طاعة أو معصية وإيمان او كفر لتشهد لهم وعليهم يوم القيامة ونجازيهم بحسبه (ومبشراً) اي ومبشّراً لمن اطاعني وأطاعك بالجنة (ونذيراً) لمن عصاني وعصاك بالنار (وداعياً) أي وبعثناك داعياً إلى الله والاقرار بوحدانيته وامتثال اوامره ونواهيه (بإذنه) اي بعلمه وأمره (وسراجاً منيراً) يهتدي بك في الدين كما يهتدى بالسراج والمنير الذي يصدر النور من جهته إما بفعله وإما لأنه سبب له فالقمر منير والسراج منير بهذا المعنى والله منير السماوات والأرض وقيل عني بالسراج المنير القرآن والتقدير وبعثناك ذا سراج منير فحذف المضاف عن الزجاج (وبشّر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) زيادة على ما يستحقونه من الثواب (ولا تطع الكافرين والمنافقين) هو مفسّر في اول السورة (ودع اذيهم) اي وأعرض عن اذاهم فإني سأكفيك امرهم إذا توكلت عليّ وعملت بطاعتي فإن جميعهم في سلطاني بمنزلة ما هو في قبضة عبدي وقيل معناه كفّ عن اذاهم وقتالهم وذلك قبل أن يؤمر بالقتال عن الكلبي (وتوكل على الله) اي واسند امرك إلى الله ينصرك عليهم (وكفى بالله وكيلا) اي كافياً ومتكفلا بما يسند اليه

النظم

إنما اتصلت الآية بما تقدّمها من قوله ولكن رسول الله فإنه منّ عليهم به ثم امرهم بأن يشكروه على ذلك وقوله هو الذي يصلّي عليكم يتصل بما قبله من الأمر بالذكر والتقدير ان الله عزّ اسمه مع غناه عنكم بذكركم فأنتم أولى بأن تذكروه وتقبلوا عليه مع احتياجكم اليه وقيل انه سبحانه عدّد نعمه على المؤمنين وعدّد من جملتها صلاته عليهم ثم بيّن ارساله النبي اليهم مع جلالة قدره وعلوّ امره

قوله تعالى (٤٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٥٠) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

(آيتان)

القراءة

في الشواذ قراءة أبي بن كعب والحسن والثقفي أن وهبت بفتح الألف

الحجة

قال ابن جني تقديره لأن وهبت نفسها أي انها تحل له من أجل ان وهبت نفسها له وليس يعني بذلك امرأة بعينها قد كانت وهبت نفسها له وإنما محصوله انه ان وهبت امرأة نفسها للنبي حلّت له من أجل هبتها إياه فالحل إنما هو مسبب عن الهبة متى كانت ويؤكد ذلك القراءة بالكسر فصحّ به الشرط

الاعراب

العامل في الظرف من قوله إذا نكحتم ما يتعلق به لكم والتقدير إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن لم يثبت لكم عليهن عدة. مما أفاء الله عليك الجار والمجرور في موضع نصب على الحال من الضمير المحذوف في قوله وما ملكت يمينك أي ما ملكته. إن وهبت نفسها للنبي جزاء شرط محذوف تقديره ان وهبت نفسها للنبي أحللناها له وجزاء الشرط الذي هو إن أراد النبي أن يستنكحها الشرط والجزاء المتقدم تقديره إن أراد النبي أن يستنكحها إن وهبت نفسها له أحللناها له وان يستنكحها في موضع نصب بأنه مفعول أراد. خالصة لك نصب على الحال والهاء فيه للمبالغة

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى ذكر النساء فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) اي من قبل ان تدخلوا بهن (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) اي تستوفونها بالعدد وتحصون عليها بالاقراء وبالأشهر اسقط الله سبحانه العدة عن المطلقة قبل المسيس لبراءة رحمها فإن شاءت تزوجت من يومها (فمتعوهن) قال ابن عباس هذا إذا لم يكن سمّى لها صداقا فإذا فرض لها صداقا فلها نصفه ولا تستحق المتعة وهو المروي عن أئمتنا «ع» فالآية محمولة عندنا على التي لم يسم لها مهراً فيجب لها المتعة (وسرّحوهنّ سراحا جميلا) أي طلّقوهن طلاقا للسنة من غير ظلم عليهن عن الجبائي وقيل سرّحوهنّ عن البيت فإنه ليس عليها عدة فلا يلزمها المقام في منزل الزوج سراحا جميلا بغير جفوة ولا أذية وقيل السراح الجميل هو رفع المتعة بحسب الميسرة والعسرة عن حبيب بن ابي ثابت قال كنت قاعدا عند علي بن الحسين «ع» فجاءه رجل فقال اني قلت يوم اتزوج فلانة فهي طالق فقال اذهب فتزوجها فإن الله تعالى بدأ بالنكاح قبل الطلاق وقرأ هذه الآية ثم خاطب النبي ﷺ فقال (يا أيها النبي انا احللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) اي اعطيت مهورهن والإيتاء قد يكون بالاداء وقد يكون بالالتزام (وما ملكت يمينك) اي وأحللنا لك ما ملكت يمينك من الإماء (مما أفاء الله عليك) من الغنائم والأنفال فكانت من الغنائم مارية القبطية أم ابنه ابراهيم ومن الأنفال صفية وجويرية اعتقها وتزوجها (وبنات عمك) أي وأحللنا لك بنات عمك (وبنات عماتك) يعني نساء قريش (وبنات خالك وبنات خالاتك) يعني نساء بني زهرة (اللاتي هاجرن معك) إلى المدينة وهذا إنما كان قبل تحليل غير المهاجرات ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) أي وأحللنا لك امرأة مصدقة بتوحيد الله تعالى وهبت نفسها منك بغير صداق وغير المؤمنة إن وهبت نفسها منك لا تحل لك (إن أراد النبي أن يستنكحها) اي آثر النبي ﷺ نكاحها ورغب فيها (خالصة لك من دون المؤمنين) اي خالصة لك دون غيرك قال ابن عباس يقول لا يحل هذا لغيرك وهو لك حلال وهذا من خصائصه في النكاح فكان ينعقد النكاح له بلفظ الهبة ولا ينعقد ذلك لأحد غيره واختلف في انه هل كانت عند النبي ﷺ امرأة وهبت نفسها له أم لا فقيل انه لم يكن عنده امرأة وهبت نفسها له عن ابن عباس ومجاهد وقيل بل كانت عنده ميمونة بنت الحرث بلا مهر قد وهبت نفسها للنبي في رواية أخرى عن ابن عباس وقتادة وقيل هي زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار عن الشعبي وقيل هي امرأة من بني أسد يقال لها أم شريك بنت جابر عن علي بن الحسين «ع»

والضحاك ومقاتل وقيل هي خولة بنت حكيم عن عروة بن الزبير وقيل انها لما وهبت نفسها للنبي ﷺ قالت عائشة ما بال النساء يبذلن أنفسهن بلا مهر فنزلت الآية فقالت عائشة ما أرى الله تعالى إلا يسارع في هواك فقال رسول الله ﷺ وانك إن أطعت الله سارع في هواك (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) معناه قد علمنا ما أخذنا على المؤمنين في ازواجهم من المهر والحصر بعدد محصور ووضعناه عنك تخفيفا عنك (وما ملكت أيمانهم) أي وما أخذنا عليهم في ملك اليمين أن لا يقع لهم الملك إلا بوجوه معلومة من الشراء والهبة والإرث والسبي وأبحنا لك غير ذلك وهو الصفي الذي تصطفيه لنفسك من السبي وإنما خصصناك على علم منا بالمصلحة فيه من غير محابلة ولا جزاف (لكيلا يكون عليك حرج) أي ليرتفع عنك الحرج وهو الضيق والإثم (وكان الله غفوراً) لذنوب عباده (رحيماً) بهم أو رحيما بك في رفع الحرج عنك

قوله تعالى (٥١) تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥٢) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٤) إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٥) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (خمس آيات)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر إلا الأعشى وعباس وأهل المدينة ترجي بغير همز والباقون بالهمز وقرأ ابو عمرو ويعقوب لا تحل بالتاء والباقون بالياء وسهل ابو حاتم يخير فيها

الحجة

قال ابو علي جاء في هذا الحرف الهمز وغيره وكذلك ارجئه وارجه فالقراءة بكل واحد من الأمرين حسنة والتاء والياء في لا تحل حسنان لأن النساء تأنيثه غير حقيقي إنما هو تأنيث الجمع فالتأنيث حسن والتذكير كذلك

اللغة

الإرجاء هو التأخير ويكون من تبعيد وقت الشيء عن وقت غيره ومنه الإرجاء في فساق أهل الصلاة وهو

تأخير حكمهم بالعقاب إلى الله تعالى والإيواء ضم القادر غيره من الأحياء الذين هم من جنس ما يعقل إلى ناحيته يقال آويت الإنسان آويه إيواء وأوى هو يأوي اويا إذا انضم إلى مأواه ويقال انى الطعام يأني إنىً مقصورا إذا بلغ حالة النضج وأدرك وقته وإذا فتح مدّ فقيل أناءً قال الحطيئة « وَآنَيْتُ الْعَشَاءَ إِلَى سُهَيْلٍ ● أَوِ الشِّعْرَى فَطَالَ بِيَ الأَنَاءُ » والاستئناس ضد الاستيحاش والانس ضد الوحشة

﴿ الإعراب ﴾

ذلك أدنى ان تقرّ تقديره من أن تقرّ اوالى ان تقرّ اعينهن . كهن تأكيد للضمير وهو النون في يرضين ولو نصب جاز على تأكيد قوله هنّ في آتيتهن . غير ناظرين منصوب على الحال ولا مستأنسين معطوف عليه فهو حال معطوف على حال قبله وتقديره ولا تدخلوا مستأنسين لحديث

﴿ النزول ﴾

نزلت الآية الأولى حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي ﷺ وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت آية التخيير فأمره الله تعالى أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة وان يخلّي سبيل من اختار الدنيا ويمسك من اختار الله تعالى ورسوله على انهن أمهات المؤمنين ولا ينكحن ابدا وعلى انه يؤوي من يشاء منهن ويرجي من يشاء منهن ويرضين به قسم لمن أو لم يقسم او قسم لبعضهن ولم يقسم لبعضهن أو فضل بعضهن على بعض في النفقة والقسمة والعشرة او سوّى بينهن والأمر في ذلك اليه يفعل ما يشاء وهذه من خصائصه ﷺ فرضين بذلك كله واخترنه على هذا الشرط فكان ﷺ يسوّي بينهن مع هذا إلا امرأة منهن أراد طلاقها وهي سودة بنت زمعة فرضيت بترك القسم وجعلت يومها لعائشة عن ابن زيد وغيره وقيل لما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فنزلت الآية وكان ممن ارجي منهن سودة وصفية وجويرية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لمن ما شاء كما شاء وكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان يقسم بينهن على السواء لا يفضل بعضهن على بعض عن ابن رزين ونزلت آية الحجاب لما بنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش وأولم عليها قال أنس أولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة وبعثت اليه أمي أم سليم بحَيْس في تُور(٢) من حجارة فأمرني رسول الله ﷺ أن أدعو اصحابه إلى الطعام فدعوتهم فجعل القوم يجيئون ويأكلون ويخرجون ثم يجيء القوم فيأكلون ويخرجون قلت يا نبي الله قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم فرفعوا طعامهم وخرج القوم وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت فأطالوا المكث فقام ﷺ وقمت معه لكي يخرجوا فمشى حتى بلغ حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم جلوس مكانهم فنزلت الآية وروي مثل ذلك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال وكان رسول الله ﷺ يريد أن يخلو له المنزل لأنه كان حديث عهد بعرس وكان محبّاً لزينب وكان يكره أذى المؤمنين وقيل كان رسول الله ﷺ يطعم ومعه بعض اصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة وكانت معهم فكره ﷺ ذلك فنزلت آية الحجاب عن مجاهد ونزل قوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الى آخر الآية في رجل من الصحابة قال لئن قبض رسول الله ﷺ لأنكحنّ عائشة بنت أبي بكر عن ابن عباس قال مقاتل وهو طلحة بن عبيد الله وقيل ان رجلين قالا أينكح محمد نساءنا ولا ننكح نساءه والله لئن مات لنكحنا نساءه وكان أحدهما يريد عائشة والآخر يريد أم سلمة عن ابي حمزة الثمالي

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ يخيّره في نسائه فقال (ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء) اي تؤخر وتبعد من تشاء من ازواجك وتضم اليك من تشاء منهن واختلف في معناه على اقوال ﴿ احدها ﴾ ان

(١) آنيت الشيء : أخرته . (٢) الحيس : تمر يخلط بسمن واقط فيعجن ويدلك شديداً حتى يمتزج ثم يندر نواه والتور : اناء صغير.

المراد تقدم من تشاء من نسائك في الايواء اليك وهو الدعاء إلى الفراش وتؤخر من تشاء في ذلك وتدخل من تشاء منهن في القسم ولا تدخل من تشاء عن قتادة قال وكان رسول الله ﷺ يقسم بين ازواجه وأباح الله له ترك ذلك ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد تعزل من تشاء منهن بغير طلاق وترد اليك من تشاء منهن بعد عزلك اياها بلا تجديد عقد عن مجاهد والجبائي وابي مسلم ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء عن ابن عباس ﴿ ورابعها ﴾ ان المراد تترك نكاح من تشاء من نساء امتك وتنكح منهن من تشاء عن الحسن قال وكان ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لغيره ان يخطبها حتى يتزوجها أو يتركها ﴿ وخامسها ﴾ تقبل من تشاء من المؤمنات اللآئي يهبن انفسهن لك فتؤويها اليك وتترك من تشاء منهن فلا تقبلها عن زيد ابن اسلم والطبري قال ابو جعفر وابو عبد الله (ع) من ارجى لم ينكح ومن اوى فقد نكح (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) اي إن اردت ان تؤوي اليك امرأة ممن عزلتهن عن ذلك وتضمها اليك فلا سبيل عليك بلوم ولا عتب ولا اثم عليك في ابتغائها اباح الله سبحانه له ترك القسم في النساء حتى يؤخر من يشاء عن وقت نوبتها ويطأ من يشاء في غير وقت نوبتها وله ان يعزل من يشاء وله ان يرد المعزولة ان شاء فضله الله تعالى بذلك على جميع الخلق (ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) معناه انهن إذا علمن ان له ردهن إلى فراشه بعد ما اعتزلهن قرت اعينهن ولم يحزن ويرضين بما يفعله النبي ﷺ من التسوية والتفضيل لأنهن يعلمن انهن لم يطلقن عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ذلك اطيب لنفوسهن واقل لحزنهن إذا علمن أن لك الرخصة بذلك من الله تعالى ويرضين بما يفعله النبي ﷺ من التسوية والتفضيل عن قتادة وقرة العين عبارة عن السرور وقيل ذلك المعرفة منهن بأنك إذا عزلت واحدة كان لك أن تؤويها بعد ذلك ادنى بسرورهن وقرة اعينهن عن الجبائي وقيل معناه نزول الرخصة من الله تعالى اقر لأعينهن وادنى إلى رضاهن بذلك لعلمهن بما لهن في ذلك من الثواب في طاعة الله تعالى ولو كان ذلك من قبلك لحزن وحملن ذلك على ميلك إلى بعضهن (والله يعلم ما في قلوبكم) من الرضا والسخط والميل إلى بعض النساء دون بعض (وكان الله عليما) بمصالح عباده (حليما) في ترك معاجلتهم بالعقوبة (لا يحل لك النساء من بعد) اي من بعد النساء اللواتي احللناهن لك في قوله انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن الآية وهن ستة اجناس النساء اللاتي آتاهن اجورهن أي اعطاهن مهورهن وبنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه ومن وهبت نفسها له بخمع ما شاء من العدد ولا يحل له غيرهن من النساء عن ابي بن كعب وعكرمة والضحاك وقيل يريد المحرمات في سورة النساء عن ابي عبد الله (ع) وقيل معناه لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات (ولا ان تبدل بهن) ولا ان تبدل الكتابيات بالمسلمات لأنه لا ينبغي ان يكن امهات المؤمنين (إلا ما ملكت يمينك) من الكتابيات فأحل له ان يتسراهن عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل معناه لا يحل لك النساء من بعد نسائك اللاتي خيرتهن فاخترن الله ورسوله وهن التسع صرت مقصورا عليهن وممنوعا من غيرهن ومن ان تستبدل بهن غيرهن (ولو اعجبك حسنهن) اي وقع في قلبك حسنهن مكافأة لهن على اختيارهن الله ورسوله عن الحسن والشعبي وقيل ان التي اعجبه حسنها اسماء بنت عميس بعد قتل جعفر بن ابي طالب عنها وقيل انه منع من طلاق من اختارته من نسائه كما امر بطلاق من لم تختره فأما تحريم النكاح عليه فلا عن الضحاك وقيل ايضا إن هذه الآية منسوخة وابيح له بعدها تزويج ما شاء فروي عن عائشة انها قالت ما فارق رسول الله ﷺ الدنيا حتى حل له ما أراد من النساء وقوله ولا ان تبدل بهن من ازواج فقيل ايضا في معناه أن العرب كانت تتبادل بأزواجهم فيعطي احدهم زوجته رجلا فيأخذ بها زوجة منه بدلا عنها فنهى عن ذلك وقيل في قوله ولو اعجبك حسنهن يعني إن اعجبك حسن ما حرم عليك من جملتهن ولم يحللن لك وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (وكان الله على كل شيء رقيبا) اي عالما حافظا عن الحسن وقتادة (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين اناه) نهاهم سبحانه عن دخول

دار النبي ﷺ بغير اذن وهو قوله إلا ان يؤذن لكم اي في الدخول يعني إلا أن يدعوكم إلى طعام فادخلوا غير ناظرين اناه اي غير منتظرين ادراك الطعام فيطول مقامكم في منزله والمعنى لاتدخلوها بغير اذن وقيل نضج الطعام انتظارا لنضجه فيطول لبثكم ومقامكم (ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا) اي فإذا اكلتم الطعام فتفرقوا واخرجوا (ولا مستأنسين لحديث) اي ولا تدخلوا فتقعدوا بعد الأكل متحدثين يحدث بعضكم بعضا ليؤنسه ثم بيّن المعنى في ذلك فقال (إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم) اي طول مقامكم في منزل النبي ﷺ يؤذيه لضيق منزله فيمنعه الحياء أن يأمركم بالخروج من المنزل (والله لا يستحيي من الحق) اي لا يترك ابانة الحق فيأمركم بتعظيم رسوله وترك دخول بيته من غير اذن والامتناع عما يؤدي إلى اذاه وكراهيته قالت عائشة يحسب الثقلاء ان الله سبحانه لم يحتملهم فقال فإذا طعمتم فانتشروا وقال بعض العلماء هذا أدب أدّب الله به الثقلاء (وإذا سألتموهن متاعاً فسئلوهن من وراء حجاب) يعني فإذا سألتم ازواج النبي ﷺ شيئاً تحتاجون اليه فاسألوهن من وراء الستر قال مقاتل امر الله المؤمنين ألا يكلموا نساء النبي ﷺ إلا من وراء حجاب وروى مجاهد عن عائشة قالت كنت آكل مع النبي ﷺ حَيْساً في قَعْبٍ(١) فمرَّ بنا عمر فدعاه فأكل فأصابت اصبعه اصبعي فقال حَسِّ(٢) لو أُطاعَ فيكنَّ ما رأتكنَّ عين فنزل الحجاب (ذلكم) اي سؤالكم اياهن المتاع من وراء حجاب (اطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الريبة ومن خواطر الشيطان التي تدعو إلى ميل الرجال الى النساء والنساء إلى الرجال (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) اي ليس لكم ايذاء رسول الله ﷺ بمخالفة مامر به في نسائه ولا في شيء من الأشياء (ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابداً) أي من بعد وفاته المعنى ولا يحلّ لكم ان تزوّجوا واحدة من نسائه بعد مماته كما لا يحلّ لكم ان تؤذوه في حال حياته وقيل من بعده أي من بعد فراقه في حياته كما قال بئسما خلفتموني من بعدي (إن ذلكم كان عند الله عظيما) اي ايذاء الرسول بما ذكرنا كان ذنبا عظيم الموقع عند الله تعالى (إن تبدوا شيئاً أو تخفوه) اي تظهروا شيئاً او تضمروه مما نهيتم عنه من تزويجهنّ (فإن الله كان بكل شيء عليما) من الظواهر والسرائر وهذا تهديد وروي عن حذيفة انه قال لامرأته ان تريدي ان تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي بعدي فإن المرأة لآخر أزواجها فلذلك حرّم الله تعالى على ازواج النبي ﷺ ان يتزوجن بعده وروي عن النبي سئل عن المرأة تكون لها زوجان فتموت فتدخل الجنة فلأيّهما تكون قال لأحسنهما خلقا كان معها في الدنيا ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والأقارب يارسول الله ونحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله تعالى قوله (لاجناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء أخوانهن ولا ابناء اخواتهن) ان يروهن ولا يحتجبن عنهم (ولا نسائهن) قيل يريد نساء المؤمنين لا نساء اليهود ولا النصارى فيصفن نساء رسول الله لأزواجهن إن رأينهن عن ابن عباس وقيل يريد جميع النساء (ولا ما ملكت ايمانهن) يعني العبيد والإماء (واتقين الله) اي اتركن معاصيه وقيل اتقين عقاب الله من دخول الأجانب عليكن (إن الله كان على كل شيء شهيدا) اي حفيظا لايغيب عنه شيء قال الشعبي وعكرمة وإنما لم يذكر العم والخال لئلا ينعتاهن لابنائهما

قوله تعالى (٥٦) إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا (٥٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا (٥٨) وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٩) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ

(١) مرّ معنى الحيس قريباً . والقعب : القدح الضخم الغليظ . (٢) حَسِّ : كلمة يقولها الانسان عند التوجع مما أذاه مثل «أوّه»

ذٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٦٠) لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦١) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦٢) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (سبع آيات)

القراءة

في الشواذ قراءة الحسن فصلّوا عليه

الحجة

إنما جاز دخول الفاء لما في الكلام من معنى الشرط وذلك ان الصلاة إنما وجبت عليه منا لأن الله قد صلّى عليه وملائكته فجرى مجرى قول القائل قد أعطيتك فخذ أي إنما وجب عليك الأخذ من أجل العطية

اللغة

الجلباب خمار المرأة الذي يغطي رأسها ووجهها إذا خرجت لحاجة والارجاف اشاعة الباطل للاغتمام به وأصله الاضطراب ومنه يقال للبحر رجاف لاضطرابه فارجاف الناس بالشيء اضطرابهم بالخوض فيه ومنه ترجف الراجفة والاغراء الدعاء إلى تناول الشيء بالتحريض عليه يقال اغراه بالشيء اغراء فغري به اي أولع به

الإعراب

يدنين في موضع جزم بأنه جواب شرط مقدر وتقديره قل لأزواجك ادنين عليكن من جلابيبكن فإنك إن تقل ذلك يدنين. ملعونين نصب على الذم. أينما ثقفوا أخذوا شرط وجزاء وأين ظرف لثقفوا ومعمول له وإنما جاز ذلك لأن الجازم في الأصل ان المحذوفة فصار أينما يتضمنها فيغني عنها ويقوم مقامها ولا يجوز أن يعمل فيه أخذوا لأنه جواب الشرط ولا يعمل الجواب فيما قبل الشرط

المعنى

لما صدّر سبحانه هذه السورة بذكر النبي ﷺ وقرّر في اثناء السورة ذكر تعظيمه ختم ذلك بالتعظيم الذي ليس يقاربه تعظيم ولا يدانيه فقال (إن الله وملائكته يصلون على النبي) معناه إن الله يصلي على النبي ﷺ ويثني عليه بالثناء الجميل ويبجّله بأعظم التبجيل وملائكته يصلّون عليه [يثنون عليه] بأحسن الثناء ويدعون له بأزكى الدعاء (يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً) قال أبو حمزة الثمالي حدّثني السدي وحميد بن سعد الأنصاري ويزيد بن ابي زياد عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد (ث) عن عبد الله بن مسعود قال إذا صليتم على النبي ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الدين وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محموداً يغبطه به الأولون والآخرون اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد (ث) عن ابي بصير قال سألت أباعبد الله (ع) عن هذه الآية فقلت كيف صلاة الله على رسوله فقال يا أبا محمد تزكيته له

(١) ما بين المعقفتين غير موجود في المخطوطتين.

في السماوات العلى فقلت قد عرفت صلواتنا عليه فكيف التسليم فقال هو التسليم له في الامور فعلى هذا يكون معنى قوله وسلموا تسليما انقادوا لأوامره وابذلوا الجهد في طاعته وفي جميع مايأمركم به وقيل معناه سلموا عليه بالدعاء اي قولوا السلام عليك يارسول الله (الحديث) وحدث عن انس بن مالك عن ابي طلحة قال دخلت على النبي ﷺ فلم أره اشدّ استبشاراً منه يومئذ ولااطيب نفسا قلت يارسول الله ما رأيتك قط اطيب نفسا ولا اشد استبشارا منك اليوم فقال وما يمنعني وقد خرج آنفاً جبرائيل من عندي قال قال الله تعالى من صلّى عليك صلاة صلّيت بها عليه عشر صلوات ومحوت عنه عشر سيئات و كتبت له عشر حسنات (إن الذين يؤذون الله ورسوله) قيل هم المنافقون والكافرون والذين وصفوا الله بمالايليق به و كذبوا رسله و كذبوا عليه فعلى هذا يكون معنى يؤذون الله يخالفون أمره ويصفونه بما هو منزّه عنه ويشبّهونه بغيره فإن الله عزّ اسمه لا يلحقه اذى ولكن لما كانت مخالفة الأمر فيما بيننا تسمى ايذاء خوطبنا بما نتعارفه وقيل يؤذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وقيل معناه يؤذون رسول الله فقدّم ذكر الله على وجه التعظيم إذ جعل اذى رسوله أذى له تشريفا له وتكريما فكأنه يقول لو جاز ان يناله اذى من شيء لكان ينالني من هذا واتصاله بما قبله انه كأنه يقول صلّوا عليه ولا تؤذوا فإن من آذاه فهو كافر ثم اوعد عليه بقوله (لعنهم الله في الدنيا والآخرة) اي يبعدهم الله من رحمته ويحل بهم وبال نقمته بحرمان زيادات الهدى في الدنيا والخلود في النار في الآخرة (واعدّ لهم) في الآخرة (عذابا مهينا) اي مذلاً لهم حدثنا السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني قال حدثنا ابو عبد الله الحافظ قال حدثنا احمد بن محمد بن ابي دارم الحافظ قال حدثنا علي بن احمد العجلي قال حدثنا عباد بن يعقوب قال حدثنا ارطاة بن حبيب قال حدثنا ابو خالد الواسطي وهو آخذ بشعره قال حدّثني زيد بن علي بن الحسين «ع» وهو آخذ بشعره قال حدثني علي بن الحسين وهو آخذ بشعره قال حدثني الحسين بن علي بن ابي طالب «ع» وهو آخذ بشعره قال حدثني علي بن ابي طالب وهو آخذ بشعره قال حدثني رسول الله ﷺ وهو آخذ بشعره فقال من آذى شعرة منك فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فعليه لعنة الله (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) اي يؤذونهم من غير ان عملوا ما يوجب أذاهم (فقد احتملوا بهتانا) اي فقد فعلوا ما هو اعظم الاثم مع البهتان وهو الكذب على الغير يواجهه به فجعل ايذاء المؤمنين والمؤمنات مثل البهتان وقيل يعني بذلك أذية اللسان فيتحقق فيها البهتان (واثما مبينا) اي ومعصية ظاهرة قال قتادة والحسن اياكم واذى المؤمنين فإن الله تعالى يغضب له وقيل نزلت في قوم من الزناة كانوا يمشون في الطرقات ليلا فإذا رأوا امرأة غمزوها و كانوا يطلبون الإماء عن الضحاك والسدي والكلبي ثم خاطب النبي ﷺ فقال (ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) اي قل لهؤلاء فليسترن موضع الجيب بالجلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة عن الحسن وقيل الجلباب مقنعة المرأة اي يغطين جباههنّ ورؤوسهنّ إذا خرجن لحاجة بخلاف الإماء اللاتي يخرجن مكشفات الرؤوس والجباه عن ابن عباس ومجاهد وقيل أراد بالجلابيب الثياب والقميص والخمار وما تستتر به المرأة عن الجبائي وابي مسلم (ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين) اي ذلك اقرب إلى ان يعرفن بزيهن انهنّ حرائر ولسن بإماء فلا يؤذيهن اهل الريبة فإنهم كانوا يمازحون الإماء وربما كان يتجاوز المنافقون إلى ممازحة الحرائر فإذا قيل لهم في ذلك قالوا حسبناهنّ اماء فقطع الله عذرهم وقيل معناه ذلك اقرب الى ان يعرفن بالستر والصلاح فلا يتعرض لمن لأن الفاسق اذا عرف امرأة بالستر والصلاح لم يتعرض لها عن الجبائي (و كان الله غفورا) اي ستاراً لذنوب عباده (رحيما) بهم ثم اوعد سبحانه هؤلاء الفساق فقال (لئن لم ينته المنافقون) اي لئن لم يمتنع المنافقون (والذين في قلوبهم مرض) اي فجور وضعف في الإيمان وهم الذين لا دين لهم مما ذكرناه من مراودة النساء وايذائهن (والمرجفون في المدينة) وهم المنافقون ايضا الذين كانوا يرجفون في المدينة بالاخبار الكاذبة المضعفة لقلوب المسلمين بأن يقولوا اجتمع المشركون في موضع

كذا قاصدين لحرب المسلمين ونحو ذلك ويقولوا لسرايا المسلمين انهم قتلوا وهزموا وفي الكلام حذف وتقديره لئن لم ينته هؤلاء عن اذى المسلمين وعن الارجاف بما يشغل قلوبهم (لنغرينك بهم) اي لنسلطنك عليهم يامحمد عن ابن عباس والمعنى أمرناك بقتلهم حتى تقتلهم وتخلي عنهم المدينة وقد حصل الإغراء بهم بقوله جاهد الكفار والمنافقين عن ابي مسلم وقيل لم يحصل الاغراء بهم لأنهم انتهوا عن الجبائي قال ولو حصل الإغراء لقتلوا وشردوا واخرجوا عن المدينة (ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا) اي ثم لا يساكنونك في المدينة الا يسيرا وهو مابين الأمر بالقتل ومابين قتلهم (ملعونين) اي مطرودين منفيين عن المدينة مبعدين عن الرحمة وقيل ملعونين على السنة المؤمنين (اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا) اي اينما وجدوا وظفر بهم اخذوا وقتلوا ابلغ القتل (سنة الله في الذين خلوا من قبل) والسنة الطريقة في تدبير الحكم وسنة رسول الله ﷺ طريقته التي اجراها بأمر الله تعالى فأضيفت اليه ولا يقال سنته اذا فعلها مرة او مرتين لأن السنة الطريقة الجارية والمعنى سنّ الله في الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم ان يقتلوا حيثما ثقفوا عن الزجاج (ولن تجد لسنة الله تبديلا) اي تحويلا وتغييرا اي لا يتهيأ لأحد تغييرها ولا قلبها من جهتها لأنه سبحانه القادر الذي لا يتهيأ لأحد منعه مما أراد فعله

قوله تعالى (٦٣) يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً (٦٤) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً (٦٥) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً (٦٦) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٧) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٨) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً (سبع آيات)

القراءة

قرأ ابن عامر ويعقوب وسهل ساداتنا بالألف وكسر التاء والباقون سادتنا بغير الف وقرأ عاصم كبيرا بالباء والباقون كثيرا بالثاء وفي الشواذ قراءة عيسى بن عمر يوم تقلب وجوههم وقراءة ابن مسعود والأعمش وكان عبداً لله وجيها

الحجة

قال ابو علي سادة فعلة مثل كتبة وفجرة قال

سَلِيلُ قُرُومٍ سَادَةٌ مِثْلُ ذَادَةٍ ... يَبُذُّونَ أَهْلَ الْجَمْعِ يَوْمَ الْمُحَصَّبِ (١)

ووجه الجمع بالالف والتاء انهم قد قالوا الطرقات والمعنات في المعن جمع معين قال الاعشى

جُنْدُكَ التَّالِدُ الطَّرِيفُ مِنَ السَّا ... دَاتِ أَهْلَ الْقِبَابِ وَالْآكَالِ (٢)

قال ابو الحسن هي غريبة والكبر مثل العظم والكثرة اشبه بالموضع لأنهم يلعنون مرة بعد مرة وقد جاء يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون فالكثرة اشبه بالمرار المتكررة من الكبر وقوله يوم تقلب وجوههم تقديره يوم تقلب السعير وجوههم نسب الفعل إلى النار لما كان التقليب فيها كما قال مكر الليل والنهار لوقوع المكر فيهما وعليه قول رؤبة « فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى هَمِّي » (٣) وقوله عبداً لله وجيها لا يفهم منه وجاهته عند الله فقراءة الناس المشهورة اقوى منه لإسناده وجاهته إلى الله سبحانه

(١) القروم هنا بمعنى السادات و بذّ القوم : سبقهم و غلبهم اى يسبقون أهل عرفات ومنى ، و أراد بيوم المحصّب يوم رمى الجمار فى منى . (٢) التالد : القديم . و الطريف : الحديث . والقباب جمع القبة . و آكال الجند أطماعهم . وفى بعض النسخ «جدك» بدل «جندك» . (٣) هذا عجز بيت وصدره «و كنت ذا همّ وراعى نجمى » وراعى ←

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه (يسئلك) يا محمد (الناس عن الساعة) يعني القيامة (قل انما علمها عند الله) لا يعلمها غيره (وما يدريك) يا محمد اي اي شيء يعلمك من امر الساعة ومتى يكون قيامها اي انت لا تعرفه ثم قال (لعل الساعة تكون قريبا) اي قريبا مجيئها ويجوز ان يكون امره ان يجيب كل من يسأله عن الساعة بهذا فيقول لعل ما تستبطئه قريب وما تنكره كائن ويجوز ان يكون تسلية له ﷺ اي فاعلم انه قريب فلا يضيقن صدرك باستهزائهم باخفائها (إن الله لعن الكافرين واعدّ لهم سعيراً) اي نارا تستعر وتلتهب (خالدين فيها ابداً لا يجدون وليا ولا نصيراً) اي وليا ينصرهم ونصيرا يدفع عنهم (يوم تقلب وجوههم في النار) العامل في يوم تقلب قوله واعدّ لهم سعيراً والتقليب تصريف الشيء في الجهات ومعناه تقلب وجوه هؤلاء السائلين عن الساعة واشباههم من الكفار فتسودُّ وتصفر وتصير كالحة بعد ان لم تكن وقيل معناه تنقل وجوههم من جهة إلى جهة في النار فيكون ابلغ فيما يصل اليها من العذاب (يقولون) متمنّين متأسّفين (يا ليتنا اطعنا الله فيما امرنا به ونهانا عنه (واطعنا الرسولا) فيما دعانا اليه (وقالوا ربنا انا اطعنا) فيما فعلناه (سادتنا و كبرائنا) والسيد المالك المعظّم الذي يملك تدبير السواد الأعظم وهو الجمع الاكثر قال مقاتل هم المُطعِمون في غزوة بدر[1] وقال طاوس هم العلماء والوجه ان المراد جميع قادة الكفر وائمة الضلال (فأضلّونا السبيلا) اي اضلّنا هؤلاء عن سبيل الحق وطريق الرشاد (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) بضلالهم في نفوسهم واضلالهم اياانا اي عذّبهم مثلي ما تعذب غيرهم (والعنهم لعنا كبيرا) مرة بعد اخرى وزدهم غضبا إلى غضبك وسخطا إلى سخطك ثم خاطب سبحانه المظهرين للإيمان فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا) اي لا تؤذوا محمدا ﷺ كما آذى بنو اسرائيل موسى فإن حق النبي ﷺ أن يعظّم ويبجّل لا ان يؤذى واختلفوا فيما أوذي به موسى على اقوال ﴿ احدها ﴾ ان موسى وهارون صعدا الجبل فمات هارون فقالت بنو اسرائيل انت قتلته فأمر الله الملائكة فحملته حتى مرّوا به على بني اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرفوا انه قد مات وبرّأه الله من ذلك عن علي (ع) وابن عباس واختاره الجبائي ﴿ وثانيها ﴾ ان موسى كان حييا ستيراً يغتسل وحده فقالوا ما يستتر منا إلا لعيب بجلده امابرص واما أُدرَة فذهب مرّة يغتسل فوضع ثوبه على حجر فمر الحجر بثوبه فطلبه موسى فرآه بنو اسرائيل عريانا كأحسن الرجال خلقاً فبرّأه الله مما قالوا رواه ابو هريرة مرفوعا وقال قوم ان ذلك لا يجوز لأن فيه اشهار النبي وابداء سوأته على رؤوس الاشهاد وذلك ينفر عنه ﴿ وثالثها ﴾ ان قارون استأجر مُومِسة[2] لتقذف موسى بنفسها على رأس الملأ فعصمه الله تعالى من ذلك على مامرَّ ذكره عن ابي العالية ﴿ورابعها﴾ انهم آذوه من حيث انهم نسبوه إلى السحر والجنون والكذب بعد ما رأوا الآيات عن ابي مسلم (وكان عند الله وجيها) اي عظيم القدر رفيع المنزلة يقال وجه وجاهة فهو وجيه إذا كان ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان عند الله خطيراً لا يسأله شيئاً إلا أعطاه

قوله تعالى (٧٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧١) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧٢) إِنَّا

← النجوم : راقبها وانتظر مغيبها .

(١) وهم على ماذكره المؤرّخون اثناعشر نفراً من كبراء قريش: عباس بن عبد المطلب ، و عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن أبيّ بن خلف ، وحكيم بن حزام ، ونضر بن الحارث ، وزمعة بن الاسود ، وأبو جهل وأبو البختري ابنا هشام وحارث ←

عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٣) لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا (اربع آيات)

المعنى

ثم أمر الله سبحانه أهل الإيمان والتوحيد بالتقوى والقول السديد فقال (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) أي اتقوا عقاب الله باجتناب معاصيه وفعل واجباته (وقولوا قولا سديدا) أي صوابا بريئا من الفساد خالصا من شائبة الكذب واللغو موافق الظاهر للباطن وقال الحسن وعكرمة صادقا يعني كلمة التوحيد لا إله إلا الله وقال مقاتل هذا يتصل بالنهي عن الايذاء أي قولوا قولا صوابا ولا تنسبوا رسول الله ﷺ إلى ما لا يجمل ولا يليق به (يصلح لكم اعمالكم) معناه إن فعلتم ذلك يصلح لكم اعمالكم بأن يلطف لكم فيها حتى تستقيموا على الطريقة المستقيمة السليمة من الفساد ويوفقكم لما فيه الصلاح والرشاد وقيل معناه يزكي اعمالكم ويتقبل حسناتكم عن ابن عباس ومقاتل (ويغفر لكم ذنوبكم) باستقامتكم في الأقوال والأفعال (ومن يطع الله ورسوله) في الأوامر والنواهي (فقد فاز فوزا عظيما) أي فقد أفلح افلاحا عظيما وقيل فقد ظفر برضوان الله وكرامته (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) اختلف في معنى الأمانة فقيل هي ما أمر الله به من طاعته ونهى عنه من معصيته عن ابي العالية وقيل هي الأحكام والفرائض التي أوجبها الله تعالى على العباد عن ابن عباس ومجاهد وهذان القولان متقاربان وقيل هي أمانات الناس والوفاء بالعهود فأولها اثنان آدم ابنه قابيل على أهله وولده حين أراد التوجه إلى مكة عن أمر ربه فخان قابيل إذ قتل هابيل عن السدي والضحاك واختلف في معنى عرض الأمانة على هذه الأشياء وقيل فيه اقوال ﴿احدها﴾ ان المراد العرض على أهلها فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وعرضها عليهم هو تعريفه إياهم ان في تضييع الأمانة الإثم العظيم و كذلك في ترك أوامر الله تعالى واحكامه فبيّن سبحانه جرأة الإنسان على المعاصي واشفاق الملائكة من ذلك فيكون المعنى عرضنا الأمانة على أهل السماوات والأرض والجبال من الملائكة والجن والإنس (فأبين أن يحملنها) أي فأبى أهلهن أن يحملوا تركها وعقابها والمأثم فيها (وأشفقن منها) أي واشفقن أهلهن من حملها (وحملها الإنسان إنه كان ظلوما) لنفسه بارتكاب المعاصي (جهولا) بموضع الأمانة في استحقاق العقاب على الخيانة فيها عن ابي علي الجبائي وقال إذا لم يصح حمله على نفس السماوات والأرض والجبال فلا بدّ أن يكون المراد به أهلها لأنه يجب أن يكون المراد به المكلفين دون غيرهم لأن ذلك لا يصح إلا فيهم ولا بدّ من أن يكون المراد بحمل الأمانة تضييعها لأن نفس الأمانة قد حملتها الملائكة وقامت بها قال الزجاج كل من خان الأمانة فقد حملها ومن لم يحمل الأمانة فقد أداها و كذلك كل من أثم فقد احتمل الإثم قال الله سبحانه وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم فقد أعلم الله سبحانه انّ من باء بالإثم يسمى حاملا للإثم وهو قول الحسن لأنه قال الكافر والمنافق حملا الأمانة أي خانا ولم يطيعا وأنشد بعضهم في حمل الأمانة بمعنى الخيانة قول الشاعر

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تُؤَدِّي أَمَانَةً ... وَتَحْمِلُ أُخْرَى أَفْرَحَتْكَ الْوَدَائِعُ (١)

- بن عامر بن نوفل ونبيه و منبه ابنا الحجاج فكل يوم كان كفيل اطعام جيش المشركين واحد منهم . (٢) امرأة مومسة اى فاجرة .

(١) فمعنى قوله «وتحمل اخرى» اى تخونها ولا تؤديها يدل على ذلك قوله «افرحتك الودائع» اى اثقلتك ←

وأقول ان الظاهر لا يدل على ذلك لأنه يجوز أن يكون المراد بالحمل هنا قبول الأمانة لأن الشاعر جعله في مقابلة الاداء فكأنه قال إذا كنت لا تزال تقبل أمانة وتؤدّي أخرى شغلت نفسك بقبول الودايع وادائها فأثقلتك ﴿وثانيها﴾ ان معنى عرضنا عارضنا وقابلنا فإن عرض الشيء على الشيء ومعارضته به سواء والأمانة ما عهد الله سبحانه إلى عباده من امره ونهيه وأنزل فيه الكتب وأرسل الرسل وأخذ عليه الميثاق والمعنى ان هذه الأمانة في جلالة موقعها وعظم شأنها لو قيست بالسموات والأرض والجبال وعورضت بها لكانت هذه الأمانة أرجح واثقل وزناً ومعنى قوله فأبين أن يحملنها ضعفن عن حملها كذلك وأشفقن منها لأن الشفقة ضعف القلب ولذلك صار كناية عن الخوف الذي يضعف عنده القلب ثم قال ان هذه الأمانة التي من صفتها انها اعظم من هذه الأشياء العظيمة تقلدها الإنسان فلم يحفظها بل حملها وضيّعها لظلمه على نفسه وجهله بمبلغ الثواب والعقاب عن ابي مسلم ﴿وثالثها﴾ انه على وجه التقدير لا انه اجري عليه لفظ الواقع لأن الواقع أبلغ من المقدر. معناه لو كانت السموات والأرض والجبال عاقلة ثم عرضت عليها الأمانة وهي وظائف الدين أصولا وفروعا وما ذكرناه من الأقاويل فيها بما فيها من الوعد والوعيد عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها وشدتها وقوتها ولامتنعت من حملها خوفا من القصور عن اداء حقّها ثم حملها الإنسان مع ضعف جسمه ولم يخف الوعيد لظلمه وجهله وعلى هذا يحمل ما روي عن ابن عباس انها عرضت على نفس السموات والأرض فامتنعت من حملها ﴿ورابعها﴾ ان معنى العرض والإباء ليس هو مايفهم بظاهر الكلام بل المراد تعظيم شأن الأمانة لا مخاطبة الجماد والعرب تقول سألت الربع وخاطبت الدار فامتنعت عن الجواب وانما هو اخبار عن الحال عبّر عنه بذكر الجواب والسؤال وتقول أتى فلان بكذب لا تحمله الجبال وقال سبحانه فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين وخطاب من لا يفهم لا يصح وقال الشاعر

فَأَجْهَشْتُ لِلْبُوبَاةِ حِينَ رَأَيْتُهُ ... وَكَبَّرَ لِلرَّحْمٰنِ حِينَ رَآنِي (١)
فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ الَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ ... بِجَنْبِكَ فِي خَفْضٍ وَطِيبِ زَمَانِ (٢)
فَقَالَ مَضَوْا وَاسْتَوْدَعُونِي بِلَادَهُمْ ... وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ

وقال آخر

فَقَالَ لِيَ الْبَحْرُ إِذْ جِئْتُهُ ... وَكَيْفَ يُجِيبُ ضَرِيرٌ ضَرِيرًا

فالأمانة على هذا ما اودع الله السماوات والأرض والجبال من الدلائل على وحدانيته وربوبيته فأظهرتها والإنسان الكافر كتمها وجحدها لظلمه وجهله وبالله التوفيق ولم يرد بقوله الإنسان جميع الناس بل هو مثل قوله ان الإنسان لفي خسر وان الانسان لربه لكنود وأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه والانبياء والأولياء والمؤمنون عن عموم هذه الآية خارجون ولا يجوز ان يكون الإنسان محمولا على آدم (ع) لقوله ان الله اصطفى آدم وكيف يكون من اصطفاه الله من بين خلقه موصوفا بالظلم والجهل ثم بيّن سبحانه الغرض الصحيح والحكمة البالغة في عرضه هذه الأمانة فقال (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) يعني بتضييع الأمانة قال الحسن هما اللذان حملاهما ظلما وجهلا (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) بحفظهم

← الامانات التي تخونها ولا تؤديها . وهذا أحد المعنيين في البيت والمعنى الاخر ماذكره المصنف (ره)

(١) نسب الابيات في الاغاني الى مجنون قوله «فاجهشت للبوباة» كذا في النسخ وأجهشت اى فرغت ، و البوباة : الفلاة و عقبة كؤد بطريق اليمن . لكن في امالي الشريف (ره) ج ٢ . ٣١٠ و معجم البلدان ج٢ :٥٥ ←

الأمانة ووفائهم وهذا هو الغرض بالتكليف عند من عرف المكلف والمكلف فالمعنى انا عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله ويظهر ايمان المؤمن فيتوب الله عليه إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات (وكان الله غفورا) أي ستاراً لذنوب المؤمنين (رحيما) بهم

سورة سبأ (مكية)

عدد آيها

خمس وخمسون آية شامي اربع في الباقون

اختلافها

آية عن يمين وشمال

فضلها

ابيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول إلا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا وروى ابن اذينة عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ الحمدين جميعا سبأ وفاطر في ليلة لم يزل ليلته في حفظ الله تعالى وكلائه فإن قرأهما في نهاره لم يصبه في نهاره مكروه واعطي من خير الدنيا وخير الآخرة ما لم يخطر على قلبه ولم يبلغ مناه

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الأحزاب ببيان الغرض في التكليف وانه سبحانه يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته افتتح هذه السورة بالحمد له على نعمته وكمال قدرته فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (٢) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٣) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٤) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ (خمس آيات)

القراءة

قرأ اهل المدينة والشام عالمُ الغيب بالرفع وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب بالجر واللام قبل الالف

و الا غانى ج ١ : ١٧٩ «للتوباذ» وقال فى المعجم انه جبل فى نجد . و يحتمل التصحيف (٢) و فى بعض النسخ «و طول زمان»

والباقون عالم الغيب بالجرّ وقرأ ابن كثير وحفص ويعقوب من رجز اليم هنا وفي الجاثية أيضا بالرفع والباقون بالجر

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الجر على قوله الحمد لله عالم الغيب وقال غيره عالم الغيب بالجر صفة لقوله وربي او بدل منه فأما الرفع فيجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هو عالم الغيب وان يكون ابتداء وخبره لا يعزب وعلام أبلغ من عالم والرجز العذاب بدلالة قوله لئن كشفت عنا الرجز وانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء فإذا كان العذاب يوصف باليم كما انه نفس العذاب جاز ان يوصف به والجرّ في اليم ابين لأنه إذا كان عذاب من عذاب اليم كان العذاب الاول اليما وإذا جرى الاليم على العذاب كان المعنى عذاب اليم من عذاب والأول اكثر فائدة

﴿ اللغة ﴾

الحمد هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم ونقيضه الذم وهو الوصف بالقبيح على جهة التحقير ثم ينقسم فمنه ما هو أعلى ومنه ما هو ادنى والأعلى ما يقع على وجه العبادة ولا يستحقها إلا الله سبحانه لأن احسان الله عزّ اسمه لا يوازيه احسان احد من المخلوقين ويستحق الحمد على الإحسان والانعام فلا يستحق احد من المخلوقين مثل ما يستحقه سبحانه والولوج الدخول والعروج الصعود والمعارج الدرج من هذا وعزب عنه يعزُب ويعزِب إذا بعد وفي الحديث من قرأ القرآن في اربعين ليلة فقد عزب اي بعد عهده بما ابتدأ منه وابطأ في تلاوته

-(الإعراب)-

ليجزي الذين آمنوا يتعلق بقوله لا يعزب

﴿ المعنى ﴾

(الحمد لله) معناه قولوا الحمد لله وهو تعريف الرجوب الشكر على نعم الله سبحانه وتعليم الكيفية الشكر (الذي له ما في السموات وما في الأرض) اي الذي يملك التصرف في جميع ما في السموات وجميع ما في الارض ليس لأحد الاعتراض عليه ولا منعه (وله الحمد في الآخرة) أي هو المستحق للحمد على افعاله الحسنى في الدارين لكونه منعما فيهما والآخرة وإن كانت ليست بدار تكليف فلا يسقط فيها الحمد والاعتراف بنعم الله تعالى بل العباد ملجأون إلى ذلك لمعرفتهم الضروري بنعم الله عليهم من الثواب والعوض وضروب التفضل ومن حمد اهل الجنة قولهم الحمد لله الذي هدانا لهذا والحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل انما يحمده اهل الجنة لا على جهة التعبد لكن على جهة السرور والتلذذ بالحمد ولا يكون بالحمد عليهم فيه تعب ولا مشقة وقيل يحمده اهل الجنة على نعمه وفضله ويحمده اهل النار على عدله (وهو الحكيم) في جميع افعاله لأنها كلها واقعة على وجه الحكمة (الخبير) بجميع المعلومات (يعلم ما يلج في الأرض) اي ما يدخل فيها من مطر او كنز أو ميت (وما يخرج منها) من زرع ونبات او جواهر أو حيوان (وما ينزل من السماء) من مطر او رزق او ملك (وما يعرج) اي يصعد (فيها) من الملائكة واعمال العباد فهو يجري جميع ذلك على تقدير تقتضيه الحكمة وتدبير توجبه المصلحة (وهو الرحيم) بعباده مع علمه بما يعملون من المعاصي فلا يعاجلهم بالعقوبة

ويمهلهم للتوبة (الغفور) اي الساتر عليهم ذنوبهم في الدنيا المتجاوز عنها في العقبى كما قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (وقال الذين كفروا) يعني منكري البعث والنشور (لا تأتينا الساعة) يعني القيامة (قل) لهم يا محمد (بلى وربي) اي وحق الله ربي الذي خلقني واوجدني (لتأتينكم) القيامة (عالم الغيب) يعلم كل شيء يغيب عن العباد علمه (لا يعزب عنه) أي لا يفوته (مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) بل هو عالم بجميع ذلك (ولا أصغر من ذلك ولا اكبر إلا في كتاب مبين) يعني اللوح المحفوظ وقد مضى هذا مفسرا في سورة يونس كذّب الله سبحانه في هذه الآية الكفار الجاحدة للبعث وبيّن ان القيامة آتية كائنة لا محالة وأمر رسوله ﷺ بأن يحلف على ذلك تأكيداً له ثم مدح نفسه بأنه يعلم ما غاب عن العباد علمه مما هو كائن او سيكون ولم يوجد بعد ثم قال (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي انما أثبت ذلك في الكتاب المبين ليكافئهم بما يستحقونه من الثواب على صالح أعمالهم (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم وسترها (ولهم) مع ذلك (رزق كريم) أي هنيء لا تنغيص فيه ولا تكدير وقيل هو الجنة عن قتادة (والذين سعوا في آياتنا معاجزين) أي والذين عملوا بجهدهم وجدّهم في ابطال حججنا وفي تزهيد الناس عن قبولها مقدرين اعجاز ربهم وظانين انهم يفوتونه وقيل معاجزين مسابقين ومعجزين مثبطين وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة الحج (أولئك لهم عذاب من رجز) اي سيء العذاب عن قتادة (اليم) أي مؤلم

النظم

وجه اتصال قوله عالم الغيب بما قبله انه سبحانه لما حكى عن المشركين ما يضاد الاقرار له بالربوبية والاعتراف بالنعمة من انكار القيامة ذكر بعده ان من يعلم أفعال العباد وما يستحقونه من الجزاء لو لم يجعل دارا أخرى يجازي فيها المحسن على احسانه والمسيء على اساءته وينتصف للمظلوم من الظالم كان ذلك خروجا عن موجب الحكمة

قوله تعالى (٦) وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ (٧) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٨) أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ (٩) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (اربع آيات)

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وخلف ان يشأ يخسف بهم الأرض أو يسقط بالياء في الجميع والباقون كل ذلك بالنون وادغم الكسائي وحده الفاء في الباء في يخسف بهم

الحجة

قال ابو علي حجة النون قوله ولقد آتينا داود فالنون أشبه بآتينا وحجة الياء قوله افترى على الله كذبا

فحمل على اسم الله تعالى قال وادغام الفاء في الباء لا يجوز لأن الفاء من باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا وانحدر الصوت به إلى الفم حتى اتصل بمخرج الثاء حتى جاء مثل الجدث والجدف والمغاثير والمغافير فتعاقبا للمقاربة بينهما فلما اتصلت بمخرج الثاء صارت بمنزلة حرف من تلك الحروف فلم يجز ادغامها في الباء لأنه إذا اتصل بما ذكرنا صار كحرف من ذلك الموضع فكما ان ذلك الحرف الذي اتصل بالفاء لا يدغم في الباء كذلك الفاء لا يدغم في الباء و كذلك لا يجوز ان يدغم الفاء في الباء لزيادة صوتها المتصل بحرف من حروف الفم

﴿ الاعراب ﴾

ويرى يحتمل ان يكون منصوبا عطفا على ليجزي ويحتمل ان يكون مرفوعا على الاستئناف والذي انزل اليك في موضع نصب لأنه مفعول يرى وهو فصل والحق مفعول ثان ايرى وقوله إذا مزقتم قال الزجاج إذا في موضع نصب بمزقتم ولا يجوز ان يعمل فيها جديد لأن ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها والتأويل هل ندلكم على رجل يقول لكم إذا مزقتم تبعثون ويكون إذا بمنزلة ان الجزاء يعمل فيها الذي يليها قال قيس ابن الخطيم

إِذَا قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنُضَارِبُ (١)

والمعنى يكن وصلها والدليل عليه جزم فنضارب ويجوز ان يكون العامل في إذا مضمراً يدل عليه انكم لفي خلق جديد ويكون المعنى هل ندلكم على رجل يقول لكم إذا مزقتم بعثتم قال ابو علي ان جعل موضع إذا نصبا بمزقتم لزم ان يحكم على موضعه بالجزم لأن إذا هذه لا يجوز ان ينتصب به حتى يقدر جزم الفعل الذي هو الشرط بها والجزم بها لا يسوغ ان يحمل عليه الكتاب لأن ذلك إنما يكون في ضرورة الشعر فإن حمل موضع إذا على انه نصب والفعل غير مقدر في موضعه الجزم لم يجز لأنه إذا لم يجازَ بها اضيفت إلى الفعل والمضاف اليه لا يعمل في المضاف ولا فيما قبله وموضع الفعل الواقع بعد إذا خفض فلما لم يجز زيدا غلام ضارب عندك تريد غلام ضارب زيدا عندك فكذلك لا يجوز ان يكون موضع إذا نصبا بمزقتم فالتقدير ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق بعثتم او نشرتم او ما اشبه ذلك من الأفعال التي يكون قوله انكم لفي خلق جديد دالاً عليه ومفسّراً له وان قدّر هذا الفعل قبل إذا كان سائغا فيكون التقدير ينبئكم فيقول لكم تبعثون إذا مزقتم كل ممزق ويكون جواب إذا على هذا التقدير مضمرا كأنه تبعثون إذا مزقتم كل ممزق بعثتم فيستغنى إذا عن اظهار الجواب إذا تقدّمها ما يدل عليه نحو انت ظالم ان فعلت وكذلك يحذف الشرط لدلالة الجزاء عليه إذا وقع بعد كلام غير واجب نحو الأمر والاستفهام وما اشبه ذلك فافهم ذلك فإنه فصل جليل الموقع في النحو استخرجته من كلام ابي علي . افترى اصله ءافترى دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فأسقطتها

=[المعنى]=

ثم ذكر سبحانه المؤمنين واعترافهم بما جحده من تقدّم ذكرهم من الكافرين فقال (ويرى الذين اوتوا العلم) اي ويعلم الذين اعطوا المعرفة بوحدانية الله تعالى وهم اصحاب محمد ﷺ عن قتادة وقيل هم المؤمنون من اهل الكتاب عن الضحاك وقيل هم كل من اوتي العلم بالدين وهذا اولى لعمومه (الذي انزل اليك من

(١) يعني ان قصرت أسيافنا نتدارك قصرها بخطواتنا الى الاعداء .

ربك) يعني القرآن (هو الحق) اي يعلمونه الحق لأنهم يتدبّرونه ويتفكّرون فيه فيعلمون بالنظر والاستدلال انه ليس من قبل البشر فهؤلاء لطف الله سبحانه لهم بما ادّاهم إلى العلم فكأنه سبحانه قد اتاهم العلم وقوله (ويهدي) اي ويعلمون انه يهدي الى القرآن ويرشد (إلى صراط العزيز الحميد) اي دين القادر الذي لا يغالب المحمود على جميع افعاله وهو الله تعالى وفي هذه الآية دلالة على فضيلة العلم وشرف العلماء وعظم اقدارهم ثم عاد سبحانه إلى الحكاية عن الكفار فقال (وقال الذين كفروا) اي بعضهم لبعض اوالقادة للأتباع على وجه الاستبعاد والتعجب (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا ﷺ (ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد) أي يزعم انكم تبعثون بعد ان تكونوا عظاما ورفاتا وترابا وهو قوله إذا مزقتم كل ممزق أي فرّقتم كل تفريق وقطعتم كل تقطيع وأكلتكم الأرض والسباع والطيور والجديد المستأنف المعاد والمعنى انكم يجدّد خلقكم بأن تنشروا وتبعثوا (افترى على الله كذبا) معناه هل كذب على الله متعمداً حين زعم انا نبعث بعد الموت وهو استفهام تعجب وانكار (أم به جنة) أي جنون فهو يتكلم بما لا يعلم ثم ردّ سبحانه عليهم قولهم فقال (بل) ليس الأمر على ما قالوا من الافتراء والجنون (الذين لا يؤمنون بالآخرة) اي هؤلاء الذين لا يصدّقون بالبعث والجزاء والثواب والعقاب (في العذاب) في الآخرة (والضلال البعيد) من الحق في الدنيا ثم وعظهم سبحانه ليعتبروا فقال (أفلم يروا) أي أفلم ينظر هؤلاء الكفار (إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) كيف احاطت بهم وذلك ان الإنسان حيث ما نظر رأى السماء والأرض قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يقدر على الخروج منها وقيل معناه أفلم يتدبروا ويتفكروا في السماء والأرض فيستدلّوا بذلك على قدرة الله تعالى ثم ذكر سبحانه قدرته على اهلاكهم فقال (ان نشأ نخسف بهم الأرض) كما خسفنا بقارون (او نسقط عليهم كسفا من السماء) اي قطعة من السماء تغطّيهم وتهلكهم (ان في ذلك لآية) معناه ان فيما ترون من السماء والأرض لدلالة على قدرة الله على البعث وعلى ما يشاء من الخسف بهم (لكل عبد منيب) أناب إلى الله ورجع إلى طاعته أفلا يرتدع هؤلاء عن التكذيب بآيات الله والانكار لقدرته على البعث

قوله تعالى (١٠) وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١١) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٢) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٣) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٤) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (خمس آيات)

القراءة

قرأ يعقوب وعبيد بن عمير والاعرج والطير بالرفع وقرأ سائر القراء والطير بالنصب وقرأ ابوبكر ولسليمان

الريحُ بالرفع والباقون بالنصب وقرأ ابن كثير وابو عمرو كالجوابي بالياء في الوصل إلا ابن كثير وقف بياء وابو عمرو بغير ياء والباقون بغير ياء في الوصل والوقف وقرأ اهل المدينة وابو عمرو وابن فليح وزيد عن يعقوب منسأته بغير همز وقرأ ابن عامر منسأته بهمزة ساكنة والباقون بهمزة مفتوحة وقرأ يعقوب تَبَيَّنَت الجن بضم التاء والباء وكسر الياء والباقون تَبَيَّنَت بفتح الجميع وفي الشواذ قراءة ابن عباس والضحاك تبينت الانس وهو قراءة علي بن الحسين زين العابدين «ع» وابي عبد الله «ع»

﴿ الحجة ﴾

قال الزجاج اما الرفع في والطير ففيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون نسقا على الياء في اوّبي المعنى يا جبال رجعي التسبيح انت معه والطير ﴿ والآخر ﴾ ان يكون معطوفا على لفظ جبال التقدير يا جبال والطير واما النصب فيه ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ ان يكون عطفا على فضلا أي آتينا داود منا فضلا والطير بمعنى وسخرنا له الطير حكى ذلك ابو عبيدة عن ابي عمرو بن العلاء ﴿ والثاني ﴾ ان يكون نصبا على النداء ويكون معطوفا على محل جبال كأنه قال ادعو الجبال والطير ﴿ والثالث ﴾ ان يكون منصوبا على معنى مع والمعنى اوبي معه ومع الطير قال ابو علي من قرأ ولسليمان الريحَ بالنصب حمله على التسخير في قوله فسخّرنا له الريح تجري بأمره ويقوّي ذلك قوله ولسليمان الريح عاصفة ووجه الرفع ان الريح إذا سخرت لسليمان جاز أن يقال له الريح على معنى له تسخير الريح فللرفع على هذا يؤول إلى معنى النصب لأن المصدر المقدر في تقدير الاضافة إلى المفعول به قال والقياس في الجوابي ان يثبت الياء مع الالف واللام وانما وقف ابو عمرو بغير ياء لأنه فاصلة اي مشبّه بها من حيث تمّ الكلام ومن حذف الياء في الوصل والوقف فلأن هذا النحو قد يحذف كثيراً والقياس في همزة منسأته إذا خففت الهمزة منها أن تجعل بين بين إلا انهم خففوا همزتها على غير القياس قال الشاعر انشده ابو الحسن

إِذَا دَبَبْتَ عَلَى الْمِنْسَاةِ مِنْ هَرَمٍ ... فَقَدْ تَبَاعَدَ عَنْكَ اللَّهْوُ وَالْغَزَلُ (١)

واما قوله تبينت الانس فمعناه تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وهكذا هو في مصحف عبد الله ويؤول إلى هذا المعنى قراءة يعقوب تَبَيَّنَت الجن

﴿ اللغة ﴾

التأويب الترجيع بالتسبيح قال سلامة بن جندل

يَوْمَانِ يَوْمُ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ ... وَيَوْمُ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيبِ (٢)

اي رجوع بعد رجوع والسابغ التام من اللباس وسرد الحديد نظمه قال الشاعر

عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي دِلَاصٌ حَصِينَةٌ ... أَجَادَ الْمَسْدِيِّ سَرْدَهَا وَأَذَالَهَا (٣)

وقال ابو ذؤيب

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا ... دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ (٤)

وهو مأخوذ من سرد الكلام يسرد سردا إذا تابع بين بعض حروفه وبعض قال المبرد لا يسمى محرابا إلا ما يرتقى اليه بدرج قال عدي بن زيد

كَدُمَى الْعَاجِ فِي الْمَحَارِيبِ أَوْ كَالْبِيـ ... ضِ فِي الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ (٥)

وقال وضاح اليمن

(١) دبّ الشيخ: مشى مشيا رويدا. والمنساة: العصا. (٢) وقبل هذا البيت قوله: «ان الشباب الذي مجدّ عواقبه ... فيه ملذّ ولا لذات للشيب» فسّر الشاعر العواقب بقوله: «يومان» و الاندية بمعنى الافنية واراد بها اماكن اللهو التي يعرف فيها الشبان شبابهم. و«تأويب» صفة سير (٣) قائله كثير من قصيدة يمدح فيها عبد الملك بن مروان. وابن أبي ←

رَبَّةِ مِحْرَابٍ إِذَا جِئْتُهَا لَمْ أَلْقَهَا أَوْ أَرْتَقِي سُلَّمَا (١)

والتماثيل صور الأشياء واحدها تمثال واصلها من المثول وهو القيام كأنه نصب قائما ومنه الحديث من سره ان يمثل له الناس فليتبوء مقعده من النار والجوابي جمع جابية وهي الحوض العظيم يجبى فيه الماء قال الاعشى

تَرُوحُ عَلَى آلِ الْمُحَلَّقِ جَفْنَةٌ كَجَابِيَةِ الشَّيْخِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ (٢)

والمنسأة العصا الكبيرة التي يسوق بها الراعي غنمه مفعلة من نسأت الناقة والبعير إذا زجرته

﴿ الاعراب ﴾

ان اعمل سابغات ان هاهنا في تأويل التفسير والقول وهي تدعى المفسرة بمعنى اي كأنه قيل وألنّا له الحديد أي اعمل سابغات والتقدير قلنا له اعمل ويكون في معنى لأن يعمل وانما تصل ان هذه بلفظ الأمر ومثله في الكلام ارسل اليه ان قم إلى فلان وقدر مفعوله محذوف أي قدر الحلق والمسامير وقوله غدوّها شهر ورواحها شهر في موضع نصب على الحال والتقدير غدوّها مسيرة شهر ورواحها كذلك فحذف المضاف والعامل في الحال معنى التسخير في قوله ولسليمان الريح ومن يعمل في موضع نصب على تقدير وسخرنا من الجن من يعمل شكرا يجوز ان يكون مفعول اعملوا على تقدير اشكروا شكرا كما تقول احمد الله شكرا فيكون مفعولا مطلقا وهو المصدر ويجوز ان يكون مفعولا له ومفعول اعمل محذوف وتقديره اعملوا الطاعة شكرا وقوله ان لو كانوا يعلمون الغيب ان هذه مخففة من الثقيلة على تقدير انهم لو كانوا يعلمون الغيب قال ابو علي والتقدير فلما خرّ تبيّن امر الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب فحذف المضاف فإنّ لو كانوا بدل من الجن ولفظ تبيّن هنا لازم غير متعدّ مثله في قوله وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم وقوله فلما تبيّن له قال أعلم ان الله على كل شيء قدير والمعنى فلما خرّ انكشف للانس امر الجن من جهلهم بالغيب وذلك لأن الجن ما ادّعوا علم الغيب وانما اعتقد الانس فيهم انهم يعلمون الغيب فأبطل الله عقيدتهم فيهم بموت سليمان

﴿ المعنى ﴾

لمّا تقدّم ذكر عباد الله المنيبين اليه وصله سبحانه بذكر داود وسليمان فقال (ولقد آتينا داود منا فضلا) معناه ولقد اعطينا داود من عندنا نعمة واحسانا اي فضّلناه على غيره بما اعطيناه من النبوة والكتاب وفصل الخطاب والمعجزات ثم فصّل سبحانه ما اعطاه فقال (يا جبال اوّبي معه والطير) أي قلنا للجبال يا جبال سبّحي معه إذا سبّح عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد قالوا امر الله الجبال ان تسبّح معه إذا سبّح فسبحت معه وتأويله عند أهل اللغة رجعي معه التسبيح من آب يؤوب ويجوز ان يكون سبحانه فعل في الجبال ما يأتي به منها التسبيح معجزا له واما الطير فيجوز ان يسبّح ويحصل له من التمييز ما يتأتى منه ذلك بأن يزيد الله في فطنته فيفهم ذلك وقيل معناه سيّري معه فكانت الجبال والطير تسير معه اينما سار وكان ذلك معجزا له عن الجبائي والتأويب السير بالنهار وقيل معناه ارجعي إلى مراد داود فيما يريده من حفر بئر واستنباط عين واستخراج معدن ووضع طريق (وألنّا له الحديد) فصار في يده كالشمع يعمل به ما شاء من غير ان يدخله النار ولا ان يضربه بالمطرقة عن قتادة (ان اعمل سابغات) أي قلنا له اعمل من الحديد دروعاً تامات وانما ألان الله تعالى الحديد لداود لأنه احبّ أن يأكل من كسب يده فألان الحديد له وعلّمه صنعة الدرع وكان اول من اتّخذها وكان يبيعها ويأكل من ثمنها ويطعم عياله ويتصدق منه وروي عن الصادق «ع» قال ان الله أوحى إلى داود «ع» نعم العبد أنت إلا انك تأكل من بيت المال فبكى داود اربعين صباحا فألان الله له الحديد وكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بألف درهم فعمل ثلاثمائة وستين درعا فباعها بثلاثمائة وستين الفاً فاستغنى عن بيت المال (وقدّر في السرد) اي عدل في نسج الدروع ومنه قيل لصانعها سراد وزراد والمعنى لا تجعل المسامير دقاقا فتفلق ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل السرد المسامير

← العاصي هو عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي . ودلاص : وصف للدرع اللينة ، والحصينة : المحكمة المتدانية الحلق يكون صاحبها في حصن مما يصيبه و سدى الدرع : نسجها ، واذال الدرع : أطال ذيلها (٤) من قصيدة قالها في رثاء ابنه وقدمر البيت في ج ٢: ٣٠٩ (٥) دمى العاج الاصنام .

(١) يعني انسانا في مكان مرتفع لا يمكنه اتيانها الا ... (٢) البيت من قافيته التي قالها في مدح الحلة ...

التي في حلق الدروع عن قتادة حكي ان لقمان حضر داود عند اول درع عملها فجعل يتفكر فيها ولا يدري مايريد ولم يسأله حتى فرغ منها ثم قام فلبسها وقال نعم جنة الحرب هذه فقال لقمان عند ذلك الصمت حكمة وقليل فاعله (واعملوا صالحا) أي وقلنا اعمل انت وأهلك الصالحات وهي الطاعات شكراً لله سبحانه على عظيم نعمه (إني بما تعملون بصير) أي أنا عالم بما تفعلونه لا يخفى عليَّ شيء من اعمالكم ثم ذكر سبحانه سليمان وما اتاه من الفضل والكرامة فقال (ولسليمان الريح) اي وسخَّرنا لسليمان الريح (غدوّها شهر ورواحها شهر) أي مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير رواح تلك الريح مسيرة شهر والمعنى انها كانت تسير في اليوم مسيرة شهرين للراكب قال قتادة كان يغدو مسيرة شهر إلى نصف النهار ويروح مسيرة شهر إلى آخر النهار وقال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر من ارض اصفهان وبينهما مسيرة شهر للمسرع ويروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر تحمله الريح مع جنوده اعطاه الله الريح بدلا من الصافنات الجياد (واسلنا له عين القطر) اي أذبنا له عين النحاس واظهرناها له قالوا أجريت له عين الصفر ثلاثة ايام بلياليهن جعلها الله له كالماء وانما يعمل الناس بما اعطي سليمان منه (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه) المعنى وسخَّرنا له من الجن من يعمل له بحضرته وأمام عينه ما يأمرهم به من الاعمال كما يعمل الآدمي بين يدي الآدمي بأمر ربه تعالى وكان يكلفهم الاعمال الشاقة مثل عمل الطين وغيره وقال ابن عباس سخَّرهم الله لسليمان وامرهم بطاعته فيما يأمرهم به وفي هذا دلالة على انه قد كان من الجن من هو غير مسخَّر له (ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير) المعنى ومن يعدل من هؤلاء الجن الذين سخَّرناهم لسليمان عما امرناهم به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير اي عذاب النار في الآخرة عن اكثر المفسرين وفي هذا دلالة على انهم قد كانوا مكلفين وقيل معناه نذيقه العذاب في الدنيا وان الله سبحانه وكَّل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه ضربة احرقته (يعملون له ما يشاء من محاريب) وهي بيوت الشريعة وقيل هي القصور والمساجد يتعبد فيها عن قتادة والجبائي قال وكان مما عملوه بيت المقدس وقد كان الله عزّ وجل سلَّط على بني اسرائيل الطاعون فهلك خلق كثير في يوم واحد فأمرهم داود ان يغتسلوا ويبرزوا إلى الصعيد بالذراري والاهلين ويتضرعون إلى الله لعله يرحمهم وذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد وارتفع داود فوق الصخرة فخرَّ ساجداً يبتهل إلى الله سبحانه وسجدوا معه فلم يرفعوا رؤوسهم حتى كشف الله عنهم الطاعون فلما ان شفَّع الله داود في بني اسرائيل جمعهم داود بعد ثلاث وقال لهم ان الله تعالى قد منَّ عليكم ورحمكم فجدِّدوا له شكراً بأن تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم فيه مسجداً ففعلوا واخذوا في بناء بيت المقدس وكان داود ينقل الحجارة لهم على عاتقه وكذلك خيار بني اسرائيل حتى رفعوه قامة ولداود يومئذ سبع وعشرون ومائة سنة فأوحى الله إلى داود ان تمام بنائه يكون على يدي ابنه سليمان فلما صار داود ابن اربعين ومائة سنة توفاه الله واستخلف سليمان فأحبَّ اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسَّم عليهم الاعمال يخصّ كل طائفة منهم بعمل فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها[1] الأبيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة من الرخام والصفّاح[2] وجعلها اثني عشر رَبَضاً[3] وأنزل كل ربض منها سبطا من الاسباط ولما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجَّه الشياطين فرقاً فرقة يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها وفرقة يقلعون الجواهر والاحجار من اماكنها وفرقة يأتون بالمسك والعنبر وسائر الطيب وفرقة يأتون بالدر من البحار فأوتي من ذلك بشيء لا يحصيه إلا الله تعالى ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الاحجار حتى صيَّروها الواحا ومعالجة تلك الجواهر واللآلئ قال وبنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض والاصفر والاخضر وعمده بأساطين المها الصافي وسقفه بألواح الجواهر وفضض سقوفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت والجواهر وبسط ارضه بألواح الفيروزج فلم يكن في الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة

الكلابي وبناته وصارت سبب تزويج الناس بهنّ وفناء المحلق بعد فقره في قصة ذكر هافي جامع الشواهد، باب الهاء بعده الشين وفي مقدمة المعلقات العشر في ترجمة الاعشى ميمون فراجع ، والبعفنة : القصعة الكبيرة و«تفهق» من الفهق بمعنى الاتساع و الامتلاء ، قال ابن منظور : خصّ العراقي لجهله بالنباء لانه حضري فاذا وجد هاملا جاء بيته

البدر فلما فرغ منه جمع اليه احبار بني اسرائيل فأعلمهم انه بناه الله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيدا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزا بخت نصر بني اسرائيل فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد واخذ ما في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقيت والجواهر فحملها إلى دار مملكته من أرض العراق قال سعيد بن المسيب لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت ابوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتى قال في دعائه بصلوات ابي داود الا فتحت الابواب ففتحت ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قراء بني اسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار فلا تأتي ساعة من ليل ولا نهار الا ويعبد الله فيها (وتماثيل) يعني صورا من نحاس وشبه[1] وزجاج ورخام كانت الجن تعملها ثم اختلفوا فقال بعضهم كانت صور الحيوانات وقال آخرون كانوا يعملون صور السباع والبهائم على كرسيه ليكون اهيب له فذكروا انهم صوّروا اسدين اسفل كرسيه ونسرين فوق عمودي كرسيه فكان إذا أراد ان يصعد الكرسي بسط الاسدان ذراعيهما وإذا علا على الكرسي نشر النسران اجنحتهما فظلّلاه من الشمس ويقال ان ذلك كان مما لا يعرفه أحد من الناس فلما حاول بخت نصر صعود الكرسي بعد سليمان حين غلب على بني اسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان فرفع الاسد ذراعيه فضرب ساقه فقدّها فوقع مغشيا عليه فما جسر احد بعده ان يصعد ذلك الكرسي قال الحسن ولم تكن يومئذ التصاوير محرمة وهي محظورة في شريعة نبينا ﷺ فإنه قال لعن الله المصوّرين ويجوز ان يكره ذلك في زمن دون زمن وقد بيّن الله سبحانه ان المسيح كان يصوّر بأمر الله من الطين كهيئة الطير وقال ابن عباس كانوا يعملون صور الانبياء والعبّاد في المساجد ليقتدى بهم وروي عن الصادق «ع» انه قال والله ما هي تماثيل النساء والرجال ولكنه الشجر وما اشبهه (وجفان كالجواب) أي صحاف كالحياض التي يجبى فيها الماء أي يجمع وكان سليمان (ع) يصلح طعام جيشه في مثل هذه الجفان فإنه لم يمكنه ان يطعمهم في مثل قصاع الناس لكثرتهم وقيل انه كان يجمع على كل جفنة الف رجل يأكلون بين يديه (وقدور راسيات) أي ثابتات لا يزلن عن امكنتهن لعظمهن عن قتادة وكانت باليمن وقيل كانت عظيمة كالجبال يحملونها مع انفسهم وكان سليمان يطعم جنده ثم نادى سبحانه آل داود وأمرهم بالشكر على ما أنعم به عليهم من هذه النعمة العجيبة لأن نعمته على سليمان نعمة عليهم فقال (اعملوا آل داود شكرا) اي قلنا لهم يا آل داود اعملوا بطاعة الله شكرا له على ما آتاكم من النعم عن مجاهد وفي هذا دلالة على وجوب شكر النعمة وانّ الشكر طاعة المنعم وتعظيمه وفيه اشارة ايضا إلى ان لقرابة أنبياء الله تعالى اثرا في القرب إلى رضى الله حين خصّ آل داود بالأمر (وقليل من عبادي الشكور) والفرق بين الشكور والشاكر ان الشكور من تكرر منه الشكر والشاكر من وقع منه الشكر قال ابن عباس أراد به المؤمن الموحد وفي هذا دلالة على ان المؤمن الشاكر يقلّ في كل عصر (فلما قضينا عليه الموت) أي فلما حكمنا على سليمان بالموت وقيل معناه اوجبنا على سليمان الموت (ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) أي ما دلّ الجن على موته إلا الأرضة ولم يعلموا موته حتى أكلت عصاه فسقط فعلموا انه ميت وقيل ان سليمان كان يعتكف في مسجد بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقلّ واكثر يدخل فيه طعامه وشرابه ويتعبّد فيه فلما كان في المرة التي مات فيها لم يكن يصبح يوما إلا وتنبت شجرة كان يسألها سليمان فتخبره عن اسمها ونفعها وضرّها فرأى يوما نبتا فقال ما اسمك قال الخرنوب قال لأيّ شيء أنت قال للخراب فعلم انه سيموت فقال اللهم عمِّ على الجن موتي ليعلم الانس انهم لا يعلمون الغيب وكان قد بقي من بنائه سنة وقال لأهله لا تخبروا الجن بموتي حتى يفرغوا من بنائه ودخل محرابه وقام متكئا على عصاه فمات وبقي قائما سنة وتمّ البناء ثم سلّط الله على منسأته الأرضة حتى اكلتها فخرّ ميتا فعرف الجن موته وكانوا يحسبونه حيا لما كانوا يشاهدون من طول قيامه قبل ذلك وقيل ان في إماتته قائما وبقائه كذلك اغراضا منها اتمام البناء ومنها ان يعلم الانس ان الجن لا تعلم الغيب وانهم في ادّعاء ذلك كاذبون

واعدها ولم يدر متى يجد الماء و اما البدوى فهو عالم بالمياه فهو لا يبالى ان يعدها و قال بعض لكثرة الماء في العراق فحياضهم واسعة ،ويروى« كجابية السيح»وهو الماء الجارى (١) المهاجمع المهاة:البلور . (٢)الصفاح : الحجارة العريضة الرقيقة . (٣)الربض : سور المدينة . الناحية كل مايؤوى اليه ويستراح لديه من مال وبيت ونحوه .

(١) الشبه : النحاس الاصفر .

ومنها ان يعلم ان من حضر اجله فلا يتأخر إذ لم يؤخر سليمان مع جلالته وروي انه اطلعه الله سبحانه على حضور وفاته فاغتسل وتحنط وتكفن والجن في عملهم وروى ابو بصير عن ابي جعفر (ع) قال ان سليمان امر الشياطين فعملوا له قبة من قوارير فبينا هو قائم متكئ على عصاه في القبة ينظر إلى الجن كيف يعملون وهم ينظرون اليه ولا يصلون اليه إذا رجل معه في القبة فقال من أنت فقال انا الذي لا اقبل الرشى ولا أهاب الملوك فقبضه وهو قائم متكئ على عصاه في القبة قال فمكثوا سنة يعملون له حتى بعث الله الارضة فأكلت منسأته وفي حديث آخر من ابي عبد الله (ع) قال فكان آصف يدبّر أمره حتى دبّت الارضة (فلما خرّ) اي سقط سليمان ميتا (تبينت الجن) اي ظهرت الجن فانكشف للناس (ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) معناه في الاعمال الشاقة وانما سمّاها عذابا للمشاق التي فيها لا انه كان عذابا فليس ذلك إلا ان يكون عبادة له او بمنزلة ما يعوضون عليه أي ما عملوا مسخرين لسليمان وهو ميت وهم يظنون انه حيّ وقيل ان المعنى تبينت عامة الجن وضعفتهم ان روساءهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يوهمونهم انهم يعلمون الغيب وقيل معناه تبينت الانس ان الجن كانوا لا يعلمون الغيب فإنهم كانوا يوهمون الإنس انا نعلم الغيب وإنما قال تبينت الجن كما يقول من يناظر غيره ويلزمه الحجة هل تبين لك انك على باطل وعلى هذا تدل قراءة من قرأ تبينت الانس وقد مضى بيانه وذكر أهل التاريخ ان عمر سليمان كان ثلاثا وخمسين سنة مدة ملكه منها اربعون سنة وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه والله اعلم وأما الوجه في عمل الجن تلك الاعمال العظيمة فهو ان الله تعالى زاد في اجسامهم وقوتهم وغيّر خلقهم عن خلق الجن الذين لا يرون لطافتهم ورقة اجسامهم على سبيل الاعجاز الدال على نبوة سليمان فكانوا بمنزلة الأسراء في يده وكانوا تتهيأ لهم الاعمال التي كان يكلفها إياهم ثم لما مات «ع» جعل الله خلقهم على ما كانوا عليه فلا يتهيأ لهم في هذا الزمان شيء من ذلك

قوله تعالى (١٥) لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٦) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٧) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٨) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٩) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (خمس آيات)

القراءة

قرأ مسكنهم على التوحيد بفتح الكاف حمزة وحفص وبكسر الكاف الكسائي وخلف والباقون مساكنهم على الجمع وقرأ أكل خمط مضاف غير منوّن اهل البصرة وقرأ الباقون غير مضاف بالتنوين وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر ويعقوب وهل نجازي بالنون وكسر الزاي الا الكفور بالنصب وادغم الكسائي اللام من هل في النون وغيره لم يدغم والباقون يجازي بالياء وفتح الزاي والكفور بالرفع وقرأ ابو عمرو وابن كثير وهشام بَعِّدْ بين اسفارنا بالتشديد على لفظ الامر وقرأ يعقوب و سهل ربنا بالضم باعد بالالف وفتح الباء والعين والدال مخففة وهو قراءة محمد بن علي الباقر «ع» وابن عباس وقرأ الباقون ربنا بالنصب باعد بالالف على الدعاء. وفي الشواذ قراءة ابن يعمر ومحمد بن

السميفع ربنا بالنصب بَعُدَ بفتح الباء والدال وضم العين بين اسفارنا بالرفع

الحجة

قال ابو علي من قرأ مساكنهم أتى باللفظ وفقا للمعنى لأن لكل ساكن مسكنا ومن قرأ مسكنهم فيشبه ان يكون جعل المسكن مصدرا وحذف المضاف والتقدير في مواضع سكناهم فلما جعل المسكن كالمسكنى والسكون افرد كما يفرد المصدر وهذا اشبه من ان تحمله على نحو كلوا في بعض بطنكم(١) وعلى هذا قوله تعالى في مقعد صدق اي في موضع قعود الا ترى ان لكل واحد من المتقين موضع قعود والاشبه في الكاف الفتح لأن اسم المكان والمصدر من باب يفعل على المفعل وقد يشذ على القياس نحو هذا كما جاء المسجد وسيبويه يحمله على اسم البيت وكذلك المطلم الا ان ابا الحسن يقول ان المسكن إذا كسرته لغة كثيرة وهي لغة الناس اليوم والفتح لغة اهل الحجاز فأما الاضافة في أكل خمط فإن ابا عبيدة قال الخمط كل شجرة مرة ذات شوكة والأكل الجنى فعلى هذا التفسير تحسن الاضافة وذلك ان الاكل اذا كان الجنى فإن جنى كل شجرة منه زغير الاضافة ليس في حسن الاضافة لأن الخمط إنما هو اسم شجرة وليس بوصف فإذا لم يكن وصفا لم يجر على ما قبله كما يجري الوصف على الموصوف والبدل ليس بالسهل ايضاً لأنه ليس هو هو ولا بعضه لأن الجنى من الشجر وليس الشجر من الجنى فيكون اجراؤه عليه على وجه عطف البيان كأنه بيّن ان الجنى لهذا الشجر ومنه قال ابو الحسن الأحسن في كلام العرب ان يضيفوا ما كان من نحو هذا مثل دار آجر وثوب خز قال فأكل خمط قراءة كثيرة وليست بجيدة في العربية وحجة من قرأ وهل نجازي بالنون قوله جزيناهم ومن قرأ يجازى على بناء الفعل للمفعول فإن المجازي ايضا هو الله تعالى وانما خصّ الكفور بالجزاء لأن المؤمن قد يكفر عن سيئاته قال سبحانه ونتجاوز عن سيئاتهم وقال ان الحسنات يذهبن السيئات وليس كذلك الكافر فإنه يجازى بكل سوء يعمله واما ادغام الكسائي اللام في النون فجائز حكاه سيبويه والبيان احسن واما قوله ربنا باعد بين اسفارنا فذكر سيبويه ان فاعل وفعل يجيئان بمعنى كقولهم ضاعف وضعف وقارب وقرب واللفظان جميعا على معنى الطلب والدعاء قال ابن جني بين منصوب نصب المفعول به اي بعد وباعد مسافة اسفارنا وليس نصبه على الظرف يدلك على ذلك قراءة من قرأ بعد بين اسفارنا كما تقول بعد مدى اسفارنا فرفعه دليل كونه اسما وعليه قوله

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بِئْرٍ ... بَعِيدٌ بَيْنَ جَالَيْهَا جَرُورِ(٢)

اي بعيد مدى جاليها أو مسافة جاليها

اللغة

العرم المسناة التي تحبس الماء واحدها عرمة أخذ من عرامة الماء وهي ذهابه كل مذهب قال الاعشى

فَفِي ذَاكَ لِلْمُؤْتَسِي أُسْوَةٌ ... وَمَأْرِبُ قَفَّى عَلَيْهِ الْعَرِمْ(٣)

رُخَامٌ بَنَتْهُ لَهُ حِمْيَرٌ ... إِذَا جَاءَ مَاؤُهُمُ لَمْ يَرِمْ(٤)

وقيل العرم اسم واد كان يجتمع فيه سيول من أودية شتى وقيل العرم هنا اسم الجُرَذ الذي نقب السِكْر(٥) عليهم وهو الذي يقال له الخُلْد وقيل العرم المطر الشديد

الاعراب

آية اسم كان. جنتان رفع على انه بدل من آية ويجوز ان يكون خبرا لمبتدأ محذوف كأنه قيل ما الآية فقال الآية جنتان وعن يمين وشمال صفة لجنتان وعلى هذا تقف على قوله آية وتبتدئ بقوله جنتان. كلوا من رزق ربكم اي يقال كلوا من رزق ربكم منهما فحذف العائد من الصفة إلى الموصوف كما حذف القول. بلدة طيبة تقديره

(١) هذا جزء بيت وتمامه «كلوا في بعض بطنكم تعفوا» فان زمانكم زمن خميص» قوله «تعفوا» اى تعفوا عن السؤال وزمن خميص : ذو مجاعة . (٢) الاشطان جمع الشطن: الحبل الطويل يستقى به و الجال : جدار البئر . و بئر جرور : بعيدة القعر . (٣) مأرب: موضع وقفى عليه العرم اى ذهب به السيل (٤) الرخام: حجر ابيض سهل رخو ولم يرم اى لم ←

هذه بلدة طيبة والله رب غفور

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن قصة سبأ بما دلّ على حسن عاقبة الشكر وسوء عاقبة الكفر فقال (لقد كان لسبأ) وهو ابو عرب اليمن كلها وقد تسمى به القبيلة وفي الحديث عن فروة بن مسيك انه قال سألت رسول الله ﷺ عن سبأ أرجل هو ام امرأة فقال هو رجل من العرب ولد له عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة فأما الذين تيامنوا فالازد وكندة ومذحج والاشعرون وانمار وحمير فقال رجل من القوم ما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة واما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسان فالمراد بسبأ هاهنا القبيلة الذين هم اولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (في مسكنهم) اي في بلدهم (آية) اي حجة على وحدانية الله عزّ اسمه وكمال قدرته وعلامة على سبوغ نعمه ثم فسّر سبحانه الآية فقال (جنتان عن يمين وشمال) أي بستانان عن يمين من أتاهما وشماله وقيل عن يمين البلد وشماله وقيل انه لم يرد جنتين اثنتين والمراد كانت ديارهم على وتيرة واحدة إذ كانت الساتين عن يمينهم وشمالهم متصلة بعضها ببعض وكان من كثرة النعم ان المرأة كانت تمشي والمكتل على رأسها فيمتلئ بالفواكه من غير ان تمس بيدها شيئا وقيل الآية المذكورة هي انه لم يكن في قريتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وكان الغريب إذا دخل بلدهم وفي ثيابه قمل ودواب ماتت من ابن زيد وقيل ان المراد بالآية خروج الأزهار والثمار من الاشجار على اختلاف الوانها وطعومها وقيل انما كانت ثلاث عشرة قرية في كل قرية نبيّ يدعوهم إلى الله سبحانه يقولون لهم (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) أي كلوا مما رزقكم الله في هذه الجنان واشكروا له يزيدكم من نعمه واستغفروه يغفر لكم (بلدة طيبة) اي هذه بلدة مخصبة نزهة ارضها عذبة تخرج النبات وليست بسبخة وليس فيها شيء من الهوام المؤذية قيل اراد به صحة هواها وعذوبة مائها وسلامة تربتها وانه ليس فيها حرّ يؤذي في القيظ ولا برد يؤذي في الشتاء (ورب غفور) اي كثير المغفرة للذنوب (فأعرضوا) من الحق ولم يشكروا الله سبحانه ولم يقبلوا ممن دعاهم إلى الله من انبيائه (فأرسلنا عليهم سيل العرم) وذلك ان الماء كان يأتي أرض سبا من أودية اليمن وكان هناك جبلان يجتمع ماء المطر والسيول بينهما فسدّوا ما بين الجبلين فإذا احتاجوا إلى الماء نقبوا السدّ بقدر الحاجة فكانوا يسقون زروعهم وبساتينهم فلما كذّبوا رسلهم وتركوا امر الله بعث الله جرذا نقبت ذلك الردم وفاض الماء عليهم فأغرقهم عن وهب وقد مرّ تفسير العرم وقال ابن الاعرابي العرم السيل الذي لا يطاق (وبدّلناهم بجنتيهم) اللتين فيهما أنواع الفواكه والخير بدل (جنتين) أخراوين سمّاها جنتين لازدواج الكلام كما قال ومكروا ومكر الله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه (ذواتي اكل خمط واثل) اي صاحبتي اكل وهو اسم لثمر كل شجرة وثمر الخمط البرير قال ابن عباس والخمط هو الاراك وقيل هو شجر النضا وقيل هو كل شجر له شوك والاثل الطرفاء عن ابن عباس وقيل ضرب من الخشب عن قتادة وقيل هو السمر (وشيء من سدر قليل) يعني ان الاثل والخمط كانا اكثر فيهما من السدر وهو النبق قال قتادة كان شجرهم خير شجر فصيّره الله شرّ شجر بسوء اعمالهم (ذلك) أي ما فعلنا بهم (جزيناهم بما كفروا) أي بكفرهم (وهل نجازي) بهذا الجزاء (إلا الكفور) الذي يكفر نعم الله وقد استدل الخوارج بهذا على ان مرتكب الكبيرة كافر وهذا الاستدلال غير سديد من حيث انه سبحانه إنما بيّن بذلك انه لا يجازي بهذا النوع من العذاب الذي هو الاستئصال إلا الكافر ويجوز ان يعذّب الفاسق بغير ذلك العذاب وقيل ان معناه هل نجازي بجميع سيئاته إلا الكافر لأن المؤمن قد يكفّر عنه بعض سيئاته وقيل ان المجازاة من التجازي وهو التقاضي أي لا يقتضي ولا يرتجع ما أعطى إلا الكافر وانهم لما كفروا النعمة اقتضوا ما اعطوا اي ارتجع منهم عن ابي مسلم (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة) اي وقد كان من قصتهم انا جعلنا بينهم

يزل عن مكانه . (٥) الجرذ كصرد: ضرب من الفار . والسكر : اسم من سكر النهر اى سده .

وبين قرى الشام التي باركنا فيها بالماء والشجر قرى متواصلة وكان متجرهم من أرض اليمن إلى الشام وكانوا يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى حتى يرجعوا وكانوا لا يحتاجون إلى زاد من وادي سبأ إلى الشام ومعنى الظاهرة ان الثانية كانت ترى من الأولى لقربها منها (وقدرنا فيها السير) أي جعلنا السير من القرية إلى القرية مقدارا واحدا نصف يوم وقلنا لهم (سيروا فيها) أي في تلك القرى (ليالي وأياما) أي ليلا شئتم المسير او نهارا (آمنين) من الجوع والعطش والتعب ومن السباع وكل المخاوف وفي هذا اشارة إلى تكامل نعمه عليهم في السفر كما انه كذلك في الحضر ثم اخبر سبحانه انهم بطروا وبغوا فقالوا (ربنا باعد بين اسفارنا) اي اجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب اليها الرواحل ونقطع المنازل وهذا كما قالت بنو اسرائيل لما ملوا النعمة أخرج الينا مما تنبت الأرض من بقلها بدلا من المن والسلوى (وظلموا أنفسهم) بارتكاب المعاصي والكفر (فجعلناهم أحاديث) لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم ويضربون بهم المثل فيقولون تفرقوا ايادي سبا إذا تشتتوا اعظم التشتت (ومزقناهم كل ممزق) أي فرقناهم في كل وجه من البلاد كل تفريق (ان في ذلك لآيات) اي دلالات (لكل صبار) على الشدائد (شكور) على النعماء وقيل لكل صبار عن المعاصي شكور للنعم بالطاعات

-(القصة)-

عن الكلبي عن ابي صالح قال القت طريفة الكاهنة إلى عمرو بن عامر الذي يقال له مزيقياء بن ماء السماء وكانت قد رأت في كهانتها ان سد مأرب سيخرب وانه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنتين فباع عمرو بن عامر أمواله وسار هو وقومه حتى انتهوا إلى مكة فأقاموا بها وما حولها فأصابتهم الحمى وكانوا ببلد لا يبدون فيه ما الحمى فدعوا طريفة فشكوا اليها الذي اصابهم فقالت لهم قد اصابني الذي تشكون وهو مفرق بيننا قالوا فماذا تأمرين قالت من كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد وكانت ازد عمان ثم قالت من كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على ازمات الدهر فعليه بالاراك من بطن مر وكانت خزاعة ثم قالت من كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وكانت الاوس والخزرج ثم قالت من كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والتأمير وملابس التاج والحرير فليلحق ببصرى وغوير وهما من ارض الشام وكان الذين سكنوها آل جفنة بن غسان ثم قالت من كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الارزاق والدم المهراق فليلحق بأرض العراق وكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش ومن كان بالحيرة وآل محرق

قوله تعالى (٢٠) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢٢) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٣) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٤) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٥) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (ست آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة صدق بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وقرأ يعقوب وسهل صدق بالتشديد ابليس بالنصب ظنه بالرفع وقرأ ابو عمرو واهل الكوفة غير عاصم إلا الأعشى والبرجمي أُذن بضم الهمزة والباقون بفتحها وقرأ ابن عامر ويعقوب فَزّع بفتح الفاء والزاي والباقون بضم الفاء وكسر الزاي وفي الشواذ قراءة الحسن بخلاف وقتادة فَزَّعَ بفتح الفاء والزاي والعين والتشديد وعن الحسن ايضا فُزِّع بضم الفاء وكسر الزاي والتشديد وعنه وعن قتادة فُزِع بضم الفاء وكسر الزاي والتخفيف

الحجة

قال ابو علي معنى التخفيف في صدق انه صدق ظنه بهم من متابعتهم إياه إذا أغواهم وذلك نحو قوله فبما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ولأغوينهم أجمعين فهذا ظنه لأنه لم يقل ذلك عن يقين فظنه على هذا ينتصب انتصاب المفعول به ويجوز ان ينتصب انتصاب الظرف أي في ظنّه وقد يقال اصاب الظن وأخطأ الظن وقال الشاعر

إنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقاً وَهُوَ صَادِقُ بِشَمْلَةَ يَحْبِسْهُمْ بِهَا مَحْبَساً وَعْراً(١)

فعدّاه إلى المفعول به ومن قرأ بالتشديد نصب الظن على انه مفعول به ومن قرأ صدق عليهم ابليس بالنصب ظنه بالرفع فالمعنى ان ابليس كان سوّلت له نفسه شيئاً فصدّقه ظنّه ومن قرأ إلا لمن أذن له فالمعنى لمن أذن الله له ان يشفع ومن قرأ اذن له فبنى الفعل للمفعول به فهو يريد هذا المعنى ايضا كما ان قوله حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم وفُزع وهل نجازي إلا الكفور وهل يجازي إلا الكفور واحد في المعنى وان اختلفت الالفاظ

اللغة

يقال صدّقت زيداً وصَدَقته وكذّبته وكَذَبته وينشد للاعشى « وَصَدَقْتُه وَكَذَبْتُه وَالمَرْءُ يَنْفَعُه كِذَابُه » ابو عبيدة فزع عن قلوبهم نفس عنها يقال فزع وفزع إذا ازيل الفزع عنها

الإعراب

لنعلم قال الزجاج معناه ما امتحناهم في ابليس إلا لنعلم ذلك علم وقوعه منهم وهو الذي يجازون عليه . لا يملكون الأجودان يكون جملة مستأنفة ويجوز ان يكون حالا وقوله وانا اوايّاكم لعلى هدى او في ضلال مبين تقديره وانا لعلى هدى أو في ضلال مبين وانكم لعلى هدى أو في ضلال مبين

المعنى

ثم قال سبحانه (ولقد صدّق عليهم ابليس ظنّه) الضمير في عليهم يعود إلى اهل سبا وقيل إلى الناس كلهم إلا من أطاع الله عن مجاهد والمعنى ان ابليس كان قال لأغوينّهم ولأضلنّهم وما كان ذلك عن علم وتحقيق وانما قاله ظنا فلما تابعه اهل الزيغ والشرك صدّق ظنّه وحقّقه (فاتبعوه) فيادعاهم اليه (إلا فريقا من المؤمنين) من هنا للتبيين يعني المؤمنين كلهم عن ابن عباس أي علموا قبح متابعته فلم يتبعوه واتبعوا امر الله تعالى (وما كان له عليهم من سلطان) أي ولم يكن لإبليس عليهم من سلطنة ولا ولاية يتمكن بها من اجبارهم على الغي والضلال وإنما كان يمكنه الوسوسة فقط كما قال وما كان لي عليكم من سلطان إلا ان دعوتكم فاستجبتم لي (إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) المعنى انا لم نمكنه من اغوائهم ووسوستهم إلا لنميّز بين من يقبل منه ومن يمتنع ويأبى متابعته فنعذّب من تابعه ونثيب من خالفه فنبرّ عن التمييز بين الفريقين بالعلم وهذا التمييز متجدّد لأنه لا يكون إلا بعد وقوع ما يستحقّون به ذلك واما العلم

(١) البيت منسوب الى مكبرة بنت بردام شملة تقول :
ان يك ظني بشملة صادقاً يحبسهم اى القوم الذين قتلوا اباه بتلك المعركة محبساً صعباً يدركه فيه ثار أبيه .

فبخلاف ذلك فإنه سبحانه كان عالما بأحوالهم وبما يكون منهم فيما لم يزل وقيل معناه لنعلم طاعاتهم موجودة او معاصيهم ان عصوا فنجازيهم بحسبها لأنه سبحانه لا يجازي احداً على ما يعلم من حاله إلا بعد ان يقع ذلك منه وقيل معناه لنعامله معاملة من لا يعلم وإنما يعمل ليعلم من يصدق بالآخرة ويعترف بها ممن يرتاب فيها أويشكّ (وربك) يا محمد (على كل شيء حفيظ) أي عالم لا يفوته علم شيء من احوالهم ثم قال سبحانه (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (ادعوا الذين زعمتم من دون الله) انهم آلهة وانهم شركاء الله تعالى وانهم شفعاؤكم وانها تستحق الالهية هل يستجيبون لكم إلى ما تسألونهم وهذا نوع توبيخ لا امر ليعلموا ان أوثانهم لا تنفعهم ولا تضرّهم (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) أي لا يملكون زنة ذرة من خير وشرّ ونفع وضرّ فيهما (وما لهم فيهما) أي وليس لهم في خلق السماوات والارض (من شرك) ونصيب (وما لهم منهم من ظهير) اي ليس لله سبحانه منهم معاون على خلق السموات والأرض ولا على شيء من الأشياء (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) المعنى انه لا تنفع الشفاعة عندالله تعالى إلا لمن رضيه الله وارتضاه وأذن له في الشفاعة مثل الملائكة والأنبياء والأولياء ويجوز ان يكون المعنى إلا لمن أذن الله في ان يشفع له فيكون مثل قوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وانما قال سبحانه ذلك لأن الكفار كانوا يقولون نعبدهم ليقرّبونا إلى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عندالله فحكم الله تعالى ببطلان اعتقاداتهم (حتى إذا فزع عن قلوبهم) أي كشف الفزع عن قلوبهم وفرّع كشف الله الفزع عن قلوبهم واختلف في الضمير في قوله في قلوبهم فقيل يعود إلى المشركين الذين تقدّم ذكرهم فيكون المعنى حتى إذا أخرج عن قلوبهم الفزع وقت الفزع ليسمعوا كلام الملائكة (قالوا) أي قالت الملائكة لهم (ماذا قال ربكم قالوا) اي قال هؤلاء المشركون مجيبين لهم (الحق) أي قال الحق فيعترفون ان ما جاء به الرسل كان حقا عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وقيل ان الضمير يعود إلى الملائكة ثم اختلف في معناه على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان الملائكة إذا صعدوا بأعمال العباد ولهم زجل وصوت عظيم فتحسب الملائكة انها الساعة فيخرّون سجّداً ويفزعون فإذا علموا انه ليس ذلك قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق ﴿ وثانيها ﴾ ان الفترة لما كانت بين عيسى (ع) ومحمد ﷺ وبعث الله محمداً ﷺ أنزل الله سبحانه جبرائيل بالوحي فلما نزل ظنت الملائكة انه نزل بشيء من أمر الساعة فصعقوا لذلك فجعل جبرائيل يمرّ بكل سماء ويكشف عنهم الفزع فرفعوا رؤوسهم وقال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا الحق يعني الوحي عن مقاتل والكلبي ﴿ وثالثها ﴾ ان الله تعالى إذا اوحى إلى بعض ملائكته لحق الملائكة غشي عند سماع الوحي ويصعقون ويخرّون سجّداً للآية العظيمة فإذا فزع عن قلوبهم سألت الملائكة ذلك الملك الذي اوحي اليه ماذا قال ربك او يسأل بعضهم بعضا فيعلمون ان الامر في غيرهم عن ابن مسعود واختاره الجبائي (وهو العلي) أي السيد القادر المطاع وقيل العلي في صفاته (الكبير) في قدرته (قل من يرزقكم من السموات والأرض) فإنهم لا يمكنهم أن يقولوا ترزقنا آلهتنا التي نعبدها ثم عند ذلك (قل الله) الذي يرزقكم (وانا أو اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين) انما قال ذلك على وجه الانصاف في الحجاج دون الشك كما يقول القائل لغيره احدنا كاذب وان كان هو عالما بالكاذب وعلى هذا يقول ابو الاسود الدئلي يمدح اهل البيت «ع»

يَقُولُ الْأَرْذَلُونَ بَنُو قُشَيْرٍ ... طَوالَ الدَّهْرِ لا تَنْسَى عَلِيًّا (١)

(١) بنو قشير: قبيلة من القيس كان ينزل أبو الاسود فيهم وكانوا يخالفونه في المذهب لان آبا الاسود كان شيعيا فكانوا يؤذونه وأنشأ هذه الابيات في قصة ذكرها الشريف المرتضى (ره) في الامالي راجع ج ١ : ٢٩٢ - ٢٩٣ وذكره في الاغاني ج ١١ : ١١٣ مع اختلاف في ترتيب الأبيات وبعض الفاظها.

بَنُو عَمِّ النَّبِيِّ وَاَقْرَبُوهُ أَحَبُّ النَّاسِ كُلِّهِمُ إِلَيَّا
فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْداً اُصِبْهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غَيَّا

لم يقل هذا لكونه شاكا في محبتهم وقد ايقن ان محبتهم رشد وهدى وقيل انه جمع بين الخبرين وفوّض التمييز إلى العقول فكأنه قال أنا على هدى وأنتم على ضلال كقول امرئ القيس

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَّابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي (١)

فجمع بين القلوب الرطبة واليابسة وجمع بين العناب والحشف البالي وقيل انما قاله على وجه الاستظراف والمداراة ليسمع الكلام وهذا من احسن ما ينسب به المحق نفسه إلى الهدى وخصمه إلى الضلال لأنه كلام من لا يكاشف خصمه بالتضليل بل ينسبه اليه على احسن وجه ويحثّه على النظر ولا يجب النظر إلا بعد التردّد (قل) يا محمد إذا لم ينقادوا للحجة (لا تسئلون) ايها الكفار (عما اجرمنا) اي اقترفنا من المعاصي (ولا نسئل) نحن (عما تعملون) أي تعملونه انتم بل كل إنسان يسأل عما يعمله ويجازى على فعله دون فعل غيره وفي هذا دلالة على ان احداً لا يجوز ان يؤخذ بذنب غيره

قوله تعالى (٢٦) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٧) قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٨) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٠) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ

(خمس آيات)

الاعراب

الذين ألحقتم به العائد من الصلة إلى الموصول محذوف والتقدير ألحقتموهم به وشركاء حال من هم المحذوف وكافة حال من الكاف في أرسلناك أي ما أرسلناك الا تكفّهم وتردعهم وقيل في الكلام تقديم وتأخير أي وما أرسلناك الا للناس كافة وكافة كالعافية والعاقبة وما اشبه ذلك. بشيراً حال بعد حال ونذيراً معطوف عليه

المعنى

ثم امر سبحانه لمن يحاكمهم الى الله لاعراضهم عن الحجة فقال (قل) يا محمد (يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح بيننا) أي يحكم (بالحق وهو الفتاح) أي الحاكم (العليم) بالحكم لا يخفى عليه شيء منه (قل) يا محمد (أروني الذين ألحقتم به شركاء) انما ذكر هذا سبحانه على وجه التعظيم والتعجيب أي أروني الذين زعمتم انهم شركاء لله تعبدونهم معه وهذا كالتوبيخ لهم فيما اعتقدوه من الاشراك مع الله كما يقول القائل لمن افسد عملا أرني ما عملته توبيخاً له بما أفسده فإنهم سيفتضحون بذلك اذا أشاروا الى الأصنام ثم قال سبحانه (كلا) أي ليس كما تزعمون وقيل معناه ارتدعوا عن هذا المقال وتنبّهوا مع الغي والضلال (بل هو الله العزيز) اي القادر الذي لا يغالب (الحكيم) في جميع افعاله فكيف يكون له شريك ثم بيّن

(١) البيت من قصيدة يصف فيها العقاب بكثرة الاصطياد والوكر: عش الطائر. والضمير في وكرها للعقاب وهو طائر معروف بانه لا يأكل قلوب الطيور و«العناب معروف. والحشف: اردء اقسام التمر و البالى: الفاسد والمتفتت.

سبحانه نبوة نبيه ﷺ فقال (وما ارسلناك) يا محمد بالرسالة التي حملناكها (الا كافة للناس) اي عامة للناس كلهم العرب والعجم وسائر الامم عن الجبائي وغيره ويؤيده الحديث المروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ اعطيت خمسا ولا أقول فخرا بعثت الى الاحمر والاسود وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا واحل لي المغنم ولا يحل لاحد قبلي ونصرت بالرعب فهو يسير أمامي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة فادخرتها لأمتي يوم القيامة وقيل معناه جامعا للناس بالانذار والدعوة وقيل كافاً للناس اي مانعا لهم عما هم عليه من الكفر والمعاصي بالامر والنهي والوعد والانذار والهاء للمبالغة عن ابي مسلم (بشيرا) لهم بالجنة (ونذيرا) بالنار (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) رسالتك لاعراضهم عن النظر في معجزتك وقيل لا يعلمون مالهم في الآخرة في اتباعك من الثواب والنعيم وما عليهم في مخالفتك من العذاب الاليم ثم حكى سبحانه عن الكفار فقال (ويقولون متى هذا الوعد) الذي تعدوننا به (ان كنتم صادقين) فيما تقولونه يا معشر المؤمنين ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ باجابتهم فقال (قل) يا محمد (لكم ميعاد يوم) اي ميقات يوم ينزل بكم ماوعدتم به وهو يوم القيامة وقيل يوم وفاتهم وقبض ارواحهم عن ابي مسلم (لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) اي لا تتأخرون عن ذلك اليوم ولا تتقدمون عليه بأن يزاد في آجالكم او ينقص منها

قوله تعالى (٣١) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣٢) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٣٤) وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّوا ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٤) وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٣٥) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (خمس آيات)

الاعراب

بل مكر الليل والنهار فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون مكر مبتدأ وخبره محذوفا أي مكركم في الليل والنهار صدنا عن ذلك حين أمرتمونا أن نكفر بالله ﴿ والآخر ﴾ ان يكون فاعل فعل محذوف تقديره بل صدنا مكركم في الليل والنهار والعرب تضيف الأحداث إلى الزمان على سبيل الاتساع فتقول صيام النهار وقيام الليل والمعنى ان الصيام في النهار والقيام في الليل قال الشاعر

لقد لمتينا يا أم غيلان في السرى ... ونمت وما ليل المطي بنائم (١)

فوصف الليل بالنوم وهذا على حد قولك نهارك صائم وليلك قائم

المعنى

ثم بين سبحانه حالهم في القيامة فقال حكاية عنهم (وقال الذين كفروا) وهم اليهود وقيل هم

(١) قائله جرير والبيت مذكور في جامع الشواهد وقدمر في صفحة ٢٣٦ من هذا المجلد ايضاً .

مشركوا العرب وهو الاصح (لن نؤمن بهذا القرآن) اي لا نصدّق بأنه من الله تعالى ولا بالذي بين يديه من أمر الآخرة وقيل يعنون به التوراة والانجيل وذلك انه لما قال مؤمنوا اهل الكتاب ان صفة محمد ﷺ في كتابنا وهو نبي مبعوث كفر المشركون بكتابهم ثم قال (ولو ترى) يا محمد (اذ الظالمون موقوفون عند ربهم) اي محبوسون للحساب يوم القيامة (يرجع بعضهم الى بعض القول) اي يرد بعضهم إلى بعض القول في الجدال (يقول الذين استضعفوا) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم الاشراف والقادة (لولا انتم لكنا مؤمنين) مصدّقين بتوحيد الله اي انتم منعتمونا من الإيمان والمعنى لولا دعاؤكم اياّنا الى الكفر لآمنا بالله في الدنيا (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا) اي قال المتبوعون للاتباع على طريق الانكار (انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم) اي لم نصدّكم نحن عن قبول الهدى (بل كنتم مجرمين) اي بل انتم كفرتم ولم نحملكم على الكفر قهراً فكل واحد من الفريقين وزر الذنب[1] على صاحبه واتهمه ولم يضف واحد منهم الذنب الى الله تعالى (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا يعني الاتباع للمتبوعين (بل مكر الليل والنهار) اي مكركم في الليل والنهار صدّنا عن قبول الهدى (اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا) اي حين أمرتمونا ان نجحد وحدانية الله تعالى ودعوتمونا الى ان نجعل له شركاء في العبادة (وأسرّوا الندامة) فيه وجهان ﴿احدهما﴾ ان معناه اظهروا الندامة ﴿والآخر﴾ ان المعنى اخفوها وقد فسّر الاسرار في بيت امرء القيس

تَجَاوَزْتُ أَحْرَاساً إِلَيْهَا وَمَعْشَراً ... عَلَيَّ حِرَاصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي[2]

على الوجهين فمن قال بالأول قال معناه اظهر المتبوعون الندامة على الإضلال واظهر الاتباع الندامة على الضلال وقيل معناه اقبل بعضهم على بعض يلومه ويظهر ندمه ومن قال بالثاني قال معناه اخفوا الندامة في انفسهم خوف الفضيحة وقيل معناه ان الرؤساء أخفوا الندامة عن الاتباع (لما رأوا العذاب) اي حين رأوا نزول العذاب بهم (وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا) قال ابن عباس غلوا بها في النيران (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) اي لا يجزون إلا بأعمالهم التي عملوها على قدر استحقاقهم (وما ارسلنا في قرية من نذير) اي من نبيّ مخوف بالله تعالى (الا قال مترفوها) اي جبابرتها واغنياؤها المتنعمون فيها (انا بما ارسلتم به كافرون) وفي هذا بيان للنبي ﷺ ان اهل قريته جروا على منهاج الاولين واشارة الى انه كان اتباع الانبياء فيما مضى الفقراء واوساط الناس دون الاغنياء ثم بيّن سبحانه علة كفرهم بأن قال (وقالوا نحن اكثر أموالا واولادا) اي افتخروا بأموالهم وأولادهم ظناً بأن الله سبحانه انما خوّلهم المال والولد كرامة لهم عنده فقالوا اذا رزقنا وحرمتم فنحن اكرم منكم وافضل عند الله تعالى فلا يعذبنا على كفرنا بكم وذلك قوله (ومانحن بمعذبين) ولم يعلموا ان الاموال والاولاد عطاء من الله تعالى يستحق به الشكر عليهم وليس ذلك للاكرام والتفضل

قوله تعالى (٣٦) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ

(١) وزر الذنب عليه : حمله. (٢) البيت من المعلقات واحراس جمع حارس . يقول تجاوزت في ذهابي الى المحبوبة أهوالا كثيرة قوماً يحرسونها قوماً حراصاً على قتلي لو قدروا عليه في خفية لانهم لا يجرؤن على قتلي جهاراً أو حراصاً على قتلي لو أمكنهم قتالي ظاهراً لان الاسرار من الاضداد ..

فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٩) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٤٠) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (خمس آيات)

« القراءة »

قرأ حمزة وحده في الغرفة والباقون في الغرفات على الجمع وقرأ يعقوب جزاء بالنصب. الضعف بالرفع

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ الغرفة قوله تعالى أولئك يجزون الغرفة بما صبروا وفي الجنة غرفات وغرف غير ان العرب قد تجتزئ بالواحد عن الجمع إذا كان اسم الجنس قالوا اهلك الناس الدينار والدرهم ومن قرأ فأولئك لهم جزاء الضعف فالتقدير فأولئك لهم الضعف جزاء في حال المجازاة فهو مصدر وضع موضع الحال اي مجزيين جزاء ويجوز ان يكون مفعولا له وأما اضافة جزاء الى الضعف في القراءة المشهورة فهو على اضافته الى المفعول

﴿ الإعراب ﴾

زلفى في موضع نصب على المصدر تقديره تقربكم قربة وتقريبا وقوله الا من آمن الموصول والصلة في موضع نصب على البدل من الكاف والميم في تقربكم ويجوز ان يكون نصبا على الاستثناء

﴿ المعنى ﴾

لما حكى الله سبحانه عن الكفار انهم قالوا ما نحن بمعذبين لأن الله تعالى اغنانا في الدنيا فلا يعذبنا في الآخرة قال رادا عليهم (قل) يا محمد (ان ربي) الذي خلقني (يبسط الرزق لمن يشاء) على ما يعلمه من مصلحته ومصلحة غيره (ويقدر) اي ويضيق ايضا على حسب المصلحة فبسط الرزق هو الزيادة فيه على قدر الكفاية والقدر تضييقه عن قدر الكفاية (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ذلك يجهلهم بالله وبحكمته فيظنون ان كثرة مال الإنسان يدل على كرامته عند الله تعالى ثم صرح بهذا المعنى فقال (وما اموالكم) اي ليس اموالكم التي خولتموها (ولا أولادكم) التي رزقتموها (بالتي تقربكم عندنا زلفى) اي قربى عن مجاهد قال الاخفش اراد بالتي تقربكم عندنا تقريبا فزلفى اسم المصدر وقال الفراء التي يجوز ان يقع على الأموال والأولاد وجاء الخبر بلفظ الواحدة وان دخل فيه الاخرى (الا من آمن وعمل صالحا) معناه لكن من آمن بالله وعرفه وصدق نبيه ﷺ وأطاعه فيما امر به وانتهى عما نهاه عنه (فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) اي يضاعف الله حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشراً إلى ما زاد والضعف اسم جنس يدل على الكثير والقليل ويجوز ان يكون الاموال والاولاد تقرب إلى الله تعالى زلفى بأن يكسب المؤمن المال مستعينا به على القيام بحق التكليف ويستولد الولد كذلك فيقر بأنه عند الله زلفى فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا ولا يكون بمعنى لكن وقيل ان جزاء الضعف ان يعطيهم في الآخرة مثل ما كان لهم في الدنيا من النعيم والضعف المثل عن ابي مسلم (وهم في الغرفات) اي في غرف الجنة وهي البيوت فوق الابنية (آمنون) فيها لا يخافون شيئا مما يخاف مثله في دار الدنيا من الموت والغير والآفات والاحزان (والذين

يسعون في آياتنا) اي يجتهدون في ابطال آياتنا وتكذيبها (معاجزين) لأنبيائنا ومعاجزين اي مثبطين غيرهم عن افعال البر (أولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) مرّ تفسيره وإنما كرّره سبحانه لاختلاف الفائدة فالأول توبيخ للكافرين وهم المخاطبون به والثاني وعظ للمؤمنين فكأنه قال ليس اغناء الكفار واعطاؤهم بدلالة على كرامتهم وسعادتهم بل يزيدهم ذلك عقوبة واغناء المؤمنين يجوز ان يكون زيادة في سعادتهم بأن ينفقوها في سبيل الله ويدلّ على ذلك قوله (وما انفقتم من شيء فهو يخلفه) اي وما اخرجتم من اموالكم في وجوه البرّ فإنه سبحانه يعطيكم خلفه وعوّضه إما في الدنيا بزيادة النعمة وإما في الآخرة بثواب الجنة يقال اخلف الله له وعليه اذا ابدل له ما ذهب عنه (وهو خير الرازقين) لأنه يعطي لمنافع عباده لا لدفع ضرر او جرّ نفع لاستحالة المنافع والمضار عليه وقال الكلبي ما تصدقتم به في خير فهو يخلفه اما ان يجعله لكم في الدنيا او يدخر لكم في الآخرة وروى ابو هريرة عن النبي ﷺ قال قال الله عز وجل لي انفق انفق عليك وروى انس بن مالك عن النبي ﷺ قال ينادي مناد كل ليلة لدوا للموت وينادي مناد ابنوا للخراب وينادي مناد اللهم هب للمنفق خلفا وينادي مناد اللهم هب للممسك تلفا وينادي مناد ليت الناس لم يخلقوا وينادي مناد لبئهم إذ خلقوا فكروا فيما له خلقوا وعن جابر عن النبي ﷺ قال كل معروف صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو صدقة وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامنا إلا ما كان من نفقة في بنيان او معصية وعن ابي امامة قال انكم تؤولون هذه الآية في غير تأويلها وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول وإلا فصمتا اياكم والسرف في المال والنفقة وعليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم قط اقتصدوا ثم قال سبحانه (ويوم نحشرهم جميعا) يعني يوم القيامة يجمع العابدين لغير الله والمعبودين من الملائكة للحساب (ثم نقول للملائكة أهؤلاء) الكفار (اياكم كانوا يعبدون) أي كانوا يعبدونكم ويقصدونكم بالعبادة وعلى هذا وجه التقرير والاستشهاد للملائكة على اعتقادات الكفار حتى تتبرأ الملائكة منهم ومن عبادتهم كما قال سبحانه أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله

◄ النظم ◄

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انهم لما قالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً بيّن أن دعواهم مردودة وانهم معذّبون محجوجون

قوله تعالى (٤١) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤٢) فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٣) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٤) وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٥) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ

كَانَ نَكِيرِ (خمس آيات)

﴿ الإعراب ﴾

بينات نصب على الحال وآباؤكم فاعل يعبد واسم كان محذوف يفسّره آباؤكم والتقدير عما كان آباؤكم يعبدون · يدرسونها يجوز أن يكون في محل جرّ صفة لكتب ويجوز ان يكون في محل نصب على موضع الجار والمجرور لأن المعنى وما آتيناهم كتباً مدرسة و كيف كان نكير كيف خبر كان ونكير اسمه والنكير مصدر مثل عذير في قوله «عَذِيرَ الحَيِّ مِنْ عَدْوَانَ كَانُوا حَيَّةَ الأَرْضِ»(١)

﴿ المعنى ﴾

(قالوا) أي قالت الملائكة (سبحانك) اي تنزيها لك عن أن نعبد سواك ونتخذ معبوداً غيرك (أنت) يا الله (ولينا) أي ناصرنا وأولى بنا (من دونهم) أي دون هؤلاء الكفار ودون كل أحد وما كنا نرضى بعبادتهم إيانا مع علمنا بأنك ربنا وربهم (بل كانوا يعبدون الجن) بطاعتهم اياهم فيما دعوهم اليه من عبادة الملائكة وقيل المراد بالجن ابليس وذريته واعوانه (أكثرهم بهم مؤمنون) أي مصدّقون بالشياطين مطيعون لهم ثم يقول الله سبحانه (فاليوم) يعني في الآخرة (لا يملك بعضكم لبعض) يعني العابدين والمعبودين (نفعا ولا ضراً) أي نفعا بالشفاعة ولا ضراً بالتعذيب (ونقول للذين ظلموا) بأن عبدوا غير الله (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) أي لا تعترفون بها وتجحدونها ثم عاد سبحانه إلى الحكاية عن حال الكفار في الدنيا فقال (وإذا تتلى عليهم آياتنا) أي تقرأ عليهم حججنا (بينات) أي واضحات من القرآن الذي أنزلناه على نبينا (قالوا) عند ذلك (ما هذا إلا رجل يريد أن يصدّكم) أي يمنعكم (عما كان يعبد آباؤكم) فزعوا إلى تقليد الآباء لما أعوزتهم الحجة (وقالوا ما هذا) القرآن (إلا افك) أي كذب (مفترى) قد تخرصه وافتراه (وقال الذين كفروا للحق) أي للقرآن (لما جاءهم إن هذا) أي ليس هذا (إلا سحر مبين) أي ظاهر ثم أخبر سبحانه انهم لم يقولوا ذلك عن بينة فقال (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) أي وما اعطينا مشركي قريش كتابا قط يدرسونه فيعلمون بدرسه انّ ما جئت به حق أو باطل وانما يكذّبونك بهواهم من غير حجة (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) أي رسول أمرهم بتكذيبك وأخبرهم ببطلان قولك يعني انهم لا يرجعون في تكذيبك إلا إلى الجهل والعناد واتباع الهوى ثم أخبر سبحانه عن عاقبة من كذب الرسل قبلهم تخويفاً لهم فقال (وكذب الذين من قبلهم) بمن بعث اليهم من الرسل وما آتاهم الله من الكتب (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) أي وما بلغ قومك يا محمد معشار ما أعطينا من قبلهم من القوة و كثرة المال وطول العمر فأهلكهم الله عن ابن عباس وقتادة (فكذّبوا رسلي فكيف كان نكير) أي عقوبتي وتغييري حالهم وقيل معناه أنظر في آثارهم كيف كان انكاري عليهم بالهلاك عن ابن مسلم والمراد إنا كما أهلكنا أولئك حين كذّبوا رسلنا فليحذر هؤلاء مثل ما نزل بهم من الهلاك والاستئصال

قوله تعالى (٤٦) قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٧) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ

(١) قائله ذوالاصبع العدواني واسمه حرثان ؛ قوله « عذير الحي » اي هات من يعذرهم و في هذا البيت و ما بعده قصة لعبد الملك بن مروان مع جمع من قبيلة عدوان ذكرها في الامالي الشريف المرتضى (قده) فراجع ان شئت ج ١ : ٢٤٩-٢٥٠ .

بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٤٩) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٥٠) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (خمس آيات)

الاعراب

ان تقوموا في موضع جرّ على البدل من واحدة ويجوز ان يكون في موضع نصب بحذف حرف الجر وافضاء الفعل اليه والتقدير أعظكم بطاعة الله لأن تقوموا أو اعظكم بأن تقوموا . مثنى وفرادى نصب على الحال . ما سألتكم ماشرطية وهي في محل النصب بأنها مفعول ثان لسألت ويجوز ان تكون موصولة فيكون التقدير ما سألتكموه فيكون مع الصلة في موضع رفع بالابتداء . علام الغيوب يجوز ان يكون بدلا من الضمير المستكن في يقذف ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو علام الغيوب ولو نصب على انه نعت لربي لكان جائزا لكن الرفع اجود لأنه جاء بعد تمام الكلام

المعنى

ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال (قل) يا محمد لهم (إنما أعظكم بواحدة) أي آمركم واوصيكم بخصلة واحدة وقيل بكلمة واحدة وهي كلمة التوحيد وقيل بطاعة الله عن مجاهد ومن قال بالأول قال انه فسّر الواحدة بما بعده فقال (أن تقوموا لله مثنى وفرادى) أي اثنين اثنين وواحداً واحداً (ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) معناه أن يقوم الرجل منكم وحده أو مع غيره ثم تتساءلون هل جرّبنا على محمد كذبا أو هل رأينا به جنة ففي ذلك دلالة على بطلان ما ذكرتم فيه وليس معنى القيام هنا القيام على الأرجل وانما المراد به القصد للاصلاح والاقبال عليه مناظراً مع غيره ومتفكراً في نفسه لأن الحق انما يتبين للانسان بهما وقد تمّ الكلام عند قوله تتفكروا وما للنفي قال قتادة أي ليس بمحمد ﷺ جنون وان جعلت تمام الكلام آخر الآية فالمعنى ثم تتفكروا أيّ شيء بصاحبكم من الجنون أي هل رأيتم من منشأه إلى مبعثه وصمة تنافي النبوة من كذب او ضعف في العقل أو اختلاف في القول والفعل فيدلّ ذلك على الجنون (إن هو إلا نذير لكم) أي مخوّف من معاصي الله (بين يدي عذاب شديد) يعني عذاب القيامة ثم قال للنبي ﷺ (قل) لهم يا محمد (ما سألتكم من أجر فهو لكم) يعني لا أسألكم على تبليغ الرسالة شيئاً من عرض الدنيا فتهموني فما طلبته منكم من أجر على اداء الرسالة وبيان الشريعة فهو لكم وهذا كما يقول الرجل لمن لا يقبل نصحه ما أعطيتني من أجر فخذه وما لي في هذا فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه شيء ومنه النصح مجان وقال الماوردي معناه ان اجر ما دعوتكم اليه من اجابتي وذخره هو لكم دوني وهو المروي عن ابي جعفر «ع» (ان أجري إلا على الله) أي ليس ثواب عملي إلا على الله فهو يثيبني عليه ولا يضيعه (وهو على كل شيء شهيد) اي عليم به لم يغب عنه شيء فيعلم ما يلحقني من اذاكم (قل) يا محمد (ان ربي يقذف بالحق) ويلقيه إلى انبيائه عن قتادة ومقاتل (علام الغيوب) علم جميع الخفيات وما غاب عن خلقه في الارضين والسموات (قل) يا محمد (جاء الحق) وهو امر الله تعالى بالإسلام والتوحيد وقيل هو الجهاد بالسيف عن ابن مسعود (وما يبدئ الباطل وما يعيد) اي ذهب الباطل ذهابا لم يبق منه ابداء ولا اعادة ولا اقبال ولا ادبار لأن الحق إذا جاء لا يبقى للباطل بقية وقيل ان الباطل ابليس لا يبدئ الخلق ولا يعيدهم عن قتادة وقيل معناه ما يبدئ الباطل لأهله خيراً في الدنيا ولا يعيد خيراً في الآخرة عن الحسن وقال الزجاج ويجوز

ان يكون ما استفهاما في موضع نصب على معنى وايّ شيء يبدئ الباطل وايّ شيء يعيده قال ابن مسعود دخل رسول الله ﷺ مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد (قل ان ضللت) عن الحق كما تدعون (فإنما اضل على نفسي) اي فإنما يرجع وبال ضلالي عليّ لأني مأخوذ به دون غيري (وإن اهتديت) إلى الحق (فبما يوحي إلي ربي) اي بفضل ربي حيث اوحى إليّ فله المنة بذلك عليّ دون خلقه (انه سميع) لأقوالنا (قريب) منّا فلا يخفى عليه المحق والمبطل

قوله تعالى (٥١) وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٥٢) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٤) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (أربع آيات)

القراءة

قرأ ابو عمرو واهل الكوفة غير عاصم التناوش بالمد والهمز والباقون بغير مد ولا همز

الحجة

التناوش التناول من قولهم نشت انوش قال الشاعر

فَهِيَ تَنُوشُ الْحَوْضَ نَوْشاً مِنْ عَلَا ... نَوْشاً بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَازَ الْفَلَا (١)

فمن لم يهمز جعله تفاعلا منه ومن همز احتمل امرين ﴿احدهما﴾ انه ابدل من الواو والهمز لانضمامها مثل أقتت وادؤر ونحو ذلك ﴿والآخر﴾ يكون من النأش وهو الطلب قال رؤبة

أَقْحَمَنِي جَارُ أَبِي الْخَامُوشِ ... إِلَيْكَ نَأْشَ الْقِدْرِ الْمَنْشُوشِ (٢)

والنأش الحركة في الابطاء قال الشاعر

تَمَنَّى نَئِيشاً أَنْ يَكُونَ أَطَاعَنِي ... وَقَدْ حَدَثَتْ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورُ (٣)

اي تمنى مدة مديدة فنصب نئيشاً على الظرف

المعنى

ثم قال سبحانه (ولو ترى) يا محمد (إذ فزعوا) اي عند البعث (فلا فوت) اي فلا يفوتني منهم احد ولا ينجو مني ظالم (واخذوا من مكان قريب) يعني القبور وحيث كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه وجواب لو محذوف ويدل الكلام عليه والتقدير لرأيت امراً عظيما وقيل إذ فزعوا في الدنيا حين رأوا بأس الله عند معاينة الملائكة لقبض ارواحهم عن قتادة وقيل هو فزعهم يوم بدر حين ضربت اعناقهم فلم يستطيعوا فراراً من العذاب ولا رجوعاً إلى التوبة عن الضحاك والسدي وقال ابو حمزة الثمالي سمعت علي بن الحسين «ع» والحسن بن الحسن بن علي «ع» يقولان هو جيش البيداء يؤخذون من تحت اقدامهم قال وحدثني عمرو بن مرة وحمران بن اعين انهما سمعا مهاجرا المكي يقول سمعت ام سلمة تقول قال رسول الله

(١) قائله غيلان بن حريث، و الضمير في قوله «فهي» للابل وقوله «من علا» اى من فوق يريد انها عالية الاجسام طوال الاعناق، والاجواز جمع جوز وهو الوسط اى تتناول ماء الحوض من فوق وتشرب شربا كثيرا وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا يحتاج الى ماء آخر (٢) قال ابن منظور أبو الخاموش رجل معروف يقال وأقحمني اى ادخلني و كأن ←

ﷺ يعوذ عائذ بالبيت فيبعث الله اليه جيشا حتى إذا كانوا بالبيداء بيداء المدينة خسف بهم وروي عن حذيفة بن اليمان ان النبي ﷺ ذكر فتنة تكون بين اهل المشرق والمغرب قال فبينا هم كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا إلى المشرق وآخر الى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل من المدينة الملعونة يعني بغداد فيقتلون اكثر من ثلاثة آلاف ويفضحون اكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ماحولها ثم يخرجون متوجهين إلى الشام فيخرج راية هدى من الكوفة فيلحق ذلك الجيش فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما في ايديهم من السبي والغنائم ويحل الجيش الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة ايام بلياليها ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرائيل فيقول يا جبرائيل اذهب فأبدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم عندها ولا يفلت منهم إلا رجلان من جهينة فلذلك جاء القول «وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقِينُ»(١) فذلك قوله ولو ترى إذ فزعوا إلى آخره اورده الثعلبي في تفسيره وروى اصحابنا في احاديث المهدي عن ابي عبد الله «ع» وابي جعفر «ع» مثله (وقالوا) اي ويقولون في ذلك الوقت وهو يوم القيامة أو عند رؤية البأس أو عند الخسف في حديث السفياني (آمنا به وانى لهم التناوش) أي ومن أين لهم الانتفاع بهذا الإيمان الذي الجئوا اليه بيّن سبحانه انهم لا ينالون به نفعاً كما لا ينال احد التناوش (من مكان بعيد) وقيل معناه انهم طلبوا المرد إلى الدنيا فالمراد انهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال ولم يرد بعد المكان وإنما أراد بعد انتفاعهم بذلك وبعدهم عن الصواب (وقد كفروا به من قبل) المعنى وكيف تقبل توبتهم او يردّون إلى الدنيا وقد كفروا بالله من قبل ذلك (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) اي ويرجمون بالظن فيقولون لا جنّة ولا نار ولا بعث وهذا أبعد ما يكون من الظن عن قتادة وقيل معناه يرمون محمداً ﷺ بالظنون من غير يقين وذلك قولهم هو ساحر وهو شاعر وهو مجنون وجعله قذفاً لخروجه في غير حقّ وقيل معناه ويبعدون أمر الآخرة فيقولون لاتباعهم هيهات هيهات لما توعدون وذلك كالشيء يرمى في موضع بعيد المرمى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) أي وفرّق بينهم وبين مشتهياتهم بالموت الذي حلّ بهم كما حلّ بأمثالهم عن ابي مسلم وقيل مشتهاهم هو التوبة والإيمان او الردّ إلى الدنيا وقد منعوا منه وقيل هو نعيم الجنة عن الجبائي وقيل معناه منعوا من كل مشتهى فيلحق الله تعالى فيهم النفار فلا يدركون شيئاً إلا ويتألمون به (كما فعل مثل ذلك بأشياعهم من قبل) أي بأمثالهم من الكفار وقيل معناه بموافقيهم وأهل دينهم من الأمم الماضية حين لم تقبل منهم التوبة وقت رؤية البأس والعذاب قال الضحاك المراد بذلك اصحاب الفيل حين ارادوا خراب الكعبة (انهم كانوا في شك) من البعث والنشور وقيل في شك من وقوع العذاب بهم (مريب) اي مشكّك كما قالوا عجب عجيب

لشاعر يذم أبا الخاموش حيث ان جاره في الاحتياج والفقر ادخل الشاعر الى من يخاطبه لاجل طلب الطعام (عن هامش بعض المخطوطة)(٣) قائله نهشل بن حرى قال ابن منظور اى تمنى بعد الفوت أن لو أطاعنى وقد حدث امور لا يستدرك بها مافات ، اى أطاعنى فى وقت لا تنفعه فيه الطاعة .

(١) ويروى «عند جفينة» بالجيم ،وروى «حفينة» بالحاء المهملة ايضاً وهذا من الامثال وتفصيل الكلام فى المثل و تحقيقه مذكور فى لسان العرب مادة «جفن» و «جهن» فراجع .

سورة الملائكة

مكية قال الحسن إلا آيتين إن الذين يتلون كتاب الله الآية ثم اورثنا الكتاب الآية

عدد آيها

ست واربعون آية شامي والمدني الأخير وخمس في الباقين

اختلافها

سبع آيات الذين كفروا لهم عذاب شديد بصري شامي جديد والبصير والنور ثلاثهن غير البصري من في القبور غير شامي ان تزولا بصري تبديلا بصري شامي والمدني الأخير

فضلها

ابيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثلاثة ابواب من الجنة ان ادخل من أيّ الابواب شئت

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه السورة المتقدمة بالردّ على اهل الشرك والشك والعنود افتتح هذه السورة بذكر كمال قدرته ووحدانيته ودلائل التوحيد فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنٰى وَثُلٰثَ وَرُبٰعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنّٰى تُؤْفَكُونَ (٤) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ (خمس آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم وابو جعفر غير الله بالجر والباقون بالرفع

الحجة

قال ابو علي من قرأ غير الله بالجر جعله صفة على اللفظ والخبر يرزقكم من السماء والأرض ومن قرأ غير الله بالرفع احتمل وجوهاً ﴿ احدها ﴾ ان يكون خبر المبتدأ ﴿ والآخر ﴾ أن يكون صفة على الموضع والخبر مضمر تقديره هل خالق غير الله في الوجود اوالعالم ﴿ والثالث ﴾ أن يكون غير استثناء والخبر مضمر كأنه قال هل من خالق إلا الله ويدل على جواز الاستثناء قوله ما من إله إلا الله

اللغة

الفطر الشق عن الشيء باظهاره للحس وفاطر السموات خالقها

الاعراب

مثني وثلاث ورباع صفة لأجنحة معدولة عن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة . مايفتح الله ماشرطية في محل النصب لكونها مفعول يفتح

المعنى

(الحمد لله فاطر السموات والأرض) اي خالقها مبتدئا على غير مثال سبق حَمِد سبحانه نفسه ليعلمنا كيف نحمده وليبين لنا أن الحمد كله له (جاعل الملئكة رسلا) إلى الأنبياء بالرسالات والوحي (اولي اجنحة مثني وثلاث ورباع) تقدَّم تفسيرها وإنما جعلهم اولي اجنحة ليتمكنوا بها من العروج إلى السماء ومن النزول إلى الأرض فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة اجنحة ومنهم من له اربعة اجنحة عن قتادة قال ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله (يزيد في الخلق ما يشاء) قال ابن عباس رأى رسول الله ﷺ جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وهذا اختيار الزجاج والفراء وقيل أراد بقوله يزيد في الخلق مايشاء حسن الصوت عن الزهري وابن جريج وقيل هو الملاحة في العينين عن قتادة وروى ابو هريرة عن النبي ﷺ قال هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن (إن الله على كل شيء قدير) لا شيء إلا وهو قادر عليه بعينه او قادر على مثله ثم بيَّن سبحانه انعامه على خلقه فقال (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) اي ما يأتيهم به من مطر أو عافية أو اي نعمة شاء فإن احداً لا يقدر على امساكه (وما يمسك) من ذلك (فلا مرسل له من بعده) اي فإنّ احداً لا يقدر على ارساله وقيل معناه ما يرسل الله من رسول إلى عباده في وقت دون وقت فلا مانع له لأنّ ارسال الرسول رحمة من الله كما قال وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وما يمسكه في زمان الفترة او عمن يقترحه من الكفار فلا مرسل له عن الحسن واللفظ محتمل للجميع (وهو العزيز) اي القادر الذي لا يعجز (الحكيم) في افعاله ان انعم وان امسك لأنه يفعل ما تقتضيه الحكمة ثم خاطب المؤمنين فقال (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) الظاهرة والباطنة التي من جملتها انه خلقكم واوجدكم واحياكم واقدركم وشهّاكم[1] وخلق لكم انواع الملاذ والمنافع (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض) هذا استفهام تقرير لهم ومعناه النفي ليقرّوا بأنه لا خالق إلا الله يرزق من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات وهل يجوز اطلاق لفظ الخالق على غير الله سبحانه فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ انه لا تطلق هذه اللفظة على احد سواه وإنما يوصف به غيره على جهة التقييد وان جاز اطلاق لفظ الصانع والفاعل نحوهما على غيره ﴿ والآخر ﴾ ان المعنى لا خالق يرزق ويخلق الرزق إلا الله تعالى (لا إله إلا هو) أي لا معبود يستحق العبادة سواه سبحانه (فأنى تؤفكون) اي كيف تصرفون عن طريق الحق إلى الضلال وقيل معناه أنّى يعدل بكم عن هذه الأدلة التي اقمتها لكم على التوحيد مع وضوحها ثم سلّى سبحانه نبيَّه ﷺ عن تكذيب قومه اياه فقال (وان يكذبوك) يامحمد (فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الامور) فيجازي من كَذّب رسله وينصر من كُذّب من رسله ثم خاطب الخلق فقال (يا ايها الناس ان وعد الله) من البعث والنشور والجنة والنار والجزاء والحساب (حق) صدق كائن لامحالة (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) فتغترون بملاذّها ونعيمها ولا

(١) شهّاه : حمله على الشهوة.

يخدعنكم حبّ الرياسة وطول البقاء فإن ذلك عن قليل نافد بائد ويبقى الوبال والوزر (ولا يغرنكم بالله الغرور) وهو الذي عادته ان يغرّ غيره والدنيا وزينتها بهذه الصفة لأن الخلق يغترّون بها وقيل ان الغرور الشيطان الذي هو ابليس عن الحسن ومجاهد

قوله تعالى (٦) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٧) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٨) أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٩) وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (١٠) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابو جعفر فلا تذهب بضم التاء نفسك بالنصب والباقون فلا تذهب نفسك والوجه فيها ظاهر

الإعراب

حسرات مصدر فعل محذوف تقديره فلا تذهب نفسك تتحسر عليهم حسرات وجميعا نصب على الحال والعامل فيه ما يتعلق به اللام من لله ومكر اولئك هو يبور هو فصل بين المبتدأ وخبره

المعنى

ثم انه سبحانه حذّرهم الشيطان فقال (إن الشيطان لكم عدوٌّ) يدعوكم إلى ما فيه الهلاك والخسر ويصرفكم عن افعال الخير والبرّ ويدعوكم إلى الشرّ (فاتخذوه عدوّاً) اي فعادوه ولا تتبعوه بأن تعملوا على وفق مراده وتذعنوا لانقياده (إنما يدعو حزبه) اي اتباعه واولياءه واصحابه (ليكونوا من اصحاب السعير) اي النار المسعرة والمعنى انه لا سلطان له على المؤمنين ولكنه يدعو اتباعه إلى ما يستحقّون به النار ثم بيّن سبحانه حال من اجابه وحال من خالفه فقال (الذين كفروا لهم عذاب شديد) جزاء على كفرهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) من الله لذنوبهم (واجر كبير) اي ثواب عظيم ثم قال سبحانه مقرّراً لهم (أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسنا) يعني الكفار زيّنت لهم نفوسهم اعمالهم السيئة فتصوّروها حسنة او زيّنها الشيطان لهم بأن اماله إلى الشبه المضلة وترك النظر في الأدلة واغواهم حتى تشاغلوا بما فيه عاجل اللذة وطرح الكلفة وخبر قوله أفمن زيّن له سوء عمله محذوف اي اهو كمن علم الحسن والقبيح وعمل بما علم ولم يزيّن له سوء عمله وقيل تقديره كمن هداه الله وقيل كمن زيّن له صالح عمله (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) مرّ بيانه (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) اي لا تهلك نفسك يا محمد عليهم حسرة ولا يغمّك حالهم اذ كفروا واستحقّوا العقاب وهو مثل قوله لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين والحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر (إن الله عليم بما يصنعون) فيجازيهم عليه ثم عاد سبحانه إلى ذكر ادلة التوحيد

فقال (والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا) اي تهيجه وتزعجه من حيث هو (فسقناه) اي فسقنا السحاب (إلى بلد ميت) اي قحط وجدب لم يمطر فيمطر على ذلك البلد (فأحيينا به) اي بذلك المطر والماء (الأرض بعد موتها) بأن انبتنا فيها الزرع والكلاء بعد أن لم يكن (كذلك النشور) أي كما فعل هذا بهذه الارض الجدبة من احيائها بالزرع والنبات ينشر الخلائق بعد موتهم ويحشرهم للجزاء من الثواب والعقاب (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) اختلف في معناه فقيل المعنى من كان يريد علم العزة وهي القدرة على القهر والغلبة لمن هي فإنها لله جميعا عن الفراء وقيل معناه من أراد العزة فليتعزز بطاعة الله فإن الله تعالى يعز عن قتادة يعني ان قوله فلله العزة جميعا معناه الدعاء الى طاعة من له العزة كما يقال من أراد المال فالمال لفلان اي فليطلبه من عنده يدل على صحة هذا ما رواه أنس عن النبي ﷺ انه قال ان ربكم يقول كل يوم انا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز (اليه يصعد الكلم الطيب) والكلم جمع الكلمة يقال هذا كلم وهذه كلم فيذكر ويؤنث وكل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء يجوز فيه التذكير والتأنيث ومعنى الصعود هاهنا القبول من صاحبه والإثابة عليه وكلما يتقبله الله سبحانه من الطاعات يوصف بالرفع والصعود لأن الملائكة يكتبون اعمال بني آدم ويرفعونها إلى حيث شاء الله تعالى وهذا كقوله ان كتاب الأبرار لفي عليين وقيل معنى اليه يصعد إلى سمائه والى حيث لا يملك الحكم سواه فجعل صعوده إلى سمائه صعوداً اليه تعالى كما يقال ارتفع امرهم الى السلطان والكلم الطيب الكلمات الحسنة من التعظيم والتقديس واحسن الكلم لا إله إلا الله (والعمل الصالح يرفعه) قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله فالهاء من يرفعه يعود إلى الكلم وهو معنى قول الحسن ﴿ والثاني ﴾ على القلب من الأول اي والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب والمعنى ان العمل الصالح لا ينفع إلا إذا صدر عن التوحيد عن ابن عباس ﴿ والثالث ﴾ ان المعنى العمل الصالح يرفعه الله لصاحبه اي يقبله عن قتادة وعلى هذا فيكون ابتداء اخبار لا يتعلق بما قبله ثم ذكر سبحانه من لا يوحد الله سبحانه فقال (والذين يمكرون السيئات) اي يعملون السيئات عن الكلبي وقيل يمكرون اي يشركون بالله وقيل يعني الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة عن ابي العالية وهو قوله وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية (لهم عذاب شديد) في الآخرة ثم اخبر سبحانه ان مكرهم يبطل فقال (ومكر أولئك هو يبور) اي يفسد ويهلك ولا يكون شيئا ولا ينفذ فيما ارادوه

قوله تعالى (١١) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٢) وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٣) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٤) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا

لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٥) يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٦) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٧) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (سبع آيات)

القراءة

قرأ روح وزيد عن يعقوب ولا يَنقص بفتح الياء وهو قراءة الحسن وابن سيرين والباقون ولا يُنقص على البناء للمفعول به وقرأ قتيبة عن الكسائي والذين يدعون بالياء والباقون بالتاء. وفي الشواذ قراءة عيسى الثقفي سَيْغٌ شرابه

الحجة

من قرأ يَنقص فالتقدير ولا يَنقُص الله من عمره والقراءة المشهورة ولا يُنقَص وهي أوفق لما تقدّمه من قوله وما يعمّر من معمّر وكذلك قراءة تدعون على الخطاب أوفق بما تقدّم من الكلام وما تأخّر ويدعون بالياء على الغيبة ومن قرأ سَيْغٌ شرابه فإنه على التخفيف من سَيِّغٌ بالتشديد على فيعل وأصله سيوغ مثل هَيْن وهيّن وميت وميّت

اللغة

النطفة الماء القليل والماء الكثير وهو من الاضداد ومنه قول امير المؤمنين «ع» لما قيل له ان الخوارج عبروا جسر النهروان مصارعهم دون النطفة والعمر البقاء وأصله طول المدة وقولهم لعَمر الله بالفتح لا غير والقطمير لفافة النواة وقيل الحبّة في بطن النواة والجديد القريب العهد بانقطاع العمل عنه واصله من القطع

الاعراب

لا ينقص تقديره لا ينقص من عمره شيء فمفعول ما لم يسمّ فاعله محذوف وقوله إلا في كتاب الجار والمجرور في موضع خبر لمبتدأ محذوف تقديره إلا هو كائن في كتاب. تلبسونها يجوز ان يكون جملة منصوبة الموضع على الحال من تستخرجون ويجوز ان يكون صفة لحلية اي حلية ملبوسة واللام من قوله لتبتغوا يتعلق بمواخر لأن المعنى ان الفلك يشق الماء للابتغاء من فضل الله وقوله من دونه في موضع الحال من الضمير المحذوف من قوله تدعون والتقدير والذين تدعونهم كائنين من دونه

المعنى

ثم نسق سبحانه على ما تقدم من دلائل التوحيد فقال (والله خلقكم من تراب) بأن خلق اباكم آدم منه فإن الشيء يضاف إلى اصله وقيل اراد به آدم «ع» نفسه (ثم من نطفة) أي ماء الرجل والمرأة (ثم جعلكم ازواجا) اي ذكورا وإناثا وقيل ضروبا واصنافا (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) اي وما تحمل من الإناث حاملة ولدها في بطنها إلا بعلم الله تعالى والمعنى إلا وهو عالم بذلك (وما يعمّر من معمّر) معناه وما يمدّ في عمر معمر اي ولا يطول عمر احد (ولا ينقص من عمره) اي من عمر ذلك المعمر بانقضاء الأوقات عليه عن ابي مالك يعني ولا يذهب بعض عمره بمضيّ الليل والنهار وقيل معناه ولا ينقص من عمر غير ذلك المعمر عن الحسن والضحاك وابن زيد وقيل هو ما يعلمه الله تعالى ان فلانا لو اطاع لبقي الى وقت

كذا وإذا عصى نقص عمره فلا يبقى فالنقصان على ثلاثة اوجه اما ان يكون من عمر المعمر او من عمر معمر آخر او يكون بشرط (إلا في كتاب) اي إلا وذلك مثبت في الكتاب وهو الكتاب المحفوظ أثبته الله تعالى قبل كونه قال سعيد بن جبير مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا سنة ثم يكتب اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة ايام حتى يأتي على آخر عمره (ان ذلك على الله يسير) يعني ان تعمير من يعمره ونقصان من ينقصه واثبات ذلك في الكتاب سهل على الله تعالى غير متعذر ثم قال (وما يستوي البحران) يعني العذب والمالح ثم ذكرهما فقال (هذا عذب فرات) اي طيب بارد (سائغ شرابه) اي جائز في الحلق هني (وهذا ملح اجاج) شديد الملوحة عن ابن عباس وما بعد هذا مفسّر في سورة النحل الى آخر الآية (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) اي يدخل احدهما في الآخر بالزيادة والنقصان (وسخّر الشمس والقمر) اي يجريهما كما يريد (كلّ يجري لأجل مسمى) اي لوقت معلوم وقد مضى تفسيره (ذلكم الله ربكم) أي مدبّر هذه الأمور هو الله خالقكم (له الملك) في الدنيا والآخرة (والذين تدعون من دونه) اي تدعونهم آلهة من الأصنام والأوثان وتوجّهون عبادتكم اليهم (ما يملكون من قطمير) اي قشر نواة عن ابن عباس اي لا يقدرون من ذلك على قليل ولا كثير (إن تدعوهم) لكشف ضرّ (لا يسمعوا دعاءكم) لأنها جماد لا تنفع ولا تضرّ (ولو سمعوا) بأن يخلق الله لها سمعاً (ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم) اي يتبرأون عن عبادتكم ينطقهم الله يوم القيامة لتوبيخ عابديها فيقولون لِمَ عبدتمونا وما دعوناكم إلى ذلك قال البلخي ويجوز ان يكون المراد به الملائكة وعيسى ويكون معنى قوله لا يسمعوا دعاءكم انهم بحيث لا يسمعونه او انهم مشتغلون عنهم لا يلتفتون اليهم ويجوز ان يكون المراد به الأصنام ويكون ما يُظهر من بطلان ما ظنّوه كفراً بشركهم وجحوداً له كما ان ما يحصل في الجماد من الدلالة على الله تسبيح منهم (ولا ينبئك مثل خبير) اي لا يخبرك بما فيه الصلاح والفساد والمنافع والمضار مثل الله سبحانه العليم بالاشياء كلها (يا أيها الناس انتم الفقراء) المحتاجون (إلى الله والله هو الغني) عن عبادتكم لا يحتاج إلى شيء (الحميد) المستحق للحمد على جميع افعاله فلا يفعل إلا ما يستحق به حمداً ثم اخبر عن كمال قدرته فقال (ان يشأ يذهبكم) ويفنكم (ويأت بخلق جديد) سواكم كما خلقكم ولم تكونوا شيئا (وما ذلك على الله بعزيز) اي ممتنع بل هو عليه هيّن يسير

قوله تعالى (١٨) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٩) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (٢٠) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢١) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢٢) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٣) إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٤) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٥) وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٦) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (سبع آيات بصري تسع في غيرهم)

﴿ اللغة ﴾

الحرور السموم وهي الريح الحارة قال الفراء السموم لا يكون إلا بالنهار والحرور يكون بالليل والنهار والاستواء حصول احد الشيئين على مقدار الآخر ومنه الاستواء في العود والطريق خلاف الاعوجاج لمره على مقدار وضع له من غير انعدال والاسماع إيجاد المسموع بحيث يدركه السامع

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن عدله في حكمه فقال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى اي لا يؤاخذ أحد بذنب غيره وإنما يؤاخذ كل بما يقترفه من الآثام (وان تدع مثقلة الى حملها) اي وان تدع نفس مثقلة بالآثام غيرها الى ان يتحمل عنها شيئاً من إثمها (لا يحمل منه شيء) أي لا يحمل غيرها شيئاً من ذلك الحمل (ولو كان ذا قربى) أي ولو كان المدعو الى التحمل ذا قرابة منها واقرب الناس اليها ما حمل عنها شيئاً فكل نفس بما كسبت رهينة قال ابن عباس يقول الأب والأم يا بني احمل عني فيقول حسبي ما عليّ (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) أي وهم غائبون عن احكام الآخرة وأهوالها وهذا كقوله إنما انت منذر من يخشاها والمعنى ان انذارك لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم فكأنك تنذرهم دون غيرهم ممن لا ينفعهم الانذار وقيل الذين يخشون ربهم في خلواتهم وغيبتهم عن الخلق (واقاموا الصلاة) أي أداموها وقاموا بشرائطها وإنما عطف الماضي على المستقبل اشعاراً باختلاف المعنى لأن الخشية لازمة في كل وقت والصلاة لها اوقات مخصوصة (ومن تزكى) أي فعل الطاعات وقام بما يجب عليه من الزكاة وغيرها من الواجبات وقيل تطهر من الآثام (فإنما يتزكى لنفسه) لأن جزاء ذلك يصل اليه دون غيره (والى الله المصير) أي مرجع الخلق كلهم الى حيث لا يملك الحكم إلا الله سبحانه فيجازي كلاً على قدر عمله (وما يستوي الأعمى والبصير) اي لا يتساوى الأعمى عن طريق الحق والذي اهتدى اليه قط وقيل المشرك والمؤمن (ولا الظلمات) أي ظلمات الشرك والضلال (ولا النور) أي نور الإيمان والهداية وفي قوله ولا النور وما بعده من زيادة لا قولان ﴿ احدهما ﴾ انها زائدة مؤكدة للنفي ﴿ والثاني ﴾ انها نافية لاستواء كل واحد منهما لصاحبه على التفصيل (ولا الظل ولا الحرور) يعني الجنة والنار عن الكلبي وقيل يعني ظل الليل والسموم بالنهار (وما يستوي الأحياء ولا الأموات) يعني المؤمنين والكافرين وقيل يعني العلماء والجهال وقال بعضهم أراد نفس الأعمى والبصير والظل والحرور والظلمات والنور على طريق ضرب المثل أي كما لا يستوي هذه الأشياء ولا يتماثل ولا يتشاكل فكذلك عبادة الله لا تشبه عبادة غيره ولا يستوي المؤمن والكافر والحق والباطل والعالم والجاهل (إن الله يسمع من يشاء) أي ينفع بالاسماع من يشاء أن يلطف له ويوفقه ولم يرد به نفي حقيقة السماع لأنهم كانوا يسمعون آيات الله (وما انت بمسمع من في القبور) أي انك لا تقدر على ان تنفع الكفار باسماعك إياهم إذ لم يقبلوا كما لا تسمع من في القبور من الأموات (إن أنت إلا نذير) أي ما انت إلا مخوف لهم بالله (إنا ارسلناك بالحق) أي بالدين الصحيح (بشيراً ونذيراً) أي مبشراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين (وإن من أمة) اي ومامن امة من الامم الماضية (إلا خلا فيها نذير) أي مضى فيها مخوف يخوفهم وينذرهم فأنت مثلهم نذير لمن جحد بشير لمن وحد قال الجبائي وفي هذا دلالة على انه لا أحد من المكلفين إلا وقد بعث اليه الرسول وانه سبحانه اقام الحجة على جميع الأمم ثم قال تعالى

تسلية لنبيه ﷺ (وإن يكذبوك) يا محمد ولم يصدقوك (فقد كذب الذين من قبلهم) من الكفار أنبياء ارسلهم الله اليهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) اي بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات (وبالزبر) أي وبالكتب (وبالكتاب المنير) أي الواضح البين وإنما كرر ذكر الكتاب وعطفه على الزبر لاختلاف الصفتين فإن الزبور أثبت في الكتاب من الكتاب لأنه يكون منقرا منقشا فيه كالنقر في الحجر (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) أي فلما كذبوا رسلهم ولم يعترفوا بنبوتهم أخذتهم بالعذاب وأهلكتهم ودمرت عليهم فكيف كان تعييري وانكاري عليهم وإنزالي العقاب بهم

قوله تعالى (٢٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٨) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٣٠) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (اربع آيات)

اللغة

واحد الجُدَد جُدَّة واما الجُدُد فجمع جديد قال المبرد الجُدَد الطرائق والخطوط قال امرؤ القيس

كَأَنَّ سَرَاتَهُ وَجُدَّةَ مَتْنِهِ كَنَائِنُ يَجْرِي بَيْنَهُنَّ دَلِيصُ(١)

يعني الخطة السوداء في ظهر حمار الوحش وكل طريقة جدة وجادة وقال الفراء هي الطرائق تكون في الجبال كالعروق بيض وسود وحمر والغربيب الشديد السواد الذي يشبه لون الغراب

(الإعراب)

مختلفا صفة لثمرات وألوانها مرفوع بأنه فاعله. مختلف الوانه خبر مبتدأ محذوف تقديره ماهو مختلف الوانه فالهاء في الوانه عائد الى هو ويجوز أن يكون الهاء عائداً الى موصوف لمختلف تقديره جنس مختلف الوانه وهو الأصح. سرّاً وعلانية يجوز ان يكون نصبهما على الحال على تقدير أنفقوا مسرّين ومعلنين ويجوز أن يكون على صفة مصدر أنفق تقديره أنفقوا إنفاقا مسرّاً ومعلنا ويرجون في موضع نصب على الحال

المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر دلائل التوحيد فقال سبحانه (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) اي غيثا ومطرا (فأخرجنا) اخبر عن نفسه بنون الكبرياء والعظمة (به) اي بذلك الماء (ثمرات) جمع ثمرة وهي ما تجتني من الشجر (مختلفا الوانها) وطعومها وروائحها اقتصر على ذكر الالوان لأنها اظهر ولدلالة الكلام على الطعوم والروائح (ومن الجبال جدد) اي ومما خلقنا من الجبال جدد (بيض وحمر) اي طرق بيض وطرق حمر (مختلف الوانها وغرابيب سود) اي ومن الجبال غرابيب سود على لون واحد لا خطط فيها قال الفراء وهذا على التقديم والتأخير تقديره وسود غرابيب لأنه يقال اسود غربيب واسود حالك واقول ينبغي أن يكون سود عطف بيان يبين غرابيب به والاجود أن يكون تأكيداً إذ الغرابيب لا تكون إلا سوداً فيكون كقولك رأيت زيدا زيدا وهذا أولى من ان يحمل على التقديم والتأخير (ومن الناس) ايضاً (والدواب) التي تدبّ على وجه الارض (والأنعام)

(١) سراة الفرس: أعلى متنه والكنائن جمع الكنانة: جعبة السهام والدليص: ذهبٌ له بريق.

كالابل والغنم والبقر خلق (مختلف الوانه كذلك) اي كاختلاف الثمرات والجبال وتمّ الكلام ثم قال (إنما يخشى الله من عباده العلماء) اي ليس يخاف الله حق خوفه ولا يحذر معاصيه خوفا من نقمته إلا العلماء الذين يعرفونه حق معرفته وروي عن الصادق «ع» انه قال يعني بالعلماء من صدق قوله فعله ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم وعن ابن عباس قال يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزّتي وسلطاني وفي الحديث اعلمكم بالله اخوفكم لله قال مسروق كفى بالمرء علماً ان يخشى الله وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه وإنما خصّ سبحانه العلماء بالخشية لأن العالم احذر لعقاب الله من الجاهل حيث يختصّ بمعرفة التوحيد والعدل ويصدّق بالبعث والحساب والجنة والنار ومتى قيل فقد نرى من العلماء من لا يخاف الله ويرتكب المعاصي ﴿ فالجواب ﴾ انه لابدّ من ان يخافه مع العلم به وإن كان ربما يؤثر المعصية عند غلبة الشهوة لعاجل اللذة (إن الله) تعالى (عزيز) في انتقامه من اعدائه (غفور) لزلّات اوليائه ثم وصف سبحانه العلماء فقال (إن الذين يتلون كتاب الله) اي يقرؤن القرآن في الصلاة وغيرها اثنى سبحانه عليهم بقراءة القرآن قال مطرف بن عبد الله الشخير هذه آية القراء (واقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم) اي ملكناهم التصرف فيه (سراً وعلانية) اي في حال سرّهم وفي حال علانيتهم وعن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي قال قام رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله مالي لا أحبُّ الموت قال ألك مال قال نعم قال فقدّمه قال لا استطيع قال فإن قلب الرجل مع ماله إن قدّمه أحبَّ ان يلحق به وإن أخّره أحب ان يتأخّر معه (يرجون تجارة لن تبور) اي راجين بذلك تجارة لن تكسد ولن تفسد ولن تهلك (ليوفيهم أجورهم) اي قصدوا بأعمالهم الصالحة وفعلوها لأن يوفّيهم الله أجورهم بالثواب ويزيدهم على قدر استحقاقهم (من فضله انه غفور) لذنوبهم (شكور) لحسناتهم عن الزجاج وقال الفرا خبر ان قوله يرجون تجارة لن تبور وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ انه قال في قوله ويزيدهم من فضله هو الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليه معروفا في الدنيا وعن الضحاك قال يغسح لهم في قبورهم وقيل معنى شكور انه يقبل اليسير ويثيب عليه الكثير تقول العرب اشكر من بروقة وتزعم انها شجرة عارية من الورق تعيم السماء فروقها فتخضر وتورق من غير مطر

قوله تعالى (٣١) وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣٢) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٣) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٤) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٥) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو يُدخلونها بضم الياء على ما لم يسم فاعله ليشاكل قوله يُحلّون والباقون بفتح الياء لأنهم إذا ادخلوا فقد دخلوا وقد ذكرنا اختلافهم في لؤلؤاً في سورة الحج

﴿ اللغة ﴾

المقامة الإقامة وموضع الاقامة وإذا فتحت الميم كان بمعنى القيام وموضع القيام قال الشاعر

يَوْمَانِ يَوْمُ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ ... وَيَوْمُ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيبِ (١)

(١) مر البيت في صفحة ٣٨٠ من هذا الجزء.

«النُصْب التعب وفيه لغتان النُصْب والنَصَب لغتان كالرُشْد والرَشَد والحُزْن والحَزَن والغوب الاعياء من التعب

الاعراب

من الكتاب في موضع الحال من الضمير المنصوب المحذوف من الصلة والتقدير والذي اوحيناه اليك كائناً من الكتاب جنات عدن يدخلونها خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون بدلا من قوله الفضل الكبير يدخلونها في موضع نصب على الحال وكذلك يحلون فيها من اساور من يتعلق بيحلون من ذهب في موضع الصفة لاساور اي اساور كائنة من ذهب والمعنى ذهبية. لايمسنا في موضع نصب على الحال

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال (والذي أوحينا اليك) يامحمد وانزلناه (من الكتاب) وهو القرآن (هو الحق) اي الصحيح الذي لا يشوبه فساد والصدق الذي لا يمازجه كذب والعقل يدعو إلى الحق ويصرف عن الباطل (مصدّقا لما بين يديه) اي لما قبله من الكتب لأنه جاء موافقا لما بشّرت به تلك الكتب من حاله وحال من اتى به (إن الله بعباده لخبير) اي عالم (بصير) بأحوالهم (ثم أورثنا الكتاب) يعني القرآن وقيل هو التوراة عن ابي مسلم وقيل اراد الكتب لأن الكتاب يطلق ويراد به الجنس عن الجبائي والصحيح الأول لأن ظاهر لفظ الكتاب لا يطلق إلا على القرآن (الذين اصطفينا من عبادنا) اي اخترناهم ومعنى الارث انتهاء الحكم اليهم ومصيره لهم كما قال وتلك الجنة التي اورثتموها وقيل معناه اورثناهم الايمان بالكتب السالفة اذ الميراث انتقال الشيء من قوم إلى قوم والاول اصحّ واختلف في الذين اصطفاهم الله تعالى من عباده في الآية فقيل هم الأنبياء اختارهم الله برسالته وكتبه عن الجبائي وقيل هم المصطفون الداخلون في قوله إن الله اصطفى آدم إلى قوله وآل ابراهيم وآل عمران يريد بني اسرائيل عن ابي مسلم قال لأن الأنبياء لا يرثون الكتب بل يورث علمهم وقيل هم امة محمد ﷺ اورثهم الله كل كتاب انزله عن ابن عباس وقيل هم علماء امة محمد ﷺ لما ورد في الحديث العلماء ورثة الأنبياء والمروي عن الباقر والصادق «ع» انهما قالا هي لنا خاصة وايانا عنى وهذا اقرب الأقوال لأنهم احق الناس بوصف الاصطفاء والاجتباء وايراث عام الأنبياء إذ هم المتعبدون بحفظ القرآن وبيان حقائقه والعارفون بجلائله ودقائقه (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) اختلف في ان الضمير في منهم إلى من يعود على قولين ﴿ احدهما ﴾ انه يعود إلى العباد وتقدير الكلام فمن العباد ظالم وروي نحو ذلك عن ابن عباس والحسن وقتادة واختاره المرتضى قدس الله روحه من اصحابنا قال والوجه فيه انه لما علّق توريث الكتاب بمن اصطفاه من عباده بيّن عقيبه انه إنما علّق وراثة الكتاب ببعض العباد دون بعض لأن فيهم من هو ظالم لنفسه ومن هو مقتصد ومن هو سابق بالخيرات ﴿ والقول الثاني ﴾ أن الضمير يعود إلى المصطفين من العباد عن اكثر المفسرين ثم اختلف في احوال الفرق الثلاث على قولين ﴿ احدهما ﴾ ان جميعهم ناج ويؤيد ذلك ما ورد في الحديث عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول في الآية أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام ثم يدخل الجنة فهم الذين قالوا الحمد لله الذي اذهب عنّا الحزن وعن عائشة انها قالت كلهم في الجنة اما السابق فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة واما المقتصد فمن اتبع اثره من اصحابه حتى لحق بهم وأما الظالم فمثلي ومثلكم وروي عنها ايضا أنها قالت السابق الذي اسلم قبل الهجرة والمقتصد الذي اسلم بعد الهجرة والظالم نحن وروي عن عمر بن الخطاب انه قال سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وقيل إن الظالم من كان ظاهره خيراً من باطنه والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل منهم ظالم لنفسه بالصغائر ومنهم مقتصد بالطاعات في الدرجة الوسطى ومنهم سابق بالخيرات في الدرجة

العليا عن جعفر بن حرب وروى اصحابنا عن ميسر بن عبد العزيز عن الصادق «ع» انه قال الظالم لنفسه منا من لا يعرف حق الإمام والمقتصد منا العارف بحق الإمام والسابق بالخيرات هو الإمام وهؤلاء كلهم مغفور لهم وعن زياد بن المنذر عن ابي جعفر (ع) قال اما الظالم لنفسه منا فمن عمل عملا صالحا وآخر سيئا واما المقتصد فهو المتعبد المجتهد واما السابق بالخيرات فعلي والحسن والحسين (ع) ومن قتل من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم شهيدا والقول الآخر ان الفرقة الظالمة لنفسها غير ناجية قال قتادة الظالم لنفسه اصحاب المشأمة والمقتصد اصحاب الميمنة والسابق بالخيرات هم السابقون المقربون من الناس كلهم كما قال سبحانه وكنتم ازواجا ثلاثة وقال عكرمة عن ابن عباس ان الظالم هو المنافق والمقتصد والسابق من جميع الناس وقال الحسن السابقون هم الصحابة والمقتصدون هم التابعون والظالمون هم المنافقون (١) فإن قيل لم قدم الظالم وأخر السابق وإنما يقدم الأفضل فالجواب انهم يقدمون الادنى في الذكر على الأفضل قال سبحانه يولج الليل في النهار وقال يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقال خلق الموت والحياة وقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقيل إنما قدم الظالم لئلا ييأس من رحمته وأخر السابق لئلا يعجب بعلمه وقيل إنما رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لأن احوال الناس ثلاث معصية وغفلة ثم التوبة ثم القربة فإذا عصى فهو ظالم وإذا تاب فهو مقتصد وإذا صحت توبته وكثرت مجاهدته اتصل بالله وصار من جملة السابقين وقوله (باذن الله) اي بأمره وتوفيقه ولطفه (ذلك هو الفضل الكبير) معناه ان ايراث الكتاب واصطفاء الله اياهم هو الفضل العظيم من الله عليهم (جنات عدن يدخلونها) هذا تفسير للفضل كأنه قيل ماذلك الفضل فقال هي جنات اي جزاء جنات او دخول جنات ويجوز أن يكون بدلا من الفضل كأنه قال ذلك دخول جنات (يحلون فيها من اساور) جمع اسورة وهي جمع سوار (من ذهب ولؤلؤا) ومن قرأ ولؤلؤ فالمعنى ويحلون فيها لؤلؤا (ولباسهم فيها حرير) وهو الابريسم المحض وإذا قلنا إن المراد به الفرق الثالث فالظالم إنما يدخلها بفضل الله تعالى أو بالشفاعة (وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن) اخبر سبحانه عن حالهم انهم إذا دخلوا الجنة يقولون الحمد لله اعترافا منهم بنعمته لا على وجه التكليف وشكرا له على ان اذهب الغم الذي كانوا عليه في دار الدنيا عنهم وقيل يعنون الحزن الذي اصابهم قبل دخول الجنة لأنهم كانوا يخافون دخول النار إذ كانوا مستحقين لذلك فإذا تفضل الله عليهم بإسقاط عقابهم وادخلهم الجنة حمدوه على ذلك وشكروه (إن ربنا لغفور) لذنوب عباده وقبيح افعالهم (شكور) يقبل اليسير من محاسن اعمالهم وقيل ان شكره سبحانه هو مكافاته لهم على الشكر له والقيام بطاعته وان كان حقيقة الشكر لا يجوز عليه سبحانه من حيث كان اعترافا بالنعمة ولا يصح ان يكون سبحانه منعما عليه (الذي احلنا دار المقامة) اي انزلنا دار الخلود يقيمون فيها ابدا لا يموتون ولا يتحولون عنها (من فضله) اي ذلك بتفضله وكرمه (لا يمسنا فيها نصب) لا يصيبنا في الجنة عناء ومشقة (ولا يمسنا فيها لغوب) اي ولا يصيبنا فيها اعياء ومتعبة في طلب المعاش وغيره

قوله تعالى (٣٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٧) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٨) إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٩) هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٤٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ

(١) وحكى عن بعض أهل العرفان أن الظالم: الذي يجزع عند البلاء والمقتصد: الذي يصبر على البلاء. والسابق الذي يتلذذ بالبلاء.

تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابو عمر وخلف وحده يجزى كل كفور على ما لم يسم فاعله والباقون نجزي بالنون كل بالنصب وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وحفص وخلف على بينة بالتوحيد والباقون بينات بالجمع

الحجة

من قرأ نجزي بالنون فإنه على وجه الاخبار من الله تعالى عن نفسه ومن قرأ على بناء الفعل للمفعول به فحجته ان ما قبله لا يقضى عليهم ولا يخفف عنهم والوجه في قراءة بينة على الافراد انه يجعل ما في الكتاب او ما يأتي به النبي ﷺ بيّنة كما قال أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وقد جاءتكم بينة من ربكم ومن قرأ بالجمع فإن لكل نبيّ بينة فإذا جمعوا جمعت البينة بجمعهم على ان في الكتاب ضروبا من البينة فجمع لذلك

اللغة

الاصطراخ الصياح والنداء بالاستغاثة افتعال من الصراخ قلبت التاء طاء لأجل الصاد الساكنة قبلها وإنما فعل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الاستعلاء والاطباق ويوافق التاء في المخرج والمقت البغض مقته يمقته وهو ممقوت ومقيت

الاعراب

فيموتوا جواب النفي ويموتوا منصوب باضمار ان وعلامة النصب سقوط النون · مايتذكر فيه من تذكر الموصول والصلة في محل النصب على انه ظرف زمان لأن المعنى أولم نعمركم زمانا طويلا يتذكر فيه من تذكر والهاء فيه يعود إلى ما وقلّما يجيء ما في معنى الظرف وهو اسم وإنما يجيء حرفا مصدريا

المعنى

لمّا قدّم سبحانه ذكر ما أعدّه لأهل الجنة من انواع الثواب عقّبه بذكر ما أعدّه للكفار من أليم العقاب فقال (والذين كفروا) بوحدانية الله وجحدوا نبوّة نبيّه (لهم نار جهنم) جزاء على كفرهم (لا يقضى عليهم) بالموت (فيموتوا) فيستريحوا (ولا يخفّف عنهم من عذابها) اي ولا يسهل عليهم عذاب النار (كذلك) اي ومثل هذا العذاب ونظيره (نجزي كل كفور) جاحد كثير الكفران مكذّب لأنبياء الله (وهم يصطرخون فيها) اي يتصايحون بالاستغاثة يقولون (ربنا اخرجنا) من عذاب النار (نعمل صالحا) اي نؤمن بدل الكفر ونطع بدل المعصية والمعنى ردّنا إلى الدنيا لنعمل بالطاعات التي تأمرنا بها (غير الذي كنا نعمل) من المعاصي فوبّخهم الله تعالى فقال (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) اي ألم نعطكم من العمر مقدار ما يمكن ان يتفكّر ويعتبر وينظر في أمور دينه وعواقب حاله من يريد ان يتفكر ويتذكر واختلف في هذا المقدار فقيل هو ستون سنة وهو المروي عن امير المؤمنين «ع» قال العمر للذي اعذر الله فيه إلى ابن آدم ستّون سنة وهو احدى الروايتين عن ابن عباس وروي عن النبي ﷺ ايضاً مرفوعاً انه قال من عمره الله ستين سنة فقد اعذر اليه وقيل هو اربعون سنة عن ابن عباس ومسروق وقيل هو توبيخ لابن ثماني عشرة سنة عن وهب وقتادة وروي ذلك عن الصادق «ع» (وجاءكم النذير) اي المخوّف من عذاب الله وهو محمد ﷺ عن ابن زيد والجبائي وجماعة وقيل النذير القرآن عن زيد ابن علي وقيل النذير الشيب عن عكرمة وسفيان بن عيينة ومنه قيل

رَأَيْتُ الشَّيْبَ مِنْ نُذُرِ الْمَنَايَا لِصَاحِبِهِ وَحَسْبُكَ مِنْ نَذِيرِ

وَقَائِلَةٍ تَبَيَّضُ وَالْغَوَانِي نَوَافِرُ عَنْ مُعَايِنَةِ الْقَتِيرِ(١)
فَقُلْتُ لَهَا الْمَشِيبُ نَذِيرُ عُمْرِي وَلَسْتُ مُسَوِّدًا وَجْهَ النَّذِيرِ

وقال عدي بن زيد

وَابْيِضَاضُ السَّوَادِ مِنْ نُذُرِ الْمَوْ تِ وَهَلْ بَعْدَهُ بَحِيٌّ نَذِيرُ

وقيل النذير موت الأهل والأقارب وقيل كمال العقل (فذوقوا) اي فذوقوا العذاب وحسرة الندم (فما للظالمين من نصير) يدفع عنهم العذاب (إن الله عالم غيب السماوات والارض) فلا يخفى عليه شيء مما يغيب عن الخلائق علمه (إنه عليم بذات الصدور) اي فلا تضمروا في انفسكم ما يكرهه سبحانه فإنه عالم به (هو الذي جعلكم خلائف في الارض) اي جعلكم معاشر الكفار أمة بعد امة وقرناً بعد قرن عن قتادة وقيل جعلكم خلائف القرون الماضية بأن احدثكم بعدهم وأورثكم ما كان لهم (فمن كفر فعليه كفره) اي فعليه ضرر كفره وعقاب كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا) اي اشد البغض (ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً) اي خسرانا وهلاكا (قل) يا محمد (أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض) معناه اخبروني ايها المشركون عن الأوثان الذين اشركتموهم مع الله في العبادة أروني ماذا خلقوا من الارض اي بأيّ شيء أوجبتم له شركا مع الله تعالى في العبادة أبشيء خلقوه من الارض (أم لهم شرك في السماوات) اي شركة في خلقها ثم ترك هذا النظم فقال (أم آتيناهم كتابا) اي أم أنزلنا عليهم كتابا يصدق دعواهم فيما هم عليه من الشرك (فهم على بينة) اي فهم على دلالات واضحات (منه) اي من ذلك الكتاب أراد فإن جميع ذلك محال لا يمكنهم اقامة حجة ولا شبهة على شيء منه وقيل أم آتيناهم كتابا بأن الله لا يعذبهم على كفرهم فهم واثقون به (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً) معناه ليس شيء من ذلك لكن ليس يعد بعض الظالمين بعضاً إلا غروراً لا حقيقة له يغرونهم يقال غره يغره غرورا إذا اطمعه فيما لا يطمع فيه

النظم

اتصال قوله ان الله عالم غيب السماوات والارض الآية بما قبله ان المعنى يعلم الله انه لو ردكم إلى الدنيا لعدتم إلى كفركم فاتصل بقوله نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل واتصل قوله هو الذي جعلكم خلائف في الارض بما قبله على معنى انه كما أورثكم الكتاب اورثكم الارض لتشكروه على نعمه وتعتبروا بمن سلف من الأمم

قوله تعالى (٤١) إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٢) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٣) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٤) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٥) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ

(١) الغوانى جمع الغانية: الجارية الحسناء، سميت غانية لانها غنيت بحسنها عن الزينة، والقتير: الشيب.

بِعِبَادِهِ بَصِيراً (خمس آيات)

القراءة

قرأ حمزة وحده ومكر السيئ بسكون الهمزة والباقون بالجر

الحجة

قال الزجاج تسكين هذه الهمزة لحن عند البصريين و انما يجوز في الشعر في الاضطرار انشدوا «إذا أعوججن قلت صاحبْ قَوِّمِ»[1] والأصل ياصاحب قَوِّم لكنه حذف مضطراً وأنشدوا

فَالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْماً مِنَ اللهِ وَلَا وَاغِلِ[2]

وأنشد ابو العباس المبرد «اذا أعوججن قلت صاحْ قَوِّمِ»[3] وقال ابو علي في إسكان الهمزة أجراها في الوصل مجراها في الوقف فهو مثل قوله «بِبَازِلٍ وَجْناءَ أَوْ عَيْهَلِ»[4] وقوله «مِثْلُ الحَرِيقِ وَافَقَ القَصَبَا»[5]

الاعراب

ان تزولا مفعول له اي كراهة ان تـ ... ر لئلا تزولا واستكباراً مفعول له ايضاً ومكر السيئ معطوف عليه ويجوز ان يكون مصدراً على تقدير ... كروا استكباراً في الأرض وأن يكون حالا ايضاً اي مستكبرين في الأرض وأن يكون بدلا من نفوراً ا... م مجيئ النذير إلا استكباراً في الأرض. من شيء فاعل يعجز ومن مزيدة ومن دابة في محل نصب لا... ، تركه ومن مزيدة ايضاً

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن عظم قدرته وسعة مملكته فقال (إن الله يمسك السموات والأرض) معناه انه يمسك السموات من غير علاقة فوقها ولا عماد تحتها ويمسك الأرض كذلك (ان تزولا) اي لئلا تزولا (ولئن زالتا إن امسكهما من احد) اي وان قدر ان تزولا عن مراكزهما ما امسكهما احد ولا يقدر على امساكهما احد (من بعده) اي من بعد الله تعالى وقيل من بعد زوالهما (إنه كان حليما) اي قادراً لا يعاجل بالعقوبة من استحقها (غفوراً) اي ستاراً للذنوب كثير الغفران ثم حكى عن الكفار فقال (واقسموا بالله جهد ايمانهم) يعني كفار مكة حلفوا بالله قبل ان يأتيهم محمد ﷺ بأيمان غليظة غاية وسعهم وطاقتهم (لئن جاءهم نذير) اي رسول مخوف من جهة الله تعالى (ليكونن اهدى) إلى قبول قوله واتباعه (من احدى الامم) الماضية يعني اليهود والنصارى والصابئين (فلما جاءهم نذير) محمد ﷺ (ما زادهم) مجيئه (إلا نفورا) اي تباعدا عن الهدى وهرباً من الحق والمعنى انهم ازدادوا عند مجيئه نفوراً (استكبارا) اي تكبراً وتجبراً وعتواً على الله وانفة من أن يكونوا تبعا لغيرهم (في الأرض ومكر السيئ) اي وقصد الضرر بالمؤمنين والمكر السيئ كل مكر اصله الكذب والخديعة وكان تأسيسه على فساد لأن من المكر ما هو حسن وهو مكر المؤمنين بالكافرين إذا حاربوهم من الوجه الذي يحسن أن يمكروا بهم فالمراد به ها هنا المكر برسول الله ﷺ وبأهل دينه واضيف المصدر إلى صفة المصدر فالتقدير ومكروا المكر السيئ بدلالة قوله (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) والمعنى لا ينزل جزاء المكر السيئ إلا بمن فعله (فهل ينظرون إلا سنت الأولين) اي فهل ينتظرون الا عادة الله تعالى في الأمم الماضية ان يهلكهم إذا كذبوا رسله وينزل بهم العذاب ويحل عليهم النقمة جزاء على كفرهم وتكذيبهم فإن كانوا ينتظرون ذلك (فلن تجد) يامحمد (لسنة الله تبديلا) أي لا يغير الله عادته من عقوبة من كفر نعمته وجحد ربوبيته ولا يبدلها (ولن تجد لسنة الله تحويلا) فالتبديل تصيير الشيء مكان غيره والتحويل تصيير الشيء في غير المكان الذي كان فيه والتغيير تصيير الشيء على خلاف ما كان (أولم يسيروا في الأرض)

(١) هذا صدر بيت وعجزه «بالدو أمثال السفين العوم» يعني اذا عدلت الابل عن الطريق قلت لصاحبي قومها على الطريق لاتتركهما تعدل عنه. و الدو: الفلاة الواسعة. والعوم: السباحة. شبه دخول الابل في المفازة بدخول السفن في الماء. (٢) قائله امرؤ القيس، و المستحقب: المكتسب للاثم الحامل له. و الواغل: الذي-

اي ا لم يسر هؤلاء (الكفار) الذين انكروا اهلاك الله الامم الماضية في الأرض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) اي كيف اهلك الله المكذبين من قبلهم مثل قوم لوط وعاد وثمود فيعتبروا بهم (وكانوا) وكان او لئك (اشدّ منهم) اي من هؤلاء (قوة وما كان الله ليعجزه من شيء) اي لم يكن الله يفوته شيء (في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما) بجميع الأشياء (قديراً) على ما لا نهاية له ثم منّ سبحانه على خلقه بتأخيره العقاب عنهم فقال (ولو يؤآخذ الله الناس بما كسبوا) من الشرك والتكذيب لعجّل لهم العقوبة وهو قوله (ما ترك على ظهرها من دابة) والضمير عائد إلى الأرض وان لم يجر لها ذكر لدلالة الكلام على ذلك والعلم الحاصل به (ولكن يؤخرهم إلى اجل مسمى) والآية مفسرة في سورة النحل (فإذا جاء اجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً) اي هو بصير بمكانهم فيؤآخذهم حيث كانوا وقيل بصيراً بأعمالهم فيجازيهم عليها

سورة يس

مكية عند الجميع قال ابن عباس إلا آية منها وهي قوله و إذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله الآية نزلت بالمدينة

عدد آيها

ثلاث وثمانون آية كوفي اثنتان في الباقين

اختلافها

آية واحدة يس كوفي

فضلها

أبي بن كعب قال من قرأ سورة يس يريد بها وجه الله عز وجل غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة وأيّما مريض قرئت عنده سورة يس نزل عليه بعدد كل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا ويستغفرون له ويشهدون قبضه ويتبعون جنازته ويصلّون عليه ويشهدون دفنه وأيما مريض قرأها وهو في سكرات الموت او قرئت عنده جاءه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فسقاه إياها وهو على فراشه فيشرب فيموت ريان ويبعث ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان. ابو بكر عن النبي ﷺ انه قال سورة يس تدعى في التوراة المعمة قيل وما المعمة قال تعم صاحبها خير الدنيا والآخرة وتكابد عنه بلوى الدنيا وتدفع عنه اهاويل الآخرة وتدعى المدافعة القاضية تدفع عن صاحبها كل شرّ وتقضي له كل حاجة ومن قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها عدلت له الف دينار في سبيل الله ومن كتبها ثم شربها ادخلت جوفه الف دواء والف نور والف يقين والف بركة والف رحمة ونزعت عنه كل داء وعلة وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس وعنه عن النبي ﷺ قال من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفّف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وروى ابو بصير عن ابي عبد الله «ع» قال إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس فمن قرأ يس في نهاره قبل أن يمسي كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسي ومن قرأها في ليله قبل ان ينام وكّل به الف ملك يحفظونه من كل شيطان رجيم ومن كل آفة و إن مات في نومه أدخله الله الجنة وحضر غسله ثلاثون الف ملك كلهم يستغفرون له ويشيّعونه إلى قبره بالاستغفار

← يحضر شراب القوم من غير أن يدعى اليه . وحكى عن شرح الديوان : انه كان حلف ان لا يشرب خمراً ، ولا يأكل لحماً ، ولا يغسل رأساً حتى يدرك بثأر أبيه ، فلما أخذه شرب الخمر وقال البيت . (٣) يعني ان المبرد ينكر ما رويناه ويروى هكذا . و«صاح» مرخم «صاحب»(٤) [«واليوم فاشرب »وهذا جيد] . (٥) قائله منظور بن مرثد . والبازل ←

له فإذا ادخل لحده كانوا في حوف قبره يعبدون الله وثواب عبادتهم له وفسح له في قبره مدّ بصره وامن من ضغطة القبر ولم يزل له في قبره نور ساطع إلى عنان السماء إلى ان يخرجه الله من قبره فإذا اخرجه لم تزل ملائكة الله معه يشيّعونه ويحدّثونه ويضحكون في وجهه ويبشّرونه بكل خير حتى يجوزوا به الصراط والميزان ويوقفوه من الله موقفا لا يكون عند الله خلق اقرب منه إلا ملائكة الله المقرّبون وأنبياؤه المرسلون وهو مع النبيين واقف بين يدي الله لا يحزن مع من يحزن ولا يهتم مع من يهتم ولا يجزع مع من يجزع ثم يقول له الرب تعالى اشفع عبدي اشفعك في جميع ما تشفع وسلني عبدي اعطك جميع ما تسأل فيسأل فيعطى ويشفع فيشفع ولا يحاسب فيمن يحاسب ولا يذلّ مع من يذلّ ولا يبكت بخطيئة ولا بشيء من سوء عمله ويعطى كتابا منشورا فيقول الناس بأجمعهم سبحان الله ما كان لهذا العبد خطيئة واحدة ويكون من رفقاء محمد ﷺ وروى محمد بن مسلم عن ابي جعفر «ع» قال ان لرسول الله ﷺ اثنى عشر اسما خمسة منها في القرآن محمد واحمد وعبد الله ويس ونون

تفسيرها

لمّا ذكر سبحانه في آخر السورة انهم لا يؤمنون بالله ليؤمنن ان جاءهم نذير افتتح هذه السورة بأنهم لم يؤمنوا وقد جاءهم النذير فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) يٰسٓ (٢) وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ (٣) إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٤) عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥) تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ (٦) لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ (٧) لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٨) إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (٩) وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (١٠) وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (عشر آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم إلا حمادا ويحيى عن ابي بكر يس بالامالة والباقون بالتفخيم وقرأ ابو جعفر وابو عمرو وحمزة وابن كثير برواية القواس والبزي ونافع برواية اسماعيل وورش بخلاف باظهار النون من يس عند الواو وكذلك نون والقلم وقرأ ابن عامر والكسائي وخلف باخفاء النون فيها وقرأ قالون عن نافع باظهار النون من نون واخفائها من يس واما عاصم فإنه يظهر النون منها في رواية حفص ورواية البرجمي عن ابي بكر ومحمد ابن غالب عن الأعمش عن ابي بكر ويظهر النون من يس ويخفيها من نون في رواية العليمي عن حماد واما يعقوب فإنه يظهر النونين في رواية روح وزيد ويخفيها في رواية رويس وقرأ اهل الحجاز والبصرة وابو بكر تنزيل بالرفع والباقون بالنصب وفي الشواذ قراءة الثقفي يس بفتح النون وقراءة ابي السماك يس بكسر النون وقراءة الكلبي يس بالرفع وقراءة ابن عباس وعكرمة وابن يعمر والنخعي وعمر بن عبد العزيز فأعشيناهم بالعين وقراءة ابن محيصن والزهري انذرتهم بهمزة واحدة

الحجة

قال ابو علي مما يحسن امالة الفتح من يس نحو الكسرة أنهم قالوا يازيد في النداء فأمالوا الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء. وان كان قولهم ياحرفا على حرفين والحروف التي على حرفين لا يمال منها شيء نحو لا وما فإذا

البعير اذا استكمل السنة الثامنة وفطر نابه والوجناء من النوق : التامة الخلق ، الضخمة الشديدة . و العيهل : الشديدة والشاهد فى تشديد اللام من عيهل للضرورة (٦) قائله رؤبة وبعده «والتبن و الحلفاء فالتهبا» والحلفاء : نبت .

كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فإن يميلوا الاسم الذي هو يا من ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها واما من بين النون من يس فإنما جاز ذلك وإن كانت النون الساكنة تخفى مع حروف الفم ولا تبين لأن هذه الحروف مبنية على الوقف ومما يدل على ذلك استجازتهم فيها الجمع بين ساكنين كما يجتمعان في الكلم التي يوقف عليها ولولا ذلك لم يجز الجمع بينهما وأما من لم يبين فلأنه وان كان في تقدير الوقف لم يقطع فيه همزة الوصل وذلك قوله آلم الله ألا ترى انه حذف همزة الوصل ولم يثبت كما لم يثبت مع غيرها من الكلام الذي يوصل ومن رفع تنزيل فعلى تقدير هو تنزيل العزيز الرحيم او تنزيل العزيز الرحيم هذا والنصب على نزّل تنزيل العزيز الرحيم وأما من قال يس بالنصب أو الجرّ فكلاهما لالتقاء الساكنين ومن رفع فعلى ما روي عن الكلبي انه قال هي بلغة طيء يا انسان قال ابن جني ويحتمل عندي أن يكون اكتفى من جميع الاسم بالسين فيما فيه حرف نداء كقولك يارجل ونظير حذف بعض الاسم قول النبي ﷺ كفى بالسيف شا اي شاهداً فحذف العين واللام فكذلك حذف من إنسان الفاء والعين وجعل ما بقي منه اسما قائما برأسه وهو السين فقيل يا سين وهو شبيه بقول الشاعر « قُلْنَا لَهَا قِفِي لَنَا قَالَتْ قَافْ » اي وقفت ومن قرأ أغشيناهم بالعين فإنه منقول من عشى يعشى اذا ضعف بصره واعشيته انا واما اغشيناهم بالغين المعجمة فعلى حذف المضاف اي فأغشينا ابصارهم اي جعلنا عليها غشاوة والغشاوة على العين كالغشي على القلب فيلتقي معنى القراءتين وأما من قرأ انذرتهم بهمزة واحدة فإنه حذف الهمزة التي للاستفهام تخفيفا وهو يريدها كما قال الكميت

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقاً إِلَى الْبِيضِ أَطْرَبُ وَلَا لَعِباً مِنِّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ (٢)

والمعنى او ذوالشيب يلعب تناكراً لذلك وكبيت الكتاب

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِياً شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أَوْ شُعَيْثُ بْنُ مِنْقَرِ (٣)

﴿ اللغة ﴾

المقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه وقيل هو المقنع وهو الذي يجذب ذقنه حتى يصير في صدره ثم يرفع وقيل للكافرين شهرا قماح لأن الإبل اذا اوردت الماء ترفع رؤوسها لشدة برده ويقال قمح البعير إذا رفع رأسه ولم يشرب الماء وبعير قامح وإبل قماح واقمحتها انا قال الشاعر يصف سفينة ركبها

وَنَحْنُ عَلَى جَوَانِبِهَا قُعُودٌ نَغُضُّ الطَّرْفَ كَالْإِبِلِ الْقِمَاحِ

﴿ الإعراب ﴾

على في قوله على صراط يتعلق بالمرسلين تقديره ارسلوا على صراط ويجوز ان يكون الجار والمجرور في موضع خبر ان فيكون خبراً بعد خبر ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال فكأنه قال ارسلوا مستقيما طريقهم ما انذر آباؤهم الاجود ان يكون ما نافية وتكون الجملة في موضع نصب لأنها صفة قوم ويجوز ان يكون ما حرفاً موصولا مصدرياً على تقدير لتنذر قوما أنذر آباؤهم

﴿ النزول ﴾

قيل نزل قوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا في ابي جهل كان حلف لئن رأى محمداً يصلي ليرضخنّ رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفعه انثنت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد إلى اصحابه واخبرهم بما رأى سقط الحجر من يده فقال رجل من بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأغشى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه ماصنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلني وروى ابو حمزة الثمالي عن عمار بن عاصم

(١) وبعده «لاتحسبي انانسينا الايجاف». (٢) البيض جمع البيضاء : المرأة الحسناء ، يعني ليس هذا الطرب والشوق من المحبة الى النساء . (٣) الشعر في جامع الشواهد وفي بعض النسخ «شعيب» بالباء الموحدة وهو تصحيف قاله في شرح الاشموني ج٤ : ٤٥٥ .

عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود أن قريشا اجتمعوا بباب النبي ﷺ فخرج اليهم فطرح التراب على رؤوسهم وهم لا يبصرونه قال عبد الله هم الذين سحبوا في القليب قليب بدر وروى ابو حمزة عن مجاهد عن ابن عباس ان قريشاً اجتمعت فقال لئن دخل محمد لنقومنّ اليه قيام رجل واحد فدخل النبي ﷺ فجعل الله من بين ايديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فلم يبصروه فصلّى النبي ﷺ ثم اتاهم فجعل ينثر على رؤوسهم التراب وهم لا يرونه فلما خلى عنهم رأوا التراب وقالوا هذا ما سحركم ابن ابي كبشة

﴿ المعنى ﴾

(يس) قد مضى الكلام في الحروف المعجمة عند مفتتح السور في اول البقرة واختلاف الاقوال فيها وقيل ايضا يس معناه يا إنسان عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل معناه يا رجل عن الحسن وابي العالية وقيل معناه يامحمد عن سعيد بن جبير ومحمد بن الحنفية وقيل معناه يا سيد الأولين والآخرين وقيل هو اسم النبي ﷺ عن علي ابن ابي طالب وابي جعفر «ع» وقد ذكرنا الرواية فيه قبل (والقرآن الحكيم) اقسم سبحانه بالقرآن المحكم من الباطل وقيل سماه حكيما لما فيه من الحكمة فكأنه المظهر للحكمة الناطق بها (انك لمن المرسلين) اي ممن ارسله الله تعالى بالنبوة والرسالة (على صراط مستقيم) يؤدّي بسالكه إلى الحق او الى الجنة وقيل معناه على شريعة واضحة وحجة لائحة (تنزيل العزيز) اي هذا القرآن تنزيل العزيز في ملكه (الرحيم) بخلقه ولذلك ارسله ثم بيّن سبحانه الغرض في بعثته فقال (لتنذر قوماً ما أُنذر آباؤهم) اي لتخوّف به من معاصي الله قوماً لم ينذر آباؤهم قبلهم لأنهم كانوا في زمان الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام عن قتادة وقيل لم يأتهم نذير من أنفسهم وقومهم وان جاءهم من غيرهم عن الحسن وقيل معناه لم يأتهم من انذرهم بالكتاب حسب ما آتيت وهذا على قول من قال كان في العرب قبل نبينا ﷺ من هو نبي كخالد بن سنان وقس بن ساعدة وغيرهما وقيل معناه لتنذر قوماً كما انذر آباؤهم عن عكرمة (فهم غافلون) عما تضمّنه القرآن وعمّا انذر الله به من نزول العذاب والغفلة مثل السهو وهو ذهاب المعنى عن النفس ثم اقسم سبحانه مرة أخرى فقال (لقد حق القول على اكثرهم) اي وجب الوعيد واستحقاق العقاب عليهم (فهم لا يؤمنون) ويموتون على كفرهم وقد سبق ذلك في علم الله تعالى وقيل تقديره لقد سبق القول على اكثرهم انهم لا يؤمنون فهم لا يؤمنون وذلك انه سبحانه اخبر ملائكته انهم لا يؤمنون فحقّ قوله عليهم (انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي إلى الاذقان) يعني أيديهم كنّى عنها وان لم يذكرها لأن الاعناق والاغلال تدلّان عليها وذلك ان الغل إنما يجمع اليد إلى الذقن والعنق ولا يجمع الغل العنق إلى الذقن وروي عن ابن عباس وابن مسعود انهما قرءا إنا جعلنا في ايمانهم اغلالا وقرأ بعضهم في ايديهم والمعنى في الجميع واحد لأن الغل لا يكون في العنق دون اليد ولا في اليد دون العنق ومثل هذا قول الشاعر

وَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضاً ... أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي
أَأَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ ... أَمِ الشَّرِّ الَّذِي لَا يَأْتَلِينِي

ذكر الخير وحده ثم قال ايهما يليني لأنه قد علم ان الخير والشرّ معرضان للانسان فلم يدر أيلقاه هذا أم ذلك ومثله في التنزيل وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ ولم يقل والبرد لأن ما يقي من الحرّ يقي من البرد واختلف في معنى الآية على وجوه ﴿ احدها ﴾ انه سبحانه إنما ذكره ضربا للمثل وتقديره مثل هؤلاء المشركين في اعراضهم عما تدعوهم اليه كمثل رجل غلّت يداه إلى عنقه لا يمكنه أن يبسطها إلى خير ورجل طامح برأسه لا يبصر موطئ قدميه عن الحسن والجبائي قال ونظيره قول الافوه الاودي

كَيْفَ الرَّشَادُ وَقَدْ صِرْنَا إِلَى أُمَمٍ ... لَهُمْ عَنِ الرُّشْدِ أَغْلَالٌ وَأَقْيَادُ

(١) سحبه - كمنعه - : جره على وجه الارض فانسحب .

ونحوه كثير في كلام العرب ﴿ وثانيها ﴾ ان المعنى كأن هذا القرآن اغلال في اعناقهم يمنعهم عن الخضوع لاستماعه وتدبره لثقله عليهم وذلك انهم لما استكبروا عنه وأنفوا من اتباعه وكان المستكبر رافعا رأسه لاويا عنقه شامخا بأنفه لا ينظر إلى الأرض صاروا كأنما غلت ايديهم إلى اعناقهم وإنما اضاف ذلك إلى قسه لأن عند تلاوته القرآن عليهم ودعوته إياهم صاروا بهذه الصفة فهو مثل قوله حتى أنسوكم ذكري عن ابي مسلم ﴿ وثالثها ﴾ ان المعنى بذلك ناس من قريش هموا بقتل النبي ﷺ فجعلت ايديهم إلى اعناقهم فلم يستطيعوا أن يبسطوا اليه يداً عن ابن عباس والسدي ﴿ ورابعها ﴾ ان المراد به وصف حالهم يوم القيامة فهو مثل قوله إذ الأغلال في اعناقهم وإنما ذكره بلفظ الماضي للتحقيق وقوله (فهم مقمحون) اراد ان ايديهم لما غلت إلى اعناقهم ورفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم صعداً فهم مرفوعوا الرأس يرفع الأغلال إياها عن الأزهري ويدل على هذا المعنى قول قتادة مقمحون مغلولون (وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) هذا على احد الوجهين تشبيه لهم بمن هذه صفته في اعراضهم عن الإيمان وقبول الحق وذلك عبارة عن خذلان الله إياهم لما كفروا فكأنه قال وتركناهم مخذولين فصار ذلك من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً وإذا قلنا انه وصف حالهم في الآخرة فالكلام على حقيقته ويكون عبارة عن ضيق المكان في النار بحيث لا يجدون متقدما ولا متأخراً إذ سد عليهم جوانبهم وإذا حملناه على صفة القوم الذين هموا بقتل النبي ﷺ فالمراد جعلنا بين ايدي أولئك الكفار منعا ومن خلفهم منعا حتى لم يبصروا النبي ﷺ وقوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون اي أغشينا ابصارهم فهم لا يبصرون النبي ﷺ فقد روي ان ابا جهل همّ بقتله ﷺ فكان إذا خرج بالليل لا يراه ويحول الله بينه وبينه وقيل فأغشيناهم فأعميناهم فهم لا يبصرون الهدى وقيل فأغشيناهم العذاب فهم لا يبصرون النار وقيل معناه انهم لما انصرفوا عن الإيمان والقرآن لزمهم ذلك حتى لم يكادوا يتخلصون منه بوجه كالمغلول والمسدود عليه طرقه (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) هذا مفسر في سورة البقرة

قوله تعالى (١١) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٣) وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٤) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٥) قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٦) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٧) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٩) قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٢٠) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (عشر آيات)

القراءة

قرأ ابو بكر فعززنا بالتخفيف والباقون بتشديد الزاي وقرأ ابو عمرو وقالون عن نافع وزيد عن يعقوب ان ذكرتم بهمزة واحدة غير ممدودة وقرأ ابن كثير ويعقوب ونافع آن ذكرتم بهمزة واحدة ممدودة وقرأ ابو

جمع ائن بهمزة واحدة مطولة والثانية ملينة مفتوحة ذكرتم مخففة والباقون ائن ذكرتم بهمزتين

الحجة

قال ابو علي قال بعضهم عزّزنا قوينا و كثرنا واما عززنا فغلبنا من قوله تعالى وعزني في الخطاب وقوله ان ذكرتم فإنما هي ان الجزاء دخلت عليها الف الاستفهام والمعنى ان ذكرتم تشاءمتم فحذف الجواب لأن تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وأصل تطيرنا تفعلنا من الطائر عند العرب الذي به يتشاءمون ويتيمنون ومن قرأ أن ذكرتم بفتح ان فالمعنى لأن ذكرتم تشاءمتم واما تخفيف الهمزة وتحقيقها فقد تقدّم ذكرهما في مواضع

الإعراب

وكل شيء منصوب بفعل مضمر يفسّره هذا الظاهر الذي هو احصيناه والتقدير احصينا كل شيء أحصيناه اصحاب القرية بدلا من مثلا · إذ جاءها المرسلون العامل في إذ محذوف تقديره قصة اصحاب القرية كائنة إذ جاءها المرسلون وإذ ارسلنا بدلا من الأول

المعنى

لما اخبر سبحانه عن أولئك الكفار انهم لا يؤمنون وانهم سواء عليهم الإنذار وترك الإنذار عقّبه بذكر حال من ينتفع بالإنذار فقال (إنما تنذر من اتبع الذكر) والمعنى إنما ينتفع بإنذارك وتخويفك من اتبع القرآن لأن نفس الإنذار قد حصل للجميع (وخشي الرحمن بالغيب) أي في حال غيبته عن الناس بخلاف المنافق وقيل معناه وخشي الرحمن فيما غاب عنه من أمر الآخرة (فبشّره) أي فبشّر يا محمد من هذه صفته (بمغفرة) من الله لذنوبه (وأجر كريم) أي ثواب خالص من الشوائب ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال (إنا نحن نحيي الموتى) في القيامة للجزاء (ونكتب ما قدموا) من طاعتهم ومعاصيهم في دار الدنيا عن مجاهد وقتادة وقيل نكتب ما قدّموه من عمل ليس له أثر (وآثارهم) اي ما يكون له أثر عن الجبائي وقيل يعني بآثارهم اعمالهم التي صارت سنّة بعدهم يقتدى فيها بهم حسنة كانت أم قبيحة وقيل معناه ونكتب خطاهم إلى المسجد وسبب ذلك ما رواه ابو سعيد الخدري ان بني سلمة كانوا في ناحية من المدينة فشكوا إلى رسول الله ﷺ بعد منازلهم من المسجد والصلاة معه فنزلت الآية وفي الحديث عن ابي موسى قال قال رسول الله ﷺ ان اعظم الناس اجراً في الصلاة أبعدهم اليها ممشى فأبعدهم رواه البخاري ومسلم في الصحيح (و كل شيء أحصيناه في إمام مبين) أي وأحصينا وعدّدنا كل شيء من الحوادث في كتاب ظاهر وهو اللوح المحفوظ والوجه في إحصاء ذلك فيه اعتبار الملائكة به إذ قابلوا به ما يحدث من الأمور ويكون فيه دلالة على معلومات الله سبحانه على التفصيل وقيل أراد به صحائف الأعمال وسمّي ذلك مبيناً لأنه لا يدرس أثره عن الحسن ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (واضرب لهم) يا محمد (مثلا) أي مَثِّل لهم مثالا وهو من قولهم هؤلاء اضراب أي أمثال وقيل معناه واذكر لهم مثلا (اصحاب القرية) وهذه القرية انطاكية في قول المفسرين (إذ جاءها المرسلون) أي حين بعث الله اليهم المرسلين (إذ أرسلنا اليهم اثنين) أي رسولين من رسلنا (فكذّبوهما) أي فكذّبوا الرسولين قال ابن عباس ضربوهما وسجنوهما (فعززنا بثالث) أي فقوّيناهما وشددنا ظهورهما برسول ثالث مأخوذ من العزة وهي القوة والمنعة ومنه قولهم من عزّ بزّ أي من غلب سلب قال شعبة كان اسم الرسولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولس وقال ابن عباس و كعب صادق وصدوق والثالث سلوم وقيل انهم رسل عيسى وهم الحواريون عن وهب و كعب قالا وإنما أضافهم تعالى إلى نفسه لأن عيسى (ع) ارسلهم بأمره (فقالوا إنا اليكم مرسلون) أي قالوا لهم يا أهل القرية إن الله أرسلنا اليكم (قالوا) يعني اهل القرية (ما انتم إلا بشر مثلنا) فلا تصلحون للرسالة كما لا نصلح نحن لها (وما انزل الرحمن من شيء) تدعونا اليه (إن انتم إلا تكذبون) أي ما انتم إلا كاذبون فيما تزعمون اعتقدوا أن من كان مثلهم

في البشرية لا يصلح أن يكون رسولا وذهب عليهم أن الله عز اسمه يختار من يشاء لرسالته وانه علم من حال هؤلاء صلاحهم للرسالة وتحمّل اعبائها (قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون) وإنما قالوا ذلك بعد ما قامت الحجة بظهور المعجزة فلم يقبلوها ووجه الاحتجاج بهذا القول أنهم الزموهم بذلك النظر في معجزاتهم ليعلموا أنهم صادقون على الله ففي ذلك تحذير شديد (وما علينا إلا البلاغ المبين) اي وليس يلزمنا إلا اداء الرسالة والتبليغ الظاهر وقيل معناه وليس علينا أن نحملكم على الإيمان فإنا لا نقدر عليه (قالوا) أي قال هؤلاء الكفار في جواب الرسل حين عجزوا عن ايراد شبهة وعدلوا عن النظر في المعجزة (إنا تطيرنا بكم) اي تشاءمنا بكم (لئن لم تنتهوا) عما تدعونه من الرسالة (لنرجمنكم) بالحجارة عن قتادة وقيل معناه لنشتمنكم عن مجاهد (وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا) يعني الرسل (طائركم معكم) اي الشؤم كله معكم بإقامتكم على الكفر بالله تعالى فأما الدعاء إلى التوحيد وعبادة الله تعالى ففيه غاية البركة والخير واليمن ولا شؤم فيه وقيل معنى طائركم حظكم ونصيبكم من الخير والشر عن ابي عبيدة والمبرد (أئن ذكرتم) أي إن ذكرتم قلتم هذا القول وقيل معناه إن ذكرناكم هددتمونا وهو مثل الأول وقيل معناه ان تدبرتم عرفتم صحة ما قلناه لكم (بل انتم قوم مسرفون) معناه ليس فينا ما يوجب التشاؤم بنا ولكنكم متجاوزون عن الحد في التكذيب للرسل والمعصية والاسراف الافساد ومجاوزة الحد والسرف الفساد قال طرفة

إنَّ امْرَءاً سَرِفَ الفُؤادَ يَرَى عَسَلاً بِماءِ سَحابَةٍ شَتْمي (١)

أي فاسد القلب (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى) وكان اسمه حبيب النجار عن ابن عباس وجماعة من المفسرين وكان قد آمن بالرسل عند ورودهم القرية وكان منزله عند اقصى باب من ابواب المدينة فلما بلغه أن قومه قد كذبوا الرسل وهموا بقتلهم جاء يعدو ويشتد (قال ياقوم اتبعوا المرسلين) الذين أرسلهم الله اليكم وأقروا برسالتهم قالوا وإنما علم هو بنبوتهم لأنهم لما دعوه قال أتأخذون على ذلك اجراً قالوا لا وقيل انه كان به زمانة او جذام فأبرأوه فآمن بهم عن ابن عباس

-(القصة)-

قالوا بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى مدينة انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من انتما قالا رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية قالا نعم نحن نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله فقال الشيخ إن لي ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا إلى منزلك نتطلع حاله فذهب بهما فمسحا ابنه فقام في الوقت بإذن الله صحيحاً ففشا الخبر في المدينة وشفي الله على ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الأصنام فأتي الخبر اليه فدعاهما فقال لهما من انتما قالا رسولا عيسى جئنا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر فقال الملك ولنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك قال قوما حتى انظر في امركما فأخذهما الناس في السوق وضربوهما قال وهب بن منبه بعث عيسى هذين الرسولين الى انطاكية فأتياها ولم يصلا إلى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله فغضب الملك وأمر بحبسهما وجلد كل واحد منهما مئة جلدة فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى شمعون الصفا رأس الحواريين على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلدة متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه ورضي عشرته وانس به واكرمه ثم قال له ذات يوم ايها الملك بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل سمعت قولهما قال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك قال فإن رأى الملك دعاهما حتى نتطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما إلى ههنا قالا الله الذي خلق كل شيء لا شريك له قال وما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك حتى جاءوا

(١) اى يرى شتمي حلواً عذباً .

بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع صنيعا مثل هذا فيكون لك ولإلهك شرفا فقال الملك ليس لي عنك سرّا إن إلهنا الذي نعبده لا يضرّ ولا ينفع ثم قال الملك للرسولين إن قدر إلهكما على احياء ميت آمنّا به وبكما قالا إلهنا قادر على كل شيء فقال الملك إن هاهنا ميتاً مات منذ سبعة أيام لم ندفنه حتى يرجع ابوه و كان غائبا فجاءوا بالميت وقد تغيّر وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو ربه سرّاً فقام الميت وقال لهم إني قد متّ منذ سبعة ايام وادخلت في سبعة أودية من النار وأنا احذركم ما انتم فيه فآمنوا بالله فتعجب الملك فلما علم شمعون أن قوله اثّر في الملك دعاه إلى الله فآمن وآمن من اهل مملكته قوم و كفر آخرون وقد روى مثل ذلك العياشي باسناده عن الثمالي وغيره عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) إلا أن في بعض الروايات بعث الله الرسولين إلى اهل انطاكية ثم بعث الثالث وفي بعضها أن عيسى أوحى الله اليه ان يبعثهما ثم بعث وصيّه شمعون ليخلصهما وأن الميت الذي احياه الله تعالى بدعائهما كان ابن الملك وأنه قد خرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له يابني ما حالك قال كنت ميتاً فرأيت رجلين ساجدين يسألان الله تعالى ان يحييني قال يابني فتعرفهما إذا رأيتهما قال نعم فأخرج الناس إلى الصحراء فكان يمرّ عليه رجل بعد رجل فمرّ احدهما بعد جمع كثير فقال هذا احدهما ثم مرّ الآخر فعرفهما وأشار بيده اليهما فآمن الملك واهل مملكته[1] وقال ابن اسحاق بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة الاقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة الرسل

قوله تعالى (٢١) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٣) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٤) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٥) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٦) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٧) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٨) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٩) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٣٠) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (عشر آيات)

القراءة

قرأ ابو جعفر إلا صيحة واحدة بالرفع والباقون بالنصب وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وعبد الرحمن بن الاسود الأزرقية وقرأ الاعرج ومسلم بن جندب يا حسره على العباد ساكنة الهاء وقراءة علي بن الحسين «ع» وأبي بن كعب وابن عباس والضحاك ومجاهد يا حسرة العباد مضافا

الحجة

قال ابن جني الرفع ضعيف لتأنيث الفعل فلا يقوى أن تقول ما قامت إلا هند والمختار ما قام إلا هند وذلك ان الكلام محمول على معناه اي ما قام احد إلا هند ثم انه لما كان محصول الكلام قد كانت هناك صيحة واحدة جيء بالتأنيث حملا للظاهر عليه ومثله قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم بالتاء في ترى وعليه قول ذي الرمة

(١) والاظهر الاوفق بسياق الايات هو القول الاول و انهم ما آمنوا باجمعهم، بل في بعض التفاسير أن الغلبة للكفار والمكذبين وهم الذين قتلوا حبيب النجار صاحب يس .

طَوَى النَّحْزُ وَالْأَجْوَازُ مَا فِي غُرُوضِهَا فَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الصُّدُورُ الْجَرَاشِعُ (١)

واما الزَّقْيَة فمن زقا الطائر يزقو ويزقى زقاء وزقواً إذا صاح وهي الزقية والزقوة وكأنه إنما استعمل هاهنا صياح الديك ونحوه تنبيهاً على ان البعث بما فيه من عظيم القدرة في استثارة الموتى من القبور سهل على الله تعالى كزقية زقاها طائر فهذا كقوله تعالى ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة وأما من قرأ ياحسره على العباد بسكون الهاء فيمكن أن يكون حسره غير معلقة بعلى فيحسن الوقف عليها ثم يعلق على بمضمر يدل عليه قوله حسره فكأنه قال أتحسر على العباد ومثل ذلك كثير في التنزيل وإذا كان حسرة معلقة بعلى او موصوفة فلا يحسن الوقف عليها دونه وعلى هذا فيمكن أن يكون ذلك لتقوية المعنى في النفس وذلك انه موضع تنبيه وتذكير فطال الوقف على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر المتعجب منه الدال على انه قد بهره وملك عليه لفظه وخاطره ثم قال من بعد على العباد واما من قرأ يا حسرة العباد مضافاً فإن فيه وجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون العباد فاعلين في المعنى كقوله يا قيام زيد والمعنى كان العباد إذا شاهدوا العذاب تحسّروا ﴿والآخر﴾ ان العباد مفعولون في المعنى وتدل عليه القراءة الظاهرة يا حسرة على العباد اي يتحسر عليهم من يعنيه أمرهم وهذا واضح وفتح ابو عمرو الياء من قوله وما لي لا اعبد لئلا يكون الابتداء بلا اعبد وقرأ في النمل ما لي لا أرى الهدهد بسكون الياء

المعنى

ثم ذكر سبحانه تمام الحكاية عن الرجل الذي جاءهم من اقصى المدينة فقال (اتبعوا من لا يسئلكم أجراً) اي وقال لهم اتبعوا معاشر الكفار من لا يطلبون منكم الأجر ولا يسألونكم اموالكم على ما جاؤكم به من الهدى (وهم) مع ذلك (مهتدون) إلى طريق الحق سالكون سبيله قال فلما قال هذا اخذوه ورفعوه إلى الملك فقال له الملك أفأنت تتبعهم فقال (وما لي لا اعبد الذي فطرني) أي وأيّ شيء لي إذا لم اعبد خالقي الذي أنشأني وأنعم عليّ وهداني (واليه ترجعون) أي تردّون عند البعث فيجزيكم بكفركم ثم انكر اتخاذ الأصنام وعبادتها فقال (ءأتخذ من دونه آلهة) اعبدهم (إن يردن الرحمن بضر) اي ان أراد الله إهلاكي والاضرار بي (لا تغن عني شفاعتهم شيئاً) اي لا تدفع ولا تمنع شفاعتهم عني شيئاً والمعنى لا شفاعة لهم فتغني (ولا ينقذون) اي ولا يخلصوني من ذلك الهلاك أو الضرر والمكروه (إني إذاً لفي ضلال مبين) اي اني إن فعلت ذلك في عدول عن الحق واضح والوجه في هذا الاحتجاج ان العبادة لا يستحقها إلا الله سبحانه المنعم بأصول النعم وبما لا توازيه نعمة منعم (إني آمنت بربكم) الذي خلقكم واخرجكم من العدم إلى الوجود (فاسمعون) اي فاسمعوا قولي واقبلوه عن وهب وقيل انه خاطب بذلك الرسل أي فاسمعوا ذلك مني حتى تشهدوا لي به عند الله عن ابن مسعود قال ثم ان قومه لما سمعوا ذلك القول منه وطأوه بأرجلهم حتى مات فأدخله الله الجنة وهو حيّ فيها يرزق وهو قوله (قيل ادخل الجنة) وقيل رجموه حتى قتلوه عن قتادة وقيل ان القوم لما أرادوا أن يقتلوه رفعه الله اليه فهو في الجنة لا يموت إلا بفناء الدنيا وهلاك الجنة عن الحسن ومجاهد وقال ان الجنة التي دخلها يجوز هلاكها وقيل انهم قتلوه إلا ان الله سبحانه أحياه وادخله الجنة فلما دخلها (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي) تمنى ان يعلم قومه بما اعطاه الله تعالى من المغفرة وجزيل الثواب ليرغبوا في مثله وليؤمنوا لينالوا ذلك وفي تفسير الثعلبي بالاسناد عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن ابيه عن النبي ﷺ قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين عليّ بن ابي طالب (ع) وصاحب يس ومؤمن آل فرعون فهم الصديقون وعليّ افضلهم (وجعلني من المكرمين) اي من المدخلين الجنة والاكرام هو اعطاء المنزلة الرفيعة على وجه التبجيل والإعظام وفي هذا دلالة على نعيم القبر لأنه إنما قال ذلك وقومه احياء وإذا جاز نعيم القبر جاز عذاب القبر فإن الخلاف فيهما واحد وما في قوله بما غفر لي ربي مصدرية والمعنى بمغفرة الله لي ويجوز أن يكون معناه بالذي غفر لي به ربي فيكون اسما موصولا ويجوز

(١) البيت في جامع الشواهد ، وفي بعض النسخ «ترى» بدل «طوى» وهو تصحيف . وكذلك «برى» . و«ما» في قوله «مافي غروضها» موصولة وتكون مفعولا لطوى وليست بنافية كما زعمه بعض .

أن يكون المعنى بأيّ شيء غفر لي ربي فيكون استفهاما يقال علمت بما صنعت هذا بإثبات الالف وبم صنعت هذا بحذفها إلا ان الحذف اجود في هذا المعنى ثم حكى سبحانه ما انزله بقومه من العذاب والاستئصال فقال (وما انزلنا على قومه من بعده) أي من بعد قتله أو من بعد رفعه (من جند من السماء) يعني الملائكة أي لم تنتصر منهم بجند من السماء ولم تنزل لإهلاكهم بعد قتلهم الرسل جنداً من السماء يقاتلونهم (وما كنا منزلين) أي وما كنا نتزلهم على الأمم إذا أهلكناهم وقيل معناه وما أنزلنا على قومه من بعده رسالة من السماء قطع الله عنهم الرسالة حين قتلوا رسله عن مجاهد والحسن والمراد ان الجند هم ملائكة الوحي الذين ينزلون على الأنبياء ثم بيّن سبحانه بأيّ شيء كان هلاكهم فقال (إن كانت إلا صيحة واحدة) أي كان اهلاكهم عن آخرهم بأيسر أمر صيحة واحدة حتى هلكوا بأجمعهم (فإذا هم خامدون) اي ساكنون قد ماتوا قيل انهم لما قتلوا حبيب بن مري النجار غضب الله عليهم فبعث جبرئيل حتى أخذ بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم لا يسمع لهم حس كالنار إذا طفئت (يا حسرة على العباد) معناه يا ندامة على العباد في الآخرة باستهزائهم بالرسل في الدنيا ثم بيّن سبب الحسرة فقال (ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون) عن مجاهد وهذا من قول الله سبحانه والمعنى انهم حلّوا محلّ من يتحسّر عليه وقيل ان المعنى يا ويلا على العباد عن ابن عباس ويحتمل أن يكون ذلك من كلام الرجل المذكور وقال ابو العالية انهم لما عاينوا العذاب قالوا يا حسرة على العباد يعني على الرسل حيث لم نؤمن بهم فتمنّوا الإيمان وندموا حين لم تنفعهم الندامة قال الزجاج إذا قال قائل ما الفائدة في مناداة الحسرة والحسرة مما لا تجيب فالفائدة في ذلك ان النداء باب تنبيه فإذا قلت للمخاطب انا اعجب مما فعلت فقد أفدته انك متعجب وإذا قلت واعجباه مما فعلت ويا عجباه تفعل كذا كان دعاؤك العجب ابلغ في الفائدة والمعنى يا عجب احضر فإنه من اوقاتك وكذلك إذا قلت ويل زيد لم فعل كذا ثم قلت يا ويل زيد لم فعل كذا كان ابلغ وكذلك في كتاب الله تعالى يا ويلنا ويا حسرتا ويا حسرة على العباد والحسرة ان يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية بعده حتى يبقى قلبه حسيراً

قوله تعالى (٣١) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣٢) وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٣) وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٤) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٥) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ عاصم وحمزة وابن عامر لمّا جميع بتشديد الميم والباقون بالتخفيف وقرأ اهل الكوفة غير حفص وما عملت بغير هاء والباقون وما عملته

الحجة

من خفف الميم من لما فإن من قوله وإنْ كُلٌّ مخففة من الثقيلة وما من لما مزيدة والتقدير وانه كل لجميع لدينا محضرون ومن شدّد الميم من لما فإن لما هاهنا بمعنى الا يقال سألتك لما فعلت كذا والا فعلت وان نافية فيكون التقدير ما كل إلا محضرون وقوله وما عملت ايديهم فإن الحذف في التنزيل من هذا كثير نحو قوله وسلام على عباده الذين اصطفى وأهذا الذي بعث الله رسولا وموضع ما جرّ والتقدير ليأكلوا مما عملته ايديهم ويجوز أن يكون ما نافية اي ولم تعمله ايديهم ويقوّي ذلك قوله «أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون

الإعراب

انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم أهلكنا والتقدير ألم يروا أنهم اليهم لا يرجعون و كم في موضع نصب باهلكنا

المعنى

ثم خوّف سبحانه كفار مكة فقال (ألم يروا) أي ألم يعلم هؤلاء الكفار (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أي كم قرنا أهلكناهم مثل عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (انهم اليهم لا يرجعون) والمعنى ألم يروا ان القرون التي أهلكناهم لا يرجعون اليهم أي لا يعودون إلى الدنيا أفلا يعتبرون بهم ووجه التذكير بكثرة المهلكين أي انكم ستصيرون إلى مثل حالهم فانظروا لأنفسكم واحذروا أن يأتيكم الهلاك وأنتم في غفلة وغرة كما أتاهم ويسمى أهل كل عصر قرنا لاقترانهم في الوجود (وان كل لما جميع لدينا محضرون) معناه ان الأمم يوم القيامة يحضرون فيقفون على ما عملوه في الدنيا أي وكل الماضين والباقين مبعوثون للحساب والجزاء ثم قال سبحانه (وآية لهم) أي ودلالة وحجة قاطعة لهم على قدرتنا على البعث (الارض الميتة أحييناها) أي الارض القحطة المجدبة التي لا تنبت أحييناها بالنبات (واخرجنا منها حبا) أي كل حبّ يتقوتونه مثل الحنطة والشعير والأرز وغيرها من الحبوب (فمنه يأكلون) اي فمن الحب يأكلون (وجعلنا فيها جنات) اي بساتين (من نخيل واعناب) وإنما خصّ النوعين لكثرة انواعها ومنافعها (وفجّرنا فيها من العيون) اي وفجّرنا في تلك الأرض الميتة او في تلك الجنات عيونا من الماء ليسقوا بها الكرم والنخيل ثم بيّن سبحانه انه إنما فعل ذلك (ليأكلوا من ثمره) أي من ثمر النخيل ردّ الضمير إلى احد المذكورين كما قال ــ ولا ينفقونها في سبيل الله والمعنى غرضنا تعمهم بذلك وانتفاعهم بأكل ثمار الجنات (وما عملته ايديهم) أي ولم تعمل تلك الثمار ايديهم هذا إذا كان ما بمعنى النفي قال الضحاك أي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها أراد انه من صنع الخالق ولم يدخل في مقدورات الخلائق وإذا كان بمعنى الذي فالتقدير والذي عملته ايديهم من انواع الأشياء المتخذة من النخل والعنب الكثيرة منافعها وقيل تقديره ومن ثمره ما عملته ايديهم يعني الغروس والزروع التي قاسوا حراثتها (أفلا يشكرون) أي ألا يشكرون الله تعالى على مثل هذه النعم وهذا تنبيه منه سبحانه لخلقه على شكر نعمائه وذكر جميل بلائه

قوله تعالى (٣٦) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٧) وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٨) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٩) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٤٠) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ

(خمس آيات)

القراءة

قرأ زيد عن يعقوب لِمُستقرٍّ لها بكسر القاف والباقون بفتحها وقرأ اهل الحجاز والبصرة غير ابي جعفر ورويس والقمرُ بالرفع والباقون بالنصب وروي عن علي بن الحسين زين العابدين «ع» وابي جعفر الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام وابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطاء بن ابي رباح لا مستقرَّ لها بنصب الراء

الحجة

قال ابو علي الرفع على تقدير وآية لهم القمر قدرناه منازل مثل قوله وآية لهم الليل فهو على هذا اشبه بالجمل التي قبلها والقول في آية انه يرتفع بالابتداء ولهم صفة للنكرة والخبر مضمر تقديره وآية لهم في الشاهد او الوجود

وقوله الليل نسلخ منه النهار والقمر قدرناه منازل تفسير للآية كما ان قوله تعالى لهم مغفرة تفسير للوعد[1] والذكر مثل حظ الانثيين تفسير للوصية[2] ومن نصب فقد حمله على زيدا ضربته واما قوله لامستقر لها فظاهره العموم والمعنى الخصوص فهو بمنزلة قوله

أَبْكِي لِفَقْدِكَ مَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ ... وَمَا سَمَا فَنَنٌ يَوْماً عَلَى سَاقِ[3]

والمعنى لو عشت ابداً لبكيتك وكذلك قوله لا مستقر لها أي ما دامت السماوات على ما هي عليه فإذا زالت السماوات استقرت الشمس وبطل سيرها

-(اللغة)-

السلخ اخراج الشيء من لباسه ومنه اخراج الحيوان من جلده ومنه قوله فانسلخ منها اي فخرج منها خروج الشيء مما لابسه والعرجون العذق الذي فيه الشماريخ وهو العثكول والعثكال والكباسة والقنو وهو فعلول قال رؤبة « فِي خِدْرِ مَيَّاسِ الدُّمَى مُعَرْجَنِ »[4]

=(الإعراب)=

والقمر قدَّرناه منازل تقديره ذا منازل ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يجوز أن يكون بلا حذف لأن القمر غير المنازل وإنما يجري فيها ولا يجوز أن ينصب منازل على الظرف لأنه محدود والفعل لا يصل إلى المحدود إلا بحرف جرّ نحو جلست في المسجد ولا يجوز جلست المسجد

=(المعنى)=

ثم نزَّه سبحانه نفسه وعظَّمها دالاً بذلك على انه هو الذي يستحق منتهى الحمد وغاية الشكر فقال (سبحان الذي خلق الازواج كلها) اي تنزيها وتعظيما وبراءة عن السوء للذي خلق الأصناف والاشكال من الاشياء فالحيوان على مشاكلة الذكر للانثى وكذلك النخل والحبوب اشكال والتين والكرم ونحوهما اشكال فلذلك قال (مما تنبت الأرض) اي من سائر النبات (ومن انفسهم) اي وخلق منهم اولاداً أزواجاً ذكوراً واناثاً (ومما لا يعلمون) مما في بطون الأرض وقعر البحار فلم يشاهدوه ولم يتّصل خبره بهم (وآية لهم) اي ودلالة لهم اخرى (الليل نسلخ منه النهار) اي ننزع منه ونخرج ضوء الشمس فيبقى الهواء مظلماً كما كان لأن الله سبحانه يضيء الهواء بضياء الشمس فإذا سلخ منه الضياء أي كشطناه وأزلناه بيّنا مظلماً فذلك قوله تعالى سبحان نسلخ منه النهار لأنه تعالى جعل الليل كالجسم لظلمته وجعل النهار كالقشر ولأن النهار عارض فهو كالكسوة والليل اصل فهو كالجسم وقوله (فإذا هم مظلمون) أي داخلون في الليل لا ضياء لهم فيه (والشمس تجري لمستقر لها) معناه ودلالة اخرى لهم الشمس وفي قوله لمستقر لها اقوال ﴿احدها﴾ انها تجري لانتهاء امرها عند انقضاء الدنيا فلا تزال تجري حتى تنقضي الدنيا عن جماعة من المفسرين قال ابو مسلم ومعنى هذا ومعنى لا مستقر لها واحد اي لا قرار لها إلى انقضاء الدنيا ﴿وثانيها﴾ انها تجري لوقت واحد لا تعدوه ولا يختلف عن قتادة ﴿وثالثها﴾ انها تجري إلى اقصى منازلها في الشتاء والصيف لا تتجاوزها والمعنى أن لها في الارتفاع غاية لا تتجاوزها ولا تنقطع دونها ولها في الهبوط غاية لا تتجاوزها ولا تقصر عنها فهو مستقرها ذلك تقدير العزيز) اي القادر الذي لا يعجزه شيء (العليم) الذي لا يخفى عليه شيء (والقمر قدَّرناه منازل) وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل يوم وليلة منزلة منها لا يختلف حاله في ذلك الى ان يقطع الفلك (حتى عاد كالعرجون القديم) اي عاد في آخر الشهر دقيقاً كالعذق اليابس العتيق ثم يخفى يومين آخر الشهر وانما شبَّهه سبحانه بالعذق لأنه إذا مضت عليه الايام جفَّ وتقوَّس فيكون اشبه الاشياء بالهلال وقيل ان العذق يصير كذلك في كل ستة اشهر روى علي بن ابراهيم

(١) اى فى قوله تعالى : « وعدالله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة و أجر عظيم » المائدة ، الاية : ٩ .
(٢) اى فى قوله تعالى : « يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » النساء : ١١ . (٣) المطوقة : الحمامة التى فى عنقها طوق . والفنن : الغصن . (٤) الخدر : الستر . و المياس : المتبختر . و الدمى : جمع الدمية : الصنم .

بإسناده قال دخل ابو سعيد المكاري و كان واقفيا على ابي الحسن الرضا (ع) فقال له أبلغ من قدرك انك تدّعي ما ادّعاه ابوك فقال له ابو الحسن مالك اطفأ الله نورك وادخل الفقر بيتك اما علمت ان الله عز وجل اوحى الى عمران اني واهب لك ذكراً يبرئ الاكمه والابرص فوهب له مريم ووهب لمريم عيسى فعيسى من مريم ومريم من عيسى ومريم وعيسى شيء واحد وانا من ابي وابي مني وأنا وابي شيء واحد فقال له ابو سعيد فاسألك عن مسألة قال سل ولا أخالك تقبل مني ولست من غنمي ولكن هلّمها قال ما تقول في رجل قال عند موته كل مملوك لي قديم فهو حرّ لوجه الله فقال ابو الحسن ما ملكه لستة اشهر فهو قديم وهو حرّ قال و كيف صار كذلك قال لأن الله تعالى يقول والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم اسماه الله قديما وبعود كذلك لستة اشهر قال فخرج ابو سعيد من عنده وذهب بصره و كان يسأل على الأبواب حتى مات (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر) في سرعة سيره لأن الشمس ابطأ سيراً من القمر فإنها تقطع منازلها في سنة والقمر يقطعها في شهر والله سبحانه يجريهما اجراء التدوير بايَن بين فلكيهما ومجاريهما فلا يمكن ان يدرك احدهما الآخر ما داما على هذه الصفة (ولا الليل سابق النهار) اي ولا يسبق الليل النهار وقيل معناه لا يجتمع ليلتان ليس بينهما يوم بل تتعاقبان كما قدّره الله تعالى عن عكرمة وروى العياشي في تفسيره بالاسناد عن الاشعث بن حاتم قال كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا(ع) والفضل بن سهل والمأمون في ايوان الحبري بمرو فوضعت المائدة فقال الرضا(ع) ان رجلا من بني اسرائيل سألني بالمدينة فقال النهار خلق قبل ام الليل فما عندكم قال فأداروا الكلام فلم يكن عندهم في ذلك شيء فقال الفضل للرضا اخبرنا بها اصلحك الله قال نعم من القرآن ام من الحساب قال له الفضل من جهة الحساب فقال قد علمت يا فضل ان طالع الدنيا السرطان والكواكب في مواضع شرفها فزحل في الميزان والمشتري في السرطان والشمس في الحمل والقمر في الثور فذلك يدل على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط السماء فالنهار خلق قبل الليل وفي قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار اي قد سبقه النهار ثم قال (و كل) من الشمس والقمر والنجوم (في فلك يسبحون) يسيرون فيه بانبساط و كل ما انبسط في شيء فقد سبح فيه ومنه السباحة في الماء وانما قال يسبحون بالواو والنون لما اضاف اليها ما هو من فعل الآدميين كما قال مالكم لا تنطقون لما وصفها بصفة من يعقل وقال ابن عباس يسبحون اي يجري كل واحد منها في فلكه كما يدور المغزل في الفلكة

قوله تعالى (٤١) وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤٢) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٣) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٤) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٤٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٨) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٥٠) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ

(عشر آيات)

ـ وقيل : الصورة المنقشة من العاج او الرخام، و«معرجن» اى مصور فيه صورة النخل من قولهم عرجن الثوب : صور فيه صور العراجين .

(القراءة)

قرأ اهل المدينة وابن عامر ويعقوب وسهل ذرياتهم على الجمع والباقون ذريهم على التوحيد وقرأ ابن كثير وورش ومحمد بن حبيب عن الاعمش وروح وزيد عن يعقوب يَخِصَّمون بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد وقرأ ابو عمرو بفتح الخاء ايضا إلا انه يشمه الفتح ولا يشبعه وقرأ اهل المدينة غير ورش يخصمون ساكنة الخاء مشددة الصاد وقرأ حمزة يَخْصِمون ساكنة الخاء خفيفة الصاد والباقون يَخِصِّمون بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد

(الحجة)

من قرأ يَخَصَّمون حذف الحركة من التاء المدغم في يختصمون والقاها على الساكن الذي قبلها وهو الخاء وهذا أحسن الوجوه بدلالة قولهم رُدَّ وفِرَّ وعَضَّ القوا حركة العين على الساكن الذي قبلها ومن قرأ يَخِصِّمون حذف الحركة من الحرف المدغم إلا انه لم يلقها على الساكن الذي قبلها كما ألقاه في الأول فالتقى الساكنان فحرك الحرف الذي قبل المدغم بالكسر ومن قرأ يَخْصَّمون جمع بين الساكنين الخاء والحرف المدغم قال ابو علي ومن زعم ان ذلك ليس في طاقة اللسان فقد ادّعى ما يعلم فساده بغير استدلال واما من قرأ يَخْصِمون وتقديره يخصم بعضهم بعضا فحذف المضاف وحذف المفعول به ويجوز ان يكون المعنى يخصمون مجادلهم عند أنفسهم فحذف المفعول به ومعنى يخصمون يغلبون في الخصام خصومهم

(اللغة)

الحمل منع الشيء أن يذهب إلى جهة السفل والفلك السفن لأنها تدور في الماء ومنه الفلكة لأنها تدور في المغزل والفلك لأنها تدور بالنجوم وفلك ثدي المرأة إذا استدار والمشحون المملوء وشحنت الثغر بالرجال اشحنه شحنا إذا ملأته ومنه الشحنة لأنه يملأ بهم البلد

(الإعراب)

رحمة منا نصب على انه مفعول له ومتاعا عطف عليه ويمكن أن يكون على معنى إلا ان نرحمهم رحمة ونمتعهم متاعا

(المعنى)

ثم امتن سبحانه على خلقه بذكر فنون نعمه دالاً بذلك على وحدانيته فقال (وآية لهم) اي وحجة وعلامة لهم على اقتدارنا (أنا حملنا ذريتهم) يعني آباءهم وأجدادهم الذين هؤلاء من نسلهم (في الفلك المشحون) يعني سفينة نوح المملوءة من الناس وما يحتاج اليه من فيها فسلموا من الغرق فانتشر منهم بشر كثير ويسمّى الآباء ذرية من ذره الله الخلق لأن الأولاد خلقوا منهم وسمّي الأولاد ذرية لأنهم خلقوا من الآباء عن الضحاك وقتادة وجماعة من المفسرين وقيل الذرية هم الصبيان والنساء والفلك هي السفن الجارية في البحار وخصّ الذرية بالحمل في الفلك لضعفهم ولأنه لا قوة لهم على السفر كقوة الرجال فسخّر الله لهم السفن ليمكن الحمل في البحر والإبل ليمكن الحمل في البر يقول القائل حملني فلان إذا اعطاه ما يحمل او هداه إلى ما يحمل عليه قال الشاعر

أَلَا فَتًى عِنْدَهُ خُفَّانِ يَحْمِلُنِي ... عَلَيْهِمَا إِنَّنِي شَيْخٌ عَلَى سَفَرِ

(وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) أي وخلقنا لهم من مثل سفينة نوح سُفُناً يركبون فيها كما ركب نوح يعني السفن التي عملت بعد سفينة نوح مثلها على صورتها وهيئتها عن ابن عباس وغيره وقيل ان المراد به الإبل وهي سفن البر عن مجاهد وقيل مثل السفينة من الدواب كالإبل والبقر والحمير عن الجبائي (وإن نشأ نغرقهم) اي وإن نشأ إذا حملناهم في السفن نغرقهم بتهييج الرياح والأمواج (فلا صريخ لهم) اي لا مغيث لهم (ولا

هم ينقذون) أي ولا يخلصون من الغرق إذا أردناه (إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين) أي إلا ان نرحمهم بأن نخلصهم في الحال من أهوال البحر ونمتعهم إلى وقت ما قدرناه لتقضي آجالهم وقيل معناه بقيناهم نعمة منا عليهم وإمتاعا إلى مدة (وإذا قيل لهم) أي للمشركين (اتقوا ما بين ايديكم) من أمر الآخرة فاعملوا لها (وما خلفكم) من امر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها (لعلكم ترحمون) اي لتكونوا على رجاء الرحمة من الله تعالى عن ابن عباس وقيل معناه اتقوا ما مضى من الذنوب وما يأتي من الذنوب عن مجاهد اي اتقوا عذاب الله بالتوبة للماضي والاجتناب للمستقبل وقيل اتقوا العذاب المنزل على الامم الماضية وما خلفكم من عذاب الآخرة عن قتادة وروى الحلبي عن ابي عبد الله «ع» قال معناه اتقوا ما بين ايديكم من الذنوب وما خلفكم من العقوبة وجواب إذا محذوف تقديره إذا قيل لهم هذا اعرضوا ويدل على هذا المحذوف قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) أي اعرضوا عن الداعي وعن التفكر في الحجج وفي المعجزات ومن في قوله من آية هي التي تزاد في النفي للاستغراق ومن الثانية للتبعيض اي ليس تأتيهم آية آية كانت إلا ذهبوا عنها واعرضوا عن النظر فيها وذلك سبيل من ضل عن الهدى وخسر الدنيا والآخرة (وإذا قيل لهم) ايضا (انفقوا مما رزقكم الله) في طاعته واخرجوا ما أوجب الله عليكم في اموالكم (قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله اطعمه) احتجوا في منع الحقوق بأن قالوا كيف نطعم من يقدر الله على اطعامه ولو شاء الله اطعامه اطعمه فإذا لم يطعم دل على انه لم يشأ اطعامه وذهب عليهم أن الله سبحانه إنما تعبدهم بذلك لما لهم فيه من المصلحة فأمر الغني بالانفاق على الفقير ليكسب به الأجر والثواب واختلف في هؤلاء الذين قالوا ذلك فقيل هم اليهود حين امروا بإطعام الفقراء عن الحسن وقيل هم مشركو قريش قال لهم اصحاب رسول الله ﷺ اطعمونا من اموالكم ما زعمتم انه لله وذلك قوله هذا لله بزعمهم عن مقاتل وقيل هم الزنادقة الذين انكروا الصانع تعلقوا بقوله رزقكم الله فقالوا إن كان هو الرزاق فلا فائدة في التماس الرزق منا وقد رزقنا وحرمكم فلم تأمرون بإعطاء من حرمه الله (إن انتم إلا في ضلال مبين) هذا من قول الكفار لمن امرهم بالإطعام عن قتادة وقيل انه من قول الله تعالى لهم حين ردوا هذا بالجواب عن علي بن عيسى (ويقولون متى هذا الوعد) الذي تعدنا به من نزول العذاب بنا (ان كنتم صادقين) في ذلك انت وأصحابك وهذا استهزاء منهم بخبر النبي ﷺ وخبر المؤمنين فقال تعالى في جوابهم (ما ينظرون) اي ما ينتظرون (إلا صيحة واحدة) يريد النفخة الاولى عن ابن عباس يعني ان القيامة تأتيهم بغتة (تأخذهم) الصيحة (وهم يخصمون) اي يختصمون في امورهم ويتبايعون في الاسواق وفي الحديث تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم والرجل يرفع أكلته الى فيه فما تصل إلى فيه حتى تقوم والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم وقيل وهم يختصمون هل ينزل بهم العذاب ام لا (فلا يستطيعون توصية) يعني ان الساعة إذا اخذتهم بغتة لم يقدروا على الإيصاء بشيء (ولا إلى اهلهم يرجعون) اي ولا الى منازلهم يرجعون من الاسواق وهذا اخبار عما يكونه في النفخة الاولى عند قيام الساعة

قوله تعالى (٥١) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥٢) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٣) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٤) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥) إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٦) هُمْ

وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٧) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٨) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (٥٩) وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٦٠) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (عشر آيات)

« القراءة »

قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وروح في شغل ساكنة الغين والباقون في شغل بضم الغين وقرأ ابو جعفر فكهون بغير الف حيث وقع ووافقه حفص في المطففين انقلبوا فكهين وقرأ الآخرون بالألف كل القرآن وقرأ اهل الكوفة غير عاصم في ظُلَل بضم الظاء بلا الف والباقون في ظلال وروي عن امير المؤمنين «ع» انه قرأ مِنْ بَعْثِنا من مرقدنا وفي الشواذ قراءة ابن ابي ليلى يا ويلتا وقرأ أبي بن كعب من هبَّنا مِنْ مرقدنا

الحجة

الشُّغْل والشُّغُل لغتان وكذلك الفَكِهُ والفاكه والظُّلَل جمع ظُلَّة والظلال يجوز ايضا ان يكون جمع ظلة فيكون كبُرمة وبِرام وعُلبة وعِلاب ويجوز ان يكون جمع ظِلّ واما قوله مِنْ بَعْثِنا فهو كقولك يا ويلي من اخذك مني قال ابن جني من الأولى متعلقة بالويل كقولك يا تألمي منك وإن شئت كان حالا فتعلقت بمحذوف حتى كأنه قال يا ويلتا كائنا من بعثنا فجاز ان يكون حالا منه كما جاز ان يكون خبراً عنه في مثل قول الاعشى

قَالَتْ هُرَيْرَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا وَيْلِي عَلَيْكَ وَوَيْلِي مِنْكَ يَا رَجُلُ

وذلك ان الحال ضرب من الخبر واما مِنْ في قوله من مرقدنا فمتعلقة بنفس البعث ومن قرأ يا ويلتا فأصله يا ويلتي فأبدلت الياء الفا لأنه نداء فهو موضع تخفيف فتارة تحذف هذه الياء نحو غلام وتارة بالبدل نحو ياغلاما قال «بأَبَتَا عَلَّكَ أَوْعَسَا كَا» فإن قلت كيف قال يا ويلتا وهذا اللفظ للواحد وهم جماعة فالقول انه يكون على ان كل واحد منهم قال يا ويلتا من بعثنا من مرقدنا ونحوه قوله فاجلدوهم ثمانين جلدة أي فاجلدوا كل واحد منهم ومثله ما حكاه ابو زيد من قولهم أتينا الأمير فكسانا كلنا حلة واعطانا كلنا مائة اي كسا كل واحد منا حلة واعطي كل واحد منا مائة واما هبَّنا فيمكن ان يكون هبَّ لغة في اهبَّ ويمكن أن يكون على معنى هب بنا أي ايقظنا ثم حذف حرف الجر فوصل الفعل

اللغة

قال ابو عبيدة الصُّوْر جمع صورة مثل بسرة وبُسْر وهو مشتق من صاره يصوره صورا إذا اماله فالصورة تميل إلى مثلها بالمشاهدة والجدث القبر وجمعه الأجداث وهذه لغة اهل العالية ويقول اهل السافلة بالفاء جدف والنسول الاسراع في الخروج يقال نسل يَنْسِل ويَنْسُل قال امرؤ القيس

وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ (٣)

وقال آخر

عَسَلَانَ الذِّئْبِ أَمْسَى قَارِبًا بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَلْ (٤)

الإعراب

هذا ما وعد الرحمن مبتدأ وخبر ويكون من بعثنا من مرقدنا كلاما تاما يوقف عليه ويجوز ان يكون هذا من نعت مرقدنا اي مرقدنا الذي كنا راقدين فيه فيكون الوقف على مرقدنا هذا ويكون ما وعد الرحمن خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ محذوف الخبر على تقدير هذا ما وعد الرحمن او حق ماوعد الرحمن. سلام بدل من ما

(١) على قول من قال ان هب بمعنى أهب يقال: أهبه من نومه اى أيقظه وانكره ابن جنى وسيأتى الكلام فيه فى الحجة (٢) هذا عجز بيت و صدره «تقول بنتى قد اتى انا كا» وهو مذكور فى جامع الشواهد (٣) هذا من المعلقة وقدمر وكذا البيت الاتى (٤) قائله لبيد، وقيل هو للنابغة الجعدى ←

والمعنى لهم ما يتمنون لهم سلام وقولا منصوب على انه مصدر فعل محذوف أي يقوله الله قولا

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن النفخة الثانية وما يلقونه فيها إذا بعثوا بعد الموت فقال (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث) وهي القبور (إلى ربهم) اي إلى الموضع الذي يحكم الله فيه لا حكم لغيره هناك (ينسلون) اي يخرجون سراعا فلما رأوا اهوال القيامة (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) اي من حشرنا من منامنا الذي كنا فيه نياماً ثم يقولون (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) فيما اخبرونا عن هذا المقام وهذا البعث قال قتادة أول الآية للكافرين وآخرها للمسلمين قال الكافرون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقال المسلمون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وإنما وصفوا القبر بالمرقد لأنهم لما أحيوا كانوا كالمنتبهين عن الرقدة وقيل انهم لما عاينوا احوالهم في القيامة عدّوا احوالهم في قبورهم بالإضافة إلى تلك الأهوال رقاداً قال قتادة هي النومة بين النفختين لا يفتر عذاب القبر إلا فيما بينهما فيرقدون ثم اخبر سبحانه عن سرعة بعثهم فقال (إن كانت إلا صيحة واحدة) اي لم تكن المدة إلا مدة صيحة واحدة (فإذا هم جميع لدينا محضرون) أي فإذا الأولون والآخرون مجموعون في عرصات القيامة محصلون في موقف الحساب ثم حكى سبحانه ما يقوله يومئذ للخلائق فقال (فاليوم لا تظلم نفس شيئا) أي لا ينقص من له حق شيئاً من حقه من الثواب اوالعوض او غير ذلك ولا يفعل به ما لا يستحقه من العقاب بل الأمور جارية على مقتضى العدل وذلك قوله (ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) ثم ذكر سبحانه اولياءه فقال (إن اصحاب الجنة اليوم في شغل) شغلهم النعيم الذي شملهم وغمرهم بسروره عما فيه أهل النار من العذاب عن الحسن والكلبي فلا يذكرونهم ولا يهتمون بهم وإن كانوا اقاربهم وقيل شغلوا بافتضاض العذارى عن ابن عباس وابن مسعود وهو المروي عن الصادق (ع) قال وحواجبهن كالأهلة[1] واشفار اعينهن كقوادم النسور وقيل باسماع الألحان عن وكيع وقيل شغلهم في الجنة سبعة انواع من الثواب لسبعة اعضاء فثواب الرجل بقوله ادخلوها بسلام آمنين وثواب اليد يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها وثواب الفرج وحور عين وثواب البطن كلوا واشربوا هنيئاً الآية وثواب اللسان وآخر دعويهم الآية وثواب الاذن لا يسمعون فيها لغواً ونظائرها وثواب العين وتلذذ الاعين (فاكهون) اي فرحون عن ابن عباس وقيل ناعمون متعجبون بما هم فيه قال ابو زيد الفَكِه الطيب النفس الضحوك رجل فَكِهٌ وفاكه ولم يسمع لهذا فعل في الثلاثي وقال ابو مسلم انه مأخوذ عن الفكاهة فهو كناية عن الأحاديث الطيبة وقيل فاكهون ذوو فاكهة كما يقال لاحم شاحم اي ذو لحم وشحم وعاسل ذو عسل قال الحطيئة

وَغَرَرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنٌ فِي الصَّيْفِ تَامِرِ

اي ذو لبن وتمر ثم اخبر سبحانه عن حالهم فقال (هم وازواجهم) اي هم وحلائلهم في الدنيا ممن وافقهم على ايمانهم في استار عن وَهَجِ[2] الشمس وسمومها فهم في مثل تلك الحال الطيبة من الظلال التي لا حرّ فيها ولا برد وقيل ازواجهم اللاتي زوّجهم الله من الحور العين (في ظلال) اشجار الجنة وقيل في ظلال تسترهم من نظر العيون اليهم (على الأرائك) وهي السرر عليها الحجال وقيل هي الوسائد (متكئون) اي جالسون جلوس الملوك إذ ليس عليهم من الأعمال شيء قال الأزهري كلما اتكئ عليه فهو اريكة والجمع أرائك (لهم فيها) اي في الجنة (فاكهة ولهم ما يدعون) أي ما يتمنون ويشتهون قال ابو عبيدة تقول العرب ادع علي ما شئت اي تمنّ علي وقيل معناه إن كل من يدعي شيئاً فهو له بحكم الله تعالى لانه قد هذب طباعهم فلا يدعون إلا ما يحسن منهم قال الزجاج هو مأخوذ من الدعاء يعني أن اهل الجنة كما يدعونه يأتيهم ثم بيّن سبحانه ما يشتهون فقال (سلام) أي لهم سلام ومنى أهل الجنة أن يسلم الله عليهم (قولا) اي يقوله الله قولاً (من رب رحيم) يهم يسمعونه من

← وعسل الذئب : مضى مسرعا واضطرب في عدوه وهز رأسه . (١) جمع الهلال . (٢) الوهج : حر النار

الله فيؤذنهم بدوام الأمن والسلامة مع سبوغ النعمة والكرامة وقيل ان الملائكة يدخل عليهم من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم ثم ذكر سبحانه أهل النار فقال (وامتازوا اليوم ايها المجرمون) اي يقال لهم انفصلوا معاشر العصاة واعتزلوا من جملة المؤمنين وقيل معناه كونوا على حدة عن السدي وقيل معناه ان لكل كافر بيتاً في النار يدخل فيردم بابه لا يرى ولا يرى عن الضحاك ثم خصّهم سبحانه بالتوبيخ فقال (ألم أعهد اليكم يا بني آدم) أي ألم آمركم على ألسنة الأنبياء والرسل في الكتب المنزلة (ألا تعبدوا الشيطان) أي لا تطيعوا الشيطان فيما يأمركم بـه (إنه لكم عدو) أي وقلت لكم ان الشيطان لكم عدو (مبين) ظاهر عداوته عليكم يدعوكم إلى ما فيه هلاككم وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه لا يخلق عبادة الشيطان لأنه حذّر من ذلك ووبّخ عليه

قوله تعالى (٦١) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٢) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٣) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٤) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٥) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

(خمس آيات)

القراءة

قرأ ابو عمرو وابن عامر جبلا بضم الجيم وسكون الباء وقرأ اهل المدينة وعاصم وسهل جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرأ روح وزيد جبلا بضم الجيم والباء وتشديد اللام وهو قراءة الحسن والأعرج والزهري وقرأ الباقون جبلا بضمهما وتخفيف اللام

الحجة

معناهن جميعا الخلق الكثير والجماعة والجمع الذين جبلوا على خليقة اي طبعوا واصل الجبل الطبع ومنه الجبل لأنه مطبوع على الثبات وقال ابو مسلم اصله الغلظة والشدة

المعنى

ثم قال سبحانه في حكايته ما يقوله الكفار يوم القيامة (وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) فوصف عبادته بأنه طريق مستقيم من حيث كان طريقاً إلى الجنة ثم ذكر سبحانه عداوة الشيطان ببني آدم فقال (ولقد اضل منكم جبلا كثيرا) اي اضلّ الشيطان عن الدين خلقاً كثيراً منكم بأن دعاهم إلى الضلال وحملهم على الضلال وأغواهم (افلم تكونوا تعقلون) انه يغويكم ويصدّكم عن الحقّ فتنبهون عنه صورته استفهام ومعناه الانكار عليهم والتبكيت لهم وفي هذا بطلان مذهب اهل الجبر في ان الله أراد اضلالهم ولو كان كما قالوه لكان ذلك اضرّ عليهم وانكر من ارادة الشيطان ذلك (هذه جهنم التي كنتم توعدون) بها في دار التكليف حاضرة لكم تشاهدونها (اصلوها اليوم) اي الزموا العذاب بها واصل الصلاء اللزوم ومنه المصلي الذي يجيء في اثر السابق للزومه اثره وقيل معناه صبروا صلاها اي وقودها عن ابي مسلم (بما كنتم تكفرون) جزاء لكم على كفركم بالله وتكذيبكم انبياءه (اليوم نختم على افواههم) هذا حقيقة الختم فتوضع على افواه الكفار يوم القيامة فلا يقدرون على الكلام والنطق (وتكلمنا ايديهم) بما عملوا (وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون) اي نستنطق الأعضاء التي كانت لا تنطق في الدنيا لتشهد عليهم ونختم على افواههم التي عهد

منها النطق واختلف في كيفية شهادة الجوارح على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان الله تعالى يخلقها خلقة يمكنها ان تتكلم وتنطق وتعترف بذنوبها ﴿ وثانيها ﴾ ان الله تعالى يجعل فيها كلاما وإنما نسب الكلام اليها لأنه لا يظهر إلا من جهتها ﴿ وثالثها ﴾ ان معنى شهادتها وكلامها ان الله تعالى يجعل فيها من الآيات ما يدل على أن أصحابها عصوا الله بها فسمّى ذلك شهادة منها كما يقال عيناك تشهدان بسهرك وقد ذكرنا امثال ذلك فيما سلف

قوله تعالى (٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ (٦٧) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (٦٨) وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (٦٩) وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٧٠) لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو بكر وحده مكاناتهم على الجمع والباقون على التوحيد وقد تقدّم ذكر ذلك وقرأ عاصم وحمزة وسهل ننكسه بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الكاف وتشديدها وقرأ الباقون بضم الكاف وتخفيفها وقرأ اهل المدينة والشام ويعقوب وسهل لتنذر بالتاء والباقون بالياء

﴿ الحجة ﴾

يقال نكّسته ونكّسته وانكسه وأنكسه مثل رددت وردّدت غير أن التشديد للتكثير والتخفيف يحتمل القليل والكثير ومن قرأ لتنذر بالتاء فهو خطاب للنبي ﷺ ومن قرأ بالياء أراد القرآن ويجوز ان يريد لينذر الله

﴿ اللغة ﴾

الطمس محو الشيء حتى يذهب اثره فالطمس على العين كالطمس على الكتاب ومثله الطمس على المال وهو اذهابه حتى لا يقع عليه ادراك واعمى مطموس وطميس وهو أن يذهب الشق الذي بين الجفنين والمسخ قلب الصورة إلى خلقة مشوهة كما مسخ قوم قردة وخنازير

﴿ الاعراب ﴾

أنّى في محل النصب على الحال من يبصرون أو على انه في معنى مصدره

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن قدرته على اهلاك هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانيته فقال (ولو نشاء لطمسنا على اعينهم) أي لأعميناهم عن الهدى عن ابن عباس وقيل معناه لتركناهم عمياً يتردّدون عن الحسن وقتادة والجبائي (فاستبقوا الصراط) أي فطلبوا طريق الحق وقد عموا عنه (فأنى يبصرون) أي فكيف يبصرون عن ابن عباس وقيل معناه فطلبوا النجاة والسبق اليها ولا بصر لهم فكيف يبصرون وقد اعميناهم وقيل طلبوا الطريق إلى منازلهم فلم يهتدوا اليها (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) اي على مكانهم الذي هم فيه قعود والمعنى ولو نشاء لعذّبناهم بنوع آخر من العذاب فأقعدناهم في منازلهم ممسوخين قردة وخنازير والمكانة والمكان واحد وقيل معناه ولو شئنا لمسخناهم حجارة في منازلهم ليس فيهم أرواحهم (فما استطاعوا

مضيا ولا يرجعون) أي فلم يقدروا على ذهاب ولا مجيئ لو فعلنا ذلك بهم وقيل معناه فما استطاعوا مضيا من العذاب ولا رجوعا إلى الخلقة الأولى بعد المسخ وهذا كله تهديد هدّدهم الله به ثم قال سبحانه (ومن نعمره ننكسه في الخلق) أي من نطول عمره نصيّره بعد القوة إلى الضعف وبعد زيادة الجسم إلى النقصان وبعد الجدة والطراوة إلى البلى والخلوقة فكأنه نكس خلقه وقيل ننكسه نردّه إلى حال الهرم التي تشبه حال الصبي في ضعف القوة وعزوب العلم عن قتادة (أفلا تعقلون) أي أفلا تتدبّرون في أن الله تعالى يقدر على الإعادة كما قدر على ذلك وإنما قال على الخطاب لقوله ألم اعهد اليكم ومن قرأ بالياء فالمعنى أفليس لهم عقل فيعتبروا ويعلموا ذلك ثم اخبر سبحانه عن نبيه ﷺ كيداً لقوله إنك لمن المرسلين فقال (وما علمناه الشعر) يعني قول الشعراء وصناعة الشعر أي ما أعطيناه العلم بالشعر وانشائه (وما ينبغي له) أن يقول الشعر من عند نفسه وقيل معناه ما يتسهل له الشعر وما كان يتزين له بيت شعر حتى انه إذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسراً كما روي عن الحسن أن رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت « كفى الإسلام والشيب للمرء ناهيا » فقال ابو بكر يارسول الله إنما قال الشاعر « كَفَى الشَّيْبُ وَالإِسْلاَمُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا »(١) أشهد انك رسول الله وما علمك الشعر وما ينبغي لك وعن عائشة انها قالت كان رسول الله ﷺ يتمثل ببيت اخي بني قيس

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً ... وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزَوَّدِ

فجعل يقول يأتيك من لم تزود بالأخبار فيقول ابو بكر ليس هكذا يارسول الله فيقول اني لست بشاعر وما ينبغي لي فأما قوله ﷺ أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ. أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ فقد قال قوم ان هذا ليس بشعر وقال آخرون انما هو اتفاق منه وليس بقصد الى قول الشعر وقيل أن معنى الآية وما علّمناه الشعر بتعليم القرآن وما ينبغي للقرآن أن يكون شعراً فإن نظمه ليس بنظم الشعر وقد صحّ انه كان يسمع الشعر ويحثّ عليه وقال لحسان ابن ثابت لا تزال يا حسان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك(٢) (إن هو) أي من الذي انزلناه عليه (إلا ذكر وقرآن مبين) من عند رب العالمين ليس بشعر ولا رجز ولا خطبة والمراد بالذكر انه يتضمن ذكر الحلال والحرام والدلالات وأخبار الامم الماضية وغيرها وبالقرآن أنه مجموع بعضه إلى بعض فجمع سبحانه بينهما لاختلاف فائدتهما (لتنذر من كان حيا) اي انزلناه لتخوف به من معاصي الله من كان مؤمنا لأن الكافر كالميت بل اقلّ من الميت لأن الميت وإن كان لا ينتفع ولا يتضرر والكافر لا ينتفع بدينه ويتضرّر به ويجوز أن يكون المراد بمن كان حياً عاقلا وروي ذلك عن علي «ع» وقيل من كان حيّ القلب حيّ البصر عن قتادة (ويحقّ القول على الكافرين) اي يجب الوعيد والعذاب على الكافرين بكفرهم

قوله تعالى (٧١) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧٢) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٣) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٤) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (٧٥) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (٧٦) فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

(ست آيات)

(١) هذا عجز بيت لسحيم عبد بني الحسحاس يخاطب به صاحبته عميرة وصدره «عميرة ودع ان تجهزت غاديا» وهو مذكور في جامع الشواهد وكذا البيت الاتي . (٢) وللامام الرازي في هذه الاية تحقيق لطيف وكذا للفيض القاساني (ره) من الخاصة فراجع التفسير الكبير ج ٢٦ : ١٠٤ ، والصافي ج ٢ : ٤١٦ .

القراءة

في الشواذ قراءة الحسن والأعمش رُكُوبهم وقراءة عائشة وابي بن كعب ركوبتهم

الحجة

اما الركوب فمصدر والكلام على حذف المضاف والتقدير فمنها ذو ركوبهم وذو الركوب هو المركوب ويجوز أن يكون التقدير فمن منافعها ركوبهم كما يقول الإنسان لغيره من بركاتك وصول الخير إليَّ على يدك وأما ركوبتهم فهي المركوبة كالقتوبة والحلوبة والجزورة لما يقتب ويحلب ويجزر

المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر الأدلة على التوحيد فقال سبحانه (أو لم يروا) معناه اولم يعلموا (أنا خلقنالهم) اي لمنافعهم (مما عملت ايدينا) اي مما ولينا خلقه بإبداعنا وانشائنا لم نشارك في خلقه ولم نخلقه باعانة معين واليد في اللغة على اقسام منها الجارحة ومنها النعمة ومنها القوة ومنها تحقيق الاضافة يقال في معنى النعمة لفلان عندي يد بيضاء وبمعنى القدرة ثلقى فلان قولي باليدين اي بالقوة والتقبل وبمعنى تحقيق الإضافة قول الشاعر

دَعَوْتُ لِمَا نَابَنِي مِسْوَرًا ... فَلَبَّى فَلَبَّى يَدَيْ مِسْوَرِ(١)

وانما ثناه لتحقيق المبالغة في الإضافة الى مسور ويقولون هذا ماجنت يداك وهو المعنيّ في الآية واذا قال الواحد منّا عملت هذا بيدي دلَّ ذلك على انفراده بعمله من غير ان يكله إلى احد (انعاما) يعني الإبل والبقر والغنم (فهم لها مالكون) اي ولو لم نخلقها لما ملكوها ولما انتفعوا بها وبألبانها وركوب ظهورها ولحومها وقيل فهم لها ضابطون قاهرون لم نخلقها وحشية نافرة منهم لا يقدرون على ضبطها فهي مسخّرة لهم وهو قوله (وذلّلناها لهم) اي سخّرناها لهم حتى صارت منقادة (فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) قسم الانعام بأن جعل منها ما يركب ومنها ما يذبح فينتفع بلحمه ويؤكل قال مقاتل الركوب الحمولة يعني الابل والبقر (ولهم فيها منافع ومشارب) فمن منافعها لبس اصوافها واشعارها واوبارها واكل لحومها وركوب ظهورها الى غير ذلك من انواع المنافع الكثيرة فيها والمشارب من ألبانها (افلا يشكرون) الله تعالى على هذه النعم ثم ذكر سبحانه جهلهم فقال (واتخذوا من دون الله آلهة) يعبدونها (لعلهم ينصرون) اي لكي ينصروهم ويدفعوا عنهم عذاب الله (لا يستطيعون نصرهم) يعني هذه الآلهة التي عبدوها لا تقدر على نصرهم والدفع عنهم (وهم لهم جند محضرون) يعني ان هذه الآلهة معهم في النار محضرون لأن كل حزب مع ما عبده من الأوثان في النار فلا الجند يدفعون عنها الاحراق ولا هي تدفع عنهم العذاب وهذا كما قال سبحانه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عن الجبائي وقيل معناه ان الكفار جند للأصنام يغضبون لهم ويحضرونهم في الدنيا عن قتادة اي يغضبون للآلهة في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تدفع عنهم شرّاً قال الزجاج ينصرون الأصنام وهي لا تستطيع نصرهم ثم عزّى نبيّه ﷺ بأن قال (فلا يحزنك قولهم) في تكذيبك (انا نعلم ما يسرّون) في ضمائرهم (وما يعلنون) بألسنتهم فنجازيهم على كل ذلك

قوله تعالى (٧٧) أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٨) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٩) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا

(١) البيت في جامع الشواهد.

أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٨٠) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨١) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨٢) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٣) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (سبع آيات)

القراءة

قرأ يعقوب بقدر بالياء وكذلك في الأحقاف والوجه فيه ظاهر وفي الشواذ قراءة طلحة وابراهيم التيمي والأعمش ملكة كل شيء ومعناه فسبحان الذي بيده القدرة على كل شيء وهو من ملكت العجين إذا اجدت عجنه فقويته بذلك والمَلَكُوت فَعَلُوت منه زادوا فيه الواو والتاء للمبالغة بزيادة اللفظ ولهذا لا يطلق الملكوت إلا على الأمر العظيم

الاعراب

الذي جعل لكم بدل من الذي انشأها ويجوز أن يكون مرفوعا أو منصوبا على المدح. ان يقول في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ

النزول

قيل إن ابي بن خلف او العاص بن وائل جاء بعظم بال متفتت وقال يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا فقال نعم فنزلت الآية أو لم ير الانسان إلى آخر السورة

المعنى

ثم نبّه سبحانه خلقه على الاستدلال على صحة البعث والإعادة فقال (اولم ير) اولم يعلم (الانسان انا خلقناه من نطفة) والتقدير ثم نقلناه من النطفة الى العلقة ومن العلقة إلى المضغة ومن المضغة إلى العظم ومن العظم الى ان جعلناه خلقاً سوياً ثم جعلنا فيه الروح واخرجناه من بطن امه وربيناه ونقلناه من حال إلى حال الى ان كمل عقله وصار متكلما خصيماً وذلك قوله (فإذا هو خصيم مبين) اي مخاصم ذو بيان اي فمن قدر على جميع ذلك فكيف لا يقدر على الإعادة وهي اسهل من الانشاء والابتداء ولا يجوز أن يكون خلق الانسان واقعاً بالطبيعة لأن الطبيعة في حكم الموات في أنها ليست بحيّة قادرة فكيف يصحّ منها الفعل ولا ان يكون كذلك بالاتفاق لأن المحدَث لابدَّ له من محدِث قادر عالم وفي الآية دلالة على صحة استعمال النظر في الدين لأن الله سبحانه اقام الحجة على المشركين بقياس النشأة الثانية على النشأة الأولى وألزم من اقرّ بالأولى ان يقرّ بالثانية ثم كذّبه سبحانه الانكار عليه فقال (وضرب لنا مثلا) اي ضرب المثل في انكار البعث بالعظم البالي ونفّه بيده وتعجّب ممن يقول ان الله يحييه (ونسي خلقه) اي وترك النظر في خلق نفسه اذ خلق من نطفة ثم بيّن ذلك المثل بقوله (قال من يحيي العظام وهي رميم) اي بالية واختلف في القائل لذلك فقيل هو ابي بن خلف عن قتادة ومجاهد وهو المروي عن الصادق (ع) وقيل هو العاص بن وائل السهمي عن سعيد بن جبير وقيل امية بن خلف عن الحسن ثم قال سبحانه في الردّ عليه (قل) يا محمد لهذا المتعجب من الإعادة (يحييها الذي انشأها أول مرة) لأن من قدر على اختراع ما يبقى فهو على اعادته قادر لامحالة

(وهو بكل خلق عليم) من الابتداء والاعادة فيعلم به قبل أن يخلقه انه إذا خلقه كيف يكون ويعلم به قبل ان يعيده انه إذا اعاده كيف يكون ثم زاد سبحانه في البيان واخبر من صنعه بما هو عجيب الشأن فقال (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا انتم منه توقدون) اي جعل لكم من الشجر الرطب المطفئ للنار ناراً محرقة يعني بذلك المرخ والعفار وهما شجرتان يتخذ الأعراب زنودها منهما فبيّن سبحانه ان من قدر على ان يجعل في الشجر الذي هو في غاية الرطوبة نارا حامية مع مضادة النار للرطوبة حتى إذا احتاج الإنسان حكّ بعضه ببعض فتخرج منه النار وينقدح قدر ايضا على الإعادة وتقول العرب في كلّ شَجَرٍ نارٌ، وَاسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعَفارُ(١) وقال الكلبي كل شجر تنقدح منه النار الا العناب ثم ذكر سبحانه من خلقه ما هو اعظم من الانسان فقال (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم) هذا استفهام معناه التقرير يعني من قدر على خلق السماوات والأرض واختراعهما مع عظمهما وكثرة اجزائهما يقدر على اعادة خلق البشر ثم اجاب سبحانه هذا الاستفهام بقوله (بلى) اي هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) اي يخلق خلقاً بعد خلق (العليم) بجميع ما خلق ثم ذكر قدرته على ايجاد الأشياء فقال (انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون) والتقدير ان يكوّنه فيكون فعبّر عن هذا المعنى بكن لأنه ابلغ فيما يراد وليس هنا قول وإنما هو اخبار بحدوث ما يريده تعالى وقيل إن المعنى إنما امره إذا أراد شيئا أن يقول من اجله كن فيكون فعبّر عن هذا المعنى بكن وقيل إن هذا إنما هو في التحويلات نحو قوله كونوا قردة خاسئين و كونوا حجارة او حديداً وما اشبه ذلك ولفظ الأمر في الكلام على عشرة أوجه ﴿احدها﴾ الأمر لمن هو دونك ﴿والثاني﴾ الندب كقوله فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً ﴿وثالثها﴾ الإباحة نحو قوله فإذا قضيت الصلوة فانتشروا وإذا حللتم فاصطادوا ﴿والرابع﴾ الدعاء ربنا آتنا من لدنك رحمة ﴿الخامس﴾ الترفيه كقوله ارفق بنفسك ﴿السادس﴾ الشفاعة نحو قولك شفّعني فيه ﴿السابع﴾ التحويل نحو كونوا قردة خاسئين و كونوا حجارة أوحديدا ﴿الثامن﴾ التهديد نحو قوله اعملوا ما شئتم ﴿التاسع﴾ الاختراع والاحداث نحو قوله كن فيكون ﴿العاشر﴾ التعجب نحو ابصر بهم وأسمع قال علي بن عيسى في قوله كن فيكون الأمر هاهنا افخم من الفعل فجاء للتفخيم والتعظيم قال ويجوز ان يكون بمنزلة التسهيل والتهوين فإنه إذا أراد فعل شيء فعله بمنزلة ما يقول للشيء كن فيكون في الحال وانشد

فَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمْعاً وَطَاعَةً ... وَحَدَّرَتا كَالدُّرِّ لَمَّا يُثَقَّبِ

وإنما اخبر عن سرعة دمعه دون ان يكون ذلك قولا على الحقيقة ثم نزّه سبحانه نفسه من ان يوصف بما لا يليق به فقال (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) اي تنزيها له من نفي القدرة على الإعادة وغير ذلك مما لا يليق بصفاته الذي بيده اي بقدرته ملك كل شيء ومن قدر على كل شيء قدر على احياء العظام الرميم وعلى خلق كل شيء وافنائه واعادته (واليه ترجعون) يوم القيامة اي ترجعون إلى حيث لا يملك الأمر والنهي احد سواه فيجازيكم بالثواب والعقاب على الطاعات والمعاصي على قدر اعمالكم

(١) قال ابن منظور بعد ذكر المثل: استمجد: استفضل اى استكثر امن النار كانهما اخذا من النار ما هو حسبهما فصلحا للاقتداح بهما،

سورة الصافات مكية

عدد آيها

مائة واحدى وثمانون آية بصري وآيتان في الباقي

اختلافها

آيتان وما كانوا يعبدون غير البصري وكلهم يعدون وان كانوا ليقولون غير ابي جعفر

فضلها

قال ابي بن كعب قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة الصافات اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمناً بالمرسلين وروى الحسين بن ابي العلاء عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الصافات في كل يوم جمعة لم يزل محفوظا من كل آفة مدفوعاً عنه كل بلية في حياته الدنيا مرزوقاً في الدنيا بأوسع ما يكون من الرزق ولم يصبه الله في ماله ولا ولده ولا بدنه بسوء من شيطان رجيم ولا جبار عنيد وان مات في يومه او ليلته بعثه الله شهيداً وأماته شهيداً وادخله الجنة مع الشهداء في درجة من الجنة

تفسيرها

افتتح الله هذه السورة بمثل ما اختتم به سورة يس من ذكر البعث فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (٢) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٣) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٤) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٦) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٧) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٨) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٩) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (١٠) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (عشر آيات)

القراءة

ادغم ابو عمرو وحمزة التاء في الصاد وفي الزاي وفي الذال من الصافات صفاً فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا والذاريات ذروا وقرأ ابو عمرو وحده والعاديات ضبحا مدغما فالمغيرات صبحاً فالملقيات ذكرا والسابحات سبحاً والسابقات سبقاً مدغماً وعباس لا يدغم شيئاً من ذلك والباقون بإظهار التاء في ذلك كله وقرأ عاصم وحمزة بزينةٍ بالتنوين الكواكبِ بالجر وقرأ ابو بكر بزينةٍ منونا ايضاً الكواكبَ بالنصب وقرأ الباقون بزينةِ الكواكب مضافة وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر لا يسَّمَّعون بتشديد السين والميم والباقون لا يسمعون بالتخفيف

الحجة

قال ابو علي ادغام التاء في الصاد حسن لمقاربة اللفظين الا ترى انهما من طرف اللسان واصول الثنايا ويجتمعان في الهمس والمدغم فيه يزيد على المدغم بخلتين هما الاطباق والصفير ويحسن ادغام الأنقص في

الأزيد ولا يجوز ان يدغم الازيد صوتاً في الانقص صوتاً فلهذا يحسن ادغام التاء في الزاي من قوله فالزاجرات زجرا لأن التاء مهموسة والزاي مجهورة وفيها زيادة صفير كما كان في الصاد وكذلك حسن ادغام التاء في الذال في قوله فالتاليات ذكرا والذاريات ذروا لاتفاقهما في انهما من طرف اللسان واصول الثنايا فأما ادغام التاء في الضاد من قوله تعالى والعاديات ضبحا فإن التاء اقرب إلى الذال وإلى الزاي منهما في الضاد لأن الذال والزاي والصاد من حروف طرف اللسان واصول الثنايا وطرفها والضاد ابعد منهن لأنها من وسط اللسان وكذلك حسن ادغام التاء فيها لأن الصاد تغشى الصوت بها واتسع واستطال حتى اتصل صوتها باصول الثنايا وطرف اللسان فادغم التاء فيها وسائر حروف طرف اللسان واصول الثنايا الا حروف الصفير فإنها لم تدغم في الضاد ولم تدغم الضاد في شيء من هذه الحروف لما فيها من زيادة الصوت فأما الادغام في السابحات سبحا والسابقات سبقا فحسن لمقاربة الحروف فأما من قرأ بالإظهار في هذه الحروف فلاختلاف المخارج وأما من قرأ بزينة الكواكب جعل الكواكب بدلا من الزينة كما تقول مررت بأبي عبد الله زيد ومن قرأ الكواكبَ بالنصب اعمل الزينة في الكواكب والمعنى بأن زيّنا الكواكب فيها ومثل ذلك أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ومن قرأ بزينةِ الكواكبِ اضاف المصدر إلى المفعول كقوله تعالى من دعاء الخير وبسؤال نعجتك ومن قرأ لا يسَّمَّعون فإنما هو لا يتسمعون فادغم التاء في السين وقد يتسمع ولا يسمع فإذا نفى التسمع عنهم فقد نفى سمعهم من جهة التسمع ومن جهة غيره فهو ابلغ ويقال سمعت الشيء واستمعته كما يقال حقرته واحتقرته وشويته واشتويته وقد قال تعالى وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وقال ومنهم من يستمع اليك فعدّى الفعل مرة بإلى ومرة باللام وحجة من قرأ يَسَّمَّعُون قوله انهم عن السمع لمعزولون

اللغة

قال ابو عبيدة كل شيء بين السماء والأرض لم يضمّ قطريه فهو صاف ومنه الطير صافات إذا نشرت اجنحتها والصافات جمع الجمع لأنه جمع صافة والزجر الصرف عن الشيء لخوف الذم والعقاب. المارد الخارج إلى الفساد العظيم وهو من وصف الشياطين وهم المردة واصله الانجراد ومنه الأمرد فالمارد المنجرد من الخير. الدحور الدفع بالعنف يقال دحر يدحر دحراً ودحورا. والواصب الدائم الثابت قال أبو الأسود

لا أَشْتَرِي الْحَمْدَ الْقَلِيلَ بَقَاؤُهُ ... يَوْمًا بِذَمِّ الدَّهْرِ أَجْمَعَ وَاصِبَا

والخطفة الاستلاب بسرعة يقال خطفه واختطفه والشهاب شعلة نار ساطعة يقال فلان شهاب حرب إذا كان ماضيا والثاقب المضيء كأنه يثقب بضوئه ومنه حسب ثاقب اي شريف

الاعراب

حفظا مصدر فعل محذوف اي زيّناها وحفظناها حفظا. لا يسمعون جملة مجرورة الموضع بأنها صفة شيطان دحوراً مصدر فعل دلّ عليه يقذفون اي يدحرون دحورا. إلا من خطف الخطفة يحتمل ان يكون من خطف في موضع نصب على الاستثناء والعامل فيه ما يتعلق به اللام في لهم عذاب والمستثنى منهم من لهم ويحتمل ان يكون استثناء منقطعاً فيكون من خطف مبتدأ وخبره فأتبعه شهاب ثاقب

المعنى

(والصافات صفا) اختلف في معنى الصافات على وجوه «احدها» انها الملائكة تصف انفسها صفوفا

في السماء كصفوف المؤمنين في الصلاة عن ابن عباس ومسروق والحسن وقتادة والسدي « وثانيها » انها الملائكة تصف اجنحتها في الهواء إذا أرادت النزول إلى الأرض واقفة تنتظر ما يأمرها الله تعالى عن الجبائي « وثالثها » انهم جماعة من المؤمنين يقومون مصطفين في الصلاة وفي الجهاد عن ابي مسلم (فالزاجرات زجرا) اختلف فيها ايضا على وجوه « احدها » انها الملائكة تزجر الخلق عن المعاصي زجراً عن السدي ومجاهد وعلى هذا فإنه يوصل الله مفهومه إلى قلوب العباد كما يوصل مفهوم اغواء الشيطان إلى قلوبهم ليصح التكليف « وثانيها » انها الملائكة الموكلة بالسحاب تزجرها وتسوقها عن الجبائي « وثالثها » انها زواجر القرآن وآياته الناهية عن القبائح عن قتادة « ورابعها » انهم المؤمنون يرفعون اصواتهم عند قراءة القرآن لأن الزجرة الصيحة عن ابي مسلم (فالتاليات ذكراً) اختلف فيها ايضاً على اقوال « احدها » انها الملائكة تقرأ كتب الله تعالى والذكر الذي ينزل على الموحى اليه عن مجاهد والسدي « وثانيها » انها الملائكة تتلو كتاب الله الذي كتبه للملائكته وفيه ذكر الحوادث فتزداد يقيناً بوجود المخبر على وفق الخبر « وثالثها » جماعة قراء القرآن من المؤمنين يتلونه في الصلاة عن ابي مسلم وإنما لم يقل فالتاليات تلواً كما قال فالزاجرات زجراً لأن التالي قد يكون بمعنى التابع ومنه قوله والقمر إذا تلاها فلما كان اللفظ مشتركا بيّنه بما يزيل الإبهام (إن إلهكم لواحد) وهذه قسام اقسم الله تعالى بها انه واحد ليس له شريك ثم اختلف في مثل هذه الأقسام فقيل انها أقسام بالله تعالى على تقدير وربّ الصافات وربّ الزاجرات وربّ التين والزيتون لأن في القسم تعظيماً للمقسم به ولأنه يجب على العباد ان لا يقسموا إلا بالله تعالى إلا انه حذف لأن حجج العقول دالة على المحذوف عن الجبائي والقاضي وقيل بل اقسم الله سبحانه بهذه الأشياء وإنما جاز ذلك لأنه ينبئ عن تعظيمها بما فيها من الدلالة على توحيده وصفاته العلى فله سبحانه ان يقسم بما شاء من خلقه وليس لخلقه أن يقسموا الا به ثم قال سبحانه (رب السموات والأرض) اي خالقهما ومدبّرهما (وما بينهما) من سائر الاجناس من الحيوان والنبات والجماد (ورب المشارق) وهي مشارق الشمس اي مطالعها بعدد أيام السنة ثلاثمائة وستون مشرقا والمغارب مثل ذلك تطلع الشمس كل يوم من مشرق وتغرب في مغرب عن ابن عباس والسدي وإنما خصّ المشارق بالذكر لأن الشروق قبل الغروب (إنا زيّنا السماء الدنيا) يعني التي هي اقرب السماوات الينا وإنما خصّها بالذكر لاختصاصها بالمشاهدة (بزينة الكواكب) اي بحسنها وضوئها والتزيين تحسين الشيء وجعله على صورة تميل اليها النفس فالله سبحانه زيّن السماء على وجه تمتع الرائي لها وفي ذلك اعظم النعمة على العباد مع ما لهم من المنفعة بالتفكير فيها والاستدلال بها على صانعها (وحفظا من كل شيطان) اي وحفظناها من كل شيطان (مارد) اي خبيث خال من الخير متمرّد والمعنى وحفظناها من دنوّ كل شيطان للاستماع فإنهم كانوا يسترقون السمع ويستمعون إلى كلام الملائكة ويقولون ذلك إلى ضعفة الجن وكانوا يوسوسون بها في قلوب الكهنة ويوهمونهم انهم يعرفون الغيب فمنعهم الله تعالى عن ذلك (لا يسمعون إلى الملأ الأعلى) اي لكيلا يتسمعوا إلى الكتبة من الملائكة في السماء عن الكلبي وقيل إلى كلام الملإ الأعلى اي لكيلا يتسمعوا والملأ الأعلى عبارة عن الملائكة لأنهم في السماء (ويقذفون من كل جانب) اي يرمون بالشهب من كل جانب من جوانب السماء إذا أرادوا الصعود إلى السماء للاستماع (دحورا) اي دفعا لهم بالعنف وطردا (ولهم عذاب واصب) اي ولهم مع ذلك ايضاً عذاب دائم يوم القيامة (إلا من خطف الخطفة) والتقدير

لا يتسمعون إلى الملائكة إلا من وثب الوثبة إلى قريب من السماء فاختلس خلسة من الملائكة واستلب استلابا بسرعة (فأتبعه شهاب ثاقب) اي فلحقه وأصابه نار مضيئة محرقة والثاقب المنير المضيء وهذا كقوله إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين

قوله تعالى (١١) فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (١٢) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٣) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٤) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٥) وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٦) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٨) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٩) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (٢٠) وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (عشر آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم بل عجبتُ بضم التاء والباقون بفتحها وقرأ ابن عامر واهل المدينة غير ورش أو آباؤنا ساكنة الواو والباقون بفتحها وكذلك في الواقعة

الحجة

قال ابو علي من قرأ بل عجبتَ بالفتح فالمعنى بل عجبتَ من انكارهم البعث وهم يسخرون او عجبتَ من نزول الوحي عليك وهم يسخرون والضم فيما زعموا قراءة علي «ع» وابن عباس وروي عن شريح من انكاره له فإنه قال ان الله لا يعجب وقد احتجّ بعضهم للضم بقوله وان تعجب فعجبٌ قولهم وليس في هذا دلالة على ان الله سبحانه اضاف العجب إلى نفسه ولكن المعنى وان تعجب فعجب قولهم عندكم والمعنى في الضم ان انكار البعث والنشر مع ثبات القدرة على الابتداء والإنشاء عجيب ويبيّن ذلك عند من استدلّ عندكم مما تقولون فيه هذا النحو من الكلام إذا ورد عليكم مثله كما ان قوله اسمع بهم وأبصر معناه ان هؤلاء ممن تقولون انتم فيه هذا النحو وكذلك قوله فما اصبرهم على النار عند من لم يجعل اللفظ على الاستفهام وعلى هذا النحو قوله ويل للمطففين وويل يومئذ للمكذبين وقوله لعلّه يتذكّر أو يخشى ولا يجوز أن يكون العجب في وصف القديم سبحانه كما يكون في وصف الإنسان لأن العجب فينا إنما يكون إذا شاهدنا ما لم نشاهد مثله ولم نعرف سببه وهذا منتف عن القديم سبحانه

اللغة

اللازب واللازم بمعنى أبدلت من الميم الباء قال النابغة

وَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ عِنْدَهُ ... وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبِ

وبعض بني عقيل يقولون لاتب ايضا بالتاء والداخر الصاغر اشد الصغر

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (فاستفتهم) اي فاسألهم يا محمد سؤال تقرير (اهم اشد خلقا) اي أحكم صنعاً (ام من خلقنا) قبلهم من الامم الماضية والقرون السالفة يريد انهم ليسوا بأحكم خلقاً من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بالعذاب وقيل اهم اشدّ خلقاً ام من خلقنا من الملائكة والسموات والأرض وغلب

ما يعقل على ما لا يعقل (إنا خلقناهم من طين لازب) معناه انهم ان قالوا نحن اشد فاعلمهم ان الله خلقهم من طين فكيف صاروا اشد قوة منهم والمراد أن آدم خلقه الله من طين وأن هؤلاء نسله وذريته فكأنهم منه وقال ابن عباس اللازب الملتصق من الطين الحر الجيد (بل عجبت) يامحمد من تكذيبهم اياك (وهم يسخرون) من تعجبك ومن ضم التاء فالمراد انه سبحانه امر نبيه ﷺ ان يخبر عن نفسه بأنه عجب من هذا القرآن حين أعطيه وسخر منه اهل الضلال وتقديره قل بل عجبت عن المبرد وقيل يسخرون اي يهزأون بدعائك اياهم إلى الله والنظر في دلائله وآياته وروي عن الأعمش عن ابي وائل قال قرأ عبد الله بن مسعود بل عجبت بالضم فقال شريح إن الله لا يعجب إنما يعجب من لا يعلم قال الاعمش فذكرته لابراهيم فقال ان شريحاً كان معجباً برأيه إن عبد الله قرأ بل عجبتُ وعبد الله اعلم من شريح واضافة العجب إلى الله تعالى ورد الخبر به كقوله عجب ربكم من شباب ليس له صبوة وعجب ربكم من إلكم وقنوطكم(١) ويكون ذلك على وجهين عجب مايرضى ومعناه الاستحسان والخبر عن تمام الرضى وعجب ما يكره ومعناه الإنكار له والذم (وإذا ذكروا لا يذكرون) اي وإذا خوّفوا بالله ووعظوا بالقرآن لا ينتفعون بذلك ولا يتعظون به (وإذا رأوا آية) من آيات الله ومعجزة مثل انشقاق القمر وغيرها (يستسخرون) اي يستهزؤون ويقولون هذا عمل السحر وسخر واستسخر بمعنى واحد وقيل معناه يستدعي بعضهم بعضا إلى اظهار السخرية وقيل معناه يعتقدونه سخرية كما تقول استقبحه اي اعتقده قبيحاً واستحسنه اي اعتقده حسناً (وقالوا إن هـذا إلا سحر مبين) اي وقالوا لتلك الآية ما هذا إلا سحر ظاهر وتمويه (أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون) بعد ذلك ومحشورون اي كيف نبعث بعد ما صرنا تراباً (أوآباؤنا الأولون) الذين تقدّمونا بهذه الصفة اي اويبعث آباؤنا بعد ما صاروا تراباً يعنون ان هذا لا يكون ومن فتح الواو وجعلها واو العطف دخل عليها همزة الاستفهام كقوله أو من اهل القرى ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ ،قل) لهم (نعم) تبعثون (وانتم داخرون) صاغرون اشد الصغار ثم ذكر أن بعثهم يقع بزجرة واحدة فقال (فإنما هي) اي فإنما قصة البعث (زجرة واحدة) اي صيحة واحدة من اسرافيل يعني نفخة البعث والزجرة الصرفة عن الشيء بالمخافة فكأنهم زجروا عن الحال التي هم فيها إلى الحشر (فإذا هم ينظرون) إلى البعث الذي كذّبوا به وقيل معناه فإذا هم احياء ينتظرون ما ينزل بهم من عذاب الله (وقالوا) اي ويقولون معترفين على نفوسهم بالعصيان (ياويلنا) من العذاب وهو كلمة يقولها القائل عند الوقوع في الهلكة ومثله ياحسرتنا ينادون مثل هذه الأشياء على وجه التنبيه على عظم الحال (هذا يوم الدين) اي يوم الحساب عن ابن عباس وقيل يوم الجزاء عن قتادة والمراد انهم اعترفوا بالحق خاضعين نادمين

قوله تعالى (٢١) هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٢) ٱحْشُرُوا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٣) مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْجَحِيمِ (٢٤) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٥) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٦) بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٧) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٩) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ (٢٩) قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣٠) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (عشر آيات)

(١) قال ابن الاثير الصبوة: الميل الى الهوى. وقال .في(ألل) في الحديث : عجب ربكم من الكم وقنوطكم الال : شدة القنوط ويجوزان يكون من رفع الصوت بالبكاء ، و قال ابو عبيدة : المحدثون يروونه بكسر الهمزة والمحفوظ عند أهل اللغة الفتح وهو أشبه بالمصادر .

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن حالهم ايضا فقال (هذا يوم الفصل) بين الخلائق والحكم وتمييز الحق من الباطل على وجه يظهر لجميعهم الحال فيه وذلك بأن يدخل المطيع الجنة على وجه الاكرام ويدخل العاصي النار على وجه الإهانة (الذي كنتم) يامعشر الكفار (به تكذّبون) وهذا كلام بعضهم لبعض وقيل بل هو كلام الملائكة ثم حكى سبحانه ما يقوله للملائكة بأن قال (احشروا الذين ظلموا) أنفسهم بارتكاب المعاصي أي اجمعوهم من كل جهة وقيل ظلموا أنفسهم بمخالفتهم أمر الله سبحانه وبتكذيبهم الرسل وقيل ظلموا الناس (وأزواجهم) أي واشباههم عن ابن عباس ومجاهد ومثله وكنتم ازواجاً ثلاثة اي اشباها واشكالا ثلاثة فيكون المعنى ان صاحب الزنا يحشر مع اصحاب الزنا وصاحب الخمر مع اصحاب الخمر إلى غيرهم وقيل واشياعهم من الكفار عن قتادة وقيل وازواجهم المشركات كأنه قال احشروا المشركين والمشركات عن الحسن وقيل واتباعهم على الكفر ونظراؤهم وضرباؤهم (وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم) إنما عبّر عن ذلك بالهداية من حيث كان بدلا من الهداية إلى الجنة كقوله فبشّرهم بعذاب أليم من حيث ان هذه البشارة وقعت لهم بدلا من البشارة بالنعيم (وقفوهم) اي قفوا هؤلاء الكفار واحبسوهم عن دخول النار (انهم مسئولون) روى أنس بن مالك مرفوعا انهم مسؤولون عما دعوا اليه من البدع وقيل مسئولون عن اعمالهم وخطاياهم عن الضحاك وقيل عن قول لا إله إلا الله عن ابن عباس وقيل عن ولاية علي بن ابي طالب «ع» عن ابي سعيد الخدري وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا حدثنا عن الحاكم ابي القاسم الحسكاني بالاسناد يقال وقفت اناوقفت غيري وبعض بني تميم يقول أوقفت الدابة والدار وأنشد الفراء

تَرَى النَّاسَ ما سِرْنا يَسِيرُونَ خَلْفَنا ... وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَأْنا إِلَى النَّاسِ اَوْقَفُوا

(ما لكم لا تناصرون) اي لا تتناصرون وهذا على وجه التوبيخ والتبكيت اي ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً في دفع العذاب والتقدير ما لكم غير متناصرين ثم بيّن سبحانه انهم لا يقدرون على التناصر فقال (بل هم اليوم مستسلمون) اي منقادون خاضعون ومعنى الاستسلام أن يلقي بيده غير منازع فيما يراد منه (واقبل بعضهم على بعض يتساءلون) هذا اخبار منه سبحانه ان كل واحد منهم يقبل على صاحبه الذي اغواه فيقول له على وجه التأنيب والتعنيف لِمَ غرَّرتني ويقول ذلك له لِمَ قبلت منّي وقيل يقبل الاتباع على المتبوعين والمتبوعون على الاتباع يتلاومون ويتعاتبون ويتخاصمون (قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أي يقول الكفار لقُواتهم انكم كنتم تأتوننا من جهة النصيحة واليمن والبركة ولذلك اقررنا لكم والعرب تتيمن بما جاء من اليمين عن الجبائي وقيل معناه كنتم تأتوننا من قبل الدين فتقرروننا ان الحق والدين ما يضلوننا به واليمين عبارة عن الحق عن الزجاج وقيل معناه كنتم تأتوننا من قبل القوة والقدرة فتخدعوننا من اقوى الوجوه ومنه قوله فراغ اليهم ضربا باليمين عن الفراء (قالوا) في جواب ذلك ليس الأمر كما قلتم (بل لم تكونوا مؤمنين) مصدّقين بالله (وما كان لنا عليكم من سلطان) اي قدرة وقوة فنجبركم على الكفر فلا تستطيعوا اللوم عن انفسكم فإنه لازم لكم ولاحق بكم (بل كنتم قوما طاغين) اي خارجين عن الحق باغين تجاوزتم الحد إلى أفحش الظلم وأعظم المعاصي

قوله تعالى (٣١) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣٢) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٣) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٤) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٥) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٦) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ

مَجْنُونٍ (٣٧) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٨) إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٩) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٠) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (عشر آيات)

المعنى

هذا تمام الحكاية عن الكفار الذين قالوا وما كان لنا عليكم من سلطان ثم قالوا (فحق علينا قول ربنا) اي وجب علينا قول ربّنا بأنا لا نؤمن ونموت على الكفر اووجب علينا العذاب الذي نستحقه على الكفر والاغواء. (إنا لذائقون) العذاب الذي نستحقه على الكفر أي ندركه كما ندرك المطعوم بالذوق ثم يعترفون بأنهم اغووهم بأن قالوا (فأغويناكم) اي أضللناكم عن الحق ودعوناكم إلى الغي (إنا كنا غاوين) اي داخلين في الضلالة والغي وقيل معناه فخيّبناكم إنا كنا خائبين (فإنهم يومئذ) أي في ذلك اليوم (في العذاب مشتركون) واشتراكهم اجتماعهم فيه والمعنى ان ذلك التخاصم لم ينفعهم إذا اجتمع الاتباع والمتبوعون كلهم في النار الاتباع بقبول الكفر والمتبوعون بالكفر والاغواء (إنا كذلك نفعل بالمجرمين) اي الذين جعلوا لله شركاء عن ابن عباس وقيل معناه انا مثل ما فعلنا بهؤلاء نفعل بجميع المجرمين ثم بيّن سبحانه انه انما فعل ذلك بهم من اجل (انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) عن قبول ذلك (ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) أي يأنفون من هذه المقالة ويستخفون بمن يدعوهم اليها ويقولون لا ندع عبادة الاصنام لقول شاعر مجنون يعنون النبي ﷺ يدعونا إلى خلافها وقيل لأجل شاعر عن ابي مسلم فردّ الله هذا القول عليهم وكذّبهم بأن قال (بل جاء بالحق) اي ليس بشاعر ولا مجنون ولكنه اتى بما تقبله العقول من الدين الحق والكتاب (وصدق المرسلين) اي حقق ما اتى به المرسلون من بشاراتهم والكتاب الحق بدين الإسلام وقيل صدّقهم بأن اتى بمثل ما اتوا به من الدعاء إلى التوحيد وقيل صدّقهم بالنبوة ثم خاطب الكفار فقال (انكم) ايها المشركون (لذائقوا العذاب الاليم) على كفركم ونستكم اياه الى الشعر والجنون (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) اي على قدر اعمالكم ثم استثنى من جملة المخاطبين المعذّبين فقال (إلا عباد الله المخلصين) للذين اخلصوا العبادة لله وأطاعوه في كل ما أمرهم به فإنهم لا يذوقون العذاب وإنما ينالون الثواب

قوله تعالى (٤١) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤٢) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٣) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٤) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٥) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٦) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٧) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٨) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٩) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٥٠) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (عشر آيات)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ينزفون بكسر الزاي والباقون بفتح الزاء. وكذلك في سورة الواقعة إلا عاصم فإنه قرأ هاهنا بفتح الزاي وهناك بكسر الزاي

الحجة

قال ابو علي انزف يكون على معنيين ﴿احدهما﴾ بمعنى سكر قال

لَعَمْرِي لَئِنْ أَنْزَفْتُمُ أَوْ صَحَوْتُمُ لَبِئْسَ النَّدَامَى كُنْتُمَ آلَ أَبْجَرَا (١)

فمقابلته صحوتم يدل على انه أراد سكرتم ﴿والآخر﴾ بمعنى انفد شرابه فمعنى انزف صار ذا انفاد لشرابه

(١) قائله أبيرد اليربوعي. الندامى جمع الندمان: المنادم على الشرب. وبعد هذا البيت قوله لا شربتم ومدرتم ولا كان أبوكم كذا كم اذا مايشرب الكأس مدرأ وأبجر هو ابن جابر العجلي.

كما ان الأول معناه النفاد من عقله فمن قرأ ينزِفون يجوز ان يريد به لا يسكرون عن شربها ويجوز ان يريد به لا ينفد ذلك عندهم كما ينفد شراب اهل الدنيا ومن قرأ ينزفون بفتح الزاي فإنه من نزف الرجل فهو منزوف ونزيف إذا ذهب عقله بالسكر

﴿ اللغة ﴾

قال الأخفش كل كأس في القرآن فالمراد به الخمر . معين يحتمل ان يكون فعيلا من أمعن في الأمر إذا اشتدَّ دخوله فيه وهو الماء الشديد الجري ويحتمل ان يكون مفعولا من عين الماء لأنه يجري ظاهرا للعين . واللذة اللذيذة يقال شراب لذّ ولذيذ والغول فساد يلحق الشيء خفيا يقال اغتاله اغتيالا وغاله غولا ومنه الغيلة وهي القتل سرًا قال الشاعر

وَمَا زَالَتِ الْكَأْسُ تَغْتَالُنَا ... وَتَذْهَبُ بِالْأَوَّلِ الْأَوَّلِ (١)

والقاصرات جمع قاصرة وهن اللاتي يقصرن طرفهن على ازواجهن لا ينظرن إلى غيرهم والقصر معناه الحبس والعين النُجل العيون الحسانها والمكنون المصون من كل شيء قال الشاعر

وَهْيَ زَهْرَاءُ مِثْلُ لُؤْلُؤَةِ الْغَوَّا ... صِ مُيِّزَتْ مِنْ جَوْهَرٍ مَكْنُونِ

﴿ المعنى ﴾

ثم بيَّن سبحانه ما أعدَّه لعباده المخلصين من انواع النعم فقال (أولئك لهم رزق معلوم) جعل لهم التصرف فيه وحكم لهم به في الأوقات المستأنفة في كل وقت شيئاً معلوماً مقدَّراً ثم فسَّر ذلك الرزق بأن قال (فواكه) وهي جمع فاكهة يقع على الرطب واليابس من الثمار كلها يتفكهون بها ويتنعَّمون بالتصرف فيها (وهم مكرمون) مع ذلك اي معظمون مبجلون وضد الإكرام الإهانة (في جنات النعيم) اي وهم مع ذلك في بساتين فيها انواع النعيم يتنعَّمون بها (على سرر) وهي جمع سرير (متقابلين) يستمتع بعضهم بالنظر إلى وجوه بعض ولا يرى بعضهم قفا بعض (يطاف عليهم بكأس) وهو الإناء بما فيه من الشراب (من معين) اي من خمر جارية في انهار ظاهرة العيون من الحسن وقتادة والضحاك والسدي وقيل شديد الجري ثم وصف الخمر فقال (بيضاء) وصفها بالبياض لأنها في نهاية الرقة مع الصفاء واللطافة النورية التي لها قال الحسن خمر الجنة اشدُّ بياضا من اللبن وذكر ان قراءة ابن مسعود صفراء فيحتمل أن يكون بيضاء الكاس صفراء اللون (لذة) اي لذيذة (للشاربين) ليس فيها ما يعتري خمر الدنيا من المرارة والكراهة (لا فيها غول) اي لا تغتال عقولهم فتذهب بها ولا تصيبهم منها وجع في البطن ولا في الرأس ويقال للوجع غول لأنه يؤدّي إلى الهلاك (ولا هم عنها ينزفون) اي يسكرون ولا ينزفون لا يفنى خمرهم وتحمل هذه القراءة على هذا لزيادة الفائدة وعلى القراءة الأولى فيحمل الغول على الصداع والوجع وأذى الخمار قال ابن عباس معناه ولا يبولون قال وفي الخمر اربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فنزَّه الله سبحانه خمر الجنة عن هذه الخصال (وعندهم قاصرات الطرف) قصرن طرفهن على ازواجهن فلا يردن غيرهنَّ لحبهنَّ إياهم وقيل معناه لا يفتحن أعينهن دلالا وغنجا (عين) اي واسعات العيون والواحدة عيناء وقيل هي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها عن الحسن (كأنهن بيض مكنون) شبَّههن ببَيض النعام مكنَّة بالريش من الغبار والريح عن الحسن وابن زيد وفي معناه قول امرئ القيس

كَبِكْرِ الْمُقَانَاةِ الْبَيَاضُ بِصُفْرَةٍ ... غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرَ مُحَلَّلِ (٢)

وقيل شبَّههن ببطن البيض قبل أن يقشر وقبل أن تمسَّه الأيدي والمكنون المصون ثم قال (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يعني أهل الجنة يسأل بعضهم بعضاً عن احوالهم من حين بعثوا إلى أن أدخلوا الجنة فيخبر

(١) قال في اللسان اى توصل الى الناشرأ وتعدمنا عقولنا (٢) هذا البيت من معلقته المعروفة والبكر من كل صنف مالم يسبقه مثله والمراد هنا بيض النعام و اضافته الى المقاناة من قبيل قوله تعالى «وللدار الاخرة » والمقاناة : المخالطة والنمير : الماء النامى فى الجسد و قيل : العذب من الماء . وغير محلل اى غير يسير أو من قولهم مكان محلل

كل صاحبه بإنعام الله تعالى عليه

قوله تعالى (٥١) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥٢) يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٣) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٤) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٥) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٦) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٧) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٨) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٩) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٦٠) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (عشر آيات)

القراءة

في الشواذ قراءة ابن عباس وابن محيصن هل انتم مُطْلِعون بالتخفيف فَأَطْلَعَ

الحجة

الاطلاع الاقبال فعلى هذا يكون معناه فهل انتم مقبلون فأقبل واطلع يكون مسندا إلى مصدره اي فاطلع الاطلاع كما يقال قد قيم اي قدقيم القيام

الإعراب

إلا موتتنا الاولى نصب بقوله ميتين ا ب المصدر بالفعل الواقع قبله كماتقول ما ضربت إلا ضربة واحدة والتقدير فما نموت إلا موتتنا الأولى

المعنى

هذا تمام الحكاية عن احوال اهل الجنة واقبال بعضهم على بعض في المسائلة من الاخبار والاحوال (قال قائل منهم) اي من اهل الجنة (اني كان لي قرين) في دار الدنيا اي صاحب يخبرني اما من الانس على قول ابن عباس او من الشيطان على قول مجاهد (يقول) لي على وجه الإنكار عليّ والتهجين لفعلي (أئنك لمن المصدقين) بيوم الدين وبالبعث والنشور والحساب والجزاء والاستفهام هنا على وجه الإنكار (أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) اي مجزيّون محاسبون من قولهم كما تدين تدان والمعنى ان ذلك القرين كان يقول لي في الدنيا على طريق الاستبعاد والاستنكار أنبعث بعد ان صرنا ترابا وعظاماً بالية ونجازى على اعمالنا اي ان هذا لا يكون ابداً وهذا ابلغ في النفي من ان يقول لا نبعث ولا نجازى (قال هل انتم مطلعون) اي ثم قال هذا المؤمن لأخوانه في الجنة هل انتم مطلعون على موضع من الجنة يرى منه هذا القرين يقال طلع على كذا إذا اشرف عليه والمعنى هل تؤثرون ان تروا مكان هذا القرين في النار وفي الكلام حذف اي فيقولون له نعم اطلع انت فأنت اعرف بصاحبك قال الكلبي وذلك لأن الله تعالى جعل لأهل الجنة كوّة ينظرون منها إلى اهل النار (فاطلع فرآه) أي فاطلع هذا المؤمن فرأى قرينه (في سواء الجحيم) اي في وسط النار (قال) اي فقال له المؤمن (تالله إن كدت لتردين) هذه إن المخففة من الثقيلة بدلالة مصاحبة لام الابتداء لها في قوله لتردين اقسم بالله سبحانه على وجه التعجب إنك كدت تهلكني بما قلته لي ودعوتني اليه حتى يكون مهلكي كهلاك المتردي من شاهق ومنه قوله وما يغني عنه ماله إذا تردّى أي تردّى في النار (ولولا نعمة ربي) عليّ بالعصمة واللطف والهداية حتى آمنت (لكنت من المحضرين) معك في النار ولا يستعمل احضر مطلقا إلا في الشر قال قتادة فوالله لولا ان الله عرفه إياه لما كان يعرفه لقد تغيّر جِبِرُّه وسِبِرُّه اي حُسْنه وسَحْناؤه[1] (أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين) معناه ان هذا المؤمن يقول لهذا القرين على وجه التوبيخ والتقريع اليس كنت في الدنيا تقول انا لا نموت إلا الموتة التي تكون

* اذا أكثر الناس به الخلول اى لم يكثر خلول الناس عليه فيكدره ذلك ، يصف معشوقته عنيزة و شبه لونها ببيض نعام تشوب بياضها صفرة . وفي قوله «البياض» تجوز الحركات الثلاث وذكروا للبيت معان اخر ذكرها الزوزني في شرح المعلقات فراجع . (١) السحناء : الهيئة و اللون .

في الدنيا ولا نعذب فقد ظهر الأمر بخلاف ذلك وقيل ان هذا من قول أهل الجنة بعضهم لبعض على وجه اظهار السرور بدوام نعيم الجنة ولهذا عقبه بقوله (إن هذا لهو الفوز العظيم) معناه فما نحن بميتين في هذه الجنة إلا موتتنا التي كانت في الدنيا وما نحن بمعذبين كما وعدنا الله تعالى ويريدون به التحقيق لا الشك وإنما قالوا هذا القول لأن لهم في ذلك سروراً مجدداً وفرحا مضاعفا وإن كانوا قد عرفوا انهم سيخلدون في الجنة وهذا كما ان الرجل يعطي المال الكثير فيقول مستعجبا كل هذا المال لي وهو يعلم ان ذلك له وهذا كقوله

أَبَطْحَاءُ مَكَّةَ هٰذَا الَّذِي ... أَرَاهُ عَيَانًا وَهٰذَا أَنَا

قوله تعالى (٦١) لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦٢) أَذٰلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٣) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٤) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٥) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٦) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٨) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٩) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٧٠) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (عشر آيات)

اللغة

النزل الريع والفضل يقال لهذا الطعام نُزُل ونُزُل وقيل هي الانزال التي يتقوت بها فتقيم الأبدان وتبقي عليها الأرواح ويقال اقمت للقوم نزلهم اي ما يصلح أن ينزلوا عليه من الغذاء. وزعم قطرب ان الزقوم شجرة مرة تكون بتهامة قال ابو مسلم وظاهر التلاوة يدل على ان العرب كانت لا تعرفها فلذلك فسّر بعد ذلك. والطلع حمل النخلة سمّي بذلك لطلوعه والشوب خلط الشيء بما ليس منه وهو شرٌّ منه . والحميم الحار الذي يدني من الاحراق المهلك قال

أَحَمَّ اللهُ ذٰلِكَ مِنْ لِقَاءٍ ... أُحَادَ أُحَادَ فِي الشَّهْرِ الْحَلَالِ

اي ادناه وحمم ريش الفرخ حين يدنو من الطيران والحميم الصديق القريب اي الداني من القلب وهرع الرجل واهرع إذا استحثّ فأسرع قال الازهري الاهراع الاسراع والمهرع الحريص

المعنى

ثم قال سبحانه في تمام الحكاية عن قول اهل الجنة (لمثل هذا فليعمل العاملون) اي لمثل هذا الثواب والفوز والفلاح فليعمل العاملون في دار التكليف وقيل انّ هذا من قول الله تعالى اي لمثل هذا النعيم الذي ذكرناه وهو من قوله لهم رزق معلوم إلى قوله بيض مكنون فليعمل العاملون هذا ترغيب في طلب الثواب بالطاعة اي من كان يريد أن يعمل لنفع يرجوه فليعمل لمثل هذا النفع العظيم (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم) اي أذاك الذي ذكرناه من قرى اهل الجنة وما اعدّ لهم خير في باب الانزال التي يتقوت بها ويمكن معها الاقامة أم نزل اهل النار فيها عن الزجاج وقيل معناه أسبب هذا المؤدّى اليه خير ام سبب ذلك لأن الزقوم لا خير فيه وقيل إنما جاز ذلك لأنهم لما عملوا بما أدّى اليه فكأنهم قالوا فيه خير وقيل إنما قال خير على وجه المقابلة فهو مثل قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وهذا كما يقول الرجل لعبده إن فعلت كذا اكرمتك و إن فعلت كذا ضربتك أهذا خير أم ذاك وإن لم يكن في الضرب خيراً والزقوم ثمر شجرة متكره جداً من قراهم ترقم هذا الطعام إذا تناوله على تكرّه ومشقة شديدة وقيل الزقوم شجرة في النار يقتاتها اهل النار لها ثمرة مرة خشنة اللمس منتنة الرائحة وقيل انها معروفة من شجر الدنيا تعرفها العرب وقيل انها لا تعرفه فقد روي ان قريشاً سمعت هذه الآية

قالت ما نعرف هذه الشجرة فقال ابن الزبعرى الزقوم بكلام البربر التمر والزبد وفي رواية بلغة اليمن فقال ابو جهل لجاريته يا جارية زقمينا فأتته الجارية بتمر وزبد فقال لأصحابه تزقموا بهذا الذي يخوفكم به محمد فيزعم ان النار تنبت الشجرة والنار تحرق الشجرة فأنزل الله سبحانه (إنا جعلناهـا فتنة للظالمين) اي خبرة لهم افتتنوا بها و كذبوا بكونها فصارت فتنة لهم عن قتادة والزجاج وقيل ان المراد بالفتنة العذاب اي جعلناها شدة عذاب لهم من قوله يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون عن الجبائي والبي مسلم (انها شجرة تخرج من أصل الجحيم) اي ان الزقوم شجرة تنبت في قعر جهنم واغصانها ترفع إلى دركاتها عـن الحسن ولا يبعد ان يخلق الله سبحانه بكمال قدرته شجرة في النار من جنس النار او من جوهر لا تأكله النار ولا تحرقه كما انها لا تحرق السلاسل والاغلال فيها وكما لا تحرق حيّاتها وعقاربها وكذلك الضريع . وما اشبه ذلك (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) يسأل عن هذا فيقال كيف شبه طلع هذه الشجرة برؤوس الشياطين وهي لا تعرف وإنما يشبه الشيء بما يعرف وأجيب عنه بثلاثة اجوبة ﴿ احدها ﴾ ان رؤوس الشياطين ثمرة يقال لها الأستن وإياه عنى النابغة بقوله

تَحِيدُ عَنْ أَسْتَنٍ سُودٍ أَسَافِلُهُ ... مِثْلَ الْإِمَاءِ اللَّوَاتِي تَحْمِلُ الْحُزَمَا (١)

وهذه الشجرة تشبه بني آدم قال الأصمعي ويقال له الصوم وانشد

مُوَكَّلٌ بِشُدُوفِ الصَّوْمِ يَرْقُبُهُ ... مِنَ الْمَعَارِمِ مَهْضُومُ الْحَشَازِرِمُ (٢)

يصف وعلا يظنّ هذا الشجر قناصين فهو (٣) . والشُدوف الشُخوص واحدها شَدْف ﴿وثانياً﴾ ان الشيطان جنس من الحيات فشبّه سبحانه طلع تلك الشجرة برؤوس تلك الحيات انشد الفراء

عَنْجَرِدٌ تَحْلِفُ حِينَ أَحْلِفُ ... كَمِثْلِ شَيْطَانِ الْحَمَاطِ أَعْرَفُ (٤)

اي له عرف وأنشد المبرد

وَفِي الْبَقْلِ إِنْ لَمْ يَدْفَعِ اللهُ شَرَّهُ ... شَيَاطِينُ يَعْدُو بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضِ (٥)

﴿ وثالثها ﴾ ان قبح صور الشياطين متصوّر في النفوس ولذلك يقولون لما يستقبحونه جدّاً كأنه شيطان فشبّه سبحانه طلع هذه الشجرة بما استقرّت بشاعته في قلوب الناس قال الراجز

أَبْصَرْتُهَا تَلْتَهِمُ الثُّعْبَانَا ... شَيْطَانَةً تَزَوَّجَتْ شَيْطَانَا (٦)

وقال ابو النجم

اَلرَّأْسُ قُمْلٌ كُلُّهُ وَصِئْبَانْ ... وَلَيْسَ فِي الرِّجْلَيْنِ إِلَّا خَيْطَانْ (٧)
وَهِيَ الَّتِي يَفْزَعُ مِنْهَا الشَّيْطَانْ

وقال امرؤ القيس :

أَتَقْتُلُنِي وَالْمَشْرَفِيَّ مُضَاجِعِي ... وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ (٨)

فشبّه اسنّته بأنياب الأغوال ولم يقل احد انه رأى الغول وهذا قول ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وقال الجبائي إن الله تعالى يشوّه خلق الشياطين في النار حتى انـه لو رآهم راء من العباد لاستوحش منهم فلذلك شبّه برؤوسهم (فإنهم لآكلون منها) يعني أن أهل النار ليأكلون من ثمرة تلك الشجرة (فمالئون منها البطون) اي يملأون بطونهم منها لشدة مايلحقهم من ألم الجوع وقد روي ان الله تعالى يجوعهم حتى ينسوا عذاب النار من شدة الجوع فيصرخون إلى مالك فيحملهم إلى تلك الشجرة وفيهم ابو جهل فيأكلون منها فتغلي بطونهم كغلي الحميم فيستسقون فيسقون شربة من الماء الحار الذي بلغ نهايته في الحرارة فـإذا قربوها من وجوههم شوت وجوههم فذلك قوله يشوي الوجوه فإذا وصل إلى بطونهم صهر ما في بطونهم كما قال سبحانه يصهر ما في بطونهم والجلود فذلك شرابهم وطعامهم فذلك قوله (ثم ان لهم عليها) زيادة على شجرة الزقوم (لشوبا من حميم) اي خليطا

(١) حادعنه : مال وعدل . و الحزمة : ماحزم من الحطب شبه شجرة الاستن بامة سوداء تحمل الحطب على رأسها قيل : وضمير تحيد يرجع الى امرأة مذكورة فى الاشعار السابقة . (٢) العرم و العرمة: النقطة السود فى اذن الشاة الضائنة و المعزى يقال قطيم اعرم اذا كان بين العرم وفى بعض النسخ «من المعازب» وفسره بعض

ومزاجا من ماء حار يمزج ذلك الطعام بهذا الشراب وقيل إنهم يكرهون على ذلك عقوبة لهم (ثم ان مرجعهم) بعد أكل الزقوم وشراب الحميم (لإلى الجحيم) وذلك انهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج عن الجحيم كما تورد الابل الى الماء ثم يردّون إلى الجحيم ويدل على ذلك قوله يطوفون بينها وبين حميم آن والجحيم النار الموقدة والمعنى أن الزقوم والحميم طعامهم وشرابهم والجحيم المسعرة منقلبهم ومأواهم (إنهم ألفوا آباءهم ضالين) أي ان هؤلاء الكفار صادفوا آباءهم ذاهبين عن الحق والدين (فهم على آثارهم يهرعون) في الضلال أي يقلّدونهم ويتبعونهم اتباعا في سرعة وقيل معناه يسرعون عن ابن عباس والحسن وقيل يعملون بمثل أعمالهم عن الكلبي وقيل يستحثّون عن ابي عبيدة

قوله تعالى (٧١) وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (٧٣) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٤) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٥) وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٦) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٧) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٩) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨٢) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ

(اثنتا عشرة آية)

المعنى

ثم اقسم سبحانه فقال (ولقد) اللام هي التي تدخل في جواب القسم وقد للتأكيد (ضلّ قبلهم) اي قبل هؤلاء الكفار الذين هم في عصر النبي ﷺ عن طريق الهدى واتباع الحق (اكثر الأولين) من الامم الخالية والاكثر هو الأعظم في العدد والأول هو الكائن قبل غيره والأول قبل كل شيء هو الله سبحانه لأن كل ما سواه موجود بعده وفي هذه الآية دلالة على ان اهل الحق في كل زمان كانوا اقل من اهل الباطل (ولقد ارسلنا فيهم منذرين) من الأنبياء والمرسلين يخوّفونهم من عذاب الله تعالى ويحذّرونهم معاصيه (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) اي من المكذّبين المعاندين للحق والمعنى فانظر يا محمد كيف اهلكتهم وماذا حلّ بهم من العذاب وكذلك يكون عاقبة المكذبين ثم استثنى من المنذرين فقال (إلا عباد الله المخلصين) الذين قبلوا من الأنبياء وأخلصوا عبادتهم لله تعالى فإن الله خلّصهم من ذلك العذاب ووعدهم بجزيل الثواب (ولقد نادانا نوح) اي دعانا نوح بعد ما يئس من إيمان قومه لتنصره عليهم وذلك قوله إني مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) نحن لنوح في دعائه اجبناه الى ما سأل وخلّصناه من أذى قومه بإهلاكهم وقيل هو على العموم اي فلنعم المجيبون نحن لمن دعانا (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) اي من المكروه الذي كان ينزل به من قومه والكرب كل غم يصل حرّه الى الصدر وأصل النجاة من النجوة للمكان المرتفع فهي الرفع من الهلاك واهله هم الذين نجوا معه في السفينة (وجعلنا ذريته هم الباقين) بعد الغرق فالناس كلهم بعد نوح من ولد نوح عن ابن عباس وقتادة فالعرب والعجم من اولاد سام بن نوح والترك والصقالبة والخزر ويأجوج ومأجوج من اولاد يافث بن نوح والسودان من أولاد حام بن نوح قال الكلبي لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساؤهم (وتركنا عليه في الآخرين) اي تركنا عليه ذكراً جميلا وأثنينا عليه في امة محمد ﷺ فحذف عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ومعنى تركنا ابقينا قال الزجاج معناه تركنا عليه الذكر الجميل إلى يوم القيامة وذلك الذكر قوله (سلام على نوح في العالمين) اي تركنا عليه ان يصلى عليه إلى يوم القيامة فكأنه قال وتركنا عليه التسليم في الآخرين

فقال : من المعازب : من حيث يعزب عنه الشيء اي يتباعد ، ومهضوم الحشا : ضامره ، وزرم ـ ككتف ـ لا يثبت في مكان (٣) القناص : الصياد . (٤) امرأة عنجرد . خبيثة سيئة الخلق . والحماط : شجر عظام تنبت في بلاد العرب تسكنها الحيات . شبه الشاعر المرأة بحية له عرف . (٥) البقل : قوم من العرب . (٦) التهمة : ابتلعه بمرة (٧) الصئبان : بيضة القمل (٨) الشرد : جامع الشواهد .

ثم فسّر التسليم بقوله سلام على نوح في العالمين وقال الفراء ترکنا عليه قولا وهو أن يقال في آخر الأمم سلام على نوح في العالمين قال الكلبي معناه سلامة منّا على نوح وهذا هو السلام المراد بقوله اهبط بسلام منا وبركات عليك (إنا كذلك نجزي المحسنين) اي جزيناه ذلك الثناء الحسن في العالمين بإحسانه عن مقاتل وقيل إن معناه مثل ما فعلنا بنوح نجزي كل من احسن بافعال الطاعات وتجنب المعاصي ونكافيهم بإحسانهم (إنه من عبادنا المؤمنين) يعني نوحا وهذه الآية تتضمن مدح المؤمنين حيث خرج من بينهم مثل نوح (ثم اغرقنا الآخرين) اي من لم يؤمن به والمعنى ثم اخبركم اني اغرقت الآخرين

﴿ النظم ﴾

الوجه في اتصال قصة نوح والأنبياء بما قبلها تسلية النبي ﷺ في كفر قومه بأن حالهم معه شبيهة بحال من تقدّم من الامم مع انبيائهم وتحذير القوم عن سلوك مثل طريقتهم لئلا يعاقبوا بمثل عقوبتهم

قوله تعالى (٨٣) وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٤) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٥) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٦) أَإِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٧) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٨) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٩) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٩٠) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩١) فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩٢) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (٩٣) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٤) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٥) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٦) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٧) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٨) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٩) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (١٠٠) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ

(ثماني عشرة آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة وحده يُزفون بضم الياء والباقون بفتحها وفي الشواذ قراءة الحسن فراغ عليهم سفقا وقراءة عبد الله بن زيد يزفون خفيفة الفاء

﴿ الحجة ﴾

زفت الإبل تزف إذا اسرعت وقراءة حمزة يُزفون اي يحملون غيرهم على الزفيف قال الأصمعي ازففت الابل حملتها على ان تزف وهو سرعة المشي ومقاربة الخطو والمفعول محذوف على قراءته وقيل ايضا ان ازف لغة في زفّ وأما يزفون بالتخفيف فذهب قطرب إلى انها تخفيف يزفّون كقوله وقرن في بيوتكن اي اقررن قال الهذلي

وَزَفَّتِ الشَّوْلُ مِنْ بَرْدِ الْعَشِيِّ كَمَا ... زَفَّ النَّعَامُ إِلَى حَفَّانِهِ الرُّوحُ (١)

والظاهر ان يزفون من وَزَفَ يَزِفُ (٢) مثل وعد يعد واما قوله سفقا فهو من قولهم سفقت الباب وصفقته والصاد اعرف وروي عن الحسن بالصاد ايضا

﴿ اللغة ﴾

الشيعة الجماعة التابعة لرئيس لهم وصار بالعرف عبارة عن شيعة علي بن ابي طالب «ع» الذين كانوا معه على أعدائه وبعده مع من قام مقامه من ابنائه وروى ابو بصير عن ابي جعفر «ع» قال ليهنكم الاسم قلت وما هو قال الشيعة قلت ان الناس يعيروننا بذلك قال أما تسمع قول الله سبحانه و إن من شيعته لابراهيم وقوله فاستغاثه الذي من

(١) الشول جمع الشائلة من الابل وهي التي أتى عليها من حملها او وضعها سبعة اشهر ، و الحفان : فراخ النعام والروح جمع الاروح : الواسع بين الفخذين او الرجلين . قال ابن منظور : وكل نعامة روحاء . (٢) و هو ايضاً بمعنى اسرع .

شيعته على الذي من عدوّه والروغ الميل من جهة إلى جهة يقال راغ يروغ روغا وروغانا أي حاد والرواغ الحياد قال عدي بن زيد

حِينَ لَا يَنْفَعُ الرَّوَاغُ وَلَا يَنْـ ـفَعُ إِلَّا الْمُصَادِقُ النِّحْرِيرُ

الإعراب

آلهة بدل من قوله افكا وافكا مفعول تريدون . فما ظنكم ما مبتدأ وظنكم خبره وقوله ضربا مصدر فعل محذوف والتقدير يضربهم ضربا والباء في قوله باليمين متعلق بذلك المحذوف ويزفون حال من اقبلوا والله خلقكم في موضع نصب على الحال من تعبدون والتقدير أتعبدون ما تنحتون مخلوقين . هب لي مفعوله محذوف اي ولداً

المعنى

ثم أتبعه سبحانه وتعالى بقصة ابراهيم «ع» فقال (وإن من شيعته لإبراهيم) أي وان من شيعة نوح ابراهيم يعني انه على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق عن مجاهد وقيل ان معناه وان من شيعة محمد ابراهيم كما قال إنا حملنا ذريتهم أي ذرية من هو اب لهم فجعلهم ذرية لهم وقد سبقوهم عن الفراء (إذ جاء ربه بقلب سليم) اي حين صدق الله وآمن به بقلب سليم خالص من الشرك بريء من المعاصي والغل والغش على ذلك عاش وعليه مات وقيل بقلب سليم من كل ما سوى الله تعالى لم يتعلق بشيء غيره عن ابي عبد الله «ع» (إذ قال لأبيه وقومه) حين رآهم يعبدون الأصنام من دون الله على وجه التهجين لفعالهم والتقريع لهم (ماذا تعبدون) أي أيّ شيء تعبدون (أئفكا آلهة) الإفك هو اشنع الكذب وافظعه واصله قلب الشيء عن جهته التي هي له فلذلك كان الكذب افكا وإنما قال آلهة على اعتقاد المشركين وتوهمهم الفاسد في إلهية الاصنام لما اعتقدوا انها تستحق العبادة ثم اكّد التقريع بقوله (دون الله تريدون) اي تريدون عبادة آلهة دون عبادة الرحمن فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه لأن الإرادة لا يصحّ تعلقها إلا بما يصحّ حدوثه والاجسام مما لا يصح ان تراد (فما ظنكم برب العالمين) ان يصنع بكم مع عبادتكم غيره وقيل معناه كيف تظنون برب تأكون رزقه وتعبدون غيره وقيل معناه ما تظنون بربكم انه على اي صفة ومن اي جنس من اجناس الاشياء حين شبّهتم به هذه الاصنام وفيه إشارة الى انه لا يشبه شيئاً (فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم) اختلف في معناه على اقوال احدها انه «ع» نظر في النجوم فاستدلّ بها على وقت حمى كانت تعتاده فقال اني سقيم أراد انه قد حضر وقت علته وزمان نوبتها فكأنه قال اني سأسقم لا محالة وحان الوقت الذي تعتريني فيه الحمى وقد يسمى المشارف للشيء باسم الداخل فيه قال الله تعالى إنك ميت وإنهم ميّتون ولم يكن نظره في النجوم على حسب ما ينظره المنجمون طلبا للاحكام ومثله قول الشاعر

إِسْهَرِي مَا سَهَرْتِ أُمُّ حَكِيمٍ ... وَاقْعُدِي مَرَّةً لِذَاكَ وَقُومِي

وَافْتَحِي الْبَابَ وَانْظُرِي فِي النُّجُومِ ... كَمْ عَلَيْنَا مِنْ قِطْعِ لَيْلٍ بَهِيمِ

وثانيها انه نظر في النجوم كنظرهم لأنهم كانوا يتعاطون علم النجوم فأوهمهم انه يقول بمثل قولهم فقال عند ذلك اني سقيم فتركوه ظنّاً منهم ان نجمه يدلّ على سقمه ويجوز ان يكون الله تعالى اعلمه بالوحي انه سيسقمه في وقت مستقبل وجعل العلامة على ذلك إما طلوع نجم على وجه مخصوص او اتصاله بآخر على وجه مخصوص فلما رأى ابراهيم تلك الإمارة قال اني سقيم تصديقاً بما اخبره الله تعالى وثالثها ان معناه نظر في النجوم نظر تفكّر فاستدلّ بها كما قصّه الله تعالى في سورة الانعام على كونها محدثة غير قديمة ولا آلهة وأشار بقوله اني سقيم على انه في حال مهلة النظر وليس على يقين من الامر ولا شفاء من العلم وقد يسمى الشك

بأنه سقم كما يسمى العلم بأنه شفاء وإنما زال عنه هذا السقم عند زوال الشك وكمال المعرفة عن ابي مسلم وهذا الوجه ضعيف لأن سياق الآية يمنع منه فإن قوله إذ جاء ربه بقلب سليم إذ قال لأبيه وقومه ما ذا تعبدون الى هذا الموضع من قصته يبيّن أنه «ع» لم يكن في زمان مهلة النظر وانه كان كامل المعرفة خالص اليقين والبصيرة ﴿ورابعها﴾ ان معنى قوله اني سقيم اني سقيم القلب او الرأي حزنا من اصرار القوم على عبادة الاصنام وهي لا تسمع ولا تبصر ويكون على هذا معنى نظره في النجوم فكرته في انها محدثة مخلوقة مدبرة وتعجبه كيف ذهب على العقلاء ذلك من حالها حتى عبدوها وما رواه العياشي باسناده عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) انهما قالا والله ما كان سقيما وما كذب فيمكن ان يحمل على احد الوجوه التي ذكرناها ويمكن ان يكون على وجه التعريض بمعنى ان كل من كتب عليه الموت فهو سقيم وان لم يكن به سقم في الحال وما روي ان ابراهيم (ع) كذب ثلاث كذبات قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله في سارة انها اختي فيمكن ان يحمل ايضا على المعاريض اي سأسقم وفعله كبيرهم على ما ذكرناه في موضعه وسارة اخته في الدين وقد ورد في الخبر إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب والمعاريض ان يقول الرجل شيئا يقصد به غيره ويفهم منه غير ما يقصده ولا يكون ذلك كذبا فإن الكذب قبيح بعينه ولا يجوز ذلك على الانبياء لأنه يرفع الثقة بقولهم جلّ امناء الله تعالى واصفياؤه عن ذلك وقوله (فتولوا عنه مدبرين) اخبار عن قومه انهم لما سمعوا قوله اني سقيم تركوه واعرضوا عنه وخرجوا إلى عيدهم (فراغ إلى آلهتهم) معناه فمال إلى اصنامهم التي كانوا يدعونها آلهة (فقال ألا تأكلون) خاطبها وإن كانت جماداً على وجه التهجين لعابديها وتنبيههم على ان من لا يتكلم ولا يقدر على الجواب كيف تصح عبادتها وكانوا صنعوا للاصنام طعاماً تقرّبا اليها وتبرّكاً بها فلما لم تجيبوه قال (ما لكم لا تنطقون) زيادة في تهجين عابديها كأنهم حاضرون لها اي ما لكم لا تجيبون وفي هذا تنبيه على انها جماد لا تأكل ولا تنطق فهي اخس الاشياء وأقلها (فراغ عليهم ضربا باليمين) اي فمال على الاصنام يضربها ويكسرها باليد اليمنى لأنها أقوى على العمل عن الربيع بن انس وقيل المراد باليمين القوة كما في قوله «تَلْقَاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ»(١) عن الفراء وهو قول السدي وقيل معناه بالقسم الذي سبق منه وهو قوله وتالله لأكيدن اصنامكم (فأقبلوا اليه يزفون) اي اقبلوا بعد الفراغ من عيدهم إلى ابراهيم يسرعون عن الحسن وابن زيد وقيل يزفون زفيف النعام وهو حالة بين المشي والعدو عن مجاهد وفي هذا دليل أنهم اخبروا بصنيع ابراهيم باصنامهم فقصدوه مسرعين وحملوه إلى بيت اصنامهم وقالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا فأجابهم على وجه الحجاج عليهم بأن (قال اتعبدون ما تنحتون) فهو استفهام معناه الانكار والتوبيخ اي كيف يصح ان يعبد الإنسان ما يعمله بيده فإنهم كانوا ينحتون الاصنام بأيديهم (والله خلقكم وما تعملون) اي وخلق ما عملتم من الاصنام فكيف تدعون عبادته وتعبدون معمولكم وهذا كما يقال فلان يعمل الحصير وهذا الباب من عمل فلان النجار قال الحسن معناه وخلق أصل الحجارة التي تعملون منها الأصنام وهذا يجري مجرى قوله تلقف ما يأفكون وقوله تلقف ما صنعوا في انه أراد المنحوت من الجسم هنا دون العرض الذي هو النحت كما أراد هناك المأفوك فيه والمصنوع فيه من الحبال والعصي دون العرض الذي هو فعلهم فليس لاهل الجبر تعلق بهذه الآية في الدلالة على ان الله سبحانه خالق لأفعال العباد لأن من المعلوم ان الكفار لم يعبدوا نحتهم الذي هو فعلهم وإنما كانوا يعبدون الاصنام التي هي الاجسام وقوله ما تنحتون هو ما يعملون في المعنى على ان مبنى الآية على التقريع للكفار والإزراء عليهم بقبيح فعلهم ولو كان معناه والله خلقكم وخلق عبادتكم لكانت الآية الى ان تكون عذراً لهم اقرب من ان تكون لوماً وتهجيناً ولكان لهم ان يقولوا ولم توبّخنا على عبادتها والله تعالى هو الفاعل لذلك فتكون الحجة لهم لا عليهم ولأنه قد أضاف العمل اليهم بقوله تعملون فكيف يكون مضافا إلى الله تعالى وهذا تناقض ولما لزمتهم

(١) هذا عجز بيت لشماخ . ونسبه بعض الى حطيئه وصدره «اذا مادابة رفعت تمجد» وقدمر ايضا .

الحجة (قالوا ابنوا له بنيانا) قال ابن عباس بنوا حائطا من حجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملاءوه ناراً وطرحوه فيها وذلك قوله (فألقوه في الجحيم) قال الزجاج كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم وقيل ان الجحيم النار العظيمة (فأرادوا به كيدا) اي حيلة وتدبيرا في اهلاكه واحراقه بالنار (فجعلناهم الاسفلين) بأن أهلكناهم ونجينا ابراهيم وسلمناه ورددنا كيدهم عنه وقيل بأن اشرفوا عليه فرأوه سالما وتحققوا أن كيدهم لا ينفذ فيه وعلموا انهم مغلوبون (وقال) ابراهيم (إني ذاهب إلى ربي) قال ابن عباس معناه مهاجر إلى ربي أي أهجر ديار الكفار وأذهب إلى حيث أمرني الله تعالى بالذهاب اليه وهي الارض المقدسة وقيل إني ذاهب إلى مرضاة ربي بعملي ونيتي عن قتادة (سيهدين) أي يهديني ربي فيما بعد إلى طريق المكان الذي امرني بالمصير اليه أو إلى الجنة بطاعتي إياه قال مقاتل وهو أول من هاجر ومعه لوط وسارة إلى الشام وإنما قال سيهديني ترغيباً لمن هاجر معه في الهجرة وتوبيخا لقومه فلما قدم الارض المقدسة سأل ابراهيم ربه الولد فقال (رب هب لي من الصالحين) أي ولدا صالحا من الصالحين كما تقول أكلت من الطعام فحذف لدلالة الكلام عليه

قوله تعالى (١٠١) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠٢) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٣) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٤) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٥) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٦) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٧) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٩) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١١٠) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١٢) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٣) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ثلاث عشرة آية

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم ماذا ترِي بضم التاء و كسر الراء والباقون بفتح التاء والراء وفي الشواذ قراءة الأعمش والضحاك بضم التاء وفتح الراء وروي عن علي «ع» وابن مسعود وابن عباس ومجاهد والضحاك والأعمش وجعفر بن محمد فلما سلّما بغير الف ولام مشددة

الحجة

قال ابو علي من فتح التاء فقال ماذا ترى كان مفعول ترى احد الشيئين إما أن يكون ماذا في موضع نصب بأنه مفعوله ويكون بمنزلة اسم واحد وإما أن يكون ذا بمنزلة الذي فيكون مفعول ترى الهاء المحذوفة من الصلة ويكون ترى على هذا معناها الرأي وليس ادراك الحاسة كما تقول فلان يرى رأي ابي حنيفة وإذا جعلت ذا بمعنى الذي صار تقديره ما الذي تراه فيصير ما في موضع ابتداء والذي في موضع خبره ويكون المعنى ما الذي تذهب اليه فيما القيت اليك هل تستسلم له وتتلقاه بالقبول اوتأتي غير ذلك ومن قرأ ماذا تُرِي فيجوز أن يكون ما مع ذا بمنزلة اسم واحد فيكونا في موضع نصب والمعنى اجلدا ترى على ما تحمل عليه ام خوار أو يجوز أن يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي ويعود اليه الذكر المحذوف من الصلة والفعل منقول من رأى زيد الأمر واريته الشيء إلا انه من باب اعطيت فيجوز الاقتصار على احد المفعولين دون الآخر كما ان اعطيت كذلك ولو ذكرت المفعول الآخر كان أريت زيدا خالدا وقال ابن جني من قرأ ماذا تُرى فالمعنى ماذا يلقى اليك ويوقع في خاطرك

ومن قرأ ماذا ترى فالمعنى ماذا تشير به وتدعو إلى العمل بحسبه وهو من قولك ما رأيك في كذا ومنه قوله لتحكم بين الناس بما أراك الله اي بما يحضرك اياه الرأي والخاطر وأما قوله اسلما فمعناه فوضا وأطاعا وأما سلما فمن التسليم اي سلما انفسهما وأراهما كالتسليم باليد لما امرا به ولم يخالفا ما اريد منهما من اجماع ابراهيم الذبح واسحاق أو اسماعيل الصبر

﴿ اللغة ﴾

التل الصرع ومنه التل من التراب جمعه تلول والتليل العنق لأنه يتل والجبين ماعن يمين الجبهة وشمالها وللوجه جبينان الجبهة بينهما والذبح بكسر الذال المهيأ لأن يذبح وبفتح الذال المصدر

﴿ الإعراب ﴾

اختلف في جواب لما من قوله فلما اسلما فقيل هو محذوف وتقديره فلما أسلما وتله للجبين وناديناه فازا وظفرا بما أرادا وقيل جوابه ناديناه والواو زائدة . نبياً منصوب بأنه حال من بشرناه وذو الحال اسحاق

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه انه استجاب لإبراهيم دعاءه بقوله (فبشرناه بغلام حليم) اي بابن وقور عن الحسن قال وما سمعت الله تعالى نحل عباده شيئاً اجل من الحلم والحليم الذي لا يعجل في الأمر قبل وقته مع القدرة عليه وقيل الذي لا يعجل بالعقوبة قال الزجاج وهذه البشارة تدل على أن الغلام يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم ثم اخبر سبحانه أن الغلام الذي بشره به ولد له وترعرع بقوله (فلما بلغ معه السعي) اي شب حتى بلغ سعيه سعى ابراهيم عن مجاهد والمعنى بلغ إلى ان يتصرف ويمشي معه ويعينه على اموره قالوا وكان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وقيل يعني بالسعي العمل لله والعبادة عن الحسن والكلبي وابن زيد ومقاتل (قال يابني إني أرى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى) معنى رأى في الكلام على خمسة اوجه ﴿ احدها ﴾ ابصر ﴿ والثاني ﴾ علم نحو رأيت زيدا عالما ﴿ والثالث ﴾ ظن كقوله تعالى إنهم يرونه بعيدا ونراه قريباً ﴿ والرابع ﴾ اعتقد نحو قوله

وانا لقوم ما نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول

﴿ والخامس ﴾ بمعنى الرأي نحو رأيت هذا الرأي وأما رأيت في المنام فمن رؤية البصر فمعنى الآية ان ابراهيم قال لابنه إني ابصرت في المنام رؤيا تأويلها الأمر بذبحك فانظر ماذا تراه أو أي شيء ترى من الرأي ولا يجوز أن يكون ترى هاهنا بمعنى تبصر لأنه لم يشر إلى شيء يبصر بالعين ولا يجوز ان يكون بمعنى علم أو ظن او اعتقد لأن هذه الأشياء تتعدى إلى مفعولين وليس هنا إلا مفعول واحد مع استحالة المعنى فلم يبق إلا ان يكون من الرأي والأولى أن يكون الله تعالى قد أوحى اليه في حال اليقظة وتعبده بأن يمضي ما يأمره به في حال نومه من حيث ان منامات الأنبياء لا تكون إلا صحيحة ولو لم يأمره بذلك في حال اليقظة لما كان يجوز أن يعمل على ما يراه في المنام وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس منامات الأنبياء وحي وقال قتادة رؤيا الأنبياء حق إذا رأوا شيئا فعلوه وقال ابو مسلم رؤيا الأنبياء مع ان جميعها صحيحة ضربان ﴿ احدهما ﴾ أن يأتي الشيء كما رأوه ومنه قوله سبحانه لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الآية ﴿ والآخر ﴾ أن يكون عبارة عن خلاف الظاهر مما رأوه في المنام وذلك كرؤيا يوسف الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين وكأن رؤيا ابراهيم من هذا القبيل لكنه لم يأمن أن يكون ما رآه مما يلزمه العمل به على الحقيقة ولا يسعه غير ذلك فلما اسلما اعلمه الله سبحانه انه صدق الرؤيا بما فعله وفدى ابنه من الذبح بالذبح (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أي ما أمرت به (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) أي ستصادفني بمشيئة الله وحسن توفيقه ممن يصبر على الشدائد في جنب الله ويسلم لأمره (فلما اسلما) اي استسلما لأمر الله ورضيا به واطاعاه وقيل معناه سلم

الأب ابنه لله وسلم الابن نفسه لله (وتله للجبين) أي اضطجعه على جبينه عن الحسن وقيل معناه وضع جبينه على الارض لئلا يرى وجهه فتلحقه رقة الآباء عن ابن عباس وروي انه قال اذبحني وانا ساجد لا تنظر إلى وجهي فعسى ان ترحمني فلا تذبحني (وناديناه ان يا ابراهيم) تقديره ناديناه بأن يا ابراهيم اي بهذا الضرب من القول (قد صدقت الرؤيا) اي فعلت ما امرت به في الرؤيا (انا كذلك نجزي المحسنين) اي كما جزيناه بالعفو عن ذبح ابنه نجزي من سلك طريقهما في الإحسان بالاستسلام والانقياد لامر الله (إن هذا لهو البلاء المبين) اي ان هذا لهو الامتحان الظاهر والاختبار الشديد وقيل ان هذا لهو النعمة الظاهرة وتسمى النعمة بلاء بسببها المؤدي اليها كما يقال لاسباب الموت هي الموت لانها تؤدي اليه واختلف العلماء في الذبيح على قولين ﴿احدهما﴾ انه اسحاق وروي ذلك عن علي (ع) وابن مسعود وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة وعطا والزهري والسدي والجبائي والقول الآخر انه اسماعيل عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهد والربيع بن انس والكلبي ومحمد بن كعب القرظي وكلا القولين قد رواه أصحابنا عن أئمتنا (ع) الا ان الأظهر في الروايات انه اسماعيل ويعضده قوله بعد قصة الذبح وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ومن قال انه بشر بنبوة اسحاق فقد ترك الظاهر ولأنه قال في موضع آخر فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فبشره باسحاق وبأنه سيولد له يعقوب فكيف يبشره بذرية اسحاق ثم يأمره بذبح اسحاق مع ذلك وقد صح عن النبي ﷺ انه قال انا ابن الذبيحين ولا خلاف انه من ولد اسماعيل والذبيح الآخر هو عبد الله ابوه وحجة من قال انه اسحاق ان اهل الكتابين اجمعوا على ذلك وجوابه ان اجماعهم ليس بحجة وقولهم غير مقبول وروى محمد بن اسحاق عن محمد بن كعب القرظي قال كنت عند عمر بن عبد العزيز فسألني عن الذبيح فقلت اسماعيل واستدللت بقوله وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين فأرسل الى رجل بالشام كان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وانا عنده فقال اسماعيل ثم قال والله يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون ابوكم الذي كان من امر الله فيه ما كان فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحاق لان اسحاق ابوهم وقال الاصمعي سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح اسحاق ام اسماعيل فقال يا اصمعي اين ذهب عنك عقلك ومتى كان اسحاق بمكة وإنما كان بمكة اسماعيل وهو بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة لا شك فيه وقد استدل بهذه الآية من اجاز نسخ الشيء قبل وقت فعله فقال ان الله تعالى نهاه عن ذبحه بعد ان امره به وقد اجيب عن ذلك باجوبة ﴿احدها﴾ انه سبحانه لم يأمر ابراهيم بالذبح الذي هو فري الاوداج وإنما امره بمقدمات الذبح من الاضجاع وتناول المدية وما يجري مجرى ذلك والعرب قد تسمي الشيء باسم مقدماته ولهذا قال قد صدقت الرؤيا ولو كان أمره بالذبح لكان إنما صدق بعض الرؤيا وأما الفداء بالذبح فلما كان يتوقعه من الأمر بالذبح ولا يمتنع ايضا ان يكون فدية عن مقدمات الذبح لأن الفدية لا يجب ان تكون من جنس المفدى ألا ترى ان حلق الرأس قد يفدى بدم ما يذبح وكذلك لبس الثوب المخيط والجماع وغير ذلك ﴿وثانيها﴾ انه «ع» إنما أمر بصورة الذبح وقد فعله لأنه فرى اوداج ابنه ولكنه كلما فرى جزءاً منه وجاوزه إلى غيره عاد في الحال ملتحما فإن قلت ان حقيقة الذبح هو قطع مكان مخصوص تزول معه الحياة فالجواب ان ذلك غير مسلم لأنه يقال ذبح هذا الحيوان ولم يمت بعد ولو سلمنا ان حقيقة الذبح ذلك لكان لنا ان نحمل الذبح على المجاز للدليل الدال عليه ﴿وثالثها﴾ ان الله تعالى أمره بالذبح إلا انه سبحانه جعل على عنقه صفحة من نحاس وكلما أمر ابراهيم السكين عليه لم يقطع او كان كلما اعتمد على السكين انقلب على اختلاف الرواية فيه وهذا التأويل يسوغ إذا قلنا انه كان مأمورا بما يجري مجرى الذبح ولا يسوغ إذا قلنا انه أمر بحقيقة الذبح لأنه يكون تكليفا لما لا يطاق ثم قال سبحانه (وفديناه بذبح عظيم) الفداء جعل الشيء ـ كان الشيء لدفع الضرر عنه والذبح هو المذبوح وما يذبح ومعناه انا جعلنا الذبح

بدلا عنه كالأسير يفدى بشيء واختلف في الذبح فقيل كان كبشا من الغنم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير قال ابن عباس هو الكبش الذي تقبل من هابيل حين قربه وقيل فدي بوعل اهبط عليه من ثَبِير(١) عن الحسن ولِمَ سمّي عظيماً فيه خلاف قيل لأنه كان مقبولا عن مجاهد وقيل لأن قدر غيره من الكباش بصغر بالإضافة اليه وقيل لأنه رعى في الجنة اربعين خريفا عن سعيد بن جبير وقيل لأنه كان من عند الله كونه ولم يكن عن نسل وقيل لأنه فداء عبد عظيم (وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين) قد مضى تفسير ذلك (وبشرناه باسحاق) اي بولادة اسحاق (نبيا من الصالحين) اي ولداً نبياً من جملة الأنبياء الصالحين وهذا ترغيب في الصلاح بأن مدح مثله في جلالته بالصلاح ومن قال ان الذبيح اسحاق قال يعني بشرناه بنبوة إسحاق وآتينا اسحاق النبوة بصبره (وباركنا عليه وعلى اسحاق) اي وجعلنا فيما اعطيناهما من الخير والبركة يعني النماء والزيادة ومعناه وجعلنا ما اعطيناهما من الخير دائما ثابتا ناميا ويجوز ان يكون أراد كثرة ولدهما وبقاءهم قرنا بعد قرن الى ان تقوم الساعة (ومن ذريتهما) اي ومن اولاد ابراهيم واسحاق (محسن) بالإيمان والطاعة (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصي (مبين) بيّن الظلم

القصة

من ذهب إلى ان الذبيح اسحاق ذكر ان ابراهيم لما فارق قومه مهاجراً إلى الشام هارباً بدينه كما حكي الله سبحانه عنه بقوله إني ذاهب إلى ربي سيهدين دعا الله سبحانه ان يهب له ولداً ذكراً من سارة فلما نزل به اضيافه من الملائكة المرسلين الى المؤتفكة وبشّروه بغلام حليم قال ابراهيم حين بشر به هو إذا له ذبيح فلما ولد الغلام وبلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك الذي نذرت فكان هذا هو السبب في أمره «ع» بذبح ابنه فقال ابراهيم «ع» عند ذلك لاسحاق انطلق نقرب قربانا لله وأخذ سكّينا وحبلا ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام يا ابه اين قربانك فقال يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك الى آخره عن السدي وقيل ان ابراهيم رأى في المنام ان يذبح ابنه اسحاق وقد كان حجّ بوالدته سارة وأهله فلما انتهى الى منى رمى الجمرة هو وأهله وأمر سارة فزارت البيت واحتبس الغلام فانطلق به إلى موضع الجمرة الوسطى فاستشاره في نفسه فأمره الغلام ان يمضي ما أمره الله وسلما لأمر الله فأقبل شيخ فقال يا ابراهيم ما تريد من هذا الغلام قال أريد أن أذبحه فقال سبحان الله تريد ان تذبح غلاما لم يعص الله طرفة عين قط قال ابراهيم ان الله أمرني بذلك قال ربك ينهاك عن ذلك وإنما أمرك بهذا الشيطان فقال ابراهيم لا والله فلما عزم على الذبح قال الغلام يا ابتا خمّر وجهي وشدّ وثاقي قال ابراهيم يا بني الوثاق مع الذبح والله لا اجمعها عليك اليوم ورفع رأسه إلى السماء ثم انحنى عليه بالمدية وقلب جبرائيل المدية على قفاها واجتر الكبش من قبل ثَبير واجتر الغلام من تحته ووضع الكبش مكان الغلام ونودي من ميسرة مسجد الخيف يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بإسحاق إنا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين قال ولحق إبليس بأم الغلام حين زارت البيت فقال لها ما شيخ رأيته بمنى قالت ذاك بعلي قال فوصيف رأيته قالت ذاك ابني قال فإني رأيته وقد اضجعه وأخذ المدية ليذبحه قالت كذبت ابراهيم ارحم الناس فكيف يذبح ابنه قال فورب السماء ورب هذه الكعبة قد رأيته كذلك قالت ولم قال زعم ان ربه أمره بذلك قالت حق له ان يطيع ربه فوقع في نفسها انه قد أمر في ابنها بأمر فلما قضت نسكها اسرعت في الوادي راجعة إلى منى واضعة يديها على رأسها وهي تقول يا رب لا تؤاخذني بما عملت بأم اسماعيل فلما جاءت سارة واخبرت الخبر قامت إلى ابنها تنظر فرأت الى أثر السكين خدشا في حلقه ففزعت واشتكت وكانت بدو مرضها الذي هلكت به رواه العياشي وعلي ابن ابراهيم بالاسناد في كتابيهما ومن قال ان الذبيح اسماعيل فمنهم محمد بن اسحاق بن يسار وذكر ان ابراهيم كان إذا زار اسماعيل وهاجر حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة

(١) ثبير كامير - : جبل بين مكة وعرفات من اعظم جبال مكة .

ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى إذا بلغ معه السعي رأى في المنام ان يذبحه فقال له يا بني خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب ثبير اخبره بما قد ذكره الله عنه فقال يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا تنتضح من دمي شيئا فتراه أمي واشحذ شفرتك واسرع مرّ السكين على حلقي ليكون اهون عليّ فإن الموت شديد فقال له ابراهيم نعم العون أنت يا بني على أمر الله ثم ذكر نحواً مما تقدم ذكره وروى العياشي باسناده عن يزيد بن معاوية العجلي قال قلت لابي عبد الله «ع» كم كان بين بشارة ابراهيم «ع» باسماعيل «ع» وبين بشارته باسحاق قال كان بين البشارتين خمس سنين قال الله سبحانه فبشرناه بغلام حليم يعني اسماعيل وهي أول بشارة بشر الله بها ابراهيم في الولد ولما ولد لابراهيم اسحاق من سارة وبلغ اسحاق ثلاث سنين اقبل اسماعيل «ع» إلى اسحاق وهو في حجر ابراهيم فنحاه وجلس في مجلسه فبصرت به سارة فقالت يا ابراهيم ينحي ابن هاجر ابني من حجرك ويجلس هو في مكانه لا والله لا تجاورني هاجر وابنها في بلاد ابدا فنحّها عني وكان ابراهيم مكرما لسارة يعزّها ويعرف حقها وذلك لأنها كانت من ولد الانبياء وبنت خالته فشقّ ذلك على ابراهيم واغتمّ لفراق اسماعيل «ع» فلما كان في الليل اتى ابراهيم آت من ربه فأراه الرؤيا في ذبح ابنه اسماعيل بموسم مكة فأصبح ابراهيم حزينا للرؤيا التي رآها فلما حضر موسم ذلك العام حمل ابراهيم هاجر واسماعيل في ذي الحجة من ارض الشام فانطلق بها إلى مكة ليذبحه في الموسم فبدأ بقواعد البيت الحرام فلما رفع قواعده خرج إلى منى حاجاً وقضى نسكه بمنى ورجع إلى مكة فطافا بالبيت اسبوعاً ثم انطلقا إلى السعي فلما صارا في المسعى قال ابراهيم «ع» لاسماعيل «ع» يا بني إني أرى في المنام اني اذبحك في موسم عامي هذا فماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر فلما فرغا من سعيهما انطلق به ابراهيم إلى منى وذلك يوم النحر فلما انتهى به إلى الجمرة الوسطى وأضجعه لجنبه الأيسر وأخذ الشفرة ليذبحه نودي ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا إلى آخره وفدي اسماعيل بكبش عظيم فذبحه وتصدق بلحمه على المساكين وعن محمد بن مسلم عن ابي جعفر «ع» قال سألته عن كبش ابراهيم «ع» ما كان لونه قال أملح اقرن ونزل من السماء على الجبل الأيمن من مسجد منى بحيال الجمرة الوسطى وكان يمشي في سواد ويأكل في سواد وينظر في سواد ويبعر في سواد ويبول في سواد وعن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله «ع» انه سئل عن صاحب الذبح قال هو اسماعيل وعن زياد بن سوقة عن ابي جعفر «ع» قال سألته عن صاحب الذبح فقال اسماعيل «ع»

قوله تعالى (١١٤) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١١٥) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٦) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٧) وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٨) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٩) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١٢٠) سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١٢١) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢٢) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ

(تسع آيات)

(اللغة)

أصل المن القطع ومنه قوله لهم أجر غير ممنون أي غير مقطوع وحبل منين أي منقطع والنصر المعونة الا ان كل نصر معونة وليس كل معونة نصراً لأن النصر يختص بالمعونة على الأعداء والمعونة عامة

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم بذكر موسى وهارون فقال (ولقد منا على موسى وهرون) أي أنعمنا عليهما

نعماً تطعت عنهما كل أذية فمنها النبوة ومنها النجاة من آل فرعون ومنها سائر النعم الدينية والدنياوية (ونجيناهما وقومهما) بني إسرائيل (من الكرب العظيم) من تسخير قوم فرعون إياهم واستعمالهم في الأعمال الشاقة وقيل من الغرق ونصرناهم على فرعون وقومه (فكانوا هم الغالبين) القاهرين بعد ان كانوا مغلوبين مقهورين (وآتيناهما الكتاب المستبين) يعني التوراة الداعي إلى نفسه بما فيه من البيان وكذلك كل كتب الله تعالى بهذه الصفة (وهديناهما الصراط المستقيم) أي دللناهما على الطريق المؤدي إلى الحق الموصل إلى الجنة (وتركنا عليهما) الثناء الجميل (في الآخرين) بأن قلنا (سلام على موسى وهرون) وقد مرّ القول في ذلك (إنا كذلك) مثل ما فعلنا بهما (نجزي المحسنين) تفعل بالمطيعين نجزيهم ذلك على طاعاتهم وفي هذا دلالة على ان ما ذكره الله كان على وجه الثواب لموسى وهارون ومن تقدم ذكره لأن لفظ الجزاء يفيد ذلك (انهما من عبادنا المؤمنين) أي من جملة عبادنا المصدقين بجميع ما أوجبه الله تعالى عليهم العاملين بذلك

قوله تعالى (١٢٣) وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٤) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٥) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٦) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٧) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٨) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٩) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٣٠) سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (١٣١) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣٢) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (عشر آيات)

القراءة

قرأ أهل العراق غير ابي عمرو وأبي بكر اللهَ ربَّكم وربَّ آبائكم الأولين بالنصب والباقون برفع الجميع وقرأ ابن عامر ونافع ورويس عن يعقوب آل ياسٍ بفتح الألف وكسر اللام المقطوعة من ياسين والباقون إلياسين بكسر الالف وسكون اللام موصولة بياسين وفي الشواذ قراءة ابن مسعود ويحيى والأعمش والحكم بن عيينة وانَّ ادريس بسلام على إدراسين وقراءة ابن محيصن وابي رجاء وان الياس وسلام على الياسين بغير همز

الحجة

من قرأ اللهُ ربُّكم فهو على الاستئناف ومن نصب فعلى البدل من أحسن الخالقين وقال ابو علي من قرأ آل ياسٍ فحجته انها في المصحف مفصولة من ياسٍ وفي فصلها دلالة على ان آل هو الذي تصغيره اهيل وقال الزجاج من قرأ الياسين فإنه جمع الياس جمع هو وأمته المؤمنون وكذلك يجمع ما ينسب إلى الشيْ بلفظ الشيْ تقول رأيت المسامعة والمهالبة تريد بني المسمع وبني المهلب وكذلك رأيت المهلبين والمسمعين وفيها وجه آخر وهو ان يكون لغتان الياس والياسين كما قيل ميكال وميكائيل وقال ابو علي هذا لا يصح لأن ميكال وميكائيل لغتان في اسم واحد وليس أحدهما مفرداً والآخر جمعاً كالياس والياسين وادريس وادراسين ومثله «قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدِي»(١) أراد عبد الله ومن كان على رأيه فكذلك الياسين وادراسين من كان من شيعته وأهل دينه على ارادة ياء النسب التقدير الياسيين وادراسيين فحذف كما حذف من سائر هذه الكلم التي يراد الصفة كالاعجمين والاشعرين

الإعراب

سلام في هذه الآي كلها مبتدأ والخبر بعده الجار والمجرور والجملة في موضع المفعول لقوله تركنا ولو اعمل تركنا فيه لقال سلاماً ويجوز ان يكون التقدير وتركنا عليه في الآخرين الثناء الحسن فحذف مفعول تركنا ثم ابتدأ فقال سلام

(١) هذا صدر بيت وعجزه «ليس الامام بالشحيح الملحد» وقد اختلفت الكلمات في قائله فمنهم من نسبه

المعنى

ثم بيّن سبحانه قصة الياس فقال (وان إلياس لمن المرسلين) واختلف فيه فقيل هو ادريس عن ابن مسعود وقتادة وقيل هو من انبياء بني اسرائيل من ولد هارون بن عمران ابن عم اليسع عن ابن عباس ومحمد بن اسحاق وغيرهما قالوا انه بعث بعد حزقيل لما عظمت الاحداث في بني إسرائيل وكان يوشع لما فتح الشام بوّأها بني اسرائيل وقسّمها بينهم فأحلّ سبطا منهم يعلبك وهم سبط إلياس بعث فيهم نبياً اليهم فأجابه الملك ثم ان امرأته حملته على أن ارتدّ وخالف إلياس وطلبه ليقتله فهرب إلى الجبال والبراري وقيل انه استخلف اليسع على بني اسرائيل ورفعه الله تعالى من بين أظهرهم وقطع عنه لذة الطعام والشراب وكساه الريش فصار انسياً ملكياً أرضياً سماوياً وسلّطه الله على الملك وقومه عدوّاً لهم فقتل الملك وامرأته وبعث الله اليسع رسولاً فآمنت به بنو اسرائيل وعظّموه وانتهوا إلى أمره عن ابن عباس وقيل ان إلياس صاحب البرارىء والخضر صاحب الجزائر ويجتمعان في كل يوم عرفة بعرفات وذكر وهب انه ذو الكفل (إذ قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله ونقمته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (أتدعون بعلا) يعني صنما لهم من ذهب كانوا يعبدونه عن عطا والبعل بلغة اهل اليمن هو الرب والسيد عن عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي فالتقدير أتدعون ربا غير الله تعالى (وتذرون أحسن الخالقين) أي تتركون عبادة أحسن الخالقين (الله ربكم) اي خالقكم ورازقكم فهو الذي تحق له العبادة (ورب آبائكم الأولين) وخالق من مضى من آبائكم وأجدادكم (فكذبوه) فيما دعاهم اليه ولم يصدّقوه (فإنهم لمحضرون) للحساب أو في العذاب والنار (إلا عباد الله المخلصين) استثنى من جملتهم الذين أخلصوا عبادتهم لله من قومه (وتركنا عليه في الآخرين) فيه القولان اللذان ذكرناهما (سلام على إلياسين) قال ابن عباس آل يس آل محمد ﷺ وياسين من أسمائه ومن قرأ الياسين أراد الياس ومن اتبعه وقيل يس اسم السورة فكأنه قال سلام على من آمن بكتاب الله تعالى والقرآن الذي هو يس (إنا كذلك نجزي المحسنين) بإحسانهم (انه من عبادنا المؤمنين) المصدقين العاملين بما أوجبناه عليهم

قوله تعالى (١٣٣) وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٤) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٥) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٣٦) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٣٧) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٨) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٣٩) وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٤٠) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤١) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤٢) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٣) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٤) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٥) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٦) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٧) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٨) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (ست عشرة آية)

القراءة

قرأ جعفر بن محمد الصادق «ع» ويزيدون بالواو والوجه فيه ظاهر

اللغة

الغابر الباقي قليلا بعد ما مضى ومنه الغبار لأنه يبقى بعد ذهاب التراب قليلا والتدمير الإهلاك على وجه التنكيل والآبق الفار إلى حيث لا يهتدي اليه طالبه وقد ابق يأبق اباقا والمشحون المملوء والمساهمة المقارعة مأخوذ

حـ على صيغة الجمع على انه أراد عبدالله وشيعته ، و الشحيح : البخيل ، و الملحد : الذى العدفى الحرم اى ظلم.

من القاء السهام ودحضت حجته أي سقطت وأدحضها الله مأخوذ من الدحض وهو الزلق لأنه يسقط المار فيه قال الشاعر « وَحُدْتُ كَمَا حَادَ البَعِيرُ عَنِ الدَّحْضِ »(١) والالتقام ابتلاع اللقمة يقال لقمه والتقمه وتلقمه بمعنى والام الرجل فهو مليم أتى بما يلام عليه قال لبيد

سَفَهاً عَذَلْتَ وَلُمْتَ غَيْرَ مُلِيمِ وَهَدَاكَ قَبْلَ الْيَوْمِ غَيْرُ حَكِيمِ

والعراء الفضاء الذي لا يواريه شجر ولا غيره وقيل العراء وجه الأرض الخالي قال

وَرَفَعْتُ رِجْلاً لَا أَخَافُ عِثَارَهَا وَنَبَذْتُ بِالْبَلَدِ الْعَرَاءِ ثِيَابِي

واليقطين كل شجرة تبقى من الشتاء إلى الصيف ليس لها ساق قال أمية بن ابي الصلت

فَأَنْبَتَ يَقْطِيناً عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لَوْلَا اللهُ أُلْقِيَ ضَاحِيَا

وهو يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به إقامة زائل لا إقامة راسخ والقطاني من الحبوب التي تقيم في البيت مثل الحمص والعدس والخلر واحدها قطنية وقطنية

﴿ الإعراب ﴾

مصبحين حال من قوله تمرّون بالليل الجار والمجرور ايضاً في موضع نصب عطفاً عليه تقديره لتمرون عليه مصبحين وممسين

(المعنى)

ثم عطف سبحانه على ما تقدّم خبر لوط فقال (وان لوطاً لمن المرسلين) اي رسولا من جملة من ارسله الله إلى خلقه داعياً لهم إلى طاعته ومنبّهاً لهم على وحدانيته (إذ نجيناه واهله اجمعين) إذ يتعلق بمحذوف وكأنه قيل اذكر يا محمد إذ نجيناه اي خلّصناه ومن آمن به من قومه من عذاب الاستئصال (إلا عجوزاً في الغابرين) أي في الباقين الذين اهلكوا استثنى من جملة قومه امرأته فقال (ثم دمرنا الآخرين) اي اهلكناهم (وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل) هذا خطاب لمشركي العرب أي تمرّون في ذهابكم ومجيئكم إلى الشام على منازلهم وقراهم بالنهار وبالليل (أفلا تعقلون) فتعتبرون بهم ومن كثر مروره بموضع العبر فلم يعتبر كان ألوم ممن قلّ ذلك عنه والمعنى أفلا تتفكرون فيما نزل بهم لتجتنبوا ما كانوا يفعلونه من الكفر والضلال والوجه في ذكر قصص الانبياء وتكريرها التشويق إلى مثل ما كانوا عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الخلال وصرف الخلق عما كان عليه الكفار من مساوئ الخصال ومقابح الأفعال (وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون) أي فرّ من قومه إلى السفينة المملوءة من الناس والاحمال خوفاً من ان ينزل العذاب بهم وهو مقيم فيهم (فساهم) يونس القوم بأن القوا السهام على سبيل القرعة اي قارعهم (فكان من المدحضين) أي من المقروعين عن الحسن وابن عباس وقيل من المسهومين عن مجاهد والمراد من الملقين في البحر واختلف في سبب ذلك فقيل انهم أشرفوا على الغرق فرأوا انهم ان طرحوا واحداً منهم في البحر لم يغرق الباقون وقيل ان السفينة احتبست فقال الملاحون ان هاهنا عبداً آبقاً فإن من عادة السفينة إذا كان فيها آبق لا تجري فلذلك اقترعوا فوقعت القرعة على يونس ثلاث مرات فعلموا انه المطلوب فألقى نفسه في البحر وقيل انه لما وقعت القرعة عليه القوه في البحر (فالتقمه الحوت) أي ابتلعه وقيل ان الله سبحانه أوحى إلى الحوت اني لم أجعل عبدي رزقاً لك ولكني جعلت بطنك مسجداً له فلا تكسرنّ له عظماً ولا تخدشنّ له جلداً (وهو مليم) أي مستحق للوم لوم العتاب لا لوم العقاب على خروجه من بين قومه من غير أمر ربه وعندنا ان ذلك انما وقع منه تركا للمندوب وقد يلام الإنسان على ترك المندوب ومن جوّز الصغيرة على الأنبياء قال قد وقع ذلك صغيرة مكفرة واختلف في مدة لبثه في بطن الحوت فقيل

(١) قائله طرفة وقبله « رديت ونجي البشكرى حذاره » وحاد عن الشيء : مال وعدل .

كانت ثلاثة أيام عن مقاتل بن حيان وقيل سبعة ايام عن عطا وقيل عشرين يوماً عن الضحاك وقيل اربعين يوماً عن السدي ومقاتل بن سليمان والكلبي (فلولا انه كان من المسبحين) أي كان من المصلين في حال الرخاء فنجاه الله عند البلاء عن قتادة وقيل كان تسبيحه انه كان يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين عن سعيد بن جبير وقيل من المسبحين أي من المنزهين الله عما لا يليق به ولا يجوز في صفته الذاكرين له (للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) أي لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة (فنبذناه بالعراء) أي فطرحناه بالمكان الخالي الذي لا نبت فيه ولا شجر وقيل بالساحل ألهم الله سبحانه الحوت حتى قذفه ورماه من جوفه على وجه الأرض (وهو سقيم) أي مريض حين القاه الحوت (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) وهو القرع عن ابن مسعود وقيل هو كل نبت يبسط على وجه الأرض ولا ساق له عن ابن عباس والحسن وروي عن ابن مسعود قال خرج يونس من بطن الحوت كهيئة فرخ ليس عليه ريش فاستظل بالشجر من الشمس (وأرسلناه إلى مائة الف أو يزيدون) قيل ان الله سبحانه ارسله إلى أهل نينوى من أرض الموصل عن قتادة وكانت رسالته هذه بعد ما نبذه الحوت عن ابن عباس فعلى هذا يجوز ان يكون ارسل إلى قوم بعد قوم ويجوز ان يكون ارسل إلى الأولين بشريعة فآمنوا بها وقيل في معنى «أو» من قوله او يزيدون وجوه ﴿ احدها ﴾ انه على طريق الإبهام على المخاطبين كأنه قال ارسلناه إلى احدى العدتين ﴿ وثانيها ﴾ ان أو تخيير كأن الرائي خُيِّر بين ان يقول هم مائة الف او يزيدون عن سيبويه والمعنى انهم كانوا عدداً لو نظر اليهم الناظر لقال هم مائة الف أو يزيدون ﴿ وثالثها ﴾ ان او بمعنى الواو كأنه قال ويزيدون عن بعض الكوفيين وقال بعضهم معناه بل يزيدون وهذان القولان الأخيران غير مرضيين عند المحققين[1] وأجود الأقوال الثاني واختلف في الزيادة على مائة الف كم هي فقيل عشرون الفا عن ابن عباس ومقاتل وقيل بضع وثلاثون الفاً عن الحسن والربيع وقيل سبعون الفاً عن مقاتل ابن حيان (فآمنوا فمتعناهم إلى حين) حكى سبحانه عنهم انهم آمنوا بالله وراجعوا التوبة فكشف عنهم العذاب ومتّعهم بالمنافع واللذات إلى انقضاء آجالهم

قوله تعالى (١٤٩) فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٥٠) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥١) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥٢) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٣) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٤) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٥) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٦) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (١٥٧) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٥٨) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٩) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٦٠) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (اثنتا عشرة آية)

(القراءة)

قرأ ابوجعفر ونافع برواية اسماعيل وورش من طريق الاصفهاني لكاذبون اصطفى البنات بالوصل والابتداء اصطفى بكسر الهمزة والباقون اصطفى بفتح الهمزة وكذلك ورش من طريق البخاري

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الوجه الهمز على وجه التقرير لهم بذلك والتوبيخ ويقويه قوله تعالى أم اتخذ مما يخلق بنات وقوله أم له البنات ولكم البنون ألكم الذكر وله الأنثى فكما ان هذه المواضع كلها استفهام كذلك قوله أصطفى

(١) يعني القول بان «أو» بمعنى الواو أو بمعنى بل على قراءة «أو يزيدون».

البنات ووجه القراءة الاخرى انه على وجه الخبر كأنه اصطفى البنات فيما يقولون كقولـه ذق إنك أنت العزيز الكريم أي عند نفسك وفيما كنت تقوله وتذهب اليه ويجوز ان يكون اصطفى البنات بدلا من قوله ولد الله لأن ولادة البنات واتخاذهن اصطفاؤهن فيصير اصطفى بدلا من المثال الماضي كما كان قوله يضاعف له العذاب بدلا من قوله يلق أثاما ويجوز ان يكون اصطفى البنات تفسيراً لكذبهم في قولـه وإنهم لكاذبون كما ان قوله لهم مقمرة تفسير للوعد ويجوز ان يكون متعلقاً بالقول على انه أريد حرف العطف فلم يذكر واستغني بما في الجملة الثانية من الاتصال بالاولى عن حرف العطف كقوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ونحو ذلك

المعنى

ثم عاد الكلام إلى الرد على مشركي العرب فقال سبحانه (فاستفتهم) اي سلهم واطلب الحكم منهم في هذه القصة (ألربـك البنات ولهم البنون) اي كيف اضفتم البنات إلى الله تعالى واخترتم لأنفسكم البنين و كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله على وجه الاصطفاء لا على وجه الولادة (أم خلقنا الملائكة إناثا) معناه بل خلقنا الملائكة إناثا (وهم شاهدون) أي حاضرون خلقنا إياهم اي كيف جعلوهم إناثاً ولم يشهدوا خلقهم ثم اخبر عن كذبهم فقال (الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله) حين زعموا ان الملائكة بنات الله تعالى (وإنهم لكاذبون في قولهم (اصطفى البنات على البنين) دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل ومثله قول ذي الرمة

أَسْتَحْدَثَ الرَّكْبُ مِنْ أَشْيَاعِهِمْ خَبَرًا أَمْ رَاجَعَ الْقَلْبَ مِنْ أَطْرَابِـهِ طَرَبُ

والمعنى كيف يختار الله سبحانه الأدون على الأعلى مع كونه مالكا حكيما ثم وبخهم (فقال مالكم كيف تحكمون) لله بالبنات ولأنفسكم بالبنين (أفلا تذكرون) اي أفلا تتعظون فتنتهون عن مثل هذا القول (أم لكم سلطان مبين) اي حجة بينة على ما تقولون وتدعون وهذا كله انكار في صورة الاستفهام (فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين) المعنى فأتوا بكتابكم الذي لكم فيه الحجة ان كنتم صادقين في قولكم والمراد انه دليل لكم على ما تقولونه من جهة العقل لا من جهة السمع (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) اختلف في معناه على اقوال ﴿احدها﴾ ان المراد به قول الزنادقة إن الله وابليس اخوان وان الله تعالى خلق النور والخير والحيوان النافع وابليس خلق الظلمة والشر والحيوان الضار عن الكلبي وعطية ﴿وثانيها﴾ انه قول المشركين ان الملائكة بنات الله وسمى الملائكة جنة لاستتارهم عن العيون عن مجاهد وقتادة و الجبائي ﴿وثالثها﴾ انهم قالوا صاهر الله الجن فحدثت الملائكة تعالى الله عن قولهم ﴿ورابعها﴾ انهم اشركوا الشيطان في عبادة الله تعالى فذلك هو النسب الذي جعلوه بينه وبين الجنة عن الحسن (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) اي علمت الملائكة ان هؤلاء الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب يوم القيامة عن السدي وقيل معناه قد علمت الجنة وهم الجن الذين دعوهم انهم محضرون العذاب بدعائهم الى هذا القول (سبحان الله عما يصفون) نزه سبحانه نفسه عما وصفوه به وأضافوه اليه (إلا عباد الله المخلصين) استثنى عباده المخلصين من جملة الكفار القائلين فيه ما لا يليق به

قوله تعالى (١٦١) فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦٢) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٣) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٤) وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٦) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٧) وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٨) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٦٩) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٧٠) فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (عشر آيات)

(القراءة)

في الشواذ قراءة الحسن صالـ الجحيم بضم اللام

(الحجة)

قال ابن جني كان الشيخ ابو علي يحمله على انه حذف لام صال تخفيفا واعرب اللام بالضم كما حذفت لام البالية من قولهم ما باليت به بالة وذهب قطرب إلى انه صالُ اي صالون فحذف النون للإضافة والواو لالتقاء الساكنين وحمل على معنى مَنْ لأنه جمع كقوله ومنهم من يستمعون اليك وقال هذا حسن عندي وقول ابي علي مأخوذ به

(اللغة)

الفاتن الداعي إلى الضلال بتزيينه وأصل الفتنة من قولهم فتنت الذهب بالنار إذا اخرجته إلى حال الخلاص الصالي اللازم للنار المحترق بها والمصطلي المستدفئ بالنار ومنه الصلاة لزوم الدعاء فيها والمصلي الذي يجيئ بعد السابق للزومه أثره

=(المعنى)=

ثم خاطب سبحانه الكفار بأن قال لهم (فإنكم وما تعبدون) وموضع ما نصب عطفا على الكاف والميم والمعنى إنكم يا معشر الكفار والذي تعبدونه (ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم) الهاء في عليه إلى ماذا يعود فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ انه يعود إلى ما تعبدون والتقدير إنكم وما تعبدونه ما انتم بفاتنين على عبادته احداً إلا من يصلى الجحيم ويحترق بها بسوء اختياره وقيل معناه ما انتم بمضلين أحداً اي لا تقدرون على اضلال احد إلا من سبق في علم الله تعالى أن سيكفر بالله تعالى ويصلى الجحيم ﴿ والآخر ﴾ أن الضمير في عليه يعود الى الله تعالى والتقدير ما أنتم على الله و على دينه بمضلين احداً الا من هو صالي الجحيم باختياره وهذا كما يقال لا يهلك على الله هالك وفلان يربح على فلان ويخسر على فلان (وما منّا الا له مقام معلوم) هذا قول جبرائيل للنبي ﷺ وقيل انه قول الملائكة وفيه مضمر اي وما منا معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم في السماوات يعبد الله فيه وقيل معناه انه لا يتجاوز ما امر به ورتب له كما لا يتجاوز صاحب المقام مقامه الذي حدّ له فكيف يجوز ان يعبد من بهذه الصفة وهو عبد مربوب (وانا لنحن الصافون) حول العرش ننتظر الأمر والنهي من الله تعالى وقيل القائمون صفوفا في الصلاة قال الكلبي صفوف الملائكة في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض وقال الجبائي صافون بأجنحتنا في الهواء للعبادة والتسبيح (وانا لنحن المسبحون) اي المصلون والمنزهون الرب عما لا يليق به ومنه قوله فرغت من سبحتي أي من صلاتي وذلك لما في الصلاة من تسبيح الله تعالى وتعظيمه والمسبحون القائلون سبحان الله على وجه التعظيم لله (وان كانوا ليقولون) ان هذه هي المخففة من الثقيلة الا ترى ان اللام قد لزم خبرها والمعنى وان هؤلاء الكفار يعني اهل مكة كانوا يقولون (لو ان عندنا ذكرا) اي كتابا (من الأولين) اي من كتب الأولين التي انزلها على انبيائه وقيل ذكراً اي علماً من الأولين الذين تقدّمونا وما فعل الله بهم فسمّي العلم ذكراً لأن الذكر من اسباب العلم (لكنّا عباد الله المخلصين) الذين يخلصون العبادة لله تعالى فجعلوا العذر في امتناعهم من الإيمان انهم لا يعرفون اخبار من تقدّمهم وهل حصلوا في جنة او نار (فكفروا به) في الكلام حذف تقديره فلما أتاهم الكتاب وهو القرآن كفروا به (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم وهذا تهديد لهم

قوله تعالى (١٧١) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧٢) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٨٣) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٤) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٥) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ

يُبْصِرُونَ (١٧٦) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٧) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٨) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٩) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٨٠) سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨١) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨٢) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿ اثنتا عشرة آية ﴾

﴿ المعنى ﴾

ثم اقسم سبحانه فقال (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) اي سبق الوعد منا لعبادنا الذين بعثناهم إلى الخلق (انهم لهم المنصورون) في الدنيا والآخرة على الاعداء بالقهر والغلبة وبالحجج الظاهرة وقيل معناه سبقت كلمتنا لهم بالسعادة ثم ابتدأ فقال انهم اي ان المرسلين لهم المنصورون واللام للتأكيد وهم فصل وقيل عنى بالكلمة قوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي الآية وسميت جملة من الكلام بأنها كلمة لانعقاد بعض معانيه ببعض حتى صار خبراً واحداً وقصة واحدة كالشيء الواحد قال الحسن المراد بالآية نصرتهم في الحرب فإنه لم يقتل نبيّ من الأنبياء قط في الحرب وإنما قتل من قتل منهم غيلة او على وجه آخر في غير الحرب وإن مات نبيّ قبل النصرة اوقتل فقد اجرى الله تعالى العادة بأن ينصر قومه من بعده فيكون في نصرة قومه نصرة له فقد تحقق قوله انهم لهم المنصورون وقال السدي المراد بالآية النصر بالحجة (وان جندنا لهم الغالبون) أضاف المؤمنين إلى نفسه ووصفهم بأنهم جنده تشريفاً وتنويهاً بذكرهم حيث قاموا بنصرة دينه وقيل معناه ان رسلنا هم المنصورون لأنهم جندنا وان جندنا هم الغالبون يقهرون الكفار بالحجة تارة وبالفعل أخرى ثم قال لنبيه ﷺ (فتول عنهم) اي اعرض عن هؤلاء الكفار (حتى حين) اي إلى وقت نأمرك فيه بقتالهم يعني يوم بدر عن مجاهد والسدي وقيل إلى يوم الموت عن ابن عباس وقتادة وقيل إلى يوم القيامة وقيل إلى انقضاء مدة الإمهال (وأبصرهم فسوف يبصرون) اي انظرهم وابصر ما ضيّعوا من أمر الله فسوف يرون العذاب عن ابن زيد وقيل وابصرهم إذا نزل بهم العذاب فسوف يبصرون وقيل وابصر حالهم بقلبك فسوف يبصرون ذلك في القيامة معاينة وفي هذا اخبار بالغيب لأنه وعد نبيه ﷺ بالنصر والظفر فوافق المخبر الخبر وكأنهم قالوا متى هذا العذاب فأنزل الله (أفبعذابنا يستعجلون) اي يطلبون تعجيل عذابنا (فإذا نزل بساحتهم) اي إذا نزل العذاب بأفنية دورهم كما يستعجلون (فساء صباح المنذرين) اي فبئس الصباح صباح من خوف وحذر فلم يحذر ولم يخف والساحة فناء الدار وفضاؤها الواسع فالمراد ان العذاب لعظمه لايسعه الا الساحة ذات الفضاء الواسع وقيل نزل بساحتهم اي بدارهم عن السدي وكانت العرب تفاجئ اعداءها بالغارات صباحا فخرج الكلام على عادتهم ولأن الله سبحانه أجرى العادة بتعذيب الامم وقت الصباح كما قال ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب (وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون) مضى تفسيره وإنما كرر ما سبق للتأكيد وقيل لأن المراد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة اي فكن على بصيرة من امرك فسوف يكونون على بصيرة من أمرهم حين لا ينفعهم ثم نزّه سبحانه نفسه عن وصفهم وبهتهم فقال (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) اي تنزيهاً لربك مالك العزة يعزّ من يشاء من الأنبياء والاولياء لا يملك احد إعزاز احد سواه فسبحانه عما يصفونه مما لا يليق به من الصفات وهو قولهم باتخاذ الأولاد واتخاذ الشريك (وسلام على المرسلين) اي سلامة وأمان لهم من ان ينصر عليهم اعداؤهم وقيل هو خبر معناه امر اي سلّموا عليهم كلهم لا تفرّقوا بينهم (والحمد لله رب العالمين) اي احمدوا الله الذي هو مالك العالمين وخالقهم والمنعم عليهم واخلصوا له الثناء والحمد ولا تشركوا به احداً فإن النعم كلها منه وروى الاصبغ بن نباتة

عن علي «ع» وقد روي ايضاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال من اراد ان يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

سورة ص مكية

عدد آيها

هي ثمان وثمانون آية كوفي وست حجازي بصري شامي وخمس في عدد ايوب بن المتوكل وحده

اختلافها

ثلاث آيات ذي الذكر كوفي وغواص غير البصري والحق اقول كوفي وبصري وفي رواية المعلى عن الجحدري وتركها ايوب وهو يوافق الجحدري إلا في هذا الحرف

فضلها

ابيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة ص أعطي من الأجر بوزن كل جبل سخّره الله لداود حسنات وعصمه الله ان يصرّ على ذنب صغيراً أو كبيراً وروى العياشي باسناده عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ سورة ص في ليلة الجمعة أعطي من خير الدنيا والآخرة ما لم يعط أحد من الناس إلا نبي مرسل أو ملك مقرب وادخله الله الجنة وكل من أحب من أهل بيته حتى خادمه الذي يخدمه وان كان ليس في حد عياله ولا في حد من يشفع له وامنه الله يوم الفزع الاكبر

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الصافات بذكر القرآن والرسول وانكار الكفار لما دعاهم اليه افتتح هذه السورة بالقرآن ذي الذكر والردّ على الكفار ايضاً فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (٢) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٣) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٤) وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٥) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (خمس آيات)

القراءة

في الشواذ قراءة ابي بن كعب والحسن وابن ابي اسحاق صاد بكسر الدال وقراءة الثقفي صاد بفتح الدال والقراءة بالوقف[1] وهو الصحيح لأن حروف الهجاء يوقف عليها وقراءة عيسى بن عمر وابي عبد الرحمن السلمي عجاب بتشديد الجيم

(١) اى القراءة المشهورة .

﴿ الحجة ﴾

من كسر فلاجتماع الساكنين أو لأنه جعله من المصاداة وهي المعارضة أي عارض القرآن بعملك ومن فتح فلأن الفتحة أخف من الكسرة ويجوز ان يكون من فتح جعل الصاد علما للسورة فلم يصرفه والعجاب بالتشديد هو المفرط في العجب يقال شيء عجيب ثم عجاب بالتخفيف ثم عجاب بالتشديد كما قالوا رجل رضي ووضاء وانشدوا

وَالْمَرْءُ يُلْحِقُهُ بِفِتْيَانِ النَّدَى ... خُلُقُ الْكَرِيمِ وَلَيْسَ بِالْوُضَّاءِ

وقال آخر

جَاؤُوا بِصَيْدٍ عَجَبٍ مِنَ الْعَجَبِ ... أَزْرَقِ الْعَيْنَيْنِ طُوَالِ الذَّنَبِ

﴿ اللغة ﴾

الشقاق والمشاقة الخلاف وأصله ان يصير كل واحد من الفريقين في شق أي في جانب ومنه يقال شق فلان العصا إذا خالف والمناص من النوص وهو التأخر ناص ينوص إذا تأخر وباص يبوص بالباء اذا تقدم قال امرؤ القيس

أَمِنْ ذِكْرِ لَيْلَى إِنْ نَأَتْكَ تَنُوصُ ... فَتُقْصِرُ عَنْهَا خَطْوَةً وَتَبُوصُ

﴿ الاعراب ﴾

اختلف في جواب القسم على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان جوابه محذوف فكأنه قال والقرآن ذي الذكر لقد جاء الحق وظهر الامر لأن حذف الجواب في مثل هذا ابلغ فإن ذكر الجواب يقصر المعنى على وجه والحذف يصرف إلى كل وجه فيعم ﴿ والثاني ﴾ ان جوابه ص فإن معناه صدق اقسم سبحانه بالقرآن ان محمداً ﷺ قد صدق والله وفعل والله ﴿ والثالث ﴾ ان الجواب مما كفى منه قوله كم اهلكنا وقيل ما كفى منه بل الذين كفروا فكأنه قال والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما قالوا واحدهما عن الفراء والآخر عن قتادة ﴿ والرابع ﴾ ان جوابه كم اهلكنا والتقدير لكم اهلكنا فلما طال الكلام حذف اللام ومثله قد افلح من زكاها والتقدير لقد افلح من زكاها والتقدير لقد افلح عن الفراء وهذا غلط لأن اللام لا تدخل على المفعول وكم مفعول ﴿ والخامس ﴾ ان الجواب في آخر السورة ان ذلك لحق تخاصم أهل النار إلا انه بعد من أول الكلام عن الكسائي ولات حين مناص فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ ان التاء متصلة بلا وانهما بمنزلة ليس قال الزجاج ويجوز ولات حين مناص في اللغة فأما النصب فعلى ان المعنى ليس الوقت حين مناص والرفع على ان يجعل حين اسم ليس ويضمر الخبر والمعنى ليس حين ملجأ لنا والوقف عليها لات بالتاء والكسائي يقف بالهاء لاه والأول اصح لأن هذه التاء نظيرة التاء في الفعل نحو ذهبت وفي الحرف نحو رأيت زيدا ثمت عمراً فإنها دخلت في الموضعين على ما لا يعرب ولا هو في طريق الاسماء وقال الاخفش ان لات حين مثل لا رجل في الدار ودخلت التاء في التأنيث قال الشاعر

تَذَكَّرُ حُبَّ لَيْلَى لَاتَ حِينًا ... وَأَضْحَى الشَّيْبُ قَدْ قَطَعَ الْقَرِينَا

﴿ والقول الآخر ﴾ ان التاء متصلة بحين كما قال الشاعر

العاطفين تحين ما من عاطف والمطعمين زمان ما من مطعم

وقد أجازوا الجر بلات وانشدوا لأبي زبيد

طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان ليس حين بقاء

قال الزجاج والذي انشدناه ابو العباس المبرد بالرفع وقد روي بالكسر

النزول

قال المفسرون ان اشراف قريش وهم خمسة وعشرون منهم الوليد بن المغيرة وهو اكبرهم وابو جهل وابيّ وامية ابنا خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والنضر بن الحارث أتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد اتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فإنه سفه احلامنا وشتم آلهتنا فدعا ابو طالب رسول الله ﷺ وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك فقال ماذا يسألونني قالوا دعنا وآلهتنا ندعك وإلهك فقال ﷺ اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم فقال ابو جهل لله ابوك نعطيك ذلك عشر امثالها فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً فنزلت هذه الآيات وروي ان النبي ﷺ استعبر ثم قال يا عم والله لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتى انفذه أو أقتل دونه فقال له ابو طالب امض لأمرك فوالله لا أخذلك أبداً

المعنى

(ص) اختلفوا في معناه فقيل هو اسم للسورة وقيل غير ذلك على ما ذكرناه في أول البقرة وقال ابن عباس هو اسم من اسماء الله تعالى أقسم به وروي ذلك عن الصادق «ع» وقال الضحاك معناه صدق وقال قتادة هو اسم من اسماء القرآن فعلى هذا يجوز ان يكون موضعه نصباً على تقدير حذف حرف القسم ويجوز ان يكون رفعاً على تقدير هذه صاد في مذهب من جعله اسماً للسورة (والقرآن ذي الذكر) أي ذي الشرف عن ابن عباس يوضحه قوله وانه لذكر لك ولقومك وقيل معناه ذي البيان الذي يؤدي إلى الحق ويهدي إلى الرشد لأن فيه ذكر الادلة التي إذا تفكر فيها العاقل عرف الحق عقلا وشرعا وقيل ذي الذكر لكم عن قتادة وقيل فيه ذكر الله وتوحيده واسمائه الحسنى وصفاته العلى وذكر الأنبياء وأخبار الامم وذكر البعث والنشور وذكر الأحكام وما يحتاج اليه المكلف من الأحكام عن الجبائي ويؤيده قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء (بل الذين كفروا) من أهل مكة (في عزة) أي في تكبر عن قبول الحق وحمية جاهلية عن قتادة ويدل عليه قوله أخذته العزة بالإثم وقيل في ملكة واقتدار وقوة بتمكين الله اياهم (وشقاق) أي عداوة وعصيان ومخالفة لأنهم يأنفون عن متابعتك ويطلبون مخالفتك ثم خوفهم سبحانه فقال (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) بتكذيبهم الرسل (فنادوا) عند وقوع الهلاك بهم بالاستغاثة (ولات حين مناص) أي ليس الوقت حين منجى ولا فوت وقيل لات حين نداء ينجي قال قتادة نادى القوم على حين النداء (وعجبوا ان جاءهم منذر منهم) أي جاءهم رسول من أنفسهم مخوف من جهة الله تعالى يحذرهم المعاصي ويندرهم النار (فقال الكافرون هذا ساحر كذاب) حين يزعم انه رسول الله (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) هذا استفهام انكار وتعجيب وذلك ان النبي ﷺ ابطل عبادة ما كانوا يعبدونه من الآلهة مع الله ودعاهم إلى عبادة الله وحده فتعجبوا من ذلك وقالوا كيف جعل لنا إلهاً واحداً بعد ما كنا

نعبد آلهة (إن هذا) الذي يقوله محمد من انَّ الإله واحد (لشيءٌ عجاب) لأمر عجيب مفرط في العجب

قوله تعالى (٦) وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ (٧) مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ (٨) أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ (٩) أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ (١٠) أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ

(خمس آيات)

اللغة

الانطلاق الذهاب بسهولة ومنه طلاقة الوجه والخلق. والاختلاق والفري والافتراء متقارب والارتقاء الصعود من سفل إلى علو درجة درجة قال

لَوْ لَمْ تَجِدْ سُنَّةً مَا كَانَ مُرْتَقِيًا ... وَٱلْمُرْتَقِي وَٱلَّذِي رَقَّاهُ سِيَّانِ

الاسباب جمع سبب والسبب ما يوصل به إلى المطلوب واسباب السماوات أبوابها قال زهير

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ ٱلْمَنَايَا يَنَلْنَهُ ... وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ ٱلسَّمَاءِ بِسُلَّمِ

والفرق بين السبب والعلة في عرف المتكلمين ان السبب ما يوجب ذاتا والعلة ما يوجب صفة

الاعراب

ان امشوا ان هذه هي التي تسمى المفسرة بمعنى أي امشوا قال الزجاج ويجوز ان يكون تقديره بأن امشوا أي بهذا القول

المعنى

(وانطلق الملأ منهم) هذا تمام الحكاية عن الكفار الذين تقدَّم ذكرهم أي وانطلق الاشراف منهم (ان امشوا) أي يقول بعضهم لبعض امشوا (واصبروا على آلهتكم) يعني انهم خرجوا من مجلسهم الذي كانوا فيه عند ابي طالب وهم يقولون اثبتوا على عبادة آلهتكم واصبروا على دينكم وتحمّلوا المشاق لأجله وقيل ان القائل لذلك عقبة بن ابي معيط (ان هذا) الذي نراه من زيادة اصحاب محمد (لشيءٌ يراد) اي أمر يراد بنا وقيل معناه ان هذا فساد في الأرض وعن قريب ينزل به الهلاك ونتخلص منه وقيل ان هذا الأمر يراد بنا من زوال نعمة أو نزول شدة لأنهم كانوا يعتقدون في الأصنام انهم لو تركوا عبادتها أصابهم القحط والشدة ثم حكى عنهم ايضاً بأنهم قالوا (ما سمعنا بهذا) الذي يدعونا اليه محمد من التوحيد وخلع الانداد من دون الله (في الملة الآخرة) يعنون في النصرانية لأنها آخر الملل عن ابن عباس قال ان النصارى لا يوحّدون لأنهم يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش أي في ملة زماننا هذا عن مجاهد وقتادة وقيل معناه ما سمعنا بأن هذا يكون في آخر الزمان عن الحسن (ان هذا) اي ما هذا الذي يقول محمد (إلا اختلاق) أي تخرص وكذب وافتعال ثم أنكروا تخصيص الله إياه بالقرآن والنبوة بأن قالوا (أأنزل عليه الذكر من بيننا) أي كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا وليس بأكبر سناً منا ولا بأعظم

شرفا فقال سبحانه (بل هم في شك من ذكري) أي ليس يحملهم على هذا القول إلا الشك في الذكر الذي أنزلته على رسولي (بل لما يذوقوا عذاب) وهذا تهديد لهم والمعنى انهم سيذوقونه ثم اجابهم عن انكارهم نبوته بقوله (ام عندهم خزائن رحمة ربك) يقول أبأيديهم مفاتيح النبوة والرسالة فيضعونها حيث شاؤوا أي انها ليست بأيديهم ولكنها بيد (العزيز) في ملكه (الوهاب) كثير الهبات والعطايا على حسب المصالح فيختار للنبوة من يشاء من عباده ونظيره قوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) فيتهيأ لهم ان يمنعوا الله من مراده (فليرتقوا) أي إن ادعوا ذلك فليصعدوا (في الاسباب) أي في ابواب السماء وطرقها عن مجاهد وقتادة وقيل الأسباب الحيل أي فليحتالوا في أسباب توصلهم إلى السموات ليأتوا بالوحي إلى من اختاروا

قوله تعالى (١١) جُندٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (١٢) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٣) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٤) إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٥) وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (خمس آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم من فُواق بضم الفاء والباقون بفتحها

الحجة

وهما لغتان مثل قَصاص الشعر وقُصاصه وجُمامُ المَكُّوك وجَمامه وهو من الافاقة وما بين الرضعتين فواق وقيل بينهما فرق فبالفتح يكون بمعنى الراحة وبالضم بمعنى المهلة والانتظار عن ابي عبيدة والفراء

اللغة

هنالك اشارة إلى المكان البعيد وهناك بين البعيد والقريب وهنالقريب ومثله ذا وذاك وذلك . والاحزاب جمع حزب وهو الجماعة التي تجتمع من كل اوب وقال الزجاج ما لها من فواق اي رجوع وفواق الناقة مشتق من الرجوع ايضا لأنه يعود اللبن إلى الضرع بين الحلبتين وافاق من مرضه اي رجع الى الصحة

الاعراب

ما مزيدة في قوله جند ما مثلها في قول الاعشى

فَاذْهَبَا مَا إِلَيْكَ أَدْرَكَنِي الْحِلْمُ عِدَاتِي عَنْ هَيْجِكُمْ أَشْغَالِي

وجند مبتدأ وهنالك صفة اي جند ثابت هنالك . ومهزوم خبر مبتدأ ويجوز ان يكون هنالك ظرفا لمهزوم اي جند مهزوم في ذلك الموضع . كذبت قبلهم قوم نوح يجوز ان يقف على قوله نوح ويكون عاد مبتدأ ما بعده معطوف عليه ويكون اولئك الأحزاب خبراً عن الجميع ويجوز ان يكون الخبر قوله ان كل إلا كذب الرسل ويجوز ان يكون اولئك الاحزاب ابتداء ويقف على قوم لوط

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن الكفار انهم سيهزمون ببدر فقال (جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب) قال

(١) المكوك : مكيال معروف لاهل العراق . وقولهم عندى جمام المكوك دقيقاً اى ملؤه .

قتادة اخبر الله سبحانه وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك اشارة إلى بدر ومصارعهم بها اي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند مهزومون مغلوبون من جملة الكفار الذين تحزّبوا على الانبياء وانت منصور عليهم مظفر غالب وقيل هم احزاب الذين حاربوا نبينا ﷺ يوم الخندق ووجه اتصاله بما قبله ان المعنى كيف يرتقون إلى السماء وهم فرق من قبائل شتى مهزومون (كذبت قبلهم) أي قبل هؤلاء الكفار (قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد) وقيل في معناه اقوال «احدها» انه كانت له ملاعب من اوتاد يلعب له عليها عن ابن عباس وقتادة وعطا «والثاني» انه كان يعذب الناس بالأوتاد وذلك انه إذا غضب على احد وتد يديه ورجليه ورأسه على الأرض عن السدي والربيع بن انس ومقاتل والكلبي «والثالث» ان معناه ذو البنيان والبنيان اوتاد عن الضحاك «والرابع» ان المعنى ذو الجنود والجموع الكثيرة بمعنى انهم يشدّون ملكه ويقوّون امره كما يقوّي الوتد الشيء عن الجبائي والقتيبي والعرب تقول هو في عزّ ثابت الاوتاد والاصل فيه ان بيوتهم انما ثبتت بالاوتاد قال الاسود بن يعفر

وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ ... فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ

﴿والخامس﴾ انه سمّي ذو الأوتاد لكثرة جيوشه السائرة في الارض وكثرة اوتاد خيامهم فعبّر بكثرة الاوتاد عن كثرة الاجناد (وثمود) يعني قوم صالح (وقوم لوط واصحاب ليكة) وهم قوم شعيب (اولئك الأحزاب) لما ذكر سبحانه هؤلاء المكذبين أعلمنا أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب ومعناه هم الأحزاب حقا اي احزاب الشيطان كما يقال هم هم قال

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ ... هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ(١)

(وان كل إلا كذب الرسل) اي ما كل حزب منهم إلا كذّب الرسل (فحق عقاب) اي فوجب عليهم عقابي بتكذيبهم رسلي (وما ينظر) اي وما ينتظر (هؤلاء) يعني كفار مكة (إلا صيحة واحدة) وهي النفخة الاولى في الصور (ما لها من فواق) اي لا يكون لتلك الصيحة افاقة بالرجوع إلى الدنيا عن قتادة والسدي والمراد انّ عقوبة امة محمد ﷺ بعذاب الاستئصال مؤخّرة الى يوم القيامة وعقوبة سائر الأمم معجّلة في الدنيا كما قال بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامرّ قال الفراء إذا ارتضعت البهيمة امها ثم تركتها حتى تنزل فتلك الافاقة والفواق ثم قيل لكل راحة وانظار للاستراحة فواق وقيل معناه مالها مثنوية اي صرف ورد عن الضحاك وقيل ما لها من فتور كما يفتر المريض عن ابن زيد

قوله تعالى (١٦) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٧) إِصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٨) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٩) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (٢٠) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ

(خمس آيات)

﴿اللغة﴾

القط الكتاب قال الاعشى

وَلَا الْمَلِكُ النُّعْمَانَ يَوْمَ لَقِيتُهُ ... بِنُعْمَتِهِ يُعْطِي الْقُطُوطَ وَيَأْفِقُ(٢)

(١) قائله اشهب بن زميلة و نسبه بعض الى حريث بن مخفض ، وحانت اى هلكت . و فلج : موضع بين مكة والبصرة. وام خالد : اسم امرأة . (٢) كان النعمان بن منذر ملك العرب من قبل الساسانيين أكاسرة ايران ، واتفق ان ابرويز غضب عليه فطلبه بالمدائن و القاه تحت أرجل الفيل فداسوه بأرجلهم فمات ، و قيل حبسه بخانقين-

اي كتب الجوائز واشتقاقها من القط وهو القطع لأنها تقطع النصيب لكل واحد بما كتب فيها والقط النصيب ايضا قال ابو عبيدة والقط الحساب وفي الأثر ان عمر وزيداً كانا لا يريان ببيع القطوط باساً اذا خرجت والفقهاء لا يجيزونه وهي الجوائز والارزاق وقولهم ما رأيته قط اي قطع الدهر الذي مضى

﴿ المعنى ﴾

(وقالوا) يعني هؤلاء الكفار الذين وصفهم (ربنا عجل لنا قطنا) اي قدّم لنا نصيبا من العذاب (قبل يوم الحساب) قالوه على وجه الاستهزاء بخبر الله عز وجل عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه أرنا حظّنا من النعيم في الجنة حتى نؤمن عن السدي وسعيد بن جبير وقيل لما نزل واما من أوتي كتابه بيمينه واما من أوتي كتابه بشماله قالت قريش زعمت يا محمد أنى نؤتى كتابنا بشمالنا فعجّل لنا كتبنا التي نقرؤها في الآخرة استهزاءً منهم بهذا الوعيد وتكذيبا به عن ابي العالية والكلبي ومقاتل فقال الله سبحانه لنبيّه ﷺ (اصبر) يا محمد اي احبس نفسك (على مايقولون) من تكذيبك فإن وبال ذلك يعود عليهم (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) اي ذا القوة على العبادة عن ابن عباس ومجاهد وذكر انه يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر كان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك أشدّ الصوم وقيل ذا القوة على الاعداء وقهرهم وذلك لأنه رمى بحجر من مقلاعه صدر رجل فأنفذه من ظهره فأصاب آخر فقتله وقيل معناه ذا التمكين العظيم والنعم العظيمة وذلك انه كان يبيت كل ليلة حول محرابه الوف كثيرة من الرجال (انه اواب) اي توّاب راجع عن كل ما يكره الله تعالى الى كل ما يحب من آب يؤب اذا رجع عن مجاهد وابن زيد وقيل مسبّح عن سعيد ابن جبير وقيل مطيع عن ابن عباس (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) الله إذا سبّح ويحتمل ان يكون الله سبحانه خلق في الجبال التسبيح ويمكن أن يكون بنى فيها بنية يأتي فيها التسبيح (بالعشي والإشراق) اي بالرواح والصباح (والطير) اي وسخّرنا الطير (محشورة) اي مجموعة اليه تسبّح الله تعالى معه (كل) يعني كل الطير والجبال (له اواب) رجّاع الى ما يريد مطيع له بالتسبيح معه قال الجبائي لا يمتنع ان يكون الله تعالى خلق في الطيور من المعارف ما تفهم به أمر داود (ع) ونهيه فتطيعه فيما يريد منها وان لم تكن كاملة العقل مكلفة (وشددنا ملكه) اي قوّينا ملكه بالحرس والجنود والهيبة وكثرة العدد والعدة (وآتيناه الحكمة) وهي النبوة وقيل الإصابة في الأمور وقيل العلم بالله وشرائعه عن ابي العالية والجبائي (وفصل الخطاب) يعني الشهود والإيمان وان البينة على المدعي واليمين على من انكر لأن خطاب الخصوم لا ينفصل ولا ينقطع الا بهذا وهو قول الأكثرين وقيل فصل الخطاب هو العلم بالقضاء والفهم عن ابن مسعود والحسن ومقاتل وقتادة وقال البلخي يجوز ان يكون المراد بتسبيح الجبال معه ما اعطاه الله تعالى من حسن الصوت بقراءة الزبور فكان اذا قرأ الزبور او رفع صوته بالتسبيح بين الجبال ردّت الجبال عليه مثله من الصدى فسمى الله ذلك تسبيحاً

قوله تعالى (٢١) وَهَلْ أَتَيْكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢٢) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٣) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٤) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ

حتى وقع الطاعون فمات فيه في قصة طويلة ذكره الطبري في تاريخه «ج١: ٥٩٦ ـ ٦١٠» وابن الاثير في الكامل «ج١ : ١٧١ ـ ١٧٤» ، يقول الاعشى : لم ينج من الموت احد و لا النعمان ويأفق اى يفضل على أصحابه . و قيل : يأخذ من الافاق وفي اللسان «بغبطته» بدل «بنعمته» .

كَثِيراً مِنَ ٱلْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ (٢٥) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (خمس آيات)

—« القراءة »—

في الشواذ قراءة ابي رجاء وقتادة ولا تَشْطُطْ بفتح التاء وضم الطاء وقراءة الحسن والأعرج نِعجة ولي نِعجة بكسر النون وقراءة ابي حيوة وعزني بتخفيف الزاي وقراءة عمر بن الخطاب فتناه بتشديد التاء والنون وقراءة قتادة وابي عمرو وفي بعض الروايات الشاذة فتناه بتخفيف النون

﴿ الحجة ﴾

اما قراءة ولا تَشْطُطْ من شطَّ يَشِطّ ويَشُطُّ اذا بعد قال عنترة

شَطَّتْ مَزَارَ ٱلْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِراً عَلَيَّ طِلَابُكِ ٱبْنَةَ مَخْرَمِ (١)

قال ابن جني معناه بَعُدَتْ عن مزار العاشقين ولما بالغ في ذكر استضراره بها خاطبها بذلك لأنه ابلغ فعدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب فقال طلابك فأما النعجة فهي لغة في النَعْجة ومثله لِقْوَة ولَقْوَة وقوم شَجْمة وشِجْمة اي شجعان واما عزني بالتخفيف فيمكن ان يكون اصله عزّني غير انه خفف بحذف الزاي الثانية أو الأولى كما قالوا في مسست وظللت مست وظلت واما قوله فتّناه فإنما هو فعّلناه للمبالغة واما فتناه بتخفيف النون فإن المراد بالتثنية هنا الملكان اللذان اختصما اليه اي اختبراه

﴿ اللغة ﴾

الخصم هو المدعي على غيره حقا من الحقوق والمنازع له فيه ويعبَّر به عن الواحد والاثنين والجماعة بلفظ واحد لأن اصله المصدر فيقال رجل خصم ورجلان خصم ورجال خصم يقال خاصمته فخصمته اخصمه خصما. والتسور الاتيان من جهة السور يقال تسور فلان الدار اذا أتاها من جهة سورها. والمحراب مجلس الاشراف الذي يحارب دونه لشرف صاحبه ومنه سمي المصلي محراباً وموضع القبلة محراباً واشط الرجل في حكمه اذا جار فهو مشط وشط عليه في السوم يشط شططا قال

أَلَا يَا لَقَوْمِي قَدْ أَشَطَّتْ عَوَاذِلِي وَيَزْعَمْنَ أَنْ أَوْدَى بِحَقِّيَ بَاطِلِي (٢)

=(الإعراب)=

اذ دخلوا بدل من قوله اذ تسوَّروا وقيل ان التسور في زمان غير زمان الدخول. خصمان خبر مبتدأ محذوف اي نحن خصمان. وقليل ماهم هم مبتدأ وقليل خبره وما زائدة ويجوز ان يكون ما بمعنى الذى وهم مبتدأ والخبر محذوف اي وقليل الذين هم كذلك

﴿ المعنى ﴾

لمّا ذكر سبحانه انه آتى داود الحكمة وفصل الخطاب عقّبه بذكر من تخاصم اليه فقال (وهل أتاك) يا محمد (نبؤ الخصم) اي هل بلغك خبرهم والمراد بالاستفهام هنا الترغيب في الاستماع والتنبيه على موضع اخلاله ببعض ما كان ينبغي ان يفعله (اذ تسوَّروا المحراب) اي حين صعدوا اليه المحراب وأتوه من اعلى

(١) هذا بيت من المعلقة يقول: بعدت الحبيبة عن مزار العاشقين فعسر على طلبها ثم التفت الى الخطاب بها وخاطبها بقوله «طلابك . . . اه» وفي رواية الزوزني وغيره «حلت بأرض الزائرين فاصبحت . . اه» اى نزلت بأرض الاعداء. (٢) قائله الاحوص.

سوره وهو مصلاه وإنما جمعهم لأنه اراد المدعي والمدعى عليه ومن معهما وقد تعلّق به من قال ان اقل الجمع اثنان واجيب عن ذلك بأنه اراد الفريقين (اذ دخلوا على داود ففزع منهم) لدخولهم عليه في غير الوقت الذي يحضر فيه الخصوم من غير الباب الذي كان يدخل الخصوم منه ولأنهم دخلوا عليه بغير اذنه (قالوا لا تخف خصمان) اي فقالوا لداود نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) فجئناك لتقضي بيننا وذلك قوله (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) اي ولا تجر علينا في حكمك ولا تجاوز الحق فيه بالميل لأحدنا على صاحبه (واهدنا الى سواء الصراط) اي دلّنا وارشدنا الى وسط الطريق الذي هو طريق الحق ثم حكى سبحانه ما قاله احد الخصمين لصاحبه بقوله (ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة) قال الخليل النعجة هي الانثى من الضأن والبقر الوحشية والشاة الجبلية والعرب تكني عن النساء بالنعاج والظباء والشاة قال الأعشى

فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ ... فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا (١)

قال عنترة

يَا شَاةُ مَا قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ ... حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ (٢)

(فقال أكفلنيها) اي ضمّها اليّ واجعلني كافلها الذي يلزم نفسه القيام بها وحياطتها والمعنى اعطنيها وقيل معناه انزل لي عنها حتى تصير في نصيبي عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد (وعزّني في الخطاب) اي غلبني في مخاطبة الكلام وقيل معناه انه اذا تكلّم كان أبين مني وان بطش كان أشدّ مني وان دعا كان اكثر مني عن (٣) الضحاك (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك) معناه ان كان الأمر على ما تدّعيه لقد ظلمك بسؤاله اياك بضم نعجتك (الى نعاجه) فاضاف المصدر الى المفعول به (وان كثيراً من الخلطاء) اي الشركاء المخالطين جمع الخليط (ليبغي بعضهم على بعض) ثم استثنى من جملة الخلطاء الذين يبغي بعضهم على بعض الذين آمنوا فقال (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اي فإنهم لا يظلم بعضهم بعضا (وقليل ما هم) اي وقليل هم ومامزيدة (وظنّ داود أنما فتناه) اي وعلم داود انا اختبرناه وابتليناه وقيل إنا شددنا عليه في التعبد عن علي بن عيسى وقيل اراد الظن المعروف الذي هو خلاف اليقين (فاستغفر ربه) اي سأل الله سبحانه المغفرة والستر عليه (وخرّ راكعا) اي صلى لله تعالى (وأناب) اليه وقيل سقط ساجداً لله تعالى ورجع اليه وقد يعبّر عن السجود بالركوع قال الشاعر

فَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ رَاكِعاً ... وَتَابَ إِلَى اللهِ مِنْ كُلِّ ذَنْبِ

قال الحسن انما قال وخرّ راكعاً لأنه لا يصير ساجداً حتى يركع وقال مجاهد مكث اربعين يوما ساجداً لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة يقيمها او لحاجة لا بدّ منها (ففغرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى) اي قربى وكرامة (وحسن مآب) في الجنة واختلف في استغفار داود (ع) من اي شيء كان فقيل انه حصل منه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والخضوع له والتذلل بالعبادة والسجود كما حكى سبحانه عن ابراهيم «ع» بقوله والذي اطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين واما قوله ففغرنا له ذلك فالمعنى انا قبلناه منه وأثبناه عليه فأخرجه على لفظ الجزاء مثل قوله يخادعون الله وهو خادعهم وقوله الله يستهزئ بهم فلما كان المقصود من الاستغفار والتوبة القبول قيل في جوابه غفرنا وهذا قول من ينزّه الأنبياء عن جميع الذنوب من الإمامية وغيرهم ومن جوّز على الأنبياء الصغائر قال ان استغفاره كان لذنب صغير وقع منه ثم انهم

(١) يصف معاشقته بامرأة ذات بعل واصابته منها بعد انتهاز فرصة ومراقبة طويلة لغفلة بعلها و الضمير في «عينه» و«شاته يرجع» الى زوج تلك المرأة . (٢) هذا ايضاً من معلقته المشهورة ، و القنص : المصيد . يقول : يا هؤلاء اشهدوا شاة قنص لمن حلت له فتعجبوا من حسنها و جمالها لكنها حرمت علي و ذكر الزوزني في الحرمة ←

اختلفوا في ذلك على وجوه ﴿احدها﴾ ان أوريا بن حيان خطب امرأة وكان أهلها أرادوا أن يزوجوها منه فبلغ داود جمالها فخطبها ايضا فزوّجوها منه فقدّموه على اوريا فعوتب داود على الحرص على الدنيا عن الجبائي ﴿وثانيها﴾ انه اخرج اوريا إلى بعض ثغوره فقتل فلم يجزع عليه جزعه على أمثاله من جنده إذ مالت نفسه إلى نكاح امرأته فعوتب على ذلك بنزول الملكين ﴿وثالثها﴾ انه كان في شريعته ان الرجل إذا مات وخلف امرأة فأولياؤه أحق بها الا ان يرغبوا عن التزويج بها فحينئذ يجوز لغيرهم أن يتزوج بها فلما قتل اوريا خطب داود «ع» امرأته ومنعت هيبة داود وجلالته اولياءه ان يخطبوها فعوتب على ذلك ﴿ورابعها﴾ ان داود كان متشاغلا بالعبادة فأتاه رجل وامرأة متحاكمين اليه فنظر إلى المرأة ليعرفها بعينها وذلك نظر مباح فمالت نفسه اليها ميل الطباع ففصل بينهما وعاد إلى عبادة ربه فشغله الفكر في امرها عن بعض نوافله فعوتب «وخامسها» انه عوتب على عجلته في الحكم قبل التثبت وكان يجب عليه حين سمع الدعوى من احد الخصمين ان يسأل الآخر عما عنده فيها ولا يحكم عليه قبل ذلك وانما أنساه التثبت في الحكم فزعه من دخولهما عليه في غير وقت العادة واما ما ذكر في القصة ان داود كان كثير الصلاة فقال يا رب فضلت عليّ ابراهيم فاتخذته خليلا وفضلت عليّ موسى فكلمته تكليما فقال يا داود انا ابتليناهم بما لم نبتلك بمثله فإن شئت ابتليتك فقال نعم يا رب فابتلني فبينا هو في محرابه ذات يوم إذ وقعت حمامة فأراد أن يأخذها فطارت إلى كوة المحراب فذهب ليأخذها فاطلع من الكوة فإذا امرأة اوريا بن حيان تغتسل فهويها وهم بتزويجها فبعث باوريا إلى بعض سراياه وأمر بتقديمه امام التابوت الذي فيه السكينة ففعل ذلك وقتل فلما انقضت عدتها تزوّجها وبنى بها فولد له منها سليمان فبينا هو ذات يوم في محرابه يقرأ إذ دخل عليه رجلان ففزع منهما فقالا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض إلى قوله وقليل ما هم فنظر احد الرجلين إلى صاحبه ثم ضحك فتنبّه داود على انهما ملكان بعثهما الله اليه في صورة خصمين ليبكتاه على خطيئته فتاب وبكى حتى نبت الزرع من كثرة دموعه فمما لا شبهة في فساده[1] فإن ذلك مما يقدح في العدالة فكيف يجوز أن يكون انبياء الله الذين هم أمناؤه على وحيه وسفراؤه بينه وبين خلقه بصفة من لا تقبل شهادته وعلى حالة تنفر عن الاستماع اليه والقبول منه جلّ انبياء الله عن ذلك وقد روي عن امير المؤمنين «ع» انه قال لا اوتى برجل يزعم ان داود تزوج امرأة اوريا إلا جلدته حدّين حدا للنبوة وحدا للإسلام وقال ابو مسلم لا يمتنع ان يكون الداخلان على داود كانا خصمين من البشر وان يكون ذكر النعاج محمولا على الحقيقة دون الكناية وإنما خاف منهما لدخولهما من غير اذن وعلى غير مجرى العادة وإنما عوتب على انه حكم بالظلم على المدعى عليه قبل ان يسأله

قوله تعالى (٢٦) يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٧) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٨) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٩) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

---

[1] المذكورة في البيت و جهان فراجع ان شئت . (٣) و في المخطوطتين هكذا « و ان دعا كان اكثر منى وان بطش . . . » (١) جواب «اما» في قوله «واما ذكر في القصة ان داود . . . »

وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ (اربع آيات)

القراءة

قرأ ابو جعفر والاعمش والبرجمي لتدبروا بالتاء وتخفيف الدال والباقون بالياء وتشديد الدال

الحجة

لتدبروا اصله لتتدبروا فحذفت التاء الثانية التي هي فاء الفعل وقوله ليدَّبروا اصله ليتدبروا فادغم التاء في الدال

اللغة

الخليفة هو المدبر للأمور من قبل غيره بدلا من تدبيره وفلان خليفة الله في ارضه معناه انه جعل اليه تدبير عباده بأمره

المعنى

ثم ذكر سبحانه اتمام نعمته على داود «ع» بقوله (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) أي صيَّرناك خليفة تدبر امور العباد من قبلنا بأمرنا وقيل معناه جعلناك خلف من مضى من الأنبياء في الدعاء إلى توحيد الله تعالى وعدله وبيان شرائعه عن ابي مسلم (فاحكم بين الناس بالحق) أي افصل أمورهم بالحق وضع كل شيء موضعه (ولا تتبع الهوى) أي ما يميل طبعك اليه ويدعو هواك اليه إذا كان مخالفا للحق (فيضلك عن سبيل الله) معناه انك إذا اتبعت الهوى عدل الهوى بك عن سبيل الحق الذي هو سبيل الله (ان الذين يضلون عن سبيل الله) أي يعدلون عن العمل بما أمرهم الله (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أي لهم عذاب شديد يوم الحساب بتركهم طاعات الله في الدنيا عن عكرمة والسدي ويكون على هذا يتعلق يوم الحساب بعذاب شديد وقيل معناه لهم عذاب شديد باعراضهم عن ذكر يوم القيامة فيكون يوم متعلقا بنسوا (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا) لا غرض فيه حكمي بل خلقناهما لغرض حكمي وهو مافي ذلك من اظهار الحكمة وتعريض انواع الحيوان للمنافع الجليلة وتعريض العقلاء منهم للثواب العظيم وهذا ينافي قول اهل الجبر ان كل باطل وضلال فهو من فعل الله (ذلك ظن الذين كفروا) بالله وجحدوا حكمته (فويل للذين كفروا من النار) ظاهر المعنى ثم قال سبحانه على وجه التوبيخ للكفار على وجه الاستفهام (أم نجعل الذين آمنوا) معناه بل أنجعل الذين صدقوا الله ورسله (وعملوا الصالحات) والطاعات (كالمفسدين في الأرض) العاملين بالمعاصي (أم نجعل المتقين كالفجار) اي بل أنجعل المتقين الذين اتقوا المعاصي لله خوفا من عقابه كالفجار الذين عملوا بالمعاصي وتركوا الطاعات اي ان هذا لا يكون أبدا ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (كتاب أنزلناه اليك مبارك) اي هذا القرآن كتاب منزل اليك مبارك اي كثير نفعه وخيره فإن في التدين به يستبين الناس ما انعم الله عليهم (ليدَّبروا آياته) اي ليتفكَّر الناس ويتَّعظوا بمواعظه (وليتذكر اولوا الالباب) اي اولوا العقول فهم المخاطبون به

قوله تعالى (٣٠) وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣١) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣٢) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٣) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٤) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ

جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ (٣٥) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَ يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٦) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٧) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٨) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٩) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (احدى عشرة آية)

اللغة

الصافنات جمع الصافنة من الخيل وهي التي تقوم على ثلاثة قوائم وترفع إحدى يديها حتى تكون على طرف الحافر يقال صفنت الخيل تصفن صفونا إذا وقفت كذلك قال الشاعر

أَلِفَ الصُّفُونَ فَلاَ يَزَالُ كَأَنَّهُ مِمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلاَثِ كَسِيرَا (١)

والجياد جمع جواد والياء هاهنا منقلبة عن واو والاصل جواد وهي السراع من الخيل كأنها تجود بالركض وقيل هو جمع جود فيكون مثل سوط وسياط والكرسي السرير وأصله من التكرس وهو الاجتماع ومنه الكراسة لاجتماعها والرخاء الريح اللينة وهي من رخاوة المرور وسهولته والاصفاد جمع صفد وهو الغل ومنه يقال للعطاء صفد لأنه يرتبط بشكره كما قيل «وَمَنْ الإِحْسَانَ قَيَّدَا تَقَيَّدَا» (٢)

الإعراب

حب الخير نصب على انه مفعول به والتقدير اخترت حب الخير وعن في قوله عن ذكر ربي بمعنى على وعلى هذا فيكون احببت بمعنى استحببت مثل ما في قوله الذين يستحبّون الحياة الدنيا على الآخرة أي يؤثرونها وقال ابو علي أحببت بمعنى قعدت ولزمت من قولهم أحبّ البعير إذا برك وقوله حبّ الخير مفعول له أي لزمت الأرض لحب الخير معرضا عن ذكر ربي فعن في موضع نصب على الحال وذكر مصدر مضاف إلى المفعول ويجوز ان يكون مضافا إلى الفاعل أي عما ذكرني ربي حيث امرني في التوراة بإقامة الصلاة. توارت بالحجاب أي توارت الشمس ولم يجر لها ذكر لأنه شيء قد عرف كقوله سبحانه إنا أنزلناه يعني القرآن ولم يجر له ذكر وقوله كل من عليها فان يعني الارض قال الزجاج في الآية دليل يدل على الشمس وهو قوله إذ عرض عليه فهو في معنى عرض عليه بعد زوال الشمس حتى توارت الشمس بالحجاب قال وليس يجوز الاضمار إلا ان يجري ذكر او دليل بمنزلة الذكر وقوله مسحا مصدر فعل محذوف وهو خبر طفق التقدير فطفق يمسح مسحا وقوله رخاء منصوب على الحال والعامل فيه تجري فهو حال من حال لأن تجري في محل نصب بكونه حالا وكل بناء بدل من الشياطين بدل البعض من الكل وقوله بغير حساب في موضع نصب على الحال تقديره غير محاسب

المعنى

ثم عطف سبحانه على قصة داود «ع» حديث سليمان فقال (ووهبنا لداود سليمان) أي وهبناه له ولدا (نعم العبد) أي نعم العبد سليمان (انه أواب) أي رجاع إلى الله تعالى في أمور دينه ابتغاء مرضاته (إذ عرض عليه) يجوز ان يتعلق إذ بنعم العبد أي نعم العبد هو حين عرض عليه ويجوز ان يتعلق باذكر يا محمد المحذوف لدلالة الكلام عليه (بالعشي) أي في آخر النهار بعد زوال الشمس (الصافنات) الخيل الواقفة على ثلاث قوائم الراضعة طرف السنبك الرابع على الارض (الجياد) السريعة المشي الواسعة الخطو قال مقاتل انه ورث من ابيه الف فرس وكان ابوه قد اصاب ذلك من العمالقة وقال الكلبي غزا سليمان دمشق ونصيبين فأصاب الف فرس وقال الحسن كانت خيلا خرجت من البحر لها اجنحة وكان سليمان قد صلّى الصلاة الاولى وقعد على كرسيه والخيل تعرض

(١) يقول الف الفرس الوقوف على ثلثة ارجل واعتاده بحيث لو تراه فكانه مكسور الرجل. (٢) عجز بيت نسوب الى المتنبي قاله في مدح سيف الدولة وقبله «وقيدت نفسي في ورائك محبة».

عليه حتى غابت الشمس (فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي) والمراد بالخير الخيل هنا فإن العرب تسمي الخيل الخير عن قتادة والسدي فالمعنى آثرت حب الخيل من ذكر ربي أي على ذكر ربي قال الفراء. كل من أحب شيئا فقد آثره وفي قراءة ابن مسعود حب الخيل وسمى النبي ﷺ زيد الخيل زيد الخير وقال ﷺ الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة وقيل معناه حب المال عن سعيد بن جبير والخيل مال والخير بمعنى المال كثير في التنزيل وقيل ان هذه الخيل كانت شغلته عن صلاة العصر حتى فات وقتها عن علي (ع) وقتادة والسدي وفي روايات اصحابنا انه فاته اول الوقت وقال الجبائي لم يفته الفرض وانما فاته نفل كان يفعله آخر النهار لاشتغاله بالخيل وقيل ان ذكر ربي كناية عن كتاب الله التوراة فالمعنى اني احببت الخيل عن كتاب الله وكما ان ارتباط الخيل ممدوح في كتابنا كذلك كان في كتابهم عن ابي مسلم (حتى توارت بالحجاب) اي غربت الشمس عن ابن مسعود وجماعة من المفسرين وجاز وان لم يجر للشمس ذكر كما قال لبيد

حَتّى إذا أَلْقَتْ يَداً في كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْراتِ الثُّغُورِ ظَلامُها (١)

وقيل الضمير للخيل يعني حتى توارت الخيل بالحجاب بمعنى انها شغلت فكره إلى تلك الحال وهي غيبوبتها عن بصره وذلك بأنه أمر باجراء الخيل فأجريت حتى غابت عن بصره عن ابي مسلم وعلي بن عيسى (ردوها علي) أي قال لأصحابه ردّوا الخيل عليّ عن اكثر المفسرين وقيل معناه انه سأل الله تعالى ان يردّ الشمس عليه فردّها عليه حتى صلى العصر فالهاء في ردّوها كناية عن الشمس عن علي بن ابي طالب (ع) (فطفق مسحا بالسوق والاعناق) قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان المسح هاهنا القطع والمعنى انه اقبل يضرب سوقها واعناقها لأنها كانت سبب فوت صلاته عن الحسن ومقاتل وقال ابو عبيدة تقول العرب مسح علاوته أي ضرب عنقه وقيل انه انما فعل ذلك لأنها كانت اعزّ ماله فتقرّب إلى الله تعالى بأن ذبحها ليتصدّق بلحومها ويشهد بصحته قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه فجعل يمسح اعراف خيله وعراقيبها بيده حبّاً لها عن ابن عباس والزهري وابن كيسان قال ابن عباس سألت علياً (ع) عن هذه الآية فقال ما بلغك فيها يا ابن عباس قلت سمعت كعبا يقول اشتغل سليمان بعرض الافراس حتى فاتته الصلاة فقال ردّوها عليّ يعني الافراس كانت اربعة عشر فأمر بضرب سوقها واعناقها بالسيف فقتلها فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوماً لأنه ظلم الخيل بقتلها فقال علي (ع) كذب كعب لكن اشتغل سليمان بعرض الافراس ذات يوم لأنه اراد جهاد العدو حتى توارت الشمس بالحجاب فقال بأمر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردّوها عليّ فردّت فصلى العصر في وقتها وان انبياء الله لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم لأنهم معصومون مطهرون ﴿ وثالثها ﴾ انه مسح اعناقها وسوقها وجعلها مسبلة في سبيل الله تعالى وقيل لتغلب ان قطرباً يقول مسحها وبارك عليها فأنكر ذلك وقال القول ما قال الفراء انه ضرب اعناقها وسوقها ثم قال سبحانه (ولقد فتنا سليمان) أي اختبرناه وابتليناه وشددنا المحنة عليه (والقينا على كرسيه جسداً) أي وطرحنا عليه جسداً والجسد الذي لا روح فيه ثم اناب سليمان واختلف العلماء في زلته وفتنته والجسد الذي القي على كرسيه على أقوال « منها » ان سليمان قال يوماً في مجلسه لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة تلد كل امرأة منهن غلاما يضرب بالسيف في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد رواه ابو هريرة عن النبي ﷺ قال ثم قال فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا فالجسد الذي القي على كرسيه كان هذا ثم أناب الى الله تعالى وفزع الى الصلاة والدعاء على وجه الانقطاع اليه سبحانه وهذا لا يقتضي انه وقع منه معصية صغيرة ولا كبيرة لأنه وان لم يستثن ذلك لفظا فلا بدّ من أن يكون قد استثناه ضميراً واعتقاداً اذ لو كان قاطعاً للقول بذلك لكان مطلقا لما لا يأمن من ان يكون كذبا الا انه لما لم يذكر لفظة الاستثناء عوتب على ذلك من حيث ترك ما هو مندوب اليه « ومنها » ما روي ان الجن والشياطين لما ولد لسليمان ابن قال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لنلقين منه ما لقينا

(١) البيت من المعلقات يصف اشرافه على الاعداء وصعوده جبلا ووقوفه على الجبل الى غروب الشمس . والكافر الليل . والاجنان : الستر . والثغر: موضع المخافة و عورته : اشده مخافة ، يقول : حتى اذا القت الشمس يدها في الليل اى ابتدأت في الغروب وعبر عن هذا المعنى بالقاء اليد ، لان من ابتدأ بالشيء قيل القى يده فيه ، وستر الظلام : مواضع المخافة والضمير في « ظلامها» للعورات .

من ابيه من البلاء فأشفق منهم عليه فاسترضعه في المزن وهو السحاب فلم يشعر الا وقد وضع على كرسيه ميتا تنبيها على ان الحذر لا ينفع عن القدر فانما عوتب على خوفه من الشياطين عن الشعبي وهو المروي عن ابي عبدالله (ع) «ومنها» انه ولد له ولد ميت جسد بلا روح فألقي على سريره عن الجبائي ومنها ان الجسد المذكور هو جسد سليمان لمرض امتحنه الله تعالى به وتقدير الكلام والقينا منه على كرسيه جسداً لشدّة المرض فيكون جسداً منصوبا على الحال والعرب تقول في الانسان اذا كان ضعيفا هو جسد بلا روح ولحم على وضم (ثم أناب) اي رجع الى حال الصحة عن ابي مسلم واستشهد على ذلك بقوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الى قوله يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين ولو اتى بالكلام على شرحه لقال يقول الذين كفروا منهم اي من المجادلين كما قال سبحانه محمد رسول الله الى قوله وعدالله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة ومثله قول الاعشى

وَكَأَنَّ السُّمُوطَ عَلَّقَهَا السِّلْـــــكُ بِعَطْفَيْ جَيْدَاءَ أُمِّ غَزَالِ (١)

ولو أتى بالشرح لقال علّقها السلك منها وقال كعب بن زهير

زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشُفٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ (٢)

ولو اتى بالشرح لقال فما زال منهم انكاس واما ما ذكر عن ابن عباس انه ألقي شيطان اسمه صخر على كرسيه وكان ما رداً عظيماً لا يقوى عليه جميع الشياطين وكان نبي الله سليمان لا يدخل الكنيف بخاتمه فجاء صخر في صورة سليمان حتى أخذ الخاتم من امرأة من نسائه واقام اربعين يوما في ملكه وسليمان هارب وعن مجاهد ان شيطانا اسمه آصف قال له سليمان كيف تفتنون الناس قال ارني خاتمك اخبرك بذلك فلما اعطاه اياه نبذه في البحر فذهب ملكه وقعد الشيطان على كرسيه ومنعه الله تعالى نساء سليمان فلم يقربهن وكان سليمان يستطعم فلا يطعم حتى اعطته امرأة يوما حوتا فشقّ بطنه فوجد خاتمه فيه فردّ الله عليه ملكه وعن السدي ان اسم ذلك الشيطان حيقيق وما ذكر ان السبب في ذلك ان الله سبحانه أمره ان لا يتزوج في غير بني اسرائيل فتزوّج من غيرهم وقيل بل السبب فيه انه وطئ امرأة في حال الحيض فسال منه الدم فوضع خاتمه ودخل الحمام فجاء ابليس الشيطان وأخذه وقيل تزوّج امرأة مشركة ولم يستطع ان يكرهها على الاسلام فعبدت الصنم في داره اربعين يوما فابتلاه الله بحديث الشيطان والخاتم اربعين يوما وقيل احتجب ثلاثة ايام ولم ينظر في أمر الناس فابتلي بذلك فإن جميع ذلك مما لا يعوّل عليه لأن النبوة لا تكون في خاتم ولا يجوز ان يسلبها الله النبي ولا أن يمكّن الشيطان من التمثل بصورة النبي والقعود على سريره والحكم بين عباده وبالله التوفيق ثم حكى سبحانه دعاء سليمان حين اناب الى الله تعالى بقوله (قال رب اغفرلي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك انت الوهاب) يسأل عن هذا فيقال ان هذا القول من سليمان يقتضي الضن والمنافسة لأنه لم يرض بأن يسأل الملك حتى اضاف الى ذلك ان يمنع غيره منه (واجيب) عنه باجوبة ﴿احدها﴾ ان الأنبياء لا يسألون الا ما يؤذن لهم في مسألته وجائز ان يكون الله تعالى اعلم سليمان انه ان سأل ملكا لا يكون لغيره كان اصلح له في الدين واعلمه انه لا صلاح لغيره في ذلك ولو ان احدنا صرّح في دعائه بهذا الشرط حتى يقول اللهم اجعلني اكثر اهل زماني مالا اذا علمت ان ذلك اصلح لي لكان ذلك منه حسناً جائزاً ولا ينسب في ذلك الى شحّ وضن واختاره الجبائي ﴿وثانيها﴾ انه يجوز ان يكون التمس من الله تعالى آية لنبوته يبيّن بها من غيره واراد لا ينبغي لأحد غيري ممن انا مبعوث اليه ولم يرد من بعده الى يوم القيامة من النبيين كما يقال انا لا اطيع احدا بعدك اي لا اطيع احدا سواك ﴿وثالثها﴾ ما قاله المرتضى قدس الله روحه انه يجوز ان يكون إنما سأل ملك الآخرة وثواب الجنة ويكون معنى قوله لا ينبغي لأحد من بعدي لا يستحقه بعد وصولي اليه احد من حيث لا يصلح ان يعمل ما يستحق به ذلك لانقطاع التكليف ﴿ورابعها﴾ انه التمس معجزة تختص به كما ان موسى يختص

(١) قيل: يعني كأن العقد من هذه المرنة معلق على جيد ظبية. (٢) هذا بيت من قصيدة لامية له قالها في مدح النبي (ص) وقبل هذا البيت ببيت قوله «ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول». الانكاس جمع نكس: الضعيف. والكشف جمع اكشف: الذي لا ترس معه والميل جمع امیل: الذي لا سيف معه، والمعازيل

بالعصا واليد البيضاء. واختص صالح بالناقة ومحمد ﷺ بالمعراج والقرآن ويدل عليه ما روي مرفوعا عن النبي ﷺ انه صلى صلاة فقال ان الشيطان عرض لي ليفسد علي الصلاة فامكنني الله منه فدفعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا وتنظروا اليه اجمعين فذكرت قول سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فردّه الله خاسئا خائبا اورده البخاري ومسلم في الصحيحين ثم بيّن سبحانه انه اجاب دعاه بقوله (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء) اي لينة سهلة عن ابن زيد وقيل طيبة سريعة عن قتادة وقيل مطيعة تجري الى حيث يشاء عن ابن عباس (حيث اصاب) اي حيث اراد سليمان من النواحي عن اكثر المفسرين وحقيقته حيث قصد والمعنى انه ينطاع له كيف اراد قال الحسن كان يغدو من ايليا ويقيل بقزوين ويبيت بكابل «سؤال» كيف وصف سبحانه الريح بالعاصف في قوله ولسليمان الريح عاصفة ووصفها هنا بخلافه «جوابه» يجوز ان يكون الله سبحانه جعلها عاصفة تارة ورخاء اخرى بحسب ما اراد سليمان (ع) (والشياطين) اي وسخّرنا له الشياطين ايضا (كل بنّاء) في البرّ يبني له ما اراد من الأبنية الرفيعة (وغواص) في البحر على اللآلي والجواهر فيستخرج له ما يشاء منها (وآخرين مقرنين في الاصفاد) اي وسخّرنا له آخرين من الشياطين مشدودين في الأغلال والسلاسل من الحديد وكان يجمع بين اثنين وثلاثة منهم في سلسلة لا يمتنعون عليه اذا اراد ذلك بهم عند تمردهم وقيل انه إنما كان يفعل ذلك بكفارهم فإذا آمنوا اطلقهم (هذا عطاؤنا) اي هذا الذي تقدّم ذكره من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك عطاؤنا (فامنن أو أمسك) اي فاعط من الناس من شئت وامنع من شئت والمنّ الاحسان الى من لا يستثيبه (بغير حساب) اي لا تحاسب يوم القيامة على ما تعطي وتمنع فيكون اهنأ لك عن قتادة والضحاك وسعيد بن جبير وقيل معناه بغير جزاء اي اعطيناكه تفضلا لا مجازاة عن الزجاج وقيل ان المعنى فانعم على من شئت من الشياطين بإطلاقه او أمسك من شئت منهم في وثاقه وصرفه في عمله من غير حرج عليك فيما تفعله (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) معناه وان لسليمان عندنا لقربى وحسن مرجع في الآخرة وهذا من اعظم النعم اذ هي النعمة الباقية الدائمة

قوله تعالى (٤١) وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤٢) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٣) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٤) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (اربع آيات)

القراءة

قرأ ابو جعفر بنصَبٍ بضمتين وقرأ يعقوب بنصب بفتحتين والباقون بضم النون وسكون الصاد

الحجة

قال الزجاج النُصب والنَصَب لغتان كالرُشد والرَشَد والبُخل والبَخَل تقول نصبت نُصباً ونَصَباً قال ابو عبيدة النصب البلاء والشر وانشد لبشر بن ابي حازم «تَعَنَّاكَ نَصْبٌ مِنْ لُمَيْمَةَ مُنْصِبُ» ومن قرأ بنصب بضمتين فانه اتبع الصاد ما قبله فهي أربع لغات

اللغة

الركض الدفع بالرجل على جهة الاسراع ومنه ركض الفرس لإسراعه إذا دفعه برجله قال سيبويه يقال رَكَضَتِ الدابة ورَكَضْتُها فهو مثل جبر العظم وجبرته والضغث مل الكف من الشجرة والحشيش والشماريخ وما أشبه ذلك

← الذى لاسلاح معهم، يصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عند الهجر من مكة وقوله «زالوا» اى تحولوا وانتقلوا وليس فيهم من هذه صفته، بل هم اقوياء ذوسلاح فرسان عند اللقاء.

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصة ايوب (ع) فقال (واذكر) يا محمد (عبدنا ايوب) شرّفه الله سبحانه بأنه أضافه إلى نفسه واقتدِ به في الصبر على الشدائد وكان في زمان يعقوب بن اسحاق وتزوج ليا بنت يعقوب (إذ نادى ربه) أي حين دعا ربه رافعا صوته يقول يا رب لأن النداء هو الدعاء بطريقة يا فلان ومتى قال اللهم افعل بي كذا وكذا كان داعيا ولا يكون مناديا (اني مسني الشيطان بنصب وعذاب) أي بتعب ومكروه ومشقة وقيل بوسوسة فيقول له طال مرضك ولا يرحمك ربك عن مقاتل وقيل بأن يذكره ما كان فيه من نعم الله تعالى من الأهل والولد والمال وكيف زال ذلك كله وحصل فيما هو فيه من البلية طمعا ان يزلّه بذلك ويجد طريقا إلى تضجره وتبرمه فوجده صابرا مسلما لأمر الله وقيل انه اشتدّ مرضه حتى تجنّبه الناس فوسوس الشيطان إلى الناس أن يستقذروه ويخرجوه من بينهم ولا يتركوا امرأته التي تخدمه ان تدخل عليهم فكان أيوب يتأذى بذلك ويتألم منه ولم يشك الألم الذي كان من امر الله تعالى قال قتادة دام ذلك سبع سنين وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) قال أهل التحقيق انه لا يجوز ان يكون بصفة يستقذره الناس عليها لأن في ذلك تنفيرا فأما المرض والفقر وذهاب الاهل فيجوز أن يمتحنه الله بذلك فأجاب الله دعاءه وقال له (اركض برجلك) أي ادفع برجلك الارض (هذا مغتسل بارد وشراب) وفي الكلام حذف أي فركض رجله فنبعت بركضته عين ماء وقيل نبعت عينان فاغتسل من احدهما فبرئ وشرب من الآخر فروي عن قتادة والمغتسل الموضع الذي يغتسل منه وقيل هو اسم للماء الذي يغتسل به عن ابن قتيبة (ووهبنا له اهله ومثلهم معهم) هذا مفسّر في سورة الانبياء وروي عن ابي عبد الله (ع) ان الله تعالى احيا له اهله الذين كانوا ماتوا قبل البلية واحيا له اهله الذين ماتوا وهو في البلية (رحمة منا) اي فعلنا ذلك به لرحمتنا اياه فيكون منصوبا بأنه مفعول له ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر لما كانت الموهبة بمعنى الرحمة (وذكرى لأولي الألباب) أي ليتذكّر ويعتبر به ذوو الالباب أي العقول ويعرفوا حسن عاقبة الصبر فيصبروا كما صبر قالوا انه اطعم جميع اهل قريته سبعة أيام وأمرهم بأن يحمدوا الله ويشكروه (وخذ بيدك ضغثا) وهو ملء الكف من الشماريخ وما اشبه ذلك أي وقلنا له ذلك وذلك انه حلف على امرأته لأمر انكره من قولها لئن عوفي ليضربنها مائة جلدة فقيل له خذ ضغثا بعدد ما حلفت به (فاضرب به) اي واضربها به دفعة واحدة فإنك إذا فعلت ذلك برت يمينك (ولا تحنث) في يمينك نهاه عن الحنث وروي عن ابن عباس انه قال كان السبب في ذلك ان ابليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة ايوب (ع) فقال اداويه على انه إذا برئ قال انت شفيتني لا أريد جزاء سواه قالت نعم فأشارت إلى ايوب بذلك فحلف ليضربنّها وقيل انها كانت ذهبت في حاجة فأبطأت في الرجوع فضاق صدر المريض فحلف ثم اخبر سبحانه عن حال ايوب وعظم منزلته فقال (انا وجدناه صابرا) على البلاء الذي ابتليناه به (نعم العبد انه أواب) اي رجّاع الى الله منقطع اليه وروى العياشي باسناده ان عباد المكي قال قال لي سفيان الثوري اني ارى لك من ابي عبد الله (ع) منزلة فاسأله عن رجل زنى وهو مريض فإن اقيم عليه الحد خافوا ان يموت ما تقول فيه فسألته فقال لي هذه المسألة من تلقاء نفسك او امرك بها انسان فقلت ان سفيان الثوري امرني ان أسألك عنها فقال ان رسول الله ﷺ أتي برجل أحبن[1] قد استسقى بطنه وبدت عروق فخذيه وقد زنى بامرأة مريضة فأمر رسول الله ﷺ فأتي بعرجون فيه مائة شمراخ فضربه به ضربة وضربها به ضربة وخلّى سبيلهما وذلك قوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث

قوله تعالى (٤٥) وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٦) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٧) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٨) وَاذْكُرْ

(١) الاحبن : الذي عظم بطنه وورم .

إِسْمٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ ٱلْأَخْيَارِ (٤٩) هٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَئَابٍ (٥٠) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ ٱلْأَبْوَابُ (٥١) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥٢) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٣) هٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ (٥٤) إِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (عشر آيات)

القراءة

قرأ ابن كثير وحده واذكر عبدنا ابراهيم والباقون عبادنا وقرأ اهل المدينة وهشام بخالصة ذكرى الدار غير منون على الاضافة والباقون بالتنوين وخلافهم في واليسع مذكور في سورة الانعام وقرأ ابن كثير وابو عمرو ما يوعدون بالياء وابن كثير وحده يقرأ في سورة ق بالياء ايضا والباقون بالتاء في الموضعين وفي الشواذ قراءة الحسن والثقفي اولي الايد بغير ياء

الحجة

قال ابو علي من قرأ عبدنا فإنه اختصه بالإضافة على وجه التكرمة له والاختصاص بالمنزلة الشريفة كما قيل في مكة بيت الله ومن قرأ عبادنا اجرى هذا الوصف على غيره من الانبياء ايضا وجعل ما بعده بدلا من العباد والأول جعل ابراهيم بدلا وما بعده معطوفا على المفعول به المذكور وقوله بخالصة ذكرى الدار يحتمل امرين «احدهما» ان يكون ذكرى بدلا من الخالصة تقديره انا اخلصناهم بذكرى الدار ويجوز ان يقدر في قوله ذكرى التنوين فيكون الدار في موضع نصب تقديره بأن يذكروا الدار بالتأهب للآخرة «والثاني» ان لا يقدر البدل ولكن يكون الخالصة مصدرا فيكون مثل قوله من دعاء الخير ويكون المعنى بخالصة تذكر الدار ويقوي هذا الوجه ما روي من قراءة الأعمش بخالصتهم ذكرى الدار وهذا يقوي النصب فكأنه قال بأن اخلصوا تذكير الدار فإذا نونت خالصة احتمل أمرين ﴿احدهما﴾ ان يكون المعنى بأن خلصت لهم ذكرى الدار فيكون ذكرى في موضع رفع بأنه فاعل ﴿والآخر﴾ أن يقدر المصدر الذي هو خالصة من الإخلاص فحذفت الزيادة فيكون المعنى بإخلاص ذكرى فيكون ذكرى في موضع نصب والدار يجوز ان يعنى بها الدنيا ويجوز ان يعنى بها الآخرة والذي يدل على انه يجوز ان يراد بها الدنيا قوله تعالى في الحكاية عن ابراهيم واجعل لي لسان صدق في الآخرين وقوله وجعلنا لهم لسان صدق فاللسان هو القول الحسن والثناء عليه لا الجارحة كما في قول الشاعر

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِنِّي ... فَلَيْتَ بِأَنَّهُ فِي جَوْفِ عِكْمِ (١)

وكذلك قول الآخر

إِنِّي أَتَانِي لِسَانٌ لَا أُسَرُّ بِهِ ... مِنْ عَلْوَ لَا كَذِبٌ فِيهِ وَلَا سَخَرُ (٢)

وقوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم وسلام على نوح في العالمين والمعنى ابقينا عليهم الثناء الجميل في الدنيا فالدار في هذا التقدير ظرف والقياس ان يتعدى الفعل والمصدر اليه بالحرف ولكنه على ذهبت الشام عند سيبويه ومَسَحْتُ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبَ (٣) «وأما» جواز كون الدار الآخرة في قوله أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار فيكون ذلك باخلاصهم ذكرى الدار ويكون ذكرهم لها وجل قلوبهم منها ومن حسابها كما قال وهم من الساعة مشفقون فالدار على هذا مفعول بها وليست كالوجه المتقدم وأما من اضاف فقال بخالصة ذكرى الدار فإن الخالصة تكون على ضروب تكون للذكر وغير الذكر فإذا اضيفت إلى ذكرى اختصت الخالصة

(١) قائله الحطيئة والعكم : داخل الجنب . (٢) قائله اعشى باهلة وتسبه المؤلف (ره) «في المجلد الثالث: ٥١٦» الى عامر بن الحرث وعلو : اسم مرأة على ما قيل . (٣) هذا جزء بيت لساعدة بن جؤية الهذلي وتمامه «لدن بهز الكف يعسل متنه» فيه كما عسل الطريق الثعلب » و هو مذكور في جامع الشواهد و قدمر في الكتاب ايضاً ←

بهذه الإضافة فتكون هذه الاضافة إلى المفعول به كأنه باخلاصهم ذكرى الدار أي بأن أخلصوا ذكرها والخوف منها لله ويكون على اضافة المصدر الذي هو الخالصة إلى الفاعل تقديره بأن خلصت لهم ذكرى الدار والدار على هذا يحتمل الوجهين اللذين تقدّما من كونها للآخرة والدنيا فأما قوله وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا فيجوز في خالصة وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون مصدراً كالعاقبة ﴿ والآخر ﴾ ان يكون وصفاً وكلا الوجهين يحتمل الآية فيجوز ان يكون ما في بطون هذه الانعام ذات خلوص ويجوز ان يكون الصفة وانث على المعنى لأنه كثرة والمراد به الأجنّة والمضامين[1] فيكون التأنيث على هذا ومن قرأ اليسع جعله اسما على صورة الصفات كالحارث والعباس ألا ترى ان فيعلا مثل ضيغم وحيدر كثير في الصفات ووجه قراءة من قرأ واليسع ان الالف واللام قد يدخلان الكلمة على وجه الزيادة كما حكى ابو الحسن الخمسة عشر درهما قال

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُؤًا وَعَسَاقِلاً وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ بَنَاتِ الْأَوْبَرِ[2]

وبنات الاوبر ضرب من الكمأة معرفة فأدخل في المعرفة الألف واللام على وجه الزيادة فكذلك التي تكون في اليسع ومن قرأ هذا ما توعدون بالتاء فعلى معنى قل للمتقين هذا ما توعدون والياء على معنى وان للمتقين لحسن مآب هذا ما يوعدون والياء اعم لأنه يصلح ان يدخل فيه الغيب من الأنبياء واما في سورة ق فنحو هذا وازلفت الجنة للمتقين هذا ما توعدون ايها المتقون على الرجوع من الغيبة إلى الخطاب أو على قل لهم هذا ما توعدون والياء على اخبار النبي ﷺ بما وعدوا كأنه هذا ما يوعدون أيها النبي ومن قرأ اولي الأيد بغير ياء فإنه يحتمل ان يكون أراد الأيدي فحذف الياء تخفيفاً كقوله يوم يدع الداع ونحو ذلك ويحتمل ان يكون أراد بالأيد القوة في طاعة الله ويدل عليه انه مقرون بالابصار أي البصر بما يحظى عند الله وعلى هذا فالايدي هنا إنما هي جمع اليد التي هي القوة لا التي هي الجارحة ولا النعمة لكنّه كقولك له يد في الطاعة

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج جنات بدل من حسن مآب مفتحة لهم الأبواب أي مفتحة لهم الأبواب منها وقال بعضهم مفتحة لهم ابوابها والمعنى واحد إلا ان على تقدير العربية الأبواب منها اجود ان يجعل الالف واللام بدلا من الهاء والالف لأن معنى الالف واللام ليس من معنى الهاء والالف في شيء لأن الهاء والالف اسم والالف واللام دخلتا للتعريف ولا يبدل حرف جاء بمعنى من اسم ولا ينوب عنه قال ابو علي مفتحة صفة لجنات عدن وفي مفتحة ضمير يعود إلى جنات والأبواب بدل من ذلك الضمير لأنك تقول فتحت الجنان إذا فتحت أبوابها فيكون من بدل البعض من الكل نحو ضربت زيداً رأسه وفي القرآن وفتحت السماء فكانت ابوابا وليس جنات عدن معرفة إذ ليس عدن بعلم وإنما هو بمنزلة جنات اقامة وقوله هذا خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر هذا، ويجوز ان يكون مبتدأ محذوف الخبر أي هذا امرهم

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدّم حديث الأنبياء فقال (واذكر) يا محمد لقومك وأمتك (عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) ليقتدوا بهم في حميد افعالهم وكريم خلالهم فيستحقوا بذلك حسن الثناء في الدنيا وجزيل الثواب في العقبى كما استحق أولئك وإذا قرئ عبدنا فيكون التقدير واذكر عبدنا ابراهيم خصّه بشرف الإضافة إلى نفسه واذكر اسحاق ويعقوب وصفهم جميعاً فقال (أولي الأيدي) اي ذوي القوة على العبادة (والابصار) الفقه في الدين عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ومعناه اولي العلم والعمل فالأيدي العمل والابصار العلم عن ابي مسلم وقيل أولي الأيدي أولي النعم على عباد الله بالدعاء الى الدين والابصار جمع البصر وهو العقل (انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) اي جعلناهم لنا خالصين بأن خلصت لهم ذكرى الدار والخالصة بمعنى الخلوص والذكرى

(١) الاجنة جمع الجنين . والمضامين ما في اصلاب الفحول (٢) جنيتك اى جنبت لك بمعنى قطعت . والعساقل جمع عسقول : نوع من الكمأة ابيض .

بمعنى التذكير اي خلص لهم تذكير الدار وهو انهم كانوا يتذكرونها بالتأهب لها ويزهدون في الدنيا كما هو عادة الأنبياء وقيل المراد بالدار الدنيا عن الجبائي وابي مسلم اي خصصناهم بالذكر في الاعقاب من بين أهل الدنيا (وانهم عندنا) وبحسب ما سبق في علمنا (لمن المصطفين) للنبوة وتحمل اعباء الرسالة (الاخيار) جمع خير كالاموات جمع ميت وهو الذي يفعل الأفعال الكثيرة الحسنة وقيل هي جمع خير فيكون كالأقيال جمع قيل وهذا مثل قوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين (واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل) اي اذكر لأمتك هؤلاء ايضاً ليقتدوا بهم ويسلكوا طريقتهم وقد تقدّم ذكرهم (وكل من الاخيار) قد اختارهم الله للنبوة (هذا ذكر) اي شرف لهم وذكر جميل وثناء حسن يذكرون به في الدنيا أبداً (وإن للمتقين لحسن مئاب) اي حسن مرجع ومنقلب يرجعون في الآخرة إلى ثواب الله ومرضاته ثم فسّر حسن المآب بقوله (جنات عدن) فهي في موضع جرّ على البدل اي جنات إقامة وخلود (مفتحة لهم الأبواب) اي يجدون ابوابها مفتوحة حين يردونها ولا يحتاجون إلى الوقوف عند ابوابها حتى تفتح وقيل معناه لا يحتاجون إلى مفاتيح بل تفتح بغير مفتاح وتغلق بغير مغلاق قال الحسن تكلم بقال افتحي انغلقي وقيل معناه انها معدّة لهم غير ممنوعين منها وإن لم تكن ابوابها مفتوحة قبل مصيرهم اليها كما يقول الرجل لغيره متى نشطت لزيارتي فالباب مفتوح والدست مبطوح[1] (متكئين فيها) اي مستندين فيها إلى المساند جالسين جلسة الملوك (يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) اي يتحكمون في ثمارها وشرابها فإذا قالوا لشيء منها قبل حصل عندهم (وعندهم قاصرات الطرف) اي وعندهم في هذه الجنان ازواج قصرن طرفهن على ازواجهن راضيات بهم ما لهنّ في غيرهم رغبة والقاصر تغيض الماء يقال فلان قاصر طرفه عن فلان وماد عينه إلى فلان قال امرؤ القيس

مِنَ القَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ ... مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الْإِتْبِ مِنْهَا لَأَثَّرَا[2]

(اتراب) اي اقران على سن واحد ليس فيهن عجوز ولا هرمة وقيل امثال واشباه عن مجاهد اي متساويات في الحسن ومقدار الشباب لا يكون لواحدة على صاحبتها فضل في ذلك وقيل اتراب على مقدار سن الازواج كل واحدة منهن ترب زوجها لا تكون اكبر منه قال الفراء الترب اللدة مأخوذ من اللعب بالتراب ولا يقال إلا في الإناث قال عمر بن ابي ربيعة

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى ... بَيْنَ عَشْرٍ كَوَاعِبٍ وَاتْرَابِ[3]

(هذا) يعني ما ذكر فيما تقدّم (ما توعدون) اي يوعد به المتقون او يخاطبون فيقال لهم هذا القول (ليوم الحساب) اي ليوم الجزاء (ان هذا) الذي ذكرنا (لرزقنا) اي عطاؤنا الجاري المتصل (ماله من نفاد) اي فناء وانقطاع لأنه على سبيل الدوام عن قتادة وقيل انه ليس لشيء في الجنة نفاد ما أكل من ثمارها خلف مكانه مثله وما أكل من حيوانها وطيرها عاد مكانه حيّاً عن ابن عباس

قوله تعالى (٥٥) هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٦) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٧) هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٨) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٩) هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٦٠) قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦١) قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (سبع آيات)

(القراءة)

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر غساق بالتشديد حيث كان في القرآن والباقون بالتخفيف وقرأ أهل

(١) الدست : الوسادة . (٢) المحول : الذي أتى عليه حول . والاتب : ثوب يشق وتجعله المرأة على عنقها من غير كم ولا جيب . يصف امرأة برقة الجلد ولطافته وانها في اللطافة والرقة بحيث لو دب هذا النمل من فوق ثوبها ليؤثر في جسدها . (٣) قال في اللسان المهاة : البلورة والدرة . والمهاة : بقرة الوحش سميت بذلك لبياضها على

البصرة وأخر بضم الألف والباقون آخر على التوحيد

(الحجة)

قال ابو علي أما الغساق بالتشديد فلا يخلو أن يكون اسما او وصفا فالاسم لا يجيء على هذا الوزن الا قليلا نحو الكلاء والغدّان والجبّان(١) فينبغي ان يكون وصفاً قد أقيم مقام الموصوف والاحسن ان لا تقام الصفة مقام الموصوف إلا ان تكون صفة قد غلبت نحو العبد والابطح والأبرق والقراءة بالتخفيف أحسن من حيث ذكرنا ومن قرأ وأخر على الجمع كان أخر مبتدأ ومن شكله في موضع صفته اي من ضربه وأزواج خبر المبتدأ لأنه جمع كالمبتدأ وقد وصفت النكرة فحسن الابتداء بها والضمير في شكله يعود إلى قوله حميم ويجوز أن يكون المعني من شكل ما ذكرناه ومن قرأ وآخر على الافراد فآخر يرتفع بالابتداء في قول سيبويه وفيه ذكر مرفوع عنده وبالظرف في قول ابي الحسن ولا ذكر في الظرف لارتفاع الظاهر به فإن لم تجعل آخر مبتدأ في هذا الوجه خاصة قلت انه يكون ابتداء بالنكرة فلا احمل على ذلك ولكن لما قال حميم وغساق دلّ هذا الكلام على ان لهم حميماً وغسّاقاً فحمل المعطوف على المعنى فجعل لهم المدلول عليه خبراً آخر فهو قول وكان التقدير لهم عذاب آخر من شكله أزواج فيكون من شكله في موضع الصفة ويكون ارتفاع أزواج به في قول سيبويه وابي الحسن ولا يجوز أن يجعل قوله من شكله أزواج في قول من قرأ وأخر على الجمع وصفاً ويضمر الخبر كما فعلت ذلك في قول من وحّد لأن الصفة لا يرجع منها ذكر إلى الموصوف ألا ترى ان ازواج إذا ارتفع بالظرف لم يجز أن يكون فيه ذكر مرفوع والهاء التي للافراد لا ترجع إلى الجمع في الوجه البين فتحصل الصفة بلا ذكر يعود منها إلى الموصوف وأما امتناع اخر من الصرف في النكرة فللعدل والوصف فمعنى العدل فيه ان هذا النحو لا يوصف به إلا بالالف واللام واستعملت اخر بلا الف ولام فصارت بذلك معدولة عن الالف واللام

(اللغة)

المِهاد الفراش الموطأ يقال مهّدت له تمهيداً مثل وطّأت له توطئة والحَميم الحار الشديد الحرارة ومنه الحمى لشدة حرارتها والغسّاق قيح شديد النتن يقال غَسَقت القرحةُ تَغسِق غُسُوقاً وقيل هو مشتق من الغَسَق وهو السواد والظلمة أي هو على ضدّ ما يراد في الشراب من الضياء والرقة عن ابي مسلم ومنه يقال ليل غاسق وغَسَقت عينه أظلمت وأغسَقَ المؤذِّن المغرب أخّره إلى الظلمة والشكل بفتح الشين الضرب المتشابه والشكل بالكسر النظير في الحسن وهو الدل ايضاً والاقتحام الدخول في الشيء بشدة وصعوبة قال ابو عبيدة قولهم لا مرحباً به أي لارحبت عليه الارض. القتيبي قولهم مرحباً بك أي أتيت رحباً وسعة قال النابغة

لا مَرْحَباً بِغَدٍ وَلا أَهْلاً بِهِ إِنْ كانَ تَفْرِيقُ الأَحِبَّةِ فِي غَدِ

﴿ الإعراب ﴾

هذا مبتدأ وحميم خبره وغساق معطوف عليه وفليذوقوه خبر بعد خبر والتقدير هذا حميم وغساق فليذوقوه ويجوز ان يكون هذا فليذوقوه مبتدأ وخبر وحميم خبر مبتدأ محذوف أي هو حميم ويجوز ان يكون هذا في موضع نصب بفعل مضمر يفسّره هذا الظاهر

﴿ المعنى ﴾

لمّا بيّن سبحانه احوال اهل الجنة وما اعدّ لهم من جزيل الثواب عقّبه ببيان أحوال أهل النار وما لهم من أليم العذاب فقال (هذا) اي ما ذكرناه للمتقين ثم ابتدأ فقال (وان للطاغين) الذين طغوا على الله وكذّبوا رسله (لشر مآب) وهو ضدّ مآب المتقين ثم فسّر ذلك فقال (جهنم يصلونها) أي يدخلونها فيصيرون صلاء لها

← التشبيه بالبلورة والدرة . وتهادى في المشي : تبختر وتمايل . والبيت من أبيات قالها في وصف محبوبته ثريا بنت عبدالله بن الحرث وبعده قوله «ثم قالوا تحبها قلت بهراً ﴿ عدد الرمل والحصى والتراب» وقدمر في الكتاب . وفي امالي الشريف «بين خمس كواعب ...»

(١) الكلاء : مرفأ السفن . ساحل كل نهر . والغدان : الذي يحرث بها . والجبان : المقبرة .

(فبئس المهاد) أي فبئس المسكن وبئس المهد (هذا فليذوقوه حميم وغساق) أي هذا حميم وغساق فليذوقوه عن الفراء والزجاج وقيل معناه هذا الجزاء للطاغين فليذوقوه واطلق عليه لفظ الذوق لأن الذائق يدرك الطعم بعد طلبه فهو أشد احساساً به والحميم الماء الحار والغساق البارد الزمهرير عن ابن مسعود وابن عباس فيكون المعنى انهم يعذبون بحار الشراب الذي انتهت حرارته وبارد الذي انتهت برودته فيبرده يحرق كما يحرق النار وقيل ان الغساق عين في جهنم يسيل اليها سم كل ذات حمة من حية وعقرب عن كعب وقيل هو ما يسيل من دموعهم يسقونه مع الحميم عن السدي وقيل هو القيح الذي يسيل منهم يجمع ويسقونه عن ابن عمر وقتادة وقيل هو عذاب لا يعلمه إلا الله عن الحسن (وآخر) اي وضروب اخر (من شكله) أي من شكل هذا العذاب وجنسه (أزواج) أي ألوان وأنواع متشابهة في الشدة لا نوع واحد (هذا فوج مقتحم معكم) هاهنا حذف أي يقال لهم هذا فوج وهم قادة الضلالة إذا دخلوا النار ثم يدخل الاتباع فيقول الخزنة للقادة هذا فوج أي قطع من الناس وهم الاتباع مقتحم معكم في النار دخلوها كما دخلتم عن ابن عباس وقيل يعني بالأول أولاد ابليس وبالفوج الثاني بني آدم اي يقال لبني ابليس بأمر الله تعالى هذا جمع من بني آدم مقتحم معكم يدخلون النار وعذابها واتم معهم عن الحسن (لا مرحباً بهم انهم صالوا النار) أي لا اتسعت لهم أماكنهم لأنهم لازموا النار فيكون المعنى على القول الأول ان القادة والرؤساء يقولون للأتباع لا مرحباً بهؤلاء انهم يدخلون النار مثلنا فلا فرح لنا في مشاركتهم إيانا فيقول الاتباع لهم (بل أنتم لا مرحباً بكم) أي لا نلتم رحباً وسعة (انتم قدمتموه لنا) أي حملتمونا على الكفر الذي أوجب لنا هذا العذاب ودعوتمونا اليه واما على القول الثاني ان اولاد ابليس يقولون لا مرحباً بهؤلاء قد ضاقت اماكننا بهم إذ كانت النار مملوءة منا فليس لنا منهم إلا ضيق في شدة وهذا كما روي عن النبي ﷺ ان النار تضيق عليهم كضيق الزج بالرمح (قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم) أي يقول بئوا آدم بل لا كرامة لكم أنتم شرعتموه لنا وزينتموه في نفوسنا (فبئس القرار) الذي استقررنا عليه (قالوا ربنا من قدم لنا هذا) أي يدعون عليهم بهذا إذا حصلوا في نار جهنم أي من سبب لنا هذا العذاب ودعانا إلى ما استوجبنا به ذلك (فزده عذابا ضعفاً) اي مثلا مضاعفاً إلى مثل ما يستحقه (في النار) احد الضعفين لكفرهم بالله والضعف الآخر لدعائهم إيانا إلى الكفر

قوله تعالى (٦٢) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ (٦٣) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ (٦٤) إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٥) قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٦) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٧) قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ (٦٨) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٩) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٨٠) إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (تسع آيات)

القراءة

قرأ اهل العراق غير عاصم اتخذناهم موصولة الهمزة والباقون اتخذناهم بقطع الهمزة وقرأ اهل المدينة والكوفة غير عاصم سُخريا بضم السين والباقون بكسرها وقرأ ابو جعفر ان يوحى الي إلا انما بكسر الالف والباقون أنما بالفتح

الحجة

قال ابو علي في الحاق همزة الاستفهام في قوله اتخذناهم سخريا بعض البعد لأنهم قد علموا انهم اتخذوهم

سخريا و كيف يستقيم ان يستفهم عنه ويدل على علمهم بذلك انه قد اخبر عنهم بذلك في قوله فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري فالجملة التي هي اتخذناهم سخريا صفة للنكرة فأما وجه فتح الهمزة فإنه يكون على التقرير وعودلت بأم لأنها على لفظ الاستفهام كما عودلت بأم في قوله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وان لم يكن استفهاماً في المعنى و كذلك قولهم ما أبالي أزيداً ضربت أم عمراً فإن قلت فما الجملة المعادلة بقوله أم زاغت عنهم الابصار في قول من كسر الهمزة في قوله اتخذناهم فالقول فيه ان الجملة المعادلة لأم محذوفة والمعنى اتراهم ام زاغت عنهم الابصار و كذلك قوله ام كان من الغائبين لأن المعنى أخبروني عن الهدهد أحاضر هو ام كان من الغائبين هذا قول ابي الحسن ويجوز عندي في قوله تعالى قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار ام من هو قانت آناء الليل ان تكون المعادلة لأم محذوفة تقديره أفأصحاب النار خير أم من هو قانت وحكي عن ابي عمرو انه قال ما كان من مثل العبودية فسخري مضموم وما كان من مثل الهزء فسخري مكسور السين وقد تقدّم ذكر هذا قال ابن جني من قرأ إنّما فعلى الحكاية فكأنه قال إنْ يقال لي إلّا إنّما انا نذير مبين وهذا كما تقول لصاحبك أنت قلت انك شجاع ونحو ذلك قول الشاعر

تَنادَوا بِالرَّحيلِ غَداً وَفي تَرحالِهِمْ نَفسي(١)

قال واجاز ابو علي ثلاثة اضرب من الاعراب بالرحيل والرحيل والرحيل رفعاً ونصباً وجراً فمن رفع أو نصب فقد وفى الحكاية اللفظ المقول البتة فكأنهم قالوا الرحيل غداً فأما الجر فعلى اعمال الباء فيه وهو معنى ما قالوه ولكن حكيت منه قولك غداً وحده وهو خبر المبتدأ أو في موضع رفع لأنه خبر المبتدأ ولا يكون ظرفاً لتنادوا لأن الفعل الماضي لا يعمل في الزمان الآتي وإذا قال بالرحيل غداً فإن غدا يجوز ان يكون ظرفاً لنفس الرحيل ويجوز ان يكون ظرفاً لفعل آخر نصب الرحيل اسيء يحدث الرحيل غدا

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه عن اهل النار ايضاً بقوله (وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدّهم من الاشرار) أسيء يقولون ذلك حين ينظرون في النار فلا يرون من كان يخالفهم فيها معهم وهم المؤمنون عن الكلبي وقيل نزلت في ابي جهل والوليد بن المغيرة وذويهما يقولون ما لنا لا نرى عماراً وخباباً وصهيباً وبلالا الذين كنا نعدّهم في الدنيا من جملة الذين يفعلون الشرّ والقبيح ولا يفعلون الخير عن مجاهد وروى العياشي بالاسناد عن جابر عن ابي عبد الله «ع» انه قال ان اهل النار يقولون ما لنا لا نرى رجالا كنّا نعدّهم من الاشرار يعنونكم لا يرونكم في النار لا يرون والله احداً منكم في النار (اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار) معناه انهم يقولون لما لم يروهم في النار اتخذناهم هزواً في الدنيا فأخطأنا أم عدلت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم معنا في النار (ان ذلك لحق) اي ان ما ذكر قبل هذا لحق اي كائن لا محالة ثم بيّن ما هو فقال (تخاصم اهل النار) يعني تخاصم الاتباع والقادة أو مجادلة اهل النار بعضهم لبعض على ما اخبر عنهم ثم خاطب نبيّه ﷺ فقال (قل) يا محمد (إنما انا منذر) اي مخوّف من معاصي الله ومحذّر من عقابه (وما من إله) يحقّ له العبادة (إلا الله الواحد القهار) لجميع خلقه المتعالي بسعة مقدوراته فلا يقدر احد على الخلاص من عقوبته إذا أراد عقابه (رب السموات والأرض وما بينهما) من الإنس والجن وكل خلق (العزيز) الذي لا يغلبه شيء ولا يمتنع منه شيء (الغفار) لذنوب عباده مع قدرته على عقابهم (قل) يا محمد (هو نبؤ عظيم) اختلف فيه فقيل يعني القرآن هو حديث عظيم لأنه كلام الله المعجز ولأن فيه انباء الاولين (انتم عنه) أسيء عن تدبّره والعمل به (معرضون) عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي وقيل خبر القيامة خبر عظيم انتم عنه معرضون اي عن الاستعداد لها غافلون وبها مكذّبون عن الحسن وقيل معناه النبأ الذي انبأتكم به عن الله نبؤ عظيم عن الزجاج يعني ما انبأهم به من

(١) اى هلاك نفسي.

قصص الأولين انهم عنه معرضون لا يتفكرون فيه فيعلموا صدقي في نبوتي قال ويدل على صحة هذا المعنى قوله (ما كان لي من علم بالملأ الأعلى) يعني الملائكة (إذ يختصمون) يعني ما ذكر من قوله إني جاعل في الارض خليفة إلى آخر القصة وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي أي فما علمت ما كانوا فيه إلا بوحي من الله تعالى وروى ابن عباس عن النبي ﷺ قال قال لي ربي أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت لا قال اختصموا في الكفارات والدرجات فأما الكفارات فإسباغ الوضوء في السَبَرات[1] ونقل الأقدام إلى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة واما الدرجات فإفشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام (ان يوحى إليَّ إلا انما انا نذير مبين) معناه ما كان لي من علم باختصام الملائكة فيما ذكرنا لولا ان الله تعالى اخبرني به لم يمكني اخباركم ولكن ما يوحى إليَّ إلا الانذار البيّن الواضح وقيل معناه ليس يوحى إليَّ إلا انّي نذير مبين مخوّف مظهر للحق

قوله تعالى (٧١) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧٢) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٣) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٤) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٥) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٦) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٧) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٨) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٩) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٨٠) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨١) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨٢) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٣) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ

(ثلاث عشرة آية)

المعنى

ثم دلّ سبحانه على ان اختصام الملائكة كان في أمر آدم (ع) بقوله (إذ قال ربك للملائكة) فالظاهر ان إذ يتعلق بقوله يختصمون وان اعترض بينهما كلام (اني خالق بشراً من طين) يعني آدم (فإذا سويته) أي فإذا سوّيت خلق هذا البشر وتمّمت اعضاءه وصورته (ونفخت فيه من روحي) اي احييته وجعلت فيه الروح واضاف الروح الى نفسه تشريفاً له ومعنى نفخت فيه اي توليت فعله من غير سبب وواسطة كالولادة المؤدّية الى ذلك فإن الله شرّف آدم وكرّمه بهذه الحالة (فقعوا له ساجدين) اي فاسجدوا له أجمعين وفي الكلام حذف والتقدير ثم ان الله تعالى خلق ذلك البشر الذي وعدهم بخلقه (فسجد له الملائكة كلهم أجمعون إلا ابليس استكبر وكان من الكافرين) مفسّر في سورة البقرة (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) هذا سؤال توبيخ وتعريف للملائكة انه لا عذر له في الامتناع عن السجود ومعنى قوله لما خلقت بيدي تولّيت خلقه بنفسي من غير واسطة عن الجمائي ومثله مما عملت ايدينا وذكر اليدين لتحقيق الإضافة لخلقه الى نفسه وهو قول مجاهد ومثله قوله ويبقى وجه ربك اي ربك وقيل معناه خلقته بقدرتي عن ابي مسلم وغيره والعرب كما تطلق لفظ اليد للقدرة والقوة فقد تطلق لفظة اليدين قال

تَحَمَّلْتُ مِنْ ذَلْفَاءَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ ... وَلَا لِلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ يَدَانِ[2]

وقال آخر

(١) السبرات جمع السبرة : الغداة الباردة . (٢) يصف شدة ما تحمله من عشق محبوبته ذلفاء .

أَنَابِغَ إِنَّكُم لَمْ تَبْلُغُونَا وَمَا لَكُمُ بِذَلِكُمُ بَدَانِ

وقال عروة بن حزام

فَإِنْ تَحْمِلِي وُدِّي وَوُدَّكِ تَفْدَحِي وَمَالَكِ بِالْحَمْلِ الثَّقِيلِ يَدَانِ[1]

(استكبرت ام كنت من العالين) اي أرفعت نفسك فوق قدرك وتعظمت عن امتثال امري ام كنت من الذين تعلو اقدارهم عن السجود فتعاليت عنه (قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) فضّل النار على الطين (قال فاخرج منها) اي من الجنة (فإنك رجيم) اي طريد مبعد (وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال) ابليس عند ذلك (رب فأنظرني الى يوم يبعثون) اي أخّرني الى يوم يحشرون للحساب وهو يوم القيامة (قال) الله تعالى له (فإنك من المنظرين) اي المؤخرين (الى يوم الوقت المعلوم) وقد فسرنا جميع ذلك فيما تقدم (قال) ابليس (فبعزتك) اي اقسم بقدرتك التي تقهر بها جميع خلقك (لأغوينّهم) يعني بني آدم كلهم (أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) اي ادعوهم الى الغيّ وأزيّن لهم القبائح إلا عبادك الذين استخلصتهم وآثرتهم وعصمتهم فلا سبيل لي عليهم

قوله تعالى (٨٤) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٥) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٦) قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٧) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٨) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (خمس آيات)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير الكسائي وهبيرة وروح وزيد عن يعقوب قال فالحق بالرفع والباقون بالنصب

الحجة

قال ابو علي من نصب الحق الأول كان منصوبا بفعل مضمر يدل انتصاب الحق عليه وذلك الفعل هو ما ظهر في قوله ويحقّ الله الحقّ بكلماته ويجوز ان ينتصب على التشبيه بالقسم فيكون الناصب له ما ينصب القسم من نحو الله لأفعلنّ فيكون التقدير الحق لأملئن وقد يجوزان يكون الحق الثاني الأول وكرّر على وجه التأكيد ومن رفع كان محتملا لوجهين احدهما ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره انا الحق والآخر ان يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره فالحق مني كما قال الحق من ربك

المعنى

ثم حكى سبحانه ما أجاب به ابليس وانه (قال) له (فالحق والحق أقول) اى حقا (لأملأن) والحق اقول اعتراض بين القسم والمقسم عليه وجاز ذلك لأنه مما يؤكّد القصة كما قال الشاعر

أَرَانِي وَلَا كُفْرَانَ لِلَّهِ آيَةً لِنَفْسِي لَقَدْ طَالَبْتُ غَيْرَ مُنِيلِ[2]

فاعترض بقوله ولا كفران لله بين المفعول الأول والثاني ومن رفع فعلى معنى فانا الحق او الحق مني وأقول الحق (لأملأن جهنم منك وممن تبعك) وقيل قوله (منهم) أي من بني آدم (أجمعين) ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (قل) يا محمد لكفار مكة (ما أسئلكم عليه) أي على تبليغ الوحي والقرآن والدعاء إلى الله سبحانه (من أجر) أي مال تعطونيه (وما أنا من المتكلفين) لهذا القرآن من تلقاء نفسي وقيل معناه اني ما اتيتكم رسولا من قبل نفسي ولم اتكلف هذا الاتيان بل أمرت به وقيل معناه لست ممن يتعسف في طلب الأمر الذي لا يقتضيه العقل وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فإن من

(١) فدحه الامر والحمل: أثقله. (٢) الشعر في جامع الشواهد.

العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم فإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ قل ما أسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين اورده البخاري في الصحيح (إن هو إلا ذكر للعالمين) أي ما القران إلا موعظة للخلق اجمعين وقيل ماالقرآن إلا شرف لمن آمن به (ولتعلمن نبأه بعد حين) أي ولتعلمن يا كفار مكة خبر صدقه بعد الموت عن ابن عباس وقتادة وقيل بعد يوم بدر عن السدي وقيل من عاش علم ذلك إذا ظهر امره وعلا دينه ومن مات علمه بعد الموت عن الكلبي

سورة الزمر

وتسمى ايضاً سورة الغرف وهي مكية كلها عن مجاهد وقتادة والحسن وقيل سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة قل يا عبادي إلى آخرهن وقيل غير آية قل يا عبادي

عدد آيها

خمس وسبعون آية كوفي ثلاث شامي اثنتان في الباقين

اختلافها

سبع آيات فيما هم فيه يختلفون غير الكوفي مخلصاً له الدين الثاني ومخلصاً له ديني ومن هاد الثاني وسوف يعلمون اربعهن كوفي فبشر عبادي عراقي شامي والمدني الاخير من تحتها الانهار مكي شامي والمدني الاول

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاه واعطاه ثواب الخائفين الذين خافوا الله تعالى وروى هارون بن خارجة عن ابي عبد الله «ع» قال من قرأ سورة الزمر اعطاه الله شرف الدنيا والآخرة وأعزه بلا مال ولا عشيرة حتى يهابه من يراه وحرم جسده على النار وبنى له في الجنة الف مدينة في كل مدينة الف قصر في كل قصر مائة حوراء وله مع ذلك عينان تجريان وعينان نضاختان وجنتان مدهامتان وحور مقصورات في الخيام

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة ص بذكر القرآن وافتتح هذه السورة ايضاً به فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ ٱلدِّينَ (٣) أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٤) لَوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٥) خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱللَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱللَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ (خمس آيات)

اللغة

التكوير طرح الشيء بعضه على بعض يقال كوّر المتاع إذا القى بعضه على بعض ومنه كوّر العمامة

الإعراب

تنزيل مبتدأ وخبره من الله اي تنزيل الكتاب من الله لا من غيره كما تقول استقامة الناس من الأنبياء اي انها لا تكون إلا منهم ويجوز أن يكون تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا تنزيل الكتاب فعلى هذا يجوز ان يكون من الله خبراً بعد خبر ويجوز أن يكون في موضع نصب لأنه يتعلق بتنزيل. بالحق مفعول أنزلنا ويجوز ان يكون في موضع الحال والتقدير انزلنا الكتاب محقين أو محقاً فيكون ذو الحال نا من انزلنا او الكتاب. زلفى في موضع نصب على المصدر والتقدير ليقربونا قربى والتقدير يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا فيكون يقولون خبر الذين اتخذوا لأنه مبتدأ أو يكون حالا من الضمير في اتخذوا ويكون الخبر قوله إن الله يحكم بينهم يكوّر يحتمل أن يكون حالا ويحتمل أن يكون استئناف كلام فلا يكون له محل

المعنى

عظّم الله سبحانه امر القرآن وحثّ المكلفين على القيام بما فيه واتباع أوامره ونواهيه بأن قال (تنزيل الكتاب من الله العزيز) المتعال عن المثل والشبه (الحكيم) في افعاله وأقواله فوصف هنا نفسه بالعزة تحذيراً من مخالفة كتابه وبالحكمة اعلاماً بأنه يحفظه حتى يصل إلى المكلفين من غير تغيير لشيء منه (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) اي لم ننزله باطلا بغير غرض وقيل معناه بالأمر الحق اي بالدين الصحيح (فاعبد الله) اي توجّه بعبادتك إلى الله وحده (مخلصا له الدين) من شرك الأوثان والأصنام والإخلاص أن يقصد العبد بنيته وعمله إلى خالقه لا يجعل ذلك لغرض الدنيا (ألا لله الدين الخالص) والخالص هو الذي لا يشوبه الرياء والسمعة ولا وجه من وجوه الدنيا والدين الخالص الإسلام عن الحسن وقيل هو شهادة أن لا إله إلا الله عن قتادة وقيل معناه الا لله الطاعة بالعبادة التي يستحق بها الجزاء فهذا لله وحده لا يجوز ان يكون لغيره. وقيل هو الاعتقاد الواجب في التوحيد والعدل والنبوة والشرائع والإقرار بها والعمل بموجبها والبراءة من كل دين سواها فهذا تفصيل قول الحسن انه الإسلام (والذين اتخذوا من دونه اولياء) اي زعموا أن لهم من دون الله مالكا يملكهم وهاهنا حذف يدل الكلام عليه اي يقولون (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) اي ليشفعوا لنا إلى الله والزلفى القربى وهو اسم اقيم مقام المصدر (إن الله يحكم بينهم) يوم القيامة (فيما هم فيه يختلفون) من امور الدين فيعاقب كلاً منهم على قدر استحقاقه (إن الله لا يهدي) إلى طريق الجنة او لا يحكم بهدايته إلى الحق (من هو كاذب) على الله وعلى رسوله (كفار) بما انعم الله عليه جاحد لإخلاص العبادة لله ولم يرد به الهداية إلى الإيمان لقوله سبحانه واما ثمود فهديناهم (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) على ما يقوله هؤلاء من ان الملائكة بنات الله أو ما يقوله النصارى من أن المسيح ابن الله او اليهود ان عزيراً ابن الله (لاصطفى) اي لاختار (مما يخلق ما يشاء) اي ما كان يتخذ الولد باختيارهم حتى يضيفوا اليه من شاءوا بل كان يختص من خلقه ما يشاء لذلك لأنه غير ممنوع من مراده ومثله قوله لو اردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ثم اخبر سبحانه انه منزّه عن اتخاذ الأولاد بقوله (سبحانه) اي تنزيها له عن ذلك (هو الله الواحد) لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد (القهار) لخلقه بالموت وهو حيّ لا يموت ثم نبّه سبحانه على كمال قدرته فقال (خلق السموات والأرض بالحق) اي لم يخلقهما باطلا لغير غرض بل خلقهما للغرض الحكمي (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) اي يدخل كل واحد منهما على صاحبه بالزيادة والنقصان فما يزيد في احدهما ينقص من الآخر من الحسن وجماعة من المفسرين وقيل يغشى هذا هذا كما قال يغشى الليل النهار ويولج الليل في النهار عن قتادة (وسخر الشمس والقمر) بأن اجراهما على وتيرة واحدة (كل يجري لأجل مسمى) أي إلى

مدة قدّرها الله لها ان يجريا اليها وقيل إلى قيام الساعة وقيل لأجل مسمى اي لوقت معلوم في الشتاء والصيف هو المطلع والمغرب لكل واحد منهما (الا هو العزيز الغفار) مرَّ معناه وفائدة الآية ان من قدر على خلق السموات والأرض وتسخير الشمس والقمر وادخال الليل في النهار فهو منزَّه عن اتخاذ الولد والشريك فإن ذلك من صفة المحتاجين

قوله تعالى (٦) خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٧) إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٨) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٩) أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٠) قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ

(خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو في رواية اوقية وابي شعيب السوسي وأبي عمرو الدوري عن اليزيدي عنه وحمزة وفي رواية العجلي يرضه لكم ساكنة الهاء وقرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي وخلف ونافع برواية اسماعيل وابو بكر برواية البرجمي يرضه مضمومة الهاء مشبعة وقرأ الباقون بضم الهاء مختلسة غير مشبعة وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة أمن هو قانت خفيفة الميم والباقون بتشديد الميم

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قرأ يرضهو فألحق الواو ان ما قبل الهاء متحرك فيكون بمنزلة ضربهو وهذا هو ومن قال يرضهُ فحرَّك الهاء ولم يلحق الواو ان الألف المحذوفة للجزم ليس يلزم حذفها لأن الكلمة إذا نصبت او رفعت عادت الألف فصار الألف في حكم الثابت فإذا ثبت الألف فالأحسن ان لا يلحق الواو نحو قوله القي موسى عصاه وذلك ان الهاء خفيفة فلو لحقتها الواو وقبلها الألف لأشبه الجمع بين الساكنين واما من اسكن فقال يرضْهُ لكم فإن ابا الحسن يزعم ان ذلك لغة وعلى هذا قوله «وَنَضْوايَ مُشْتَاقَانِ لَهُ أَرِقَانِ»(١) ومن قرأ ام من هو قانت ففيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان المعنى الجاحد الكافر خير ام من هو قانت ويدل على المحذوف قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ودلَّ عليه ايضاً قوله قل تمتع بكفرك قليلا وقد تقدَّم ذكره ﴿ والآخر ﴾ ان المعنى قل أمَّن هو قانت كغيره اي أمن هو مطيع كمن هو عاص ويكون على هذا الخبر محذوفاً لدلالة الكلام عليه كقوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت افمن يتَّقي بوجهه سوء العذاب واما من خفف فقال أمن هو

(١) هذا عجز بيت مر تمامه في صفحة ١٤٩ من هذا المجلد و صدره « فظلت لدى البيت العتيق أخيله » و النضو : الدابة التي هزلتها الاسفار وأذهبت لحمها . وفي بعض الروايات «ومطواى» بدل «و نضواى » و معناه صاحباى . والارق : السهر .

قانت فالمعنى ايضا ام من هو قانت كمن هو بخلاف هـذا الوصف فلا وجه للنداء هنا لأن هذا موضع معادلة وإنما يقع فيه الحمل الذي يكون فيه اخبار وليس النداء. كذلك وقال ابو الحسن القراءة بالتخفيف ضعيفة لأن الاستفهام إنما يبتدئ ما بعده ولا يحمل على ما قبله وهذا الكلام ليس قبله شيء يحمل عليه إلا في المعنى

﴿ اللغة ﴾

التخويل العطية العظيمة على وجه الهبة وهي المنحة خوّله الله مالا ومنه الحديث كان يتخولهم بالموعظة مخافة السأمة عليهم اي يتعبّدهم والحديث الآخر إذا بلغ بنو ابي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دُوَلا ودين الله دَخَلا وعباد الله خَوَلا اي يظنّون عباد الله عبيدهم اعطاهم الله ذلك قال ابو النجم

أَعْطَى فَلَمْ يَبْخَلْ وَلَمْ يُبَخَّلِ كُومَ الذُّرَى مِنْ خَوَلِ الْمُخَوِّلِ

والقانت الداعي والقانت المصلي قال

قَانِتاً لِلّٰهِ يَتْلُو كُتُبَهْ وَعَلَى عَمْدٍ مِنَ النَّاسِ اعْتَزَلْ

آناء الليل واحدها انيٌ وانى

﴿ الإعراب ﴾

ذلكم الله ربكم له الملك ذلكم مبتدأ والله عطف بيان وربكم بدل من لفظة الله وان شئت كان خبرا لمبتدأ. له الملك يرتفع الملك بالظرف والظرف مع ما ارتفع به في موضع الحال والعامل فيه معنى الإشارة والتقدير ثابتا له الملك ويجوز ان يكون خبراً بعد خبر وكذا قوله لا إله إلا هو جاز ان يكون في موضع الحال اي متوحّداً بالوحدانية وجاز ان يكون خبراً آخر. فأنى تصرفون أنّى في موضع نصب على الحال او على المصدر ومعناه كيف تصرفون

﴿ المعنى ﴾

ثم أبان سبحانه عن كمال قدرته بخلق آدم وذريته فقال (خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم (ع) لأن جميع البشر من نسله (ثم جعل منها زوجها) يعني حواء اي من فضل طينته وقيل من ضلع من اضلاعه وفي قوله ثم جعل منها زوجها ثم يقتضي التراخي والمهلة وخلق الوالدين قبل الولد ثلاثة اقوال ﴿ احدها ﴾ انه عطف يوجب ان الكلام الثاني بعد الأول ويجري مجرى قول القائل قد رأيت ما كان منك اليوم ثم ما كان منك أمس وإن كان ما كان أمس قبل ما يكون اليوم مثله قول الشاعر

وَلَقَدْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذٰلِكَ جَدُّهْ

﴿ وثانيها ﴾ انه معطوف على معنى واحدة فكأنه قال خلقكم من نفس واحدة اوجدها وحدها ثم جعل منها زوجها ﴿ وثالثها ﴾ انه خلق الذرية في ظهر آدم واخرجها من ظهره كالذر ثم خلق من بعد ذلك حواء من ضلع من اضلاعه على ما ورد في الاخبار وهذا ضعيف وقد مضى الكلام عليه (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية ازواج) اختلف في معناه على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معنى الإنزال هنا الإحداث والإنشاء كقوله وقد انزلنا عليكم لباساً ولم ينزل اللباس ولكن أنزل الماء الذي هو سبب القطن والصوف واللباس يكون منهما فكذلك الأنعام تكون بالنبات والنبات يكون بالماء ﴿ والثاني ﴾ انه انزلها بعد ان خلقها في الجنة عن الجبائي قال وفي الخبر الشاة من دواب الجنة والإبل من دواب الجنة ﴿ والثالث ﴾ ان المعنى جعلها نزلا ورزقا لكم ويعني بالأزواج الثمانية من الأنعام الإبل والبقر والغنم والضأن والمعز من كل صنف اثنان

(١) الدول - بضم الدال جمع الدولة وهي ما يتداوله الناس . والدخل : العيب والغش والفساد ، وحقيقته أن يدخلوا في الدين أموراً لم تجر بها السنة . (٢) الكوم جمع الكوماء وهي الناقة عظيمة السنام.

هما زوجان وهو مفسّر في سورة الأنعام (يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم يكسو العظام لحماً ثم ينشئ خلقا آخر عن قتادة ومجاهد والسدي وقيل خلقا في بطون الأمهات بعد الخلق في ظهر آدم عن ابن زيد (في ظلمات ثلث) ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وقيل ظلمة الليل او ظلمة صلب الرجل وظلمة الرحم وظلمة البطن ثم خاطب سبحانه خلقه فقال (ذلكم الله) الذي خلق هذه الأشياء (ربكم) الذي يملك التصرف فيكم (له الملك) على جميع المخلوقات (لا إله إلا هو فأنى تصرفون) عن طريق الحق بعد هذا البيان مثل قوله فأنى تؤفكون (إن تكفروا) اي تجحدوا نعمة الله تعالى ولم تشكروه (فإن الله غني عنكم) وعن شكركم فلا يضرّه كفركم (ولا يرضى لعباده الكفر) وفي هذا اوضح دلالة على انه سبحانه لا يريد الكفر الواقع من العباد لأنه لو أراده لوجب متى وقع ان يكون راضياً به لعبده لأن الرضا بالفعل ليس إلا ما ذكرناه ألا ترى انه يستحيل أن نريد من غيرنا شيئا ويقع منه على ما نريده فلا نكون راضين به أو أن نرضى شيئاً ولم نرده البتة (وان تشكروا يرضه لكم) أي وأن تشكروا الله تعالى على نعمه وتعترفوا بها يرضه لكم ويرده منكم ويثبكم عليه والهاء في يرضه كناية عن المصدر الذي دلّ عليه وان تشكروا والتقدير يرضى الشكر لكم كقولهم من كذب كان شراً له اي كان الكذب شراً له (ولا تزر وازرة وزر اخرى) اي لا تحمل حاملة ثقل اخرى والمعنى لا يؤاخذ بالذنب إلا من يرتكبه ويفعله (ثم إلى ربكم مرجعكم) اي مصيركم (فينبئكم بما كنتم تعملون) اي يخبركم بما عملتموه ويجازيكم بحسب ذلك (انه عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه سرّ وعلانية (وإذا مسّ الانسان ضرّ) من شدة ومرض وقحط وغير ذلك (دعا ربه منيبا اليه) اي راجعا اليه وحده لا يرجو سواه (ثم إذا خوّله) اي اعطاه (نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل) اي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى ان يكشفه من قبل نيل هذه النعمة قال الزجاج معناه نسي الدعاء الذي كان يتضرع به إلى الله عز وجل من قبل وجائز ان يكون المعنى نسي الله الذي كان يتضرع اليه من قبل ومثله ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد فكانت ما تدلّ على الله تعالى ومن عبارة عن كل مميز وما يكون لكل شيء (وجعل لله أندادا) اي سمى له امثالا في توجيه عبادته اليها من الأصنام والأوثان (ليضل) الناس (عن سبيله) اي عن دينه أو يضلّ هو عن الدين واللام لام العاقبة وذلك انهم لم يفعلوا ما فعلوه وغرضهم ذلك لكن عاقبتهم كانت اليه (قل تمتع بكفرك قليلا) هذا امر معناه الخبر كقوله إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت والمعنى أن مدة تمتعه في الدنيا بكفره قليلة زائلة (إنك من اصحاب النار) تعذّب فيها دائماً (ام من هو قانت) اي اهذا الذي ذكرناه خير ام من هو دائم على الطاعة عن ابن عباس والسدي وقيل على قراءة القرآن وقيام الليل عن ابن عمر وقيل يعني صلاة الليل عن ابي جعفر (ع) (آناء الليل) اي ساعات الليل (ساجداً وقائما) يسجد تارة في الصلاة ويقوم اخرى (يحذر الآخرة) اي عذاب الآخرة (ويرجوا رحمة ربه) اي يتردّد بين الخوف والرجاء اي ليسا سواء وهو قوله (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) اي لا يستوي الذين يعلمون ما وعد الله من الثواب والعقاب والذين لا يعلمون ذلك (إنما يتذكّر اولوا الألباب) أي إنما يتعظ ذوو العقول من المؤمنين وروي عن ابي عبد الله «ع» انه قال نحن الذين يعلمون وعدوّنا الذين لا يعلمون وشيعتنا اولوا الألباب (قل) يا محمد لهم

ياعباد الذين آمنوا) اي صدّقوا بتوحيد الله تعالى (اتقوا ربكم) اي عقاب ربكم باجتناب معاصيه وتم الكلام ثم قال (للذين احسنوا) اي فعلوا الأعمال الحسنة وأحسنوا إلى غيرهم (في هذه الدنيا حسنة) اي لهم على ذلك في هذه الدنيا حسنة اي ثناء حسن وذكر جميل ومدح وشكر وصحة وسلامة عن السدي وقيل معناه للذين أحسنوا العمل في هذه الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة وهو الخلود في الجنة (وأرض الله واسعة) هذا حثٌّ لهم على الهجرة من مكة عن ابن عباس أي لا عذر لأحد في ترك طاعة الله فإن لم يتمكن منها في ارض فليتحوّل إلى اخرى يتمكن منها فيها كقوله ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل معناه وأرض الله الجنة واسعة فاطلبوها بالأعمال الصالحة عن مقاتل وابي مسلم (إنما يوفى الصابرون اجرهم) اي ثوابهم على طاعاتهم وصبرهم على شدائد الدنيا (بغير حساب) لكثرته لا يمكن عدّه وحسابه وروى العياشي بالاسناد عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله «ع» قال قال رسول الله ﷺ إذا نشرت الدواوين ونصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان ولم ينشر لهم ديوان ثم تلا هذه الآية إنما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب

قوله تعالى (١١) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ (١٢) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٣) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٤) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي (١٥) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٦) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٧) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٨) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٩) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (٢٠) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (عشر آيات)

-(اللغة)-

الظلة السترة العالية جمعها ظلل والانقاذ الانجاء والغرف المنازل الرفيعة واحدها غرفة

-(الإعراب)-

ذلك مبتدأ ويخوّف الله به عباده خبره ٠ان يعبدوها في موضع نصب بدل من الطاغوت والتقدير والذين اجتنبوا عبادة الطاغوت وخبر الذين اجتنبوا قوله لهم البشرى والبشرى ترتفع بالظرف لجريه خبراً على المبتدأ قال الزجاج أفمن حقّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار معناه الشرط والجزاء وألف الاستفهام هنا معناها معنى التوقيف والألف الثانية جاءت مؤكدة معادة لما طال الكلام والمعنى افمن حقّ عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه ومثله ايعدكم انكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً إنكم مخرجون اعاد ان الثانية والمعنى انكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً تخرجون ويكون على وجه آخر على انه حذف الخبر وفي الكلام دليل على

المحذوف على معنى أفمن حق عليه كلمة العذاب يتخلص منه او ينجو منه أفأنت تنقذ اي لا يقدر أحد أن ينقذه

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه نبيّه ﷺ فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار الذين تقدّم ذكرهم (إني امرت ان أعبد الله مخلصا له الدين) اي موحداً له لا اعبد معه سواه والعبادة الخالصة هي التي لا يشوبها شيء من المعاصي (وأمرت) ايضا (لأن اكون أول المسلمين) فيكون لي فضل السبق وثوابه (قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) اي عذاب يوم القيامة (قل) لهم (الله اعبد مخلصا له ديني) وطاعتي (فاعبدوا) انتم معاشر الكفار (ما شئتم من دونه) من الأصنام وهذا على وجه التهديد لهم بذلك (قل) لهم (ان الخاسرين) في الحقيقة هم (الذين خسروا انفسهم وأهليهم يوم القيمة) فلا ينتفعون بأنفسهم ولا يجدون في النار اهلا كما كان لهم في الدنيا اهل فقد فاتتهم المنفعة بأنفسهم وأهليهم عن مجاهد وابن زيد وقيل خسروا انفسهم بأن قذفوها بين اطباق الجحيم وخسروا أهليهم الذين اعدّوا لهم في جنة النعيم عن الحسن قال ابن عباس ان الله تعالى جعل لكل انسان في الجنة منزلا وأهلا فمن عمل بطاعته كان له ذلك ومن عصاه صار الى النار ودفع منزله وأهله إلى من اطاع فذلك قوله أولئك هم الوارثون (ألا ذلك هو الخسران المبين) اي البين الظاهر الذي لا يخفى (لهم من فوقهم ظلل من النار) اي سرادقات واطباق من النار ودخانها نعوذ بالله منها (ومن تحتهم ظلل) اي فرش ومهد وقيل انما سمي ما تحتهم من النار ظللا لأنها ظلل لمن تحتهم اذ النار أدراك وهم بين اطباقها وقيل انما أجرى اسم الظلل على قطع النار على سبيل التوسع والمجاز لأنها في مقابلة ما لأهل الجنة من الظلل والمراد أن النار تحيط بجوانبهم (ذلك يخوّف الله به عباده) اي ذلك الذي وصف من العذاب يخوّف الله به عباده رحمة لهم ليتّقوا عذابه بامتثال أوامره ثم امرهم بالاتقاء فقال (ياعباد فاتقون) فقد انذرتكم وألزمتكم الحجة وإنما حذف الياء في الموضعين لأن الكسرة تدلّ عليها (والذين اجتنبوا الطاغوت) اي الأوثان والشيطان وقيل كل من دعا إلى عبادة غير الله تعالى وإنما أنّث للجماعة وفي قراءة الحسن اجتنبوا الطواغيت (ان يعبدوها) اي اجتنبوا عبادتها (وأنابوا إلى الله) اي تابوا اليه فأقلعوا عما كانوا عليه (لهم البشرى) اي البشارة وهي الإعلام بما يظهر به السرور في بشرة وجوههم جزاء على ذلك وروى ابو بصير عن ابي عبد الله «ع» قال انتم هم ومن اطاع جباراً فقد عبده ثم قال سبحانه مخاطباً لنبيه ﷺ (فبشر) يا محمد (عباد) اجتزأ بالكسرة عن الياء (الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه) أي أولاه بالقبول والعمل به وأرشده إلى الحق وقيل فيتبعون احسن ما يؤمرون به ويعملون به عن السدي وروي عن ابي الدرداء قال لولا ثلاث ما احببت أن اعيش يوماً واحداً الظمأ بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون من خير الكلام كما ينتقى طيب التمر وقيل معناه يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن عن الزجاج وقيل يستمعون ما في القرآن والسنة من الطاعات والمباحات فيتبعون الطاعة التي هي احسن إذ يستحق الثواب عليه اكثر وهو ان يأخذ بأفضل الأمرين كما ان القصاص حق والعفو افضل فيأخذون بالعفو (أولئك الذين هديهم الله) اي هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين هداهم الله فاهتدوا به إلى الحق (وأولئك هم اولوا الألباب) اي ذوو العقول الذين انتفعوا بعقولهم وقال عبد الرحمن بن زيد نزل قوله والذين اجتنبوا الطاغوت الآيتين في ثلاثة نفر كانوا يقولون في الجاهلية لا إله إلا الله زيد بن عمرو بن نفيل

وابي ذر الغفاري وسلمان الفارسي (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار) اختلف في تقديره فقيل معناه افمن وجب عليه وعيد الله بالعقاب أفأنت تخلصه من النار فاكتفى بذكر من في النار عن المضمر العائد إلى المبتدأ عن الزجاج والأخفش وقيل تقديره أفأنت تنقذ من في النار منهم وأتى بالاستفهام مرتين توكيداً للتنبيه على المعنى وقال ابن الانباري الوقف على قوله كلمة العذاب والتقدير كمن وجبت له الجنة ثم يبتدئ أفأنت تنقذ وأراد بكلمة العذاب قوله لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وإنما قال ذلك للنبي ﷺ لحرصه على اسلام المشركين والمعنى انك لا تقدر على ادخال الاسلام في قلوبهم شاءوا ام ابوا فلا عليك إذا لم يؤمنوا فإنما اتوا ذلك من قبل نفوسهم وهذا كقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية ثم بين سبحانه ما اعده للمؤمنين كما بين ما اعده للكفار فقال (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف) اي قصور في الجنة (من فوقها غرف) قصور (مبنية) وهذا في مقابلة قوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل فإن في الجنة منازل رفيعة بعضها فوق بعض وذلك أن النظر من الغرف الى الخضر والمياه اشهى والذ (تجري من تحتها الانهار) اي من تحت الغرف (وعد الله) اي وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعداً (لا يخلف الله الميعاد)

قوله تعالى (٢١) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٢٢) أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٣) اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٤) أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٥) كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (خمس آيات)

اللغة

الينابيع جمع ينبوع وهو الموضع الذي ينبع منه الماء يقال نبع الماء من موضع كذا اذا فار منه والزرع ما ينبت على غير ساق والشجر ماله ساق وأغصان والنبات يعم الجميع وهاج النبت يهيج هيجا إذا جف وبلغ نهايته في اليبوسة والحطام فتات التبن والحشيش والحطم الكسر والشيء اليابس ومنه سميت جهنم حطمة لأنها تكسر كل شيء ومنه الحطيم بمكة قال النضر لأن البيت رفع وترك ذلك محطوما وهو حجر الكعبة مما يلي الميزاب

الإعراب

افمن شرح الله صدره مَنْ مع صلته مبتدأ والخبر محذوف تقديره افمن شرح الله صدره كمن قساقلبه من ذكر الله اي من ترك ذكر الله لأن القلب إنما يقسو من ترك ذكر الله ويجوز ان يكون تشمئز عند ذكر الله فيقال قست من ذكر الله اي من ذكر الناس الله . كتابا منصوب لأنه بدل من قوله احسن الحديث .

المعنى

لما قدّم سبحانه ذكر الدعاء إلى التوحيد عقّبه بذكر دلائل التوحيد فقال يخاطب نبيه ﷺ وان كان المراد جميع المكلفين (ألم تر ان الله انزل من السماء ماء) اي مطراً (فسلكه) اي فأدخل ذلك الماء (ينابيع في الأرض) مثل العيون والانهار والقني والآبار ونظيره قوله وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنّاه في الأرض (ثم يخرج به) اي بذلك الماء من الأرض (زرعا مختلفا ألوانه) اي صنوفه من البرّ والشعير والارز وغير ذلك يقال هـذا لون من الطعام اي صنف وقيل مختلف الألوان من اخضر وأصفر وابيض واحمر (ثم يهيج) اي يجف ويبيس (فتريه مصفراً) بعد خضرته (ثم يجعله حطامـا) اي رفاتا منكسراً متفتتا (إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب) معناه إن في اخراج هذه الزروع الواناً مختلفة بماء واحد ونقلها من حال إلى حال لتذكيراً لذوي العقول السليمة إذا تفكّروا في ذلك عرفوا الصانع المحدث وعلموا صحة الابتداء والبعث والإعادة (أفمن شرح الله صدره للإسلام) اي فسح صدره ووسّع قلبه لقبول الإسلام والثبات عليه وشرح الصدر يكون بثلاثة اشياء ﴿ احدها ﴾ بقوة الأدلة التي نصبها الله تعالى وهذا يختص به العلماء ﴿ والثاني ﴾ بالالطاف التي تتجدد له حالا بعد حال كما قال سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدى ﴿ والثالث ﴾ بتوكيد الأدلة وحلّ الشبهة والقاء الخواطر (فهو على نور) اي على دلالة وهدى (من ربه) شبّه الأدلة بالنور لأن بها يعرف الحق كما بالنور تعرف امور الدنيا عن الجبائي وقيل النور كتاب الله عز وجل فيه نأخذ واليه ننتهي عن قتادة وحذف كمن هو قاسي القلب يدلّ على المحذوف قوله (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) وهم الذين ألفوا الكفر وتعصبوا له وتصلبت قلوبهم حتى لا ينجع فيها وعظ ولا ترغيب ولا ترهيب ولا ترقّ عند ذكر الله وقراءة القرآن عليه (اولئك في ضلال) اي عدول عن الحق (مبين) اي ظاهر واضح (الله نزل احسن الحديث) يعني القرآن سماه الله حديثا لأنه كلام الله والكلام سمّي حديثاً كما يسمى كلام النبي ﷺ حديثاً ولأنه حديث التنزيل بعد ما تقدّمه من الكتب المنزلة على الأنبياء وهو احسن الحديث لفرط فصاحته ولإعجازه واشتماله على جميع ما يحتاج المكلف اليه من التنبيه على ادلة التوحيد والعدل وبيان احكام الشرع وغير ذلك من المواعظ وقصص الأنبياء والترغيب والترهيب (كتابا متشابها) يشبه بعضه بعضا ويصدّق بعضه بعضاً ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل معناه انه يشبه كتب الله المتقدمة وان كان أعم وأجمع وانفع وقيل متشابها في حسن النظم وجزالة اللفظ وجودة المعاني (مثاني) سمّي بذلك لأنه يثنّي فيه بعض القصص والاخبار والاحكام والمواعظ بتصريفها في ضروب البيان ويثني ايضا في التلاوة فلا يملّ لحسن مسموعه (تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم) أي تأخذهم قشعريرة خوفا مما في القرآن من الوعيد (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) إذا سمعوا ما فيه من الوعد بالثواب والرحمة والمعنى ان قلوبهم تطمئنّ وتسكن إلى ذكر الله الجنة والثواب فحذف مفعول الذكر للعلم به وروي عن العباس ابن عبد المطلب أن النبي ﷺ قال إذا اقشعرّ جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه[1] ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وقال قتادة هذا نعت لأولياء الله نعتهم الله بأن تقشعرّ جلودهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان (ذلك) يعني القرآن (هدى الله يهدي به من يشاء) من عباده بما نصب فيه من الأدلة وهم الذين آتاهم القرآن من امة محمد ﷺ عن الجبائي وقيل يهدي به من يشاء من الذين اهتدوا به إنما خصّهم بذلك لأنهم المنتفعون بالهداية ومن لم يهتد لا يوصف بأنه هداه الله اذ ليس معه هداية (ومن يضلل الله) عن طريق الجنة (فما له من هاد) اي لا يقدر على هدايته احد من الجبائي وقيل معناه من ضلّ عن الله ورحمته فلا هادي له يقال اضللت بعيري إذا ضلّ عن ابي مسلم وقيل معناه من يضلله عن زيادة الهدى والألطاف لأن الكافر لا لطف له (أفمن يتّقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة)

---

(١) اى تتساقط .

تقديره أفحال من يدفع عذاب الله بوجهه يوم القيامة كحال من يأتي آمنا لا تمسه النار وإنما قال بوجهه لان الوجه أعز اعضاء الإنسان وقيل معناه أمن يلقى في النار منكوسا فأول عضو منه مسته النار وجهه عن عطاء. ومعنى يتقي يتوقى كما قال عنترة

إذ يتقون بي الأسنة لم أخم عنها ولكني تضايق مقدمي (١)

اي يقدمونني إلى القتال فيتوقون بي حرّها ثم اخبر سبحانه عما يقوله خزنة النار للكفار بقوله (وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون) اي جزاء ما كسبتموه من المعاصي ثم اخبر سبحانه عن امثال هؤلاء الكفار من الأمم الماضية فقال (كذب الذين من قبلهم) بآيات الله وجحدوا رسله (فأتيهم العذاب) عاجلا (من حيث لا يشعرون) اي وهم آمنون غافلون

النظم

إنما اتصل قوله أفمن شرح الله صدره بما تقدّم من ذكر أدلة التوحيد والعدل التي إذا تفكّر فيها العاقل انشرح صدره واطمأنّت نفسه إلى ثلج اليقين واتصل قوله الله نزل احسن الحديث بما تقدّمه من قوله فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه اي فإنّ احسن الحديث القرآن فهو اولى بالاتباع عن ابي مسلم واتصل قوله أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب بما قبله على تقدير فمن لم يهتد بهدى الله لا يهتدي وكيف يهتدي بغيره. من يتقي بوجهه سوء العذاب يعني المقيم على كفره

قوله تعالى (٢٦) فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢٧) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٨) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٩) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣١) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (ست آيات)

القراءة

قرأ ابن كثير واهل البصرة غير سهل سالما بالالف والباقون سَلَمًا بغير ألف واللام مفتوحة وفي الشواذ قراءة سعيد بن جبير سِلْمًا بكسر السين وسكون اللام

الحجة

قال ابو علي يقوي قراءة من قرأ سالما قوله فيه شركاء متشاكسون فكما ان الشريك عبارة عن العين ليس باسم حدث فكذلك الذي بإزائه ينبغي أن يكون فاعلا ولا يكون اسم حدث ومن قرأ سَلَمًا وسِلْمًا فهما مصدران وليسا بوصفين كحَسَن وبَطَل ونقض ونِضْو يقال سَلِمَ سَلَمًا وسلامة وسِلْمًا والمعنى فيمن قال سِلْمًا ذا سلم أي رجلا ذا سلم قال ابو الحسن سلم من الاستسلام وقال غيره السلم خلاف المحارب

اللغة

الخزي المكروه والهوان والتشاكس التمانع والتنازع تشاكسوا في الأمر تشاكسا وأصله من الشكاسة وهو سوء الخلق والاختصام ردّ كل واحد من الاثنين ما أتي به الآخر على وجه الانكار عليه وقد يكون احدهما محقّا والآخر مبطلا وقد يكونان جميعا مبطلين كاليهودي والنصراني وقد يكونان جميعا محقين

(١) هذا بيت من معلقته المعروفة . والخيم : الجبن . يقول : حبن جعلني اصحابي حاجزا بينهم وبين أسنة اعدائهم اى قدموني لم أجبن عن أسنتهم ولم أتأخر ولكن قد تضايق موضع أقدامي فتعذر التقدم فتأخرت لذلك . و يروى «ولو انى تضايق مقدمى » والمعنى فلم أتأخر ولو كان المسافة بيني وبينهم ضيقا .

الاعراب

قال الزجاج عربيا منصوب على الحال اي في حال عروبيته وذكر قرآنا توكيداً كما تقول جاءني زيد رجلا صالحا وجاءني عمرو انسانا عاقلا فتذكر رجلا وإنسانا توكيداً . ضرب الله مثلا رجلا فرجلا بدل من قوله مثلا والتقدير ضرب الله مثلا مثل رجل فحذف المضاف وقوله فيه شركاء يرتفع بالظرف ورجلا عطف على الأول اي ومثل رجل سالم

(المعنى)

ثم اخبر سبحانه عما فعله بالأمم المكذبة بأن قال (فأذاقهم الله الخزي) اي الذل والهوان (في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر) اي اعظم واشدّ (لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) سمّى ذكر الأمم الماضية مثلا كما قال ونبيّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال والمعنى إنا وصفنا وبيّنا للناس في هذا القرآن كلّما يحتاجون اليه من مصالح دينهم ودنياهم (لعلهم يتذكرون) اي لكي يتذكروا ويتدبّروا فيعتبروا (قرآنا عربيا غير ذي عوج) اي غير ذي ميل عن الحق بل هو مستقيم موصل إلى الحق (لعلهم يتقون) اي لكي يتقوا معاصي الله ثم ضرب سبحانه مثلا للكافر وعبادته الاصنام فقال (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) اي مختلفون سيّئوا الاخلاق متنازعون وإنما ضرب هذا المثل لسائر المشركين ولكنه ذكر رجلا واحداً وصفه بصفة موجودة في سائر المشركين فيكون المثل المضروب له مضروباً لهم جميعاً ويعني بقوله رجلا فيه شركاء اي يعبد آلهة مختلفة واصناماً كثيرة وهم متشاجرون متعاسرون هذا يأمره وهذا ينهاه ويريد كل واحد منهم ان يفرده بالخدمة ثم يكل كل منهم أمره إلى الآخر ويكل الآخر إلى الآخر فيبقى هو خالياً عن المنافع وهذا حال من يخدم جماعة مختلفة الآراء والاهواء هذا مثل الكافر ثم ضرب سبحانه مثل المؤمن الموحّد فقال (ورجلا سلما لرجل) اي خالصا يعبده الكما واحداً لايشوب بخدمته خدمة غيره ولا يأمل سواه ومن كان بهذه الصفة نال ثمرة خدمته لا سيما إذا كان المخدوم حكيما قادراً كريماً وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني بالاسناد عن علي (ع) انه قال أنا ذاك الرجل السلم لرسول الله ﷺ وروى العياشي بإسناده عن ابي خالد عن ابي جعفر (ع) قال الرجل السلم للرجل حقاً عليٌّ وشيعته (هل يستويان مثلا) اي هل يستوي هذان الرجلان صفة وشبهاً في حسن العاقبة وحصول المنفعة اي لا يستويان فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وحياطته ما لا يستحقّه صاحب الشركاء المختلفين في أمره وتمّ الكلام ثم قال (الحمد لله) اي احمد والله المستحق للثناء والشكر على هذا المثل الذي علّمكموه فأزال به للمؤمنين الشبه واوضح الدلالة وقيل معناه احمدوا الله حيث لطف بكم حتى عبدتموه وحده واخلصتم الإيمان له والتوحيد فهي النعمة السابغة (بل اكثرهم لايعلمون) حقيقة ذلك ثم بيّن سبحانه المقام الذي يتبيّن فيه المحقّ والمبطل فقال (إنك ميت وإنهم ميتون) اي عاقبتك الموت وكذا عاقبة هؤلاء (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم من ابن عباس وكان ابو العالية يقول الاختصام يكون بين اهل القبلة قال ابن عمر كنا نرى ان هذه الآية فينا وفي اهل الكتابين وقلنا كيف نختصم نحن ونبيّنا واحد وكتابنا واحد حتى رأيتُ بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعلمت انها فينا نزلت وقال ابو سعيد الخدري في هذه الآية كنا نقول ربنا واحد ونبيّنا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشدّ بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وقال ابن عباس الاختصام يكون بين المهتدين والضالين والصادقين والكاذبين

قوله تعالى (٣٢) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي

جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣٣) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٤) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٥) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (اربع آيات)

الإعراب

والذي جاء بالصدق وصدق به الذي هنا جنس لأن خبره جمع وهو قوله أولئك فلا يراد به واحد معين ليكفر الله اللام من صلة قوله لهم ما يشاؤون عند ربهم وقيل هو لام القسم والتقدير والله ليكفرن فحذفت النون وكسرت اللام

المعنى

ثم بيّن سبحانه حال الفريقين فقال (فمن اظلم ممن كذب على الله) بأن ادّعى له ولداً وشريكاً (وكذب بالصدق) بالتوحيد والقرآن (إذ جاءه) ثم هدّد سبحانه من هذه صورته بأن قال (أليس في جهنم مثوى للكافرين) اي منزل ومقام للجاحدين وهذا استفهام يراد به التقرير ومعناه انه لكذلك ويقال اثوى وثوى بمعنى قال

طَالَ الثَّوَاءُ عَلَى رَبْعٍ بِيَمْؤُودِ أَوْدَى وَكُلُّ جَدِيدٍ مَرَّةً مُودِ (١)

(والذي جاء بالصدق وصدّق به) اختلف في المعني به فقيل الذي جاء بالصدق محمد ﷺ جاء بالقرآن وصدّق به المؤمنون فهو حجتهم في الدنيا والآخرة عن ابن زيد وقتادة ومقاتل واحتجّوا بقوله (أولئك هم المتقون) وقيل الذي جاء بالصدق وهو القرآن جبرائيل (ع) وصدّق به محمد ﷺ تلقاه بالقبول عن السدي وقيل الذي جاء بالصدق وهو قول لا إله الا الله هو محمد ﷺ وصدّق به هو ايضاً وبلّغه الى الخلق عن ابن عباس قال ولو كان المصدّق به غيره لقال والذي صدّق به وهذا اقوى الاقوال وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ وصدّق به ابو بكر عن ابي العالية والكلبي وقيل الذي جاء بالصدق الانبياء وصدّق به اتباعهم عن عطاء والربيع وعلى هذا فيكون الذي للجنس كما في قول الشاعر

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ (٢)

ألا ترى انه عاد اليه ضمير الجمع وقيل الذي جاء بالصدق محمد ﷺ وصدّق به علي بن ابي طالب «ع» عن مجاهد ورواه الضحاك عن ابن عباس وهو المروي عن أئمة الهدى «ع» من آل محمد ﷺ ثم منّ سبحانه بما أعدّ لهم من النعيم فقال (لهم ما يشاؤون) من الثواب والنعيم في الجنة (عند ربهم) ينالون من جهته (ذلك جزاء المحسنين) على احسانهم الذي فعلوه في الدنيا واعمالهم الصالحة (ليكفّر الله عنهم اسوء الذي عملوا) اي اسقط الله عنهم عقاب الشرك والمعاصي التي فعلوها قبل ذلك بإيمانهم واحسانهم ورجوعهم إلى الله تعالى (ويجزيهم اجرهم) اي ثوابهم (بأحسن الذي كانوا يعملون) اي بالفرائض والنوافل فهي احسن اعمالهم لأن المباح وان كان حسناً فلا يستحق به ثواب ولا مدح

قوله تعالى (٣٦) أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٧) وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ (٣٨) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ

(١) قائله شماخ و يمؤود : اسم واد لغطفان . ومودا اسم فاعل من أودى اى هلك . (٢) مر البيت في صفحة ٨٣ و ٦٨ من هذا المجلد .

اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٩) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤٠) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير عاصم وابو جعفر بكاف عباده على الجمع والباقون عبده على التوحيد وقرأ اهل البصرة كاشفات وممسكات بالتنوين وما بعدهما منصوبان وقرأ الباقون بغير تنوين على اضافة كل واحدة منها إلى مابعدها

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قرأ عبده ويخوفونك فكأن المعنى أليس الله بكافيك وهم يخوفونك ومن قرأ عباده فالمعنى أليس الله بكاف عباده الأنبياء كما كفى ابراهيم النار ونوحا الغرق ويونس ما وقع اليه فهو سبحانه كافيك كما كفى الانبياء قبلك ومن قرأ كاشفات ضره وممسكات رحمته فالوجه فيه انه ما لم يقع وما لم يقع من اسماء الفاعلين او كان للحال فالوجه فيه النصب ووجه الجر انه لما حذف التنوين وان كان المعنى على اثباته عاقبت الاضافة التنوين

﴿ المعنى ﴾

لما وعد الله سبحانه الصادق والمصدق عقبه بأنه يكفيهم وان كانت الأعداء تقصدهم وتؤذيهم فقال (أليس الله بكاف عبده) استفهام يراد به التقرير يعني به محمداً ﷺ يكفيه عداوة من يعاديه ويناوئه (ويخوفونك) يا محمد (بالذين من دونه) كانت الكفار تخوفه بالأوثان التي كانوا يعبدونها عن قتادة والسدي وابن زيد لأنهم قالوا له إنا نخاف أن تهلكك آلهتنا وقيل انه لما قصد خالد الكسر العزى بأمر النبي ﷺ قالوا اياك ياخالد فبأسها شديد فضرب خالد أنفها بالفأس وهشمها وقال كفرانك ياعزى لا سبحانك سبحان من اهانك إني رأيت الله قد أهانك (ومن يضلل الله فما له من هاد) أي من اضله الله عن طريق الجنة بكفره ومعاصيه فليس له هاد يهديه اليها وقيل معناه ان من وصفه بأنه ضال إذا ضل هو عن الحق فليس له من يسميه هاديا وقيل من يحرمه الله من زيادات الهدى فليس له زائد (ومن يهدي الله فما له من مضل) اي من يهده الله إلى طريق الجنة فلا احد يضله عنها وقيل من يهده الله فاهتدى فلا يقدر احد على صرفه عنه وقيل من بلغ استحقاق زيادات الهدى فقد ارتفع عن تأثير الوسواس (أليس الله بعزيز) اي قادر قاهر لا يقدر احد على مغالبته (ذي انتقام) من اعدائه الجاحدين لنعمه ثم قال لنبيه ﷺ (ولئن سألتهم) يامحمد (من خلق السموات والأرض) وأوجدها وانشأها بعد ان كانت معدومة (ليقولن الله) الفاعل لذلك لأنهم مع عبادتهم الأوثان يقرون بذلك ثم احتج عليهم بأن مايعبدونه من دون الله لا يملك كشف الضر والسوء عنهم فقال (قل) لهم (أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر) اي بمرض او فقر او بلاء او شدة (هل هن كاشفات ضره) اي هل يكشفن ضره (او أرادني برحمة) اي بخير او صحة (هل هن ممسكات رحمته) اي هل يمسكن ويحبسن عني رحمته والمعنى أن من عجز عن النفع والضر وكشف السوء والشر عمن يتقرب اليه كيف يحسن منه عبادته وإنما يحسن العبادة لمن قدر على جميع ذلك ولايلحقه العجز والمنع وهو الله تعالى (قل) يا محمد (حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) وبه يثق الواثقون ومن توكل على غيره توكل على غير كاف (قل) لهم ياحمد (ياقوم اعملوا على مكانتكم) اي على قدر جهدكم وطاقتكم في اهلاكي وتضعيف امري (اني عامل) قدر جهدي وطاقتي (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) قد مضى مفسرا وفي هذا غاية الوعيد والتهديد

النظم

اتصل قوله ولئن سألتهم بقوله ويخوفونك بالذين من دونه والمعنى انه لا ينبغي ان يخوفوك بها مع اقرارهم بأن الخالق هو الله دون غيره

قوله تعالى (٤١) إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٤٢) اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٣) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٤) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٥) وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم وقتيبة قُضي بالضم الموت بالرفع والباقون قضى بالفتح الموت بالنصب

الحجة

قال ابو علي حجة من بنى الفعل للفاعل قوله ويرسل الاخرى فكما أن هذا مبني للفاعل فكذلك حكم الذي عطف عليه ومن بنى الفعل للمفعول به فهو في المعنى مثل بناء الفعل للفاعل والأول أبين

اللغة

التوفي قبض الشيء على الإيفاء والاتمام يقال توفيت حقي من فلان واستوفيته بمعنى والاشمئزاز الانقباض والنفور عن الشيء قال عمرو بن كلثوم

إِذَا عَضَّ الثِّقَافُ بِهَا اشْمَأَزَّتْ ... وَوَلَّتْهُمْ عَشَوْزَنَةً زَبُونًا (١)

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي الشمز نفور الشيء من الشيء يكرهه

المعنى

ثم بيَّن سبحانه تحقيق وعيده بالعذاب المقيم بأن قال (إنا أنزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (للناس) اي لجميع الخلق عن ابن عباس (بالحق) اي ليس فيه شيء من الباطل وقيل بالحق معناه بأنه الحق او على انه الحق الذي يجب النظر في موجبه ومقتضاه فما صحّحه وجب تصحيحه وما افسده وجب افساده وما رغّب فيه وجب العمل به وما حذّر منه وجب اجتنابه وما دعا اليه فهو الرشد وما صرف عنه فهو الغيّ (فمن اهتدى) بما فيه من الأدلة (فلنفسه) لأن النفع في عاقبته يعود اليه (ومن ضل) عنه وحاد (فإنما يضل عليها) اي على نفسه لأن مضرة عاقبته من العقاب تعود عليه (وما انت) يا محمد (عليهم بوكيل) اي برقيب في ايصال الحق إلى قلوبهم وحفظه عليهم حتى لا يتركوه ولا ينصرفوا عنه اذ لا تقدر على اكراههم على الاسلام وقيل بكفيل يلزمك إيمانهم فإنما عليك البلاغ (الله يتوفى الأنفس حين موتها) اي يقبضها اليه وقت موتها وانقضاء آجالها والمعنى حين موت أبدانها واجسادها على حذف المضاف (والتي لم تمت في منامها) اي ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها والتي

(١) هذا بيت من معلقته الشهيرة يصف قومه بالعزة والمنعة وان كل من رامهم أرجعوه خائباً ذليلا. والثقاف. الحديدة التي يسوى ويقوم بها الرماح. والعشوزنة: الصلبة الشديدة. والزبون: الدفوع. وقبل هذا البيت قوله «فان قناتنا يا عمرو أعيت ☆ على الاعداء قبلك أن تلينا» جعل القناة التي نفرت عن التقويم مثلا لعزتهم التي لا تضعضع

تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز وهي التي تفارق النائم فلا يعقل والتي تتوفى عند الموت هي نفس الحياة التي إذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس فالفرق بين قبض النوم وقبض الموت ان قبض النوم يضاد اليقظة وقبض الموت يضاد الحياة وقبض النوم يكون الروح معه في البدن وقبض الموت يخرج الروح معه من البدن (فيمسك التي قضى عليها الموت) إلى يوم القيامة لا تعود إلى الدنيا (ويرسل الأخرى) يعني الأنفس الأخرى التي لم يقض على موتها يريد نفس النائم (إلى أجل مسمى) قد سمّي لموته (إن في ذلك لآيات) أي دلالات واضحات على توحيد الله وكمال قدرته (لقوم يتفكرون) في الأدلة إذ لا يقدر على قبض النفوس تارة بالنوم وتارة بالموت غير الله تعالى قال ابن عباس في بني آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فإذا نام قبض الله نفسه ولم يقبض روحه و إذا مات قبض الله نفسه وروحه ويؤيده ما رواه العياشي بالاسناد عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن ثابت ابي المقدام عن ابي جعفر «ع» قال ما من أحد ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء وبقيت روحه في بدنه وصار بينهما سبب كشعاع الشمس فإن أذن الله في قبض الأرواح أجابت الروح النفس و إذا أذن الله في ردّ الروح أجابت النفس الروح وهو قوله سبحانه الله يتوفى الأنفس حين موتها الآية فمهما رأت في ملكوت السماوات فهو مما له تأويل وما رأت فيما بين السماء والأرض فهو مما يخيله الشيطان ولا تأويل له (أم اتخذوا) أي بل اتخذوا (من دون الله) آلهة (شفعاء قل) يا محمد (أولو كانوا) يعني الآلهة (لايملكون شيئا) من الشفاعة (ولايعقلون) وجواب هذا الاستفهام محذوف تقديره أولو كانوا بهذه الصفة يتخذونهم شفعاء ويعبدونهم راجين شفاعتهم ثم قال (قل) لهم (لله الشفاعة جميعا) أي لا يشفع احد إلا بإذنه عن مجاهد والمعنى لا يملك احد الشفاعة إلا بتمليكه كما قال من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وفي هذا ابطال الشفاعة لمن ادعيت له الشفاعة من الآلهة (له ملك السماوات والأرض ثم اليه ترجعون) مضى معناه ثم اخبر سبحانه عن سوء اعتقادهم وشدّة عنادهم فقال (و إذا ذكر الله وحده اشمأزت) أي نفرت عن السدي والضحاك والجبائي وقيل انقبضت عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقيل كفرت واستكبرت عن قتادة (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) كان المشركون إذا سمعوا قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا من هذا لأنهم كانوا يقولون الأصنام آلهة (و إذا ذكر الذين من دونه) يعني الأصنام التي عبدوها من دونه (إذا هم يستبشرون) يفرحون ويسرّون حتى يظهر السرور في وجوههم

﴿ النظم ﴾

اتصل قوله الله يتوفى الأنفس بقوله وما أنت عليهم بوكيل فبيّن سبحانه ان الحفيظ عليهم هو الذي يتوفاهم ويصرفهم كيف يشاء. وقيل يتصل بقوله أليس الله بكاف عبده أي من كان هذه صفته فإنه يكفيك امرهم واتصل قوله أم اتخذوا من دون الله شفعاء بقوله أليس الله بكاف عبده أي فكما ان اصنامهم لا تملك الضر والنفع فإنها لا تملك الشفاعة

قوله تعالى (٤٦) قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٧) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٨) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٤٩) فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

وقوله «عشوزنة زبونا» صفة للرماح.

لَا يَعْلَمُونَ (٥٠) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (خمس آيات)

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه ذكر الأدلة فلم ينظروا فيها والمواعظ فلم يتعظوا بها أمر نبيه ﷺ أن يحاكمهم اليه ليفعل بهم ما يستحقونه فقال (قل) يا محمد ادع بهذا الدعاء (اللهم فاطر السماوات والأرض) أي يا خالقهما ومنشئهما (عالم الغيب والشهادة) أي يا عالم ما غاب علمه عن جميع الخلق وعالم ما شهدوه وعلموه (أنت تحكم بين عبادك) يوم القيامة (فيما كانوا فيه يختلفون) في دار الدنيا من أمر دينهم ودنياهم وتفصل بينهم بالحق في الحقوق والمظالم أي فاحكم بيني وبين قومي بالحق وفي هذا بشارة للمؤمنين بالظفر والنصر لأنه سبحانه إنما أمره به للاجابة لا محالة وعن سعيد بن المسيب انه قال اني لأعرف موضع آية لم يقرأها أحد قط فسأل الله شيئا إلا اعطاه قوله قل اللهم فاطر السماوات والأرض الآية ثم اخبر سبحانه عن وقوع العقاب بالكفار بأن قال (ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه) زيادة عليه (لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) وقد مضى تفسيره (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) اي ظهر لهم يوم القيامة من صنوف العذاب ما لم يكونوا ينتظرونه ولا يظنونه واصلا اليهم ولم يكن في حسابهم قال السدي ظنوا اعمالهم حسنات فبدت لهم سيئات وقيل ان محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له أتجزع قال أخذتني آية من كتاب الله عز وجل وبدا لهم الآية أخذتني أن يبدو لي من الله ما لم احتسب (وبدا لهم) أي وظهر لهم ايضا (سيئات ما كسبوا) أي جزاء سيئات اعمالهم (وحاق بهم) أي نزل بهم (ما كانوا به يستهزؤون) وهو كل ماينذرهم النبي ﷺ مما كانوا ينكرونه ويكذبون به ثم اخبر عن شدة تقلب الانسان من حال الى حال فقال (فإذا مس الانسان ضر) من مرض اوشدة (دعانا) واستغاث بنا مسلما مخلصا في كشفه علما بأنه لا يقدر غيرنا عليه (ثم إذا خولناه نعمة منا) أي أعطيناه نعمة من الصحة في الجسم والسعة في الرزق او غير ذلك من النعم (قال إنما أوتيته على علم) قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ قال إنما أوتيته بعلمي وجلدي وحيلتي عن الحسن والجبائي فيكون هذا اشارة الى جهلهم بمواضع المنافع والمضار ﴿ وثانيها ﴾ على علم علي خير علمه الله عندي عن قتادة ومقاتل ﴿ وثالثها ﴾ على علم يرضاه عني فلذلك أتاني ما أتاني من النعم ثم قال ليس الأمر على ما يقولونه (بل هي فتنة) أي بلية واختبار يبتليه الله بها فيظهر كيف شكره او صبره في مقابلتها فيجازيه بحسبها وقيل معناه هذه النعمة فتنة أي عذاب لهم إذا أضافوها إلى أنفسهم وقيل معناه هذه المقالة التي قالوها فتنة لهم لأنهم يعاقبون عليها (ولكن اكثرهم لا يعلمون) البلوى من النعمى وقيل لا يعلمون ان النعم كلها من الله وان حصلت باسباب من جهة العبد (قد قالها) أي قد قال مثل هذه الكلمة وهذه المقالة (الذين من قبلهم) مثل قارون حيث قال إنما أوتيته على علم عندي (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أي فلم ينفعهم ما كانوا يجمعونه من الأموال بل صارت وبالا عليهم

قوله تعالى (٥١) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥٢) أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٣) قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ

رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٤) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٥٥) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (خمس آيات)

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن حال هؤلاء الكفار فقال (فأصابهم سيئات ما كسبوا) أي اصابهم عقاب سيئاتهم فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه وقيل إنما سمّي عقاب سيئاتهم سيئة لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (والذين ظلموا من هؤلاء) اي من كفار قومك يا محمد (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) ايضا (وما هم بمعجزين) أي لا يفوتون الله تعالى وقيل لا يعجزون الله بالخروج من قدرته (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) اي يوسّع الرزق على من يشاء ويضيق على من يشاء بحسب ما يعلم من المصلحة (إن في ذلك لآيات) دلالات واضحات (لقوم يؤمنون) يصدقون بتوحيد الله تعالى لأنهم المنتفعون بها (قل) يا محمد (يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم) بارتكاب الذنوب (لا تقنطوا من رحمة الله) أي لا تيأسوا من مغفرة الله (إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال ما أحب ان لي الدنيا ومافيها بهذه الآية وعن امير المؤمنين علي «ع» انه قال ما في القرآن آية أوسع من يا عبادي الذين اسرفوا الآية وفي مصحف عبدالله ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء وقيل ان الآية نزلت في وحشي قاتل حمزة حين أراد أن يسلم وخاف أن لا تقبل توبته فلما نزلت الآية اسلم فقيل يا رسول الله هذه له خاصة أم للمسلمين عامة فقال ﷺ بل للمسلمين عامة وهذا لا يصح لأن الآية نزلت بمكة ووحشي اسلم بعدها بسنين كثيرة ولكن يمكن أن يكون قرئت عليه الآية فكانت سبب إسلامه فالآية محمولة على عمومها فالله سبحانه يغفر جميع الذنوب للتائب لا محالة فإن مات الموحد من غير توبة فهو في مشيئة الله إن شاء عذّبه بعدله وإن شاء غفر له بفضله كما قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم دعا سبحانه عباده الى التوبة وأمرهم بالإنابة اليه فقال (وأنيبوا إلى ربكم) أي ارجعوا من الشرك والذنوب الى الله فوحّدوه (وأسلموا له) أي انقادوا له بالطاعة فيما يأمركم به وقيل معناه اجعلوا أنفسكم خالصة له قد حثّ سبحانه بهذه الآية على التوبة كيلا يرتكب الإنسان المعصية ويدع التوبة اتكالا على الآية المتقدمة (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) عند نزول العذاب بكم (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) اي من الحلال والحرام والأمر والنهي والوعد والوعيد فمن أتى بالمأمور به وترك المنهي عنه فقد اتبع الأحسن عن ابن عباس وقيل إنما قال احسن ما أنزل لأنه أراد بذلك الواجبات والنوافل التي هي الطاعات دون المباحات وقيل اراد بالأحسن الناسخ دون المنسوخ عن الجبائي قال علي بن عيسى وهذا خطأ لأن المنسوخ لا يجوز العمل به فلا يكون حسناً بل هو قبيح ولا يكون الحسن احسن من قبيح وقد أجيب عن هذا بأن المنسوخ يجوز ان يكون حسنا إلا ان العمل بالناسخ يكون اصلح واحسن (من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة) اي فجأة في وقت لا تتوقعونه (وأنتم لا تشعرون) اي لا تعرفون وقت نزوله بكم

قوله تعالى (٥٦) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ

لِمَنَ ٱلسَّاخِرِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ (٥٨) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٥٩) بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ (٦٠) وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى ٱللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابو جعفر يا حسرتاي بياء مفتوحة بعد الألف والباقون يا حسرتا بغير ياء

الحجة

قال ابن جني في قوله يا حسرتاي اشكال وذلك ان الألف في حسرتا إنما هي بدل من يا حسرتي ابدلت الياء الفا هربا إلى خفة الألف من ثقل الياء قال والذي عندي فيه انه جمع بين العوض والمعوض عنه كمذهب ابي اسحاق وابي بكر في قول الفرزدق

هُمَا نَفَثَا فِي فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا عَلَى النَّابِحِ الْعَاوِي أَشَدَّ رِجَامِ (١)

فجمع بين الميم والواو وإنما الميم بدل من الواو ومثله ما أنشده ابو زيد

إِنِّي إِذَا مَا حَدَثٌ أَلَمَّا أَقُولُ يَا اللَّهُمَّ يَا اللَّهُمَّا

فجمع بين ياء وميم وإنما الميم عوض من ياء

اللغة

التفريط اهمال ما يجب ان يتقدّم فيه حتى يفوت وقته ومثله التقصير وضدّه الأخذ بالحزم يقال فلان حازم وفلان مفرط والتحسر الاغتمام مما فات وقته لانحساره عنه بما لا يمكنه استدراكه ومثله التأسف واصل الباب الانقطاع يقال انحسرت الدابة أي انقطع سيرها كالا والجنب العضو المعروف والجنب ايضا معظم الشيء واكثره يقال هذا قليل في جنب مودّتك ويقال ما فعلت في جنب حاجتي اي في امره قال كثير

أَلَا تَتَّقِينَ اللهَ فِي جَنْبِ عَاشِقٍ لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تَقَطَّعُ

الاعراب

بلى قد جاءتك جواب قوله او تقول لو انّ الله هداني لكنت من المتقين لأن معناه ما هداني فقيل لها بلى قد جاءتك آياتي لأن بلى جواب النفي وليس في الظاهر نفي فيحمل على المعنى . وجوههم مسودة مبتدأ وخبر والجملة في موضع نصب على الحال واستغنى عن الواو لمكان الضمير ويجوز في غير القرآن وجوههم بالنصب على البدل . من الذين كذبوا أي ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة بالنصب ومثل النصب قول عدي بن زيد

دَعِينِي إِنَّ أَمْرَكِ لَنْ يُطَاعَا وَمَا أَلْفَيْتِنِي حِلْمِي مُضَاعَا

المعنى

لمّا أمر الله سبحانه باتّباع الطاعات واجتناب المقبحات تحذيراً من نزول العقوبات بيّن الغرض في ذلك

(١) نفث من فيه : رمى به . والنباح صوت الكلب والمراد من العاوي : الكلب . والرجام : الرمي بالحجارة وقبل هذا البيت قوله : «وان ابن ابليس وابليس ابنه لهم بعذاب الناس كل غلام»

بقوله (ان تقول نفس) اي خوف ان تقول او حذراً من ان تقول والمعنى كراهة ان تصيروا الى حال تقولون فيها (يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله) اي يا ندامتي على ما ضيّعت من ثواب الله عن ابن عباس وقيل قصرت في أمر الله عن مجاهد والسدي وقيل في طاعة الله عن الحسن قال الفراء الجنب القرب اي في قرب الله وجواره يقال فلان يعيش في جنب فلان اي في قربه وجواره ومنه قوله تعالى والصاحب بالجنب فيكون المعنى على هذا القول على ما فرطت في طلب جنب الله اي في طلب جواره وقربه وهو الجنة وقال الزجاج اي فرطت في الطريق الذي هو طريق الله فيكون الجنب بمعنى الجانب اي قصرت في الجانب الذي يؤدّي إلى رضا الله وروى العياشي بالاسناد عن ابي الجارود عن ابي جعفر «ع» انه قال نحن جنب الله (وإن كنت لمن الساخرين) اي واني كنت لمن المستهزئين بالنبي ﷺ والقرآن وبالمؤمنين في دار الدنيا عن قتادة والسدي وقيل من الساخرين ممن يدعوني إلى الإيمان (او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين) اي فعلنا ذلك كراهة ان تقول لو أراد الله هدايتي لكنت ممن يتقي معاصيه خوفاً من عقابه وقيل انهم لمّا لم ينظروا في الأدلة واعرضوا عن القرآن واشتغلوا بالدنيا والاباطيل توهّموا ان الله تعالى لم يهدهم فقالوا ذلك بالظن ولهذا ردّ الله عليهم بقوله بلى قد جاءتك آياتي الآية وقيل معناه لو انّ الله هداني الى النجاة بأن يردّني الى حال التكليف لكنت ممن يتقي المعاصي عن الجبائي قال لأنهم يضطرون يوم القيامة إلى العلم بأن الله قد هداهم (او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فأكون من المحسنين) اي لو انّ لي رجعة إلى الدنيا فأكون من الموحّدين المطيعين ثم قال سبحانه منكراً على هذا القائل (بلى) اي ليس كما قلت (قد جاءتك آياتي) اي حججي ودلالاتي (فكذبت بها) وانفت من اتباعها وذلك قوله (واستكبرت وكنت من الكافرين) بها وإنما قال جاءتك وان كانت النفس مؤنّثة لأن المراد بالنفس هنا الإنسان وروي في الشواذ عن عاصم والجحدري ويحيى بن يعمر بكسر الكاف والتاء آت بلى قد جاءتكِ آياتي فكذبتِ بها واستكبرتِ وكنتِ من الكافرين (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) فزعموا ان له شريكاً وولداً (وجوههم مسودّة أليس في جهنم مثوى للمتكبّرين) الذين تكبّروا عن الإيمان بالله هذا استفهام تقرير اي فيها مثواهم ومقامهم وروى العياشي باسناده عن خيثمة قال سمعت اباعبد الله «ع» يقول من حدث عنا بحديث فنحن سائلوه عنه يوماً فإن صدق علينا فإنما يصدق على الله وعلى رسوله وإن كذب علينا فإنما يكذب على الله وعلى رسوله لأنا إذا حدثنا لا نقول قال فلان وقال فلان إنما نقول قال الله وقال رسوله ثم تلا هذه الآية ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله الآية ثم أشار خيثمة إلى أذنيه فقال صمّتا ان لم أكن سمعته وعن سودة بن كليب قال سألت اباجعفر «ع» عن هذه الآية فقال كل امام انتحل إمامة ليست له من الله قلت وان كان علوياً قال «ع» وان كان علوياً قلت وإن كان فاطمياً قال وان كان فاطمياً

قوله تعالى (٦١) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٣) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٤) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٥) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٦) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (ست آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير حفص بمفازاتهم والباقون بمفازتهم وقرأ اهل المدينة تأمروني خفيفة النون مفتوحة الياء وقرأ ابن عامر تأمرونني بنونين ساكنة الياء وقرأ ابن كثير تأمروني مشدّدة النون مفتوحة الياء والباقون تأمروني مشدّدة النون ساكنة الياء وقرأ زيد عن يعقوب لنحبطنّ عملك والباقون وليحبطنّ عملك

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة الافراد ان المفازة والفوز واحد فافراد المفازة كافراد الفوز وحجة الجمع ان المصادر قد تجمع اذا اختلفت اجناسها ومثله في الافراد والجمع على مكانتكم ومكاناتكم وقوله افغير الله تأمروني أعبد غير ينتصب على وجهين ﴿ احدهما ﴾ اعبد غير الله فيما تأمرونني ﴿ والآخر ﴾ ان ينتصب بتأمرونني اي اتأمرونني بعبادة غير الله فلما حذف ان ارتفع اعبد فصارت ان وصلتها في موضع نصب ولا يجوز انتصاب غير بأعبد على هذا لأنه في تقدير الصلة فلا يعمل فيما تقدّم عليه فموضع اعبد وان المضمرة نصب على تقدير البدل من غير كأنه قال أبعبادة غير الله تأمروني الا ان الجار حذف كما حذف من قوله امرتك الخير وصار التقدير بعد الحذف اغير الله تأمروني عبادته فاضمر المفعول الثاني للأمر والمفعول الأول علامة المتكلم وان اعبد بدل من غير ومثل هذا في البدل قوله وما أنسانيه الا الشيطان ان اذكره اي ما انساني ذكره الا الشيطان واقول في بيانه وشرحه ان تقديره كان في الأصل افبعبادة غير الله تأمروني ثم حذف الجار الذي هو الباء فوصل الفعل فنصبه فصار أفبعبادة غير الله تأمروني ثم حذف المضاف الذي هو عبادة واقيم المضاف اليه الذي هو غير مقامه فصار افغير الله تأمروني ثم جعل اعبد الذي تقديره ان اعبده وهو في معنى عبادته بدلا من غير الله وبياناً للمحذوف الذي هو عبادة في قوله أفبعبادة غير الله فصار مثل قوله تعالى وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره ومن قال ان قوله اعبد في موضع نصب على الحال فلا وجه لقوله واما على الوجه الاول وهو ان يكون غير الله منصوباً بأعبد فإنه يكون تأمرني اعتراضاً بين العامل والمعمول. رجعنا الى كلام ابي علي فأما تأمروني فالقياس تأمرونني ويدغم فيصير تأمروني وجاز الادغام واسكان النون المدغمة لأن قبلها حرف لين وهو الواو في تأمرونني ومن خفّف فقال تأمروني ينبغي ان يكون حذف النون الثانية المصاحبة لعلامة المنصوب المتكلم لأنها قد حذفت في مواضع نحو «بِسْوَ الْفَالِيَاتِ إِذَا فَلَيْنِي»(١) واني وكاني وقدي وقدني وإنّما قدّرنا حذف الثانية لأن التكرير والتثقيل به وقع ولأن حذف الاولى لحن لأنها دلالة الرفع وعلى هذا يحمل قول الشاعر

أَبِالْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ أَنِّي ... مُلَاقٍ لَا أَبَاكَ تُخَوِّفِينِي

وفتح الياء من تأمروني واسكانها جميعا سائغ حسن

﴿ المعنى ﴾

لمّا اخبر الله سبحانه عن حال الكفار عقّبه بذكر حال الأتقياء الابرار فقال (وينجّي الله الذين اتقوا) معاصيه خوفا من عقابه (بمفازتهم) اي بمنجاتهم من النار واصل المفازة المنجاة وبذلك سمّيت المفازة على وجه التفاؤل بالنجاة منها كما سمّوا اللديغ(٢) سليماً (لا يمسّهم السوء) اي لا يصيبهم المكروه والشدة (ولا هم

(١) هذا عجز بيت من قصيده لعمرو بن معد يكرب يصف فيها الشيب وقبله «نراه كالثغام يعل مسكا» و هو مذكور في جامع الشواهد وقدمر في الكتاب ايضاً مراراً. (٢) اللديغ: الذى لسعته الحية او العقرب.

يحزنون) على ما فاتهم من لذات الدنيا ولما ذكر الوعد والوعيد بيّن سبحانه انه القادر على كل شيء بقوله (الله خالق كل شيء) اي محدث كل شيء ومبدعه (وهو على كل شيء وكيل) اي حافظ مدبّر (له مقاليد السماوات والارض) واحدها مقليد ومقلاد يريد مفاتيح السماوات والارض بالرزق والرحمة عن ابن عباس وقتادة وقيل خزائن السماوات والارض يفتح الرزق على من يشاء ويغلقه عمن يشاء عن الضحاك (والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون) لأنهم يخسرون الجنة ونعيمها ويصلون النار وسعيرها ثم اعلم سبحانه انه المعبود لا معبود سواه بقوله (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (أفغير الله تأمروني اعبد) اي اتأمرونني أن اعبد غير الله (ايها الجاهلون) فيما تأمرونني به إذ تأمرون بعبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضرّ ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (ولقد اوحي اليك) يا محمد (والى الذين من قبلك) من الانبياء والرسل (لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) قال ابن عباس هذا أدب عن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وتهديد لغيره لأن الله تعالى قد عصمه من الشرك ومداهنة الكفار[1] وليس في هذا ما يدل على صحة القول بالإحباط على ما يذهب اليه أهل الوعيد لأن المعنى فيه ان من اشرك في عبادة الله غيره من الاصنام وغيرها وقعت عبادته على وجه لا يستحق عليها الثواب به ولذلك وصفها بأنها محبطة إذ لو كانت العبادة خالصة لوجه الله تعالى لاستحق عليها الثواب ثم أمر سبحانه بالتوحيد فقال (بل الله فاعبد) اي وجّه عبادتك اليه تعالى وحده دون الأصنام (وكن من الشاكرين) الذين يشكرون الله على نعمه ويخلصون العبادة له قال الزجاج الله منصوب بقوله فاعبد في قول البصريين والكوفيين والفاء جاءت على معنى المجازاة والمعنى قد تبينت فاعبد الله

قوله تعالى (٦٧) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٩) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٧٠) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (اربع آيات)

=(الإعراب)=

جميعاً نصب على الحال والعامل فيه محذوف وتقديره والارض اذا كانت مجتمعة قبضته فإذا ظرف زمان والعامل فيه قبضته وكان هاهنا تامة إذ لو كانت ناقصة لكان جميعاً خبرها ولم يجز ان يكون حالا وهذا كما قالوا في أخطب ما يكون الأمير قائماً ان التقدير إذا كان قائماً او اذ كان قائما وهذا بسرا اطيب منه تمراً أن التقدير هذا إذا كان بسراً اطيب منه إذا كان تمراً ومثله قول الشاعر

إِذَا الْمَرْءُ أَعْيَتْهُ الْمُرُوَّةُ نَاشِئًا ... فَمَطْلَبُهَا كَهْلًا عَلَيْهِ شَدِيدُ (٢)

اي إذا كان كهلا والمعنى والأرض في حال اجتماعها قبضته قال الإمام النحوي البصير قال ابو علي في الحجة ان التقدير والأرض ذات قبضته إذا كانت مجتمعة وقال في الحلبيات التقدير والأرض مقبوضة إذا كانت مجتمعة وقال فعلى التقدير الذي في الحجة لا يتأتى اعمال قبضته في إذا لأنه قدره ذات قبضته والمضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف وعلى التقدير في الحلبيات يتأتى اعمال قبضته في إذا لأنه بمعنى مفعول

(١) وقد ورد في روايات كثيرة عن أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم أجمعين أن القرآن نزل بإياك اعني و اسمعي يا جارة . و في حديث ابن أبي عمير عمن حدثه عن أبي عبدالله (ع) قال : ما عاتب الله نبيه فهو يعني به من قد مضى في القرآن مثل قوله : «ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم ...» عنى بذلك غيره «انتهى» وكيف ←

وأقول ان المضاف اليه إذا أقيم مقام المضاف بعد ان حذف المضاف جاز ان يعمل عمل المضاف كما اعرب بإعرابه فارتفع بعدأن كان مجروراً في الأصل فلما جاز أن يعمل المضاف فيما قبله جاز لما قام مقامه ان يعمل فيما قبله كما اكتسى اعرابه وكيف يجوز ان يستتم ما ذكره هذا الجامع للعلوم على مثل ابي علي مع الله يشق الشعر في هذا الفن

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن احوالهم فقال (وما قدروا الله حق قدره) اي ما عظّموا الله حق عظمته إذ عبدوا غيره وأمروا نبيّه بعبادة غيره عن الحسن والسدي قال المبرد واصله من قولك فلان عظيم القدر يريد بذلك جلالته والقدر اختصاص الشيء بعظم اوصغر اومساواة وقيل معناه وماوصفوا الله حق وصفه إذ جحدوا البعث فوصفوه بأنه خلق الخلق عبثاً وانه عاجز عن الإعادة والبعث (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) والقبضة في اللغة ما قبضت عليه بجميع كفّك أخبر سبحانه عن كمال قدرته فذكر أن الأرض كلها مع عظمها في مقدوره كالشيء الذي يقبض عليه القابض بكفّه فيكون في قبضته وهذا تفهيم لنا على عادة التخاطب فيما بيننا لأنا نقول هذا في قبضة فلان وفي يد فلان إذا هان عليه التصرف فيه وان لم يقبض عليه وكذا قوله (والسموات مطويات بيمينه) يطويها بقدرته كما يطوي الواحد منا الشيء المقدور له طيّه بيمينه وذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار والتحقيق للملك كما قال اوماملكت أيمانكم اي ما كان تحت قدرتكم إذ ليس الملك يختص باليمين دون الشمال وسائر الجسد وقيل معناه انه محفوظات مصونات بقوته واليمين القوة كما في قول الشاعر

إذا ما رايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقّاها عَرابَةُ بِاليَمِينِ(١)

ثم نزّه سبحانه نفسه عن شركهم فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون) اي عما يضيفونه اليه من الشبيه والمثل (ونفخ في الصور) وهو قرن ينفخ فيه اسرافيل ووجه الحكمة في ذلك انها علامة جعلها الله ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم في دار التكليف ثم تجديد الخلق فشبّه ذلك بما يتعارفونه من بوق الرحيل والنزول ولا تتصوره النفوس باحسن من هذه الطريقة وقيل ان الصور جمع صورة فكأنه نفخ في صورة الخلق عن قتادة وروي عنه انه قرأ في الصُوَر بفتح الراو (فصعق من في السموات ومن في الأرض) اي يموت من شدة تلك الصيحة التي تخرج من الصور جميع من في السماوات والأرض يقال صعق فلان إذا مات بحال هائلة شبيهة بالصيحة العظيمة (إلا من شاء الله) اختلف في المستثنى فقيل هم جبرائيل ومكائيل واسرافيل وملك الموت عن السدي وهو المروي عن حديث مرفوع وقيل هم الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله عن سعيد ابن جبير وعطا عن ابن عباس وأبي هريرة عن النبي ﷺ انه سأل جبرائيل عن هذه الآية من الذي لم يشأ الله ان يصعقهم قال هم الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش (ثم نفخ فيه اخرى) يعني نفخة البعث وهي النفخة الثانية وقال قتادة في حديث رفعه ان ما بين النفختين اربعين سنة وقيل ان الله تعالى يفني الاجسام كلها بعد الصعق وموت الخلق ثم يعيدها وقوله (فإذا هم قيام) اخبار عن سرعة ايجادهم لأنه سبحانه إذا نفخ النفخة الثانية أعادهم عقيب ذلك فيقومون من قبورهم (احياء ينظرون) اي ينتظرون مايفعل بهم وما يؤمرون به (وأشرقت الارض بنور ربها) اي أضاءت الارض بعدل ربها يوم القيامة لأن نور

كان فهذه الاية وأمثالها من باب «اياك اعني واسمعي ياجارة» خوطب به النبي صلى الله عليه وآله لكن المراد به الامة

(٢) الشعر في جامع الشواهد .

(١) قائله شماخ ونسبه الجوهري الى الحطيئة وعرابة : اسم رجل من الانصار وقدمر البيت ايضا

الارض بالعدل كما ان نور العلم بالعمل عن الحسن والسدي وقيل بنور يخلقه الله عز وجل يضيئ به ارض القيامة من غير شمس ولا قمر (ووضع الكتاب) اي كتب الاعمال التي كتبتها الملائكة على بني آدم توضع في أيديهم ليقرؤا منها اعمالهم والكتاب اسم جنس فيؤدي معنى الجمع اي يوضع كتاب كل إنسان في يمينه او شماله (وجيئ بالنبيين والشهداء) اي يعطى بهم والشهداء هم الذين يشهدون للانبياء على الأمم بأنهم قد بلغوا وان الأمم قد كذبوا عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله عن السدي وقيل هم عدول الآخرة يشهدون على الأمم بما شاهدوا عن الجبائي وابي مسلم وهذا كما جرت العادة بأن القضاء يكون بمشهد الشهداء والعدول وقيل هم الحفظة من الملائكة ويدل عليه قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقيل هم جميع الشهداء من الجوارح والمكان والزمان (وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون) اي يفصل بينهم بمر الحق لا ينقص احد منهم شيئاً مما يستحقه من الثواب ولا يفعل به مالا يستحقه من العقاب (ووفيت كل نفس ما عملت) اي يعطي كل نفس عاملة بالطاعات جزاء ما عملته على الوفاء والكمال دون النقصان (وهو اعلم بما يفعلون) اي والله سبحانه اعلم من كل احد بما يفعلونه من طاعة او معصية ولم يأمر الملائكة بكتبة الاعمال لحاجة إلى ذلك بل لزيادة تأكيد وليعلموا انه يجازيهم بحسب ما عملوا

﴿ النظم ﴾

اتصل قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة بقوله وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته إذ عبدوا معه غيره مع اقتداره على السماوات والأرض

قوله تعالى (٧١) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٢) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٣) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٤) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٥) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (خمس آيات)

« القراءة »

قرأ اهل الكوفة فتحت وفتحت بالتخفيف فيهما والباقون بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

حجة التشديد قوله مفتحة لهم الابواب وان التشديد يختص بالكثرة ووجه التخفيف ان التخفيف يصلح للقليل والكثير

اللغة

السوق الحث على السير ومنه قولهم الكلام يجري على سياقة واحدة ومنه السوق لأن المعاملة تساق فيها بالبيع والشراء والزمر جمع زمرة وهي الجماعة لها صوت كصوت المزمار ومنه مزامير داود وهي اصوات كانت له مستحسنة قال

لَهُ زَجَلٌ كَأَنَّهُ صَوْتُ حَادٍ ... إِذَا طَلَبَ الْوَسِيقَةَ أَوْ زَمِيرُ (١)

وقال ابو عبيدة هم جماعات في تفرقة بعضهم في أثر بعض وحفَّ القوم بفلان إذا اطافوا به واحدقوا به والحفافان الجانبان قال المبرد الواو في قوله حتى إذا جاؤها وفتحت ابوابها زائدة وكان ينكر قول من يقول هي واو الثمانية وأنشد لامرء القيس

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى ... بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلِ (٢)

قال والمعنى فلما اجزنا ساحة الحي انتحى بنا قال علي بن عيسى إنما جيء بهذه الواو تارة وحذفت أخرى للتصرف في الكلام وجواب إذا في صفة اهل الجنة محذوف وتقديره حتى إذا جاؤها وفتحت ابوابها وكانوا كيت وكيت فازوا ونالوا المنى وما اشبه ذلك وهذا معنى قول الخليل لأنه قال في بيت امرء القيس الجواب محذوف والتقدير فلما ا احة الحي وانتحى بنا خلونا ونعمنا ومثله قول بعض الهذليين

حَتَّى إِذَا سَلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدَةٍ ... شَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَّالَةُ الشُّرُدَا (٣)

فحذف جواب إذا لأن هذا البيت آخر القصيدة وتحقيقه ان التقدير حتى إذا جاؤها وفتحت ابوابها فالواو واو حال وجواب إذا مضمر كما اضمر في قوله حتى إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت إلى قوله ثم تاب عليهم والتقدير قاربوا الهلاك ثم تاب عليهم

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن قسمة احوال الخلائق في المحشر بعد فصل القضاء فقال (وسيق الذين كفروا) اي يساقون سوقاً في عنف (إلى جهنم زمراً) اي فوجاً بعد فوج وزمرة بعد زمرة (حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها) اي حتى إذا انتهوا إلى جهنم فتحت ابواب جهنم عند مجيئهم اليها وهي سبعة ابواب (وقال لهم خزنتها) الموكلون بها على وجه التهجين لفعلهم والانكار عليهم (ألم يأتكم رسل منكم) اي من امثالكم من البشر (يتلون عليكم) يقرؤون عليكم حجج ربكم ومايدلكم على معرفته ووجوب عبادته (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) اي ويخوفونكم من مشاهدة هذا اليوم وعذابه (قالوا) اي قال الكفار لهم (بلى) قد جاءتنا رسل ربنا وخوفونا بآيات الله (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) اي وجب العقاب على من كفر بالله تعالى لأنه اخبر بذلك وعلم من يكفر ويوافي بكفره فقطع على عقابه فلم يكن شيء يقع منه خلاف ماعلمه واخبر به فصار كونا في جهنم موافقاً لما اخبر به تعالى ولما علمه (قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها) أي فيقول عند ذلك خزنة جهنم وهم الملائكة الموكلون ادخلوا أبواب جهنم مؤبدين لا آخر لعقابكم (فبئس مثوى المتكبرين) أي بئس موضع اقامة المتكبرين عن الحق وقبوله جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً) أي يساقون مكرمين زمرة بعد زمرة كقوله يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً وانما ذكر السوق على وجه المقابلة لسوق الكافرين إلى جهنم كلفظ البشارة في قوله فبشرهم بعذاب اليم وإنما البشارة هي الخبر

(١) الزجل : رفع الصوت والطرب . والحادي : الذي يحدو للابل والوسيقة من الابل كالرفقة من الناس فاذا سرقت طردت معاً (٢) البيت من المعلقات والانتحاء بمعنى القصد أو بمعنى الاعتماد على الشيء أو بمعنى الاعتراض والكل محتمل في المقام والخبت : الارض المطمئنة و ذي حقاف اى ذات رمل والعقنقل : الرمل المنعقد المتلبد و في ان

السار (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) أي وقد فتحت أبوابها قبل مجيئهم وأبواب الجنة ثمانية وعن سهل ابن سعد الساعدي ان رسول الله ﷺ قال انَّ في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخلها إلا الصائمون رواه البخاري ومسلم في الصحيحين (وقال لهم خزنتها) عند استقبالهم (سلام عليكم) أي سلامة من الله عليكم يحيّونهم بالسلامة ليزدادوا بذلك سروراً وقيل هو دعاء لهم بالسلامة والخلود أي سلمتم من الآفات (طبتم) أي طبتم بالعمل الصالح في الدنيا وطابت أعمالكم الصالحة وزكت وقيل معناه طابت أنفسكم بدخول الجنة وقيل انهم طيبوا قبل دخول الجنة بالمغفرة واقتص لبعضهم من بعض فلما هذبوا وطيبوا قال لهم الخزنة طبتم عن قتادة وقيل طبتم أي طاب لكم المقام عن ابن عباس وقيل انهم إذا قربوا من الجنة يردّون على عين من الماء فيغتسلون بها ويشربون منها فيطهّر الله أجوافهم فلا يكون بعد ذلك منهم حدث وأذى ولا تتغير ألوانهم فتقول الملائكة (طبتم فادخلوها خالدين) أي فادخلوا الجنة خالدين مخلدين مؤبّدين (وقالوا) أي ويقول أهل الجنة إذا دخلوها اعترافاً بنعم الله تعالى عليهم (الحمد لله الذي صدقنا وعده) الذي وعدناه على ألسنة الرسل (وأورثنا الأرض) أي أرض الجنة لما صارت الجنة عاقبة أمرهم عبَّر عن ذلك بلفظ الميراث والايراث وقيل لأنهم ورثوها عن أهل النار (نتبوء من الجنة) أي نتَّخذ من الجنة مبوّأ ومأوى (حيث نشاء) وهذا إشارة إلى كثرة قصورهم ومنازلهم وسعة نعمتهم (فنعم أجر العاملين) أي فنعم ثواب المحسنين الجنة والنعيم فيها (وترى الملائكة حافين من حول العرش) معناه ومن عجائب أمور الآخرة انك ترى الملائكة محدقين بالعرش عن قتادة والسدي يطوفون حوله (يسبّحون بحمد ربهم) أي ينزّهون الله تعالى عما لا يليق به ويذكرونه بصفاته التي هو عليها وقيل يحمدون الله تعالى حيث دخل الموحّدون الجنة وقيل ان تسبيحهم في ذلك الوقت على سبيل التلذذ والتنعم لا على وجه التعبد إذ ليس هناك تكليف وقد عظَّم الله سبحانه أمر القضاء في الآخرة بنصب العرش وقيام الملائكة حوله معظمين له سبحانه ومسبّحين كما ان السلطان إذا أراد الجلوس للمظالم وقعد على سريره وأقام جنده حوله تعظيماً لأمره وإن استحال كونه عز وجل على العرش إذ ليس بصفة الجواهر والأجسام والجلوس على العرش من صفات الأجسام (وقضي بينهم بالحق) أي وفصّل بين الخلائق بالعدل وقيل بين الأنبياء والأمم وقيل بين أهل الجنة والنار (وقيل الحمد لله رب العالمين) من كلام أهل الجنة يقولون ذلك شكراً لله على نعمه التامة وقيل انه من كلام الله تعالى فقال في ابتداء الخلق الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وقال بعد افناء الخلق ثم بعد بعثهم واستقرار أهل الجنة في الجنة الحمد لله رب العالمين فوجب الأخذ بأدبه في ابتداء كل أمر بالحمد وختمه بالحمد

جواب لما قوله «انتحى» أوهو محذوف تقديره فلما اجزنا و انتحى بنا بطن خبت آمنا أوطابت حالنا ورق عيشنا او نحو ذلك خلاف ذكره الزوزنى فى شرح المعلقات وهنا قول ثالث و هو أن جواب لما « عصرت » فى بيت بعده على رواية المشهور ذكره فى هامش المعلقات العشر : ٦٧ فراجع (٣) مضى البيت فى صفحة ٣٣٠ من المجلد الثالث .

سورة المؤمن

مكية قال ابن عباس وقتادة إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة ان الذين يجادلون في آيات الله إلى قوله لا يعلمون وقال الحسن إلا قوله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار يعني بذلك صلاة الفجر وصلاة المغرب وقد ثبت ان فرض الصلاة نزل بالمدينة

﴿ عدد آيها ﴾

خمس وثمانون آية كوفي شامي وأربع حجازي آيتان بصري

﴿ اختلافها ﴾

تسع آيات حم كوفي كاظمين غير الكوفي يوم التلاق غير الشامي بارزون شامي بني اسرائيل الكتاب مكي كوفي والمدني الأول والبصير شامي والمدني الأخير يسبحون كوفي شامي والمدني الاخير كنتم تشركون كوفي شامي

﴿ فضلها ﴾

فضل الحواميم عموماً وفضلها خصوصاً أبو بريرة الأسلمي عن رسول الله ﷺ قال من أحبّ أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم في صلاة الليل. أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال الحواميم ديباج القرآن. ابن عباس قال لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم. ابن مسعود قال إذا وقعتُ في آل حم وقعتُ في روضات دمثات أتأنق فيهنّ. ابيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة حم المؤمن لم يبق روح نبيّ ولا صديق ولا مؤمن إلا صلّوا عليه واستغفروا له. وروى أبو بصير عن ابي عبد الله «ع» قال الحواميم ريحان القرآن فاحمدوا الله واشكروه بحفظها وتلاوتها وان العبد ليقوم يقرأ الحواميم فيخرج من فيه أطيب من المسك الاذفر والعنبر وان الله ليرحم تاليها وقارءها ويرحم جيرانه وأصدقاءه ومعارفه وكل حميم أو قريب له وانه في القيامة يستغفر له العرش والكرسي وملائكة الله المقربون. وروى ابو الصباح عن أبي جعفر (ع) قال من قرأ حم المؤمن في كل ثلاث غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر والزمه التقوى وجعل الآخرة خيراً له من الدنيا

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم سبحانه سورة الزمر بذكر الملائكة والجنة والنار افتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) حم (٢) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٤) مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٥) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (خمس آيات)

(١) آل حم: السور التى أولها حم أو يراد نفس حم والظاهر ان المراد هنا هو الاول. (٢) دمثات جمع دمثة: السهلة اللينة وأتأنق فيهن: اى أعجب بهن واستلذ بقرائتهن و أتتبع محاسنهن قاله الجزرى فى النهاية.

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم الا حمادا ويحيى عن ابي بكر حم بإمالة الألف والباقون بالفتح بغير امالة وهما لغتان فصيحتان

اللغة

من جعل حم اسما للسورة يؤيده قول شريح بن اوفى العجلي

يُذَكِّرُنِي حامِيمَ وَالرُّمْحُ شاجِرٌ ... فَهَلَّا تَلَا حمَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ (١)

فجعله اسما معربا وقول الكميت

وَجَدْنا لَكُمْ فِي آلِ حَم آيَةً ... تَأَوَّلَها مِنّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبُ (٢)

والعزيز القادر الغالب الذي لا يغالب المنيع بقدرته على غيره ولا يقدر عليه غيره والتوب يجوز أن يكون جمع توبة كدوم ودومة ويجوز ان يكون مصدر تاب يتوب توباً . والطول الانعام الذي تطول مدته على صاحبه كما ان التفضل النفع الذي فيه افضال على صاحبه ولو وقع النفع على خلاف هذا الوجه لم يكن تفضلا

الاعراب

إذا قدّرت اتل حم فموضعه نصب وقيل موضعه جرّ بالقسم وقد يجوز ان يكون مرفوع الموضع على تقدير هذا حم وقد فتح الميم علي بن عيسى بن عمر جعله اسماً للسورة فنصبه ولم ينوّن لأنه على وزن هابيل ويجوز ان يكون فتحه لالتقاء الساكنين والقراء على تسكين الميم وإذا كان من حروف التهجي فلا يدخلها الاعراب وتنزيل خبر مبتدأ محذوف . غافر الذنب جرّ بأنه صفة بعد صفة ومعناه ان من شأنه غفران الذنب فيما مضى وفيما يستقبل فلذلك كان صفة المعرفة وكذلك قابل التوب ولو جعلته بدلا كانت المعرفة والنكرة سواء

المعنى

(حم) قد مضى ذكر الأقوال فيه وقيل أقسم الله بجلمه وملكه لا يعذّب من عاذ به وقال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه عن القرظي وقيل هو افتتاح أسمائه حليم حميد حكيم حيّ حنان ملك مجيد مبدئ معيد عن عطاء الخراساني وقيل معناه حم أي قضي ما هو كائن عن الكلبي (تنزيل الكتاب) أي هذا تنزيل الكتاب (من الله) الذي يحقّ له العبادة (العزيز) في ملكه (العليم) الكثير العلوم (غافر الذنب) لمن يقول لا إله إلا الله وهم أولياؤه وأهل طاعته والذنب اسم جنس فالمعنى غافر الذنوب فيما مضى وفيما يستقبل (وقابل التوبة) يقبل توبة من تاب اليه من المعاصي بأن يثيب عليها ويسقط عقاب معاص تقدّمها على وجه التفضل منه لذلك كان صفة مدح ولو كان سقوط العقاب عندها واجبا لما كان فيه مدح قال الفراء معناهما ذي الغفران وذي قبول التوبة ولذلك صار نعتاً للمعرفة (شديد العقاب) اي شديد عقابه وذكر ذلك عقيب قوله غافر الذنب لئلا يعول المكلف على الغفران بل يكون بين الرجاء والخوف (ذي الطول) اي ذي النعم على عباده عن ابن عباس وقيل ذي الغنى والسعة عن مجاهد وقيل ذي التفضل على المؤمنين عن الحسن وقتادة وقيل ذي القدرة والسعة عن ابن زيد والسدي وروي عن ابن عباس انه قال غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله قابل التوب ممن قال لا إله إلا الله شديد العقاب لمن لم يقل لا إله إلا الله ذي الطول ذي

(١) هذا البيت من قصيدة قالها شريح في وقعة جمل بعد قتله محمد بن طلحة بن عبيد الله المعروف بالسجاد لكثرة صلوته و جده في العبادة و كان هواه مع علي بن أبيطالب (ع) و لكنه اطاع اباه طلحة قيل ان اباه امره بالقتال و كان كارهاً فتقدم ونثل درعه بين رجليه وقام عليها وجعل كلما حمل عليه رجل قال نشدتك بحاميم فحمل ←

الغني عمن لم يقل لا إله إلا الله وقيل انه انما ذكر ذلك الطول عقيب قوله شديد العقاب ليعلم ان العاصي أتي في هلاكه من قبل نفسه لا من قبل ربه والا فنعمه سابغة عليه دنيا ودينا (لا إله إلا هو) أي هو الموصوف بهذه الصفات دون غيره ولا يستحق العبادة سواه (اليه المصير) أي المرجع للجزاء والمعنى ان الأمور تؤول إلى حيث لا يملك أحد النفع والضر والأمر والنهي غيره تعالى وهو يوم القيامة (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا) أي لا يخاصم في دفع حجج الله وانكارها وجحدها إلا الذين كفروا بالله وآياته وجحدوا نعمه ودلالاته (فلا يغررك) يا محمد (تقلبهم في البلاد) أي تصرفهم في البلاد للتجارات سالمين أصحاء بعد كفرهم فإن الله تعالى لا يخفى عليه حالهم وإنما يمهلهم لأنهم في سلطانه ولا يفوتونه ولا يهملهم وفي هذا غاية التهديد ثم بيّن ان عاقبتهم الهلاك كعاقبة من قبلهم من الكفار فقال (كذبت قبلهم قوم نوح) يعني رسولهم نوحا (والأحزاب من بعدهم) وهم الذين تحزّبوا على أنبيائهم بالتكذيب نحو عاد وثمود ومن بعدهم (وهمّت كل أمة) منهم (برسولهم) أي قصدوه (ليأخذوه) أي ليقتلوه ويهلكوه عن ابن عباس وإنما قال برسولهم ولم يقل برسولها لأن المراد الرجال (وجادلوا بالباطل) أي خاصموا رسلهم بأن قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وهلا أرسل الله الينا ملائكة وبأمثال هذا من القول (ليدحضوا به الحق) الذي بيّنه الله تعالى وجاءت به رسله أي ليبطلوه ويزيلوه يقال أدحض الله حجته أي أزالها (فأخذتهم) بالعقاب أي أهلكتهم ودمّرت عليهم وعاقبتهم (فكيف كان عقاب) أي فانظر كيف كان عقابي لهم وهذا استفهام تقرير لعقوبتهم الواقعة بهم

قوله تعالى (٦) وَكَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ (٧) ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَٱتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ (٨) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٩) وَقِهِمُ ٱلسَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ ٱلسَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ اهل المدينة وابن عامر كلمات ربك على الجمع والباقون كلمة ربك على التوحيد

الحجة

قال ابو علي الكلمة تقع مفردة على الكثرة فإذا كان كذلك استغني فيها عن الجمع كما تقول يعجبني قيامكم وقعودكم قال سبحانه لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً وقال ان أنكر الأصوات لصوت الحمير فأفرد الصوت مع الاضافة إلى الكثرة فكذلك الكلمة وقد قالوا قال قس في كلمته يعنون خطبته ومن جمع فلأن هذه الأشياء وان كانت تدل على الكثرة قد تجمع إذا اختلف أجناسها

عليه شريح وشدبه فانشده بحاميم ان لا يقتله ولم يعتد شريح بذلك و قتله و قيل : قتله غيره و اول هذه القصيدة قوله «الاليت شعري هل أشنن غارة ✡على ابن كدام اوسويدبن اصرم» وقبل البيت المستشهد به قوله : «ضممت ليه بالسنان قميصه ✡فخر صريعاً لليدين وللفم ✡على غير ذنب غير ان ليس تابعاً ✡عليا ومن لا يتبع الحق يندم» وشجر فلان

-(الإعراب)-

انهم أصحاب النار يجوز ان يكون موضعه نصبا على تقدير بأنهم او لأنهم ويجوز ان يكون رفعا على البدل من «كلمة» ومن حوله معطوف على الذين يحملون العرش ورحمة وعلماً منصوبان على التمييز ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم في موضع نصب عطفا على الهاء والميم في وادخلهم اي وادخل من صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم الجنة ايضا ويجوز ان يكون عطفا على الهاء والميم في وعدتهم اي وعدت من صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم وقوله لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم إذ تدعون لا يجوز ان يكون اذ ظرفا لمقت الله لأن المصدر لا يجوز ان يحال بينه وبين معموله بالأجنبي ولا يجوز ان يكون ظرفا للمقت الثاني في قوله من مقتكم انفسكم لأن الدعاء إلى الإيمان كان في الدنيا ومقتهم انفسهم يكون في الآخرة ولا يجوز ان يكون ظرفا لتدعون لأن تدعون في موضع جر بالاضافة والمضاف اليه لا يجوز ان يعمل في المضاف فالوجه ان يتعلق الظرف بفعل مضمر دلّت عليه الجملة تقديره مقتم إذ تدعون او يتعلق بالمقت الثاني على تقدير تسمية الشيء بما يؤول اليه

المعنى

ثم قال سبحانه (وكذلك) اي ومثل ما حق على الأمم المكذبة من العقاب (حقت كلمة ربك) اي العذاب (على الذين كفروا) من قومك اي اصرّوا على كفرهم (انهم) اي لأنهم او بأنهم (اصحاب النار) عن الأخفش ثم اخبر سبحانه عن حال المؤمنين وانه تستغفر لهم الملائكة مع عظم منزلتهم عند الله تعالى فحالهم بخلاف احوال من تقدّم ذكرهم من الكفار فقال (الذين يحملون العرش) عبادة لله وامتثالا لأمره (ومن حوله) يعني الملائكة المطيفين بالعرش وهم الكروبيّون وسادة الملائكة (يسبّحون بحمد ربهم) اي ينزّهون ربهم عما يصفه به هؤلاء المجادلون وقيل يسبّحونه بالتسبيح المعهود ويحمدونه على انعامه (ويؤمنون به) اي ويصدّقون به ويعترفون بوحدانيته (ويستغفرون) اي ويسألون الله المغفرة (للذين آمنوا) من اهل الأرض اي صدّقوا بوحدانية الله واعترفوا بآلهيته وبما يجب الاعتراف به يقولون في دعائهم لهم (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) اي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء والمراد بالعلم المعلوم كما في قوله ولا يحيطون بشيء من علمه اي بشيء من معلومه على التفصيل فجعل العلم في موضع المعلوم والمعنى انه لا اختصاص لمعلوماتك بل انت عالم بكل معلوم ولا تختص رحمتك حيّاً دون حيّ بل شملت جميع الحيوانات وفي هذا تعليم الدعاء ليبدأ بالثناء عليه قبل السؤال (فاغفر للذين تابوا) من الشرك والمعاصي (واتبعوا سبيلك) الذي دعوت اليه عبادك وهو دين الإسلام (وقهم) اي وادفع عنهم (عذاب الجحيم) وفي هذه الآية دلالة على ان اسقاط العقاب عند التوبة تفضّل من الله تعالى إذ لو كان واجباً لكان لا يحتاج فيه إلى مسألتهم بل كان يفعله الله سبحانه لا محالة (ربنا وادخلهم) مع قبول توبتهم ووقايتهم النار (جنات عدن التي وعدتهم) على ألسن انبيائك (ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) لكمل أنسهم وتتمّ سرورهم (انك انت العزيز) القادر على من يشاء (الحكيم) في افعالك (وقهم السيئات) اي وقهم عذاب السيئات ويجوز ان يكون العذاب هو السيئات وسمّاه السيئات اتّساعاً كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) اي ومن تصرف عنه شرّ معاصيه فتفضّلت عليه يوم القيامة باسقاط عذابها فقد انعمت عليه (وذلك هو الفوز

بالرمح : طعنه به . ويروى «الرمح دونه» .(٢) كأنه أراد من الاية قوله تعالى : «قل لا أسئلكم عليه أجراً الا المودة في القربى» . الشورى : ٢٣ «وقوله «تقى ومعرب» يعنى الساكت عنه للتقية و المفصح بالتفضيل

العظيم) اي الظفر بالبغية والفلاح العظيم ثم عاد الكلام إلى من تقدّم ذكرهم من الكفار فقال عزّ اسمه (ان الذين كفروا ينادون) اي يناديهم الملائكة يوم القيامة (لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون) والمقت اشدّ العداوة والبغض والمعنى انهم لما رأوا اعمالهم ونظروا في كتابهم وادخلوا النار مقتوا انفسهم لسوء صنيعهم فنودوا لمقت الله اياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم اليوم عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل انهم لما تركوا الايمان وصاروا الى الكفر فقد مقتوا انفسهم اعظم المقت وهذا كما يقول احدنا لصاحبه إذا كنت لا تبالي بنفسك فبالاتي بك اقل وليس يريد انه لا يبالي بنفسه بل يريد انه يفعل فعل من هو كذلك عن البلخي

قوله تعالى (١١) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١٢) ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٣) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (١٤) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٥) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٦) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٧) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (سبع آيات)

القراءة

قرأ روح وزيد عن يعقوب لتنذر بالتاء والباقون بالياء

الحجة

التاء على وجه الخطاب للنبي ﷺ وقراءة القراء بالياء على ان الضمير يعود إلى من يشاء من عباده

الإعراب

لمن الملك اليوم انتصب اليوم لمدلول قوله لمن الملك اليوم اي لمن ثبت الملك في هذا اليوم ويجوز ان يتعلق بنفس الملك وقال قوم ان الوقف على الملك حسن ويبتدئ اليوم لله الواحد القهار أي في هذا اليوم

المعنى

ثم حكى سبحانه عن الكفار الذين تقدّم وصفهم بعد حصولهم في النار بأنهم قالوا (ربنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) اختلف في معناه على وجوه ﴿احدها﴾ ان الإماتة الاولى في الدنيا بعد الحياة والثانية في القبر قبل البعث والاحياء الآتي في القبر للمسائلة والثانية في الحشر عن السدي وهو اختيار البلخي ﴿وثانيها﴾ ان الإماتة الاولى حال كونهم نطفا فأحياهم الله في الدنيا ثم اماتهم الموتة الثانية ثم أحياهم للبعث فهاتان حياتان وموتتان ونظيره قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً الآية عن ابن عباس وقتادة والضحاك واختاره ابو مسلم ﴿وثالثها﴾ ان الحياة الأولى في الدنيا والثانية في القبر ولم يرد الحياة يوم القيامة والموتة الأولى في

الدنيا والثانية في القبر عن الجبائي (فاعترفنا بذنوبنا) التي اقترفناها في الدنيا (فهل إلى خروج من سبيل) هذا تلطف منهم في الاستدعاء أي هل بعد الاعتراف سبيل إلى الخروج وقيل انهم سألوا الرجوع إلى الدنيا أي هل من خروج من النار إلى الدنيا لنعمل بطاعتك ولو علم الله سبحانه انهم يفلحون لردّهم إلى حال التكليف ولذلك قال ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه تنبيهاً على انهم لو صدقوا في ذلك لأجابهم إلى ما تمنّوه وفي الكلام حذف تقديره فأجيبوا بأنه لا سبيل لكم إلى الخروج (ذلكم) أي ذلكم العذاب الذي حلّ بكم (بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم) أي إذا قيل لا إله إلا الله قلتم أجعل الآلهة إلهاً واحداً وجحدتم ذلك (وان يشرك به تؤمنوا) أي وان يشرك به معبود آخر من الأصنام والأوثان تصدقوا (فالحكم لله) في ذلك والفصل بين الحق والباطل (العلي) القادر على كل شيء ليس فوقه من هو أقدر منه أو من يساويه في مقدوره ونقلت هذه اللفظة من علو المكان إلى علو الشأن ولذلك جاز وصفه سبحانه بذلك يقال استعلى فلان عليه بالقوة وبالحجة وليس كذلك الرفعة ولذلك لا يوصف مكانه بأنه رفيع كما وصف بأنه علي (الكبير) العظيم في صفاته التي لا يشاركه فيها غيره وقيل هو السيد الجليل عن الجبائي (هو الذي يريكم آياته) اي مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته وتوحيده من السماء والأرض والشمس والقمر (وينزل لكم من السماء رزقا) من الغيث والمطر الذي ينبت ما هو رزق للخلق (وما يتذكر) أي وما يتّعظ بهذه الآيات وليس يتفكر في حقيقتها (إلا من ينيب) أي يرجع اليه وقيل إلا من يقبل إلى طاعة الله عن السدي ثم أمر المؤمنين بتوحيده فقال (فادعوا الله مخلصين له الدين) أي وجّهوا عبادتكم اليه تعالى وحده (ولو كره الكافرون) فلا تبالوا بهم ثم وصف سبحانه نفسه فقال (رفيع الدرجات) الرفيع بمعنى الرافع أي هو رافع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة عن عطا عن ابن عباس وقيل معناه رافع السموات السبع عن سعيد بن جبير وقيل معناه انه عالي الصفات (ذو العرش) أي مالك العرش وخالقه وربه وقيل ذو الملك والعرش الملك عن ابي مسلم (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده) وقيل الروح هو القرآن وكل كتاب أنزله الله تعالى على نبيّ من انبيائه وقيل الروح الوحي هنا لأنه يحيي به القلب اي يلقي الوحي على قلب من يشاء ممن يراه أهلا له يقال ألقيت عليه كذا أي فهمته اياه وقيل ان الروح جبرائيل (ع) يرسله الله تعالى بأمره عن الضحاك وقتادة وقيل ان الروح هاهنا النبوة عن السدي (لينذر) النبي بما اوحي اليه (يوم التلاق) يلتقي في ذلك اليوم أهل السماء وأهل الأرض عن قتادة والسدي وابن زيد وقيل فيه يلتقي الأولون والآخرون والخصم والمخصوم والظالم والمظلوم عن الجبائي وقيل يلتقي الخلق والخالق عن ابن عباس يعني انه يحكم بينهم وقيل يلتقي المرء وعمله والكل مراد والله اعلم (يوم هم بارزون) من قبورهم وقيل يبرز بعضهم لبعض فلا يخفى على أحد حال غيره لأنه ينكشف ما يكون مستوراً (لا يخفى على الله منهم شيء) أي من اعمالهم واحوالهم ويقول الله في ذلك اليوم (لمن الملك اليوم) فيقرّ المؤمنون والكافرون بأنه (لله الواحد القهار) وقيل انه سبحانه هو القائل لذلك وهو المجيب لنفسه ويكون في الأخبار بذلك مصلحة للمكلفين قال محمد بن كعب القرظي يقول الله تعالى ذلك بين النفختين حين يفني الخلائق كلها ثم يجيب نفسه لأنه بقي وحده والاول أصح لأنه بيّن انه يقول ذلك يوم التلاق يوم يبرز العباد من قبورهم وانما خصّ ذلك اليوم بأن له الملك فيه لأنه قد ملك العباد بعض الأمور في الدنيا ولا يملك أحد شيئاً ذلك اليوم فإن قيل أليس يملك الأنبياء والمؤمنون في الآخرة الملك العظيم؟ فالجواب ان احداً لا يستحق اطلاق الصفة بالملك إلا الله لأنه يملك جميع الأمور من غير تمليك مملك وقيل ان

المراد به يوم القيامة قبل تمليك أهل الجنة ما يملكهم (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يجزى المحسن باحسانه والمسيء بإساءته وفي الحديث ان الله تعالى يقول أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى أقصه منه ثم تلا هذه الآية (لا ظلم اليوم) اي لا ظلم لأحد على أحد ولا ينقص من ثواب أحد ولا يزاد في عقاب أحد (ان الله سريع الحساب) لا يشغله محاسبة واحد عن محاسبة غيره

النظم

اتصل قوله ربنا امتنا اثنتين بما تقدّم من ذكر انكار الكفار البعث فعقّبه سبحانه بذكر اعترافهم بذلك يوم القيامة وأيضا فإنه سبحانه لما ذكر مقتهم أنفسهم لعظم ما نزل بهم ذكر بعده سؤالهم الرجعة إلى الدنيا وانما اتصل قوله فاعترفنا بذنوبنا بما تقدّم من اقرارهم بصفة الرب سبحانه فكأنهم قالوا اعترفنا بك ربنا فإنك أمتنا وأحييتنا ومع هذا فقد اعترفنا بذنوبنا واتصل قوله هو الذي يريكم آياته بقوله العلي الكبير أي ومن هذه صفاته يريكم آياته واتصل قوله رفيع الدرجات بقوله هو الذي يريكم آياته أي وهو الرفيع الدرجات وقيل انه لما ذكر حال الفريقين ذكر الدرجات

قوله تعالى (١٨) وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٩) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (٢٠) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (ثلاث آيات)

القراءة

قرأ نافع وهشام عن ابن عامر والذين تدعون بالتاء والباقون بالياء

(الحجة)

من قرأ بالتاء فعلى الخطاب والتقدير قل لهم يا محمد ومن قرأ بالياء جعل الاخبار عن الغائب

اللغة

الآزفة الدانية من قولهم أزف الأمر إذا دنا وقته قال النابغة

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا ... لَمَّا تَزَلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنْ قَدِ (١)

والحناجر جمع حنجرة وهي الحلقوم والكاظم الممسك على ما في قلبه يقال كظم غيظه إذا تجرعه وأصل الكظم للبعير على جرته يردها في حلقه

الإعراب

قال الزجاج كاظمين منصوب على الحال والحال محمولة على المعنى لأن القلوب لا يقال لها كاظمون وانما الكاظمون أصحاب القلوب والمعنى إذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم وهو حال من الضمير في لدى ومعناه متوقفين عن كل شيء إلا عما دفعت اليه من فكرها فيه ونسبة الكظم إلى القلب كنسبة الكتابة إلى الأيدي في قوله كتبت ايديهم وانما ذلك للجملة. يطاع جملة في موضع جرّ بكونها صفة شفيع أي ولا من شفيع يطاع

المعنى

ثم امر سبحانه نبيّه ﷺ ان يخوّف المكلفين يوم القيامة فقال (وأنذرهم يوم الآزفة) أي الدانية وهو يوم القيامة لأن كل ما هو آت دان قريب وقيل يوم دنوّ المجازاة (إذ القلوب لدى الحناجر) وذلك انها تزول

(١) هذا البيت من قصيدة يصف فيها المتجردة امرأة النعمان في قضية ذكرها في مقدمة المعلقات العشر ٥٧ وقبل هذا البيت قوله: «لامرحباً بغدولا أهلاله ✡ أن كان تفريق الاحبة في غد» يقول: قرب ارتحال الناقير ان ابلنا لم تزل برحالنا عن مناخها وخبر كأن في قوله «كان قد» محذوف يدل عليه الكلام السابق والتقدير:

عن مواضعها من الخوف حتى تصير إلى الحنجرة ومثله قوله وبلغت القلوب الحناجر (كاظمين) اي مغمومين مكروبين ممتلئين عما قد اطبقوا افواههم على قلوبهم من شدة الخوف (ما للظالمين من حميم) يريد ما للمشركين والمنافقين من قريب ينفعهم (ولا شفيع يطاع) فيهم فتقبل شفاعته عن ابن عباس ومقاتل (يعلم خائنة الاعين) أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحلّ النظر اليه عن مجاهد وقتادة والخائنة مصدر مثل الخيانة كما ان الكاذبة واللاغية بمعنى الكذب واللغو وقيل ان تقديره يعلم الاعين الخائنة عن موضع وقيل هو الرمز بالعين عن السدي وقيل هو قول الإنسان ما رأيت وقد رأى ورأيت وما رأى عن الضحاك (وما تخفي الصدور) ويعلم ما تضمره الصدور وفي الخبر ان النظرة الاولى لك والثانية عليك فعلى هذا تكون الثانية محرّمة فهي المراد بخائنة الاعين (والله يقضي بالحق) أي يفصل بين الخلائق بالحق فيوصل كل ذي حقّ إلى حقّه (والذين يدعون من دونه) من الاصنام (لا يقضون بشيء) لأنها جماد (ان الله هو السميع البصير) أي الذي يجب ان يسمع المسموعات ويبصر المبصرات إذا وجدتا وهاتان الصفتان في الحقيقة ترجعان إلى كونه حيّاً لا آفة به وقال قوم معناهما العالم بالمسموعات والعالم بالمبصرات والاول هو الصحيح

قوله تعالى (٢١) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٢٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٣) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٥) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (خمس آيات)

(القراءة)

قرأ ابن عامر اشدّ منكم بالكاف والميم والباقون منهم بالهاء والميم

الحجة

قال ابو علي من قال منهم فأتى بلفظ الغيبة فلأنّ ما قبله اولم يسيروا فينظروا ومنْ قال منكم فلانصرافه من الغيبة إلى الخطاب كقوله اياك نعبد بعد قوله الحمد لله

(المعنى)

ثم نبّههم سبحانه على النظر بقوله (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) من المكذّبين من الأمم لرسلهم (كانوا هم أشدّ منهم قوة) في انفسهم (وآثاراً في الأرض) أي واكثر عمارة للأبنية العجيبة وقيل وأبعد ذهاباً في الأرض لطلب الدنيا (فأخذهم الله بذنوبهم) اي أهلكهم الله بسبب ذنوبهم (وما كان لهم من الله من واق) أي دافع يدفع عنهم عذابه ويمنع من نزوله بهم (ذلك) العذاب الذي نزل بهم (بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أي بالمعجزات الباهرات والدلالات الظاهرات (فكفروا) بها (فأخذهم الله) أي أهلكهم عقوبة على كفرهم (انه قويّ) قادر على الانتقام منهم (شديد العقاب) أي شديد عقابه ثم ذكر قصة موسى وفرعون ليعتبروا بها فقال (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) أي بعثناه بحججنا ودلالاتنا (وسلطان مبين) أي حجة ظاهرة نحو قلب العصا حيّة وفلق البحر (إلى فرعون وهامان وقارون) كان موسى

= «وكانها قد زالت» وفي شواهد الاشموني وجامع الشواهد «أفد» مكان «ازف» وهو بمعناه ايضاً.

رسولا إلى كافتهم إلا انه خصّ فرعون لأنه كان رئيسهم وكان هامان وزيره وقارون صاحب كنوزه والباقون تبع لهم وانما عطف السلطان على الآيات لاختلاف اللفظين تأكيداً وقيل المراد بالآيات حجج التوحيد والعدل و بالسلطان المعجزات الدالة على نبوته (فقالوا ساحر) اي مموّه (كذّاب) فيما يدعو اليه (فلما جائهم بالحق من عندنا) اي فلما اتاهم موسى بالتوحيد والدلالات عليه من عندنا وقيل المراد بالدين الحق (قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نسائهم) اي امروا بقتل الذكور من قوم موسى لئلا يكثر قومه ولا يتقوى بهم وباستبقاء نسائهم للخدمة وهذا القتل غير القتل الأول لأنه أمر بالقتل الأول لئلا ينشأ منهم من يزول ملكه على يده ثم ترك ذلك فلما ظهر موسى عاد إلى تلك العادة فمنعهم الله عنه بإرسال الدم والضفادع والطوفان والجراد كما مضى ذكر ذلك ثم اخبر سبحانه انّما فعله من قتل الرجال واستحياء النساء لم ينفعه بقوله (وما كيد الكافرين إلا في ضلال) اي في ذهاب عن الحق لا ينتفعون به

قوله تعالى (٢٦)وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٧) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٨) وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٩) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٠) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (خمس آيات)

القراءة

قرأ اهل المدينة وأبو عمرو وان يُظهِر بغير الف قبل الواو ويظهر بضم الياء وكسر الهاء الفسادبالنصب وقرأ ابن كثير وابن عامر وان يَظْهَر بفتح الياء الفسادُ بالرفع وقرأ حفص ويعقوب أوان يُظهر بضم الياء الفسادَ بالنصب والباقون او ان يَظهر بفتح الياء الفسادُ بالرفع وقرأ اهل الكوفة غير عاصم وابو عمرو واسماعيل من نافع وابو جعفر عذت هنا وفي الدخان بإدغام الذال في التاء وكذلك قوله فنبذتها حيث كان والباقون بالاظهار حيث كان

الحجة

قال ابو علي من قرأ او ان يظهر فالمعنى اني أخاف هذا الضرب منه كما تقول كُلْ خبزاً اوتمراً اي هذا الضرب ومن قرأ وان يظهر فالمعنى إني أخاف هذين الأمرين منه ومن قرأ يُظهر في الأرض الفسادَ فأسند الفعل إلى موسى فلأنه أشبه بما تقدّم من قوله يبدّل دينكم ومن قرأ وان يَظْهر فالمعنى وان يظهر الفسادُ في الارض بمكانه او اراد انه إذا بدّل الدين ظهر الفسادُ بالتبديل فأما الادغام في عذت فحسن لتقارب الحرفين والاظهار حسن لأن الذال ليست من حيز التاء وانما الذال والظاء والثاء من حيز والدال والتاء والطاء من حيز إلا انها كلها من طرف اللسان واصول الثنايا فلذلك صارت متقاربة

المعنى

(وقال فرعون ذروني أقتل موسى) اي قال لقومه اتركوني أقتله وفي هذا دلالة على انه كان في خاصة فرعون

قوم يشيرون عليه بأن لا يقتل موسى ويخوّفونه بأن يدعو ربه فيهلك فلذلك قال (وليدع ربه) اي كما يقولون وقيل انهم قالوا له هو ساحر فإن قتلته قبل ظهور الحجة قوّيت الشبهة بمكانه بل ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين وقوله وليدع ربه معناه وقولوا له ليدع ربه وليستعن به في دفع القتل عنه فإنه لا يجيء من دعائه شيء قاله تجبّراً وعتوّاً وجرأة على الله (إني اخاف ان يبدّل دينكم) ان لم اقتله وهو ما تعتقدونه من إلهيتي (او ان يظهر في الأرض الفساد) بأن يتبعه قوم ويحتاج إلى ان نقاتله فيخرب فيما بين ذلك البلاد ويظهر الفساد وقيل ان الفساد عند فرعون ان يعمل بطاعة الله عن قتادة فلما قال فرعون هذا استعاذ موسى بربّه وذلك قوله (وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) اي اني اعتصمت بربي الذي خلقني وربكم الذي خلقكم من شرّ كل متكبّر على الله متجبّر عن الانقياد له لا يصدق بيوم المجازاة ليدفع شرّه عنّي ولما قصد فرعون قتل موسى وعظهم المؤمن من آله وهو قوله (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) في صدره على وجه التقية قال ابو عبد الله (ع) التقية من ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له والتقية ترس الله في الارض لأن مؤمن آل فرعون لو اظهر الإسلام لقتل قال ابن عباس لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذي انذر موسى فقال ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك قال السدي ومقاتل كان ابن عم فرعون وكان آمن بموسى وهو الذي جاء من أقصى المدينة يسعى وقيل انه كان وليّ عهده من بعده وكان اسمه حبيب وقيل اسمه حزبيل (اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله) وهو استفهام انكار ولو قال أتقتلون رجلا قائلا ربي الله لم يدل على ان القتل من أجل الإيمان لأن يقول يكون صفة لرجل نحو يقتلون رجلا قائلا ربي الله فموضع ان يقول نصب على انه مفعول له (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أي بما يدلّ على صدقه من المعجزات مثل العصا واليد وغيرهما (وان يك كاذباً فعليه كذبه) انما قال هذا على وجه التلطف كقوله وانّا او إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين وقوله ان يك كاذباً فعلى نفسه وبال كذبه (وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) قيل ان موسى كان يعدهم بالنجاة ان آمنوا وبالهلاك ان كفروا وقال يصبكم بعض الذي يعدكم لأنهم إذا كانوا على احدى الحالين نالهم احد الامرين فذلك بعض الامر لا كلّه وقيل انما قال بعض الذي يعدكم لأنه توعّدهم امورا مختلفة منها الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة فيكون هلاكهم في الدنيا بعض ما توعّدهم به وقيل استعمل البعض في موضع الكل تلطفا في الخطاب وتوسّعاً في الكلام كما قال الشاعر

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

وكأنه قال أقل ما فيه ان يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي ذلك البعض هلاككم وقال علي بن عيسى إنما قال بعض الذي يعدكم على المظاهرة بالحجاج اي انه يكفي بعضه فكيف جميعه (ان الله لا يهدي من هو مسرف كذّاب) اي لا يهدي إلى جنته وثوابه من هو مسرف على نفسه متجاوز عن الحد في المعصية كذّاب على ربه ويجوز ان يكون هذا حكاية عن قول المؤمن ويجوز ان يكون ابتداء الكلام من الله تعالى ثم ذكرهم هذا المؤمن ما هم فيه من الملك ليشكروا الله على ذلك بالإيمان به فقال (ياقوم لكم الملك اليوم) اي لكم السلطان على اهل الأرض يعني ارض مصر اليوم (ظاهرين في الارض) اي عالين فيها غالبين عليها قاهرين لأهلها (فمن ينصرنا من بأس الله) اي من يمنعنا من عذاب الله (ان جاءنا) ومعناه لا تتعرّضوا لعذاب الله بقتل النبي وتكذيبه فلا مانع لعذاب من عذاب الله ان حلّ بكم (فقال فرعون) عند ذلك (ما اريكم إلا ما ارى) اي ما اشير عليكم إلا بما اراه صوابا وارضاه لنفسي وقيل معناه ما اعلمكم إلا ما اعلم (وما اهديكم إلا سبيل الرشاد) وما ارشدكم إلا إلى ما هو طريق الرشاد والصواب عندي وهو قتل موسى والتكذيب به واتخاذي إلهاً وربّاً ثم ذكرهم ما نزل بمن قبلهم وذلك قوله (وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) اي عذاباً مثل يوم الاحزاب

قال الجبائي القائل لذلك موسى لأن المؤمن من آل فرعون كان يكتم إيمانه وهذا لا يصح لأنه قريب من قوله اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله واراد بالاحزاب الجماعات التي تحزّبت على انبيائها بالتكذيب وقد يطلق اليوم على النعمة والمحنة فكأنه قال يوم هلاكهم

قوله تعالى (٣١) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣٢) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٣) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٤) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٥) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو وابن ذكوان وقتيبة على كل قلب بالتنوين والباقون على كل قلب متكبر على الاضافة وفي الشواذ قراءة ابن عباس والضحاك وابي صالح والكلبي يوم التناد بتشديد الدال

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من نوّن فإنه جعل المتكبّر صفة لقلب فإذا وصف القلب بالتكبّر كان صاحبه في المعنى متكبّراً فكأنه أضاف التكبّر إلى القلب كما أضيف الصعر إلى الخدّ في قوله تعالى ولا تصعّر خدّك للناس فكما يكون بتصعير الخد متكبّراً كذلك يكون بالتكبر في القلب متكبّراً بجملة وأما من أضافه فقال على كل قلب متكبر فلا يخلو من أن يقدّر الكلام على ظاهره او يقدّر فيه حذفاً فإن تركه على ظاهره كان المعنى يطبع الله على كل قلب متكبر اي يطبع على جملة القلب من المتكبر وليس المراد ان يطبع على كل قلبه فيعمّ الجميع بالطبع إنما المعنى إنه يطبع على القلوب إذا كانت قلبا قلبا والطبع علامة في جملة القلب كالختم عليه فإذا كان الحمل على الظاهر غير مستقيم علمت أن الكلام ليس على ظاهره وانه حذف منه شيء وذلك المحذوف إذا اظهرته كذلك يطبع الله على كل قلب كل متكبر فيكون المعنى يطبع على القلوب إذا كانت قلبا قلبا من كلّ متكبّر ويختم عليه ويؤكّد ذلك ان في حرف ابن مسعود فيما زعموا على قلب كل متكبّر واظهار كل في حرفه يدل على انه في حرف العامة ايضا مراد وحسن حذف كل لتقدّم ذكره كما جاز ذلك في قوله

أَكُلَّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرَءًا ... وَنَارٍ تَوَقَّدَ بِاللَّيْلِ نَارًا (١)

وفي قولهم ما كل سوداء تمرة ولا بيضاء شحمة فحذف كل لتقدّم ذكرها فكذلك في الآية وأما التناد بالتشديد فإنه تفاعل من ندّ يندّ إذا نفر

﴿ اللغة ﴾

الجبّار الذي يقتل على الغضب يقال اجبر فهو جبّار مثل ادرك فهو درّاك قال الفراء ولا ثالث لهما وقال ابن خالويه وجدت لهما ثالثا أسارَ فهو سنّار (٢)

﴿ المعنى ﴾

ثم فسّر سبحانه ذلك فقال (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود) والدأب العادة ومعناه إني أخاف عليكم مثل

(١) هذا البيت لايي داود الايادى الذى ضرب بجاره كعب بن يمامة المثل فى حسن الجوار قال قيس بن زهير: «سأفعل ما بدا لى ثم آدى ... الى جار كجار أبى دواد» وقال طارقة: دانى كفانى من أمر همت ... جار كجار الحذاقى الذى اتصفا» والحذاقى: هو أبو داود. يخاطب فى هذا البيت امرأته ويقول: ما ينبغى لك ان تظنى ان كل من له صورة المرء مرء، وانما الخليق

سنة الله في قوم نوح وعاد وثمود وحالهم حين اهلكهم الله واستأصلهم جزاءً على كفرهم (والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد) وفي هذا اوضح دلالة على فساد قول المجبرة القائلة بأن كل ظلم يكون في العالم فهو بإرادة الله تعالى ثم حذّرهم عذاب الآخرة ايضاً فقال (ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد) حذف الياء للاجتزاء بالكسرة الدالة عليها وهو يوم القيامة ينادي فيه بعض الظالمين بعضاً بالويل والثبور وقيل انه اليوم الذي ينادي فيه اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً الآية وينادي اصحاب النار اصحاب الجنة ان أفيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله عن الحسن وقتادة وابن زيد وقيل ينادى فيه كل اناس بإمامهم (يوم تولّون مدبرين) أي يوم تعرضون على النار فارّين منها مقدرين ان الفرار ينفعكم وقيل منصرفين إلى النار بعد الحساب عن قتادة ومقاتل (ما لكم من الله من عاصم) اي مانع من عذاب الله (ومن يضلل الله فماله من هاد) أي من يضلل الله عن طريق الجنة فما له من هاد يهديه اليها (ولقد جائكم يوسف) وهو يوسف بن يعقوب بعثه الله رسولا إلى القبط (من قبل) اي من قبل موسى (بالبينات) اي بالحجج الواضحات (فما زلتم في شك مما جائكم به) من عبادة الله تعالى وحده لا شريك له عن ابن عباس وقيل ممّا دعاكم اليه من الدين (حتى إذا هلك) أي مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) اي أقمتم على كفركم وظننتم ان الله تعالى لا يجدّد لكم ايجاب الحجة (كذلك) اي مثل ذلك الضلال (يضلّ الله من هو مسرف) على نفسه كافر واصل الاسراف مجاوزة الحد (مرتاب) اي شاكّ في التوحيد ونبوة الأنبياء (الذين يجادلون في آيات الله) أي في دفع ايات الله وابطالها وموضع الذين نصب لأنه بدل من قوله من هو مسرف ويجوز ان يكون رفعا بتقدير هُم (بغير سلطان) أي بغير حجة (اتيهم كبر مقتاً عند الله) اي كبر ذلك الجدال منهم عداوة عند الله (وعند الذين آمنوا) بالله والمعنى مقته الله تعالى ولعنه واعدّ له العذاب ومقته المؤمنون وابغضوه بذلك الجدال وانتم جادلتم وخاصمتم في ردّ آيات الله مثلهم فاستحققتم ذلك (كذلك) اي مثل ما طبع على قلوب اولئك بأن ختم عليها علامة لكفرهم (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) يفعل ذلك عقوبة له على كفره والجبار صفة للمتكبر وهو الذي يأنف من قبول الحق قيل وهو القتال

قوله تعالى (٣٦) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٧) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٨) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٩) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٤٠) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (خمس آيات)

(القراءة)

قرأ حفص فاطلعَ بالنصب والباقون بالرفع واختلافهم في صدّ عن السبيل وفي يدخلون الجنة قد تقدّم ذكره[1]

الحجة

من رفع فاطلعُ فعلى معنى لعلّي ابلغ ولعلّي اطلع ومثله قوله لعلّه يزكى أو يذكر وليس بجواب ومن نصب جعله جواباً بالفاء لكلام غير موجب والمعنى اني إذا بلغت واطلعت ومما يقوّي بناء الفعل للفاعل في صدّ قوله الذين

باسم الرجل هو المتصف بالصفات النفيسة ، والخصال الحميدة ، ولا كل نار اشتعل فى الليل ناراً ، بل الخليق باسم النار التى تشتعل للاكرام والضيافة و هداية طريق الضالة . (٢) وهو الذى يسئر فى الاناء من الشراب يقال : أسأرمنه شيئاً اى أبقى بقية . (١) راجع المجلد الثالث صفحة ٢٩٤ والمجلد الثانى صفحة ١١٤ .

كفروا وصدّوا من سبيل الله وفي موضع آخر ويصدّون عن سبيل الله فكذلك وصدّ عن السبيل ينبغي ان يكون الفعل فيه مبنيا للفاعل ومن ضم الصاد فلأن ما قبله مبني للمفعول به وهو قوله وكذلك زين لفرعون سوء عمله

اللغة

الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على عين الناظر وان بعد وهو من التصريح بالأمر وهو اظهاره بأتم الإظهار والسبب كل ما يتوصل به إلى شيء يبعد عنك وجمعه الاسباب والتباب الخسار والهلاك بالانقطاع

المعنى

ثم بيّن سبحانه ما موّه به فرعون على قومه لما وعظه المؤمن وخوّفه من قتل موسى وانقطعت حجته بقوله (وقال فرعون يا هامان) وهو وزيره وصاحب امره (ابن لي صرحاً) أي قصراً مشيدا بالآجر وقيل مجلساً عاليا عن الحسن (لعلي أبلغ الاسباب) ثم فسّر تلك الأسباب فقال (أسباب السموات) والمعنى لعلي ابلغ الطرق من سماء إلى سماء عن السدي وقيل ابلغ ابواب طرق السموات عن قتادة وقيل منازل السموات عن ابن عباس وقيل لعلي اتسبّب وأتوصل به إلى مرادي والى علم ما غاب عني ثم بيّن مراده فقال اسباب السموات (فأطلع إلى إله موسى) اي فأنظر اليه فأراد به التلبيس على الرعية مع علمه باستحالة ذلك عن الحسن وقيل اراد فأصل إلى إله موسى فغلبه الجهل واعتقد ان الله سبحانه في السماء وانه يقدر على بلوغ السماء (واني لأظنه كاذبا) معناه واني لأظن موسى كاذباً في قوله انّ له إلهاً غيري ارسله الينا (وكذلك) اي مثل ما زيّن لهؤلاء الكفار سوء اعمالهم (زين لفرعون سوء عمله) اي قبيح عمله وانما زيّن له ذلك اصحابه وجلساؤه وزيّن له الشيطان كما قال وزيّن لهم الشيطان أعمالهم (وصدّ عن السبيل) ومن ضم الصاد فالمعنى انه صدّه غيره ومن فتح فالمعنى انه صدّ نفسه او صدّ غيره (وما كيد فرعون) في ابطال آيات موسى (إلا في تباب) اي هلاك وخسار لا ينفعه ثم عاد الكلام إلى ذكر نصيحة مؤمن آل فرعون وهو قوله (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد) أي طريق الهدى وهو الإيمان بالله وتوحيده والاقرار بموسى وقيل ان هذا القائل موسى ايضاً عن الجبائي (يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع) اي انتفاع قليل ثم يزول وينقطع ويبقى وزره وآثامه (وان الآخرة هي دار القرار) أي دار الإقامة التي يستقرّ الخلائق فيها فلا تغتروا بالدنيا الفانية ولا تؤثروها على الدار الباقية (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها) اي من عمل معصية فلا يجزى إلا مقدار ما يستحقه عليها من العقاب لا اكثر من ذلك (ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن) مصدّق بالله وانبيائه شرط الايمان في قبول العمل الصالح (فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أي زيادة على ما يستحقونه تفضلا من الله تعالى ولو كان على مقدار العمل فقط لكان بحساب وقيل معناه لا تبعة عليهم فيما يعطون من الخير في الجنة عن مقاتل قال الحسن هذا كلام مؤمن آل فرعون ويحتمل ان يكون كلام الله تعالى اخباراً عن نفسه

قوله تعالى (٤١) وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤٢) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٣) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٤) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٥) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٦) النَّارُ

يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (ست آيات)

القراءة

قرأ اهل المدينة والكوفة إلا ابا بكر ويعقوب ادخلوا بقطع الهمزة وكسر الخاء والباقون بالوصل وضم الخاء.

الحجة

قال ابو علي القول مراد في الوجهين جميعاً كأنه قال يقال ادخلوهم ويقال ادخلوا فمن قال ادخلوا كان آل فرعون مفعولا به وأشدّ العذاب مفعولا ثانياً والتقدير ارادة حرف الجرّ ثم حذف كما انك إذا قلت دخل زيد الدار كان معناه في الدار كما ان خلافه الذي هو خرج كذلك في التقدير وكذلك قوله لتدخلن المسجد الحرام ومن قال ادخلوا آل فرعون كان انتصاب آل فرعون على النداء وأشدّ العذاب في موضع مفعول به وحذف الجار فانتصب انتصاب المفعول به وحجة من قال ادخلوا قوله ادخلوا الجنة انتم وأزواجكم تحبرون وادخلوها بسلام آمنين وادخلوا أبواب جهنم وحجة من قال ادخلوا انه امر بهم فأدخلوا

المعنى

ثم قال (يا قوم مالي) اي ما لكم كما يقول الرجل ما لي أراك حزيناً معناه ما لك ومعناه أخبروني عنكم كيف هذه الحال (ادعوكم إلى النجوة) من النار بالايمان بالله (وتدعونني إلى النار) أي إلى الشرك الذي يوجب النار ومن دعا إلى سبب الشيء فقد دعا اليه ثم فسّر الدعوتين بقوله (تدعونني لأكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم) ولا يجوز حصول العلم به إذ لا يجوز قيام الدلالة على اثبات شريك لله تعالى لا من طريق السمع ولا من طريق العقل (وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار) أي إلى عبادة القادر الذي لا يقهر ولا يمنع فينتقم من كل كفار عنيد الغافر لذنوب من يشاء من اهل التوحيد (لا جرم) قيل معناه حقاً مقطوعا به من الجرم وهو القطع قال الزجاج حكاية عن الخليل هو ردّ الكلام والمعنى وجب وحق (انما تدعونني اليه ليس له دعوة) أي وجب بطلان دعوته يقول لا بدّ انما تدعونني اليه من عبادة الأصنام أو عبادة فرعون ليس له دعوة نافعة (في الدنيا ولا في الآخرة) فأطلق انه ليس له دعوة ليكون ابلغ وان توهّم جاهل ان له دعوة ينتفع بها فإنه لا يعتدّ بذلك لفساده وتناقضه وقيل معناه ليست لهذه الأصنام استجابة دعوة احد في الدنيا ولا في الآخرة فحذف المضاف من السدي وقتادة والزجاج وقيل معناه ليست له دعوة في الدنيا لأن الأصنام لا تدعو إلى عبادتها فيها ولا في الآخرة لأنها تبرأ من عبادها فيها (وان مردّنا إلى الله) أي ووجب ان مرجعنا ومصيرنا إلى الله فيجازي كلًّا بما يستحقه (وان المسرفين) اي ووجب ان المسرفين الذين اسرفوا على انفسهم بالشرك وسفك الدماء بغير حقها (هم أصحاب النار) الملازمون لها ثم قال لهم على وجه التخويف والوعظ (فستذكرون) صحة (ما أقول لكم) إذا حصلتم في العذاب يوم القيامة وقيل معناه فستذكرون عند نزول العذاب بكم ما اقول لكم من النصيحة (وأفوض أمري إلى الله) اي اسلم امري إلى الله وأتوكل عليه وأعتمد على لطفه والأمر اسم جنس (إن الله بصير بالعباد) أي عالم بأحوالهم وبما يفعلونه من طاعة ومعصية وأظهر إيمانه بهذا القول (فوقيه الله سيئات ما مكروا) أي صرف الله عنه سوء مكرهم فنجا مع موسى حتى عبر البحر منهزماً عن قتادة وقيل انهم همّوا بقتله فهرب إلى جبل فبعث فرعون رجلين في طلبه فوجداه قائماً يصلّي وحوله الوحوش صفوفاً فخافا ورجعا هاربين (وحاق بآل فرعون) اي احاط ونزل بهم (سوء العذاب) اي مكروهه وما يسوء منه وآل فرعون اشياعه واتباعه وقيل من كان على دينه عن الحسن وانما ذكر آله ولم يذكره لأنهم إذا هلكوا بسببه فكيف يكون حاله وسوء العذاب في الدنيا الغرق وفي الآخرة النار وذلك قوله (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) اي يعرض آل فرعون على النار في قبورهم صباحا ومساء فيعذبون وانما رفع النار بدلا من قوله سوء العذاب وعن نافع عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال ان

أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار يقال هذا مقعدك حين يبعثك الله يوم القيامة أورده البخاري ومسلم في الصحيحين وقال ابو عبد الله (ع) ذلك في الدنيا قبل يوم القيامة لأن في نار القيامة لا يكون غدو وعشي ثم قال ان كانوا يعذّبون في النار غدوّاً وعشيا ففيما بين ذلك هم من السعداء لا ولكن هذا في البرزخ قبل يوم القيامة ألم تسمع قوله عز وجل (ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب) وهذا أمر لآل فرعون بالدخول او امر للملائكة بإدخالهم في أشد العذاب وهو عذاب جهنم

قوله تعالى (٤٧) وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٨) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٩) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٠) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (اربع آيات)

-(اللغة)-

التبع يصلح ان يكون مصدراً يقال تبع تبعاً ويجوز ان يكون جمع تابع نحو خادم وخدم وخائل وخول وغائب وغيب

﴿ الإعراب ﴾

اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات التقدير اولم تك القصة وتأتيكم رسلكم تفسير القصة فاسم كان مضمر

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه ما يجري بين اهل النار من التحاج فقال (وإذ يتحاجّون في النار) معناه واذكر يا محمد لقومك الوقت الذي يتحاج فيه أهل النار في النار ويتخاصم الرؤساء والاتباع (فيقول الضعفاء) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم الرؤساء (انا كنا لكم) معاشر الرؤساء (تبعاً) وكنا نمتثل امركم ونجيبكم إلى ما تدعوننا اليه (فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار) لأنه يلزم الرئيس الدفع عن اتباعه والمنقادين لأمره اي هل أنتم حاملون عنّا قسطا من النار والعذاب الذي نحن فيه (قال الذين استكبروا انا كل فيها) اي نحن وانتم في النار وكل فيها مبتدأ وخبر في موضع رفع بأنه خبران ويجوز ان يكون كل خبر ان والمعنى انا مجتمعون في النار (ان الله قد حكم بين العباد) بذلك وبأن لا يتحمل احد عن احد وانه يعاقب من أشرك به وعبد معه غيره لا محالة (وقال الذين في النار) اي حصلوا في النار من الاتباع والمتبوعين (لخزنة جهنم) وهم الذين يتولون عذاب اهل النار من الملائكة الموكلين بهم (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) يقولون ذلك لأنه لا طاقة لهم على شدة العذاب ولشدة جزعهم إلا انهم يطمعون في التخفيف لأن معارفهم ضرورية يعلمون ان عقابهم لا ينقطع ولا يخفّف عنهم (قالوا) اي قال الخزنة لهم (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) اي الحجج والدلالات على صحة التوحيد والنبوات أي فكفرتم وعاندتم حتى استحققتم هذا العذاب (قالوا بلى) جاءتنا الرسل والبينات فكذّبناهم وجحدنا نبوتهم (قالوا فادعوا) اي قالت الخزنة فادعوا انتم فإنا لا ندعوا إلا بإذن ولم يؤذن لنا فيه وقيل انما قالوا ذلك استخفافاً بهم وقيل معناه فادعوا بالويل والثبور (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) اي في ضياع لأنه لا ينتفع به

قوله تعالى (٥١) إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥٢) يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٣) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٤) هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٥) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (خمس آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وابن كثير وابن عامر واهل البصرة يوم لا تنفع بالتاء والباقون بالياء

﴿ الحجة ﴾

والوجهان حسنان لأن المعذرة والاعتذار بمعنى كما ان الوعظ والموعظة كذلك

﴿ الاعراب ﴾

يوم يقوم الاشهاد محمول على موضع قوله في الحياة الدنيا كما يقال جئتك امس واليوم

-(المعنى)-

ثم اخبر سبحانه عن نفسه بأنه ينصر رسله ومن صدقهم فقال (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا) اي ننصرهم بوجوه النصر فإن النصر قد يكون بالحجة ويكون ايضاً بالغلبة في المحاربة وذلك بحسب ما تقتضيه الحكمة ويعلمه سبحانه من المصلحة ويكون ايضاً بالألطاف والتأييد وتقوية القلب ويكون بإهلاك العدو وكل هذا قد كان للأنبياء والمؤمنين من قبل الله تعالى فهم منصورون بالحجة على من خالفهم وقد نصروا ايضا بالقهر على من ناوأهم وقد نصروا بإهلاك عدوهم وانجائهم مع من آمن معهم وقد يكون النصر بالانتقام لهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل حين قتل به سبعون الفاً فهم لا محالة منصورون في الدنيا بأحد هذه الوجوه (ويوم يقوم الأشهاد) جمع شاهد مثل الأصحاب جمع صاحب وهم الذين يشهدون بالحق للمؤمنين وعلى المبطلين والكافرين يوم القيامة وفي ذلك سرور للمحق وفضيحة للمبطل في ذلك الجمع العظيم وقيل هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون عن قتادة وقيل هم الحفظة من الملائكة عن مجاهد يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب وقيل هم الأنبياء وحدهم يشهدون للناس وعليهم ثم اخبر سبحانه عن ذلك اليوم فقال (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) اي ان اعتذروا من كفرهم لم يقبل منهم وان تابوا لم تنفعهم التوبة وإنما نفى ان تنفعهم المعذرة في الآخرة مع كونها نافعة في دار الدنيا لأن الآخرة دار الإلجاء إلى العمل والملجأ غير محمود على العمل الذي الجئ اليه (ولهم اللعنة) أي البعد من الرحمة والحكم عليهم بدوام العقاب (ولهم سوء الدار) جهنم نعوذ بالله منها ثم بيّن سبحانه نصرته موسى وقومه فقال (ولقد آتينا موسى الهدى) اي اعطيناه التوراة فيها ادلة واضحة على معرفة الله وتوحيده (وأورثنا بني اسرائيل الكتاب) اي وأورثنا من بعد موسى بني اسرائيل التوراة وما فيه من البيان (هدى) اي هو هدى اي دلالة يعرفون بها معالم دينهم (وذكرى لاولي الألباب) اي وتذكير لاولي العقول وهم الذين يتمكنون من الانتفاع به دون من لا عقل له ويجوز أن يكون هدى وذكرى منصوبين على ان يكونا مصدرين وضعا موضع الحال من الكتاب بمعنى هاديا ومذكراً ويجوز أن يكون بمعنى المفعول له اي للهدى والتذكير ثم امر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر فقال

(فاصبر) يامحمد على اذى قومك وتحمل المشاق في تكذيبهم اياك (إن وعد الله) الذي وعدك به من النصر في الدنيا والثواب في الآخرة (حق) لا خلف فيه (واستغفر لذنبك) من جوّز الصغائر على الانبياء قال معناه اطلب المغفرة من الله على صغيرة وقعت منك ولعظيم نعمته على الأنبياء كانهم التوبة من الصغائر ومن لا يجوّز ذلك عليهم وهو الصحيح قال هذا تعبّد من الله سبحانه لنبيه ﷺ بالدعاء والاستغفار لكي يزيد في الدرجات وليصير سنة لمن بعده[1] (وسبح بحمد ربك) اي نزّه الله تعالى واعترف بشكره واضافة النعم اليه ونفي التشبيه عنه وقيل نزّه صفاته عن صفات المحدثين ونزّه افعاله عن افعال الظالمين وقيل معناه صلّ بأمر ربك (بالعشي) من زوال الشمس إلى الليل (والابكار) من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس عن مجاهد وقيل يريد الصلوات الخمس عن ابن عباس وروي عن النبي ﷺ انه قال قال الله جل جلاله يابن آدم اذكرني بعد الغداة ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما أهمك

قوله تعالى (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٧) لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٨) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٩) إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٦٠) وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (خمس آيات)

« القراءة »

قرأ اهل الكوفة تتذكرون بالتاء والباقون بالياء. وقرأ ابو جعفر وابن كثير وابو بكر غير الشموني وسهل سَيُدْخَلُونَ بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء

الحجة

التاء على قل لهم قليلا ما تتذكرون والياء على أنّ الكفار قليلا ما يتذكرون وقوله سيدخلون الوجه في في القراءتين ظاهر

النزول

نزل قوله ان الذين يجادلون في آيات الله الآية في اليهود لأنهم كانوا يقولون سيخرج المسيح الدجال[2] فنعينه على محمد واصحابه ونستريح منهم ويردّ الملك الينا عن ابي العالية

المعنى

ثم قال سبحانه (ان الذين يجادلون) أي يخاصمون (في آيات الله) اي في دفع آيات الله وابطالها (بغير سلطان) اي حجة (أتيهم) الله إياها يتسلّط بها على انكار مذهب يخالف مذهبهم (ان في صدورهم إلا كبر) اي ليس في صدورهم إلا عظمة وتكبّر على محمد ﷺ وجبرية (ما هم ببالغيه) أما هم ببالغي مقتضى تلك العظمة لأن الله تعالى مذلّهم وقيل معناه كبر بحسدك على النبوة التي اكرمك الله بها ما هم ببالغيه

(١) وقدمر ان القرآن نزل بإياك اعني و اسمعي ياجاره كما ورد في روايات كثيرة فراجع صفحة: ٥٠٧.
(٢) المسيح: اسم خص الله به عيسى بن مريم (ع) وقيل في وجه تسميته (ع) بالمسيح وجوه ومن سمى بالمسيح هو الكذاب الدجال قال الشاعر: «اذا المسيح يقتل المسيحا» يعني، عيسى، بن مريم يقتل الدجال، وسمي الدجال مسيحا

لأن الله تعالى يرفع بشرف النبوة من يشاء وقيل ما هم ببالغي وقت خروج الدجال (فاستعذ بالله) من شر اليهود والدجال ومن جميع ما يجب الاستعاذة منه (انه هو السميع) لأقوال هؤلاء (البصير) بضمائرهم وفي هذا تهديد لهم فيما اقدموا عليه ثم قال سبحانه (لخلق السموات والأرض) مع عظمهما وكثرة اجزائهما ووقوفهما بغير عمد وجريان الفلك والكواكب من غير سبب (اكبر) اي اعظم واهول في النفس (من خلق الناس) وإن كان خلق الناس عظيماً بما فيه من الحياة والحواس المهيأة لأنواع مختلفة من الادراكات (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) لعدولهم عن الفكر فيه والاستدلال على صحته والمعنى انهم إذا اقروا بأن الله تعالى خلق السماء والأرض فكيف انكروا قدرته على إحياء الموتى ولكنهم اعرضوا عن التدبر فحلوا محل الجاهل الذي لا يعلم شيئاً (وما يستوي الأعمى والبصير) اي لا يستوي من أهمل نفسه ومن تفكر فعرف الحق شبّه الذي لا يتفكر في الدلائل بالأعمى والذي يستدل بها بالبصير (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) اي وما يستوي المؤمنون الصالحون ولا الكافر الفاسق في الكرامة والاهانة والهدى والضلال (قليلا ما تتذكرون) يجوز ان تكون ما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية فيكون تقديره قليلا تذكرهم اي قلّ نظرهم فيما ينبغي ان ينظروا فيه مما دعوا اليه (ان الساعة) يعني القيامة (لآتية) اي جائية واقعة (لاريب فيها) اي لا شكّ في مجيئها (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) اي لا يصدّقون بذلك لجهلهم بالله تعالى وشكّهم في اخباره (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) يعني إذا اقتضت المصلحة اجابتكم وكل من يسأل الله شيئا ويدعوه فلا بدّ ان يشترط المصلحة في ذلك اما لفظاً او اضماراً وإلا كان قبيحاً لأنه ربما كان داعياً بما يكون فيه مفسدة ولا يشترط انتفاؤها فيكون قبيحاً وقيل معناه وحّدوني واعبدوني أثبكم عن ابن عباس ويدلّ عليه قول النبي ﷺ الدعاء هو العبادة ولما عبّر عن العبادة بالدعاء جعل الإثابة استجابة ليتجانس اللفظ (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) ودعائي (سيدخلون جهنم داخرين) اي صاغرين ذليلين وفي الآية دلالة على عظم قدر الدعاء عند الله تعالى وعلى فضل الانقطاع اليه وقد روى معاوية بن عمار قال قلت لأبي عبد الله «ع» جعلني الله فداك ما تقول في رجلين دخلا المسجد جميعاً كان احدهما اكثر صلاة والآخر دعاء فأيهما افضل قال كل حسن قلت قد علمت ولكن ايّهما افضل قال اكثرهما دعاء أما تسمع قول الله تعالى ادعوني استجب لكم إلى آخر الآية وقال هي العبادة الكبرى وروى زرارة عن ابي جعفر «ع» في هذه الآية قال هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء وروى حنان بن سدير عن ابيه قال قلت لأبي جعفر ايّ العبادة افضل قال ما من شيء احبّ إلى الله من أن يسأل ويطلب ما عنده وما احد أبغض إلى الله عز وجل ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده

قوله تعالى (٦١) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦٢) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٦٣) كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٤) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٥) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

← لوجوه ذكرها في اللسان «مسح» فراجع، وروى بعض المحدثين المسيح - بكسر الميم و التشديد - في الدجال «بوزن سكيت» وقد يستفاد من الروايات ان الدجال رجل من يهود، قال في الكشاف: في تفسير الاية: وقيل المجادلون هم اليهود و كانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر و البحر-

فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (خمس آيات)

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما يدل على توحيده فقال (الله الذي جعل لكم) معاشر الخلق (الليل) وهو ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني (لتسكنوا فيه) اي وغرضه في خلق الليل سكونكم واستراحتكم فيه من كدّ النهار وتعبه (والنهار مبصرا) اي وجعل لكم النهار وهو ما بين طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس مضيئاً تبصرون فيه مواضع حاجاتكم فجعل سبحانه النهار مبصراً لما كان يبصر فيه المبصرون (إن الله لذو فضل على الناس) بهذه النعم من غير استحقاق منهم لذلك ولا تقدّم طلب (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) اي ومع هذا فإن اكثر الناس لا يعترفون بهذه النعم بل يجحدونها ويكفرون بها ثم قال سبحانه مخاطباً لخلقه (ذلكم الله ربكم) اي الذي اظهر هذه الدلالات وانعم بهذه النعم هو الله خالقكم ومالككم (خالق كل شيء) من السموات والأرض وما بينهما (لا إله إلا هو) اي لا يستحق العبادة سواه (فأنى تؤفكون) اي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع وضوح الدلالة على توحيده ثم قال سبحانه (كذلك) اي مثل ماصرف وافك هؤلاء (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) وهم من تقدّمهم من الكفار صرفهم أكابرهم ورؤساؤهم ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأدلة على توحيده فقال (الله الذي جعل لكم الأرض قراراً) اي مستقراً تستقرّون عليه (والسماء بناء) اي وجعل السماء بناء مرتفعاً فوقها ولو جعلها رتقاً لما امكن الخلق الانتفاع بما بينهما ثم قال (وصوّركم فأحسن صوركم) لأن صورة ابن آدم احسن صور الحيوان وقال ابن عباس خلق ابن آدم قائماً معتدلا يأكل بيده ويتناول بيده وكلّ من خلقه الله يتناول بفيه (ورزقكم من الطيبات) لأنه ليس شيء من الحيوان له طيبات المآكل والمشارب مثل ما خلق الله سبحانه لابن آدم فإن انواع الطيبات والاذات التي خلقها الله تعالى لهم من الثمار وفنون النبات واللحوم وغير ذلك مما لا يحصى كثرة ثم قال (ذلكم الله ربكم) اي فاعل هذه الأشياء خالقكم (فتبارك الله رب العالمين) اي جلّ الله بأنه الدائم الثابت الذي لم يزل ولا يزال (هو الحي) معناه ان الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو الحيّ على الإطلاق من غير علة ولا فاعل ولا بنية (لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين) اي مخلصين في دعائه وعبادته (الحمد لله رب العالمين) قال الفراء وهو خبر وفيه اضمار كأنه قال ادعوه واحمدوه على هذه النعم وقولوا الحمد لله رب العالمين وروى مجاهد عن ابن عباس قال من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين يريد قول الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين

قوله تعالى (٦٦) قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٨) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٩) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ

← وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبراً ونفى أن يبلغوا متمناهم

(٧٠) ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِٱلْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (خمس آيات)

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (قل) يا محمد لكفار قومك (إني نهيت) اي نهاني الله (أن اعبد الذين تدعون من دون الله) اي أوجه العبادة الى من تدعونه من دون الله من الأصنام التي تجعلونها آلهة (لما جاءني البينات من ربي) اي حين أتاني الحجج والبراهين من جهة الله تعالى دلتني على ذلك (وامرت) مع ذلك (أن اسلم لرب العالمين) اي استسلم لأمر رب العالمين الذي يملك تدبير الخلائق اجمعين ثم عاد الى ذكر الأدلة فقال (هو الذي خلقكم) معاشر البشر (من تراب) اي خلق أباكم آدم من تراب وانتم نسله والبه تنتمون (ثم من نطفة) اي ثم أنشأ من ذلك الأصل الذي خلقه من تراب النطفة وهي ماء الرجل والمرأة (ثم من علقة) وهي قطعة من الدم (ثم يخرجكم طفلا) اي اطفالا واحداً واحداً فلذلك ذكره بالتوحيد قال يونس العرب تجعل الطفل للواحد والجماعة قال الله تعالى او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء والمعنى ثم يقلبكم اطواراً إلى أن يخرجكم من ارحام الأمهات اطفالا صغاراً (ثم لتبلغوا أشدكم) وهو حال استكمال القوة وهذا يحتمل أن يكون معطوفا على معنى قوله ثم يخرجكم طفلا لتنشأوا وتشبوا ثم لتبلغوا اشدكم ويحتمل ان يكون معطوفا على معنى قوله نخرجكم طفلا والتقدير لطفوليتكم ثم لتبلغوا اشدكم (ثم لتكونوا شيوخا) بعد ذلك (ومنكم من يتوفى من قبل) اي من قبل أن يصير شيخا ومن قبل أن يبلغ اشده (ولتبلغوا اجلا مسمى) اي وليبلغ كل واحد منكم ما سمي له من الأجل الذي يموت عنده وقيل هذا للقرن الذي تقوم عليهم القيامة والأجل المسمى هو القيامة عن الحسن (ولعلكم تعقلون) اي خلقكم لهذه الأغراض التي ذكرها ولكي تتفكروا في ذلك فتعقلوا ما أنعم الله به عليكم من انواع النعم واراده منكم من اخلاص العبادة ثم قال (هو الذي يحيي ويميت) اي من خلقكم من تراب على هذه الأوصاف التي ذكرها هو الذي يحييكم وهو الذي يميتكم فأولكم من تراب وآخركم إلى تراب (فإذا قضى امراً فإنما يقول له كن فيكون) ومعناه انه يفعل ذلك من غير ان يتعذر ويمتنع عليه فهو بمنزلة ما يقال له كن فيكون لأنه سبحانه يخاطب المعدوم بالتكوين (ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله) يعني المشركين الذين يخاصمون في ابطال حجج الله ودفعها (أنى يصرفون) اي كيف ومن اين يقلبون عن الطريق المستقيم الى الضلال ولو كانوا يخاصمون في آيات الله بالنظر في صحتها والفكر فيها لما ذمهم الله تعالى ثم وصفهم سبحانه فقال (الذين كذبوا بالكتاب) اي بالقرآن وجحدوه (وبما ارسلنا به رسلنا) اي وكذبوا بما ارسلنا به من الكتب والشرائع رسلنا قبلك (فسوف يعلمون) عاقبة امرهم إذا حل بهم وبال ما جحدوه ونزل بهم عقاب ما ارتكبوه فيعرفون ان ما دعوتهم اليه حق وما ارتكبوه ضلال وفساد

قوله تعالى (٧١) إِذِ ٱلْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧٢) فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٣) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٤) مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَافِرِينَ (٧٥) ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابن مسعود وابن عباس والسلاسل بفتح اللام يسحبون

الحجة

قال ابن جني تقديره إذ الأغلال في أعناقهم ويسحبون السلاسل فعطف الجملة من الفعل والفاعل على الجملة التي من المبتدأ والخبر كما قد عودل أحدهما بالاخرى نحو قوله

أَقَيْسَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ أَمُوفٍ بِأَدْرَاعِ بْنِ طِيبَةَ أَمْ تَذَمّ (١)

أي أأنت موف بها أم تذم فقابل بالمبتدأ والخبر التي من الفعل والفاعل الجاري مجرى الفاعل

اللغة

الأغلال جمع غل وهو طوق يدخل في العنق للذل والألم وأصله الدخول يقال انغل العنق في الشيء إذا دخل فيه والغلول الخيانة لأنها تصير كالغل في عنق صاحبها. السلاسل جمع سلسلة وهي الحلق منتظمة في جهة الطول مستمرة والسحب جرّ الشيء على الأرض هذا أصله والسجر أصله القاء الحطب في معظم النار كالتنور الذي يسجر بالوقود والفرح والبطر والأشر نظائر والمرح شدة الفرح وفرس مروح اي نشيط قال

وَلَا يُثْنِي عَلَى الْحَدَثَانِ عِرْضِي وَلَا أَرْخِي مِنَ الْمَرَحِ الْإِزَارَا (٢)

الإعراب

يسحبون في موضع نصب على الحال تقديره مسحوبين على النار مسجونين فيها والعامل في اذ الأغلال قوله تعالى فسوف يعلمون إذا لم يوقف على يعلمون ووقف على السلاسل ومن وقف على يعلمون فالعامل في اذ يسحبون

المعنى

ثم قال سبحانه (إذ الأغلال في اعناقهم) اي يعلمون وبال أمرهم في حال تكون الأغلال في أعناقهم (والسلاسل يسحبون في الحميم) اي يجرّون في الماء الحار الذي قد انتهت حرارته (ثم في النار يسجرون) اي ثم يقذفون في النار ويلقون فيها وقيل معناه ثم يصيرون وقود النار عن مجاهد والمعنى توقد بهم النار (ثم قيل لهم) اي لهؤلاء الكفار إذا دخلوا النار على وجه التوبيخ (أين ما كنتم تشركون من دون الله) أي أين ما كنتم تزعمون انها تنفع وتضر من اصنامكم التي عبدتموها (قالوا ضلّوا عنا) اي ضاعوا عنّا وهلكوا فلا نراهم ولا نقدر عليهم ثم يستدركون فيقولون (بل لم نكن ندعو من قبل شيئا) والمعنى لم نكن ندعو شيئاً يستحق العبادة ولا ما ننتفع بعبادته عن الجبائي وقيل بل لم نكن ندعو شيئا ينفع ويضر ويسمع ويبصر قال ابو مسلم وهذا كما يقال لكل ما لا يغني شيئاً هذا ليس بشيء لأن قولهم ضلّوا عنا اعتراف بعبادتهم ولأن الآخرة دار إلجاء فهم ملجأون إلى ترك القبيح وقيل معناه ضاعت عباداتنا لهم فلم نكن نصنع شيئاً إذ عبدناها كما يقول المتحسر ما فعلت شيئاً (كذلك يضلّ الله الكافرين) معناه كما أضلّ الله أعمال هؤلاء وأبطل ما كانوا يؤمّلونه كذلك يفعل بجميع من يتديّن بالكفر فلا ينتفعون بشيء من اعمالهم وقيل يضلّ الله اعمالهم اي يبطلها عن الحسن وقيل يضلّ الكافرين عن طريق الجنة والثواب كما أضلّهم عمّا اتخذوه إلهاً بأن صرفهم عن الطمع في نيل منفعة من جهتها عن الجبائي (ذلكم) العذاب الذي نزل بكم

(١) اى قابل بالمبتدأ والخبر وهو قوله «أموف» فان تقديره «أأنت موف» الجملة التى من الفعل والفاعل و هو قوله «ندم» وهى بمنزلة اسم الفاعل لان قام زيد مثلا بمنزلة قائم. (٢) ثنى الشيء: عطفه و حدثان الدهر: نوائبه. و أرخى الازار: أسبله. و اللفظ كناية اى لا افرح من توجه النعم كمالا يتعطف فى النوائب عرضى.

(بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) قيد الفرح وأطلق المرح لأن الفرح قد يكون بحق فيحمد عليه وقد يكون بالباطل فيذمّ عليه والمرح لا يكون إلا باطلا ومعناه ان ما فعل بكم جزاء بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق اي بما كان يصيب انبياء الله تعالى وأولياءه من المكاره وبما كنتم تمرحون اي تأشرون وتبطرون

قوله تعالى (٧٦) أُدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٧) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٧٨) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٩) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٨٠) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (خمس آيات)

(المعنى)

ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار انه يقال لهم (ادخلوا أبواب جهنم) وهي سبعة أبواب (خالدين فيها) أي مؤبّدين فيها لا انقطاع لكربكم فيها ولا نهاية لعقابكم وقيل إنما جعل لجهنم ابواب كما جعل لها دركات تشبيهاً بما يتصور الإنسان في الدنيا من المطابق والسجون والمطامير[1] فإن ذلك أهول وأعظم في الزجر (فبئس مثوى المتكبرين) اي بئس مقام الذين تكبّروا عن عبادة الله تعالى وتجبّروا عن الانقياد له وإنما اطلق عليه اسم بئس وان كان حسناً لأن الطبع ينفر عنه كما ينفر العقل عن القبيح فحسن لهذه العلة اسم بئس عليه ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (فاصبر) يامحمد على اذى قومك لك وتكذيبهم اياك ومعناه اثبت على الحق فسمّاه صبراً للمشقة التي تلحق به كما تلحق بتجرع المرّ ولذلك لا يوصف اهل الجنة بالصبر وان وصفوا بالثبات على الحق وان كان في الوصف به في الدنيا فضل ولكنّهم يوصفون بالحلم لأنه مدح ليس فيه صفة نقص (إن وعد الله حق) معناه ان ما وعد الله به المؤمنين على الصبر من الثواب في الجنة حقّ لا شك فيه بل هو كائن لا محالة وقيل إن وعد الله بالنصر لانبيائه والانتقام من اعدائه حق وصدق لا خلف فيه (فإما نرينّك بعض الذي نعدهم) من العذاب في حياتك وإنما قال بعض الذي نعدهم لأن المعجل من عذابهم في الدنيا هو بعض ما يستحقّونه (أو نتوفينّك) قبل أن يحلّ بهم ذلك (فإلينا يرجعون) يوم القيامة فنفعل بهم ما يستحقّونه من العقاب ولا يفوتوننا ثم زاد سبحانه في تسلية النبي ﷺ بقوله (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) يامحمد (منهم من قصصنا عليك) قصصهم وأخبارهم (ومنهم من لم نقصص عليك) اخبارهم وقيل معناه منهم من تلونا عليك ذكره ومنهم من لم نتل عليك ذكره وروي عن علي «ع» انه قال بعث الله نبياً اسود لم يقص علينا قصته واختلفت الأخبار في عدد الأنبياء فروي في بعضها أن عددهم مائة الف واربعة وعشرون الفاً وفي بعضها ان عددهم ثمانية آلاف نبيّ اربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من غيرهم (وما كان لرسول أن يأتي بآية) اي بمعجزة ودلالة (إلا بإذن الله) وامره والمعنى

(١) المطابق جمع المطبق : السجن تحت الارض . والمطامير جمع المطمورة : الحفيرة تحت الارض .

ان الاتيان بالمعجزات ليس إلى الرسول ولكنه إلى الله تعالى يأتي بها على وجه المصلحة (فإذا جاء امر الله) وهو القيامة (قضي بالحق) بين المسلمين والكفار والابرار والفجار (وخسر هنالك) عند ذلك (المبطلون) لأنهم يخسرون الجنة ويحصلون في النار بدلا منها وذلك هو الخسران المبين والمبطل صاحب الباطل ثم عدّد سبحانه نعمه على خلقه فقال (الله الذي جعل لكم الأنعام) من الإبل والبقر والغنم (لتركبوا منها) اي لتنتفعوا بركوبها (ومنها تأكلون) يعني أن بعضها للركوب والأكل كالابل والبقر وبعضها للأكل كالاغنام وقيل المراد بالأنعام هاهنا الابل خاصة لأنها التي تركب ويحمل عليها في اكثر العادات واللام في قوله لتركبوا لام الغرض وإذا كان الله تعالى خلق هذه الأنعام وأراد ان ينتفع خلقه بها وكان جل جلاله لا يريد القبيح ولا المباح فلا بدّ أن يكون اراد انتفاعهم بها على وجه القربة اليه والطاعة له (ولكم فيها منافع) يعني من جهة البانها وأصوافها وأوبارها وأشعارها (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) بأن تركبوها وتبلغوا المواضع التي تقصدونها بحوائجكم (وعليها) اي وعلى الأنعام وهي الابل هنا (وعلى الفلك) أي وعلى السفن (تحملون) يعني على الإبل في البر وعلى الفلك في البحر تحملون في الأسفار علم الله سبحانه انا نحتاج إلى ان نسافر في البرّ والبحر فخلق لنا مركباً للبرّ ومركباً للبحر

قوله تعالى (٨١) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (٨٢) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٣) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٨٤) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٥) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (خمس آيات)

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه مخاطباً للكفار الذين جحدوا آيات الله وانكروا أدلته الدالة على توحيده (ويريكم آياته) اي ويعلّمكم حججه ويعرفكم اياها ومنها اهلاك الامم الماضية ووجه الآية فيه انهم بعد حصولهم في النعم صاروا إلى النقم بكفرهم وجحودهم ومنها الآية في خلق الأنعام التي قدّم ذكرها ووجه الآية فيها تسخيرها لمنافع الخلق بالتصريف في الوجوه التي قد جعل كل شيء منها لما يصلح له وذلك يقتضي أن الجاعل لذلك قادر على تصريفه عالم بتدبيره (فأيّ آيات الله تنكرون) هذا توبيخ لهم على الجحد وقد يكون الانكار والجحد تارة بأن يجحد اصلا وتارة بأن يجحد كونها دالة على صحة ما هي دلالة عليه والخلاف يكون في ثلاثة اوجه إما في صحتها في نفسها وإما في كونها دلالة وإما فيهما جميعاً وإنما يجوز من الجهّال دفع الآية بالشبهة مع قوة الآية وضعف الشبهة لامور ﴿ منها ﴾ اتباع الهوى ودخول الشبهة التي تغطي على الحجة حتى لا يكون لها في النفس منزلة ﴿ ومنها ﴾ التقليد لمن ترك النظر في الامور ﴿ ومنها ﴾ السبق إلى اعتقاد فاسد لشبهة فيمنع ذلك من توليد النظر للعلم ثم نبّههم سبحانه فقال (أفلم يسيروا في الأرض) بأن يمرّوا في جنباتها

(فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم) عدداً (وأشدّ قوة) أي وأعظم قوة (وآثاراً في الأرض) بالأبنية العظيمة التي بنوها والقصور المشيدة التي شيّدوها وقبل بمشيهم على ارجلهم على عظم خلقهم عن مجاهد فلما عصوا الله سبحانه وكفروا به وكذّبوا رسله اهلكهم الله واستأصلهم بالعذاب (فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) اي لم يغن عنهم ما كسبوه من البنيان والأموال شيئاً من عذاب الله تعالى وقيل ان ما في قوله فما اغنى بمعنى اي فالمعنى فأيّ شيء اغنى عنهم كسبهم فيكون موضع ما الأولى نصبا وموضع ما الثانية رفعا ثم قال سبحانه (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) أي فلما أتى هؤلاء الكفار رسلهم الذين دعوهم إلى توحيد الله واخلاص العبادة له بالحجج والآيات وفي الكلام حذف تقديره لما جاءتهم رسلهم بالبينات فجحدوها وأنكروا دلالتها ووعد الله الرسل بإهلاك أممهم ونجاة قومهم (فرحوا بما عندهم من العلم) اي فرح الرسل بما عندهم من العلم بذلك عن الجبائي وقيل معناه فرح الكفار بما عندهم من العلم اي بما كان عندهم انه علم وهو جهل على الحقيقة لأنهم قالوا نحن أعلم منهم لا نبعث ولا نعذّب واعتقدوا انه علم فأطلق عليه لفظ العلم على اعتقادهم كما قال حجتهم داحضة وقال ذق انك أنت العزيز الكريم اي عند نفسك اوعند قومك عن الحسن ومجاهد وقيل معناه فرحوا بالشرك الذي كانوا عليه واعجبوا به وظنوا انه علم وهو جهل وكفر عن الضحاك قال والمراد بالفرح شدة الإعجاب (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) اي حلّ بهم ونزل بهم جزاء استهزائهم برسلهم من العذاب والهلاك (فلما رأوا بأسنا) اي عذابنا النازل بهم (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) اي كفرنا بالأصنام والأوثان (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) اي عند رؤيتهم بأس الله وعذابه لأنهم يصيرون عند ذلك ملجأين وفعل الملجأ لا يستحق به المدح (سنت الله التي قد خلت من قبل في عباده) نصب سنة الله على المصدر ومعناه سنّ الله هذه السنة في الأمم الماضية كلها اذ لا ينفعهم إيمانهم إذا رأوا العذاب والمراد بالسنة هنا الطريقة المستمرة من فعله بأعدائه الجاحدين (وخسر هنالك الكافرون) بدخول النار واستحقاق النعمة وفوت الثواب والجنة وبالله التوفيق وحسبنا الله ونعم المولى ونعم النصير

تمّ الجزء الثامن من كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن

وقد تصدّى لتصحيحه والتعليق عليه العبد المذنب الفانى السيد هاشم الرسولى المحلاتى عفى عنه ومن والديه بحق محمّد وآله الطاهرين

فهرس المجلد الرابع من مجمع البيان في تفسير القرآن

وهو حاو للجزء السابع والثامن حسب تجزئة المصنف

وفيه تفسير سورة طه ، الأنبياء ، الحج ، المؤمنون ، النور ، الفرقان ، الشعراء ، النمل ، القصص ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ، الأحزاب ، سبأ ، الملائكة ، يس ، الصافات ، ص ، الزمر ، المؤمن

سورة طه

صفحة

١ طه إلى قوله له الأسماء الحسنى
٣ وهل اتاك حديث موسى إلى قوله واتبع هواه فتردى
٦ وما تلك بيمينك ياموسى إلى قوله قال قد أوتيت سؤلك ياموسى
٩ ولقد منّا عليك مرّة اخرى إلى قوله لعلّه يذكّر او يخشى
١٢ قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو ان يطغى إلى قوله فكذّب وأبى
١٤ قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا إلى قوله انها تسعى
١٨ فأوجس في نفسه خيفة موسى إلى قوله إنك انت الأعلى
١٩ والق ما في يمينك إلى قوله وذلك جزاء من تزكّى
٢١ ولقد أوحينا إلى موسى أن اسر بعبادي إلى قوله فأخلفتم موعدي
٢٤ قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا إلى قوله وكذلك سوّلت لي نفسي
٢٧ قال فاذهب فإنّ لك في الحياة إلى قوله عوجاً ولا امتاً
٣٠ يومئذ يتّبعون الداعي لا عوج له إلى قوله فنسي ولم نجد له عزماً

صفحة

٣٢ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم إلى قوله وقد كنت بصيراً
٣٤ قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها إلى قوله لعلّك ترضى
٣٦ ولا تمدّنّ عينيك إلى ما متّعنا به ازواجاً منهم إلى قوله ومن اهتدى

سورة الأنبياء

٣٨ اقترب للناس حسابهم إلى قوله كما ارسل الأولون
٣٩ ما آمنت قبلهم من قرية إلى قوله افلا تعقلون
٤٠ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة إلى قوله لا يعلمون
٤٢ أم اتخذوا آلهة من الأرض إلى قوله وهم يسألون
٤٣ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلى قوله أفلا يؤمنون
٤٥ وجعلنا في الأرض رواسي ان تميد بهم إلى قوله والينا ترجعون
٤٧ وإذا رآك الذين كفروا إلى قوله ولا هم يُنظرون
٤٨ ولقد استهزئ برسل من قبلك الى قوله إذا ما ينذرون
٥٠ ولئن مسّتهم نفحة من عذاب ربك الى قوله أفأنتم له منكرون

صفحة

٥١ ولقد آتينا ابراهيم رشده إلى قوله يقال له ابراهيم
٥٣ قالوا فأتوا به على اعين الناس الى قوله فجعلناهم الأخسرين
٥٥ ونجّيناه ولوطاً الى الأرض الى قوله انه من الصالحين
٥٦ ونوحاً اذ نادى من قبل فاستجبنا له الى قوله فهل انتم شاكرون
٥٨ ولسليمان الريح عاصفة الى قوله انهم من الصالحين
٦٠ وذا النون اذ ذهب مغاضباً الى قوله وكانوا لنا خاشعين
٦١ والتي احصنت فرجها الى قوله انهم لا يرجعون
٦٣ حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج الى قوله هذا يومكم الذي كنتم توعدون
٦٥ يوم نطوي السماء كطيّ السجل للكتب الى قوله على ماتصفون

سورة الحج

٦٨ يا أيها الناس اتّقوا ربكم إلى قوله وانبتت من كل زوج بهيج
٧٢ ذلك بأن الله هو الحق الى قوله وان الله ليس بظلام للعبيد
٧٣ ومن الناس من يعبد الله على حرف

صفحة

الى قوله هل يذهبنّ كيده ما يغيظ
٧٦ وكذلك انزلناه آيات بينات الى قوله ان الله يفعل ما يشاء
٧٧ هذان خصمان اختصموا في ربهم الى قوله وهدوا الى صراط الحميد
٧٨ ان الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله الى قوله واجتنبوا قول الزور
٨٢ حنفاء لله غير مشركين به الى قوله ومما رزقناهم ينفقون
٨٤ والبدن جعلناها لكم من شعائر الله الى قوله ان الله لقوي عزيز
٨٧ الذين ان مكنّاهم في الأرض الى قوله وقصر مشيد
٨٩ أفلم يسيروا في الأرض الى قوله أولئك اصحاب الجحيم
٩٠ وما ارسلنا من قبلك الى قوله يوم عقيم
٩٢ الملك يومئذ لله الى قوله لغفور
٩٣ ذلك بأن الله يولج الليل في النهار الى قوله ان الله بالناس لرؤوف رحيم
٩٤ وهو الذي احياكم ثم يميتكم إلى قوله إن ذلك على الله يسير
٩٥ ويعبدون من دون الله إلى قوله إن الله سميع بصير
٩٦ يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم إلى قوله فنعم المولى ونعم النصير

سورة المؤمنون

٩٨ قد افلح المؤمنون الى قوله هم فيها خالدون
١٠٠ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى قوله ومنها تأكلون

صفحة

١٠٢ وشجرة تخرج من طور سيناء الى قوله فتربّصوا به حتى حين
١٠٤ قال ربّ انصرني بما كذّبون الى قوله وإن كنّا لمبتلين - أفلا تتقون
١٠٥ وقال الملأ من قومه الى قوله ليصبحنّ نادمين
١٠٧ فأخذتهم الصيحة بالحقّ الى قوله ذات قرار ومعين
١٠٨ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات الى قوله بل لا يشعرون
١١٠ ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون الى قوله وهم لها سابقون
١١١ ولا نكلّف نفساً إلا وسعها الى قوله عن ذكرهم معرضون
١١٣ أم تسألهم خرجاً الى قوله أفلا تعقلون
١١٤ بل قالوا مثل ما قال الأولون الى قوله بل اتيناهم بالحق وانّهم لكاذبون
١١٥ ما اتّخذ الله من ولد الى قوله الى يوم يبعثون
١١٨ فإذا نفخ في الصور الى قوله وكنتم منهم تضحكون
١٢٠ إني جزيتهم اليوم بما صبروا الى قوله وأنت خير الراحمين

سورة النور

١٢٢ سورة انزلناها وفرضناها الى قوله وحرّم ذلك على المؤمنين
١٢٥ والذين يرمون المحصنات الى قوله فإن الله غفور رحيم
١٢٦ والذين يرمون ازواجهم الى قوله وان الله توّاب حكيم

صفحة

١٢٩ ان الذين جاءوا بالإفك الى قوله وهو عند الله عظيم
١٣٢ ولولا اذ سمعتموه الى قوله وأن الله لرؤوف رحيم
١٣٢ يا ايها الذين آمنوا لا تتّبعوا
١٣٣ خطوات الشيطان الى قوله ان الله هو الحقّ المبين
١٣٥ الخبيثات للخبيثين الى قوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
١٣٦ قل للمؤمنين يغضّوا من ابصارهم الى قوله لعلّكم تفلحون
١٣٩ وانكحوا الأيامى منكم الى قوله وموعظة للمتقين
١٤١ الله نور السماوات والأرض الى قوله بغير حساب
١٤٥ والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة الى قوله فما له من نور
١٤٧ ألم تر أنّ الله يسبّح له من في السماوات والأرض الى قوله صراط مستقيم
١٤٩ ويقولون آمنّا بالله وبالرسول الى قوله فأولئك هم الفائزون
١٥١ وأقسموا بالله جهد ايمانهم الى قوله فأولئك هم الفاسقون
١٥٣ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة الى قوله ولبئس المصير
١٥٣ يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم الى قوله والله سميع عليم
١٥٥ ليس على الأعمى حرج الى قوله لعلكم تعقلون
١٥٧ انّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله الى قوله والله بكل شيء عليم

﴿ سورة الفرقان ﴾

صفحة
١٥٩ تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده إلى قوله ويجعل لك قصوراً
١٦١ بل كذّبوا بالساعة إلى قوله وادعوا ثبوراً كثيراً
١٦٢ لهم فيها ما يشاؤون خالدين إلى قوله وكان ربّك بصيراً
١٦٥ وقال الذين لا يرجون لقاءنا إلى قوله اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً
١٦٨ وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّاً إلى قوله لا يرجون نشوراً
١٧٠-١٧١ وإذا رأوك إن يتّخذونك إلّا هزواً إلى قوله فأبى أكثر الناس إلا كفوراً
١٧٣—١٧٤ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً إلى قوله وزادهم نفوراً
١٧٦—١٧٧ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً إلى قوله وكان الله غفوراً رحيماً
١٨٠ ومن تاب وعمل صالحاً إلى قوله فسوف يكون لزاماً

﴿ سورة الشعراء ﴾

١٨٣ طسم تلك آيات الكتاب المبين إلى قوله وإن ربّك لهو العزيز الرحيم
١٨٥ وإذ نادى ربك موسى إلى قوله قالوا أولو جئتك بشيء مبين
١٨٨ قال فأت به إن كنت من الصادقين إلى قوله قالوا لا ضير إنّا إلى ربنا منقلبون
صفحة
١٨٩ إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا الى قوله وان ربك لهو العزيز الرحيم
١٩٢ واتل عليهم نبأ ابراهيم الى قوله وان ربك لهو العزيز الرحيم
١٩٥ كذّبت قوم نوح المرسلين الى قوله وان ربك لهو العزيز الرحيم
١٩٧ كذّبت عاد المرسلين الى قوله وإن ربك لهو العزيز الرحيم
١٩٨—١٩٩ كذّبت ثمود المرسلين الى قوله وان ربك لهو العزيز الرحيم
٢٠٠ كذّبت قوم لوط المرسلين الى قوله وان ربك لهو العزيز الرحيم
٢٠١ كذّب اصحاب لئيكة المرسلين الى قوله وان ربك لهو العزيز الرحيم
٢٠٢—٢٠٣ وانه لتنزيل رب العالمين إلى قوله انهم عن السمع لمعزولون
٢٠٠ فلا تدع مع الله إلهاً آخر الى قوله إنه هو السميع العليم
٢٠٧ هل أنبّئكم على من تنزّل الشياطين إلى قوله وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون

﴿ سورة النمل ﴾

٢٠٩ طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين الى قوله انّي لا يخاف لديّ المرسلون
٢١٢ إلّا من ظلم ثم بدّل حسناً إلى قوله فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
٢١٣ ولقد آتينا داود وسليمان علماً الى قوله في عبادك الصالحين
صفحة
٢١٦ وتفقّد الطير إلى قوله رب العرش العظيم
٢١٩ قال سننظر اصدقت أم كنت من الكاذبين إلى قوله وأتوني مسلمين
٢٢٠ قالت يا أيها الملأ افتوني في امري إلى قوله وهم صاغرون
٢٢٢ قال يا أيها الملأ أيّكم يأتيني بعرشها إلى قوله واسلمت مع سليمان لله رب العالمين
٢٢٥ ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً إلى قوله وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتّقون
٢٢٧ ولوطاً إذ قال لقومه الى قوله أ إله خير أمّا يشركون
٢٢٨ أ مّن خلق السماوات والأرض إلى قوله وما يشعرون أيّان يبعثون
٢٣٠ بل ادّارك علمهم في الآخرة إلى قوله إلا في كتاب مبين
٢٣٢ إن هذا القرآن يقصّ على بني اسرائيل إلى قوله فهم لا ينطقون
٢٣٥ ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه إلى قوله وما ربّك بغافل عمّا تعملون

﴿ سورة القصص ﴾

٢٣٨ طسم تلك آيات الكتاب المبين الى قوله ما كانوا يحذرون
٢٤٠ وأوحينا إلى امّ موسى الى قوله لتكون من المؤمنين
٢٤٢ وقالت لاخته قصّيه إلى قوله انه عدوٌّ مضلٌّ مبين
٢٤٤ قال ربّ إني ظلمت نفسي الى قوله إني لك من الناصحين

صفحة
٢٤٦ فخرج منها خائفاً يترقب إلى قوله نجوت من القوم الظالمين
٢٤٨—٢٤٩ قالت احداهما يا أبت استأجره إلى قوله انّي إنا الله ربّ العالمين
٢٥١ وان الق عصاك إلى قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون
٢٥٣ فلما جاءهم موسى بآياتنا بيّنات إلى قوله ويوم القيامة هم من المقبوحين
٢٥٥—٢٥٦ ولقد آتينا موسى الكتاب الى قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين
٢٥٨ ولقد وصّلنا لهم القول الى قوله لا نبتغي الجاهلين
٢٥٩ انك لا تهدي من احببت إلى قوله افلا تعقلون
٢٦١ أفمن وعدناه وعداً حسناً إلى قوله فهم لا يتساءلون
٢٦٢ فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً إلى قوله واليه ترجعون
٢٦٣ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى قوله ما كانوا يفترون
٢٦٤ إنّ قارون كان من قوم موسى الى قوله ويكأنّه لا يفلح الكافرون
٢٦٨ تلك الدار الآخرة إلى قوله له الحكم واليه ترجعون

الجزء الثامن

﴿ سورة العنكبوت ﴾

٢٧١ آلم احسب الناس ان يتركوا الى قوله وهو السميع العليم

صفحة
٢٧٣ ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه الى قوله بما في صدور العالمين
٢٧٥ وليعلمنّ الله الذين آمنوا إلى قوله وجعلناها آية للعالمين
٢٧٦ وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله إلى قوله ان الله على كل شيء قدير
٢٧٧—٢٧٨ يعذّب من يشاء إلى قوله ومالكم من ناصرين
٢٧٩ فآمن له لوط الى قوله قال رب انصرني على القوم المفسدين
٢٨١ ولمّا جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى الى قوله لقوم يعقلون
٢٨٢ والى مدين اخاهم شعيبا الى قوله ولكن كانوا انفسهم يظلمون
٢٨٣ مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء الى قوله والله يعلم ما تصنعون
٢٨٦ ولا تجادلوا اهل الكتاب إلا بالتي هي احسن الى قوله وانما انا نذير مبين
٢٨٨ او لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب الى قوله ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون
٢٨٩—٢٩٠ يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة الى قوله وهو السميع العليم
٢٩١—٢٩٢ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض الى قوله وانّ الله لمع المحسنين

﴿ سورة الروم ﴾

٢٩٤ آلم غلبت الروم الى قوله عن الآخرة هم غافلون

صفحة
٢٩٦ أولم يتفكروا في انفسهم الى قوله وكانوا بها يستهزئون
٢٩٧ ألله يبدؤا الخلق ثم يعيده الى قوله ثم إذا انتم بشر تنتشرون
٢٩٩—٣٠٠ ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً الى قوله اذا انتم تخرجون
٣٠١ وله من في السماوات والأرض الى قوله ولكنّ اكثر الناس لا يعلمون
٣٠٣—٣٠٤ منيبين اليه واتّقوه إلى قوله بما كانوا به يشركون
٣٠٤—٣٠٥ واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها إلى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون
٣٠٦ ظهر الفساد في البرّ والبحر الى قوله انه لا يحبّ الكافرين
٣٠٨ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشّرات الى قوله وهو على كل شيء قدير
٣٠٩—٣١٠ ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفرّاً الى قوله كذلك كانوا يؤفكون
٣١١ وقال الذين اوتوا العلم والإيمان الى قوله ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون

﴿ سورة لقمان ﴾

٣١٢ آلم تلك آيات الكتاب الحكيم الى قوله من كلّ زوج كريم
٣١٤ هذا خلق الله الى قوله فأنبّئكم بما كنتم تعملون
٣١٦ فصل في ذكر نبذ من حكم لقمان
٣١٨ يابنيّ انها إن تك مثقال حبّة من خردل الى قوله ولا كتاب منير

صفحة
٣٢٠ واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الى قوله بل اكثرهم لا يعلمون
٣٢١ لله ما في السماوات والأرض الى قوله وان الله هو العلي الكبير
٣٢٢—٣٢٣ ألم تر ان الفلك تجري في البحر الى قوله ان الله عليم خبير

« سورة السجدة »

٣٢٥ آلم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين الى قوله الف سنة مما تعدون
٣٢٦ ذلك عالم الغيب والشهادة الى قوله بل هم بلقاء ربهم كافرون
٣٢٨ قل يتوفيكم ملك الموت الى قوله وهم لا يستكبرون
٣٣٠ تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى قوله به تكذبون
٣٣٢ ولنذيقنهم من العذاب الادنى الى قوله فيه يختلفون
٣٣٣ أولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم الى قوله انهم منتظرون

« سورة الأحزاب »

٣٣٤—٣٣٥ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين الى قوله وكان الله غفوراً رحيماً
٣٣٧ النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم الى قوله وتظنون بالله الظنونا
٣٤٠ قصة غزوة الخندق
٣٤٥ هنالك ابتلي المؤمنون الى قوله إلا قليلا
٣٤٨ — ٣٤٩ لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة الى قوله وكان الله قوياً عزيزاً

صفحة
٣٥٠ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب الى قوله وكان الله على كل شيء قديراً
٣٥١ قصة بني قريظة
٣٥٢ يا أيها النبي قل لأزواجك الى قوله وأعتدنا لها رزقاً كريما
٣٥٤—٣٥٥ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء الى قوله واجراً عظيماً
٣٥٨ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الى قوله وكان الله بكل شيء عليماً
٣٦٢ يا أيها الذين آمنوا الى قوله وكفى بالله وكيلا
٣٦٣ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات الى قوله وكان الله غفوراً رحيماً
٣٦٥ ترجي من تشاء منهن الى قوله على كل شيء شهيداً
٣٦٨ — ٣٦٩ ان الله وملائكته يصلون على النبي الى قوله ولن تجد لسنة الله تبديلا
٣٧١ يسئلك الناس عن الساعة الى قوله وكان عند الله وجيهاً
٣٧٢ — ٣٧٣ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الى قوله وكان الله غفوراً رحيماً

« سورة سبأ »

٣٧٥ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض الى قوله من رجز أليم
٣٧٧ ويرى الذين أوتوا العلم الى قوله لكل عبد منيب
٣٧٩ ولقد آتينا داود منا فضلا الى قوله ما لبثوا في العذاب المهين

صفحة
٣٨٤ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية الى قوله لكل صبار شكور
٣٨٧ قصة طريفة الكاهنة
٣٨٧ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه الى قوله ولا تسئل عما تعملون
٣٩٠ قل يجمع بيننا ربنا الى قوله ولا تستقدمون
٣٩١ وقال الذين كفروا الى قوله وما نحن بمعذبين
٣٩٢—٣٩٣ قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء الى قوله كانوا يعبدون
٣٩٤ قالوا سبحانك انت ولينا الى
٣٩٥ قوله فكيف كان نكير
٣٩٥—٣٩٦ قل إنما أعظكم بواحدة الى قوله إنه سميع قريب
٣٩٧ ولو ترى إذ فزعوا الى قوله في شك مريب

« سورة الملائكة »

٣٩٩ الحمد لله فاطر السموات والارض الى قوله ولا يغرنكم بالله الغرور
٤٠١ إن الشيطان لكم عدو الى قوله ومكر أولئك هو يبور
٤٠٢—٤٠٣ والله خلقكم من تراب الى قوله وما ذلك على الله بعزيز
٤٠٤ ولا تزر وازرة وزر أخرى الى قوله فكيف كان نكير
٤٠٦ ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء الى قوله انه غفور شكور
٤٠٧ والذي أوحينا اليك من الكتاب الى قوله ولا يمسنا فيها لغوب

صفحة
٤٠٩—٤١٠ والذين كفروا لهم نار جهنم الى قوله بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً
٤١١—٤١٢ إن الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى قوله فإنّ الله كان بعباده بصيراً

﴿ سورة يس ﴾

٤١٤ يس والقرآن الحكيم الى قوله أم لم تنذرهم لا يؤمنون
٤١٧ إنما تنذر من اتبع الذكر الى قوله اتبعوا المرسلين
٤١٩ قصة رسولي عيسى لاهل انطاكية
٤٢٠ اتبعوا من لا يسئلكم أجراً الى قوله إلا كانوا به يستهزؤن
٤٢٢ ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون الى قوله أفلا يشكرون
٤٢٣ سبحان الذي خلق الأزواج كلها الى قوله وكلّ في فلك يسبحون
٤٢٥ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم الى قوله ولا إلى أهلهم يرجعون
٤٢٧—٤٢٨ ونفخ في الصور الى قوله إنه لكم عدوّ مبين
٤٣٠ وأن اعبدوني الى قوله بما كانوا يكسبون
٤٣١ ولو نشاء لطمسنا على أعينهم الى قوله ويحقّ القول على الكافرين
٤٣٢ أولم يروا أنا خلقنا لهم الى قوله إنا نعلم ما يسرّون وما يعلنون
صفحة
٤٣٣ — ٤٣٤ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة الى قوله واليه ترجعون

﴿ سورة الصافات ﴾

٤٣٦ والصافات صفاً الى قوله فأتبعه شهاب ثاقب
٤٣٩ فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً الى قوله هذا يوم الدين
٤٤٠ هذا يوم الفصل الى قوله بل كنتم قوماً طاغين
٤٤١—٤٤٢ فحقّ علينا قول ربنا الى قوله الا عباد الله المخلصين
٤٤٢ اولئك لهم رزق معلوم الى قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون
٤٤٤ قال قائل منهم الى قوله إن هذا لهو الفوز العظيم
٤٤٥ لمثل هذا فليعمل العاملون الى قوله فهم على آثارهم يهرعون
٤٤٧ ولقد ضلّ قبلهم اكثر الأولين الى قوله ثم اغرقنا الآخرين
٤٤٨ وإنّ من شيعته لابراهيم الى قوله رب هب لي من الصالحين
٤٥١ فبشّرناه بغلام حليم الى قوله وظالم لنفسه مبين
٤٥٤ قصة ذبح ابراهيم ولده
٤٥٥ ولقد منّنا على موسى وهارون الى قوله إنهما من عبادنا المؤمنين
٤٥٦ وإن الياس لمن المرسلين الى قوله إنه من عبادنا المؤمنين
٤٥٧ وإن لوطاً لمن المرسلين الى قوله فآمنوا فمتّعناهم الى حين
صفحة
٤٥٩ فاستفتهم ألربك البنات الى قوله إلا عباد الله المخلصين
٤٦٠ فإنكم وما تعبدون الى قوله فسوف يعلمون
٤٦١ — ٤٦٢ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الى قوله والحمد لله رب العالمين

﴿ سورة ص ﴾

٤٦٣ ص والقرآن ذي الذكر الى قوله إن هذا لشيء عجاب
٤٦٦ وانطلق الملأ منهم الى قوله فليرتقوا في الأسباب
٤٦٧ جند ما هنالك مهزوم الى قوله ما لها من فواق
٤٦٨ وقالوا ربنا عجّل لنا قطّنا قبل يوم الحساب الى قوله وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب
٤٦٩—٤٧٠ وهل أتاك نبؤا الخصم الى قوله فغفرنا له ذلك وانّ له عندنا لزلفى وحسن مآب
٤٧٢—٤٧٣ يا داود إنا جعلناك خليفة الى قوله وليتذكّر اولوا الالباب
٤٧٣—٤٧٤ ووهبنا لداود سليمان الى قوله وانّ له عندنا لزلفى وحسن مآب
٤٧٧ واذكر عبدنا ايوب الى قوله إنه أوّاب
٤٧٨—٤٧٩ واذكر عبادنا ابراهيم الى قوله ماله من نفاد
٤٨١ هذا وانّ للطاغين لشرّ مآب الى قوله فزده عذاباً ضعفاً في النار

صفحة
٤٨٣ وقالوا ما لنا لا نرى رجالا الى قوله أنا نذير مبين
٤٨٥ إذ قال ربك للملائكة الى قوله إلا عبادك منهم المخلصين
٤٨٦ قال فالحقّ والحقّ اقول الي قوله ولتعلمنّ نبأه بعد حين

﴿ سورة الزمر ﴾

٤٨٧ تنزيل الكتاب من الله الى قوله ألا هو العزيز الغفار
٤٨٩ خلقكم من نفس واحدة الى قوله أجرهم بغير حساب
٤٩٢ قل إني أمرت أن اعبد الله الى قوله لا يخلف الله الميعاد
٤٩٤ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء الى قوله من حيث لا يشعرون
٤٩٦ فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا الى قوله عند ربكم تختصمون
٤٩٧—٤٩٨ فمن أظلم ممن كذب على الله الى قوله يجزيهم اجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون
٤٩٨—٤٩٩ أليس الله بكاف عبده الى قوله ويخوّفونك بالذين من دونه
٥٠٠ إنا أنزلنا عليك الكتاب الى قوله إذا هم يستبشرون
٥٠١—٥٠٢ قل اللهم فاطر السموات والارض الى قوله ما كانوا يكسبون

صفحة
٥٠٢ — ٥٠٣ فأصابهم سيئات ما كسبوا الى قوله وانتم لا تشعرون
٥٠٣ — ٥٠٤ أو تقول نفس يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله إلى قوله أليس في جهنّم مثوى للمتكبّرين
٥٠٥ — ٥٠٦ وينجّي الله الذين اتّقوا الى قوله فاعبد وكن من الشاكرين
٥٠٧ قدروا الله حقّ قدره الى قوله وهو اعلم بما يفعلون
٥٠٩ وسيق الذين كفروا إلى جهنم الى قوله وقيل الحمد لله ربّ العالمين

ـ سورة المؤمن ـ

٥١٢ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله فأخذتهم فكيف كان عقاب
٥١٤ وكذلك حقّت كلمة ربك الى قوله إذ تدعون الي الايمان فتكفرون
٥١٦ قالوا ربنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين الى قوله إن الله سريع الحساب
٥١٨ وأنذرهم يوم الآزفة الى قوله إن الله هو السميع البصير
٥١٩ أولم يسيروا في الارض الي قوله وما كيد الكافرين إلا في ضلال

صفحة
٥٢٠ وقال فرعون ذروني أقتل موسى الى قوله مثل يوم الأحزاب
٥٢٢ مثل دأب قوم نوح وعاد الى قوله كذلك يطبع الله على كل قلب متكبّر جبّار
٥٢٣ وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً الى قوله بغير حساب
٥٢٤—٥٢٥ ويا قوم ما لي أدعوكم إلى قوله وحاق بآل فرعون اشدّ العذاب
٥٢٦ وإذ يتحاجّون في النار الى قوله وما دعاء الكافرين إلا في ضلال
٥٢٧ إنا لننصر رسلنا الى قوله وسبّح بحمد ربك بالعشيّ والإبكار
٥٢٨ إن الذين يجادلون في آيات الله الى قوله سيدخلون جهنم داخرين
٥٢٩—٥٣٠ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه الى قوله الحمد لله ربّ العالمين
٥٣٠—٥٣١ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله الى قوله فسوف يعلمون
٥٣١ إذ الأغلال في أعناقهم إلى قوله وبما كنتم تمرحون
٥٣٣ ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها الى قوله وعليها وعلى الفلك تحملون
٥٣٤ ويريكم آياته إلى قوله وخسر هنالك الكافرون